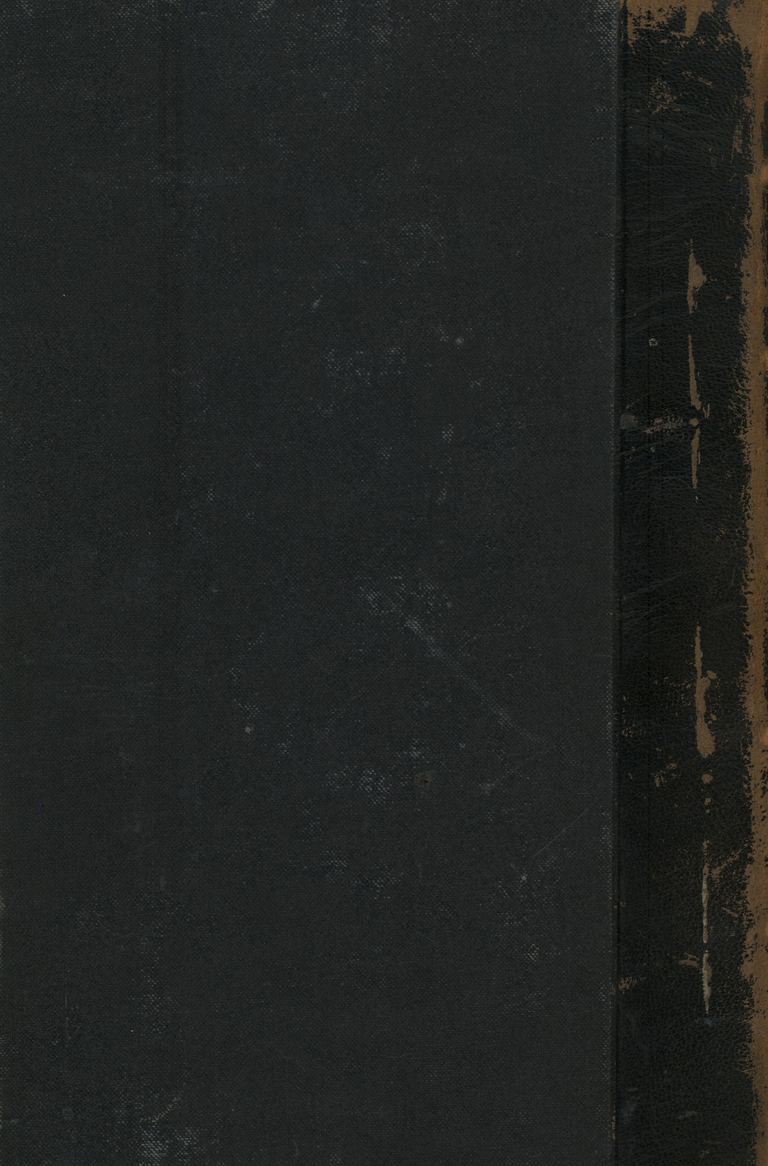


شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام

هذا كتاب جديد وهو مهم جدا وتؤخذ اغراضه ومباحثه من اسمه، وهو مما
لايستغنى عنه باحث والكتاب يباع في مكتبة المنار بشارع الانشا بجوار
وزارة المعارف وعند الشيخ منير الدمشقي في ادارة الطباعة المنيرية بجوار
الازهر وفي غيرها من المكاتب وثمن النسخة ٣ قروش صاغ ؟



هذا كتاب جديد ايضا وهو اهم ما كتب في الفصل بين الوهابيين وغيرهم
من الفرق الاسلامية وقد فض النزاع بين طائفة الوهابية وغيرها في جميع ما
اختلفوا فيه وهو كتاب قد اهتمت له مشيخة الازهر حتى انها طلبت مصادرته
لدى الوزارة فأخفق سعيها وقد فصلت مؤلفه من الازهر لأجله لما ان عجزت
عن الرد عليه ولما ان علمت انه ضربة قاضية على ارباب البدع والخرافات
والدجالين وهكذا يفعل العاجزون والكتاب يباع في المكاتب التي يباع
فيها الاول وثمن النسخة ٥ قروش صاغ



١٣١٥

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل ٣١٣ [illegible]
كتابا أو رسالتين عوضا عنه

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ٢٢
(والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩)

فهارس المجلد الثاني والثلاثين

لسنة ١٣٥٠

قيمة الاشتراك في المنار جنيه مصري في القطر المصري والحجاز
وفي غيرهما ١٢٠ قرشا (أو ٢٥ شلنا ذهبا)
الطبعة الاولى

مطبعة المنار بمصر

فهرس ابواب المجلد الثاني والثلاثين من المنار

باب فتاوى المنار

﴿باب المقالات﴾

(الشعر التاريخي)

(باب المناظرة)

﴿ المناظرة بين أهل السنة والشيعة ﴾

(المنار ومجلة مشيخة الازهر ٦٣٨)

النساء

(تعدد الزوجات)

﴿ فهرس أهم المسائل والفتاوى والاعلام مرتبة على حروف المعجم ﴾

﴿ تم الفهرس ﴾



قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ برج الميزان سنة ١٣١١هـ ش ٣ اكتوبر سنة ١٩٣١

فاتحة المجلد الثاني والثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأفضل صلاته وأزكى تسليمه على رسوله خاتم النبيين محمد المصطفى ، وآله وأصحابه الاصفياء الحنفاء ، وعلى كل من اتبع هداهم واقتفى

أما بعد فانني كاشفت قراء المنار بسبب صدور الجزء الاخير من المجلد الحادي والثلاثين في آخر شهر صفر ، واستصرختهم لاداء حقوقه المطولة منهم ، منقوصا منها خمسها فنصفها ، لئلا تضطرني العسرة والغرامة الى ترك اصدار المنار في هذا العام ، فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا ، ولم يرجع الينا وعداً ولا اعتذاراً ، ولا عجب فان غيرة جميع العالم الاسلامي على مساعدة الاصلاح الديني لا تزن غيرة يهودي ولا نصراني واحد . وانني قد حبست نفسي هذه الثلاثة الاشهر على إتمام تاريخ الاستاذ الامام لم أكتب فيها غيره فانا أجعل فاتحة تصديره ومقدمته فاتحة المجلد الثاني والثلاثين ، وعسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على إصدار المنار ، وحسب الماطلين الهاضمين لحقه الخزي والعار ، وما بعده من عذاب النار . ولا نقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تاما لا نعفو منه شيئا ، ولا نشكو هاضميه الا الى الله عز وجل . وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

تصدير التاريخ

ببيان كنه التجديد والاصلاح الذي نهض به حكيم الشرق والاسلام

(وشيخنا الاستاذ الامام ، ووجه الحاجة اليه ، ووجوب المحافظة عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ (٢٨:٥) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ (٧:١٧٠) وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ (٣ : ١٤٠)

جرت سنة الله تعالى في أفراد البشر أن يؤتيهم قوى المشاعر الحسية والمدارك العقلية بالتدريج حتى يبلغ احدهم أشده ، ويستكمل رشده ، ويستقل بنفسه بالعلم والعمل والتجارب، وجرت سنته في الشعوب والامم أن يمنح كلا منهم من هداية الوحي في كل طور من أطوار حياتهم الاجتماعية ما هو مستعد له وصالح لحالة وزمانه ، على مثال سنة التدريج في الافراد ، إلى أن استعد النوع البشري في جملته ومجموعه لفهم أعلى هداية إلهية لا يحتاج بعدها إلا لاستعمال عقله في الاهتداء بها، في كل زمان ومكان بحسبهما، فوهبه هداية القرآن، وختم النبوة برسالة محمد عليه الصلاة والسلام

ولما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الامد على عهد النبوة فيفسقوا عن أمر ربهم ، ويتأولوا كتبه باهوائهم ، أنعم عليهم بما يحيي هداية النبوة فيهم، بان يبعث فيهم بعد عصر النبوة مجددين ، وأئمة مصلحين، يرثون الانبياء بالدعوة الى اصلاح ما أفسد الظالمون في الارض ، ويكونون حجج الله على الخلق، وقد بشرنا نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين ، بان الله تعالى يبعث

في هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، ليكونوا خلفاءه فيما جدده من دين الله تعالى للامم كلها (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) إذا طال عليهم الامد، فقست قلوبهم ، وفسقوا عن أمر ربهم

إنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين ، وهدموا من بنيان العدل بين الناس ، فكان الامام عمر بن عبد العزيز مجدداً في القرن الثاني لما أبلى قومه بنو امية وأخلقوا ، وما مزقوا بالشقاق وفرقوا ، وكان الامام احمد بن حنبل مجدداً في القرن الثالث لما اخلق بعض بني العباس من لباس السنة ، ورشاد سلف الامة ، باتباع ماتشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وتحكيم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في عالم الغيب ، بالقياس على مايتعارض في عالم الشهادة . وكان الشيخ ابو الحسن الاشعري مجدداً في القرن الرابع بهـذا المعنى ، وحجة الاسلام أبو حامد الغزالي مجدداً في أواخر القرن الخامس وأول السادس لما شبرقت نزغات الفلاسفة وزندقة الباطنية ، والامام ابو محمد علي بن حزم الظاهري في القرن السادس لما سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية - وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مجددين في آخر القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والالحادية ، من حلل الكتاب والسنة السنية ، في جميع العلوم والاعمال الدينية ، وحسبنا هؤلاء الامثال في التجديد الديني العام

وظهر مجددون آخرون في كل قرن كان تجديدهم خاصاً انحصر في قطر اوشعب ، او موضع كبير او صغير ، كابي اسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام في الاندلس ، وولي الله الدهلوي والسيد محمد صديق خان في الهند ، والمولى محمد بن بير علي البركوي في الترك ، والشيخ محمد عبد الوهاب في نجد ، والمقبلي والشوكاني وابن الوزير في اليمن

وهنالك مجددون آخرون للجهاد الحربي بالدفاع عن الاسلام ، او تجديد ملكه وفتح البلاد له ، وإقامة أركان العمران فيه ، وهم كثيرون في الشرق والغرب والوسط ، ورجاله معروفون ، كبعض خلفاء العباسيين والامويين ، ومنهم

من جمع بين انواع من التجديد كالسلطان صلاح الدين الايوبي الذي كسر جيوش الصليبيين من شعوب الافرنج المتحدة ، وأجلاهم عن البلاد الاسلامية المقدسة وغيرها ، وأزال دولة ملاحدة العبيديين الباطنية من البلاد المصرية ، وكذلك فتح الترك لكثير من ممالك اوربة عرف فيها مجد الاسلام

ضعف الاسلام السياسي وملكه

ثم اتسع ملك الاسلام وزالت وحدة أحكامه بانقسام الخلافة إلى خلافتين فزوال كل منهما ، وكثرت دوله فتفرقت وحدة أمته السياسية إلى شعوب مختلفة في الاجناس والاوطان، ووحدة ملته الدينية إلى مذاهب مختلفة في الاصول والفروع، فتعادوا في الدنيا والدين، وتقاتلوا على عصبيات الملوك والسلاطين، فحق عليهم قول كتاب ربهم (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فسلط الله عليهم أعداءهم فثلوا أكثر عروشهم، وانتزعوا منهم اكثر بلادهم (ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم (٨:٥٣) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١ : ١١٧) وكان يظهر في هذه الدول المتفرقة مجددون متفرقون في العلم كما تقدم وفي الادارة والعمران كمحمد علي باشا بمصر - وفي الحرب كالامير عبد القادر في الجزائر ويعقوب بك في تركستان الصينية - وفي السياسة كمصطفى رشيد باشا وعالى باشا وفؤاد باشا في الترك وخير الدين باشا في تونس - وفي ارشاد العامة والبدو للدين والدنيا كالسيد السنوسي

حال البشر الاخير وما يقتضيه من التجديد

في أثناء هذا الضعف الاسلامي العام - دخلت الشعوب الافرنجية في طور جديد في الفتح والغلب والسياسة والعمران ، قوامه العلوم الكونية والفنون والصناعات والثروة والنظام، وتجدد فيهما من آلات الحرب وكراعها، وأسلحة القتال وعتادها، ما يمكن الجند القليل من إبادة جند يفوقه أضعافا مضاعفة في العدد والشدة والشجاعة في زمن قصير

واستحدث فيه من النظام ما يسهل به على أفراد ممن حذقوه ومردوا عليه

أن يسخروا لخدمتهم شعباً كبيراً غريباً عنهم في جنسه ولغته ودينه كما يسخرون الانعام الداجنة والسائمة، والحمر الموكفة والخيل المسومة، فيذلون بالجماعات المذللة منه الجماعات المتمردة، ويستنزفون ثروته كلها فيجرفونها إلى بلادهم التي نزحوا منها فاتحين مستعمرين، ويتصرفون في قواه المعنوية، وروابطه القومية والدينية، كما يتصرفون في حرثه ونسله، ولحمه ودمه، وأرضه وماله، وهكذا يتصرف العلم بالجهل، والنظام بالفوضى

وابتدع فيه من مراكب النقل والتسيار، وآلات رفع الاثقال، وأجهزة تبليغ الاخبار، ما مهد السبل لمبتدعيها ومتخذيها من كل ما أشرنا اليه من الاعمال الحربية، والتصرفات السياسية، والوسائل الاقتصادية، وصارت المسافة بين القارة والقارة، اقرب من المسافة بين بلد وأخرى من مملكة واحدة، وهو ما عبر عنه في الحديث النبوي بتقارب الزمان

اتسعت بذلك مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما، واشتدت الحاجة إلى تجديد الحياة في المتخلفة منها عن المتقدمة، لاينهض بمثله أمثال أولئك المجددين القدماء بالوسائل القديمة وحدها، ولا يطمح اليه صوفي يستمد قوته من الاموات، ويتكل على الكرامات ويغتر بالمنامات، ولا يطمع في تذليل صعابه واقتحام عقابه غريق في بحار النظريات العقلية، ومغترق الافكار بنظريات الفلسفة، ولا يطلع ثناياه، ويجتلي خفاياه، منقطع إلى كتب الشرائع، واستنباط أحكام الوقائع ولا يتسامى اليه من تعلم العلوم والفنون العصرية تعلما آليا ليكون أحد العمال في دائرة من دوائر الحضارة او ديوان من دواوين حكومتها.

إن هذا لبدع من الخطوب الكبرى غير عادي، لاينبعث إلى تلافيه إلا بدع من كبراء الرجال غير عادي: أمم قوية بالعلم الجديد والفن الحديد، والسلاح الجديد، والنظام الدقيق في السياسة والادارة والمال، والتعاون بتوزيع الاعمال، واستخدام قوى الطبيعة، تستلب ملك أمم جاهلة، متفرقة متخاذلة، مختلة النظام، مستعبدة للمستبدين، منقادة للخرافيين، وقد قذف في قلوبهم الرعب فكانوا مصداق قول النبي ﷺ « يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة إلى

قصعتها»⁽¹⁾ فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال« بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » قال قائل: يارسول الله وما الوهن ؟ قال « حب الدنيا وكراهية الموت » ⁽²⁾ فمن ذا الذي يضطلع بتجديد حياة هؤلاء الموتى ويحشرهم من قبورهم

ألا ان الرجل الذي ينبعث إلى نفخ روح الحياة في شعوب هبطت إلى هذه الدركات من الوهن ، وبعثها الى مجاهدة ثم عرجت إلى تلك الدرجات من القوة يجب ان يكون ذا روح علوية ، أوتيت حظا عظيما من وراثة النبوة ، في كمال الايمان ، وصحة الالهام ، وعلو الهمة ، وقوة الارادة ، وصدق العزيمة ، واخلاص النية ، وقوة الفراسة ، والزهد في الشهوات البدنية ، واحتقار الزينة الخادعة ، والزهد في الجاه الباطل وعدم الخوف من الموت ، وأن يكون ذا وقوف على حالة العصر ، وتاريخ الشعوب الديني والسياسي ، وسنن الله في الاجتماع ، وفصل الخطاب في الاقناع ، وفصاحة اللسان وبلاغة التعبير ، وقوة التأثير ، ثم يكون ما يحذقه من سائر العلوم مدداً له في عمله

حكيم الشرق والاسلام

كذلك كان ذلك الروح العلوي النبوي ، الذي تمثل للافغان في ناسوت بشري جلس في دروس العلم فحذق العلوم والفنون القديمة نقليها وعقليها في بضع سنين ، وألم بالهند لتلقي مبادي العلوم الاوربية فوقف على ماشاء منها في زهاء سنتين ، ثم حج في سنة ١٢٧٣ ومكث في سفره زهاء سنة يتقلب في البلاد الاسلامية ، لاكتناه أخلاقها وعقائدها الدينية ، واختبار احوالها الاجتماعية والسياسية

ثم عاد إلى بلاده فانتظم في سلك حكومتها وهي ممزقة بالفتن الداخلية ، وموبوءة بالدسائس البريطانية ، فكاد بتدبيره يخلص الامر فيها لأميرها محمد أعظم خان الذي بوأه مكان الوزير الاول عنده ، لولا ماعارض ذلك من الدسائس الانكليزية ، التي تمدها القناطير المقنطرة من الجنيهات الاسترلينية ، والروبيات الهندية

(1) تداعى بفتح الدال أصله تتداعى أي يدعو بعضها بعضا . والاكلة بفتحتين جمع آكل (2) رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة من حديث ثوبان (رض)

واضطر بفشل أميره إلى هجر وطن ولادته ونشأته ، الى حيث يمكنه الاصلاح من أوطان أمته ، فمر بالهند فبالغت حكومتها الانكليزية بالحفاوة في ضيافته ، مع احاطة عمالها وجواسيسها بمجالسه ، ومنع علمائها من الاتصال به ، ولكنه نفخ فيمن لقيه من كبرائها روح الاستقلال ، والجرأة على كسر مقاطر الاستعباد ، ثم كان يغذي ذلك الروح بالكتاب وتلقين الافكار ، لمن يلقى من رجالها في مصر وأوربة وسائر البلاد ، وبمقالات له في الجرائد نشرناها في المنار ، وناهيك بالعروة الوثقى التي كادت تضرم نيران الثورة فيها ، وكان موقنا باستقلالها من بعده ، حتى انه قال للشيخ عبد الرشيد التتاري : ياولد انك ستصلي صلاة الجنازة على القيصرية الروسية ، وستحضر تشييع جنازة الامبراطورية الانكليزية في الهند ، وقد تمت البشارة الاولى وظهرت بوادر الثانية في هذه الاعوام

وأغرب من ذلك أنه حمله تقريرا منه الى جمعية سياسية سرية في عاصمة الروسية رئيسها عم القيصر وقال له اذهب بهذه الرسالة وأوصلها الى الغراندوق فلان ، واعلم انك إما أن تقتل ، واما أن تفوز وتغنم ، فأوصلها فقام الغراندوق لها وقعد ، ثم أعاده بها الى بلاد اليونان ليطبعها فيها باللغة الروسية ويرسلها اليه ، وعرض عليه من المال ماشاء فلم يأخذ الا القدر الضروري ، ولقي أهوالا كادت تذهب بحياته

جاء هذا السيد مصر فنفخ فيها روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطني الاول لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما ارشد المسلمين منهم إلى الاصلاح الديني ، والجمع بينه وبين العلم العصري وكان من أثر هذا ماشرحه هذا الكتاب

ذهب إلى إيران ، فنفخ فيها روح التجديد في السياسة والعمران ، فما زال يفعل فعله فيها بين قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، حتى ظفرت بالحكومة النيابية في عهد الشاه مظفر خان ، وما زالت تنتقل في أطوار التجديد والاصلاح

ثم انتهى إلى عاصمة الدولة العثمانية ، فأنشأ يرشد السلطان لوسائل الاستفادة من منصب الخلافة الاسلامية ، ويجمع له كلمة الشعوب والمذاهب المختلفة ، حتى انه اقنع كثيرا من علماء الشيعة المجتهدين بالاعتراف بخلافته وجعلها مناط الوحدة

الجامعة للمسلمين ، ولكن قرناء السوء خوفوا السلطان من النهوض بهذه الجامعة ، فأعرض عنها . وكان السيد مع ذلك يبث هنالك أفكار الاصلاح والتجديد ، الجامع بين الطريف والتليد ، إلى أن قضى نحبه ، ولقي ربه رحمه الله وقدس سره

الاستاذ الامام

أرأيتك هذا المصلح العظيم ، والمجدد الحكيم ، انه لم يظفر في شعب من الشعوب الاسلامية بمن يصلح أن يكون خليفة له ، ومتما لاصلاحه بما يرجى به دوامه ، بعد أن وجه اليه الوجوه ، وعلقت بطلبه القلوب ، على كثرة من المصطبغين بصبغته ، إلا رجل مصر الشيخ محمد عبده ، لان منصب امامة الاصلاح والتجديد ، لا يرتقى اليه بوسائل الذكاء والتفكير والتربية والتعليم وحدها ، بل لابد فيه من الاستعداد الروحي والمواهب الفطرية كما قررنا

كان الشيخ محمد عبده سليم الفطرة ، قدسي الروح ، كبير النفس ، وصادف تربية صوفية نقية ، زهدته في الشهوات والجاه الدنيوي واعدته لوراثة هداية النبوة ، فكان زيته في زجاجة نفسه صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فمسته شعلة من روح السيد جمال الدين فاشتعل نوراً على نور (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون)

اقرأ في الصفحة ٢٥ من هذا الكتاب كيف زار السيد للمرة الاولى هو وصديقه وأستاذه الشيخ حسن الطويل في خان الخليلي . وكيف كان أول حديثه معهما السؤال عن تفسير بعض آي القرآن وما يقول العلماء والصوفية فيها ، وانه بين لهما قصور كل ماقالوه وجاء من عنده بخير منه ، وكيف أعجبا كلاهما بما قال ، ولكن الشيخ حسنا ظل على حاله ، لانه كان قد بلغ منتهى استعداده ، وكان أرقى علماء الازهر عقلا وعلما وزهدا

وأما الشيخ محمد عبده فكان يشعر بان كل ما أصابه من حسن تربية الشيخ درويش ، ومن علم الشيخ الطويل والشيخ القصير [1] دون ما تسمو اليه نفسه ،

(١) المراد بالشيخ القصير احمد الرفاعي القصير القامة وكان اصلب الازهريين جمودا كما كان الشيخ الطويل اشدهم استقلالا

ويتطلع اليه عقله ، وتضطلع به همته ، وكان يطلبه بما استطاع من الوسائل فلا يجده ، ذلك ان روحه كانت مستشرفة للعرفان الذي يصعد بها إلى سماء الوراثة النبوية في اصلاح البشر ، وتجديد أمر الدين الذي بشر به المصلح الاعظم ﷺ فاتصل بالسيد جمال الدين من ذلك اليوم حتى اقتبسه منه ، وكان خليفته فيه ، لكن من ناحية تربية الأمة التي كان يتمنى قيام السيد بنفسه بها ، اذ لا يثبت إصلاح الحكومات بدونها ، لا من ناحية استبدال حكومة مستبدة بغيرها (راجع ص ٩٧٤)

تلك الوراثة النبوية التي عبر عنها يوم موت السيد بقوله في رثائه الوجيز البليغ : « والدي أعطاني حياة يشاركني فيها علي ومحروس [١] السيد جمال الدين أعطاني حياة أشارك بها محمداً وابراهيم وموسى وعيسى (ص) والاولياء والقديسين، مارثيته بالشعر لاني لست بشاعر ، مارثيته بالنثر لاني لست الآن بناثر ، رثيته بالوجدان والشعور لاني انسان أشعر وأفكر » اهـ بنصه تقريبا [٢]

هذه الوراثة هي التي أخرج الله تعالى بها محمداً عبده من خمول تصوفه وخمود ازهريته إلى ميادين الجهاد في سبيل التجديد الديني ، والاصلاح الاجتماعي المدني ، يخوض غمرات الثورات ، وتتقاذفه أمواج الاسفار ، وتكافحه فتن الامراء المستبدين ، وجهالة حملة العمائم الجامدين ، من حيث بقي حسن الطويل نديده في التصوف والفلسفة قابعا في كسر بيته ، راضياً بخموله وراحة نفسه ، وان في الصلاة لراحة ، وان في العلم والذكر للذة ، ولكن ثوابهما قاصر على صاحبهما ، وثواب الجهاد متعد لكل من ينتفع به والانسان الكامل من يجمع بينهما

بهذا الروح العلوي كان يقول له أستاذه السيد جمال الدين وهو مجاور يلبس الزعبوط : قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت ؟ ذلك السيد الذي كان يخاطب الملوك المستبدين خطاب الاقران ، بل يهدد بعضهم ويمن على بعض فيقول للسلطان عبد الحميد انني لاجل أمرك قد عفوت عن شاه ايران ، ويقول له السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفا عظيما (٣) ،

---

(١) هما اخواه اللذان يشتغلان بالزراعة (٢) كنت كتبت العبارة من مذكرة له وفقدت المكتوب وبقي المحفوظ (٣) هذا لفظ السيد في ترجمة لفظ السلطان سمعه منه كثيرون في الآستانة .

بهذا الروح العلوي كان يشرف من سماء إدارة المطبوعات بالسيطرة والسلطان على الحكومة المصرية من أعلاها إلى أدناها، فيأمرها وينهاها، منتقداً أعمالها، مرشداً عمالها، يخطيء لغتهم الكتابية فيضطرهم إلى إصلاحها في معاهد التعليم، ويفند أعمالهم فيقيمهم على صراط العدل المستقيم، بل أزعج بمقالاته في انتقاد وزارة المعارف ناظرها حتى شكاه إلى رئيس النظار رياض باشا فما اشكاه، وكلم الرئيس الشيخ فأقام له البرهان على وجوب الاصلاح، وأقنعه بانشاء المجلس الأعلى المقيد للاستبداد وزيرها في الاعمال، فأنشأه برأيه. وكان هو سكرتير ذلك المجلس وصاحب التأثير الاكبر فيه.

بهذا الروح العلوي كتب ذلك الكتاب البليغ في سجنه وأعلن فيه عفوه عمن وشوا به وأساؤا اليه على ما كان من احسانه اليهم، وجزم بما أعدت له العناية من الجد، واعداً بان سيفعل المعروف، ويغيث الملهوف... وكذلك كان

بهذا الروح العلوي كان هو الرأس المدبر في كل مجلس رسمي عين عضواً مرؤساً فيه، كمجلس إدارة الازهر، ومجلس الاوقاف الأعلى، ومجلس شورى القوانين، وتجد اثبات ذلك في بيان أعماله فيها من هذا الكتاب، سافرة الوجه ليس دونها نقاب

بل بهذا الروح العلوي كان أميره يكبره ويهابه، ويقول انه يدخل علي كأنه فرعون، وانما كان يدخل عليه كدخول موسى عليه السلام على فرعون، متوكئا على عصا الحق، داعياً إلى الاصلاح والخير، ناهياً عن الاستبداد والبغي، كقوله له في مجلس تشريف المقابلة الحافل بالعلماء: ان مجلس إدارة الازهر لا يعرف لسموكم أمراً عليه، إلا بهذا القانون الذي بين يديه، دون الاوامر الشفوية التي يبلغها عنكم، من لا يثق به المجلس لمخالفته لقانونكم

***

تلك آيات بينات من حياة كل من الروحين على الانفراد. فما رأيك إذا اجتمع هذا الروح العلوي بذلك الروح الأعلى الذي أذكى سراجه الوهاج، واتحدا في عمل من الاعمال؟ ذلك ما كان من إصدارهما جريدة العروة الوثقى، التي لا نعرف في تاريخنا كلاما بشريا أبلغ من مقالاتها في إصابة مواقع الوجدان من النفس،

ومواضع الاقناع من العقل ، وتجرئة الضعفاء على الثورة على الاقوياء ، والجهاد لتحرير امتهم ، واستقلال بلادهم

فان سألت عن تأثيرها في رعب العظمة البريطانية ، وإثارة العالم الاسلامي والشعوب الشرقية ، فانك تجد قصصها مبسوطا في هذا الكتاب ، بما يشبع نهمتك السياسية من إسهاب ، ويروي غلتك الادبية من إطناب ، (ص ٢٩٨ و ٣٠٣)

وانه ليبسط لك بالروايات الصحيحة، والشواهد الصادقة ، كل ما أشرنا اليه في هذا التصدير من آثار تلك الروح القدسية ، وتجديد الاصلاح المنقذ للامم والشعوب من رق الفاتحين المستعمرين ، وظلم المستبدين القاهرين ، وجمود الفقهاء المقلدين ، ودجل المتصوفة الخرافيين ، فاطلبه من هذا التاريخ فانه يقصه عليك مفصلا تفصيلا .

فاقرأه أيها الغيور على قومه ووطنه فصلا فصلا ، وتدبر مقاصد فصوله مقصداً مقصداً ، ثم اقرأ في الجزء الثاني له مقالات الامام الاجتماعية والادبية ، ولوائحه في إصلاح التربية والتعليم ، ورسائله الدينية والادبية للعلماء والادباء . ثم ارجع البصر إلى الجزء الثالث واعتبر بتأثير وفاته في العالم الديني والمدني ، وتأمل إجماع كتاب الامم والشعوب المختلفة الاجناس والاديان والآراء والافكار على تزكيته وتقديسه ، او تدبر مقدمتنا لكل منهما تعلم انه هو الامام الذي يجب اتباعه في تجديد الامة وإحياء الملة ، وإيجاد المدنية الفاضلة ، ثم انظر ما اقترحته على مصر في خاتمة هذا الكتاب لعلك تكون من حزب الدعاة المصلحين ، وأنصار التجديد المستبصرين الذين قال الله تعالى فيهم (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

هذا ما توخيت التنويه به من هذا الضرب البديع من التجديد لحياة الشرق على ما وصفت من التباين بينه وبين الغرب ، وما كان من تأثيره الذي يشبه خوارق العادات ، كابراء الاكمه والابرص وإحياء الاموات ،

المجددون للوثنية والدجل

الا وإنه قد نجم في هذين القرنين قرنان او قرون من أدعياء التجديد، بعضهم في إيران وبعضهم في الهند، وانهم إلا مسحاء دجالون، ومتنبئون كذابون، لبسوا على الناس لباس الاصلاح الديني، وتمثلوا لهم بالشكل الذي تصوره تقاليدهم لما ينتظرون من المسيح والمهدي، وانتحلوا لدعايتهم آيات، واخترقوا لانفسهم معجزات، فمنهم من ادعى النبوة، ومنهم من ادعى الالوهية، وقد اتبعهم فئام من المحرومين من مزايا الانسان، الكافرين بنعمتي العقل والقرآن، الجاهلين لثبوت نبوة خاتم النبيين بالعلم والعقل، وان الله ختم به نزول الوحي، فزادوهم رجسا على رجسهم، وعبودية للاجانب على عبوديتهم، فكانوا دعاة وأنصاراً للمعتدين على استقلال بلادهم، المستعبدين لاقوامهم، فوالله لو عمت فتنتهم لاستولى الانكليز على بلاد فارس كلها، ولما وجد في الهند من يطالب الانكليز باستقلال، ولا بحق من الحقوق ولا عمل من الاعمال

أليس من مثار العجب الذي جاء بها ابو العجب[1] ان يضع كل من أتباع هؤلاء الدجالين لأنفسهم نظاما، ويجمعوا لبث نحلتهم أموالا، وينفروا للدعوة اليها خفافا وثقالا؟ فيكون لهم في كل واد أثر، وفي كل قطر ذكر، وينضوي اليهم بعض الملاحدة طمعاً في أموالهم، لا إيمانا بمسيحهم او الههم؟

أو ليس باوغل من هذا في أعماق العجب واولغ في احشائه أن يتخاذل العارفون بقدر حكيمي الشرق، وامامي الاسلام بالحق، عن تأليف حزب لتعميم اصلاحهما واستمرار تجديدهما، وأن يكون لجماعتهم نظام يكفل دوام سيرهم ومال يضمن نجاح سعيهم، ومدارس تربي النابتة على منهاجهم، وأطباء يداوون أمراض الاجتماع بعلاجهم؟ على استقلال الفكر، وحرية العلم والرأي، وهداية الدين، وتوطين النفس على الجهاد لاعلاء كلمة الحق. واقامة ميزان العدل لتكون عزيزة لاتدين لاجنبي معتد، ولا لوطني مستبد؟

(١) ابو العجب الشعوذي وكل من يأتي بالأعاجيب

نعم إن ذلك لعجيب ! وان هذا لاعجب منه. ويشبههما في العجب أن المنتمين الى السنة من المسلمين أقل من المبتدعة تعاونا وتناصراً وعصبية ودعاية : أفلا أنبئك بالسبب ، الذي ينتاشك من حيرة العجب ؟

ان حقيقة السنة والجماعة هي حقيقة الاسلام . وان الاسلام الحق هو دين توحيد العبودية والربوبية لله وحده . والحرية وعزة النفس تجاه ماسواه . واتباع رسوله وحده فيما بلغه عنه والعمل بمقتضى الوازع النفسي التابع للعقيدة ، والنظام الاجتماعي الذي تقرره الشريعة ، فلا تذل نفس صاحبه بالانقياد لرئيس ديني ولا دنيوي لذاته ، ولا لسلطان وراثي أو تقليدي فيما وراء تنفيذ أحكامه .

وأما هذه النحل الباطلة والمذاهب المبتدعة التي أشرنا الى بعضها فأساسها العبودية والخضوع لفرد أو جماعة من البشر ، يقدس منتحلها أشخاصهم ويرفعهم على نفسه وعلى سائر الناس وهم منهم ، ويوجب طاعتهم عند فريق وعبادتهم عند آخر . فتكافل هؤلاء يكون تاما شاملا لانه تعبدي ، وعصبيتهم تكون أقوى لانها وجدانية لا عقل للافراد ولا رأي للجمهور فيها .

ويرد علينا ههنا ان العقائد الباطلة والتعاليم الواطئة ، خير للجماعات والشعوب التي تأخذ بها من العقائد الصحيحة والتعاليم العالية ، من حيث جمع الكلمة ووحدة الامة . ونرد هذا الايراد بقولنا ان العقائد الحق والتعاليم الصحيحة لا يقوم بها إلا أصحاب العقول النيرة والافكار المستقلة الذي آمنوا بها عن حجة وإذعان . وما تنازع هؤلاء مع المخالفين لهم إلا وكان لهم الرجحان . سواء أكان التنازع في الدين أو في الحكم والسلطان ، وبهذا ظهر الاسلام على جميع الاديان .

وهذا الفريق فريق العقل واستقلال الفكر قل في جميع فرق المسلمين ببناء التعليم فيهم على أساس التقليد الذي يحتم على طالب العلم أن يقبل كل مايقرره شيوخه بعنوان مذهبه وإن لم يكن منه ، سواء أعقله أم لم يعقله ، فان نازعه فيه حكم بكفره ، ولهذا صار أكثر المسلمين يقبلون البدع والخرافات مهما تكن المذاهب التي ينتمون اليها ، إذ ليست المذاهب فيهم إلا عناوين لعصبيات لها رؤساء يطاعون باسمها ، وأكثرهم يجهلون اصولها وقواعدها . ومن تلقى منهم شيئا منها فانما هو لفظ ينقله ولا يعقله ،

ولا يرجع اليه في فروع علمه ولا عمله ، ومن كان غير مستقل الفهم والعقل في عقيدته ، لا يكون مستقل الارادة في عمله. ومن نتائج هذا الخضوع ان صاروا خانعين للمستبدين ، وظهراء للظالمين، وان كانوا بملتهم كافرين

وأساس الاصلاح الديني والسياسي الذي قام به وعليه الاسلام دينا ودولة وقامت عليه الدول القوية هو الاستقلال بنوعيه. وهو الذي دعا اليه الحكيمان المجددان الافغاني والمصري، وقد بينه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد، لهذا كان أنصارهما من رجال الدين هم الاقلين وخصومهما منهم هم الاكثرين . وكان أشد ما أنكروه عليهما القول بوجوب الاجتهاد وتحريم التقليد – ويقابله أن كان أكثر المعجبين بهما والذين قدروهما قدرهما، هم الذين نبغوا في المدارس المدنية العالية التي يسير فيها التعليم على منهاج استقلال الفكر وكذا من تلقى من بعض أهلها وعاشرهم على استعداد فيه فصار مستقلا . ثلة من المدنيين وقليل من المعممين

ولو كان مادعا اليه الحكيمان هو التجديد السياسي والمدني دون الديني لألف له هؤلاء الانصار حزبا كبيراً منظما كما فعل سعد باشا من تلاميذهما بعدهما

ولو دعا الاستاذ الامام الى نهضة دينية تقليدية صوفية لوجد من الازهريين وأهل الطرق من يؤسس له عصبية قوية يتبعها الالوف وألوف الالوف في زمن قريب، ولا سيما اذا أباح لنفسه أن يظهر لهم تعبده الخفي، ومعرفته باسرار التصوف، وغير ذلك من خصائصه الروحانية، التي كان يعتقد وجوب كتمانها لانها غير طبيعية فاظهارها للمقيدين بالسنن الطبيعية فتنة لهم ، وفيها كثير مما يعد من الكرامات عندهم، وقد نقلت هذا عنه في بيان رأيه في التصوف والصوفية .

بيد أن كلا منهما حكيم عاقل ، وان السيد جمال الدين رجل دين وان غلبت عليه السياسة. والشيخ محمد عبده رجل سياسة وان غلب عليه الدين . بل هو أقرب من أستاذه الى الموقف الوسط بين رجال الدين والدنيا من المرتقين فيهما، فقد كان في الازهر لا يعلو قوله قول ولا يغلب رأيه رأي . وكذلك كان بين الراقين من رجال الدنيا كالوزراء والقضاة والمحامين والادباء والمنشئين، بل كان كذلك بين علماء الافرنج وساستهم، وترى نموذجا من شهادات الجميع له في هذا التاريخ

خلاصة الخلاصة

في وجوب الجمع بين التجديدين الديني والمدني

وحزب الاصلاح المعتدل

الذي يقوم به

وخلاصة ماأريد عرضه على قراء هـذا التاريخ في هذا التصدير ان اصلاح الامة الاسلامية في أي شعب من شعوبها لن يكون إلا بالجمع بين التجديد الديني والدنيوي. هذا ماصرح به الحكيمان وجريا عليه بالعمل. وصرح لي به سعد باشا زغلول، وقد نقلته عنه في المنار. بل هذا مايعتقده أهل الرأي الناضج من غير المسلمين، وقد صرح به الكثيرون منهم قولا وكتابة، كما يراه القارىء فيما كتبه بعضهم في تأبينهم. الاستاذ الامام وترجمتهم له من الجزء الثالث، وذكرت كلمات منها في الشهادات المعدودة لاشهرهم قبل خاتمة هذا الجزء

فالجهاد الذي يخوض غمراته دعاة الاستقلال السياسي والاصلاح المدني لايتم لهم النصر فيه، ولا يتسق أمره وتثبت بوانيه، إلا بالتعاون والتظاهر مع دعاة الاصلاح الديني، وقد كثر جنده المستقلون في فهم الاسلام في الازهر وغيره من القطر المصري وفي سائر الاقطار الاسلامية وهم منذ سنين يفكرون في تكوين وحدتهم. وتنظيم حزبهم، فاذا وجدوا من زعماء الاحزاب المدنية رغبة في الاتحاد بهم. والتعاون معهم، ظهر لهؤلاء من قوتهم في الرأي، وتأثيرهم في الشعب، بألسنتهم. الخاطبة، واقلامهم الكاتبة، مالم يكونوا يحتسبون،

واختصر في هذا الموضوع هنا لانني قد وفيته حقه في خاتمة الكتاب بما ليس وراءه مزيد، إلا اذا ظهر الاستعداد له وانتقل إلى حيز التنفيذ

راجع الخاتمة، واجمع بينها وبين هذه الفاتحة، وانما الاعمال بالخواتيم

(ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ وكتبه محمد رشيد رضا في سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ ﴾

﴿ المواد المهمة التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا التاريخ ﴾

(١) ما كان شرع فيه الاستاذ الامام من ترجمة نفسه بخطه .
(٢) مذكرة بتاريخ حياته كتبها لي لاجعلها أصلا لخلاصة لتاريخه طلبت منه
(٣) ما كتبه من تاريخ الثورة العرابية ومذكراته الوجيزة فيها
(٤) مجموعة خطية له فيها بعض المستندات في عمله مع السيد جمال الدين في تأسيس جمعية العروة الوثقى السرية ونظامها. وبعض المكاتبات بينه وبين أعضائها
(٥) مسودات مقالات ومكتوبات وتقارير كان يعطيني إياها لتبييضها أو بسطها ونشرها في الجرائد أو إرسالها لبعض الناس ومنها ما هو خاص بالازهر
(٦) مؤلفاته كلها وما اقتبسته من تفسيره ودروسه في الازهر
(٧) جملة من المكتوبات والرسائل والقصائد التي كانت ترسل اليه وحفظها عنده .
(٨) مجموعة فيها حكم مقتبسة منثورة بخط السيد جمال الدين وخطه ومقالات له
(٩) مقالاته الاصلاحية في جريدة الوقائع المصرية
(١٠) مجموعة العروة الوثقى برمتها بخطي وخط بعض اخواني
(١١) قوانين الازهر ولوائح التعليم فيه ومحفوظات أخرى في شأنه
(١٢) كتاب اعمال مجلس ادارة الازهر
(١٣) تقرير محمد بك ابو شادي في مسألة فتوى طعام اهل الكتاب
(١٤) إرشاد الامة الاسلامية إلى أقوال الائمة في الفتوى الترانسفالية لجماعة من أكابر علماء الازهر .
(١٥) مجموعة مجلدات المنار وما فيها من المقالات والآراء له وعنه وفي شأنه
(١٦) عدة أجزاء من مجلة ضياء الخافقين فيها مقالات للسيد جمال الدين
(١٧) مجموعات المجلات والجرائد المصرية التي نشرت ترجمة السيد وترجمته
(١٨) كتاب الدفاع عن العرابيين لمحاميهم مستر برودلي
(١٩) ما كتبه لي أصدقاؤنا من تلاميذه ومريديه عن سيرته في سورية بعد النفي ورحلته إلى السودان وفي مدحه والدفاع عنه
(٢٠) مذكراتي الخاصة ومكتوباته لي وما اقتبسته واستفدته من معاشرته ٨ سنين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٢٦ : ٨٣) أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٢ : ١٠١)

فلك الحمد أن جعلت سير الاولين عبرة للآخرين ، ومننت على عبادك بمن بعثته في الاميين ، يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . محمد خاتم النبيين ، ورحمتك العامة للعالمين ، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله وصحبه ، والمجددين لهديه واصلاحه من بعده ، حتى ترث الارض ومن عليها وأنت خير الوارثين

اما بعد فيقول محمد رشيد رضا صاحب المنار إن مصر لن تنسى ذكر الحكيمين المجددين ، والامامين المصلحين ، السيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، فطلاب الاصلاح الديني والاصلاح المدني والاصلاح السياسي ، لا يفتؤن يشيدون باسميهما على أعواد المنابر ، وفي اعمدة المجلات والجرائد ، ولا يزالون يجعلونهما مضرب الامثال ، ويتناقلون مايؤثر عنهما من حكم الاقوال ، وجلائل الاعمال ، بل ذكرهما الحميد معروف في سائر الشرق ، غير مجهول في عالم الغرب ، وان لقب « حكيم الشرق » ولقب « الاستاذ الامام » لاصقان بهما ، ومغنيان عن تسميتهما

وقد أجمع العارفون والمدونون للتاريخ الحديث على انهما مصدر هذه النهضة العصرية في مصر والافغان وإيران والهند ، وهم يشعرون بالحاجة إلى وضع تاريخ لهما يدون سيرتهما ، ويفصل أعمالهما الاصلاحية ، ويرون ان ما كتب في الصحف عند وفاة كل منهما ، وما ينشر فيها أحيانا من التنويه باصلاحهما ، نزر يسير من أعمالهما وآرائهما النافعة . وعجب بعض المفكرين ان رأوا بعض الافرنج يكتب في تاريخهما مالم يكتب مثله أولادها وأحفادها من دعاة الاصلاح والتجديد

ويتحون باشد اللائمة على المصريين منهم عامة وعلى صاحب المنار خاصة إذ كان أخص مريدي الاستاذ الامام وناشر علمه وحكمته . والمدافع عن اصلاحه

في عهده ومن بعده . وقد وعد بكتابة تاريخ له عقب وفاته . فنشر سفراً جمع فيه أكثر منشآته القلمية، وجزءاً جمع فيه أهم ماقيل وما كتب في تأبينه ورثائه، وسماها الجزء الثاني والجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام . وقد مر ربع قرن ونيف ولم يصدر الجزء الاول الذي هو التاريخ الحقيقي

أشهد ان لوم اللائمين لمصر على هذا التقصير حق. وانني بما يخصني من التثريب علي لاجله وهو أكبره أحق. ورب لائم مليم. ورب ملوم معذور . وها أنذا ألخص عذري بعد أن اعترفت بتقصيري . و برئت من ذنبي بانجاز وعدي

توفي الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في إثر معارك من جهاده في الاصلاح ماصلي نارها معه غيري . وحملت ماتصديت له من الضرر . غير متململ ولا ضجر. وأما ما لذع قلبي من نار فقده فهو الذي لم يكن لي بحمله حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم كنت مهدداً بعده بالنفي من هذه البلاد كما هددت في آخر عهده . وقد وطنت نفسي على النفي وعزمت على السفر الى الهند . ولم أتحول عن خطتي قيد شعرة

أعلنت عزمي على كتابة تاريخ للاستاذ الامام فلم ألبث أن بلغت عن الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان ان أصدقاءه قد قرروا تأليف تاريخه بالتعاون بينهم وهم به أولى ، فقلت للمبلغ ان تأليف تاريخين لهذا الامام الكبير ، ليس بكثير ولا كبير . فليكتبوا ماعندهم وأنا أكتب ماعندي

ثم أرسل إلي عميد حزبه المدني وأقوى أركانه سعد باشا زغلول وكان عادمع شقيقه احمد فتحي باشا من أوربة ، فجئته فبلغني أنه هو واخوانه من مريدي الامام وأصدقائه يرون أن أتولى كتابة تاريخه . وأن يساعدوني بما لديهم من المواد والمعلومات . ثم يساعدوني على طبعه ونشره بالمال ، بشرط أن أطلعهم على عملي وأستشيرهم فيه ، فان كثيراً من سيرته رحمه الله كانوا يعدون متكافلين معه فيه . ويعدون من بعده مسؤلين عنه

فاجبته انني لست الا واحدا منكم بل أنا أصغركم ، ولا أستغنى عن مساعدتكم ومشاورتكم . ولا أحب الخروج عما ترونه من مصلحتكم . وفي إثر ذلك اجتمع بدعوة منه الشيخ عبدالكريم سلمان وحسن باشا عاصم ومحمد بك راسم وقاسم بك أمين والشيخ عبدالرحيم الدمرداش (باشا) وقرروا ندب أحدهم احمد فتحي باشا زغلول ليكون نائبا عنهم في التعاون والتشاور معي في العمل و بلغوا حموده بك عبده ذلك ، وانه يرضيهم أن يعطيني ما عنده من مواد هذا التاريخ ، وانما اختاروه لذلك لانه أنشطهم وأقدرهم عليه وأكثرهم مودة وزيارة لي ، وطلاقة في حرية الكلام معي، وكان هو المتصل من جماعتهم بسمو الخديو ومحيطا بسياسته وسياسة الانكليز في الامور علما . وهما الجانبان اللذان يحسب لرضاهما وسخطهما كل حساب

وكان كل ماقدمه لي من المساعدة نسخ مقالات الاستاذ الامام الاصلاحية من جريدة الوقائع المصرية الرسمية إذ كان يقتني مجموعتها . وكان أول ماشاورته فيه مقالات جريدة العروة الوثقى وكانت كلها منسوخة عندي . فاما ما كان منها خاصا بالسياسة ومسألة مصر والسودان وتهييج العالم الاسلامي والهند على الدولة الانكليزية فقد وافقته على تركه وعدم نشر شيء منه في منشآته لان الحرية في مصر لاتتسع لنشرها . وقد كانت العروة الوثقى ممنوعة من مصر والسودان والهند لاجلها. وقد نشرت أهمها في هذا الجزء . وأعطاني حموده بك بعض المواد ومن أهمها ما كتبه الاستاذ من تاريخ الثورة العرابية

وأما المقالات الاصلاحية العامة التي بث الحكيمان فيها الدعوة الى جمع كلمة المسلمين وأصلاح ذات بينهم . والتعاون على احياء مدنيتهم بما تقتضيه وسائل هذا العصر . فقد اتفقنا على نشر أكثرها . وترك ما تعده انكلترة تحريضا عليها منها . ولكنه أشار أيضا بحذف جمل من بعض المقالات ماوافقته عليها إلا اكارها . وأيقنت انني لا يمكنني أن أكتب هذا التاريخ تحت مراقبته والتقيد بمشاورته بالحرية التي أريدها، وقد ساعدتني اللجنة بمبلغ من المال أعطيتها في مقابله مئات من النسخ وزعها أعضاؤها بالمجان، و بيع بعضها بثمن بخس

فهذا ما حملني على التعجيل بجزء التأبين والرثاء والتعازي ثم بجزء المنشآت والتسويف بجزء الترجمة ثم التطويل في فصول تربية الاستاذ الامام وتعليمه منه بذكر ذلك الاستطراد الطويل في الكلام على حقيقة التصوف وما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه

واتفقنا على جعل ترجمة المنار للاستاذ الامام -هي الاصل لجزء الترجمة في مواده مع بسطها والتوسع فيها . وقد قرأه هو ورتبه وأشار بالحبر الاحمر الى حذف بعض المسائل منه لمخالفتها لمقتضى الحال أوسياسة الوقت

وفي أثناء ذلك استقال لورد كرومر العميد البريطاني وخلفه السر ألدون غورست صديق سمو الخديو وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٢٥ قبل أن تتم على وفاة الامام سنتان، فكبر نفوذ سموه في الحكومة وضاقت بكبره سعة الحرية علينا، وأعيد في عهده العمل بقانون المطبوعات فاقتنع أحمد فتحي باشا نفسه بأن كتابة تاريخ الاستاذ الامام كتابة حرة مفيدة صار متعذراً ، فاتفقنا على الوقوف عند ما كان قد تم منه وهو الى ٢٣٢ صفحة وهو المقدار الذي أطلعت عليه الشيخ عبد الكريم سلمان إذ رأيته شاكا في بدئي بطبع الكتاب فاعترف بانه لا يمكن نشره .

وجملة القول ان طبع هذا الجزء كان يسوء الخديو عباسا وإن لم ينشر فيه ما كان من مقاومته للامام في إصلاح الازهر والمحاكم الشرعية والاوقاف حتى المساجد فان نشر هذا فيه كما يراه القاريء هنا فانه كان يبذل كل قواه في عقاب مؤلفه ، وما

كان أحمد فتحي باشا ليرضى بذلك ولا سعد باشا أيضا، ومكانهما في حكومة جنا به مكانهما

وما انتهى عهد سموه إلا بسبب الحرب الكبرى التي جعلت الحكومة الانكليزية مصر في اثنائها خاضعة لاحكامها العسكرية وأعلنت حمايتها عليها، واشتدت مراقبتها العسكرية ومراقبة الحكومة المحلية بامرها على المطبوعات، واستمرت هذه المراقبة الشديدة الى مابعد الحرب بزمن طويل

* وانما سنحت الفرصة الاولى لاصدار الكتاب في العهد الاخير لسعد باشا في زعامة الامة ورياسة الحكومة واستقرار نفوذه في البلاد أي في سنة ١٣٤٥ هـ إذ لم يبق للانكليز من النفوذ القوي في هذا العهد مايخشى أن يمكنهم من حمل الحكومة على مصادرته، على ان ثورة مصر قد انتهت ولم يعد ما في الكتاب من التحريض السابق يضيق على حريتهم. بيد أنه قد عاقني عن افتراص هذه السانحة بالسرعة عدة عوائق منها انني كنت انتقلت من الدار التي طبعت فيها القسم الاول من التاريخ الى دار أخرى وتعذر وضع كل نوع من المطبوعات الكثيرة وحده فلم تقدر على العثور على المطبوع من التاريخ إلا بعد الانتقال الى دار المنار الجديدة ووضع كل كتاب من مطبوعاتنا في محل خاص به. وانما تم بعد وفاة سعد رحمه الله تعالى. وقد وجدنا بعض المطبوع تالفا وبعضه قد فقد، فاضطررنا الى اعادة طبع أكثرها

وشرعت في اتمام الكتاب في أواخر سنة ١٣٤٨ وعرض لي موانع عن المضي فيه مدة سنة وعدت اليه في اواخر سنة ١٣٤٩ وكنت أقدره بثمانين كراسة (ملزمة) أو مائة، ثم كنت كلما شرعت في مقاصد فصل من الفصول أتذكر من مواده ومسائله ما كنت ذاهلا عنه حتى بلغ ما تراه القاريء، وقد صبرت نفسي وحبستها على كتابة ثلثه الاخير اربعة أشهر من هذا العام (١٣٥٠) لااشرك به عملا آخر حتى تم طبعه في هذه الايام، وبقي كثير من المواد والمستندات من تاريخه وتاريخ السيد جمال الدين ضاق عنها هذا الجزء فوعدت باثباتها في جزء الذيل الذي اضعه له ان شاء الله

كيف كتب هذا التاريخ

كتب هذا التاريخ في أثناء سنين كثيرة وفترات بعيدة، وأوقات يختلف فيها الفكر والشعور باختلاف الاحوال، والاناة والاستعجال، ولم تكن مواده مجموعة مرتبة وانما جريت في ترتيب أكثرها على ما كتبته في المنار عقب وفاة الاستاذ الامام من ترجمته، ومنها ماليس له ذكر في تلك الترجمة، ومن ثم يجد القاريء فيه تكراراً لبعض المسائل عن سهو أو عمد، وربما تختلف فيه العبارة في المسألة الواحدة بعض الاختلاف في اللفظ كاختلاف الورق، ولا سيما المسائل التي اعتمدت في كتابتها على حفظي، وأرجو أن لايكون فيها شيء من التناقض فانني بفضل الله تعالى قوي الذاكرة للمعاني

ولولا ان طال هذا الجزء حتي صار يثقل حمله، وعطلت أهم أعمالي لاجل اتمامه، مع سوء الحال، وقلة المال، لوضعت له خلاصة كلية ألخص فيها مقدمات كل مقصد من مقاصد فصوله ونتيجته، وأبين مواضع العبرة فيه على نحو ما ذكرته في أثنائه لبعضها، كأن أعد ما كان عليه الازهر قبل تصدي الامام لاصلاحه من الصفات والاحوال واحدة واحدة، واعد ما كان عليه شيوخه وطلابه من الصفات والعادات والاعمال صفة صفة وعادة عادة وعملا عملا، ثم أبين ما كان من تغيير الاصلاح لبعض ماذكر وأعد فوائده واحدة بعد واحدة، ومثله أن ألخص آراءه في التربية والتعليم فاعد المفاسد التي ذكرها في لوائح اصلاح التعليم في الدولة العثمانية وفي مصر، وما ذكره منها في خطبه في احتفالات مدارس الجمعية الخيرية، ثم أعد ماذكره في تلك المواضع وغيرها من قواعد الاصلاح كلها وهي التي ادعو اليها، ولكنت أفعل هذا في كل فصل بل كل مقصد، واذا لكانت الفائدة اتم والنفع أعم، واذ تعذر على كتابة هذا فانني أوجه همة الراغبين في مثله أن يتولوه لانفسهم بانفسهم، ومن لا يعنيه ذلك فلا يهتم لقراءته . وعسى أن أوفق لهذا في الذيل الذي أرجو أن يكون هو المكمل له

وقد جريت على سنن علمائنا المتقدمين من رواة الآثار المحدثين والمؤرخين في بيان آراء الاستاذ الامام وعاداته وشمائله وأخلاقه بالصراحة والحرية والصدق، ومنها ماهو منتقد عندي على ما كان بيننا من الاتفاق ، الذي يندر أن يوجد مثله بين اثنين من الناس ، وأنا أعلم ان منها ما يكون منتقداً في نظر غيري وان كان صوابا عندي ، ومنها ما ينتقد علي نشره لان مثله غير معتاد، أو لانه من مبالغاته التي ربما كان يقصد بها التاثير الخاص، ككلمته في تحريف الفقهاء، وهذا نادر

ومن أنعم النظر في فوائد هذا الاستقصاء رأى ان أهمها تمثيل حقيقة الرجل من كل ناحية كي يحيط القاريء به خبرا، ويحكم عليه حكما صحيحا ، فان الذين يترجمون الرجال بذكر محاسنهم ومناقبهم ، واخفاء هناتهم ومثالبهم . انما هم شعراء مداحون ، لا مؤرخون حقيقيون .

فاذا رأى القاريء انني على اعجابي بسعة علومه ورسوخه في معارفه التي كان بها جديراً بلقب الاستاذ الامام ، الذي قبله وأجازه الرأي العام . أثبت انه كان مقصراً في علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل كغيره من علماء الازهر - وانني على اعجابي باخلاقه التي كان بها حقيقا بزعامة الاصلاح والتجديد للامة والملة ، صرحت بانه كان كأستاذه لايخلو من الحدة. ومما يقابلها من الضعف بشدة الرحمة، والمبالغة في الورع ، المغريتين لصاحبهما بايثارها على المصلحة العامة - وأنني على اعجابي بقوة تدينه وحسن تعبده ومحافظته على تهجده . صرحت بانه كان يجمع بين الصلاتين في الحضر أحيانا ترخصا اجتهاديا خالف فيه المذاهب الاربعة، ولكنه وافق حديثا صحيحا أخذ به غيرهم من الائمة

اذا رأى القارىء هذا وذاك أيقن انني لم أكن محابيا له في هذا التاريخ، ولا سالكا فيه مسلك الشعراء، ولا انصار المذاهب وزعماء السياسة، الذين يصورون أئمتهم وزعماءهم صورا مكبرة مزينة مجملة بما يظهر محاسنهم ويخفي مساويهم، أو يبدل سيئاتهم حسنات، وعلم ان كل ما انتقد على الاستاذ يصح أن يقال فيه « حسنات الابرار سيئات المقربين » واني وأيم الحق لم أطلع له على عمل ينافي العفة والنزاهة ولا الورع والشرف. ولا هفوة تدل على كامن حقد أو حسد . فهو أكمل من عرفت من البشر. ومن اطلع على دخائل كثير من المشهورين بالعلم والتقوى، او الحكمة والفلسفة، أو تاريخهم الصحيح رأى كثيرا من العجر والبجر. فما قولكم في زعماء السياسة وعشاق الرياسة ؟

ولقد كنت داعية لزعامته وامامته، وانما كانت دعاية صدق ودين، وجهاد وجلاد، لزعامة تجديد واصلاح. لا زعامة رياسة وجاه، ومناصب ومال، وهل يتوسل العاقل المتدين الى الحق بالباطل، والى الاصلاح، بالكذب الذي مطية كل افساد، فيتعجل لنفسه الاجرام نقدا، لاجل ما يرجو لغيره من الاصلاح نسيئا؟ وقد سئل الاستاذ الامام أترجو أن تجني ثمر اصلاحك في حياتك ؟ قال أستبعد هذا ولا أظنه، وحسبي أن يتم فيجتنيه من بعدي

وجملة القول ان هذا الرجل اكمل من عرفت من البشر دينا وأدبا ونفسا وعقلا وخلقا وعلما وعملا وصدقا واخلاصا . وان من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب، وانه لهو السري الاحوذي العبقري الحقيق بلقب «المثل الاعلى» من ورثة الانبياء في هذا العصر وان لم اطلقه عليه لانه على اطلاقه خاص بالله في نص كتابه، وقد ابتذله الناس في الخطب والجرائد حتى خرج عن معناه .

***

صنوف قراء هذا التاريخ

ألا وان قراء هذا التاريخ صنوف فمنهم طلاب الاصلاح والتجديد النافع للامة، مع المحافظة على مقوماتها ومشخصاتها التي تمت بها حقيقتها وامتازت من غيرها، وهؤلاء يشكرون لي عملي ويرون أني أحسنت فيه وأصبت . ويعفون عما عساني أخطأت فيه أو قصرت، ويساعدونني على نشر الكتاب به لانه خير عون على اثارة الهمم، وتقوية الامل، والتنشيط على العمل. بل هؤلاء منا، من عرفنا منهم ومن لم يعرفنا

و يليهم المستعدون للاصلاح بسلامة فطرتهم وحسن نيتهم . ولكنهم غافلون عنه لفقد الباعث والمنبه ، وسيجدون في هذا التاريخ أقوى دعاية، وأوضح هداية، فلا يلبث قارئه أن يكون منا و ينصرنا بقدر ما أوتي من همة واستطاعة

ومنهم دعاة النهضة المدنية الوطنية اللادينية وسيجد المخلصون منهم ان امامنا امام لهم في جانب من جانبي اصلاحه ، وان الجانب الآخر ينفعهم ولا يضرهم ، فان الجامدين في التقاليد الدينية والخرافيين فيها هم أعداء التجديد المدني ، فاذا صلحوا التقوا معهم في تعزيز النهضة الوطنية وتعاونوا معهم عليها ، مالم يكونوا دعاة للالحاد لذاته . وقد كان المعاصرون منهم للحكيم الافغاني والامام المصري يدينون لزعامتهما، وان لم يكونوا من مريديهما والمقتبسين منهما مباشرة. بل كان المخلص منهم لقومه ووطنه يعترف بفائدة إصلاحهما الديني وضرورته لا كمال النهضة المدنية ، والرابطة الوطنية ، كما ترى في تابين احرار النصارى وملاحدة المسلمين للاستاذ الامام

وأما الجامدون المصرون على التقاليد والخرافات، المطبوع على قلوبهم بما مردوا عليه من الخطيئات، فقد يوجد فيهم من يلتمس لنا العثرات ، و يبدل حسناتنا سيئات ، و يكبر الصغير من الهفوات . ولا خوف على أنصارنا منهم فالحق يدمغ الباطل والنور يطرد الظلمات، وانما ضررهم محصور في مقلدتهم من العوام الجاهلين الخرافيين. يصدونهم عن قراءة كتبنا ، وما قرأها أحد وفهمها الا واتبعنا

ومن دون هذه الصنوف والطبقات صنف الملاحدة والزنادقة، ودعاة الاباحة المطلقة ، وصنف اجراء الاجانب وأعوانهم، وصنف المتملقين للظلمة المفسدين . وهؤلاء نحوت أدنياء لا يرجعون عن غيهم الا اذا صار للاصلاح دولة قوية غنية تستصلح هؤلاء بالرزق، وتكبح شر أولئك بالقوة . وأما نحن فاذا خاطبونا قلنا سلاما . واذا مررنا بلغوهم مررنا كراما . ونسأله تعالى ان يجعلنا معهم ممن قال فيهم (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . انه الحق من ربنا . إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا و يدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون* واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين * انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

فتاوى المنار

﴿ اسئلة من عالم راخو فتسا برزرين في يوغوسلافية ـ أوربة ﴾

تأخرت سهواً وقد سبق لنا بيان أكثرها

(س ١ ـ ١٠) من الفقير العاجز يحي سلامي ألايبكى إلى السيد الجليل ملجأ الباحثين وملاذ الناقدين ، مفتي الانام ، شيخ مشايخ الاسلام ، الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) الاغر الاعلى الاسلامي بمصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد أتيح لي أن أسأل حضرتكم عن حقيقة المسائل الآتي ذكرها وأسترشد بدلالتكم وارشادكم إلى صحيح الجواب الذي هو هدى القرآن والسنة النبوية

(١) ما معنى قول الله عز وجل في حق ادريس عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) الآية ؟ هل ادريس في قيد الحياة ام لا ؟

(٢) أكان معراج نبينا ﷺ الى السموات والى ماشاء الله جسمانيا ام لا ؟ وما معنى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ...) ؟

(٣) هل كان الطوفان على قوم نوح عليه السلام فقط او لجميع العالم ؟ وما معنى قوله تعالى (واستوت على الجودي)

(٤) ماهي حقيقة طير الابابيل الواردة في سورة الفيل ؟

(٥) هل جملة « من زار قبري وجبت له شفاعتي » حديث صحيح ام لا ؟

(٦) « القناعة كنز لايفنى » هل هي من الاحاديث الصحيحة الواردة ، وما معنى القناعة ، أيمكن أن يكون مفهومها الاقتصاد بتعبير هذا العصر ؟

(٧) أتأكل الارض أجساد الانبياء والاولياء وحفاظ القرآن الكريم ، أم لا كما هو مشهور عند العامة بعدم أكلها ، وقد روى الفقيه ابو الليث السمرقندي في كتابه (تنبيه الغافلين) في « باب فضل الجمعة » حديثا مسنداً بهذا الشأن

(٨) كيف كان النبي ﷺ يصلي الجمعة والخلفاء الراشدون بعده والاصحاب والتابعون رضوان الله عليهم

(٩) رجل رضع ثدي امرأته ماحكمه في الشرع هل تحل له أم لا ؟

(١٠) « الجمعة » ما حكمها في الشريعة السمحة ؟

راخو فتسا (يوغوسلافيا)

[أجوبة المنار]

(١) رفع ادريس عليه السلام

قال الحافظ البغوي في تفسير (ورفعناه مكانا عليا) : قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة . وروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج اه وذكر بعد هذا عن كعب الاحبار قصة اسرائيلية في رفعه وسببه وهي من قصصه الخرافية وممن رواها عنه ابن عباس رضي الله عنهما فلا يعتد بها قال العماد ابن كثير بعد ايرادها في تفسيره : هذا من أخبار كعب الاحبار الاسرائيليات وفي بعضه نكارة والله أعلم وعزاه اليه الحافظ ابن حجر في الفتح أيضا

واقول الاول وهو تفسير المكان العلي بالجنة مروي عن الحسن البصري وهو لا يعارض بحديث المعراج فان الانبياء الذين رآهم النبي ﷺ في ليلة المعراج قد ماتوا في أزمنتهم ودفنوا الا ماورد في عيسى عليهم السلام . وقد ورد أيضا ان النبي ﷺ رأى موسى في تلك الليلة في قبره بالكثيب الاحمر من فلسطين. فهذه امور روحانية غيبية لا نعلم كنهها . وقد قال الله تعالى في الرسل عليهم السلام (ورفع بعضهم درجات) والظاهر ان ادريس مات في الدنيا كغيره قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية

(٢) المعراج جسماني أم روحاني

الخلاف في هذه المسألة مشهور يذكرونه في القصة التي يقرءونها في الاحتفال الذي يجتمع له الناس في ليلة ٢٧ رجب من كل عام . والروايات فيه متعارضة.

متناقضة ، والجمهور على أنه بالروح والجسد ، لان الانسان روح في جسد ، وفي اليقظة لان جمهور المحدثين حكموا بغلط رواية شريك في كتاب التوحيد من صحيح البخاري في كونه رؤيا منامية . وهي في أمر من أمور عالم الغيب فلا تقاس على عالم الشهادة ، والمعقول في فهمها أن تكون الروحانية هي الغالبة على الجسمانية فيها ، فيكون الرسول ﷺ فيها كالملك حين يتمثل في صورة جسدية كما تمثل جبريل للنبي ﷺ مراراً وكما تمثل للسيدة مريم عليها السلام ، وكما تمثل غيره من الملائكة لابراهيم ﷺ ، وبهذا التقريب يزول كل إشكال في فهمها ، فان الروح إذا غاب سلطانها على الجسد تلطفه فيخف ويكون كالاثير الذي يفرضه علماء الكون في نفوذه من الكثائف ، وتقطع به المسافات الشاسعة بسرعة النور او اسرع من الاثير ، نقول هذا على طريقة التقريب للفهم ، وعالم الغيب لا تعرف أسراره ، وتتجلى أنواره ، إلا لمن زج فيه ،

وأما قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) فمعناه : وما جعلنا الرؤيا المنامية التي أريناكها في المنام إلا بلاء واختباراً للناس في دينهم ظهر بها تمرد المشركين الكافرين ، وزلزال الضعفاء ويقين المؤمنين ، وليس في القرآن بيان لهذه الرؤيا أوضح من قوله تعالى من سورة الفتح (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية . وذلك ان النبي ﷺ رأى في منامه انه دخل — ومعه أصحابه — المسجد آمنين فطافوا بالبيت وحلقوا وقصروا ، وكانت هذه الرؤيا سبب عمرة الحديبية المشهورة ، فصدهم المشركون عن دخول مكة وعقدوا معهم ذلك الصلح الذي ساء جمهور المسلمين ، وكادوا يعصون الرسول ﷺ إذ أمرهم بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير ، لولا أن ثبتهم الله تعالى وأنزل عليهم السكينة . وهذا التفسير للرؤيا رواه ابن مردويه عن ابن عباس (رض)

ولكن هذه الواقعة كانت سنة ست من الهجرة ، والآية في سورة الاسراء وهي مكية ، فقيل ان الله تعالى أراه ذلك وأخبره به في مكة ثم كان تأويله بعد الهجرة ، وكثيراً ما يقولون في مثل هذا ان الآية مدنية ووضعت في هذه السورة لمناسبتها لها ، وهو على الوجهين خلاف الظاهر

وفسرها بعضهم بالرؤيا التي ذكرت في سورة الانفال (إذ يريكهموا الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم) وما ورد في سياقها في الحديث من ان الله أرى نبيه ﷺ مصارع رؤسائهم في الكفر، وهذه كانت بعد الهجرة أيضا ولكن ورد انه ﷺ ذكرها في مكة قبل الهجرة فهزيء به كفار قريش ، وفي الصحيح أن سعد بن معاذ أتى مكة عقب الهجرة وقبل وقعة بدر فنزل على صديقه في الجاهلية أمية بن خلف وكان مما أخبره به قوله : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول انهم قاتلوك — يعني المسلمين — قال بمكة ؟ قال لا أدري ففزع أمية لذلك فزعاً شديداً . وفي رواية انه قال له انه قاتلك — يعني النبي ﷺ — وان أمية قال : فوالله ما يكذب محمد . ولما دعاهم أبو سفيان للخروج إلى بدر امتنع أمية من الخروج خوفا من القتل لاعتقاده أن النبي ﷺ لا يكذب وإن اخبر عن المستقبل !! فما زال به أبو جهل حتى خرج وقتل

وفسرها الجمهور بما جاء في حديث الاسراء من افتتان بعض الناس به بارتداد بعض ضعفاء الايمان وخوض المشركين في اخباره ﷺ بما هو غير معقول خلافا لعادته ، واحتج به من قالوا ان ذلك كان رؤيا منام ، ورواه ابن اسحاق عن معاوية بن أبي سفيان ، وهو صريح رواية شريك في البخاري ، والجمهور على خلافه . وقد حكموا بغلط شريك لشذوذه عما رواه الكثيرون كما تقدم . وقالوا ان لفظ الرؤيا قد يطلق على ما يرى في اليقظة ليلا وقيل مطلقا ولا يعرف له نقل ، الا ما روى البخاري عن عكرمة عن ابن عباس في تفسيرها : انها رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به . واللفظ صريح في أن المراد بها شيء اراه الله تعالى إياه في تلك الليلة لا نفس الاسراء ، ولهذا قال الحافظ في شرحها انه لم يصرح بالمرئي ، وذكر عن سعيد بن منصور من طريق أبي مالك : هو ما أري في طريقه الى بيت المقدس ، أي ومنه انه رأى عيراً لهم قد ضلت وجمعها فلان ، فالاشكال في هذه الرواية محصور في إضافة الرؤيا إلى العين وهو خلاف استعمال القرآن والاحاديث الكثيرة وما نقل رواة اللغة . والآية صريحة في أن هذه الرؤيا كانت فتنة للناس لا بعض ما شاهده ﷺ في ليلتها وهذا المكان لا يتسع لتحرير هذا البحث

وفسرها بعضهم بما روي من رؤيته ﷺ كأن بني أمية يتعاورون على منبره. وقد كان ملك بني أمية مثار أكبر الفتن في الاسلام. وقد عرفت رأي الجمهور

(٣) طوفان نوح

ظاهر القرآن انه كان على قوم نوح فقط لانه عقاب لهم، وهل كان يوجد على الارض غيرهم من البشر حتى يكون لهذا السؤال وجه من النظر؟ قد يقال انه لم يكن يوجد غيرهم بدليل قوله تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) وهذه الدلالة غير قطعية فان كل قوم يطلقون لفظ الارض على أرض وطنهم كقوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) فالمراد بالارض هنا أرض مكة ولهذا أمثال

والتحقيق في المسألة انه ليس في القرآن نص قطعي على ان الطوفان عم الارض كلها ولكنه هو الذي جرى عليه المفسرون وغيرهم بناء على انه ظاهر الآيات في القصة وكان عليه جميع أهل الكتاب، ولا يوجد دليل قطعي ينقض هذا الظاهر الظني فنحتاج إلى تأويله وما يقوله علماء الجيولوجية قد يرد على نصوص التوراة التي تحدد تاريخ نوح والطوفان بحد قريب، اذ يجزمون بان الارض كانت فيه على ماهي عليه اليوم بالتقريب، والقرآن لم يحدد تاريخ التكوين والبشر ببضعة آلاف من السنين كسفر التكوين بل قال الله تعالى فيه (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) فعلى هذا يحتمل أن يكون الطوفان قد وقع منذ مئات الالوف أو ألوف الالوف من السنين، إذ كانت اليابسة التي نتأت في الكرة المائية صغيرة والجبال فيها قليلة غير شامخة، فطبيعتها كانت قابلة لمثل هذا الطوفان، وجاء في المواقف عن الامام الرازي ان هذه الارض كانت مغمورة بالمياه بدليل ما يرى في رءوس الجبال من الاصداف البحرية، وكذا الاسماك المتحجرة، وهذا متفق عليه عند علماء الكون في هذا العصر. والجودي المكان او الجبل الذي استوت عليه السفينة، وليس في الكتاب ولا في الاحاديث المرفوعة تعيين مكانه لان العبرة لا تتوقف عليه

وللاستاذ الامام فتوى في أن عموم الطوفان هو ظاهر النصوص لا مدلولها

القطعي ، واننا لا نعدل عن القول بالظاهر إلا إذا قام دليل قطعي على خلافه ، ولما يقم هذا الدليل عندنا وهذه الفتوى منشورة في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام

(٤) حقيقة الطير الابابيل

ليس عندنا دليل نقلي عن الله ولا عن رسوله (ص) نعرف به حقيقة تلك الطير ولكن جاء في الاخبار التاريخية التي كانت العرب تتناقلها ان أصحاب الفيل الذين جاؤا لهدم بيت الله تعالى في مكة أصابهم وباء الجدري والحصبة فأهلكهم . فالظاهر ان تلك الطير الابابيل أي الجماعات هي التي حملت اليهم جراثيم هذا المرض بصفة وبائية إذ رمتهم بحجارة من سجيل وهو الطين المتحجر ، وقد روي أنها جاءت من البحر فيظهر انها كانت ملوثة بسم المرض من مستنقع في شاطئه فأصاب ابدانهم من جروح أحدثتها بها او كانت فيهم ، واختلطت بطعامهم وشرابهم. وجوز شيخنا في تفسير السورة أن تكون تلك الطير من الاحياء الصغيرة التي تسمى في عرف أطباء هذا العصر بالميكروبات فراجعوا عبارته في تفسير (جزء عم)

(٥) حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي »

رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن ابن عمر وكذا ابن خزيمة ، وفي سنده عبدالله ابن عمر العمري ، قال أبو حاتم مجهول ، وموسى بن هلال البصري قال العقيلي لا يصح حديثه . ولهذا قال ابن القطان فيه ضعيفان وقال النووي ضعيف جداً

(٦) « القناعة كنز لا يفنى »

روى بلفظ « القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى » رواه الطبراني في معجمه الاوسط . وقال الحافظ الذهبي سنده ضعيف وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما أعطاه.» وفي معناه عند الترمذي والنسائي في الكبير من حديث فضالة بن عبيد « طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » صححه الترمذي. والقناعة ضد الطمع فهي عبارة عن رضاء الانسان بما يصيبه من الرزق قل أو كثر ، وعدم طمعه فيما ليس

لهولا استنثمر افهلما في أيدي الناس . هذا هو التحقيق، واقتصر بعض العلماء في تفسيره على الاجتزاء باليسير من اعراض الدنيا لان من رضي بالقليل كان بالكثير أرضى، وقد يكون الاقتصاد في المعيشة سبباً للقناعة بل قال أبو حامد الغزالي في الاحياء : الاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه اهـ

(٧) أجساد الانبياء والصالحين بعد موتهم

ان سنة الله تعالى في اجساد البشر واحدة في حياتهم وموتهم وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بما هو خاص بمعنى النبوة وما يتعلق بها لقوله تعالى لرسوله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) الآية . وقوله له تلقينا لجواب طلاب الآية منه (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) ومن ثم يذكر العلماء في كتب العقائد انه يجوز على الانبياء طروء الاعراض البشرية عليهم من المرض والتعب والجوع والعطش والنوم والموت والقتل لان ذلك لايخل بوظيفة الوحي ولا بالتبليغ له ومثلها فناء الجسد ولكن ورد في غير الصحاح أحاديث آحادية في ان أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاتأكلها الارض، أمثلها حديث أوس بن أوس في فضل يوم الجمعة الذي فيه ان الصلاة عليه ﷺ تعرض عليه . قال أوس : قالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يعني بليت - قال « ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والبيهقي في الشعب وفي رسالته (حياة الانبياء) وغيرهم وقد صححه بعضهم وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد أن أورد تصحيحهم وتحسينهم مانصه : (قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسينا الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن يزيد حيث سماه جابراً وانما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم ان الحديث منكر، وقال ابن العربي انه لم يثبت . لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من جابر ثابت وإلى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى

وهنالك أحاديث أخرى ثلاثة منها بمعنى هذا الحديث ولكنها دونه في السند ومنها ماهو في تبليغ الملائكة إياه ﷺ صلاة من يصلي عليه وقد تكلمنا عليها

في أواخر المجلد الثامن من المنار (صفحه ٩٠٣ـ ٩٠٩) وقد قلت فيها إنهـا في مجموعها تدل على ان الانبياء أحياء في البرزخ ولكن هـذه الحياة غيبية لانعرف حقيقتها وليست هي كالحياة في هـذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين الخ

وجملة القول ان هذه المسألة ينظر فيها من وجهين (أحدهما) أنها من مسائل الايمان بعالم الغيب فهي اعتقادية . وما يجب اعتقاده والايمان به لايثبت إلا بالنصوص القطعية الرواية والدلالة ، وليس فيهـا نص ظني راجح ، فضلا عن القاطع (وثانيهما) أنها من مسائل المناقب والفضائل التي يقبلون فيها الروايات الظنية ولا يأبون اثباتها بمـا دونها من الضعاف . وبهذا النظر قبل بعض العلماء ماروي فيها وإن كان معلولا ، وحينئذ يقال في كون معناها مخالفاً لسنن الله تعالى في الاجساد ،انها تنظم في سلك خوارق العادات ، واذ كانت ليست بعقيدة واجبة ولا يترتب عليها عمل فلا حرج على من صدقها ولا على من أنكرها ، ولكن بعض العلماء أدخلوا فيها القياس وهي مما لايقاس عليه ولو ثبت ، فقالوا ان جميع الاولياء والشهداء كالانبياء في هذه المنقبة ، وزاد آخرون العلماء والمؤذنين المحتسبين ، ويتساهل في كتابة هـذا المؤلفون المقلدون السطحيون والخرافيون كأبي الليث السمرقندي، وينقلون فيها حكايات سبقهم إلى مثلها النصارى في شهدائهم وقديسيهم وان التسليم بهذا الخرافات وعدم انكار العلماء لها قد كان فتنة للعقلاء المستقلين، منفراً لهم عن الدين ، وقد نبش بعض رجال الحكومة التركية اللادينية الحاضرة بعض قبور الاولياء المعتقدين عند العامة أمام الجماهير منهم فاروهم بأعينهم انه ليس فيها الا عظام نخرة ، واستدلوا بهذا على ان الدين كله خرافات باطلة . فما يتساهل فيه الخرافيون لتقوية إيمان العوام، قد يفضي الى هدم ايمان الخواص والعوام!

(٨) صفة صلاة النبي ﷺ الجمعة .

كان الصحابة يسعون إلى المسجد يوم الجمعة متنافسين في التبكير ما استطاعوا فيصلي كل ما تيسر له فاذا جاء وقت الصلاة خرج رسول الله ﷺ من بيته الى

المسجد وابتدر المنبر وحينئذ يؤذن المؤذن بين يديه فاذا فرغ من أذانه قام ﷺ وخطب الناس خطبتين يفصل بينهما بجلسة خفيفة ثم ينزل فيصلي بالناس الجمعة فاذا فرغ انصرف الى بيته فصلي فيه ركعتين وخرج المسلمون كذلك فانتشروا في الارض يبتغون من فضل الله كما أمر الله تعالى . وقد بينا الروايات في هذا مراراً ، وهكذا كان الخلفاء يصلونهـا الا ان عثمان (رض) زاد أذانا خارج المسجد لاعلام الناس بالوقت لانهم كثروا وكثرت شواغلهم

(٩) حكم من رضع ثدي امرأته

رضاع الرجل الكبير لا تثبت به البنوة فان جماهير السلف والخلف على ان الرضاعة المحرمة ما كانت في الصغر إذ يكون مدار نموّ البدن على الرضاع الذي أشير اليه في الاحاديث بانه ما كان من المجاعة وقبل الفطام والفصال ، وما فتق الامعاء في الثدي، اي في أيام الثدي وهي سنتان عند الجمهور وسنتان ونصف عند أبي حنيفة وهنالك أقوال أخرى متقاربة . ولا معارض لذلك الا حديث عائشة في مسألة سالم مولى ابي حذيفة فانه كان يدخل على امرأته وهو صغير وكان عبداً له فأعتقه فلما بلغ الحلم صار يشق على ابي حذيفة دخوله على أهله فذكرت زوجه سهلة بنت سهيل ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها « ارضعيه تحرمي عليه » ففعلت فزال ما في نفس ابي حذيفة . وقد تأول الجمهور من السلف والخلف هذا الحديث بانه فتوى خاصة في حال ضرورة اذ كان ابو حذيفة وأهله في حاجة شديدة الى خدمة هذا الغلام الذي رباه هو وامرأته صغيراً . وقال بعض فقهاء الحديث انه يقصر على مثل هذه الحال من الضرورة . وما كان كذلك في مراعاة المصلحة لايدخل فيه هدم أكبر المصالح الزوجية وهو تحريم المرأة على زوجها اذا مصّ ثديهـا عن شهوة ومداعبة فيحكم عليه بانه صار ولداً لها كأولاده منها، على انه ينبغي اتقاء ذلك احتياطا

(١٠) شرب الجعة المسماة بالبيرا

المشهور عن الجعة انه يسكر الكثير منها دون القليل في الغالب فهي محرمة لما حققناه في التفسير وغيره ان ماأسكر كثيره فقليله حرام

الحاد في القرآن

ورد جديد بين الباطنية والاسلام

المقالة الرابعة

﴿السنن الكونية الاجتماعية ونظام الكون﴾

قد أكثر هذا الملحد من ذكر السنن الإلهية ونظام الكون في هوامشه ومقدمتها ، وجعلها هي المستند له في جحود آيات الله تعالى التي أيد بها رسله ، وتحريف الآيات الواردة فيها وفي اخبار عالم الغيب كما تقدم ، وقد وعدنا باظهار جهله في هذه المسألة فنقول :

اننا بفضل الله قد انفردنا دون سائر المفسرين بالكلام على هذه السنن والنظام الالهي في تفسيرنا ومجلتنا ، وهو قد سمع ذلك منا ، وقرأه لنا ، ولكنه لم يفهمه ، بل لبسه كالفرو مقلوبا ، ونكس على رأسه فاتخذه منكوسا . نحن قد أوردناه لتقوية الايمان ، والحجة على إعجاز القرآن ، فجعله هو شبهة على الايمان بالغيب وجحود آيات الانبياء عليهم السلام ، وما أوردناه من تأويل لبعض ما يحتمل التأويل على طريقة المتكلمين ، قصدنا به تقريبه من عقول الجامدين على المألوف من النظريات العقلية أو العلمية ، لئلا يردوا النصوص بها فيرتدوا . وقد صرحنا مرارا بأن الذي ندين الله به من اخبار عالم الغيب، وما في معناها من آيات الله تعالى في الخلق ، هو الايمان بما صح منها بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل . وقد جعلها هذا الملحد قانونا لتحريف ما لا يحتمل التأويل ، كما قال الله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) الآية

فوجب أن نأتي بخلاصة في المسألة مما نشرناه في مواضع متفرقة في المنار وتفسيره، ونقفي عليها بتفنيد ضلالته فيها فنقول :

قد أخبر الله تعالى في مواضع من كتابه بأن له سنناً في عباده والاقوام الذين بعث فيهم رسله، وان سننه لاتبديل لها ولاتحويل، واخبر أيضاً بانه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وأن كل شيء عنده بمقدار، وان خلقه في منتهى الاحكام والنظام.

فما بينه الله تعالى من أنواع هذه السنن، كنصره لرسله على الجاحدين المعاندين لهم ، ومن إهلاكه للظالمين ، ومن تدميره على الفاسقين المفسدين، فهو كما قال تعالى

وكذا ما بينه من نظام الخلق ومقاديره ، ككون الشمس والقمر بحسبان ، وما جعله لهما في السماء من المنازل والبروج ، ومن كونها لاتفاوت فيهما من فطور ولا فروج ، فهو كما قال عز وجل

واما مالم يبينه لنا من ذلك في كتابه بنوعه او عينه فالطريق إلى معرفته هو ما ارشدنا اليه من النظر في ملكوت السموات والارض ، وما خلق من شيء ، والتأمل في آياته في الآفاق وفي انفسنا ، والسير في الارض لمعرفة آثار من قبلنا ، وكذا من في عصرنا بالاولى ،

قد أرشدنا كتاب الله عز وجل الى كل هذا . وقد أشرنا في مواضع من المنار وتفسيره الى ما هو ثابت بالحس من ان اعلم الناس بسنن الله وحكمه ونظمه في خلقه هم أكثرهم انتفاعا بهذا العلم ، واهتداء به الى تسخير هذا الكون

سنن الله مادية وروحية

وبينا أيضاً ان هذه السنن، وهذا النظام والتقدير ، والاحكام والتدبير ، عام في كل ما خلقه تعالى من عالمي الغيب والشهادة ، او عالمي الاجساد والارواح ، او المادة وما وراء المادة — على اختلاف الاصطلاح

وصرحنا بان ما ايد به تعالى رسله من المعجزات — وكذا ما دون ذلك من خوارق العادات التي تسمى الكرامات ، — إذا لم يكن جاريا على سنن النظام المألوف في القوى الجسدية ، والنظم المادية، فقد يكون جاريا على السنن الروحية ،

والمقادير الغيبية ، وقد يكون بمحض القدرة الكاملة ، فهو مزيد كمال في قدرته وحكمته لا نقضاً لها ، ولا نقصا فيهما

فاذا لم يكن من سننه تعالى في حياة الجسد إذا فقدت بالموت ان تعود إلى الميت ، فان هذه السنة السلبية لا تنافي أن يهب الله تعالى بعض خواص الروحانيين من خلقه، كالملائكة اوالمسيح الذي خلقه بالنفخ من روحه في أمه . ان يمد بهذا الروح القوي ميتاً كالعازر او البنت اللذين روت الاناجيل خبر احيائه اياهما ، فيسري فيهما من روحه مايجذب اليهما الروح التي خرجت منهما بقدرة الله تعالى، ومثل ذلك حلول الحياة في عصا موسى في الوقت المعلوم الذي أمره الله فيه بالقائها عند بعثته ، وعند امتحان السحرة له ، والله على كل شيء قدير

لا فرق بين مالا نعلمه من هذه السنن الروحية وما نعلمه من السنن الجسدية ، في كون كل منهما فعل مبدع الارواح ، وخالق الاجساد، ولا يعترض باحداهما على الاخرى عند من يؤمن بان الخالق واحد وهو واضع السنن ومقدرها ، ولكن هذا الامر النادر ، ينكره من لا يؤمن بان كلا منهما فعل الله القادر على كل شيء

ومن الغريب ان أطباء هذا العصر وأعلم علمائه الماديين يرون من الجائز في العقل الذي يقرب ان يصل اليه العلم ، أن تعود الحياة إلى جسد الانسان أو الحيوان بعد موته بمدة غير طويلة كحياة البنت الميتة التي دخل المسيح عليه السلام بيت أبيها وأمها وسأل عنها فقيل له انها نائمة حتى لا ينغصوا عليه ضيافتهم له ، فناداها قائلا : « لك أقول ياصبية قومي » فقامت باذن الله تعالى .

وأغرب من هذا أن منهم من يقول بامكان إيجاد الحياة في بعض الاجسام بطريقة علمية صناعية . ونقل أخيراً عن عالم منهم اسمه (مورجان) أنه قام بتجارب عمليه أثبت بها امكان استيلاد مخلوقات حية على سبيل الشذوذ (Emergeney)

وملحد دمنهور لا يصدق ان المسيح أحيا ميتاً حياة جسدية باذن الله ، وانما يقول بقول ملاحدة الباطنية انه انما أحيا الناس من موت الجهل والرذيلة، ولكن هذا النوع من الاحياء ثابت لجميع العلماء الذين يعلمون الصغار والجاهلين من الكبار ما يزيل جهلهم ويحييهم حياة دينية اوأدبية أخلاقية، فهو لا يمكن ان تكون آية لعيسى عليه السلام

ينبوه بها كتاب الله ، ويخبرنا أن الجاحدين لنبوته وصفوها بالسحر

وما عهد من المؤمنين بالله ورسله أحد ينكر هذه الآيات بمثل هذه الشبهة ، وانما عهد ذلك من الكافرين بالله وبرسله ، أو من الزنادقة الذين يظهرون الايمان ويسرون الكفر لخداع المؤمنين وتشكيكهم في دينهم توسلا إلى اخراجهم منه كملاحدة الباطنية

السنن من الممكنات بين المحو والاثبات

فاذا كنا نقول بثبوت سنن الله واطرادها اتباعا لما بينه الله من ذلك ، فالواجب في ذلك أن نتبع كتاب الله فيما بينه من خوارق العادات أيضاً . فلا نكون ممن قال الله تعالى فيهم (أفتؤمنون ببعض وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون)

وإذا أردنا أن نثبت هذه السنن واطرادها من طريق العلم ونبني عليه تأويل ما يخالفها كله من نصوص الكتاب والسنة على طريقة المتكلمين المعروفة (وهو ما يمكن أن يستمسك به ملحد دمنهور) فيجب علينا قبل كل شيء أن نبين ماتقوم الادلة العلمية القطعية على صحته واطراده واستحالة تغيره وتخلفه مطلقا ، وحينئذ لانكاد نجد شيئاً منها بهذه الصفات ، إلا قليلا من الضروريات ، (ككون النقيضين لايجتمعان ولا يرتفعان) وليس منها عودة الحياة إلى من مات ولم يطل العهد على موته كالبنت التي أحياها المسيح عليه السلام ، ولا إعادة وظائف التناسل إلى من فقدها من النساء والرجال ، كما وقع لزكريا وزوجه عليهما السلام

والقاعدة عند علماء الكون - حتى الماديين منهم - ان كل ما نقول انه من سنن الكون (أو نواميسه) فانما هو بحسب ماظهر لنا ببحثنا وتجاربنا ، وأنه يجوز أن يظهر لنا ما يخالفه ويثبت لنا خطأنا فيه ، كما حصل مراراً فيما ظهر للباحثين من خطأ من كان قبلهم من العلماء والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ، ولا أرجع في التمثيل لهذا إلى ما نقض علماء الحضارة الاوربية من قواعد علوم اليونان والعرب وأفلاكهم

وفلسفتهم ،ولا إلى ما نقض بعضهم من قواعد بعض في القرون الاربعة الماضية، بل أكتفي بأهم ما حدث من ذلك في عصرنا هذا

عثروا على مادة (الراديوم) الذي لا يجهل اسمه قارئ للجرائد ، دع متلقي العلوم في المدارس . فكان بدء عصر جديد في الكيمياء والطبيعة تقوضت فيه سنن ونواميس كانت من المسلّمات ، وثبت خلافها ، كاشعاعه الحرارة والنور إشعاعا دائما من غير أن ينقص من وزنه شيء ، وكعدم تأثير ما حوله فيه من حرارة وبرودة . وكتحول المادة الغازية التي تنبعث منه إلى عنصر الهليوم . وبهذا ثبت شيء كان علماء هذا الفن يجهلونه إذ كانوا يقولون ان عناصر المادة البسيطة لا يتحول شيء منها فيستحيل إلى غيره

وقد كانت سنة الجاذبية من المسلّمات التي لا نزاع فيها حتى قام الاستاذ اينشتين الالماني بتقويض دعائمها بنظرية النسبية التي فتحت في العلم باباً جديداً من أبواب المحو والاثبات في الطبيعيات وفي الرياضيات أيضاً

وتلك نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي التي تدعمها سنن كثيرة في الجيولوجية والنبات والحيوان والانسان قد وقعت في النزع والاحتضار ، كما بينا في مقالة خاصة في المنار ، أو قضي عليها بالتبع للقضاء على النظرية الميكانيكية التي بنيت عليها كما نشر في بعض الصحف في هذه الايام

أساس الكون ومصدره ومظهره

ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في الاطوار المختلفة — ألم يكونوا يقولون انه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت به الصور المختلفة في العالم كله

قد هدم هذا الاساس ان لم يكن بما ثبت من تحول عنصر إلى عنصر ، فبما ثبت من تحول القوة إلى مادة، ثم بما ثبت من أن ما نسميه المادة والقوة اصطلاح لا تعرف له حقيقة ، وان هذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات الكهرباء، وان كل ذرة من ذراته تتألف من عدة كهارب سلبية تدور حول كهرب ايجابي ـ والكهرب هو الوحدة من الكهرباء ـ وهذه

الكهارب لا يمكن أن يقال إنها مادة ولا إنها قوة ، وانما حقيقتها مجهولة

وهذا الذي استقر عليه رأي علماء الكون أخيراً يؤيد ما أثبتناه في المنار وفي تفسيره من أن أول مظهر من مظاهر التكوين الذي نسميه الخلوق الاول مجهول للبشر ، وان علماء الكون اختلفوا في إمكان علم البشر به ، فمنهم من يقول انه يمكن الوصول الى العلم به بطول الترقي في معارج العلم . ومنهم من يقول بعدم إمكان ذلك ، ونقل هذا عن الفيلسوف سبنسر قبل القول الاخير بتركب الذرات من الكهارب ، ورأيناه في هذه الايام من نقله عن الاستاذ «صليفان»

بل هو مثبت لاقوى الادلة العقلية على وجود الله تعالى عندنا وهو ان جميع مظاهر هذا الكون السماوية والارضية تطورات تستند الى حقيقة غيبية لا يعلم احد كنهها، وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها مناظرة دارت بيننا وبين العلامتين صاحبي المقتطف

فاذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا فما المانع من القول بان هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ وإذا كان الوجود الممكن كله مظهراً من مظاهر تموجات الكهرباء المجهولة الكنه ، فأي بعد بين قولهم هذا وقول اتباع الوحي ان الوجود الممكن الظاهر ، صادر عن الوجود الواجب الغيبي الباطن ، و(هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

نكتفي بهذه الكلمة الوجيزة في سنن الوجود الظاهر المدرك بالحواس ، الذي بلغ البشر من العلم بها مستوى لم يعرف في التاريخ ما يقرب منه لأحد من شعوب الحضارة القديمة

وإذا نحن ارتقينا عنه الى علم النفس ، وما تجدد فيه عند علماء العصر علمنا أن في الوجود سننا غير سنن المادة بأنواعها بعد أن صار التنويم المغناطيسي من الحقائق الثابتة بالتجارب المطردة ، وما تبع ذلك وتقرر من بعض أنواع الكشف الذي يعبرون عن بعضه بقراءة الافكار وبمراسلة الافكار ، وقد شاهدنا بعض ذلك بالطريقة الصناعية ، بعد ثبوته عندنا بالهبة الالهامية .

ووراء هذا وذاك مسألة مناجاة الارواح التي آمن ببعض مظاهرها من لا يحصى لهم عدد من العلماء الطبيعيين والرياضيين، ووقف كثير منهم عندها حائرين

وفوق ما ذُكر كله قدرة رب العالمين، وإرادته واختياره في الخلق والتقدير والتدبير ، وهو واضع السنن والقوانين ، ومسخر الاسباب والنواميس، الحاكم بها وعليها وفيها بعد إيجادها، والبدع لما شاء قبل وجودها وبعده (انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون)

الايمان بقدرة الفاطر فطري او فكري والشذوذ فيه

فالايمان بقدرة الفاطر المبدع، الخالق المصور المقدر ، غريزي في هذا الانسان المفكر، ظهر في أجياله المفكرة، في مظاهر مختلفة، من فطرية ساذجة ، وفكرية راقية، ووجدانية شعرية ، وروحانية إلهامية

وشذ أفراد من المفكرين في هذا الامر وفي اختلاف الناس فيه كشذوذ الناس في كل علم وعمل، لم يظهر لهم الصواب في جانب أحد منهم ، ولا في شيء آخر يصح أن يكون فصلا فيما اختلفوا فيه ، فكانوا فريقين (أحدهما) معطل لا يؤمن بشيء غيبي فوق هذا الوجود المدرك بالحواس (والثاني) شاك حائر بين إثباته ونفيه

ذلك بأن البشر قد فطروا على التفاوت العظيم في الاستعداد للعلم والعمل، وهذا التفاوت يقتضي بطبعه الاختلاف في الفهم للشيء والحكم فيه ، والاختلاف بين الناس في وسائل معارفهم البشرية ومقاصدها، يفضي بهم الى الترقي فيها ، فهو نافع مالم يكن علة أو معلولا للتفرق والتعادي

ومن المعلوم بالعقل والتجارب انه لا مثار لاختلاف التفرق فيما ترتقي به الزراعة والصناعة ، ولا في وسائل انتشار التجارة ، إذ لا يرى أحد من الناس غضاضة على نفسه ولا على قومه في اتباع ماسبقهم اليه غيرهم فيه

وأما العلم بما يجب الايمان به من وجود الفاطر وصفاته وشكره وعبادته، وما يرضيه أن يكون عليه عباده، فهو مما لا يرتقي ويتمحص باختلاف الناس فيه ، ولا هو مما يسهل عليهم أن يأخذ كل قوم ماسبقهم اليه غيرهم فيه بكسبهم واجتهادهم، إذ لا يمكن أن يصل ذلك إلى درجة القطع التي يزول فيها الخلاف بالضرورة — وقد ثبت بالتجربة في الاجيال والآماد الكثيرة، انه كان أعظم أسباب التفرق والتعادي وسفك الدماء الغزيرة

حاجة البشر إلى الدين المستمد من الوحي

فمن ثم كان البشر في أشد الحاجة لبيان الحق فيه الى وحي من الله عز وجل تقوم به الحجة على جميع أولئك الفرق من المؤمنين المختلفين ، ومن الملحدين المعطلين ، والشاكين اللاأدريين (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الآية

وقد كان من حكم كتاب الله الحق فيما اختلف فيه الناس بمقتضى ما ذكرنا من غريزة التفاوت بينهم في العلم والفهم والحكم ، ان العالم كله صادر عن قدرة الله تعالى ومشيئته واختياره ، سواء فيه ما أبدعه ابتداء ، وما خلقه بنظام السنن العامة في الاسباب والمسببات ، فالسنن وما وضعت له وجرت فيه كل ذلك بيد الله يتصرف فيها بمشيئته ليس مقيداً بشيء منها ، فهو إذا شاء غيرها ، ولكنه لا يفعل إلا ماتقتضيه حكمته ، فصفات الله تعالى من العلم والحكمة والمشيئة والقدرة والرحمة لاتناقض ولا تعارض في متعلقاتها . كما بيناه مرارا في تفسيرنا

هذا حكم الله تعالى في كتبه لرسله كما نراه في نصوص آخرها الذي أنزله الله مصدقا لها ومهيمنا عليها ، وسنذكر بعض الشواهد منه فيها

ويقابله قول معطلة الماديين الذين ينكرون الخالق والخلق بالمشيئة ، وبعض الفلاسفة الالهيين الذين يثبتون لرب العالمين من صفات الكمال ماعدا الاختيار في المشيئة ، ومذاهبهم في تأثير الطبائع بذاتها ، وضرورة اتصال العلل بمعلولاتها ، وكون الله تعالى خلق المادة وأودع فيها قواها ونظامها ، وتركها لنفسها فلم يبق له فعل فيها — كل ذلك معروف ليس من موضوعنا تفصيله والرد عليه ، وإنما غرضنا من ذكره أن نبين ان الناس على قسمين : مليين على هدى أنبياء الله تعالى يؤمنون بان الله فاعل مختار بيده ملكوت كل شيء في كل وقت — وكافرين يزعمون ان كل حركة وسكون في هذا الكون تجري على سنن ونواميس فيه بمقتضى الضرورة لاتأثير فيها لموجود غيرها . وما يشاهدونه في كل زمن من وجود أشياء على غير هذه السنن المعروفة ، يسمونه « فلتات الطبيعة » ويقولون انه لابد له من سبب وان كنا لانعرفه . وما ينقل في كتب المليين من آيات الانبياء منهم من ينكره ،

ومنهم من يتأوله ، ومنهم من يقول انه من فلتات الطبيعة التي لم يظهر لنا سببها ؛ فمذاهبهم في هذه المسائل متعددة .

وملحد دمنهور قد جرى على أصل هؤلاء القائلين بان السنن والنواميس ضرورية لا يمكن تغيير شيء منها ولا تبديله ولو بفعل الله ومشيئته ، وأنه ما وقع ذلك في الماضي للرسل ولا لغيرهم ، فهو مخالف لجميع المليين من أتباع الرسل عليهم السلام ولولا هذا لم يكن محتاجا الى تحريف ما جاء في القرآن من اخبار عالم الغيب ومعجزات الرسل .

شبهة ملحد دمنهور في السنن وبيان بطلانها

قد يقول بغروره بجهله اني قد أخذت في هذا بما جهله جميع المسلمين وجميع المليين من قبلهم (أي وعرفه ملاحدة الباطنية ولاسيما البهائية آخرهم) وهو ما نص عليه القرآن في مثل قوله تعالى (٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا)

ونقول في جوابه (أولا) ان سنة الله التي قال انه لا تبديل لها ولا تحويل هي نصر رسله على المعاندين لهم من أقوامهم كما هو صريح الآيات التي وردت فيها في سور الاسراء والاحزاب وفاطر والفتح، وفي السور التي لم يذكر فيها انه لا تبديل لها أيضا

وجاء لفظ السنن جمعا بهذا المعنى في سياق الكلام على غزوة أحد من سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وجاء بمعنى التشريع الديني في سياق محرمات النكاح وحكمتها من سورة النساء (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) فهو لم يقل هذا في أمر الخلق والتكوين ، وربما كنت أنا الذي التزمت اطلاق هذا اللفظ على ما يسميه علماء الكون والفلسفة بالنواميس الطبيعية في المنار والتفسير وفي نظام مدرسة الدعوة والارشاد ، إذ أطلقت اسم (سنن الكائنات) على الدروس التي وضعها الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) في علم حفظ الصحة ومقدماته من علم الطبيعة

وعلم وظائف الاعضاء فنشرتها في المنار وطبعتها على حدتها بهذا الاسم

وأول من أرشدنا الى كون أصول علم الاجتماع من سنن الله في خلقه، حكيمنا العربي الواضع الاول لقواعد هذا العلم عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى ، فانه يكرر في مقدمته عقب بيان القاعدة العمرانية قوله : سنة الله في خلقه ـ أو سنة الله التي قد خلت في عباده. ثم زاد عليه في هذا أستاذنا الامام في مقالات العروة الوثقى الاجتماعية ، وزدت عليهما تعميم ذلك في النواميس الكونية كلها

هـذا وانه ليس عندنا دليل ديني ولا عقـلي على استحالة وقوع التبديل والتحويل في هذه السنن ولا على اطرادها وعدم الشذوذ فيها مع الجزم بامكانها. وأما الأدلة العلمية المبنية على التجارب العملية فقد بينا آنفا ان أهلها لا يقولون بوجوب شيء من هذه السنن المعروفة بحيث يستحيل نقضه وثبوت خلافه ، وانهم يثبتون الشذوذ بالاسباب المجهولة المعبر عنها بفتات الطبيعة، وبالاسباب العلمية العملية، وقد كان بعض الناس ينكرون ماجاء به الانبياء من أخبار عالم الغيب كالملائكة والجن والبعث بعد الموت لاستبعادها في مألوفاتهم وزعمهم انها لا تعقل ،وما وصل اليه البشر في هذا العصر من أسرار الكهرباء لم يبق شيئاً من ذلك مستبعداً فضلا عن كونه محالا عقلا ،

أفليس المؤمنون بوجود الخالق الفعال لما يريد، وان « ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن » أولى منهم بالايمان بقدرته على التصرف في هذه السنن متى شاء ؟

ثانياً : اذا قيل ان قوله تعالى (سنة الله) مفرد مضاف يفيـد العموم ، وانه يجري فيه قول علماء الاصول: بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قلنا نعم ، وانما عموم كل شيء في موضوعه ، وموضوع هذه السنة المنصوصة عباد الله من الامم مع رسلهم ، ويصح اطلاق اللفظ على غير ماورد به النص من قواعد الاجتماع والعمران أيضاً ، ولكن لا يصح الاستدلال بالنص على عدم التبديل فيها

ـ ثالثاً ـ ان سنن الاجتماع تختلف باختلاف أحوال البشر في البداوة والحضارة والقوة والضعف والعلم والجهل ، وآلات القتال والنقل ، فهي أمور نسبية متبدلة ، لا قواعد رياضية مطردة . وذلك معروف من سير الأمم وتواريخها . وانما

تكون سنة بحسب الاحوال التي تكون بها مطردة

مثال ذلك سنة غلب الكثرة للقلة التي عبر عنها الشاعر العربي بقوله :

ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر

يراعى في صحتها مساواة الكثرة للقلة في أسباب الغلب الصورية كالسلاح والنظام، والمعنوية كالصبر والثبات والايمان . فاذا كانت هذه الاسباب متوفرة في القلة دون الكثرة ، كان لها الغلب على الكثرة . وفيها قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ـ رابعا ـ ان السنن الاجتماعية والكونية تتعارض وتتنافى كما تتعارض أسباب النصر والغلب واضدادها في المثل المذكور آنفا ، ومن ذلك تعارض أسباب الصحة وأسباب المرض ، وتعارض التأثيرات الجسدية مع التأثيرات النفسية . فما كان له الرجحان يكون مبطلا للآخر ذاهباً باطراده ، وليس في هذا الوجود الممكن ـ لاعلويه ولا سفليه ـ ناموس من نواميس النظام يقوم الدليل القطعي على استحالة تغييره وتبدله ، بل كله جائز بأسباب مما يعقله الباحثون ويتوقعون حدوثه أو بغير ذلك . كما يقولون في خراب هذا العالم وزوال هذه الارض ، او انقطاع حياتها وعالمها بزوال حرارة الشمس بالتدرج البطيء ، او بتصادم بينها وبين بعض الاجرام السماوية وهو ماتشير اليه آيات القرآن المجيد

السنن والنظام في الخلق خاضعان لمشيئة الخالق

ثم أقول ـ خامسا ـ إن خالق الخلق بما شاء من النظام والسنن لم يقيد بها قدرته ومشيئته ويجعلها حاكمة عليه . بحيث يكون بها مقهوراً لا قاهراً . وعاجزاً عن التصرف لا قادراً . حتى لا فائدة في دعائه والتضرع له . بل دل كتابه ـ الذي لا يفهمه هذا الملحد الجاهل بلغته وشريعته ـ انه قيدها بمشيئته ، وان العالم كله في قبضته ، (إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) فهذه الآية صريحة في أن العالم في قبضة تصرف خالقه في كل وقت ، وان بقاءه بقدرته تعالى لا بما يظهر من سنن النظام فانها مفعولة لا فاعلة ، أو ظواهر صورية ، لا حقائق وجودية ، كما قال بعضهم في سنة الجاذبية

ومن هذا القبيل قوله تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) فحركات الريح تجري بحسب سنته تعالى في تأثير الحرارة فيها، وهو يقول انه إذا شاء أسكنها

وقد دل كتابه أيضاً على انه تعالى جعل للسنن الكونية والتشريعية استثناء يضعه موضعه بحكمته ورحمته . حتى ان عذاب الأمم المعاندين لرسله والذي نص كتابه على انه لا تبديل فيه ولا تحويل قد دخله الاستثناء بالفعل، كما قال تعالى في سورة يونس (١٠: ٩٨ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) فان يونس عليه السلام كان خرج من قومه عند ما جاء موعد ما أنذرهم من العذاب ولم يؤمنوا . فلما رأوا بوادر العذاب وكاد يقع بهم آمنوا فنفعهم ايمانهم ولم ينزل العذاب بهم ، فهذا استثناء من السنة العامة في وقوع العذاب على الاقوام في مثل تلك الحال ، سواء كان متصلا او منفصلا في الاعراب

ومما يدل على تقييد السنن العامة بالمشيئة قوله تعالى بعد ما ذكر في سورة يونس (٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) وهذه المشيئة انما تكون بخلق البشر على غير هذه السنن المعروفة في خلقهم من اختلاف الاستعداد للايمان والكفر معاً ، ومن ترجيح بعض متعلق هذا الاستعداد على بعض . أو بازالة هذا الاستعداد بعد وجوده . وهو من سنن الله في نوع الانسان

ومن هذا الاستثناء عفو الله تعالى عما شاء من ذنوب عباده في الدنيا والآخرة . فان عقاب المذنب من سنن العدل ، والعفو والمغفرة من الرحمة والفضل ، فكل مذنب مستحق للعقاب بحسب سنة الله في تأثير الاعمال في النفس المقررة في قوله تعالى (٩١: ٩ قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) وما كل مذنب يستحق العفو ، وقد اتفق حكماء البشر على أن من الحكمة الاستثناء في القوانين بالعفو عن بعض العقوبات

والآيات المحكمة الصريحة في فعل الله لما يريده وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن كثيرة ، والمسلمون مجمعون على ذلك ، ولكن إجماعهم لا قيمة له عند ملحد دمنهور

ولا يحتج به في دينه ، وقد يعبر عنهم بما يدل على انه ليس منهم كما قال في تفسير (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وهذا نصه :

« ومن الغريب مع هذا الدليل المبين ان المسلمين ينقلون في كتبهم ان النبي سحر بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى صلب المسيح بناء على حديث رواه اليهود أيضاً » اه فقد أنكر على المسلمين لا على المحدثين ، ويعني بقوله « كتبهم » أصح كتب الحديث وجميع كتب التفسير ، ولكنه كذب في زعمه ان حديث السحر المذكور قد رواه اليهود ، والغرض من ذكر عبارته هنا انه يهزأ باعظم كتب المسلمين في التفسير والحديث هزؤ الساخر المتبريء من المسلمين ، وأما تحقيق المسألة فقد بيناه في المنار

(ومنها) قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وهذا المعنى مكرر في القرآن ، وهو ظاهر فيما يخلقه تعالى بدون نظام الاسباب ، كخلق آدم من تراب ، وخلق عيسى بن مريم من أم بدون أب

وجملة القول في مسألة سنن الله تعالى في نظام الكون وسنن الاجتماع والعمران ان ما ثبت منها فهو مقتضى حكمته ، وانه غير مقيد لعموم مشيئته وشمول قدرته ، وأن ماثبت في كتابه أو في خليقته من آياته المخالفة للمعروف من تلك السنن فهو من تصرفه بمشيئته واختياره ، لحكمة يعلمها في ذلك وقد يعلمها من شاء من خلقه ، كمعجزات رسله عليهم السلام ، فان حكمتها ظاهرة بينها علماء أتباع الرسل أحسن البيان

وأن منتهى الجهل والكفر بالله تعالى جعله مقيداً بما يظهر لبعض الناس من هذه السنن مع تخبطهم فيها ، وعدم اتفاق عقلائهم وعلمائهم على ضرورة اطرادها ، وما هذه الارض وسننها إلا كذرة من ذراتها هي في جملتها ومجموعها ، بالنسبة إلى ملك الله العظيم الذي ثبت لعلماء الفلك ان بعض أجرامه يبعد عن البعض الآخر بما يقدر بملايين السنين لسرعة النور ، وهو يقطع نحوا من مائة مليون ميل في زهاء عشرة دقائق . فمن أنت أيها الجهول حتى تبيح لنفسك تحريف كلام الله اتأويل آياته في خلقه اغتراراً بما لا تعلم حقيقته من هذه السنن ؟

فاذا كان شيطان الجهل والغرور قد زين للملحد منهور أنه يمكنه أن يكون رجلا عظيما في

الارض بوضع دين جديد لمن غلبت عليهم ظواهر الفلسفة المادية لايوجد فيه شيء مخالف للمألوف عندهم فليبعد عن القرآن والانجيل والتوراة والزبور ، فان أديان جميع رسل الله مؤسسة على عقيدة تصرف رب العالمين في خلقه بمشيئته واختياره في كل وقت ، وعلى تأييده لمن شاء من رسله بخوارق العادات ، وسنن الاجتماع والكائنات ، وعلى ان عالم الغيب من الملائكة والجن وغيرهم لايقاس على عالم المادة ، وان الايمان بما ورد الوحي فيه من ذلك كما ورد أصل من أصول الدين لايصح الدين بدونه

عجز فلاسفة أوربة عن وضع دين يخضع له البشر

وليعلم ان بعض فلاسفة أوربة وأعلام الآداب والتشريع فيها قد وضعوا أصولا لديانة سموها الديانة الطبيعية ، راعوا فيها من الفضائل والمصالح العامة والخاصة ما استحسنه السواد الاعظم من الماديين وغيرهم ، ولكن لم يتخذها شعب من الشعوب ولا جماعة من الجماعات ولا فرد من الافراد دينا يلتزمه في أعماله وآدابه ، ولماذا ؟

لان الدين الذي يحتاج اليه البشر لتكميل فطرهم وازالة الخلاف من بينهم فيما يجب عليهم من معرفة الله وعبادته ، ومن أصول التشريع العامة والفضائل الثابتة التي تحول دون الفوضى الدينية والادبية التي تفرق كلمتهم ـ هذا الدين لايمكن أن يتحقق إلا إذا كان مصدره السلطان الالهي الاعلى الذي تذعن الانفس لأمره ونهيه القطعيين لذاته ، سواء وافق آراءهم وأهواءهم ونظرياتهم العقلية وتقاليدهم القومية والوطنية أم لا ، لان صاحب هذا السلطان أعلم منهم بما يضرهم وما ينفعهم ، وهو القادر على اثابتهم إذا اتقوا واحسنوا ، وعلى عقابهم إذا فسقوا وظلموا وأساءوا ، وعلى العفو عنهم إذا تابوا وأصلحوا ، وعلى استجابة دعائهم إذا دعوا وتضرعوا ،

فلو كانت أمور العالم كلها تجري بنظام اضطراري ليس لله فيه مشيئة ولا

اختيار ، لم يكن هنالك محل لثمرة الايمان من الخوف والرجاء ، وهما الباعثان على الطاعة والانقياد ، ولزال معنى الدين وذهب التدين هباء

الا إن المادية مضادة بل مناقضة لمعنى الدين والتدين ، وقد ظهر بعد الحرب العامة من مفاسدها مالم يكن ظاهراً ، والعالم المدني قد شعر باضطراره إلى الهرب من هذه المفاسد في العقل والآداب والاجتماع كما نوهنا بذلك من قبل ، وانما الدين الوسط هو الجامع بين المصالح المادية ، والفضائل الروحية ، كما بيناه في تفسير قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) من أول الجزء الثاني من تفسيرنا

وإذا لم يكن لرسل الله تعالى من آياته مايميزهم من الفلاسفة والادباء - كما يزعم ملحد دمنهور - فأي باعث يبعث الناس على الانقياد لهم بالاذعان النفسي والوجدان الاضطراري ، وهم يجدون عند الحكماء من الحجج العقلية والادبية ما هو أقرب إلى مألوفاتهم ونظرياتهم مما جاء به الانبياء ؟

حكاية ابن سينا مع المفضل له على النبي ﷺ

ألم يعقل هذا الملحد ماسمعه منا وقرأه في كلامنا غير مرة من نبأ الفيلسوف الكبير الرئيس ابن سينا مع خادمه ومريده المعجب بعلومه وفلسفته المفضل له بها على محمد رسول الله ﷺ الذي كان يلومه على اتباعه هذا النبي ﷺ وهو دونه بزعمه وجهله ، حتى إذا كانا في بعض ليالي الشتاء الشديدة القر القارسة البرد في تبريز ايقظ الرئيس خادمه ليأتيه بماء يتوضأ به ، فاعتذر له بشدة البرد ، وبعد طلوع الفجر ، فأيقظه سيده الرئيس عند ماكان المؤذن ينطق بالشهادتين على المنارة وسأله ماذا يقول المؤذن ؟ قال انه يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال قد آن لي أن أبين لك فساد عقلك ، وافن رأيك ، في تفضيلك اياي على رسول الله ﷺ

انك أنت خادمي وقد بلغ من اعجابك بي ماتعلم وهو مالم أر مايقرب منه من غيرك . ثم انك تكسل عن طاعتي في داخل الدار معتذراً بشدة البرد ، وهذا الرجل الفارسي يشيد بالشهادة لمحمد رسول الله ﷺ بالرسالة في أعلى هذه المنارة حيث البرد على أشده وهو في ذلك محتسب أجره عند الله ، فعند ماترى لي من

السلطان على قلبك مثل ما ترى لمحمد ﷺ على قلب هذا الفارسي بعد مضي أربعة قرون على بعثته تكون معذوراً فيما تهذي به من تفضيلي

وإذا كان من أصول الدين المادي الذي تدعو اليه باسم القرآن انه يجوز لمتبعه أن يخالف رسول الله ﷺ لترجيح رأيه على طاعته أو لما يراه بالتشاور مع غيره من المصلحة المخالفة له ، فاي معنى يبقى للدين ؟ وكيف تجتمع الكلمة به على ما يكونون به أمة واحدة ؟ أو ليس من الجائز على هذا أن يترك الناس جميع ماجاء به الرسول لمخالفته لآرائهم وما يزعمون من مصالحهم غير المقيدة بدين يتبع لذاته باذعان الايمان ، ولا يستحل صاحبه ترك شيء منه إلا بما ورد النص فيه بكونه عذراً كالضرورات التي تبيح المحظورات ؟

ثم ان هؤلاء الماديين لايجدون أدنى باعث على قبول دين مادي يتوقف إثبات ماديته على تحريف كثير من آيات كتابه عن مدلولها اللغوي الذي جرى عليه جميع أهله من عهد النبي الذي جاء بهذا الكتاب إلى اليوم اتباعا لجاهل مغرور في تحريفها وجعلها مادية ،وقد حكم علماء أهلها بالحاده في دينهم ومروقه منه .

ولا يغرن هذا الملحد ان الباطنية قبلوا أمثال هذا التحريف في القرآن من دعاتهم ، فيظن أنه يوجد من يقبله منه ، فان الذين قبلوا هذا من الباطنية انما قبلوه بعد اقناع الدعاة لهم بأنه بيان الامام المعصوم لمراد الله من كتابه ، بعد اقناعهم بأن هذا المعصوم موجود ، وانه لا يمكن فهم مراد الله وجمع كلمة المسلمين على مايرضيه الا منه ، فاني لك أيها المغرور باقناع الماديين والجاحدين لوجود الله أو غيرهم بامامتك وعصمتك ؟

فان كنت ايها الملحد تعقل أن يتبعك أحد في دينك هذا فلك العذر في الحكم على أستاذك الذي تبرأ منك ورد عليك ارشاداً لك ، بانه قد اختل عقله فلا يدري مايقول ، وانه يكيدك مع شيخ الازهر ، وفي قولك المناقض لهذا ، وفي سبك وشتمك له ، مع ادعائك انك عذرته بجنونه وخرفه (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون * وانتظروا انا منتظرون)

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق)

القضية الاولى

﴿في حقيقة معنى القديم والجديد، والتجدد والتجديد، والتفاضل بين الطريف والتليد﴾

الخلق كله جديد ، وانما القديم المطلق هو الخالق عز وجل ، والجدة والقدم في المخلوقات نسبيان ، فكل قديم منها كان جديداً ، وكل جديد سيصير قديما ، ومن الامثال العامية بل العامة : من ليس له قديم فليس له جديد، وياله من مثل حكيم يفهم منه العلماء ، مالا تصل اليه مدارك الدهماء ،

والتجدد والتجديد في الكون من السنن الالهية العامة التي هي مصدر النظام في تكويننا ، والتغير والتحول في أطوار وجودنا ، وعملها فيها عين عملها في آبائنا وجدودنا (ولن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا) فنحن في معمل الكون الاعظم كالماء في معمل الجليد ، كل آن في تجدد وتجديد ، تارة يكون مائعا سائلا ، وتارة يكون بخاراً طائراً ، وتارة يكون جليداً جامداً ، وهكذا عالم المادة كله، تجدد طبيعي فطري ، وتجديد صناعي كسبي ، تحليل وتركيب ، جمع وتفريق ، هدم وبناء ، نماء وفناء ، وانما يجري ذلك كله في مادة موجودة ، ذات عناصر معدودة ، قديمة في الخلق لا جديدة ، ذات قوى محدودة ، تصرفها قدرة غيبية معقولة لا مشهودة ، وهي قدرة الخالق الحكيم عز وجل . فالتجدد والتجديد انما هو في الصور والاعراض ، لا في إيجاد الجواهر والمواد ، ويؤثر عن نبي الله سليمان عليه السلام انه قال : لا جديد تحت الشمس . وهو صحيح ظاهر بهذا المعنى . ويقابله مقابلة التضاد قول بعض حكمائنا إن العرض لا يبقى زمانين ، فعلى هذا يصح أن يقال « لا قديم تحت الشمس » ولا تعارض بين القولين ، ولا تناقض بين القضيتين ، فان كل ما تحت الشمس قديم باعتبار وجديد باعتبار آخر

وقد كنت قلت في مقدمة محاضرة في الجمع بين الذكران والاناث في مقاعد التعليم مايصح أن يقال هنا على انه مقصد لامقدمة وهو :

«التجديد سنة من سنن الاجتماع ، كما ان التجدد من مقتضى الفطر والطباع ، ومثلهما مقابلهما من المحافظة على القديم ، ولكل منهما موضع فلا تناقض بينهما ولا تضاد، اذا وضع كل منهما في موضعه بغير تفريط ولا إفراط

« من التجدد في نظام الفطرة أن كل أحد يخالف خلق والديه وأخلاقهما بعض المخالفة ، ولولا ذلك لم يكن ما نرى من التفاوت العظيم بين البشر ، ومن حفظ الاصل مالايجهل من إرثه لهما وشبهه بهما في بعض صفاتها الجسدية والنفسية، ولولا ذلك لوقع من التباين بين أفراد الناس ما يكاد يكون به كل منهم نوعا مستقلا بنفسه

«ومن حفظ القديم في الاعمال وراء سنة الوراثة ماتقتضيه غريزة التقليد من محاكاة الانسان لمن يعيش بينهم من أول سن التمييز إلى نهاية أجل الشيخوخة، ثم تقليد الجماهير لمن يرونهم أوسع منهم علما، أو أعلى مكانة وقدراً ، ولولا هذا لما تكونت البيوت والفصائل ، والشعوب والقبائل ، بما يربط بعضها ببعض من المشاركات في الاعمال، التي تطبع في الانفس ملكات الاخلاق والعادات، فتكون رابطة الوحدة، التي تجتمع بها وشائج الكثرة، فتكون بها الفصائل قبيلة والبيوت أمة

«ومن التجديد في الاعمال البشرية ماتهدي اليه غريزة الاستقلال المقابلة لغريزة التقليد، والميل إلى الاستنباط والاختراع ،ولولاه لكانت جماعات البشر كأسراب الطير، ومساكنهم لاترتقي عن خلايا النحل وقرى النمل»

أنواع التجديد والحاجة اليها

التجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاج الجماعات البشرية بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها ،به يرتقون في مدارج العمران، ويصعدون في معارج العلم والعرفان، حتى ان الدين الالهي الذي يستند إلى وحي الرب الحكيم بمحض فضله ، لبعض من أعد أرواحهم القدسية لذلك من أصفياء خلقه ، قد سار

مع غرائز الجماعات البشرية في ترقيها من طور إلى طور حتى أكمله تعالى لهم بالاسلام، عند ما وصل مجموعهم إلى سن الرشد والاستقلال.

«ومع هذا الاكمال يروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، أنه قال « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه والبيهقي في المعرفة وغيرهم من حديث أبي هريرة . وأشار السيوطي في جامعه الصغير الى صحته ، والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وحقيته، ونفي مايعرض لاهله من البدع والغلو فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته اه وموعدنا في الكلام في التجديد الديني والدنيوي القضية الثالثة

هذه حقيقة معنى التجدد والتجديد ، وهي تهدينا الى ان لكل من الجديد والقديم محلا ، وان من الجهل تفضيل أحدهما على الآخر مطلقا ،

المفاضلة بين المتقدم والمتاخر

وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والادب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس، وانما هذا وذاك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الافراد النابغين الذين قلما تجود بمثلهم الازمان، ومذهب النشوء الاجتماعي ظاهر في الامم في أطوار حياتها وقوتها، بل هو ظاهر في الدين الآلهي أيضا ، فقد ارتقت الشرائع الالهية بحسب استعداد البشر حتى كان آخرها وهو الاسلام منتهى الكمال ، فجعل الله رسوله الذي جاء به خاتم النبيين ، وبعثته عامة باقية الى يوم الدين، وأنزل عليه قبل وفاته (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

وقد كان بعض الادباء، يفضل المتأخرين في بعض الاشياء ، وقد افتتح عنترة معلقته المشهورة بقوله * هل غادر الشعراء من متردم * يعني ان الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولا يقوله ، ولكنه هو جاء فيها بمعاني لم يسبقه اليها غيره، وقد عارضه ابن أبي حجلة في تفضيل كتابه (ديوان الصبابة) على ما سبقه في معناه بقوله في خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ،

أقول في الخمر معنى ليس في العنب ، وأحسن ما في الطاووس الذنب

وكلمة «الفضل للمتقدم» صارت مثلا في أفواه العلماء والادباء ، ولا أدري أول من قالها هل هو عدي بن الرقاع الشاعر الاموي الذي ضمنها في شعره أم غيره؟ وهذا شيخ صناعة الادب الحريري قد استشهد في تفضيل بديع الزمان على نفسه في مقدمة مقاماته بقول عدي هذا ... ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل الطريف على التليد، ونصر العصاميين على العظاميين. وأني أحفظ من عهد طلب العلم عبارته في هذا ولا يخلو ايرادها من إحماض وفكاهة. قال:

«روى الحارث بن همام قال : حضرت ديوان النظر بالمراغة، وقد جرى به ذكر البلاغة ، فأجمع من حضر من فرسان اليراعة ، وأرباب البراعة ، على أنه لم يبق من ينقح الانشاء ، ويتصرف فيه كيف شاء ، ولا خلف بعد السلف ، من يبتدع طريقة غراء ، أو يفترع رسالة عذراء ، وأن المفلق من كتاب هذا الاوان، المتمكن من أزمة البيان، كالعيال على الاوائل ، ولو ملك فصاحة سحبان وائل، وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية ، عند مواقف الحاشية ، فكان كلما شط القوم في شوطهم، ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم، ينبيء تخازر طرفه ، وتشامخ أنفه، أنه مخرنبق لينباع ، ومجرنز سيمد الباع ، ونابض يبري النبال ، ورابض يبغي النضال ، فلما نثلت الكنائن ، وفاءت السكائن ، وركدت الزعازع، وكف المنازع ، وسكنت الزماجر ، وسكت المزجور والزاجر ، أقبل على الجماعة وقال: لقد جئتم شيئاً إدّا ، وجرتم عن القصد جدا ، وعظمتم العظام الرفات ، وافتتم في الميل إلى من فات ، وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات، ومعهم انعقدت المودات، أنسيتم يا جهابذة النقد ، وموابذة الحل والعقد، ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرز فيه الجذع على القارح ، من العبارات المهذبة ، والاستعارات المستعذبة، والرسائل الموشحة، والاساجيع المستملحة ، وهل للقدماء إذا أنعم النظر ، من حضر ، غير المعاني المطروقة الموارد ، المعقولة الشوارد، المأثورة عنهم لتقادم المولد ، لا لتقدم الصادر على الوارد. الخ

وللشعراء محاورات مشهورة في تفضيل الحبيب الاول أو الحبيب الآخر ، ومن المشهور في الاول قول بعضهم:

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقول آخر :

كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

نقل فؤادك حيث شئت مع الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وقول بعضهم في الثاني

محا حبها حب الاولى كن قبلها وحلت مكاناً لم يكن حل من قبلُ

وقول آخر في الرد على مفضل الحبيب الاول، ولكن جاء بحجة دينية لاغرامية، وفلسفة دروينية لاعذرية

أكلف بآخر من علقت بحبه لاخير في حب الحبيب الاول

أتشك في أن النبي محمداً ساد البرية وهو آخر مرسل؟

والعدل في الحكم : أن تقدم الزمان وتأخره لا شأن لهما في المفاضلة بين الافراد، ففي كل زمان أفذاذ، فالقديم كان جديداً، والجديد يعود قديما، كما حققنا، ولله در القائل في ذلك :

قل لمن لايرى للاواخر شيئاً ويرى للاوائل التقديما

ان ذاك القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما

وانما التفاضل بين الاشياء والاشخاص يتعلق بذواتها وصفاتها، ودرجة انتفاع الناس وارتفاقهم بها، فان كان للمتقدم فضل الابتكار والاختراع، فقد يكون للمتأخر عنه فضل التحسين والاكمال الذي يتم به الانتفاع، وقد اشتهر أن كثيراً من المخترعات التي سبق بعض اللاتين أو الانكليز الى كشفها قد أتمها الالمان فكان نفعهم وانتفاعهم بها أعظم

القضية الثانية

(فضل الشيء في مزاياه ودرجة الانتفاع به)

جهل هـذه الحقائق أو تجاهلها ادعياء التجديد ، فطفقوا يدعون الى ترك القديم لانه قديم،والاخذ بالجديد لانه جديد ، وربما وصفوا القديم بالبالي لزيادة التقبيح والتبذيد ، وان كان على قدمه لاتبلى جـدته ، ولا تخلق ديباجته ، ولا تخبو ناره، ولا تنطفي أنواره ، كدين الله القويم ، وكتاب الله الكريم (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)

ان تفضيل الجديد لجدته، على القديم لقدمه ، مكابرة للحس، وسفه للنفس، ومصادمة للعقل ، وهو باطل ببداهة الرأي ، واجماع كل قبيل وشعب ، فان من القديم مايتنافس فيه خواص الناس في أرقى أمم الحضارة، فيباع بالالوف الكثيرة من الجنيهات، إما لقدمه ونفاسته معاً ،وإما لقدمه وحده ،وان هذه البلاد لتفاخر جميع بلاد الحضارة بآثارها التليدة،وليس عندها شيء من مبتكرات حضارتها الطريفة، وانك لترى قصور الملوك والقياصرة وكبار الامراء والاغنياء مزينة بالصور التي رسمها قدماء المصورين، كما ترى على جدرانها دون أرضها أنفس السجاجيد العجمية والشيلان الهندية القديمة .

وانك لترى دور الآثار العادية تتغالى في شراء هذه الآثار كما ترى خزائن الكتب العامة والخاصة تتغالى في شراء الكتب القديمة لكبار العلماء المتقدمين . وان علماء هذا العصر في الغرب يشهدون لكثير من قدماء الحكماء والعلماء والشعراء بالفضل،ويعترفون بأن منهم من لا نظير له في هذا العصر ولا شبيه

وأما الانبياء ،وكبار القديسين والاولياء ،فلا يزال السواد الاعظم في بلاد الحضارة العصرية يفضلهم على جميع العلماء والحكماء المتقدمين والمتأخرين،ويعترف بما امتازوا به في أنفسهم وفي هدايتهم ، بل لا تزال مئات الملايين من شعوب أوربة وأمريكة تعبد واحداً منهم، فأين تذهبون ياأدعياء التجديد الالحادي ؟ وما شأن

من تقلدون من ملاجدة الافرنج الأفذاذ مع العلم بالنهضة الدينية الجديدة في أوربة وأمريكة التي أثارتها الحروب الاخيرة ؟

وإن كان كل جديد يحمد ويؤثر لجدته فماذا تقولون في هذه السموم الجديدة المخدرة للاعصاب، بل المفسدة لصحة الاجساد، المطفئة لسرج العقول، التي يوشك أن يهلك بها هذا الشعب، اذا لم تنجح حكومته فيما سعى اليه حكمدار العاصمة لدى عصبة الامم من صد تيارها ، وقطع الطرق الخفية على تجارها، ومن تقليل ماتصدره معاملها في أرقى بلاد أوربة في هذه المدنية المادية الفاسدة المفسدة

وأما أحدث نظام جديد للحكومات العصرية فهو النظام البلشفي الذي ترتعد منه فرائص دول الارض، وانما يتمنى له النجاح والانتشار بعض المتململين من إرهاق دول الاستعمار لهم ، ولكن غلاة التجديد الالحادي معجبون به ميالون اليه ، ولولا عقاب الحكومة لصرحوا ببث الدعاة له . ولو لم يكن من فوائده عندهم إلا هدم هداية الدين ، وتقويض أركان الفضائل وأصول الشرائع الالهية لكفى

القول الحق الفاصل في الجديد والقديم

والقول الحق في الموضوع انه لابد للبشر في كل عصر من القديم والجديد، وان في كل منهما الحسن والقبيح ، والنافع والضار، وان من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ومن هو أميل الى ذاك من اجناس الاشياء وانواعها، وقلما يفضلها لمحض جدتها إلا الاطفال، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال . وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح يرجحه عليه عملا بالقاعدة المنطقية في المتساويين . وانما تكون الجدة مرجحة في جزئيات النوع الواحد اذا كانت متساوية في سائر صفاتها ، فان الجديد يكون أزهى وأبهج وأثبت وأبقى . فمثال الجنس من الاثاث والماعون سرر النوم، ومثال النوع منه في المادة ذوات المعادن المختلفة ، وفي الشكل ذوات العمودين وذوات الاربعة الاعمدة . وجزئيات النوع منها افراده ، والعاقل لايختار شيئا منها لمحض جدته، انما يرجحه بسبب من اسباب الارتفاق والانتفاع به ، إما في ذاته وإما في أمر خارج عنه ، كالاقتصاد واللياقة والوطنية والقومية .

من مُثُل ترجيح القديم على الجديد الذي هو خير منه في نفسه وفي الارتفاق والانتفاع به، وراء المثل المعروفة من رخص الثمن وغلائه ومراعاة قدرة المقتني المالية ـ أن في دار الصناعة البحرية الانكليزية آلات بخارية لثقب حديد المدافع وغيره قد حدث بعدها آلات من نوعها تدار بالكهرباء هي خير منها قوة وسرعة ونظافة ـ وربما كانت اقل نفقة ايضا ـ وهم لايستبدلونها بها لان في استبدالها بها نفقة عظيمة لاتفي بها منفعتها . حدثني الدكتور يعقوب صروف انه رأى هذه الآلات وان الدليل الذي كان يطوف به هنالك قال له ان اليابانيين تعلموا منا صنع هذه الآلات في عصر الكهرباء فجعلوا آلاتهم كهربائية فكانت خيراً من آلاتنا هذه. وان بقاء حاجتنا اليها لايبيح لنا بذل النفقة الكبيرة التي يتقاضاها تغييرها

ترجيح ماهو وطني أو قومي على الاجنبي

وأما ترجيح كل ماهو وطني وقومي على غيره من جديد وقديم فهو ركن من أركان الحياة الاقتصادية والسياسية والأدبية في جميع الامم الحية، ولا سيما الانكليز الذين راعهم رواج المصنوعات الالمانية في بلادهم لرخص ثمنها، فألفوا عدة جمعيات للبحث في أسباب تلافي هذا . وقد سألت في بعض صيدليات برلين ومونيخ عن علاج افرنسي من العلاجات التي أحملها في السفر، وأقتنيها في الحضر، لعروض الحاجة اليها فجأة في بعض الاوقات، فكان الجواب في البلدين واحداً وهو « هذا لاتيني، هذا لاتيني » لم يقولوا انه غير موجود بل ذكروا سبب ذلك وهو انه من صنع اللاتين لا من صنع الجرمان . ثم استبدلت به علاجا ألمانيا خيراً منه فيما وضع له . ولو وجد علاج مصري أو عربي يقوم مقامهما لفضلته عليهما

بمثل هذه القومية والوطنية ارتقت شعوب الغرب بأبنائها البارين بأقوامهم، المعتزين بأوطانهم، فهم يفضلون كل ماهو لهم من صناعة وتجارة وتشريع وغير ذلك من مقومات الامم ومشخصاتها على ماهو لغيرهم، فأحكام قضاة الانكليز القدماء وقرارات ندوتهم من أصول التشريع عندهم، يحافظون عليه أشد من محافظتنا على الاحكام التي نؤمن بأنها منزلة من عند الله تعالى . بله الاحكام الاجتهادية التي

استنبطها أئمتنا من نصوص شريعتنا وقواعدها . وقد سبق أسلافنا الافرنج إلى الاعتزاز بما لهم من تشريع وغيره في صدر الاسلام . ومن ذلك ما وقع لعمر (رض) مع معاوية لما جاء الشام لابسا مرقعته، مرتحلا ناقته، إذ قال له معاوية: يا أمير المؤمنين ان أهل الشام قد اعتادوا ان يروا حكامهم في ملابس فاخرة فهم لا يهابون من يكون متبذلا في لباسه وزيه، فقال له عمر (رض) نحن جئنا لنعلمهم كيف نحكم، لا لنتعلم منهم كيف يحكمون

ومن ذلك أمره (رض) لقواده وعماله في بلاد الاعاجم بالتزام الزي العربي. فقد كتب الى عامله في بلاد العجم (عتبة بن غرفد) كتابا ينهاهم فيه عن زي الاعاجم، ويأمرهم بالمحافظة على عادتهم العربية ، ومما قاله في كتابه: تمعددوا! ـ أي تشبهوا بجدكم معد ابن عدنان في شدته وبأسه وخشونة معيشته ـ فالمعديون في العرب كالاسبرطيين في الاغريق ـ تمعددوا واخشوشنوا وابرزوا واقطعوا الركب (أي ركاب الخيل) وارموا الاغراض وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وإياكم وزي الاعاجم، الخ وقد حفظ العرب شخصيتهم القومية في الممالك التي فتحوها ماداموا متمسكين بهذه الوصايا وغيرها من مقوماتهم ومشخصاتهم ولا سيما لغتهم ودينهم، فكانت الامم تندغم فيهم وتتعرب وتسلم، ومن تركها منهم ذاب واندغم في غيره من الشعوب

وقد قلد الافرنج أجدادنا في هذه السيرة ولا سيما الانكليز. وأدعياء التجديد الالحادي يحاولون اقناعنا بان ننسلخ من ذلك كله حتى أحكام الميراث التي خالف الانكليز فيها جميع شرائع الامم كحيازة أكبر الذكور من الاسرة لجميع مايتركه أبواه من العقار دون سائر اخوته من بنين وبنات

احتقار الملاحدة والقبط للمسلمين بدعوتهم الى ترك شريعتهم

وأما نحن المسلمين في هذه البلاد فقد بلغ من احتقار أدعياء التجديد لنا أن يجهر الملاحدة والقبط بها على أعواد المنابر في المدارس الجامعة بدعوتنا إلى ترك ديننا وشريعتنا كلها، لا إلى ترك أحكام الارث وحدها ، ذلك بانهم احتجوا علينا بان الحكومة تركت أحكام شريعتنا في كذا وكذا من العقوبات والاموال فسكتنا لها وقبلنا حكمها، فيجب علينا اذاً أن نترك سائر ما شرعه الله لنا من الاحكام.

الشخصية في الارث والزواج والطلاق ، إذ لا فرق عند هؤلاء المفتين المجددين بين النوعين من أحكام الشريعة

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

بل لم يقفوا عند هذا الحد من احتقارنا بالطعن في شريعتنا الالهية الغراء، العادلة الكاملة البيضاء، من أعلى المنابر ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ، حتى زعموا أن جميع شباننا المتعلمين أو سوادهم الاعظم يوافقهم في آرائهم، ويدين لهم بالزعامة في تجديدهم ، بل استخف المسلمين أجرؤهم على الجهر بالسوء فيهم وفي دينهم [1] فطفق يشتمنا ويشتم كل من يدافع عن الاسلام في مصر وفي غيرها وهو من غير أصلاب الفراعنة آلهة المصريين الاقدمين، التي يوجب عليها في تجديدها أن ترجع إلى مدنيتهم وإن مرّ عليها ألوف السنين . ويخص الكتاب السوريين المسلمين بالقدح والتفريق بينهم وبين المصريين، فالمدنية الفرعونية الوثنية لا تنافي التجديد المطلوب لمصر عنده، وانما تنافيه الشريعة الاسلامية والحضارة العربية لانهما قد يمتان بالبتان بزعمه وزعم حزبه . وصرح في آخر مقال نشره في هذا الموضوع بان النعرة الدينية التي انتصرت بها مجلة المنار على مجلة الجامعة فقتلتها « فكان الشباب المصري هو الخاسر بذلك » قد زالت في هذه الايام بزوال سذاجة البلاد التي كانت « تجوز عليها هذه الاوهام » وحاول في هذه المقالة أن يجهز على هذه الاوهام الاسلامية ، بتحريك النعرة الوطنية المصرية الفرعونية ، التي تأبى دخول آل الرافعي في جنسية مصر ، ولعل تاريخهم فيها يقارن تاريخ بيت الملك ، وينفي بالاولى جنسية هذا الواقف بين أيديكم أيها السادة لان تاريخ هجرته اليها لا يزيد على ثلث قرن ، وهو يحرم عليكم قراءة مجلته المنار الاسلامي بل السماح ببقائها في

«١» هو شاب قبطي اسمه سلامه موسى شديد الشنآن للاسلام والطعن فيه من طريق الالحاد والاباحة والعصبية الوطنية الفرعونية أي القبطية. ولم أذكر اسمه في المحاضرة تنزها عن الاشادة باسمه ـ ومن غريب المشاكلة في الالحاد ان صاحب مجلة عربية من بيت كريم في سورية جاء مصر فكان هذا القبطي وبعض قرنائه الملاحدة محل مودته وإعجابه ومازال ينوه بهم في مجلته

مصر إذ يقول في آخر هذه المقالة : فلنفهم واجبنا ولنعلم أن الوطن خالد ، وأن شيوخنا وشباننا مصريون قبل كل شيء . عليهم واجب محتوم يقاضيهم إباه شرف البلاد . وهو أنه يجب أن تكون الصحافة المصرية صناعة مصرية لاتنحصر مصريتها في أن يكون قراؤها مصريين . بل يجب أن يكون أصحابها ومحرروها مصريين أيضاً » اه بحروفه .

ولهذا المجدد الذي كان أول داع إلى مساواة النساء بالرجال في الميراث في العهد الاخير من مجلته هـذه دعاية جديدة إلى بث دين البابية البهائية في مصر مع تصريحه بانه لا يؤمن به وتعليله ذلك بقوله « فان لنا من المزاج الادبي الفلسفي ما يجعلنا نتلمس لأنفسنا صوفية عالمية بغير الدين » (ولكن غرضه من الدعوة اليها صرف بعض المسلمين بها عن الاسلام لاضعاف جامعته الحائلة دون جعل مصر فرعونية اي قبطية محضا . ولم أصرح بهذا التعليل في المحاضرة)

أيها السادة

انني أذكر هذا لانه من موضوع التجديد والمجددين الذي نعالجه لبيان حقيقته ، والتمييز بين حقه وباطله ، ومحاولة اتقاء ضرره ، كما قدمت في أوائل هذه المحاضرة ، فأنا أمر بسبه وقذفه كريما بسلام كما الله أمر في القرآن [1] واتقي قول

---

(١) اشارة الى قوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقوله بعده (وإذا مروا باللغو مروا كراما) وقد فهم الجمهور من الآية الاولى أن فيها إشارة لطيفة لاسم سلامه هذا . وقد صرحت في المحاضرة بزيادة عما هنا ومنها طعن هذا القبطي بالامير شكيب أرسلان لدفاعه عن الاسلام ونبزه بلقب « وغد » وقلت إن الوغد في اللغة هو الدنيء من الرجال الذى يخدم بطعام بطنه . والامير شكيب نابغة بني أرسلان ، من سلائل ملوك العرب وأمرائهم من قبل الاسلام ، وهو يعيش في أوربة مع أهل بيته عيشة الكبراء ، ويزوره في داره ويأكل طعامه الملوك والامراء والوزراء . (وازيد الآن في هـذه الحاشية أن ممن ضافه داره في لوزان ملك الافغان السابق وخديو مصر السابق وغيرهما وآخرهم جلالة ملك العراق ومن كان معه في أوربة من وزرائه وحاشيته في صيف هذا العام)

رسول الله ﷺ « المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان » رواه الامام احمد والبخاري في الادب المفرد . ولا أريد أن أخوض مع الخائضين ، في مسألة القبط والمسلمين ، والعرب والفرعونيين ، وانما غرضي أن أنبه هذا الشباب المصري الاسلامي لما يتنازعه في دينه ولغته وثقافته من عوامل الالحاد والفرعونية ، برقيتي التجديد والوطنية ، لتجريده من هداية دينه وأدبه وتشريعه وعربيته وماله في الاسلام والعربية من تاريخ مجيد ، وماله باسلامه وعربيته من زعامة في مئات الملايين من البشر ، لتكون غاية ذلك أن يصير مسلمو مصر بنفوذ شبانهم ملاحدة حائرين ، يتلمسون صوفية علمية بغير الدين ، يتكلفون لمسها وهيهات أن يجدوها ، أو يكونوا بابيين يعبدون البهاء دفين عكاء ، أو نصارى كسادة وطنهم من القبط وأعوانهم يعبدون المسيح عليه السلام .

وكل هؤلاء الدعاة إلى التجديد الالحادي يعتقدون أن هذه هي العاقبة الطبيعية للالحاد ، كما قرره أحد كتاب فرنسة المستعمرين في كتاب جديد له رددت عليه في المنار . قال ماخلاصته ان تنصير المسلمين تنصيراً مباشراً من المحال ، وانما الطريقة المثلى لذلك إفساد دينهم عليهم بالالحاد ، ولما كان من المحال أن تعيش أمة بغير دين كانت العاقبة بعد زوال كل أثر للاسلام من أنفسهم ، أن يختاروا دين الغالبين السائدين فيهم وفي غيرهم ، وهو النصرانية .

وقد رأيتم في هذه الايام كيف جدد الاستاذ عزمي دعوة الاستاذ سلامه موسى إلى نبذ حكم القرآن في الميراث وكيف قام الدكتور فخري يعزز هذه الدعاية ، وسمعتم وقرأتم مايحتجون به على المسلمين ويقنعون به شبانهم الغافلين ، عما يراد بهم . وهو ان ترك الحكومة من قبل لبعض أحكام الاسلام المدنية والجنائية يوجب عليهم أن يتركوا سائر أحكامه حتى المسائل الشخصية (لها بقية)

---

(١) كان بعد هذا ان دعتني لجنة الخطابة والمناظرة في الجامعة المصرية الى مناظرة في المفاضلة في هذا الموضوع (المفاضلة بين المدنيتين العربية والفرعونية) فكان لي الفلج بترجيح العربية على الفرعونية وتقدم ذكر هذا في المجلد الماضي من المنار (٣١)

المناظرة بين أهل السنة والشيعة

قد اطلع قراء المنار في الجزء الثامن (م ٣١) على الكتاب الذي نشرناه للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين من أشهر علماء الشيعة الامامية في هذا العصر الذي يطلب المناظرة ـ وعلى اجابتنا إياه الى طلبه وما اشترطناه فيها ، وقد جاءنا بعد ذلك الرسالة الآتية منه فاذا هو لم يلتزم فيها الشروط فكان لنا أن نطلب منه حذف ما ليس من الموضوع الذي حددناه وان كان يمت اليه بنوع من انواع القرابة او المناسبة ، واذا يظن في الظنون ، و يفتح له باب من النقد يقبله الكثيرون . وانني أنشر له هذه الرسالة على كون أكثرها خارجا من دائرة الموضوع ، ومنتقدة من عدة وجوه ، و إعلانا عن كتابه بالاحالة عليه و بيان موضع بيعه ورخص ثمنه . ولكنني أعلق عليها تعليقا وجيزا اعود فيه الى تحديد موضوع المناظرة ولا أقبل بعده كلمة تخرج عن حدودها وهذا نص رسالته

﴿ الرسالة الاولى للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جرت مناظرة بيننا وبين الاستاذ العلامة الامام حضرة صاحب مجلة المنار الغراء ونال كل منا صاحبه بما جرحه فرأينا أن ذلك يحول دون الغرض الذي يؤمه أهل الدين والعقل من احقاق الحق وجمله الضالة المنشودة لهم فكتبت اليه راجياً منه فتح باب في المجلة نذكر فيه المسائل الهامة بين الطائفتين ورأي كل منهما ودليله

فحقق رجائي وكان عند حسن ظني وأتحفني بكتاب ملأه حنانا وغيرة على الدين وأهله، ولا عجب إذا جاء الشيء على أصله وخرج الجوهر من معدنه

وأرجو ببركة هذه المجلة ونية صاحبها أن نقف على فوائد جمة ونهتدي إلى كثير مما خفي علينا علمه ومعرفته، فنحن بلسان أهل الحق والفضل نشكره شكراً جزيلا

ودع عنك قول بعضهم دعوا البحث فيما يتعلق بالدين والمذهب وهلم إلى التعاون على توحيد الكلمة وجمع الامر قبالة المستعمرين

فان ذلك لغو من القول وخطل من الرأي وكأنها مقالة من لا يرى الاسلام

ديناً، ولا يرى ان هناك حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة ، وانما يرى الاسلام رابطة قومية وجامعة سياسية فهو يدعو اليها ويحض عليها وهذه الدعوى لاتجدي نفعا عند من يرى الاسلام دينا ويتقرب إلى الله سبحانه بنصرته ومعاداة من يمسه بسوء.

فالدواء الناجع إذاً لتوحيد كلمة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد هو سعي عقلاء العلماء (أي علماء الدين) من كلتا الطائفتين إلى محل الخلاف وفحصه وازالته بالبرهان واصغاء كل منهما لحجة الآخر وتحكيم أهل الفضل والانصاف، ولا ينبغي وضع هذا العبء على كاهل العلماء فحسب

بل على العقلاء ممن يهمهم أمر المسلمين القيام مع العلماء مراقبين سيرهم في المناظرة فان الحق لايخفى على طالبه، وانني لاانكر أن يكون في علماء الطائفتين من تهمه نفسه ولا يميل إلى الاتفاق لما اعتاده من التعصب الاعمى فعلى العقلاء من كلتا الطائفتين رفض اولئك والتنبه لهم

وليت شعري كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف

ان الشيعة من المسلمين يرون ان من أرسى قواعد الاسلام وأقوى دعائمه موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم ، وان المنحرف عنهم النابذ لحديثهم المهتدي بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين ، ويرون ان أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم بنبذهم علمهم وحديثهم واعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين

وان المسلمين من أهل السنة يرون ان أرسى قواعد الاسلام واوثق عراه موالاة أصحاب رسول الله جميعهم والعمل بكل ماحدثوا به لانهم حملة الدين وحفظة الوحي ومبلغوه إلى الامم فالمنحرف عنهم التارك لحديثهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون ان الشيعة منحرفون عن أصحاب رسول الله ﷺ لتركهم حديثهم وانقطاعهم الى أهل البيت فهم على غير سبيل المؤمنين

فعلى هذا كيف يشترك المستمسكون بالدين منهما بالعمل باخلاص و نصح مالم يقع التفاهم بينهم ؟

فلو أن شخصين متعاديين سارا في طريق واحدة لم يجدهما نفعاً إظهارهما المجاملة وقول كل واحد منهما لصاحبه : دع العداء بيننا جانباً وهلم فلنكن يداً واحدة على من سوانا . فان ذلك غير مستطاع لهما ، واعتمادهما في التعاون على ما أظهراه من المجاملة والاتفاق غرور وأمان باطلة ، فلو ظفر بهما عدو لهما على هذا الحال ثم استعان بكل واحد منهما على صاحبه لأعانه

فعلى هذين الرفيقين أن يقتلعا سبب العداء من عروقه ويعترف كل واحد منهما لصاحبه بما جناه ويعطيه بيده ليأخذ بحقه حتى يرضى ، وعندها تذهب الشحناء ويحل محلها الود والاخاء

أما انا فهذه يدي رهن بما اقوله معطاة لمن يريدها وما توفيقي إلا بالله

﴿ علم علي وعمر (رض) بالدين والقضاء ﴾

ذكرت مجلة الشبان مقالا وهو ان عمر كان أعلم الصحابة بالدين وأفقههم فيه [1] وردته مجلة العرفان بقولها : ان هذا مناف لقول النبي ﷺ «أقضاكم علي» وقوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ولقول عمر : لولا علي لهلك عمر ، ولا بقيت القضية ليس لها أبو الحسن . ورد الاستاذ العلامة صاحب المنار في الجزء الرابع من المجلد ٣١ ص ٢٩٥ هذه الادلة وعنون المسألة بهذا العنوان

وحاصل الرد ان ماروي عنه ﷺ من الحديثين غير صالح للاستدلال به لعدم صحة ماروي وعلى فرض صحته لا دلالة فيه على المطلوب اذ كون علي اقضى لا يمنع أن يكون عمر أعلم لان القضاء أعني فصل الخصومة لا يحتاج الى كثير علم [2] وانما يحتاج الى ذكاء وفطنة فبين الأعلم والأقضى عموم وخصوص من وجه . وكذلك جعل علي (ع) باب مدينه العلم لا يوجب الحصر لجواز ان يكون للمدينة ابواب كثيرة منها علي (ع) ومنها عمر (رض) ومنها غيرهما . وكذلك قول عمر انما جاء على نحو التواضع . ثم أطال البحث في احوال الرواة لهذين الحديثين وتضعيفهما

(١) المنار : الصواب ان مجلة الشبان المسلمين نشرت مقالا في عمر (رض) فيه كلمة بهذا المعنى ولم يكن هذا موضوع المقال (٢) لم نقل انه لا يحتاج الى كثير علم

أقول : ماأحسن المناظرة اذا كانت بآدابها ، وصحت نية أربابها وكان الحق ضالتهم ، والبرهان قائدهم

ولنغض عما في هذا الجزء من الشتم والتجهل كما تضمنته رسالة ابن تمية ، ومقالة الاستاذ التي عنوانها (السنة والشيعة وضرورة اتفاقها) فانها كتبت قبل الصلح والمسالمة . وقبل الخوض في البحث نقدم بيانا يعلم منه مناظرنا كيف يسير معنا في المناظرة

رأي الشيعة في الخلافة

ان المسلمين من الشيعة يرون أن الخلافة أصل من اصول الدين كالنبوة وان نصب الخليفة واجب على الله عقلا من باب اللطف كوجوب إرسال الرسول ويرون ان الخليفة لابد أن يكون أكمل اهل زمانه في جميع فنون الفضل كالنبي وان امتاز النبي ﷺ عن الخليفة عندهم بأمور كثيرة . ويرون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو علي أمير المؤمنين (ع) فهو أفضل أهل زمانه

رأي السنة في الخلافة

ان المسلمين من السنة لايرون الخليفة بهذه العظمة فهي عندهم فرع من فروع الدين فيجب على المسلمين ان يختاروا من بينهم خليفة ولا يشترطون امتيازه عن غيره في الفضل والصلاح ولعل اكثرهم لايشترط فيه الصلاح والعدالة

فاذا عرفت ذلك ظهر لك ان الشيعة حين ينكرون ان يكون احد من الصحابة أفضل من علي (ع) او مساويا له انما هو لمنافاته لأصل الدين وقاعدة المذهب عندهم وقد فرغوا من اثباته بالحجج القاطعة والبراهين العقلية والنقلية وألفوا في ذلك الكتب المطولة ، فمن يجهل رأيهم في الخلافة ولم يطالع ماكتبوه في ذلك مع وفوره وقرب مناله يظن أن ذلك منهم غلو في علي وانحراف عن غيره وليس كذلك

إن العالم الشيعي ينظر إلى التفاضل بين علي (ع) وعمر (رض) كأهم مسألة دينية والعالم السني ينظر إلى التفاضل بينهما كمسألة تاريخية ، وحيث كان البحث في التفاضل من الوجهة الدينية يحتاج إلى البحث في أصل الامامة وهي مسئلة ضافية الذيل فسيحة الارجاء لاتسعها هذه العجالة فلنبحث الآن عنها من الوجهة التاريخية ونعرض

ماعندنا في ذلك على أهل الفضل والانصاف

انني وأيم الحق لم يكن يختلج في صدري ان أحداً من أهل الفضل يقدم أحداً من الصحابة على علي (ع) في العلم أو يساويه فيه ، وكنت أرى أن هاتين الصفتين أعني الشجاعة والعلم قد كملتا فيه وامتاز بهما عند أوليائه وأعدائه ، وان صفة العلم فيه أظهر من صفة الشجاعة لسبقه فيها سبقا بعيداً

هذا كتابه قرآن العارفين وفرقان السالكين تتجلى آياته وتتلألأ أسراره، وما أخال حضرة الاستاذ يرتاب فيه كغيره بعدما أورده أستاذه ذلك الحبر الكبير النمير العذب من مشاربه ، وأوقفه على تلك الالاهيات عن عجائبه

اننا لعمر الحق أبعد المسلمين عن العصبية ، وأقربهم للاتفاق ، وأحبهم للانصاف ، وما الحيلة في ترك ولاء هذا الرجل (أعني أمير المؤمنين علياً) وقد تجلى لنا تقدمه في الفضل على كافة أصحاب رسول الله ﷺ وسبقه لهم فيه سبقاً بعيداً ، واننا لنعجب لبعض العلماء من اخواننا السنيين كيف لاينصفوننا في علي (ع) ولا يرون رأينا فيه ، وما لنا لا نعجب ؟ وانما هذا الفضل له أخذناه منهم ، ورويناه عنهم

فمن عدم انصافهم ماذكره هذا البعض من ان عمر أعلم الصحابة ومنهم علي (ع) وهنا موقف الحيرة فان سكتنا كان ذلك اقراراً منا بالخطأ وفساد المذهب، وان أوضحنا الحق في المسألة ونصرنا رأينا قامت القيامة علينا ورمينا بالرفض والغلو والتعصب على أكابر الصحابة

لكننا نؤثر احقاق الحق ونحتمل في سبيله كل مكروه ولعلنا لانعدم من اهل الفضل والانصاف أنصاراً ومحكمين

اعلم أيها الاخ المنصف ان لنا على تفضيل علي على عمر (رض) وعلى كافة الصحابة (رض) براهين قاطعة من طريق العقل ومن طريق الرواية أما من طريق العقل فيحتاج ذلك الى معرفة الزمان الذي تلقيا فيه ذانك التلميذان العظيمان (أعني عليا عليه السلام وعمر رضي الله عنه) العلم عن معلمهما أعني رسول الله ﷺ ومقداره ومنزلة كل واحد منهما من الفطنة والذكاء وعندها تصدر الحكم غير مرتاب

زمن اسلام عمر رضى الله عنه

أسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من بعثته ﷺ وعمره ست وعشرون سنة فعليه يكون قد قطع مرحلة من عمره في غير طلب العلم لا يستهان بها فاذا أضفت اليها ثلاث سنوات لم يلق عمر فيها رسول الله ﷺ الا نادراً وذلك عند حصار قريش لبني هاشم وبني المطلب في شعب ابي طالب رضي الله عنه تراه قد خسر أكثر رأس ماله الذي يتجر به الانسان في كسب العلوم والمعارف وذلك ظاهر

لان الزمان الذي يستفيد منه المرء ويتعلم به هو زمان الصبا والشبيبة وبها تكون القوة الذاكرة والحافظة في منتهى النمو والنشاط والاستعداد لتلقي العلوم والمعارف

وما سمعنا بمن طلب العلم عند بلوغ هذا السن أعني تسعا وعشرين سنة وبرع فيه وان كان ثمة أحد فهو من شواذ الطبيعة ومنكر ذلك مكابر وحائد عن طريق الانصاف

خصوصا في الصدر الاول أعني زمن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقد كان الاعتماد على الحفظ والذاكرة ولم تكن يومئذ المعلومات تدون ليؤمن تفلتها وضياعها فكان أعلمهم أكثرهم حفظا وأقواهم ذاكرة ولولا حرص التابعين على حفظ الحديث وتدوينه لما وصل الينا من علمهم شيء

ولقد كنت زمن شبيبتي أتعجب من كل من يقول نسيت فاني لم أكن لأنسى شيئا سمعته او قرأته وبعد بلوغي الثلاثين انقلب الامر وأصبحت أعجب ممن يحفظ ولا ينسى ولم يبق في ذاكرتي غير ما استودع بها زمن الصبا والشبيبة وما شكوت هذا الداء لاحد من أبناء جيلي الا وشكا لي نفس ذلك الداء الذي أشتكيه

ويؤيد ذلك ماروي في سيرة عمر رضي الله عنه انه لبث في حفظ سورة البقرة وتعلمها اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا (١)

(١) روى ذلك العلامة المتبحر عز الدين بن أبي الحديد في شرح النهج جزء ٣ صفحة ١١١ وهذا الكتاب جليل القدر جم الفوائد يدل على غزارة علم صاحبه وتقدمه في كثير من فنون الفضل ولا سيا الحكمة والكلام والتاريخ والحديث والادب وهو شديد الولاء لعمر رضي الله عنه طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٩

ولم يكن عمر رضي الله عنه يعرف بالصحبة لرسول الله ﷺ والاتصال به قبل اسلامه ليستفيد من علومه

زمن تعلم علي عليه السلام

لايرتاب أحد ممن راجع أحوال الصحابة وقرأ تاريخ حياتهم في ان رسول الله ﷺ ضم عليا اليه وأخذه من أبيه وهو ابن أربع سنوات (١)

وهذا هو اول الزمن الذي يتأهل الغلام فيه لتعلم مبادىء العلوم وتلقي بذور الاخلاق الطيبة والطباع الفاضلة ، ويا ما أسعد ذلك الغلام الذي يظفر بمثل ذلك المعلم في مثل ذلك الزمان وينقطع اليه عن أبيه وأمه واخوته وكل أبناء جيله ثم لايفارقه مدة حياته بخ بخ لهذا الغلام

ومن يستطيع تحديد ما استفاده ووعاه قلبه وطبعت عليه نفسه من العلوم والاخلاق

وقف القلم ههنا بعد نخوته معترفا بالعجز عن هذه المهمة من التحديد فأين ربانيو هذه الامة والراسخون في العلم منهم عن تحديدها وبيان مقدارها ؟

مل بنا نحو تلك الخلوات التي كان يكون بها مع معلمه ﷺ قبل بعثته .

كان رسول الله ﷺ قبل بعثته قد تيمه الوجد وأورثه ذلك وحشة من الناس وأنسا بالخلوات والانقطاع عن هذا الخلق المتعوس المتردد في دياميم الجهل والشقاء، النائي عن الخير والسعادة، فكان يجاور في كل سنة بحراء ومعه هذا الغلام

(١) ذكر الامام الحافظ ابن حجر في الاصابة صفحة ٥٠٤ ان عليا ربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وكذلك كافة المؤرخين ممن عرفناهم كالطبري وابن الأثير وابي الفداء وقد أشار عليه السلام الى ذلك بخطبته التي تسمى بالقاصعة بقوله وقد تعلمون موضعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني الى صدره ويكنفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ شيئا ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر امه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري الخ وقد أشبعنا ذلك بيانا في الجزء الاول من كتاب الكلمات ص ٤١ فمن شاء فليراجعه ويطلب من ادارة العرفان من صيدا بقيمة زهيدة

الشهرين والثلاثة يريض تلك النفس الزكية ويؤهلها لوصل ذلك الحبيب الذي هام به

وكان علي عليه السلام يهيم بذلك الحبيب كهيام معلمه ويشاركه في خلواته به وانسه بقربه وتلقي فيوضاته وألطافه لاثالث لهما

فأين الاصحاب رضي الله عنهم عن تلك المراتب السامية من هذه المكاشفات والمشاهدات لخالقهما التي كانت تتجلى في قلبيهما وتتلألأ على طور سينا نفسيهما ولا نعجب بعدها من أمر هذا الغلام كيف فارق أهله واخوته واترابه وانقطع الى معلمه ولم تمل به الحداثة الى الاخذ بنصيبه من اللعب واللهو وهو منتهى لذة الاحداث وقصارى رغبتهم

فلقد ملىء قلبه بحب خالقه ولم يبق فيه فراغ لسواه فسبحان واهب العطاء يختص بكرامته من يشاء ، أتظن رعاك الله أن ساعة من الزمن كانت تمر على هذا التلميذ بغير فائدة من ذلك المعلم الحريص (١) على التعليم

فلو ادعى مدع كهذا التلميذ بعد وفاة معلمه انه وارث علمه أتكون دعوى غلو ومجازفة ام دعوى حق وانصاف ؟

وقد تبين مما ذكرنا أن عليا عليه السلام تعلم العلم من رسول الله ﷺ زمن الصبا والشبيبة بخلاف عمر رضي الله عنه وان عمر ابتدأ بالتعلم من رسول الله ﷺ مع علي بعد أن سبقه وتعلم قبله بخمس عشرة سنة على أقل ماروي من عمره يوم بعثته ﷺ وهو عشر سنين ، وأما على ماروي من أن عمره يوم البعثة كان خمس عشرة سنة فيكون قد سبقه بعشرين سنة فما يقال لهذا التلميذ الذي دخل المدرسة وابتدأ بالتعلم وهو ابن تسع وعشرين سنة ولم يكن (٢) معروفا بحدة الذهن وتوقد

(١) روى في كنز الاعمال على هامش مسند احمد ص ٤٣ ان عليا سئل عن كثرة ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني

(٢) روى المحدث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد بن سعد في الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبي هريرة قال قدمت على عمر رضي الله عنه من عند ابي موسى بثمانمائة الف درهم فقال لي بما قدمت ؟ قلت بثمانمائة الف درهم فقال لي ألم أقل لك انك يمان أحمق انك قدمت بثمانين الفا . فقلت ياأمير المؤمنين انما قدمت =

القريحة ، ثم صحب تلميذاً شابا قد تعلم قبله بخمس عشرة سنة وداما يتعلمان مدة حياة معلمهما ، فهل يجوز في أحكام العقول عند اهل الفضل والانصاف أن يلحق الكهل بذلك الشاب ويفوقه بالعلم والمعرفة خصوصا إذا كان الشاب أقوى فطنة وأكثر ملازمة وانقطاعا إلى المعلم ؟ كلا ثم كلا

وهذا لعمري من البديهيات الاولية ، واعلم رعاك الله أيها الاخ المنصف اننا هنا لا نعتمد في تفضيل علي عليه السلام على كافة الصحابة رضي الله عنهم إلا على أمثال هذه البراهين القاطعة والامور المحسوسة التي سجلها التاريخ وأوضحها البحث والتنقيب والتدبر . اما الاحاديث التي وردت في فضله عليه السلام فانما نذكرها تأييداً واستظهاراً قبالة الخصم، وهذه طريقتنا في الاصحاب رضوان الله عليهم لا نعتمد في فضلهم وصلاحهم على ماروي فيهم حتى نرى مادون لهم في التاريخ من الاعمال ، فان كان ثمة عمل يؤيد ماروي فيهم آمنا وصدقنا ، والا اتهمنا الراوي ولم نؤمن بحديثه

ولسنا بحمد الله ممن يبخس الناس أشياءهم ، بل نعطي كل ذي حق حقه وننعت المرء بما هو فيه ، ان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وجهة كان يؤمها ، وغاية كان يسعى اليها هي من أشرف الغايات وأعلى المقاصد

= بثمانمائة الف درهم فجعل يعجب ويكررها فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم ؟ فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانية

وروى أيضا انه قرأ قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال ما الاب هو التكلف فما عليك أن لاتدري ما الاب . وروى احمد في مسنده ان عمر رضي الله عنه لم يعرف حكم الشك في الصلاة صفحة ١٩٠

وروي فيه أيضا انه امر برجم مجنونة زنت فانتزعها منه علي عليه السلام وأخبر عمر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن الصبي حتى يكبر وعن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يعقل » فرجع إلى قوله وروى ابوالفرج في الجزء الثانى من كتابه الاغانى صفحة ٥٣ ان الزبرقان ابن بدر شكا الى عمر رضى الله عنه الحطيئة الشاعر حين هجاه فقال ماقال لك فانشده

دع المكارم لاتنهض لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فقال ماأراه هجاء فقال بل هجاني ياأمير المؤمنين فسال حسان فقال بل سلح عليه

ألا وهي اعزاز الاسلام واظهار أبهته وعظمته وتفخيم سلطانه ، فمن ذلك يوم أسلم قال لايعبد الله بعد اليوم سراً فكان المسلمون بعدها يصلون ظاهرين

ومنها انه أشار بان يتخذ لرسول الله ﷺ مكاناً يمتاز به عن أصحابه ليعرفه الغريب والوافد ولا يحتاج إلى أن يسأل عنه فان في السؤال عن العظيم مالا يخفى

ومنها انه أشار بأن تحجب نساؤه ﷺ ليكون لها الميزة عن سائر النساء ولقد قال لبعض نساء رسول الله ﷺ وقد رأى شخصها في ملأ من الناس لو اطعت فيكن مارأتكن عين

ومنها انه أشار بقتل الاسرى يوم بدر حتى لاتقوم لقريش بعدها قائمة فان الاسرى كانوا هم الرؤساء والقادة ، وكان يسأل رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتل كل من يداهن في دين الله ، وكان شديد الحرص على قتل ابي سفيان لما رآه من شدة كيده للاسلام ، وكان يوم الحديبية شديد الانكار للصلح قال يارسول الله ألسنا بالمؤمنين ؟ فقال نعم فقال أليسوا بالمشركين ؟ فقال نعم فقال فكيف نعطي الدنية من ديننا ؟ حتى سكن ابو بكر من هيجانه فقال له والله انه لرسول الله ، فقال عمر وأنا أعلم والله انه لرسول الله، فقال له اذن فالزم غرزه

وهذه الاعمال مانشأت إلا عن نية صالحة وحرص شديد على اعزاز الاسلام وتشييد سلطانه ، ولو أردنا ذكر الاعمال التي قام بها ايام خلافة ابي بكر رضي الله عنه وايام خلافته التي أعزت الاسلام وارست قواعده ونشرت على البسيطة اعلامه ، وطبقتها بسلطانه، لضاقت عنها بطون الصحف واستغرقت زمنا طويلا فجزاه الله عن الاسلام وأهله خيرا

صاحب الكلمات

النبطية (سوريا) عبدالحسين نورالدين الحسيني

[المنار] يؤخذ من هذه الرسالة الفصيحة الصريحة المجردة من لباس الرياء والتقية ان كاتبها يعتقد ما يأتي

(١) ان توحيد كلمة المسلمين واتفاقهم على الدفاع عن دينهم المشترك وعن أنفسهم وعلى حقوقهم السياسية والوطنية وغيرها يتوقف على زوال الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة، برجوع أحدهما الى مذهب الآخر الذي هو سبيل المؤمنين

عنده ، ومن لم يتبعه يكون غير متبع لسبيل المؤمنين . وأنه يجب على الآخر حينئذ عداوته في الدين ، وعدم الاتفاق معه على شيء ، ولو كان دفع عدو لهما كليهما ، بل ان شأنهما أن يعين كل منهما عدو الآخر عليه ، وكذا عدوهما كليهما ، أي ان مظاهرة عدو الدين والوطن والاتفاق معه أولى من مظاهرة عدو المذهب والاتفاق معه

(٢) ان الوسيلة الموصلة الى هذه هي سعي علماء الدين من الفريقين الى ازالة أسباب هذا الخلاف بالبرهان ، واصغاء كل منهما الى حجة الآخر في المناظرة وتحكيم أهل الفضل والانصاف بينهما فيما لا يتناصفان فيه

فأنا قبل الدخول في هذه المناظرة أقول ان اهل السنة ينكرون توقف الاتفاق على ما ذكر . وان العقلاء من جميع الامم ينكرون إفضاء المناظرات الدينية والمذهبية إلى رجوع اهل المذهب الذي يغلب عالمه في المناظرة الى مذهب الغالب كما يعلم بالاختبار في جميع العالم . ويؤيده فينا ان المناظرات بين الفريقين قد كثرت وتعددت في الاجيال الماضية وفي جيلنا مرارا لا يحصيها الا الله تعالى ، وقد ألف فيها كتب كثيرة من بسيط ووسيط ووجيز ، فلم تزد السواد الاعظم من الفريقين الا تعصبا لمذهب ، وصدودا عن مذهب الآخر . فكانت مفرقة لا جامعة ، ومبعدة لا مقربة ، وانما تفيد المناظرات أفرادا من مستقلي الفكر في طلب الحق ، غير المقيدي الفكر والوجدان بالاذعان لمذهب معين لا ينظر الى غيره الا بعين العداوة والبحث عما يفندونه بالتأويل والتحريف ، وترجيح مذهبه عليه بمثل ذلك ، وبالاقيسة المؤلفة من الخطابيات والشعريات المبنية على الظني وما دون الظني من الروايات ، ووصفها بالبراهين اليقينيات ، كما يراه قارىء هذه الرسالة في تصوير مناظرنا لتلقي علي عليه السلام العلم من النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها بأنه كان كتلقي تلاميذ المدارس الفنية الدنيوية للفنون فيها بحفظ المتون والقواعد الرياضية من حساب وهندسة ومساحة وفلك واللغوية والعقلية والتشريعية ثم حكمه بأن السابق الى هذا التلقي يجب بحكم العقل أن لا يدرك شأوه اللاحق. وفي هذا البحث من الاغلاط الدينية والتاريخية والعقلية والمنطقية والطبيعية ما لا يمكن بسطه وإيضاحه إلا في صفحات كثيرة أو رسالة مستقلة ، وسأشير الى المهم منه بعد

وانما غرضي الآن أن أحتج على صحة ما اشترطته على السيد المقترح للمناظرة من وجوب الاقتصار في المناظرة على مسائل الخلاف الاساسية . وهي ثلاثة (١) موالاة أهل البيت النبوي وأهل السنة يوجبون هذه الموالاة بما يفهمونه ويرونه موافقا لهدي الشريعة (٢) موالاة أصحاب الرسول وأهل السنة يوجبونه على غير الوجه الذي ذكره كما سنبينه (٣) الخلافة . فيجب تحرير موضع الخلاف فيها أولا ، وتحديد طريقة الاستدلال عليها ثانيا ، والاتفاق على طريقة التحكيم في الخلاف والمحكمين ثالثا

بيد أنني احب ان أعلم قبل هذا هل يوافق كبار علماء الشيعة في سورية والعراق والهند وايران مناظري الفاضل على قوله انه لا يمكن الاتفاق بين اهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية السياسية والوطنية والادبية المشتركة المنفعة الا اذا اتفقا قبل ذلك على رجوع احدهما الى مذهب الآخر فيما اختلفا فيه من المسائل الاساسية، والا كان دين كل منهما يقضي عليه بعداوة الآخر على الوجه الذي قاله هذا العلامة الشجاع منهم والتعليل الذي علله به ؟

ان هذا رأي لم نسمعه من غيره ولكن سيرة الشيعة وتاريخها قد يؤيده ويدل عليه ،وانه لا صرح رجل عرفته فيهم ،ولذلك كبرت منزلته في نفسي على ما اعتقد من خطئه واغلاطه وان ماقرأته من كتابه الكلمة الاولى يدل على أنه رجل شعور ووجدان ، لا رجل تجربة وبرهان ، ولولا ذلك لم يعقد أوكد الايمان ، انه لولا علي بن ابي طالب عليه السلام ، لقتل رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ، ولما بقي في الارض إسلام ، ثم انه يسمي في رسالته هذه كتاب نهج البلاغه » بالقرآن والفرقان » ويقول ما يراه القراء في شرط الاتفاق وزوال الشنآن

فأقترح على مناظري العلامة وعلى زميلي الاستاذ صاحب مجلة العرفان ان يأخذا لي تصريحا من علماء الشيعة المشهورين في جبل عامل وغيره من سورية والعراق في رسالة السيدعبد الحسين ولا سيما شرطه هذا ، بل أكتفي برأي علماء جبل عامل وحدهم في ذلك ونشر ذلك عنهم في مجلتي المنار والعرفان . وسأرد في الجزء الآتي على هذه الرسالة على كل حال .

مصابنا بالوالدة رحمها الله تعالى

بعد ظهر اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر قد احتسبنا عند الله تعالى والدتنا ومربيتنا وجرثومة اسرتنا السيدة البرة الرحيمة التقية النقية الشريفة (فاطمة أم رشيد) الحسنية الأب والأم في منتصف العشر التاسع من عمرها، ففقدنا بفقدها أماً يندر وجود مثلها في الامهات ، والامهات أفضل ما في هذه الكائنات، حبا ورحمة وإخلاصا ونصحا وإيثاراً للاولاد على النفس مهما تكن صفاتهم وأحوالهم (إلا من أفسدت البيئة فطرتها، وذهب الجهل ومعاشرة الفاسقين او الخرافيين بدينها) فلا حب فوق حب الأم إلا حب الله تعالى لعباده المقربين ، ولا رحمة تعلو رحمتها إلا رحمته عز وجل للمحسنين ، بل رحمتها أكبر شجنة من رحمته الواسعة عز وجل، فقد فقدنا من كانت عندنا ومنا وفينا أفضل المخلوقات ، من لا يفضلها شيء ، ولا يغني عنها شيء ، الا رحمة الله تعالى وصلواته على الصابرين ، وبره واحسانه للبارين المحسنين ، ونرجو أن نكون منهم في برنا لأمنا في حياتها ، وصبرنا واحتسابنا لها بعد وفاتها ، ونسأله تعالى أن يجزيها عنا افضل ما جزى أماً لعباده رؤما لأولادها ، رؤفا بهم ، عطوفا عليهم ، محسنة لتربيتهم ، وأمة من امائه ، مؤمنة به ، موحدة له ، مخلصة في عبادته ، وأن يتغمدها برحمته التي يختص بها عباده المقربين ، ويرفعها الى منازل الكرامة في عليين ،

كانت رحمها الله تعالى صحيحة البنية سليمة من الامراض، إلا أنه عرض لها ألم الرثية (الروماتزم) في ركبتيها بعد مجيئها الى مصر منذ بضع عشرة سنة ، فعالجها "طبيب التركي الشهير شرف الدين بك رحمها الله تعالى بصبغة اليود دهانا وشربا، فزال المرض وحجت في موسم سنة ١٣٣٤ وانا في خدمتها فلم يزعجها شيء من ركوب الشقادف والنزول منها ، واحتملت ما ارهقنا من نوء البحر في عودتنا من الطور الى السويس في باخرة صغيرة وبسهولة

وصامت معنا رمضان الماضي بدون تعب ولا ضعف، وكانت تفطر وتتسحر من طعامنا القوي التغذية فلا تشكو منه ثقلا ولا طسىً ولا سوء هضم ،

وتصلي معنا في جماعة الاسرة ، ثم تغيرت صحتها عقب عيد الفطر واشتكت واختلف على معالجتها عدة من نطس الاطباء أشهرهم سليمان بك عزمي فخف المرض ولكنها ضعفت بالتدريج واشتد تعبها في آخر ليلة من حياتها الشريفة الراضية المرضية ، وقد صلت الفجر والظهر يوم وفاتها في وقتهما بالايماء ولم تقبل أن تؤخر الظهر لتجمعها مع العصر كما أفتيتها في مثل هذه الحال ، وفاضت روحها في الساعة الثانية بعد الظهر

وكانت التي تتولى خدمتها الخاصة وتمرضها في كل أيام مرضها كنتها ام أولادنا حتى انها كانت تسهر بجانب سريرها مادامت تعبة محتاجة الى شيء من الخدمة وتنام بجانبه عند الحاجة ، وقد قلت لأم محمد شفيع غير مرة ان كل خدمة تؤدينها للوالدة فكأنك تؤدينها لشخصي ، لأنك نائبة فيها عني ، فانني أنا الخليق بأن اقوم بذلك بكل ارتياح مهما يكن نوعه ، فلا عذر لك في شيء من التقصير الا اذا كنت أنا مقصرا معك في شيء ما — وهي بحمد الله واتباعنا لهداية دينه القويم لا تشكو مني شيئا ما — ومن فضل الله علينا جميعا انني لم أر منها ادنى تقصير فارشدها الى تلافيه ، وقد قلت لها انني لا أشكر لك خدمة الوالدة لجنس الخدمة ونوعها ، فان هذا من التكافل المشترك في حياتنا المنزلية ، وانما أشكر لك من أعماق قلبي أنني لم أرك في شيء من هذه الخدمة متبرمة ولا ضجرة ،

فهذا الارتياح النفسي لهذا العمل الشريف من الفضائل النفسية لا تكاد توجد في الكنائن ، بل قلما تتحلى بها ابنة في تمريض امها في هذا العصر الذي كثر فيه العقوق ، وهضم الحقوق . فأقسمت إنها تشعر في خدمتها بارتياح من تخدم ابنة لها الأما ، ولقد كانت المرحومة خيرا لها من امها ، وأشد تحريا لسرورها من بنتها فلو كانت أمها معنا لما استطاعت أن تؤلف بيننا مثلها . فانا أسجل هذا في المنار ليكون مثلا صالحا وأسوة حسنة للمؤمنين ، وحجة على الملاحدة والمارقين والفاسقين ، الذين يجهلون ان سعادة الحياة المنزلية (العائلية) من زوجية وأمومة وأبوة وأولاد لا تأوي إلا الى بيوت المعتصمين بهداية الدين القويم ، فاليها تأوي وفيها تثوى وتقيم ، ولئن طاف منها طائف ببيت من بيوت الملاحدة والفاسقين أو زارته ، فانما تلم به إلماما ، ولا تلبث أن تهجره عند حدوث الحوادث الشهوانية ،

وانتياب الكوارث البشرية فآداب الاسلام ارقى من آداب الافرنج وأضمن للسعادة وان جهل ذلك المتفرنجون

أيقنا موت الوالدة التي كنا نتبرك بوجودها ، ونهتدي بارشادها ، ونستنزل رحمة الله ومثوبته ببرنا لها ودعائها لنا ، ففاضت الاعين دموعا، ورددت الصدور زفيرا ونشيجا ، وكررت الالسنة حوقلة واسترجاعا، واضطربت الافئدة خفقانا ووجيبا ، وان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، ولا نعمل إلا بما شرعه لنا

لم نعلن نعيها في الجرائد ولا رقاع البريد ولا أسلاك التليفون ، وانما أعلمنا حفيدها السيد محيي الدين رضا بالخبر لبعد داره عن دار المنار، وجهزناها على ملة الاسلام، وسنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وصليت عليها في رحبة الدار مع من حضر ، وشيعناها الى مقبرة جديدة في زين العابدين، فواريناشمسها عندما توارت شمس الدنيا بالحجاب، تغمدها الله تعالى بالرحمة والرضوان

لم نعقد لها مأتما، ولم نغير شيئا من عاداتنا حداداً عليها . وقد وصل الخبر الى بعض جرائد الصباح التي تطبع ليلا فنشرته، ثم نشرته بعض جرائد المساء في اليوم التالي ، فأقبل كثير من أصدقائنا المقيمين في القاهرة لتعزيتنا في الدار نهارا وليلا ، وأرسل كثيرون منهم برقيات التعزية ورسائلها من الاسكندرية وغيرها من مدن القطر المصري ومصطيفه ، وكان في مقدمة المعزين بأنفسهم وببرقياتهم اخواننا العلماء وأخص بالذكر منهم أصحاب الفضيلة شيخ الازهر الحالي الاستاذ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري، وشيخه السابق الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي، ومفتي الديار المصرية الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم ، وبعض رؤساء الكليات والمدرسين في الازهر — وبعض الوزراء وأولهم صاحب الدولة رئيسهم اسماعيل صدقي باشا — والزعماء وكبار رجال الاحزاب وفي طليعتهم صاحب الدولة مصطفى باشا النحاس رئيس الوفد المصري ، ومحمد فتح الله باشا أحد كبراء الوفد ووزراء حكومته السابقة ، وحسين باشا عبد الرازق وإخوته من اركان الحزب الدستوري . ثم جاءتنا كتب التعزية من أصدقائنا المحبين المنبثين في الاقطار حتى

لندن وباريس ورومية وسورية والحجاز ، فنشكر لكل معز من قريب وبعيد فضله ولطفه ، وندعو الله أن يلطف بنا وبهم ، ويقينا وإياهم السوء ، ويجعلنا من الصابرين على بلائه ، الراضين بقضائه ، الشاكرين لنعمائه

كانت الوالدة أحسن الله تعالى اليها من أسلم النساء فطرة ، وأزكاهن نفساً ، وأطيبهن قلباً ، كانت خير الازواج لزوجها ، وخير الامهات لأولادها ، وكان حظي من حبها وعطفها أكبر من حظوظ اخوتي وأخواتي ، ولكن فيما لم يحرك غيرة أحد منهم ولا سخطه ، حتى كان والدي رحمه الله تعالى يلقبني «حبيب أمه» ولا أذكر انني عصيت لها أمراً في صغري ولا كبري

أذكر انني رأيت أترابي من الأطفال مرة قد خرجوا في سماء (مطر) حفلة يمشون في الوحل رافعي أثوابهم إلى ركبهم ، فاشتهيت أن أقلدهم وأنا ابن بضع سنين ، فجئت الدار فاستأذنتها في ان أخرج حافياً وألحق بهم ، فلم تأذن لي ، فوقفت في عتبة الدار حافياً ومددت إحدى رجلي إلى خارجها وقلت لها «أحطها» قالت لا تحطها ، قلت «احطها» قالت «لا تحطها» فكررت ذلك مراراً — فلما لم تأذن لي رجعت . وما زلت أذكر هذا لها وتذكره لي ، فلم أنسه ، وما أبرىء نفسي من نسيان غيره

ولا أذكر انها ضربتني في صغري إلا مرة واحدة : تململت من سخونة ماء الحمام وحاولت التفصي والهرب ، فضربتني بالطاس على ظهري ، وما زلت أذكرها بها مازحا ، وتعتذر لي عنها تلطفا !! ثم كانت أشد عناية من والدي بطلبي للعلم والاهتمام به والارتياح الى هجرتي الى مصر ، إذ علمت مالي فيها من النية الصالحة ، والرجاء في التكمل بالعلم وخدمة الملة والامة

وكانت دقيقة الفهم ، رقيقة الشعور والوجدان ، تخشع لآيات الزجر والوعيد من القرآن خشوع العارفين المتدبرين ، وإذا أنشدتها شيئاً من غزل الشعر الغرامي قالت : هذا فتنة لا ينبغي اشتغال الشبان والشواب به ، وقد قرأت لها قصيدة حمد شوقي في تهنئة السلطان حسين كامل * الملك فيكم آل اسماعيلا * فلم أتجاوز قالت لي : هذه مرثية لا تهنئة ، فعجبت لهذه الفطنة ، وسبقها إياي الى هذه قرأت لها قصيدته في تهنئة والدة الخديو بعودتها من الاستانة التي مطلعها :

اكشفي الستر وحيي بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

فانتقدت هذا المطلع واستهجنته جداً في كلا مصراعيه: فأما الاول فلأن الستر يستعمل غالباً في إخفاء مايقبح إظهاره، وكشفه يستعمل في الفضيحة، فيقال: كشف الله ستر فلان، وهتكت فلانة سترها، وأما الثاني فلا يخفى وجهه، ولا يحسن كشفه

وأذكر أنني سمعت وأنا صغير مغنياً في قريتنا القلمون يقول بيتا من اغنية عامية مضمونه انه يدعو الله أن يغيب القمر ليأخذ البوسه (القبلة) ويرى قلعة حلب على اي شيء هي مبنية. فحفظتها فقلتها أمامها فغضبت وقالت لي « اسكت هذا كلام عيب اياك أن تقوله» وانني وايم الحق لم أفهم مغزى هذا الانكار الشديد الا بعد ان صرت رجلا كبيراً

وكانت على نزاهتها وأدبها في القول والفعل ذات دعابة وفكاهة وتنادر في الكلام طبعاً بلا تكلف، وكانت تتوخى ان لا يستثقل احد منها قولا ولا خدمة، فقلما تطلب من أولادها او أحفادها او كنتها شيئا بصيغة الامر، بل تعرّض وتكني في الغالب، ولا تكلف احداً ماتستطيع هي فعله ولا تشتم خادما شتما بذيئا على تقصير ولكنها قد ترفع صوتها عند الغضب وقد ورثت ذلك منها وهو منتقد وهو طبع كان يكرهه كل منا

وكانت مقتصدة شديدة الحرص على كل ما في الدار لا يهون عليها ان يضيع شيء منه، على حبها للضيافة واعتيادها اكرام الضيوف منذ صارت ربة بيت، وتحب ان يبذل كل مايستطاع من إكرام الضيوف وبر الاخوان، فاذا اشرنا بشيء من الالوان لم تجده لائقا لقلته اقترحت الزيادة عليه، وما دعوت الاصدقاء الى الطعام الا ذكرتني ببعض من لم أذكره لها منهم، حتى كانت تأمرني بدعوة نسيم أفندي صيبعة للافطار معنا في رمضان مع الصائمين الذين ندعوهم ولا سيا السوريين منهم، فأقول لها مازحا: هو نصراني لا يصوم، فتقول لكنه صديقك وابن بلدنا، وذوقه ذوقنا، ولا بدأن يترك الغداء بعد الظهر، أو يخففه ليقبل الاكل معكم بعد المغرب، وأنا لم أذكر لها كلمة «نصراني» الا لاجل الصيام، فقد كان من المألوف عندها بدارنا والا فهي معتادة في بلدنا على ضيافة النصارى وغيرهم، بل كان بعض أصدقاء والدي منهم يقيم عندنا أياما في رمضان فيفطر ويتسحر معنا

وقد ذكرتني جريدة حضرموت (التي تصدر بسنغافورة) بمكرمة لها كنت ناسياً لها ، وهي انه لما جاء مصر صديقي الجليل المرحوم السيد محمد بن عقيل قبل الحرب الكبرى ذكرت لها ذلك عند ما علمت به ليلا ، فأمرتني ان اذهب من ساعتي تلك الى الفندق الذي نزل فيه وأجيء به الى الدار، وقالت انه لا يليق بك وهو صديقك القديم وقد صار لك دار وأهل ان ترضى بنزوله في فنادق المسافرين — وكانت لا تعلم ان هذا معتاد في الامصار الكبيرة — فلم يسعني الا امتثال امرها

وكانت صبوراً شكوراً ،مات اربعة من بنيها وأربع من بناتها في حياتها فبكتهم البكاء الطبعي الشرعي: دموع تتحادر من العينين، ونشيج يتردد في الصدر، بلا نوح ولا ندب، ولا تغيير شيء من العادات في اللباس والاكل والشرب، ولا غير ذلك مما يسخط الرب . وأما الشكر فكان أكمل مظاهره منها رضاها من المرحوم الوالد وإطراؤه في كل أعماله على ما كان من شدته في معاملتها ومعاملتنا احيانا، فلم يكن في اسرتنا مثله في غضبه وشدته عفا الله عنه. وما زالت تمدحه وتثني عليه وتدعو له طول حياتها

وقد ضارها بزوج اخرى من بنات عمومته بعد ولادتها لي (ولم يجمع أحد من أسرتنا بين زوجين غيره إلا ابن عم له) فلم ينكر هو ولا غيره منها قولا ولا فعلا من غيرة الضرائر على ما كان أهل ضرتها يعملون لاغضابها وإثارة غيرتها ولكنه رحمه الله تعالى ما استطاع أن يطيل عشرة الاخرى فسرحها سراحا جميلا

ومن أغرب آدابها انها كانت تعد لاولادها منة عليها بأقل خدمة يؤدونها مما أوجبه الله عليهم ويعذبهم على تركه ، حتى كان يثقل علي هذا منها أحيانا ، وقد قلت لها مرة : لماذا تتحامين أو تستثقلين أمر اي كان من كبيرنا وصغيرنا بما تريدين منه وانت سيدة الجميع وصاحبة الفضل على الجميع؟ فقالت بل أنت صاحب الفضل على الجميع . فآلمتني بكلمة أشد على طبعي من هذه الكلمة ، فقلت لها بل أنا لولا توحيد الله تعالى لما كنت إلا عبداً لك. وانصرفت موجعاً من هذا الشعور الغريب

واغرب منه انها كانت تسترقيني اذا وجعت فارقيها ، والرقية مشروعة. ولم تكن من النساء الخرافيات. وقد ذهبت مرة مع بنتيها لرؤية جامع عمرو فاحاط بهن سدنة القبور فقلن لهم انما نحن متفرجات لازائرات فانصرفوا .

وأعد من فضل الله تعالى علي أنني ورثت منها سلامة الفطرة وطيب السريرة: فلم أحمل في قلبي حقداً على مسيء ولا حسداً لذي نعمة ـ وكذا الاستعداد لذوق اللغة وحسن الفهم، وغير ذلك من اخلاقها وخلقها . كما ورثت من والدي (اكرم الله مثواهما) عزة النفس والشجاعة والنجدة، وانما اذكر هذا تنويها بفضل الوالدين وتحدثا بنعم الله عز وجل. وأعظمها العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ثم وراثة النسب الشريف

كنت اتمنى لو تعيش الوالدة مائة سنة او اكثر متمتعة بالصحة ، وسلامة العقل والجسد كما كانت الى آخر رمضان الماضي ، نتمتع بخدمتها وارضاء الله برضائها، ونقتدي بأخلاقها وآدابها ، ونرجو زيادة نعم الله علينا بشكرها له ودعائها لنا .

وكنت على حبي لها اخشى أن تشتد عليها الأمراض فأراها معذبة أو شاكية وجعة، وكانت اصبر على ألم النفس منها على ألم الجسد لأنها لم تتعود هذا . وقد شقت عليها الحمية في هذه الاشهر التي ضعفت فيها لما اعتادته من الترف . وكانت تتوقع ان يزول كل ماعرض لها فتعود الى سابق صحتها، وتتساءل متى يكون هذا ؟ فأذكرها بتجاوز الثمانين لكيلا تضجر من بطء ماترجو

وكنت على تمني أن يطول عمرها أخشى أن اموت قبلها ،لانني اعلم ان رزأها بي يكون اكبر المصائب عليها ، اذ كنت قرة عينها، والعزاء لها والسلوى عن جميع مصائبها وقد كان يشق علي ان أراها متعبة فلا استطيع طول المكث معها، وأحمد الله تعالى ان حفظها في مرضها عقلا وفهما وجسما وطهارة حسية ومعنوية (كما يليق بمبالغة الشافعية في الطهارة) حتى كانت الى نهاية أجلها حديدة البصر، تنظم الخيوط الدقيقة في أخرات الابر ولكن اجل الله اذا جاء لايؤخر ، ولقد عاشت طيبة وماتت طيبة فنسأله تعالى ان يجمعنا بها في دار كرامته ويجعل خير اعمالنا خواتيمها وخير ايامنا يوم لقائه (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

(كلمة في مقالات إلحاد في الدين)

قد امتنعت جريدة الاهرام من نشر المقالة الاخيرة من هذه المقالات المنشورة في هذا الجزء ولكنها نشرت للشيخ محمد ابى زيد مقالة استفرغ فيها من قذره في شتم استاذه المحسن اليه في العلم والدين والدنيا مالم يكن يظن فيه على ماعلم من فساد دينه وعقله . وكفى بهذا عبرة

﴿ نعي السيد الجليل، السيد محمد بن عقيل تغمده الله برحمته ﴾

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه

حضرة العلامة الجليل، الاستاذ العزيز السيد محمد رشيد رضا، حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فننعي اليكم بمزيد الشجن، وعظيم الحزن، والدنا الجليل، العلامة فقيد العلم والاسلام، مولانا البركة السيد محمد بن عقيل بن يحيى . توفى رحمه الله في الساعة الثالثة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٣ ربيع الاول على اثر حمى لزمته نيفا و ٣ أسابيع.

وقبل التحاقه بالرفيق الاعلى بيومين أكثر من الصلاة مع ضعفه المتناهي حتى خارت قواه، ولفظ النفس الاخير، ولقد عظم المصاب علينا بموته، وانفطرت لهوله أفئدتنا حزناً وشجنا رحمه الله، ولكن ماذا عسى أن نقول إلا مايرضي الرب سبحانه وتعالى. إنا لله وإنا اليه راجعون. فعظم الله أجورنا جميعاً وعزاء الاسلام وأهله، والعلم وطلابه في فقيدنا الجليل. ومما يخفف الشيء الكثير من حزننا مشاطرة الحكومة المتوكلية اليمانية في مصابنا، فقد شيعت الفقيد مئات الجيوش منكسة أسلحتها كما شيعه رجال الدولة والاهلون عن بكرة أبيهم، فنشكرهم اليكم جد الشكر، ونسأل الله أن يتغشى راحلنا الكريم بالمغفرة والرضوان، وأن لا يريكم مكروهاً قط والسلام

الحديدة ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ — الحزين الباكي
عبد الله بن يحيي علي بن محمد بن عقيل

[المنار] جاءنا هذا النعي لصديقنا الكريم، وولينا الحميم، في فترة احتجاب المنار، وحبسنا للنفس على إتمام تاريخ الاستاذ الامام، ولما تم التاريخ واستأنفنا تحرير المنار شرعنا في كتابة ما نرى فيه الفائدة والعبرة من مناقبه وسيرته وكتابة مثل ذلك من سيرة سيدتنا الوالدة رحمهما الله تعالى، فضاق هذا الجزء — وكان قد طبع اكثره — عن سيرتهما، فقدمنا سيرة من حقها علينا أعظم، وأخرنا الآخر إلى الجزء التالي . وانني لا أنكر الحكم بالرفيق الاعلى له ولكل أحد بعد خاتم النبيين وسيد ولد آدم، وهو انما كان يدعو الله بها لنفسه عند وفاته ﷺ وأسأل الله تعالى لفقيدنا الكريم الرحمة ولآله وأصدقائه حسن العزاء والصبر



قال عليه الصلاة والسلام . ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

شوال سنة ١٣٥٠ هـ ق برج الدلو سنة ١٣١١ هـ ش فبراير سنة ١٩٣٢ م

المنار وتفسيره

أعجزتنا العسرة الحاضرة الخانقة عن اصدار المنار في كل شهر من هـذه السنة وعن الاستمرار في تأليف التفسير وطبعه وقد استنجدنا المشتركين فلم ينجدنا إلا أفراد قليلون دفع بعضهم المتأخر عن عدة سنين تاما و بعضهم النصف اغتناما لفرصة الاربعة الاشهر التي وعدنا فيها بقبول النصف وكل هذه النجدة لم تبلغ ما ننفقه على البريد وحده وقد ضاعفته الحكومة . فمن كان منهم ذا عسرة تعجزه عن الوفاء فاننا ننظره الى ميسرة كما أمرنا الله ، ومن دخل في حديث « مطل الغني ظلم » فنقاضيه الى عدل العليم بالظالمين

واضطرنا حسبان وزارة المعارف وبعض الحكومات الاوربية الاشتراك في المنار بالسنين الميلادية إلى جعل سنته شمسية موافقة لحساب الميلادي فجعلنا هذا الجزء وهو الثاني من المجلد ٣٢ لشهر فبراير وسيكون صدور المنار كذلك مطردا في كل سنة شمسية عشرة أجزاء وسنعود الى نشر التفسير فيها ان شاء الله تعالى

خاتمة تاريخ الاستاذ الامام

فيما يجب له على الامة

أنبتت تربة مصر ألوفا كثيرة من العلماء والصلحاء والادباء والقضاة والحكام، ولكننا لا نعرف في تاريخها ذكراً لرجل جمع من فضائل العلم والعمل والصلاح والاصلاح مثل الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مواهبه الفطرية والكسبية وكمالاته الشخصية ، وفي صرف حياته العملية كلها الى اصلاح بلاده ووطنه، وترقية امته، وإعلاء شأن ملته ، بدون عمل ما لنفسه وأسرته ، فهو قد خرج من معاهد العلم الى ميدان الجهاد في هذه السبيل — سبيل الله تعالى — الى ان قضى في المعارك نحبه ، ولقي ربه، شهد له بذلك العلماء الافذاذ على اختلاف علومهم الدينية والدنيوية والمصرية ، واختلاف أوطانهم ومللهم . وترى سيرته الشارحة لهذا مفصلة في هذا الجزء من تاريخه ، وترى الشواهد عليها من كلامه ماثلة في الجزء الثاني له ، والشهادات له فيها متواترة في الجزء الثالث منه —

مثل هذا الرجل العظيم يجب أن يكون مثلا كاملا يقتدى به في علو الهمة ، وقوة الارادة، وفي العلم الصحيح، والعمل الصالح المصلح ، وفي الجهاد لإعلاء شأن الامة في دينها ودنياها، ومدنيتها وحكومتها، فالامم لا ترقى إلا بامثال هؤلاء الرجال

مثل هذا الرجل الكبير يجب أن تحيي الامة ذكره ، وتنشر حكمته ، وتتخذه حجة لها في رقيها واستحقاقها للوقوف مع الامم الراقية ، التي تدل وتفاخر بعلمائها النابغين وزعمائها المجاهدين وأئمتها المصلحين . كما قال غير واحد من كبار المفكرين

هذا الامام المجدد المصلح يجب على هذه الامة التي نبت من طينتها، ونبغ في بيئتها، فأعلى ذكرها ، ورفع قدرها ، أن تعلي ذكره ، وترفع قدره، وتربي نابتتها على أصول حكمته في التجديد الديني والمدني ، والاصلاح الملي والوطني ، ويجب على جميع شعوب الملة التي جاهد في سبيل إصلاحها ، أن تساعد شعبه على ما يعمل لاحياء ذكره ، ودوام الاستفادة من علمه ورأيه

ما كان هذا الشعب الكريم بالذي يرضى لنفسه أن يوصف بالكنود للنعم ، ولا بالجحود لفضل المنعم، ولا كان تلاميذ الاستاذ الامام ومريدوه بالابناء العاقين، ولا أصدقاؤه ومحبوه بالغافلين او الخاملين : فاما الشعب فلا يجاهد بدون قائد ، وأما اصفياء الامام فقد فكروا في القيام بهذا الواجب عقب المصاب ، وعقدوا له الاجتماع تلو الاجتماع ، وأقروا شيئاً حالت دون تنفيذه الاقدار ، وكان خصمهم أمير البلاد ، ورقيبهم عميد الاحتلال ، ولا زعامة يؤيدها الرأي العام

توفي الامام وكان أكبر كبراء مريديه القادرين على تنظيم هذا العمل غائبين عن مصر - أعني سعد باشا زغلول وأحمد فتحي باشا زغلول - فلما عادا من سفرهما عقدا في دار الاول اجتماعا حضره من اصدقائه الشيخ عبدالكريم سلمان ،والشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وحسن باشا عاصم، ومحمد بك راسم ، وقاسم بك امين، ومحمد رشيد رضا (الكاتب لهذا) فقرروا أولا أن يشتركوا معي في الرأي ويساعدوني على ما أعلنته من عزمي على تأليف تاريخ له وعلى نشره كما يراه القاريء في مقدمة هذا الكتاب . ثم اجتمعوا وتشاوروا فيما يجب ان يعمل لاحياء ذكره ، فأجمعوا الرأي على إنشاء مدرسة كلية تنسب اليه وتكون التربية والتعليم فيها على رأيه ، وهو ما كان يسعى له بعد تركه للازهر، ويكون المنفذ لخطته فيها صاحب المنار

وإذ كانوا يعلمون أن سلطة الاحتلال تحسب لهذا العمل منهم كل حساب ، عهدوا إلى أحمد فتحي أن يقابل لورد كرومر ويذكر له هذا القرار ، ويسأله عن رأيه فيه ، لكيلا يكون على ريبة منه ، ويجيئهم بما يسمعه منه في جلسة أخرى عينوا موعدها ، فلما وافوها لميقاتها قال لهم : ان اللورد أظهر الاستحسان لهذا الرأي ، ولكنه قال ان من الحكمة أن يبدأ بهذا العمل صغيراً ثم يصعد فيه على سلم التدريج، وأن يجرى فيه على خطة مدرسة (عليكده) في الهند التي أسسها المرحوم السيد احمد خان الشهير ، وساعدته عليه الحكومة الانكليزية ، حتى صارت المدرسة كلية ، قال ووعد اللورد بأن يطلب لنا من حكومة الهند نظام هذه المدرسة ومنهاج دروسها، لنأخذ منه ما نراه موافقا للمدرسة التي نريدها

فهمت اللجنة من فحوى رد اللورد انه لا يرغب فيما ترغب هي فيه من إنشاء

مدرسة كلية راقية على مذهب الاستاذ الامام، الذي اعترف هو بفضله ونبله، ووطنيته الصادقة ، وخدمتـه للمصلحة العامة ، التي قال فيها : (ان الاوربيين ما فضلوا المصريين إلا بكثرة رجالها) ـ وباعتدال حزبه بين الاحزاب الاسلاميـة ، وجمعه بين أسباب الحضارة والمحافظة على أصول الدين الاسلامي . وفهمت منه أيضا انه ينبغي أن تكون المدرسة العبدية ، كما يحب هو وترضى دولته اي كالمدرسة الهندية

استاءت اللجنة من هذا الرد ولم يثنها الاستياء عن عزمها ، بل فكرت في جمع المال لانشاء المدرسة بصفة مصغرة كما قال اللورد لانه هو الممكن ، وانتظار مواتاة الزمان لتكبيرها ، ورأت من الشيخ عبد الرحيم الدمرداش المثري أريحية للبدء في التبرع للمشروع ، فقويت العزيمة ، حتى ان اللجنة عهدت إليّ بالبحث عن دار صحية لتستأجرها للمدرسة ، ففعلت

ولكن حدث في اثناء ذلك ان تبرع مصطفى كامل بك الغمراوي بخمسمائة جنيه لمشروع مدرسة جامعة مصرية، وعهد الى سعد بك زغلول بان يتولى الدعوة الى التبرع له والسعي لتنفيذه هو ومن يختار من اصدقائه وغيرهم ، فقبل وألف لجنة لذلك سُمي هو وكيلها، وتركت الرياسة ليختار لها احد الامراء

وتلا هذا ان ولي سعد باشا وزارة المعارف العامة ، فاضطر الى ترك لجنة الجامعة المصرية ، واختير صديقه قاسم بك امين وكيلا للجنة إدارتها مكانه. وكان ذلك بعد سنة من التصدي لانشاء المدرسة باسم الاستاذ الامام ، فلم يبق لهذا المشروع من يشتغل به ، وكاد هذا الرجل العظيم يُنسى هو وأستاذه السيد جمال الدين ، لولا تنويه المنار به في كل جزء من اجزائه، وتنويهه بالسيد أيضا في بعض الاجزاء، ونشر بعض آثاره المطوية ، وطبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ، وقضى الله تعالى أن أرجيء إتمام الجزء الاول منه المفصل لترجمته، بما يرى القارىء اسبابه في مقدمته،

ولولا انني من أضعف خلق الله تعالى في السعي لجمع المال وان كان المراد به شريفا ونافعاً ، لما تركت السعي لانشاء المدرسة ، وقد كان اقرب الوسائل اليه في السنين الاخيرة توجه قلب محبه الشيخ عبد الرحيم باشا الدمرداش رحمه الله تعالى إلى البذل للمنافع العامة ، فلو وجد في هذه الحالة احد من كبراء حزب الاستاذ

الامام المدني يزين له إنشاء المدرسة التي كان من اعضاء اللجنة التي قررتها ، ويرغبه في حبس عقار أو أطيان تفي بنفقتها ، لفعل

سكت أصحاب النفوذ والجاه من اصدقاء الاستاذ الامام عن القيام بالواجب له عليهم، ولكن الرجل حي لا يموت، ولا ينسى فضله، في امة يعلو فيها قدر العلم والحرية، ويزداد السعي للحياة القومية والوطنية

فهذه مدرسة الجامعة المصرية، التي عارض وجودها وجود المدرسة العبدية الامامية، قد اعادت منذ بضع سنين الاحتفال بذكراه ، فقام به فيها لجنة مؤلفة من نابغي علماء الازهر وبعض الوجهاء ومدرسي الجامعة ، فحرك عملهم الجرائد لاعادة التنويه بذكره ، وتعطير الآفاق بذكي نشره . وتبرع الشيخ عبدالرحيم باشا الدمرداش في اثناء ذلك بما يؤتي الجامعة غلة سنوية كافية لنفقة إنشاء كرسي لعلم الاخلاق تخليداً لذكرى الاستاذ الامام فيها . وتلا ذلك اقتراح كثير من فضلاء الامة لاحياء ذكره ، فأشار بعضهم بترميم داره في عين شمس وجعلها من معاهد العلم او الاعمال الخيرية العامة ، وبعضهم غير ذلك

ولما اسندت مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية إلى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو من خواص تلاميذ الاستاذ ومريديه في العلم والعقل والاخلاق ، ألف في دار الادارة العامة للمعاهد لجنة خاصة لاجل البحث في امثل الطرق لاحياء ذكره في الازهر وغيره، وجعل أعضاءها من تلاميذه الازهريين وسواهم، ومنهم مؤلف هذا الكتاب، فاجتمعت اللجنة مراراً . وكان من سوء الحظ كما يقال أن استقال هذا الاستاذ من المشيخة ورياسة المعاهد الدينية قبل أن تفرغ من المساعي التمهيدية ، وتقرر ما يجب تنفيذه وينظم في سلك الاعمال الرسمية

وأخيراً قرر مجلس مديرية دمنهور إرسال بعثة علمية إلى ألمانية باسم الاستاذ الامام لاجل الاخصاء في علوم فلسفة الاخلاق والتربية والاجتماع ، وجددت ادارة المعاهد الدينية تقرير قراءة رسالة التوحيد درساً في الازهر وملحقاته ، وانما كان هذا لكثرة فوائدها ، لا لاحياء ذكر مؤلفها

لكن هذا شيء قليل على الامة المصرية، وقد صارت أمة ذات رأي ووحدة ، وبذل

في سبيل المصلحة العامة، وكان قطب رحى وحدتها، والعامل الاكبر في جمع كلمتها، والزعيم الاكبر لمافيها، هو تلميذه وربيبه الاول سعد باشا زغلول: فمنه تلقى هذه الافكار ، ومن زنده استورى هذه النار . إذ تربى في حجره بالدرس والتفكير والقول والعمل، وكان اوفى مريديه وأصدقائه له في زمن محنته، وأشدهم حنينا اليه في مدة غيبته ، وأشوقهم الى اتباعه واللحاق به ، وقد نشرنا بعض مكتوباته اليه في منفاه ببيروت وفيها التصريح بهذه المعاني ، واننا نثبت هنا صورة شمسية من خطه للكتاب الذي تقدم نشره في صفحة ٢٧٥ فمن لم يستطع قراءته هنا لتصغير كلمه فليقرأه هنالك ، وننشر صوراً لمكتوبات أخرى له بخطها الاصلي في آخر الكتاب

﴿ كلمات من مكتوبات سعد باشا لاستاذه الامام ﴾

كان الامام كلف سعداً بعض الاعمال ومنها ارسال اثاث من بيته بمصر إلى بيروت، فقام بذلك خير قيام فأثنى عليه بكتاب فقال سعد في جوابه :

« اني وما أعمل من خير مما صنعت أيدي مكارمكم فلا أستحق شكراً ولا حمداً ، بل إن كان هناك مايدعو إلى المدح فالحمد راجع اليكم ، والشكر عائد عليكم ، واني أعد الفخار كل الفخار في خدمة جنابكم العالي ، وأجد تنبيهي الى القيام بأي خدمة نعمة سامية من حضرتكم لا أقدر على الوفاء بواجب شكرها ، وعلى هذا

فمولاي يرى في اسناد التفضل والتكرم والاحسان إلي زيادة تنازل منه لاأرى نفسي جديرة بها ، وعهدي بالمولى الجليل أن يتحرى بكراماته موقع الاستحقاق

«وأظن أن حضرته يذكر أني في يوم من الايام التي نزلت بها في بيته ذاكرته في هذا المعنى ، ورجوت من مكارمه أن يجعل طلبه أي أمر مني بصيغة الامر لا بلفظ الرجاء ، فاني أرى في الامر الاول فوائد ترتاح نفسي اليها لا أراها في الثاني »

وكتب اليه الامام كتابا يذكر فيه استبشاره بما رآه في جريدة البرهان ، دالا على فوزه ببعض الاعمال ، فأجابه سعد عن هذا بقوله :

« ان ظنكم فيما رأيتموه في جريدة البرهان هو الموافق للصواب ، ويحق لحضرتكم السرور بما نال ولدكم ، فهو المتربي في نعمتكم ، المغترف من بحار حكمتكم ، المحفوف بعنايتكم ، المشمول بعين رعايتكم ، البالغ ما بلغ ويبلغ من مراتب الكمال بحسن توجهاتكم ، وكريم تعطفاتكم ، أدامكم الله لكل خير مبدأ »

فاذا كان الزعيم السياسي الاكبر يعد نفسه أثراً من آثاره ، وشعلة من ناره ، وقبسة من أنواره ، وكان يعتقد ان مابلغه وما يبلغه في المستقبل من المراتب فهو أثر تربيته ، وثمر نعمته ، ويمضي كتبه اليه بكلمة ولدكم أو صنيعكم ، واذا كانت الحكومة المصرية قد قررت زهاء مائة ألف جنيه لبناء قبره ، ووضع تمثالين للتذكير بشخصه أفيكثر منها أو يكبر عليها ، أو على الوفد الممثل لسياسته ، والعامل باسم زعامته ، أن يقوم بانشاء مدرسة تنسب إلى اسم استاذه ومربيه ، وباعادة تعليمه وتربيته ، ونشر رسائله وكتبه ؟

كلا . انه قد آن للامة وقد صار لها زعماء تنقاد لهم ، ومجلس نواب يسيطر على حكومتهم ، وكتاب بلغاء يدعون الى المصلحة العامة ، وخطباء مصاقع يهزون قلوب الخاصة والعامة ، أن تراجع مناقب هذا الامام التي فصلناها في هذا التاريخ وتقرر ما يجب عليها من إحياء ذكره ، والاهتداء بارشاده ، وبناء مدارس التربية والتعليم الديني والمدني على أسس قواعده ، وتتعاون أحزابها وحكومتها على تنفيذ ماقررته ، في الوقت القريب المناسب له ، فانها لهي القواعد الحكيمة التي تحفظ لها عقائدها وأخلاقها ، وتكوين بيوتها (عائلاتها) ونماء ثروتها ، وترسخ دعائم إستقلالها ، وتجعلها قدوة للبلاد العربية والشعوب الاسلامية ، التي اعترفت

عقلاؤها لهذا الاستاذ الملهم، وأستاذه الفيلسوف الحكيم، بالزعامة المدنية والسياسية، والامامة الدينية ، والتوفيق بين الجامعتين الملية والوطنية

فلو لم يكن لهذه الامة الفخر على غيرها بظهور هذا الامام المجدد منها، لكانت جديرة بان تتبع تعاليمه الحكيمة لعظم فوائدها ، ولما تمطيها من الزعامة التي لا تنحصر منافعها منها ، وأعيد التذكير بما هي مستهدفة له من خطر الانحلال ، المهدد لما نالته من مبادىء الاستقلال، بانتشار المفاسد المادية، والفوضى الادبية، والانغماس في الشهوات، والاسراف في اللذات، المفني لثروة البلاد ، المضني لصحة الاجساد، المزهد في الزواج، المضعف للانتاج

بل أذكرهم بما لا يعزب عن علمهم من اضطراب العالم كله بهذه الفوضى التي ثلت أكثر عروش الممالك ، وأشعلت نار الفتن الداخلية في كثير من الامم، وغاضت ينابيع ثروة غالب الدول ، وأنذرت الروابط الاجتماعية بالانحلال ، وعرى الشعوب الوثقة بالانفصام، وثروة الاقوام الغنية بالزوال، ثم أذكرهم بانه لا يثبت في مهب هذه العواصف إلا الراسخون في الايمان ، ولا يصبر على هذه القواصف إلا المتعصمون بمتانة الاخلاق، وهو ما مهد مسالكه الاستاذ الامام ، وجعل تناوله على طرف الثمام

بل حدث في هذه الاعوام ، بوادر انقلاب عام ، يرقبه الحكماء ، ويشعر به البصراء، وقد فطن له بعض أذكيائنا في سياحته في أوربة، وهو الشعور بشدة الحاجة إلى هداية الدين، وكونه هو العلاج الوحيد لهذه الأدواء الاجتماعية الوبائية من إباحة الاعراض، وفوضى الآداب، وعبادة المادة والشهوات، والتنازع السياسي ، والنظام البلشفي، التي تنذر الشعوب زوال الحكم الديمقراطي، وانهيار النظام المالي او الرأسمالي. بل تهددها بحرب شر مما قبلها ، كالريح العقيم تدمر كل شيء بأمر ربها. وقد وصف هذا الذكي ما رأى وروى عن أوربة من درء هذا الخطر بالدين، وتمنى لو يظهر الدين الواقي للحضارة الحاضرة من مصر ، لكن فضلاء العقلاء في مصر يرون ان بلادهم اشد حاجة الى هذا العلاج من أوربة ، فان هذا الوباء يفتك بها وهي أقل مناعة وحصانة ممن سرت اليها العدوى منهم، وانما تفضلهم بأن العلاج موجود فيها وهي في غفلة عنه، بل لما تشعر بالحاجة اليه ، وهو القرآن ، وما بينه من سنة محمد عليه الصلاة والسلام،

تنبأ حكيمنا هو وأستاذه منذ نصف قرن بأن شعوب أوربة ستشعر بالحاجة الى الدين المصلح المعقول ، فتطلبه فلا تجده إلا في القرآن فتأخذه بقوة كمادتها ، حتى لا يبعد أن يضطر المنسوبون اليه منا أن يعودوا إلى طلبه منها (راجع ص ٩٣٩) فان كانت مصر تريد أن تكون أهلا لانقاذ أوربة من فوضى الاباحة والمادية التي تتردى هي فيها من ورائها ، فانها تجد الوسيلة إليها في تعاليم إمامها ، فلتسبق اليها وتجربها في إنقاذ نفسها

وها هو ذا أكبر رجال الدين فيها عقلا، واسدهم رأيا، وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي ظهر نبوغه في أرقى المناصب الدينية فكان قاضي قضاة السودان فرئيس المحكمة الشرعية العليا بمصر فشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية ، فقام بها خير قيام ـ ها هو ذا يفتيها بترسم خطوات الاستاذ الامام وهذا نص ما كتبه في ذلك:

«أعتقد اننا اذا جاوزنا عصر السلف الصالح لانجد رجلا رزق فهما في هداية القرآن، ووسع صدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانيـة مثل الامام محمد عبده . ولقد وهبه الله شروط الامامة الدينية جميعها ، كما منحه البصر في أمور الدنيا ، ومن الحق على المسلمين ان يترسموا خطواته بالاصلاح الديني والدنيوي، اذا أرادوا إعزاز دينهم، ورفعة أتباعه في دنياهم . »

وانني أختم هذا الكتاب الذى قضيت به ديناً أدبياً كبيراً كان على مصر بتدوين تاريخ الامامين المجددين اللذين يرجع اليهما فضل نهضتها المعنوية ، كما يرجع إلى محمد علي الكبير فضل نهضتها المادية، باقتراحي عليها قضاء الدين الآخر الذي لاقبل لي به ، وهو العمل بما أرشد اليه الحكيمان بالتربية والتعليم ،وإحياء ذكرهما بتعميم تاريخهما وآثارهما ،وانشاء مدرسة لذلك باسم الاستاذ الامام، وترميم داره وجعلها من المنافع العامة ، فهذا دين يجب على مصر أداؤه على اختلاف أحزابها ومذاهبها ومشاربها ، لان الامام كان للجميع باتفاق الجميع

احمد الله عز وجل أن أديت الامانة، وبلغت الوصية، ووفيت حق أستاذي وصديقي، ونصحت لامتي ووطني، وهو كل ماأملك مما فرضه علي ربي للتي (إن أريد إلا الاصلاح مااستطعت وماتوفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب) وسلام على المرسلين ،وعلى من اصطفى من عباده المصلحين ، والحمد لله رب العالمين .

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(س ١١ — ٢٥) من صاحب الامضاء في بيروت وكنت كتبت أجوبتها في العام الماضي ولم تنشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد أفندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه :

(١) هل إذا مات رجل وترك زوجة في الحياة الدنيا وتزوجت هذه الزوجة برجل آخر فلأي رجل تكون في الآخرة وهل تكون مخيرة بينهما أم لا ؟ وهل ورد في ذلك شيء صحيح معتمد أم لا ؟

(٢) هل اذا مات رجل او امرأة ولم يتزوجا في الحياة الدنيا فلهما أن يتزوجا في الآخرة أم لا ؟ ؟ وباي ناس يتزوجان ؟

(٣) هل يجوز أن يجمع الزوج بين الاخت وأختها اوعمتها اوخالتها وغيرهن في الآخرة أم لا ؟

(٤) هل يجوز للرجال والنساء أن يتزوجوا في الآخرة من محارمهم كالاخوان وأولادهن وغيرهن ام لا ؟

(٥) هل في الآخرة نسل ام لا ؟

(٦) هل في الآخرة بلدان كالدنيا ام لا ؟

(٧) هل في الآخرة طرقات وأسواق وبيع وشراء أم لا ؟

(٨) هل يجوز للرجال والنساء أن يأكلوا ويشربوا ويلبسوا ماشاءوا من

الألوان والازياء والحرير والحلي كالساعات والسلاسل والخواتم وغيرها أم لا ؟

(٩) هل مايقال من ان اقوال وأعمال الاحياء في الحياة الدنيا سواء أكانت خيراً أم شراً تعرض على الاموات كالاقارب وغيرهم صحيح معتمد أم لا ؟

(١٠) هل الاموات يتزاورون ويتكلمون ويأتنسون بعضهم مع بعض ويعرفون من يزورهم من الاحياء أم لا ؟

(١١) هل يجب على النساء الحجاب عن الرجال الاجانب في الآخرة ام لا ؟

(١٢) هل يجوز للمرأة إذا دخلت في عدة الطلاق او الوفاة أن تظهر صوتها ووجهها ويديها إلى الكوعين « الرسغين » أمام الرجال الاجانب كأولاد عمها وأولاد خالها وأقارب زوجها وغيرهم ام لا ؟

(١٣) هل يجوز لها الخروج من بيتها للاصطياف في الجبل وغيره هربا من حر الصيف أم لا ؟

(١٤) هل يجوز لها الخروج من بيتها بقصد الفسحة والنزهة وترويح النفس من عناء طول المكث في البيت مقدار بضع ساعات ثم الرجوع اليه أم لا ؟

(١٥) هل يجوز للمرأة المسلمة السنية أن تتزوج برجل شيعي يعتقد اعتقاد الشيعة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب السائل

عبدالحفيظ ابراهيم اللاذقي ببيروت

(المنار) أكثر هذه الاسئلة فضول وشهوات خواطر علمية لايتعلق بها عمل فلا ينبغي لنا أن نطيل القول فيما لنا به علم منها ، لان إضاعة الوقت فيه لا توازي صرفه في أكثر أعمالنا فانها والله الحمد خير منها ، فكيف ماليس لنا به علم من أمور الآخرة والبرزخ ؟ ومع هذا أجيب عنها إكراما للسائل لانه من المشتركين الاوفياء بالاجمال:

(ج ١١) المرأة ذات الزوجين لمن تكون في الآخرة

ان السؤال الاول لم يرد فيه شيء في صحاح السنة ، ولكن فيه حديث لام سلمة عند الطبراني وحديث لام حبيبة عند الخرائطي في مكارم الاخلاق ان المرأة ذات الزوجين أو الازواج تكون في الجنة لأحسنهما خلقا في الدنيا ، وفي الاول انها تخير فتختار أحسنهما خلقا . وفي حديث أبي الدرداء في طبقات ابن سعد

مرفوعا «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة» وحملوا هذا على من مات عنها وهي في عصمته ولم تتزوج بعده ويؤيده أثر في معناه لابي بكر (رض) في هذه الطبقات أيضا . وحملوا حديث التخيير على من لم تمت على عصمة أحد كالمطلقة

(ج ١٢ — ١٤) الزواج والازواج في الآخرة

وأما الجواب عن الاسئلة الثلاثة التي بعد الاول فيعلم جوابها الاجمالي من أن المفهوم من مجموع النصوص أن نساء الجنة تقسم على الرجال من أول العهد بدخولها كما يشاء الله تعالى ولم يرد أن هنالك عقود زواج تتجدد . قال تعالى (ولهم فيها أزواج مطهرة) وهذا يعم من كان متزوجا في الدنيا ومن لم يتزوج ،فما من رجل الا وهو زوج في الآخرة ولا امرأة الا وهي زوج أيضا

(ج ١٥) هل في الجنة ولادة ونسل

وأما الخامس فهو انه لم يثبت أن في الجنة حبلا ولا ولادة ولا نسلا . وفي حديث عند الترمذي ان المؤمن اذا اشتهى الولد في الآخرة كان له في ساعة كما يشتهي، ولكنه لايشتهي

(ج ١٦) الجنة طبقات ودرجات لا بلاد

وأما عن السادس فهو ان المعروف ان الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض لان أهلها درجات كذلك . واما انقسامها الى بلاد فلا أدري ولم أر في ذلك نصاً

(ج١٧) أسواق الجنة

وأما السابع فهو انه ورد في حديث أنس في صحيح مسلم ان في الجنة سوقا يأتونها كل يوم جمعة فيزدادون حسنا وجمالا ، وليس فيه ان هنالك بيعاً وشراء فالظاهر انها مجامع للتلاقي كأسواق العرب الادبية في عكاظ ومجنة وذي المجاز ، على أن هذه كان يكون فيها تجارة ولا حاجة في الجنة إلى التجارة فيما نعلم والله اعلم

(ج ١٨) محرمات الطعام والشراب واللباس

وأما الثامن ففيه تفصيل منه ماهو معلوم من الدين بالضرورة كتحريم أكل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وصيد البر للمحرم وشربه

الخمر ، ومنه ماهو مختلف فيه كأكل الخيل والحمر الاهلية وسباع الوحش والطير الخ وقد فصلنا في المجلد الماضي مسائل اللباس من الحرير والذهب والفضة.

(ج ١٩) عرض أعمال الاحياء على الاموات

وأما التاسع فجوابه أن ماذكر فيه غير صحيح ولا معتمد

(ج ٢٠) تلاقي الارواح في البرزخ

وأما العاشر فليس فيه أدلة صحيحة صريحة يحتج بها على تفصيل قطعي في ذلك ولكن فيه أخباراً وآثاراً عن السلف في تلاقي أرواح الصالحين بعد الموت، واستدل بعضهم عليه بقوله تعالى في الشهداء (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وتراجع المسألة في ص ٢٤ من كتاب الروح للعلامة ابن القيم

(ج ٢١) لاحجاب في الجنة بين النساء والرجال

وأما الحادي عشر فجوابه ان الجنة ليس فيها تكليف بوجوب ولا تحريم إذ لا معاصي فيها ولا فساد ولا فتنة يجب سد ذرائعها ومنع أسبابها بالفصل بين النساء والرجال الاجانب

(ج ٢٢) مايحرم على المرأة في العدة ومالا يحرم

وأما الثاني عشر فجوابه ان المرأة المعتدة يحرم عليها مايحرم على غيرها مع الرجال الاجانب وتزيد عليهن الحداد على الزوج بترك الزينة والطيب والتعرض للخاطبين بما يباح للخلية غير المعتدة، وإظهار صوتها بالكلام المعتاد ووجهها وكفيها لاينافي الحداد فهو غير محرم لذاته عليها ولا على غيرها الا اذا كان مثارا لفتنة أو وسيلة لمعصية

(ج ٢٣و٢٤) خروج المرأة للتنزه أو الاصطياف

وأما ١٣و١٤ فهو ان ماذكر فيهما يجوز لها كما يجوز لغيرها من النساء بشرط الأمن على نفسها ومالها

(ج ٢٥) تزوج المرأة السنية بالشيعي

وأما الخامس عشر فجوابه الجواز لذاته وقد بينا ذلك في المجلد الماضي

﴿ الصلاة الى القبور وقبة فيها قبور تعتقد وتعظم تدينا ﴾

﴿ استفتاء وجوابه من الهند وتأييد المنار له (عدد ٢٦) ﴾

جاءتنا الفتوى الآتية مع كتاب من حضرة خادم الاسلام بير محمد القريشي في (هالا سنده — الهند) في شهر ربيع الاول يطلب تصحيحنا وموافقتنا للفتوى كتابة وتصحيح من عندنا من العلماء فكلفنا بعض اخواننا من علماء الازهر عرضها على منكري البدع منهم دون أنصارها ومروجيها فلم يعد الينا بشيء . ثم جاءنا منه في رمضان كتاب آخر مع صورة أخري للفتوى عليها تصحيح كثير من علماء الهند وعمان ويقول فيه ما نصه :

« وأرجو من جنابكم التصديق والتصحيح فاني اريد طباعة ذلك الفتوى واشاعته في الهند واجتمع عندي مقدار المائتين من تصحيحات العلماء لكن لا بد لنا من تصحيح جنابكم لان جنابكم ممن فضله الله على جميع علماء مصر ـ فليس من دأب العلماء السكوت والاعراض عن كلمة الحق واظهاره لاسيما عند الضرورة وان كان لكم مانع مع ورود النصوص المؤكدة فلا بد لجنابكم من اظهاره فتفضلوا علينا وشرفونا وكرمونا بارسال الجواب والتصحيح هذا مالزم والسلام عليكم وعلى من لديكم »

(نص السؤال) قبة رفيعة فيها قبور متعددة بالشباك وفي يمينها قبة أخرى للمسجد وفي يسارها ايضاً قبة على القبور . وأمام تلك القباب ساحة بقدر جريب واحد أي القباب الثلاث قدام الساحة محاطة بالجدران، جعل المتولي وقت بناء تلك القباب تلك الساحة كلها مسجداً وتلك الساحة متصلة بالقباب كالفناء لها . ففي وقت يجتمع الناس الكثيرون للصلاة كالجمعة والعيدين يقوم الامام متوجهاً الى القبة الوسطى منحرفا عن بابها قليلا الى اليمين ويصلي بالناس ، والحال ان باب القبة الوسطى مفتوح لا يغلقونه ، بزعم ان الشباك حائل كاف بين المصلين والقبور ، والقبور التي في القبتين يعظمها الناس لاسيما الجهال على وجه بلغ مبلغ العبادة ، بل القبة يعظمها الجهال تعظيما بليغا حتى (انهم) يقبلون بعض زواياها ويوقرونها توقيراً بحيث لو يذهب أحد يضرب برجله زاوية من زواياها أو جداراً من جدرانها يتصورونه منكراً للصلحاء والاولياء ، بل يزعمون انه مرتكب أشد الكبيرة . فصلاة الامام والمقتدين في هذا المكان والحال ماذكرنا هل هي جائزة أم لا ؟

(نص الجواب وهو الفتوى المطلوب اقرارها)

إن كان في المقبرة مكان خال عن القبور وفيه مسجد أو جدار مبني بحيث لايقع النظر على القبور كالستر على القبور على وجه الكمال موجود فلا بأس بالصلاة في ذلك المكان ، أما اذا كان مشهداً كان على القبور قبة بحيث اذا صلى أحد يكون ذلك القبر أو القبة في قبلته فلا يجوز الصلاة أصلا لان في تلك الصورة تكون الصلاة الى القبر أو القبة تعظيما له لا سيا في هذا الزمان فان اعتقاد الجهلاء بلغ الى درجة عبادة الاولياء والصلحاء أعاذنا الله من ذلك — وليس الغرض من الشباك حول القبر أو القباب على القبر الستر أو السترة ، بل القباب في أنفسها معظمة ومكرمة عند الناس كالقبور ، فلا فرق بين الصلاة الى القبر والقبة في هذه الصورة . وأما المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ففيه اتخذوا جدرانا حول القبر الشريف ليحصل الستر ثم في وقت توسيع المسجد جعلوا الحجرة الشريفة على هيئة المثلث لئلا يمكن السجود الى القبر ثم بعد ذلك اتخذوا حول الحجرة جدرانا أُخَر ليحصل الستر على أوجه التمام والكمال بحيث لا يبقى مكان للعبادة وشبهتها والله أعلم بالصواب

(هذا نص نقل الفتوى الاخير . وزاد في آخر الصورة الاولى مانصه)

ففي صحيح البخارى في باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذى مات فيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجدا » قالت ولو لا ذلك لأبرز قبره ، غير أني اخشى أن يتخذ مسجدا [1] قال العيني في شرحه في صفحة ١٥ج ٣ قوله : لولا ذلك لابرز، حاصله لولا خشية الاتخاذ لابرز قبره أي

(١)وفي رواية أخرى للبخاري : غير انه خشي أو خشي على الشك . قال الحافظ ابن حجر : هل هو بفتح الخاء المعجمة أو ضمها وفي رواية مسلم غير انه خشي بالضم لا غير . وفي رواية أخرى متفق عليها زيادة :يحذر ماصنعوا»

لكشف قبر النبي ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل ولكن خشية الاتخاذ موجودة فامتنع الابراز لأن «لولا» لامتناع الشيء لوجود غيره، وهذا قالته عائشة قبل ان يوسع المسجد، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد ان يصلي الى جهة القبر مع استقبال القبلة . وأيضا فيه: ومما يستفاد منه ان قوله ﷺ هذا من باب قطع الذريعة لئلا يعبد قبره الجهال كما فعلت اليهود والنصارى بقبور انبيائهم.

محمد صادق مهتمم مدرسة الدينية مظهر العلوم (سند)

ويلي هذا تأييد طائفة من العلماء للفتوى

﴿ تصحيح صاحب المنار وتأييده للفتوى ﴾

الحمد لله ملهم الصواب — الفتوى صحيحة بدلائل الاحاديث الصحيحة الصريحة في الصحيحين والسنن وغيرها في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة اليها ولعن فاعلي ذلك من اهل الكتاب بقبور أنبيائهم وصالحيهم لتحذيره ﷺ أمته أن يتبعوا سنتهم فيه وتسميتهم شرار الخلق عند الله تعالى — كل ذلك لا يدع أدنى شبهة او عذر للخلاف في المنع منه وعدم جوازه، ولعناية النبي ﷺ بمنع هذه المعصية في العبادة جعلها مما أوصى به قبل وفاته، ففي الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، اني أنهاكم عن ذلك» وروى مسلم عن أبي مرثد (رض) أن النبي ﷺ قال «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها» ومن المعلوم ان ما كان يفعله أهل الكتاب من اتخاذ القبور مساجد والصلاة اليها وتشريفها وكسوتها هو من تعظيم انبيائهم وصالحيهم غير المشروع في دين الله الذي جاء به رسله لانه تعظيم عبادة أخذوه عن الوثنيين — ولذلك لعنهم النبي ﷺ ولعن الذين يضعون السرج على القبور وأمر بتسوية ما يبنى ويشرف منها مقترنا بأمره بطمس التماثيل لانهما من أعمال الشرك . ولا فرق بين تعظيم هذه القبور نفسها وتعظيم الستور التي توضع عليها والقباب والمقاصير التي تبنى فوقها وحولها — وصورة السؤال الذي أجاب عنه مولانا الشيخ

محمد صادق ناظر مدرسة مظهر العلوم ظاهرة في أن المصلين هنالك يتوجهون الى قباب مفتوحة فيها قبور ظاهرة يعظمها الجاهلون تعظيما دينيا من النوع الذي لعن النبي ﷺ فاعليه ونهى عنه لسد ذريعة الاقتداء بأهله والتحذير منه، وقد وقع ما ورد النهي لمنع وقوعه فصار التوجه الى تلك القباب وما فيها عبادة فاسدة لا ذريعة لها، فالصلاة إلى هذه الحواجز كالصلاة إلى القبر نفسه كما قال المفتي، كله عبادة وثنية باطلة يجب منع جهلة المسلمين منها بالفعل والقول وإعلامهم انها من بدع أهل الشرك التي فتن بها اهل الكتاب فهي ليست من شرعهم الذي نسخه شرعنا بل عدوى وثنية

ولكن المسلمين اتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كما أخبر النبي ﷺ فاتخذوا قبور الانبياء والصالحين مساجد وبنوا عليها القباب وأوقدوا عليها السرج وصاروا يصلون اليها ويطوفون بها كالكعبة، ووجد من علماء التقليد فيهم من يبيح لهم هذه البدع - كما أباحها أمثالهم لاهل الكتاب بشبهة التفرقة بين العبادة للقبور والتبرك بها. وهل هذا التبرك غير المشروع الا عمل يتقرب به الى الله تعالى بما لم يشرعه ؟ وهل للعبادة معنى الا هذا ؟ وهل كانت آلهة قوم نوح الا رجالا صالحين عظموهم بعد موتهم وصوروهم للتذكير والاقتداء بهم حتى انتهى بهم ذلك الى عبادتهم بالدعاء وغيره كما رواه البخاري عن ابن عباس (رض) وقد سمعت بعض الرهبان من النصارى يقولون في الصور التي في الكنائس : نحن لا نعبدها وانما نتخذها للتذكار والتبرك! وهذا جهل بمعنى العبادة وقع فيه من اتبع سننهم من المسلمين وانما سكت أكثر علماء السوء عن هذه البدع لأن الذين فعلوها هم الملوك والامراء الذين يرائيهم ويتأول لهم علماء الدنيا، وتبعتهم العامة، والعامة قوة تراءى كالملوك. وقد عدّ الفقيه ابن حجر الهيتمي الشافعي هذه الاعمال من الكبائر في زواجره نقلا واستدلالا فقال (الكبيرة الثالثة و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ والتسعون اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة عليها) واستدل عليها بطائفة من الاحاديث الواردة في النهي عنها والوعيد عليها، وتقدم ذكر بعضها - ثم قال مانصه:

(تنبيه) عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الاحاديث، ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح

لانه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية «يحذر ماصنعوا» أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك، من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا ، واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه وحينئذ فقوله « والصلاة اليها » مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط . نعم انما يتجه هذا الاخذ ان كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت اليه رواية « اذا كان فيهم الرجل الصالح »

«ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فاشترطوا شيئين أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد . سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذي القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ « لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي» أي لا تعظموه تعظيم غيركم لاوثانهم بالسجود له أو نحوه، فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها أوثانا » هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وان أراد أن مطلق التعظيم الذى لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد—

نعم قال بعض الحنابلة : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا ، فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها . والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لعن فاعله ،وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية رسول الله ﷺ لانه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى(صفحة ١٦٢ ج أول من كتاب الزواجر-طبع المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣)

﴿ دعوى بعض مشايخ الطرق التلقي عن النبي ﷺ ﴾

(س ٢٧) لصاحب الامضاء في بيروت

الى حضرة الاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد رشيد رضا المعظم

قرأت في كتاب أوراد السيد أحمد بن ادريس رحمه الله عبارة هذا نصها : « انني اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعا صوريا ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقنني أوراد الطريقة الشاذلية فلقننيها بحضرته ثم قال ﷺ « ياخضر لقنه ما كان جامعا لسائر الاذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثوابا وأكثر عددا» فقال أي شيء هو يارسول الله فقال قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، في كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله » ثم قال السيد احمد مانصه: «قال ﷺ ياأحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والارض وهي التهليل المخصوص والصلاة العظيمة والاستغفار الكبير، المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيهما أضعافا مضاعفة» اهوعليه أرجو أن تتكرموا باعلامي هل يمكن الاجتماع مع الرسول ﷺ اجتماعا صوريا وما حكم ما يلقنه بهذه الحالة . وتفضل ياسيدي الاستاذ الفاضل بقبول مزيد شكري واحترامي

بيروت عزت المرادي

(ج) صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة ، واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها — لو كانت مما يقع — ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر علماء أصحابه وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال، فلو كان ﷺ يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لبنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر (رض) فيما روى عنه من أن الانبياء لا يورثون — وكذا للاقرب والاحب اليه من آله وأصحابه ثم لمن بعدهم من الائمة الذين أخذ أكثر أمته دينهم عنهم، ولم يدع أحد منهم ذلك، وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية ، فمن العلماء

من جزم بأن من ذلك ماهو كذب مفترى وان الصادق من اهل هذه الدعوى من خيل اليه في حال غيبة أو ما يسمى بين النوم واليقظة انه رآه ﷺ فخال انه رآه حقيقة، على قول الشاعر * ومثلك من تخيل ثم خالا *

والدليل على صحة القول بأن مايدعونه كذب أو تخيل مايروونه عنه ﷺ في هذه الرؤية وبعض الرؤى المنامية مما يختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم، وكون بعضه مخالفا لنص كتاب الله، وماثبت من سنته ﷺ ثبوتا قطعيا ومنه ما هو كفر صريح باجماع المسلمين

نعم ان منهم من يجلهم العارف بما روي من اخبار استقامتهم أن يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذبا على رسول الله ﷺ ولكن غلبة التخيل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لاعصمة منها لاحد وكثيرا ما تفضي الى الجنون، فان صح عقلا أن منهم من يرى أرواح الانبياء والصالحين فعلا، فلا يجوز شرعا أن تتضمن هذه الرؤية تشريعا ولا تعبداً جديداً . ومنهم من كذب اتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوي الباطلة ومنه مايسمونه الشطح. وقد جزم بعض المحققين بأن بعضهم كانت تتمثل لهم الشياطين بصور بعض الصالحين وتلقي اليهم بعض ما يسمونه المكاشفات، ومنه ماروي عن إمام الصوفية في عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره انه ظهر له في خلوته نور عظيم ملأ الافق وسمع منه هاتفا يقول له: ياعبد القادر أنت عبدي وقد أحللت لك المحرمات . قال فقلت له : اخسأ يالعين. فتحول النور ظلمة أو قال دخانا ، وقال : قد نجوت مني بعلمك وقد أضللت بها كذا وكذا من العباد . قيل للشيخ : وكيف علمت انه شيطان ؟ قال من قوله: أحللت لك المحرمات — يعني رحمه الله تعالى ان الشرع هو الفرقان الذي يعرف به الكشف الحق من الكشف الباطل وأولياء الرحمن من أولياء الشيطان

ومن هذا القبيل دعوى قول النبي ﷺ للسيد احمد بن إدريس أعطيتك مفاتيح السموات والارض – التي تشبه ما يرويه النصارى من قول المسيح عليه السلام لتلاميذه ما تحلونه في الارض يكون محلولا في السماء وما تربطونه في الارض

يكون مربوطا في السماء . وفسره رؤساؤهم بان لهم ولخلفائهم الحق في مغفرة ذنوب الخاطئين . والله تعالى يقول (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيحهما وخزائنهما في التصرف والرزق ، وقال (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو)

وقد صرح علماء الاصول بأن ما يسمونه الكشف ليس بحجة شرعية ولا يجوز العمل بما لا يقوم عليه الدليل من الكتاب والسنة منه ، وكذا رؤية النبي ﷺ في المنام والسماع منه ، وعلل ذلك بعضهم بعدم الثقة بصفاء أرواح هؤلاء الكاشفين وضبطهم لما يرونه في كشفهم ورؤياهم ولما يروونه. وأما الدليل الاقوى والاقوم فهو ان قبول هذا يعد من الزيادة في دين الله واستمرار التشريع الذي ادعاه بعض الدجالين المضلين كأتباع الدجال غلام احمد القادياني الهندي الذين يلقبون أنفسهم بالاحمدية . وقد أكمل الله دينه في حياة خاتم النبيين بنص القرآن الصريح ، فلا حاجة الى شيء غير ماجاء به ﷺ من كتاب الله وسنته في بيانه ، وان كان حسنا في نفسه كصيغة الشهادتين التي هي شعار الطريقة الادريسية ، وليتها لم تقترن بدعوى هبوط روح الرسول الاعظم من الافق الاعلى لتلقين طريقة الشاذلية . وناهيك بطريقة التجانية وما ينسبونه الى صاحبها من عظائم الخرافات والبدع وقد سبق لنا بيان ذلك مراراً وأن أهل هذه الطريقة وأمثالهم قد افسدوا دين المسلمين ودنياهم حتى صار بعض شيوخهم اكبر اعوان المستعمرين في الجزائر والمغرب على استعباد المسلمين

ولا يغرن أحد بعض أذكارهم وأورادهم فأكثرها ممزوج بالبدع والضلالة وحسبك أنهم نسخوا بها التعبد بكتاب الله تعالى وبالاذكار المأثورة عن رسول الله ﷺ المدونة في كتب السنة ككتاب الاذكار للامام النووي والحصن الحصين للمحدث الجزري . ومتى تعبد هؤلاء بهما ، ووجدوا في وقتهم فراغا لما ابتدع بعدهما ؟ وأين هذا من نهي الكتاب والسنة عن الغلو في الدين حتى في المشروع منه . وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) وأوردنا فيه قول الامام الرازي فيمن اتبع سنة أهل الكتاب في ذلك من المتفقهة والمتصوفة فراجعه في جزء التفسير العاشر

هداية القرآن (*)

لو أن كل مسلم تدبر آيات الكتاب العزيز واستمسك بهدايتها لما أصاب المسلمين تلك الكوارث المفجعة ، والمصائب المدلهمة

لو أن المسلمين اعتصموا بآيتين [الصواب بآية] من القرآن تتلى في كل صلاة وهما (إياك نعبد وإياك نستعين) بالاخلاص لله في العبادة دون الاشراك به والاعتماد على غيره ، والاستعانة به دون سواه ، والسير على حسب سننه وقوانينه العادلة – لما أصابهم الذل والهوان في مشارق الارض ومغاربها

ذكر الاستاذ العلامة ابن القيم أن سر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين (إياك نعبد وإياك نستعين) وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، حتى قيل ان الله انزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والانجيل والقرآن ، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن ، وجمع معاني القرآن في الفاتحة ، ومعاني الفاتحة في (إياك نعبد وإياك نستعين) وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده فنصفها له تعالى وهو (إياك نعبد) ونصفها لعبده وهو (وإياك نستعين)

فسر الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « أن للعبادة صوراً كثيرة في كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها . ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التعظيم والخضوع – فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة ، كما أن صورة الانسان وتمثاله ليس انسانا

« خذ اليك عبادة الصلاة مثلا وانظر كيف أمر الله باقامتها دون مجرد الاتيان بها – وإقامة الشيء هي الاتيان به مقوماً كاملا يصدر عن علته ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا به الله تعالى بقوله (ان الصلاة تنهى

*) مقالة لمجلة الشبان المسلمين (ج ١٠ م ٢) تتضمن تقريظ تفسير المنار .

عن الفحشاء والمنكر) وقوله عز وجل (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين) وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون) فسماهم مصلين لانهم أتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته، والمشعر للقلوب بعظم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون »

وذكر الاستاذ الامام أن الرياء ضربان : رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس . ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ، ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به ، وهو ما عليه أكثر الناس فان صلاة أحدهم في طور الرشد والعقل هي عين ما كان يحاكي به أباه في طور الطفولية عند ما يراه يصلي — يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل ، وليس لله شيء في هذه الصلاة . وقد ورد في بعض الاحاديث أن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ، وانها تلف كما يلف الثوب البالي ويضرب بها وجهه . وأما الماعون فهو المعونة والخير الذي تقدم في الآية الاخرى ان من شأن الانسان أن يكون منوعا له إلا المصلين

قال الاستاذ الامام في معنى (وإياك نستعين) «أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة (أحدهما) أن نعمل الاعمال النافعة. ونجتهد في إتقانها ما استطعنا ، لان طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه ، أو يخشى أن لا ينجح فيه ، فيطلب المعونة على إتمامه وكماله — فمن وقع من يده القلم على المكتب لا يطلب المعونة من أحد على إمساكه ، ومن وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه ، ولكن بعد استفراغ القوة في الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقاة السعادة الدنيوية ، وركن من أركان السعادة الاخروية (وثانيهما) ما أفاده الحصر من وجوب تخصيص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك وهو روح الدين *

وكمال التوحيد الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار، ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما)

والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحل محله ، وهو كمال التوحيد والعبادة الخالصة ، ولذلك جمع القرآن بينهما في مثل قوله تعالى (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه) ان لفظ الاستعانة يشعر بأن يطلب العبد من الرب تعالى العون على شيء له فيه كسب ليعينه على القيام به — وفي هذا تكريم للانسان بجعل عمله أصلا في كل ما يحتاج اليه لاتمام تربية نفسه وتزكيتها وإرشاد له ، لان ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة ولا من هدي الشريعة ، فمن تركه كان كسولا مذموما ، لا متوكلا محموداً — وبتذكيره من جهة اخرى بضعفه لكيلا يغتر فيتوهم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه ، فيكون من الهالكين في عاقبة أمره[١]

بمثل هذا الاسلوب الحكيم أخرج حضرة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار تفسير القرآن الحكيم (المشتهر باسم تفسير المنار) وهو كما يقول بحق «انه التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول الذي يبين حكم التشريع ، وسنن الله في الاجتماع البشري ، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل مكان وزمان ، وحجة الله وآيته المعجزة للانس والجان ، ويوازن بين هدايته وما كان عليه سلفهم إذ كانوا معتصمين بحبلها بما يثبت أنها هي السبيل لسعادة الدارين ، مراعى فيها السهولة في التعبير ، مجتنباً مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون بحيث يفهمه العامة ، ولا يستغنى عنه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الازهر حكيم الاسلام الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده»

كان من سوء حظ المسلمين ان أكثر ما كتب من الكتب في التفسير يشغل قارئه عن المقاصد العالية ، والهداية السامية ، فمنها مايشغله عن القرآن بمباحث الاعراب

١) تفسير القرآن الحكيم الجزء الاول ص ٥٦ — ٦١

وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان — ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين ، وتخريجات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات ، وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو مايورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة التي تصد قارئها عما أنزل الله لاجله القرآن

أخرج الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا عشرة أجزاء من تفسير القرآن تقع في عشرة مجلدات تبلغ مايزيد عن خمسة آلاف صحيفة من القطع المتوسط ، منها الخمسة الاجزاء الأول فسرها الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده تفسيراً جمع بين دقة المعنى وجزالة اللفظ ، ورشاقة الاسلوب [1] وللاستاذ الامام منهج في التعبير يدل على نفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، ومتانة الايمان ، حتى ليخيل لقارئه انه من رجال الصدر الاول

(١) المنار : توهم هذه العبارة ان الكاتب ظن أن الاجزاء الخمسة الاولى قد فسرها الاستاذ الامام كتابة أو ان عبارتها أو ماعزوته اليه فيها هو من قلمه أو نص قوله ، والصواب انه فسر أكثرها قراءة في الازهر وان عبارتها كلها لصاحب المنار الا تفسير آية (٢ : ٢١٢ كان الناس أمة واحدة) من الجزء الثاني (ص٢٧٦-٣٠١) فهي بقلمه ، وقد بينت ذلك في أول حاشيتها وآخرها ـ والا صفحة واربعة أسطر من مقدمة تفسير (٢ : ٦٢ ان الذين آمنوا والذين هادوا) الخ من الجزء الاول ، وقد بينت ذلك في (ص٣٣٥ ج ١) وزاد أيضا تعليقات على آيات من تفسير الجزء الاول اقترحتها عليه أهمها في قصة آدم والكلام على الملائكة لاستشكال بعض الناس لما نقلته عنه فيها بعد طبعه في المنار . وقد ميزتها في طبع الجزء بوضعها بين أهلة مع التنبيه اليها . وما عدا ذلك مما نقلته عنه فهو منقول بالمعنى بالاعتماد على فهمي والمذكرات التي كنت أكتبها بالدرس وكلها لا تبلغ نصفه جزء ، ولكن كان فيها كلها نفثة من روعه ، ونفحة من روحه ، سواء منها ماعزوته اليه غفلا ، وما صرحت بانه مثال لقوله أو منقول عنه بالمعنى ، ولا أذكر الآن شيئا قلت انه قاله بنصه الا عبارة في تفسير (٢ : ٦١ و إذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) وقد شرحت هذا الاصطلاح في ص١٥ و١٦ من مقدمة التفسير .

والشيخ محمد عبده من أفذاذ المصلحين، وكبار المفكرين ، لم يخرجه واسع علمه عن الاقتداء بالرسول العظيم، والاهتداء بسيرة السلف الصالح، ولم يزل قدمه في مهاوي الاسرائيليات ، ولم يدخل في جدال مناقشات الطوائف التي جملت من الاسلام والمسلمين شيعاً وأحزاباً ، فهو إذا اتى على تفسير الجنة والنار مثلا قال: انها من عالم الغيب لايجب ان نتعدى فيها قول الرسول المعصوم عملا بقوله تعالى[1] (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) وهذا مايدل على رجاحة العقل وكبح جماح الهوى، وأن يقف في الدائرة التي وضعها الله في كتابه العزيز، لان القرآن قبل كل شيء، هو كتاب هداية وإرشاد . قال تعالى(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب ـ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)

وقد اقتفى الاستاذ السيد رشيد رضا اثر أستاذه الشيخ محمد عبده في التفسير سواء فيما وضعه من الآراء في الخمسة الاجزاء الأول ، أو الباقي من التفسير حتى الجزء العاشر

وان من يتصفح العشرة الاجزاء من التفسير الذي أخرجه الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا يعلم منها سعة اطلاع المؤلف وغزارة معارفه وأمانته في النقل، وشدته على خصومه في الرأي، وان الزمن الطويل الذي سلخه في إخراج تفسيره وهو مايزيد على العشرين سنة مع مثابرته على إخراج مجلة المنار أكثر من ثلاثين عاما تشهد لحضرة العلامة المؤلف بقوة الارادة التي لم توجد في رجال المعاهد الدينية الاسلامية لا متفرقين ولا مجتمعين — والاسلام يُطعن من كل جانب من أهله ومن غير أهله ولايوجد من يدفع عنه بصبر وثبات غير هذا المؤلف الشجاع يناضل اكثر من ثلاثين عاما ضد البدع والضلالات من الملحدين والمبشرين وغيرهم ممن جعلوا هدم الاسلام غايتهم ، واستعباد المسلمين هدفهم .

لقد قرأت العشرة الاجزاء التي أخرجها المؤلف وهي تعتبر دائرة معارف فقهية إسلامية ، وإذا كان هناك بعض ملاحظات فهي تأتي من ناحية استطراد المؤلف في بعض الموضوعات التي تخرج التفسير عن غرضه كالكلام على ترجمة القرآن مثلا فتقع في ٤٩ صفحة من الجزء التاسع ، وبشارة التوراة والانجيل بنبينا ﷺ

١) المنار : وقع في الآية خطا في الاصل فنشرناها صحيحة

ختم في ٧٠ صفحة . وترجمة عزير أو عزرا . والثالوث عند الكلام على الآية الكريمة (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) الخ في ٣٤ صفحة في الجزء العاشر

ان طبيعة الاستاذ العلامة هي إلى النضال والكفاح أقرب منها إلى المسالمة ، فهو إذا ما اعترضه خصومه في الرأي قذفهم بوابل حججه وأسانيده ، وأخذ عليهم المسالك ، وسد عليهم الطرقات ، وقد ينسيه حب الغلبة والقهر - في سبيل ما يعتقد انه الحق - الدائرة التي وضع نفسه فيها ، وكان يكفي في مثل هذه الموضوعات التي ذكرناها الايجاز وخصوصاً فيما يختص بالتوراة والانجيل وأسانيدها إذ ورد عن المعصوم صلوات الله عليه وسلامه اننا لا نكذب ما جاء بها ولا نصدقه - موقف حياد - وقد ذكر الاستاذ ذلك في عدة مواضع وكان يجب عليه أن يقف عند ذلك

توجد بعض استطرادات أخرى خلافية مثلا عند تفسير الآية (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) سورة الانعام . وقد عقد الاستاذ المؤلف فصلا في الخلاف في أبدية النار وعذابها يقع في ثلاثين صفحة وإن كان هذا الكلام يعد من صلب الموضوع إلا اني أرى أن التلخيص والايجاز أقرب إلى الفهم وأبقى في الذاكرة من الاسهاب والاطناب

لا يمكننا أن نفي حق العلامة المؤلف في مثل هذه العجالة الصغيرة من الثناء والتقدير

ان ما يجب أن أذكره لحضرة مؤلفنا الفاضل من الميزات التي يتفوق بها على أقرانه اعتصامه بالحديث وتحري صحيحه ، وهذا ما يجعل حجته أقوى ضد خصومه ، وكفته راجحة ، وانه ما أضعف المسلمين ولا فرقهم إلا التمسك بآراء بعض الفقهاء وتركهم للكتاب والسنة وهما ما يجب أن يضعهما كل مسلم نصب عينيه ولا يلتفت لأي رأي ما لم يكن قائما على السند الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله او إجماع المسلمين من السلف الصالح . وقد قال الامام الشافعي : الحديث إذا صح فهو مذهبي

قال السيد حسن صديق في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) ان طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه هو كاتخاذ

اليهود والنصارى للاحبار والرهبان أرباباً من دون الله، للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ماحرموا وحللوا ما حللوا ، وهذا صنيع المقلدين من هذه الامة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء - فياعباد الله ويا أتباع محمد بن عبدالله ، مابالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال مثلكم في تعبد الله لهم بهما ، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه ؟ فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق ، ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة ، بل تنادي بأبلغ نداء ، وتصوت بأعلا صوت بما يخالف ذلك ويباينه ، فأعرتموها آذانا صما ، وقلوبا غلفاء ، وأفهاماً مريضة ، وعقولا مهيضة ، وأذهانا كليلة ، وخواطر عليلة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد

فدعوا أرشدكم الله وإياي كتباً كتبها لكم الاموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ، ومتعبدهم ومتعبدكم ، ومعبودهم ومعبودكم ، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوا به من الرأي - أقوال إمامكم وإمامهم ، وقدوتهم وقدوتكم ، وهو الامام الاول محمد بن عبدالله ﷺ

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

اللهم هادي الضال مرشد التائه موضح السبيل اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب وأوضح لنا منهج الهداية . اهـ

ليس الاسلام بدين أماني وأوهام، بل هو دين إيمان مقرون بصالح الاعمال، وقد وضع الله سنناً محكمة من اتبعها نجا وسعد ، ومن حاد عنها ضل وشقي

قال تعالى (ليس بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً *ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) وقال رسول الله ﷺ « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، ان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى - كذبوا - ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

وقصارى القول ان تفسير المنار الذي أخرجه العلامة السيد رشيد رضا جدير بالثناء والاعجاب، وأن يقرأه كل محب للاطلاع على ما يرمي اليه القرآن الكريم من إصلاح الامم التي يدعوها للتمسك بآدابه وأحكامه، وأن هذا التفسير يتمشى مع روح العصر الحاضر - فجزى الله المؤلف خير مايجزي به العاملين، ووفقه إلى إتمام بقية الاجزاء الباقية حتى يتم للناشئة الاسلامية تفسيراً شاملا يغنيهم عن كثير من التفاسير، ويهديهم إلى التمسك بما جاء به كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) يحيى أحمد الدرديري

دكتور في الحقوق وليسانسيه في العلوم السياسية

(المنار) نشكر الدكتور العلامة يحيى تقريظه العلمي ونقده الوجيه ونسال الله تعالى أن يكثر من أمثاله في أنصار الاسلام من أساتذة علوم هذا العصر. وعذرنا في تلك الاستطرادات الطويلة شدة حاجة المسلمين الباحثين الى تحقيق القول فيها مع العلم بان قراء تفسيرنا أكثر من قراء مجلتنا (المنار) المختصة بها، وما اشتدت الحاجة الى بيانه ودحض الشبهات فيه فلا يتجلى الحق فيه للجمهور الا بالبسط والاطناب، واما الشدة على المخالف فسببها ما ابتلينا به من مناظرات دعاة النصرانية (المبشرين) السفهاء، وأنصار البدعة الاغبياء، وقد شرعنا في اختصار التفسير وإكماله مختصراً ومطولا كما اقترح علينا الكثيرون، لياخذ كل من طلاب الاسهاب وطلاب الايجاز حاجته، ونساله تعالى التوفيق لانجازها

تفسير المنار

تقريظ وقد للاستاذ الفاضل علامة الاباضية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم اطفيش نشره في مجلته المنهاج (ج ٩ و٢ م٦) قال

ظهر في السنة الماضية الجزء التاسع من تفسير المنار وفي هذه السنة ظهر الجزء العاشر منه، وتفسير المنار من أسمى التفاسير وأوفرها ثروة، وأشملها لحقائق من التفسير مفقودة من مناهج المفسرين، وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ماهب ودب ويجمع مايملأ الأوراق، ويعتمد الى ترهات الاسرائيليات التي شوهت جمال كثير من الكتب، وما ليس له علاقة بالتفسير، إلا حب الاستكثار والولوع بالتخليط، حتى صار الكتاب أشبه مايكون بقصص الرواة اليوم، وهو مايجب أن ينزه

عنه تفسير كلام الله . ولكنه والحق يقال تفسير ممتع بطلاوته ، مبدع في أسلوبه، جامع في إلمامه بمقتضيات الآية ، مع الايجاز في مقام الايجاز ، والاطناب في مقام الاطناب . اذا مررت بآية في سنن الكون رأيته يدني اليك من الحقائق مايسحر ، أو بآية في سنن العمران رأيت بين يديك من الدقائق مايبهر ، أو بآية التوحيد رأيت من تحبير وتحرير مايغنيك عن طائفة من الكتب، مع استقلال في البحث والترجيح ، أو بآية في الفقه وأصوله أوقفك على مايأخذ بتلابيبك، مالكا لك من جوانبك ، أما تحقيقات البلاغة فهي السحر الحلال ، لست ترى في أسلوب هذا التفسير المبتكر خروجا عن مناهج العربية ، وعما تقتضيه الآيات الكريمة وتبينه الاحاديث النبوية ، أما آيات مخاطبة الامم ودعايتها الى الهداية الاسلامية فاصداع وإقناع ، واشباع بالحق والحجة ، والادلة التي يسلم بها الخصم .

ذلك هو تفسير المنار نقدمه الى قراء المنهاج . ولا يفوتني أن أذكر انه بقي في ذهني أن قطب الأئمة شيخنا محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله ورضي عنه ذكر باعجاب تفسير المنار وأثنى عليه [1] وفي ظني انه في بعض تآليفه أو سمعته مشافهة وكفى بثناء هذا الامام العظيم الذي فسر القرآن ثلاث مرات (داع العمل ، ليوم الامل ، هميان الزاد ، الى دار المعاد ، تيسير التفسير)

على انني لا أهمل أن آخذ على هذا العلامة الكبير شدة لهجته عند الكلام على صفات الله ، والآيات المتشابهات ، والحال انه اختار أن يأخذ بجانب عدم التأويل، والتأويل هو ما يقتضيه كلام الله وعليه أهل البلاغة والخلف من أصحاب المذاهب الاربعة والمفسر منهم، وكمال التنزيه موجب للتأويل ، ولنا كلام في هذا الموضوع وغيره في غير هذا المكان . فللمصنف اختياره . وله ترجيحه ولكن لايجوز لاحد من أهل العلم أن يشتد على مخالفه في النظر والمذهب، وهو رأي

(١) كذلك امام الاباضية في عمان من الشرق ، أثنى على هذا التفسير كما أثنى عليه امامهم هذا في الغرب (الجزائر) ومما كتبه عن مؤلفه لغيره: وكانه سال أن يعطى الحق فاعطيه، وان يوقى الباطل فوقيه، فهذا دليل على استقلال هذين الامامين وانصافهما

ومذهب أساطين من أهل العلم من السلف والخلف . ونرجو الله أن يمد في عمر المفسر حتى يتم تفسير القرآن الكريم الذي هو من أنشودة الامة الاسلامية اليوم ومناها اهـ

(المنار) نشكر للاستاذ العلامة صاحب المنهاج تقريظه العلمي الاستقلالي ، وكذا نقده المذهبي في مسألة التأويل على ما فيه من تعارض وإجمال وإبهام سببها توخي الاختصار ، فهو يقول ان المفسر من «الخلف من أصحاب المذاهب الاربعة» فماذا يريد بهذا القول ؟ ان أئمة المذاهب الاربعة يعدون من علماء السلف لا من الخلف وكان مذهبهم في الصفات إمرار النصوص في صفات الله تعالى كما وردت من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، وهذا ما ندين الله تعالى ونقرره في تفسيرنا وغيره علما لا تقليداً لهم وأما المتأولون من المتكلمين المنتمين اليهم في الفقه كالمعتزلة من الحنفية والاشعرية من المالكية والشافعية فقد خالفوا أئمتهم في هذه المسألة الاعتقادية ، واعتذر بعضهم كالغزالي عن ذلك بأن الضرورة ألجأتهم الى علم الكلام المبتدع لاجل الرد على الفلاسفة والمبتدعة . وقد رجع بعض فحول هؤلاء المتكلمين عن تأويلاتهم إلى مذهب السلف الصالح في الصفات كما يفضلونهم في سائر أمور الدين

وأما كون البلاغة وكمال التنزيه يوجبان التأويل ، فهو دعوى أو دعويان لا يقوم عليهما دليل ، فهؤلاء المتكلمون المتأولون ليسوا أكمل تنزيها لله تعالى ولا أقوى فهما لبلاغة كتابه من علماء الصحابة والتابعين ، بل دونهم فيهما بدون نزاع ، وإنما كلامهم في التنزيه مبني على نظريات اصطلاحية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، وقد أفضت بالجهمية والمعتزلة إلى نفي الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه وهي عين الكمال ، بالتحكم فيها كما يتحكمون في صفات المخلوقات ، كما أن فهمهم للبلاغة مقيد بقواعد واصطلاحات الفنون وأصول المذاهب التي يحكمونها في القرآن — والقرآن فوق الفنون والمذاهب وإنما الواجب تحكيمه فيها ، كما بينا ذلك مراراً في تفسيرنا (والشيعة والاباضية على مذهب المعتزلة في التأويل)

وأما شدتنا في الرد عليهم فهو دون شدة غلاتهم في الرد على أهل الاثبات ، وسلف الامة ، فهم قد يكفرون مخالفهم في صفة العلو ولو بطريق اللزوم ، ونحن نخطئهم ولا نكفرهم وسنتوخى اللين في ذلك إن شاء الله تعالى .

غاندي يشهد للاسلام

﴿ ومحمد عليه الصلاة والسلام ﴾

جاء في مجلة النورد (ذي لايت) التي تصدر في لاهور وهي مجلة اسلامية المقال التالي للمهاتما غاندي في الاسلام وهذه ترجمته وقد نشرت في بعض جرائد مصر وسورية :

« لم يكن الاسلام في ابان مجده عديم التسامح فقد احرز اعجاب العالم كله ولما كان الغرب غارقا في الظلمات أشرق نجم في سماء الشرق واضاء عالما متألما ومنحه التعزية . ليس الاسلام دينا باطلا فليدرسه الهندوس باحترام يحبوه كما أحبه أنا

« انتهيت من درس حياة اصحاب النبي ولما انتهيت من المجلد الثاني اسفت لعدم وجود مابعده لأقرأ عن تلك الحياة العظمى وغدوت مقتنعا كل الاقتناع انه ليس السيف هو الذي جعل للاسلام مكانة في معترك الحياة، بل ان بساطة النبي التامة وانكاره الكلي لذاته واحترامه (يعني إيثاره على نفسه) الدقيق لعهوده، واخلاصه الشديد لاصدقائه واتباعه ، وشجاعته وبسالته، وعدم مبالاته بالمخاوف ، وثقته الكاملة بالله ورسالته هذه — لا السيف — هي التي جرفت كل شيء امام المسلمين الاولين وتغلبت على كل العقبات

« قال بعضهم « ان الاوربيين في افريقيا الجنوبية يخشون انتشار الاسلام - الاسلام الذي مدن اسبانيا . الاسلام الذي حمل النور الى المغرب وبشر العالم بالاخوة »

« ان الاوربيين يخشون الاسلام لان الذين يعتنقونه يحتمل ان يطالبوا البيض بالمساواة، ومن حق هؤلاء أن يخافوا لو كانت الاخوة خطيئة . فاذا كان البيض يخافون من المساواة بالعناصر الاخرى فان المخاوف من الاسلام تقوم على أساس صحيح . اني رأيت الزلوسي الذي يعتنق المسيحية لا يصعد بطبيعة الحال الى مستوى المسيحيين على حين انه اذا اعتنق الاسلام يشرب من نفس قدح المسلمين ويأكل من ذات قصعتهم »

المؤتمر الاسلامي العام

في بيت المقدس

تمهيد تاريخي

ان عدد المسلمين في هذا العصر أربعمائة مليون نفس أو يزيدون وهم على أستحواذ الجهل والفقر والتفرق عليهم لايزالون يشعرون بأخوة الاسلام ووحدته وهم يملكون أعظم ثروة من الارض وأعظم هداية للبشر لو عرفوا كيف ينتفعون بهما لسادوا العالم كرة أخرى أعظم وأوسع من السيادة الاولى، وأقرب الوسائل إلى نشر هذه المعرفة وتعميمها والسعي للعمل بها عقد المؤتمرات وتأليف الجمعيات

قد فكر أفراد من كبار أصحاب الرأي من المسلمين منذ أواخر القرن الماضي للهجرة بشدة الحاجة إلى الاجتماع للبحث في أسباب ضعف امتهم وما يجب من معالجته وإعادة مجدهم السابق بما تقتضيه حالة هذا العصر من علم وعمل، والى تأليف جمعية عظيمة ذات فروع كثيرة للقيام بذلك، وكان أعظم هؤلاء المفكرين قدراً وأقواهم تأثيراً موقظ الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني. وقد نبهنا أمتنا لهذا الامر العظيم في المنار مراراً كثيرة من أول نشأته إلى الآن، من قبل أن نسمي الاجتماع لهذا البحث مؤتمراً

وكان اول ما بسطنا به هذا الرأي مقال عنوانه (الاصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الاسلامية) نشرناه في العدد الذي صدر في المنار في السنة الاولى بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٣١٦ (فيراجع في ص ٧٦٤ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) وقد جاء فيه ما نصه :

« ويتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي، وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها

المسلمون من جميع اقطار الارض ويتآخون في مواقفها الطاهرة ومعاهدها المقدسة، ويكون اهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لابد أن يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون إلى شعبهم من المجتمع العام مايستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية .وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة . وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم ، والأمن من وقوفهم على ما لاينبغي وقوفهم عليه في جملته او تفصيله (ومنها) ان لشرف المكان والحالة قاصديه الدينية اثراً عظيما في الاخلاص والتنزه عن الهوى والغرض، فضلا عن الغش والخيانة . وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضا، وأية شعبة استطاعت إنشاء جريدة تنشئها »

وقد بينا في تلك المقالة ومقالة أخرى بعدها أهم مايجب أن تقوم به هذه الجمعية الكبرى من الاصلاح لجمع كلمة المسلمين والقيام بمصالحهم العامة ، وتجديد تبادل الرأي في كل عام، وهو ما أعدنا الآن بيانه واقتراح بعضه في مؤتمر بيت المقدس في شهر شعبان الماضي أي بعد ٣٥ سنة كاملة من كتابة هاتين المقالتين

مؤتمر أم القرى الخيالي

ثم جاء مصر الحكيم الاجتماعي المفكر السيد عبدالرحمن الكواكبي فكان من خيار أصدقائنا الذين نحاورهم ونسامرهم في موضوع الاصلاح الاسلامي وكان قد وضع قبل رحلته هذه كتاب سجل جمعية أم القرى الذي هو أوسع شرح لمشروع أعظم مؤتمر إسلامي للاصلاح العام ، وكان مختصراً فزاد فيه شيئا كثيراً بعد المذاكرات الطويلة بينه وبيننا نحن وغيرنا من المفكرين والباحثين في الاصلاح الديني والمدني والسياسي، ونقح بعضه، وان لدي نسخته الاصلية المخطوطة الشاهدة على ذلك . ولما طبعه واطلع عليه أحمد مختار باشا الغازي الشهير اتهمني بتأليفه لكثرة ما كان بيني وبينه (أي الغازي) من المذاكرات في موضوعه، وقد ذكرت هذا في ترجمة الكواكبي في عهد الغازي . ولو كان الغازي متقناً للغة العربية لما اتهمني

بذلك فان عبارة الكتاب ضعيفة وفيها كثير من اللحن والغلط ، ولذلك اتفقت مع مؤلفه رحمه الله تعالى على تصحيح عبارته وبعض التنقيح فيه ونشره في المنار وإعادة طبعه عنه مع ذكر ما أخالفه فيه في حواشيه وهو قليل ، وشرعت في ذلك في المجلد الخامس (سنة ١٣٢٠) وتوفي رحمه الله تعالى قبل إتمام نشره وطبعه . وكان يقول لنا ان لجمعية أم القرى أصلا ، وانه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه سنة ١٣١٧ ثم أقنعته باعادة تنقيحه سنة ١٣٢٠

مؤتمر ندوة العلماء بالهند

وفي سنة ١٣٣٠ (الموافقة لسنة ١٩١٢) دعتني جمعية ندوة العلماء الهندية المشهورة إلى رياسة مؤتمرها الذي عقدته في الهند فأجبت الدعوة وقد بينت في خطبتي لافتتاح هذا المؤتمر في مدينة لكهنؤ ثم في خطبتي الارتجالية في المدرسة الكلية (الجامعة) في عليكده وهي أعظم المدارس الاسلامية المدنية في الهند - ثم في مدرسة ديوبند وهي أعظم المدارس الدينية فيها- أهم أركان الاصلاح الاسلامي في التعليم والتربية . وألقيت في المحافل والاجتماعات الادبية والمدارس الاسلامية في الهند خطباً أخرى في الاصلاح أهمها الخطبة التي ارتجلتها في لاهور في الاجتماع الذي عقد للصلح بين الصحفيين الكبيرين مولانا محمد انشاء الله صاحب جريدة وطن رحمه الله ومولانا ظفرعلي خان صاحب جريدة (زميندار) حفظه الله . وقد أعجب حاضرو ذلك الاجتماع بما ألهمته فيه من فلسفة الاختلاف والاتفاق بين البشر حتى اقترح بعضهم ان أجعله موضوع خطبة الصدارة في مؤتمر ندوة العلماء وكان قبل عقد المؤتمر ،ويليها الخطاب الذي ألقيته في بومبي في اجتماع عظيم عقد للتأليف بين أهل السنة والشيعة ، وكنت مهدت له تمهيداً عملياً في لكهنؤ بزيارتي لكبير مجتهدي الشيعة فيها وحمله بذلك على زيارة ندوة العلماء وحضور حفلتها ؛ ولم يكن زارها من قبل

المؤتمر السوري العام بدمشق

وفي سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) انتخبت رئيساً للمؤتمر السوري العام الذي عقد في

بمدينة دمشق وأعلن استقلال سورية الطبيعية ، وتولية الشريف فيصل ملكا عليها فكان هذا اختبارا وتمرنا على إدارة المؤتمرات السياسية ومباحثها

المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف

وفي سنة ١٣٤١ هـ عقد في مدينة جنيف المؤتمر السوري الفلسطيني وكنت من مؤسسيه والوكيل الاول لرئيسه

فهذه نبذة تاريخية في أول عهدي وأوسطه وآخره في فكرة المؤتمرات وعملها والبحث في موضوعاتها المختلفة ، قبل المؤتمر الذي عقد في هذه السنة في بيت المقدس وفي المنار مقالات ومباحث ورسائل كثيرة في هذه المؤتمرات وفي مؤتمرات مسلمي الهند وغيرها

مؤتمر مكة المكرمة السعودي

ولما أراد صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد جمع مؤتمر إسلامي بمكة عقب استيلائه عليها سنة ١٣٤٤ كلفني إرسال دعوته لهذا المؤتمر إلى بعض رؤساء الحكومات والجمعيات الاسلامية من مصر قبل استيلائه على جدة فلبيت ، ثم كلفني بمكة كتابة مشروع النظام الداخلي له والخطاب الذي يفتتحه جلالته به ففعلت . ثم ألفت لجنة للنظر في مشروع النظام مؤلفة من أعضاء يمثلون الحجاز والهند وجاوة وروسية وغيرها من بلاد الاسلام فكانت تجتمع عندي في دار بناجه الشهيرة حيث أنزلني جلالة الملك ضيفاً، بيد أنني أصبت بالحمى الشديدة قبل إتمام تنقيح مشروع النظام وقد نفخ في هذا المؤتمر شيء من روح الشقاق من قبل الوفد الهندي بمعارضة محمد علي وشوكت علي لملك الحجاز في شكل حكومته فوقى الله شره

مؤتمر بيت المقدس

قام بالدعوة إلى هذا المؤتمر صاحب السماحة السيد محمد امين الحسيني المفتي ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى لفلسطين بعد تمهيد غير تام له فلقي معارضة قوية وكيداً شديداً ، وإنني أبدأ بنشر صورة الدعوة العامة إلى المؤتمر فالدعوة الخاصة بي لتعضيده والمساعدة عليه . ثم ألخص أخبار ما لقيه من الكيد والمعارضة فأخبار عقده وأعماله وعملي فيه ورأيي في فائدته كما ينتظر مني قراء المنار فأقول :

﴿ نص الدعوة العامة الى المؤتمر ﴾

نشرت الدعوة الاولى الى هذا المؤتمر في ٢٢ ربيع الاول من هذه السنة (١٣٥٠) وحدد فيها موعد عقده بالتاسع من شهر جمادى الاولى الموافق اول اكتوبر (ت٢) سنة ١٩٣١ ثم جاءت مكتوبات كثيرة الى الداعي طلب مرسلوها تاخير الموعد ليتمكنوا من الحضور فيه من بلادهم البعيدة فنسخت بالدعوة الثانية وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ وائتمروا بينكم بمعروف ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فانني أحمد اليكم الله الذي ألف بالاسلام بين قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم الداعي إلى الحق وصراط مستقيم ، وعلى آله وأصحابه وتابعيه الذين اهتدوا بهديه ، فشقوا بذلك لأنفسهم سبل النجح والفلاح ، وحيوا حياة طيبة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

ولما كان المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكان الحادث إذا نزل بفريق من المسلمين فكأنما نزل بالمسلمين جميعاً ، فقد رأى فريق من أهل الرأي النافذ ، والغيرة الحافزة من أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الاسلامية القيام بدعوة واسعة النطاق لعقد مؤتمر إسلامي عام في بيت المقدس الذي تشرف باسراء الرسول الاعظم ﷺ ، يدعى اليه أعيان الملة الاسلامية وكبراء رجالها من سائر الاقطار الذين عهدت فيهم الغيرة والحمية والعلم الصحيح والرأي السديد والبصر النافذ ، للبحث في حالة المسلمين الحاضرة ، وفي صيانة الاماكن المقدسة الاسلامية من الايدي الممتدة اليها الطامعة بها ، وفي شؤون أخرى تهم المسلمين جميعا وتعود عليهم بالخير العميم والنفع العظيم ان شاء الله تعالى

وبالنظر لما نعهده في جنابكم من الغيرة الاسلامية ، وسداد الرأي والكفاية التامة للاضطلاع بهذا العبء ، فاننا نوجه اليكم هذه الدعوة لحضور المؤتمر الاسلامي العام الذي سيعقد ان شاء الله تعالى بالقدس الشريف في جوار المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله في ليلة الاسراء المباركة في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ وفق ٧ كانون الاول (٧ ديسمبر سنة ٩٣١) لتتفضلوا بالاشتراك مع الذين يلبون الدعوة من كبراء الرجال في العالم الاسلامي حيث يستلهمون الاقدام والعمل في سبيل الاسلام من رضوان الله عز وجل ، ومن روحانية المصطفى ﷺ . وسيكون افتتاح المؤتمر في المسجد الاقصى المبارك

وان لنا عظيم الامل في أن ننال من جنابكم جوابا بالبريد الجوي في أسرع ما يمكن ، يتضمن استعدادكم للتفضل بتلبية هذه الدعوة لهذا المؤتمر العظيم ، الذي نرجو أن يكون له أثر مبارك ، وشأن كبير في تاريخ الجهاد الاسلامي بفضل غيرتكم وقوة إيمانكم . واننا نسأل المولى عز وجل أن يسدد خطانا ، وينير سبلنا في هذه الظلمات الحالكة بنور هدايته ورضوانه ، ويوفقنا جميعا لخدمة الاسلام . قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته — رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٠ — ومفتي الديار القدسية
محمد أمين الحسيني

﴿ نص الدعوة الخاصة بصاحب المنار ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولانا صاحب السماحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا ، متع الله المسلمين بطول بقائه . آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته «أما بعد» فقد صحت العزيمة بعد الاتكال على الله تعالى على عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس الشريف ليبحث هذا المؤتمر في أهم القضايا الاسلامية العامة التي تهم العالم الاسلامي قاطبة وتجمع كلمته وتكفل

تناصره بصورة عامة ، وفي القضايا الاسلامية التي تتعلق بفلسطين على الخصوص ومن ذلك قضية البراق الشريف وسائر البقاع المشرفة في فلسطين ، والنظر في اتخاذ ماتدعو المصلحة إلى اتخاذه من المشروعات التهذيبية والثقافية في فلسطين وتحقيق فكرة إنشاء الجامعة الاسلامية التي كنتم أول من عمل على تحقيقها بتأسيسكم دار الدعوة والارشاد وبغير ذلك من مساعيكم المشكورة الخالدة الاثر ، وبذلك تتقوى الروابط بين هذا القطر والاقطار الاسلامية الاخرى ، وتتمهد السبل إن شاء الله إلى إنقاذ هذه البلاد المقدسة من الاخطار العظيمة المحدقة بها

ولما وجدنا السياسة الغاشمة قد انتهت بقضية البراق إلى الحالة التي وقفتم سيادتكم عليها رأينا انه بات من الضروري الاستعانة برأي العالم الاسلامي في تقرير الخطة التي ينبغي اتخاذها على يد هذا المؤتمر . وسنبعث إلى سيادتكم بوقت قريب بخلاصة مارؤي أن يكون الهدف والغاية في المؤتمر لتتفضلوا بابداء رأيكم الحكيم ونظركم الصائب وإرشادكم الثمين في هذا العمل الذي نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل منه لمسلمي هذه البلاد الفائدة الطيبة والنتيجة الحسنة

وقد عرضت لنا الحاجة الآن إلى الحصول على عناوين أرباب المكانة والزعامة والفكر والقيادة من المسلمين في جميع الاقطار لنبعث اليهم بالدعوة لحضور المؤتمر المقرر الانعقاد في ليلة الاسراء المباركة الموافقة ٢٧ رجب ١٣٥٠ — ٧ ديسمبر ١٩٣١ وقد ظننا أن لمجلة المنار الغراء السبيل الى إمدادنا بالعناوين التي ترون سيادتكم انه من الواجب توجيه الدعوة الى أصحابها في جميع الاقطار الاسلامية . وقد يكون في هذا التكليف شيء من المشقة والازعاج فنرجو منكم العفو عن هذا والمعذرة مع يقيننا أن للمصلحة العامة أعظم حرز وأكبر ملجأ في ذات سيادتكم الكريمة ، ونرجو أن نتلقى هذه المساعدة الثمينة من سماحتكم بأقرب وقت ممكن ، والله تعالى يأخذ بيدنا ويهدينا سواء السبيل الى مافيه خير الاسلام والمسلمين وهو السميع المجيب

٩ جمادى الاولى ١٣٥٠ محمد أمين الحسيني

مقاومة المؤتمر المقدسي ومسألة الخلافة

كان قد ذاع وشاع ان (مولانا شوكت علي) أحد مؤسسي جمعية الخلافة في الهند لترويج سياسة الخلافة العثمانية التركية هو الذي اقترح على السيد محمد أمين الحسيني عقد هذا المؤتمر وان أهم غرض فيه مبايعة عبد المجيد افندى العثماني آخر سلاطين الترك بالخلافة وهو الذي نصبته الحكومة الكمالية سلطانا وخليفة روحانياً لاشأن له ولا حق في الحكم ولا في نصب الحكام ولا في شريعة الاسلام فرضي ثم خلعته ثم اختلف الناس في مقام هذا الخليفة فقيل ان شوكت علي متفق مع الدولة البريطانية على أن يكون مقامه في بيت المقدس ليكون آلة في يدها تستعمل سلطته الروحانية الوهمية في إخضاع مسلمي الهند وغيرهم لها قلباً وقالباً ، وقيل ان مقامه هذا يكون موقتا ثم ينقل الى مكة المكرمة بقوة الانكليز وبذلك ينتقم شوكت علي من عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد . وقيل بل ينقل بعد ذلك الى الهند فيقيم في حيدراباد - وهو أينما أقام يكون خليفة بريطانياً . وقيل بل اتفق الانكليز وفرنسة على مبايعة أهل فلسطين وسورية جميعاً له وبقائه في القدس وان يكون نفوذه شركة بينهما يخضعان بها رعاياهما المسلمين

وقد جهل هؤلاء كلهم كبيرهم وصغيرهم ان انكلترة قد اتفقت مع حلفائها في الحرب على توجيه نفوذهن كلهن الى إماتة منصب الخلافة الاسلامية موتا أبديا على مذهب الدهريين المنكرين للبعث والنشور ، وان موته خير لهن من حياته ليكون صاحبه آلة لهن ، إذ لا يأمن أن ترتقي الشعوب الاسلامية وتتفق كلها أو اكثرها على تحقيق وحدتها في التشريع والحكم بجعل هذا المنصب حقيقيا لا وهميا ، وجعل سلطانه فعلياً لا صورياً ، وانما يمكن هذا بوضع نظام لممالكها المتحدة المستقلة يكون له مجلس اتحادي رئيسه الخليفة .

هذا هو الحق ولكن الاشاعة راجت وصدقها الجماهير من الناس غافلين عن تعذر هذا العمل بهذه الوسيلة الضعيفة وهي جمع مؤتمر بدعوة من مفتي فلسطين يرضى أعضاؤه أن ينتحلوا لأنفسهم صفة أهل الحل والعقد في الشعوب الاسلامية زوراً وظلماً وأن يكونوا طوع شوكت علي الهندي أو خدماً لنفوذ انكلترة في أمتهم ،

بل صدقت الاشاعة حكومة الترك الحاضرة فقامت لها وقعدت، وأرغت وأزبدت، وأنذرت وهددت ، وصرح كبار رجالها بان هذا عمل عدائي لها ، وخاطب سفيرها في لوندرة حكومتها بذلك، وأكثرت جرائدهم الخوض فيه، ومزجوا كلامهم بالهزء والتهكم والسخرية من المسلمين والعرب، وراجت الاشاعة في مصر فكثر الخوض فيها

وانتدب علماء الازهر للطعن في المؤتمر والصد عنه وشايعهم آخرون، فقام في وجوههم خصوم يفندون آراءهم ويدافعون عن دعوة المؤتمر ، كان ألدعهم قلما ، وأوجعهم ألمـاً ، الـكاتب المؤثر الجريء الصداع علي افندي عبد الرازق عدو الازهر وأنصاره، فاشتد سوء الظن بالمؤتمر عند هؤلاء وأولئك ، وانتقل الصد عنه والارجاف به من طور إلى طور، وقد كذب السيد أمين الحسيني الخبر ثم كذبه مولانا شوكت علي ، ولم تكف الجرائد عن الخوض فيه ، ولا الازهريون عن النقد والطعن عليه والصد عنه ، وبناء ذلك على الاجمال والايهام في دعوته

اتهام المؤتمر بمناهضة الازهر

بدأ الطعن فيه بمقالات ينشرها بعض كبار شيوخ الازهر في الجرائد فانتقل إلى تأليف «مظاهرات» اجتماعية من جميع المعاهد الدينية التابعة له في القطر ، ويظهر مما كتب في ذلك أن الازهريين فهموا مما ذكر في الدعوة إلى المؤتمر من الاستعانة به على إنشاء مدرسة إسلامية جامعة في فلسطين يراد به أن تكون هذه الجامعة معارضة للجامعة الازهرية ومضادة لها ، وحينئذ تكون مفسدة في العالم الاسلامي يجب درؤها، وإحباط أمر المؤتمر الذي يدعى لها ، بل صار موضوع الحوار بين الناس في هذا المؤتمر أن الغرض منه مقاومة سياسة الحكومة الملكية المصرية وأزهرها.

إن هذا لأمر عجيب ، وانه لا بعد عن العقل من كون الغرض منه أو كون أحد الاغراض الاساسية منه نصب خليفة للمسلمين في فلسطين ، وأغرب ما فيه وأدعاه إلى العجب أن يكون المراد من إنشاء مدرسة جامعة في فلسطين معارضة الازهر ومناصبته ، وما استدل به على ذلك من انها ستسير على نظامه ومناهجه، وأشد من هـذا وأعمق في إثارة العجب أن يثور الازهر وجميع معاهد العلم التابعة له لصد العالم الاسلامي كله عن عقد المؤتمر لدرء هذا الخطر الوهمي الذي

تهدده به هذه الجامعة التي يكلف تقريرها والسعي اليها. ولو كان الازهريون أو غيرهم من الجماعات الاسلامية يهبون لدرء المفاسد الحقيقية والاخطار المستيقنة في بدء وقوعها كما هبوا لمقاومة هذا الخطر الوهمي قبل وقوعه لما نالت خطوب الدهر ونوائبه من المسلمين نيلا

كيف يعقل هذا الخطر ؟ من ذا الذي يقصده ؟ أهو السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس أم غيره؟ مافائدة هذا العمل لمن عساه يقصده؟ كيف يتصور ان يتوسل اليه بمؤتمر إسلامي ؟ هل يعتقد الازهريون أن العالم الاسلامي قد ثبت عند دهمائه أو حكامه وملوكه وأمرائه ان الازهر مفسدة في الاسلام يجب القضاء عليها فيخشوا أن يقبل مندوبوهم في المؤتمر اقتراح القضاء عليه أو معارضته بجامعة تحل محله أو تغني عنه ؟ ثم إذا قبل المؤتمر هذا وقرره وجمع المال الكثير له فكيف يكون التنفيذ لمقصده ؟ من ذا الذي يضع النظام لهذه الجامعة الاسلامية المقدسية المؤتمرية ؟ وما الكتب التي تختار أو تصنف لها ؟ ومن أين يؤتى لها بالمدرسين الذين يتولون هذا التعليم الغريب فيها ؟

انه ليمكن بسط كل استفهام من هذه الاستفهامات الانكارية في مقال أو مقالات يثبت بكل منها ان ذلك الوهم الذي ألقي في روع الازهر فأحدث فيه ذلك الروع العجيب من محالات العقول أو محاراتها . ولكن إقناع الجماعات بالاوهام التي ينكرها الحس مع العقل من أسهل الامور المالوفة ، كما أن تقليد بعض الجماعات لبعض فيها من الوقائع المعروفة، كما حققه فيلسوف التاريخ (غوستاف لوبون) وأما الافراد المستقلون في فهمهم وتفكيرهم فلا تقبل عقولهم أمثال هذه الاوهام، وقد حدثت بعض أصدقائي من علماء الازهر غير المجروفين بتيار مشيخة الازهر في هذه المسألة فوافقوني على استحالة ماعزي الى الداعي إلى المؤتمر واخوانه أعضاء اللجنة التحضيرية له أن يقصدوا من الجامعة المقدسية مصادمة الازهر ومعاداته، وان طعن الازهريين في هذا المؤتمر بهذه العلة مما لا يسيغه العقل ولا يسوغه الدين

إن كانت الجامعة المطلوبة دينية كالازهر فأجدر بالازهريين أن يفرحوا بها ، ويرشحوا علماءهم للتدريس فيها ، وإن كانت مدنية فلا تعدو أن تكون

كالجامعة المصرية وقد صرح بعض كتاب مصر في جرائدهم بأن الغرض منها نسخ الثقافة الازهرية القديمة البالية بثقافة طريفة مجددة ، ولم نر أحداً من علماء الازهر هاجمها بكتابة ولا مظاهرة. فكيف أخذوا أهبتهم ، واستجمعوا قوتهم ، واستلوا سيوف ألسنتهم وشرعوا اسلات اقلامهم للضرب والطعان ، وبارزوا الجامعة المقدسية قبل بروزها إلى الميدان، ان هذا مما يؤسف له ولكنه وقع، ودفع الازهر فاندفع ، وطالبني بعض من يعجبهم رأيي في أمثال هذه المسائل الاسلامية أن أكتب مقالا في هذا الموضوع يحز في المفصل ، ويحل هذا المعضل ، وينشر في بعض الجرائد اليومية ، فقلت ان الكتابة في هذا الموضوع الآن ليس من المصلحة الاسلامية في شيء ، فان تخطئة الازهر في أمر ظهر به جمهور شيوخه وجيوش طلابه لا يجوز الا اذا تعذر تلافي هذه الفتنة واقناعهم بالكف عن الطعن في المؤتمر والصد عنه مع حفظ كرامة الفريقين . فان تعذر هـذا فنصر دعوة المؤتمر واجبة لانه مصلحة اسلامية ضرورية في إحباطها مضار كثيرة عامة ذكرتها لهم، وأشرت الى هذه المصلحة العامة في مقدمة هذا المقال ، وقد اشتدت الضرورة اليه في هذا الزمان ، وسأذكر المصلحة الخاصة بالمكان (القدس) ، وإرجاؤه بعد تعميم الدعوة اليه كما اقترح بعض الناس فيه مضار أخرى لا تخفى على العاقل المفكر ، فلا يقول بها إلا أفين الرأي، أو سيء القصد — كذلك حفظ كرامة جامعة الازهر ضرورية من حيث شخصيته المعنوية ، ولا ينافيها نقد مشيخته في إدارته ونظام التعليم فيه ، ولا الرد على بعض شيوخه ، والجمع بين كرامته وتأليف المؤتمر وكرامة الداعي اليه ممكنة

لم أر لتلافي الفتنة إلا دعوة السيد محمد أمين الحسيني إلى الاسراع بالمجيء إلى مصر لتلافيها مع الحكومة المصرية الملكية ومشيخة الازهر فانني موقن بأنه لا يقصد هو ولا أحد من أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر شيئاً يسوء هذه الحكومة ولا الازهر ولا شيئاً يمس كرامتها بما يشينها أو يعد غمصاً لحقوقها

ولا أكتم في هذا المقام ما سمعته بأذني من بعض الطاعنين الناقمين من ترك السيد محمد أمين ما كان يجب عليه وجوبا أدبياً من استئذان جلالة ملك مصر في

هذه الدعوة لما له من المكانة والمزية بين ملوك المسلمين ، ولما له من الفضل في مساعدة السيد محمد أمين المالية الكبيرة على ترميم المسجد الاقصى . وقال لي رجل آخر له مكانة في كبراء المسلمين انه كان يجب عليه أن يستشير جميع ملوك المسلمين في هذا العمل العظيم . وقد أجبت هذا وكل من أورد هذا الانتقاد بأن الرجل قد ثبت عنده وعند من شايعه وساعده على الدعوة إلى هذا المؤتمر أنه ضروري لتعزيز مركز فلسطين تجاه مطامع اليهود ومحاباة الدولة البريطانية لهم ولتقوية مركز المجلس الاسلامي الشرعي فيها ومركزه هو فيه - والامر الضروري الذي لا بد منه لا يستشار فيه أحد ولا سيما من كان مايشير به حكما أو كالحكم الذي لا مندوحة عن طاعته كصاحب الجلالة ملك مصر . وإنما الواجب الادبي الذي تقتضيه المصلحة والذوق إيذان ملوك المسلمين بالدعوة وطلب عطفهم ومساعدتهم ، وأظن ظناً يزاحم اليقين ان هذا قد وقع ، كذا قلت لهذا الرجل الكبير ولمن دونه بادي الرأي ثم علمت انه هو الحق

في هذه الاثناء كتب إلي السيد محمد أمين الحسيني كتابا آخر اقترح علي فيه أن أكتب رسالة فيما أرى اقتراحه على المؤتمر من الاصلاح الاسلامي وإرسالها اليه لاجل أن تطبع وتوزع على أعضاء المؤتمر عند حضورهم فتكون مادة لتفكيرهم من أخ لهم صرف أكثر من ثلث قرن في البحث والكتابة والعمل والمذاكرة والمناظرة في هذا الاصلاح من جميع جوانبه وفروع مسائله - فكتبت اليه أنه يجب قبل هذا الاستعداد للمؤتمر أن يجيء القاهرة لاجل تلافي فتنة المعارضة لفكرة المؤتمر وتشويه سمعته والصد عنه التي شرع الازهر فيها ، ووافقت أهواء آخرين يشايعون خصومه في فلسطين نفسها ، فلم يلبث أن حضر وكان من سعيه ما سألخص خبره في هذا المقال

المعارضة في فلسطين ومثيروها

يوجد في مدينة بيت المقدس تنافس بين بيت الحسيني وبيت الخالدي من بيوتاتها ، وقد توارث الاول منها منصب الافتاء وكثر في الثاني كتاب المحاكم الشرعية في هذه المدينة وتوارثوا أعمالها في عهد قضاتها الذين كانت توليهم مشيخة الاسلام في الاستانة ، فلما أنشيء المجلس الشرعي الاعلى بعد رسوخ

قدم الانكليز في البلاد وكان رئيسه مفتي القدس من آل الحسيني صارت المحاكم الشرعية في البلاد كلها تابعة لرياسته، فكان هذا سبباً لقوة التنافس بين الاسرتين: الحسينية والخالدية . وهنالك بيت النشاشيبي من أسر الوجاهة وعماده راغب بك النشاشيبي رئيس البلدية وهو مساير وملائم لسياسة الحكومة الانكليزية الصهيونية، وآل الحسيني زعماء المعارضة لها . فلما علت وجاهة المفتي الحسيني برياسة المجلس الاعلى الذي يتولى إدارة المحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية معاً كان بينهما من المنافسة ما اقتضى الاتفاق بينه وبين آل الخالدي على معارضة الحسيني . ولكل من الفريقين أنصار في البلاد ، فأنصار الحسيني يسمون المجلسيين ، والآخرون يسمون المعارضين، ولكل منهما جرائد تدافع عنهم وتطعن على الآخرين، وكل من كان له حاجة عند زعيم فلم يقضها له اتخذه عدواً فظاهر خصمه عليه بكل مايقدر عليه من قول وفعل ، وعقلاء البلاد الفضلاء يخشون عاقبة هذا الشقاق ويمقتون جميع مظاهره ، ولا يهتدون إلى إزالته سبيلا

ولما رأى هؤلاء المعارضون بوادر اعتراض الازهر على عقد المؤتمر وصدهم عنه ، وبلغهم أنه عنوان لسخط الحكومة المصرية أو موعز به من رجال القصر، اشتدت نقمتهم، وقويت عزيمتهم، وأرسلوا رائدهم إلى مصر فناجى بعض من يرجون شد أزرهم ، وصاروا يرسلون أشد جرائدهم طعناً في المؤتمر ولجنته التحضيرية وفي جميع أعمال السيد محمد أمين الحسيني حتى السابقة إلى جميع من عرفوا عنوانه من علماء مصر ووجهائها ورجال حكومتها ، لانهم يريدون إسقاط حرمته ومكانته من النفوس لذاته لا لتقصيره معهم بعدم ضم زعمائهم إلى اللجنة التحضيرية المنظمة لدعوة المؤتمر كما يقول أعوانهم

ذلك بأن من المعلوم بالبداهة أن دعوة كبير آل الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في مدينة بيت المقدس تعلي قدره ، وترفع ذكره ، وتعزز مركزه ، فلهذا هب المعارضون إلى تشويه سمعة المؤتمر والطعن في مقاصده لصد المسلمين عن إجابة الدعوة اليه ، أو التوسل إلى الاشتراك مع السيد الحسيني وحزبه في اللجنة التحضيرية المعدة له ، ثم في إدارة شؤونه ، واختيار من يدعى اليه من أهل فلسطين وغيرهم ليكون لهم شأن وتأثير في اختيار

الرئيس العام له فيحولوا دون انتخاب رئيس المجلس له، وجملة القول ان غرضهم، من المعارضة منع عقد المؤتمر أو الحيلولة دون جعل الفضل الاكبر له ولحزبه فيه، ودون جعله معززاً لمركزه ومقوياً لنفوذه في البلاد

الاتفاق بين مفتي القدس ورئيس الوزارة وعقابيله

دعوت السيد محمد أمين للالمام بالقاهرة لتدارك ما فيها فخضر وقال لي انه جاء يدعوني، وقد علمت انه دعاه غيري أيضا. جاء فاستقبله صديقه الدكتور عبد الحميد بك سعيد الرئيس العام لجمعية الشبان المسلمين وهو من أنصار الحكومة الملكية المصرية الحاضرة في برلمانها الحاضر وفي خارجه وصديق رئيسها صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا، وكاشفه بظواهر معارضة مشروع المؤتمر هنا وخوافيها، وقوادم أجنحة الاشاعات والمؤامرات وخوافيها، وما يراه من الطريقة المثلى لتلافيها، وبادر إلى جمعه برئيس الحكومة فشرح له السيد المسألة وأقنعه بأنه ليس من مقاصد المؤتمر طرح مسألة الخلافة ولا نصب خليفة للمسلمين، ولا يتضمن شيئا ما يمس الحكومة المصرية من قرب ولا من بعد، وان المدرسة الجامعة التي يدعو اليها مدرسة علمية مدنية معارضة لانفراد الجامعة العبرية الصهيونية بالتعليم العالي في البلاد، ومعززة لمركز المسلمين الديني والدنيوي فيها، وأظن أنه أجاب عن الاجمال في عبارة دعوة المؤتمر الذى أسيء فهمها أو تفسيرها، بأن سببه ان الحق في تفصيل المصالح الاسلامية للمؤتمرين فيه وليس للداعي اليه أن يلزمهم حدوداً مفصلة لا يتعدونها.

وهذا نص ما نشر في الجرائد المحلية اليومية عقب اجتماع السيد محمد أمين رئيس المجلس الاسلامي الفلسطيني برئيس الوزارة المصرية:

كتاب مفتي القدس الى رئيس الوزراء

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الأفخم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فاني أؤيد لدولتكم ما جرى به الحديث بيننا اليوم من ان الموضوعات التي سيتناولها البحث في المؤتمر الاسلامي الذي سيعقد في بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ ستكون بعيدة كل البعد

عن أن تمس الشئون المصرية البحتة من سياسية وقومية أو تتعرض لما يتعلق بالازهر الشريف الذي أود بمناسبته ألا يتسرب الى الذهن بأي حال من الاحوال ان الجامعة المراد اقامتها في القدس قد قصد من انشائها أي مرمى غير خدمة مسلمي فلسطين الذين هم في حاجة الى كلية مدنية بجانب الكلية التي أنشئت لغير المسلمين ، وستتخذ التدابير الفعالة لعدم تخطي المناقشات الدائرة السالفة الذكر كذلك ستحرص اللجنة كل الحرص على أن لا تؤدي الرخصة العامة الواردة في البرنامج بشأن الاقتراحات الى الخروج بقدر ما عن هذه الدائرة ، واني أنتهز هذه الفرصة لاصرح لدولتكم ان ماذاع بشأن تناول ابحاث المؤتمر مسألة الخلافة ليس له أساس من الصحة على الاطلاق، كما اني أبدي مزيد الاغتباط لتأكيد دولتكم لنا — بعد ما سمعتم من تصريحاتنا بشأن المرامي الحقيقية للمؤتمر — ان حكومتكم تنظر اليه بعطف ورعاية .

وتفضلوا ياصاحب الدولة بقبول فائق الاحترام

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين
امضاء (محمد أمين الحسيني)

٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ هـ

ماحدث بعد الاتفاق مع الحكومة

بعد هذا سكن الروع وسكت الغضب ، وكف الازهريون عن الطعن في المؤتمر ، فاستغنيت عن المضي في السعي الذي كنت بدأت به مع صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية لدرء الفتنة ورتق الفتق ليمهد له السبيل مع الاستاذ الاكبر شيخ الازهر قبل التلاقي مع الاستاذ السيد محمد أمين الحسيني، وقد تلاقيا على وفاق . ولكن ما كاد يعلم الناس بوجود هذا السيد الوجيه في القاهرة حتى أقبل الوجهاء على السلام عليه كعادتهم ، ودعوته الى مآدبهم، وكان أسبقهم الى ذلك زعماء الوفد المصري أصحاب الدولة والمعالي الوزراء السابقون مصطفى باشا النحاس ومحمد فتح الله باشا بركات ونجله بهي الدين بركات بك والاستاذ مكرم عبيد ، فكان من رأي الذين يودون عطف الحكومة الملكية

المصرية عليه وعلى المؤتمر إعجاله ليعود أدراجه الى القدس، خشية انتكاث الفتل والتياث الامر ، بفتنة الاحزاب المستحرة في مصر ، فأعجزهم لوثه وصرفه عن اجابة كل داع ، وحجته انه غريب يجب أن يكون سلما لكل الناس ، فعاد حزب الحكومة الى التثريب عليه وتفنيد رأيه ، وأذاعوا انه أحبط بهذا كل ما كان مرجواً له أو موعوداً به من العطف العالي ، والنوال المالي ، وعاد المعارضون له في وطنه يذيعون بألسنتهم وأقلام جرائدهم أن الحكومة المصرية غير راضية منه ، ولا هي بعاطفة على مؤتمره ، ولقنهم أنصارها في مصر ماأذاعوه هنا من ان الحكومة سجلت عليه ما حملته على كتابته ونشره في الجرائد من تقييد المؤتمر بما كتبه في بلاغين له ونشره في الجرائد من غير ان تقيد نفسها بكتابة شيء ، بل قيل ونشر في الجرائد ان وزارة الداخلية أرسلت اليه أحد رجالها من دائرة حفظ الامن العام لحمله على السفر خفية خيفة حدوث مظاهرة له او بسببه تضطر الى مقاومتها بالقوة، دأبها في مقاومة كل هذه المظاهرات الحزبية ، وقد وافق هذا عادته في عوداته من مصر إلى فلسطين في زياراته السابقة فسافر ولم يعلم الناس ولا الجرائد بيوم سفره

السعي للصلح في فلسطين

انتدب الدكتور عبد الحميد بك سعيد للصلح بين السيد الحسيني وراغب بك النشاشيبي وأعوانهما فذهب الى القدس وفاوض الفريقين على قاعدة اشتراك المعارضين مع المجلسيين في لجنة المؤتمر التحضيرية وعدد الاعضاء من كل فريق فيها ، ثم يتبع ذلك عدد أعضاء كل منهما في المؤتمر وتعيين شخوصهم ، وعاد إلى مصر فبلغ الناس والصحف انه تم له ماأراد ، ثم ظهر انه ما كان قد بقي كما كان

ثم عاد من أوربة (مولانا شوكت علي) لاجل حضور المؤتمر وسافر هو وصديقه عبد الحميد بك سعيد الى القدس قبل موعد عقد المؤتمر وحاولا عقد الصلح بين الفريقين فلم يتم لهما ماحاولا ، ورأيا ان الاباء من السيد الحسيني فسخطا منه وسخط هو منهما ، وقد كانا من أصدقائه الحريصين على نجاح المؤتمر ، وظهر هذا السخط في المؤتمر للكثيرين وبعد انتهائه للناس اجمعين، فكان مدعاة الاسف

أما وجهة نظرها ونظر أعوانهما ممن حضر المؤتمر من أصدقاء عبد الحميد بك

سعيد فهو ان الصلح خير من الخصام بنص القرآن واتفاق جميع الناس ، وانه لاينبغي أن يؤلف مؤتمر في فلسطين لاجل مصالح المسلمين وجمع كلمتهم على ما يمكن من المنافع العامة وأهلها في شقاق وخصام يمنع من اشتراك جميع أحزابهم فيه

وأما وجهة نظر الحسيني وحزبه فهو ان هؤلاء المعارضين له في المؤتمر وغيره فئة سيئة النية معادية له في جميع أعماله تبدل حسناته سيئات ، لاينافي سخطهم ومعارضتهم رضاء السواد الاعظم من الفلسطينيين وتأييدهم للمؤتمر ، وانهم لما عجزوا عن احباط مشروع المؤتمر من الخارج أرادوا الدخول فيه لاحباط مقاصده من الداخل، وتوسلوا الى هذا بنشر المطاعن الفظيعة عليه في جميع العالم بجريدة خاصة لهم وبالمنشورات الخاصة منهم ، وشايعهم اليهود الصهيونيون في جرائدهم ، ولو أرادوا الصلح الصحيح لما توسلوا اليه بهذه الوسيلة ، فالشر لا يكون وسيلة إلى الخير ، والباطل لايكون ذريعة للحق ، وان تصدي الدكتور عبد الحميد بك سعيد للصلح أولا ومساعدة مولانا شوكت علي له ثانيا بما كان من الاجتماع بهؤلاء الخصوم واظهارهم الميل اليهم وحقية مطالبهم ، قد نأى بهم عن الصلح المعقول ، إذ رأوا أن لهم أنصاراً أقوياء يعتقدون انهم ينفذون رغبة الحكومة المصرية العظيمة الشأن ، وانه لولا هذا لكان الصلح قريب المنال

رأيي وخطتي في الصلح

انني لما علمت ان صديقي الدكتور عبد الحميد بك سعيد أراد الذهاب إلى القدس لاجل السعي بالصلح اول مرة عنيت بلقائه وتحبيذ سعيه وما أراه فيه . وكنت أظن أن أول ما يجب أن يقوم به هو أن يتضمن الصلح براءة المعارضين من مثل مطاعن جريدة مرآة الشرق ، ومخرجا مقبولا من المطاعن التي نشروها بامضاآتهم وأسماء من شايعهم ، ووضع اساس لاستبدال المودة بالمداوة ، والتعاون بالمعارضة

وجملة القول انه ما كان ليرجى وقوع الصلح بين فريقين شأنهما ما بيناه في هذا المقال باشراك خصوم القائم بفكرة المؤتمر في عمله الداخلي مع بقاء عداوتهم

الراسخة له في بيته وحزبه وسياسته ووظيفته ، لانه عبارة عن حرمان نفسه من شرف هذا العمل وكفالته، ورضاه بان تدخل المعارضة له فيه نفسه

ولو وقف الساعون بهذا الصلح عند الحد الذي انتهوا اليه لما كان له ولا لغيره أن يلومهم فيه، ولكنهم كتبوا بيانا في خلاصة سعيهم سجلوا فيه عليه أنه هو الذي أبى الصلح ،بعد ان كانوا أقنعوه به وشهدوا لخصومه بحسن النية في مطالبهم، مع العلم بما كان من مطاعنهم الشديدة في شخصه وذمته وشرفه وأعماله في رياسة المجلس الاسلامي الاعلى من اول عهده الى آخره ومع العلم بأنهم أعوان المحتلين...

انني محب لعبد الحميد بك سعيد وصديق ، وأحمد له نهوضه بتأسيس جمعية الشبان المسلمين التي تمنيت وجودها وسعيت له منذ عشرات السنين ، وأعتقد انه كان حسن النية فيما سعى اليه بحسب رأيه واجتهاده في سياسته ،ولو ندبني للسعي معه للصلح بعد اجتماعنا في القدس لانتدبت كدأبي معه فيما يدعوني اليه من خدمة لجمعية الشبان المسلمين ، وأدلي اليه أحيانا بما أراه من المصلحة تبرعاً واحتساباً ، وأعتقد انه لا يشك في إخلاصي له حتى فيما يختلف فيه رأيه رأيي، ومنه انني نصحت له أن يهجر السياسة مليًّا ويسالم جميع أحزابها ويصرف كل جهده إلى خدمة جمعية الشبان المسلمين التي لا يرجى نجاحها إلا باقناع كل مسلم يغار على الاسلام بان هذا العمل لوجه الله تعالى لا شائبة فيه لمقاصد الاحزاب والسياسة. وذكرت له ان مثله فيه كمثل محمد طلعت باشا حرب في خدمته المالية وأعماله الإقتصادية لمصر ، هجر لاجله السياسة وله فيها الرأي الحصيف عملا بقاعدة الاستاذ الامام حكيم مصر والاسلام « ما دخلت السياسة في عمل إلا أفسدته » فشايعه على عمله جميع رجال الاحزاب السياسية وقدره له صاحب الجلالة الملك فأنعم عليه برتبة (الباشوية) بمحض عطفه ورضاه عن أعماله

قلت ان صديقي عبد الحميد بك لو ندبني للسعي معه للصلح لانتدبت والجائز أن يكون له من رأيي الذي علم بعضه مما مر آنفا مايرجى به النجاح ،وإذاً لعارضته في نشر تلك الشهادة للمعارضين بحسن النية استبقاء للمودة بينه وبين الفريقين ، ومن رأيي ان مودته للسيد الحسيني وحزبه أنفع من مودته لراغب بك النشاشيبي وحزبه،

لان وجهته في خدمة الامة دينية يجتمع فيها مع الاول بالتعاون والتناصح دون الثاني

وأنا قد كلمني بعض المخلصين في القدس بان أسعى وحدي لهذا الصلح لاعتقادهم انني لا أرضى إلا بالمصلحة العامة وصميم الحق، فأحببت ذلك وأردت الاستعداد له بالوقوف على كنه الشقاق واختلاف المنافع والاهواء فيه، فعلمت من أقوال أصدق العارفين بالحقائق ان السعي الذى يرجى نجاحه متعذر في تلك الايام — أيام المؤتمر لاختلاف المقاصد فيه وفي السياسة والرياسة وقد تسنح له فرصة أخرى

وكان من العوائق انه لم يسبق لي اجتماع براغب بك وقد دعاني إلى حفلة الشاي التي دعا إليها أكثر أعضاء المؤتمر فلم أستجب له لانه لم يزرني عقب وصولي إلى بلده، ولم يدعني بنفسه، بل أعطاني بعض المدعوين رقعة من رقاع دعوته، ولم يزرني أيضاً أكبر أركان حزبه المعارض للحسيني وهو الاستاذ الشيخ خليل الخالدى على ما بيننا من تعارف وتواد قديمين، (ومن صداقة مع أشهر رجال أسرته المرحوم روحي بك الخالدي) وكان يتفضل بزيارتي إذا ألم بمصر — وكأنه ظن انني أشايع السيد أمينا الحسيني عليهم لانه صديقي وتلميذى، وحاش لله، ما أنصر احداً على الباطل ولو كان استاذى او أخي، او والدى او ولدى، وقد تنكب الصراط المستقيم من كان تلميذاً لي فنصحت له فلم يزدد إلا ضلالا، فرددت عليه في المنار أشد الرد وصرحت بالحاده في آيات الله وتحريفه لكتاب الله، وانني لأنصح للسيد محمد امين في كل أمر يقتضي النصح، والتواصي بالحق والصبر

عوائق الصلح وعواقبه الحزبية السياسية

قلت انني كنت حريصاً على منع وقوع الجفاء بين السيد أمين الحسيني وعبد الحميد بك سعيد وعلى تلافيه بعد وقوعه، فكان من أسباب اشتداده وعلم الجماهير به ذلك البيان في مسألة الصلح، ومنشور آخر شر منه لعضو من رفاقه المصريين المشايعين للوزارة الحاضرة ذكر في هذا البيان اقبح ما يطعن به خصوم الحسيني فيه وتكليفه أن يحاكمهم إلى محاكم الجنايات إن كانوا كاذبين، وإلا كان لجميع الناس أن يصدقوهم في طعنهم بذمته وشرفه وأمانته، وقد طبع هذا المنشور ووزع في الفنادق والاسواق والشوارع بامضاء كاتبه الذى لم يره

احد بعد نشره لا في المؤتمر ولا في خارجه . ولا يجهل عاقل رأي الناس في مثل هذا المنشور وقصد صاحبه والباعث له عليه والمنفق على طبعه والمهتم بنشره !

وكان قبله ما كان في حفلة افتتاح المؤتمر في المسجد الاقصى، إذ قام رفيق آخر من أصحابه دعاة الوزارة والمنافحين عنها وحاول إسكات الاستاذ عبدالرحمن عزام مندوب الوفد المصري عند ما وقف على كرسي الخطابة وبلغ المؤتمر تحية الوفد ورئيسه وتأييده له كسائر المصريين ، صاح به محاولا تسكيته أو تسقطه ، وذ كرا اسم جلالة ملك مصر بما لايخلو من ايهام كان له أسوأ التأثير في المسجد وهم بعض الفلسطينيين بالصائح ، كما فصلت ذلك الجرائد المصرية والسورية

ثم كان بعده ما كان من احاديث اعضاء المؤتمر عند إرادة انتخاب الرئيس له من ميل عن السيد الحسيني وميل اليه ، فكان سبب اقتراح بعضهم اختياره للرياسة بالتزكية وموافقة الاكثرية الساحقة على ذلك

كانت عاقبة ذلك كله أن كان لمحمد علي باشا علوبه وعبد الرحمن بك عزام من المكانة والرجحان على سائر المصريين في المؤتمر وفي جميع الحفلات التي أقيمت له في فلسطين ، وانتخب الاول وكيلا لرئيس المؤتمر والثاني عضوا في مجلس الرياسة ، ثم انتخبا عضوين للجنة التنفيذية له ، والاول من حزب الاحرار الدستوريين والآخر من حزب الوفد المصري ، بل كان للوفد المصري وزعمائه أحسن الذكر والمكانة في البلاد الفلسطينية كلها ، وكان من هؤلاء الزعماء ولا سيما رئيسي الوفد وحزب الاحرار الدستوريين أن أيدوا المؤتمر بما أرسلوه اليه من البرقيات والرسائل البليغة

دعي أعضاء المؤتمر الى مآدب تكريم في القدس نفسها وفي يافا وضواحيها وفلسطين فكانت السيارات تجري بهم أرسالا وكان أهل القرى والمزارع في طرقهم يجتمعون لتحيتهم والهتاف لهم بالحياة والنصر ، وللمعارضين بالسقوط والخزي ، وكثيراً ما ذكر في الهتاف الوفد المصري ورئيسه مصطفى باشا النحاس، وتضمن هذا تأييد الوفد وحزب الاحرار في خطتهما ومعارضتهما للوزارة المصرية شرحته جرائدهما شرحا ، وجعلته نصرا مبينا وفتحا (للكلام بقية)

تاريخ الاستاذ الامام

(تقريظه ونقده لامير البيان ، وبديع هذا الزمان ، الامير شكيب أرسلان)

تلقيت الجزء الاول الذي ظهر أخيراً من تاريخ أستاذنا الامام الحجة ، آية الله الباهرة، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ،تلقيته والاشغال إلى مافوق رأسي، والافكار مشتتة ، والخواطر مقسمة ، والوقت أضيق من حلقة الميم ، فلم أتمكن من مطالعته كله، ولا من إحالة قداح النظر في جميع نواحيه، فاكتفيت بقراءة بعض فصوله، وبالتأمل في فهرس موضوعاته،والمكتوب كما يقال يعرف من عنوانه ،فلاشك عندي مما رأيت منه في أن هذا التاريخ هو واسطة عقد التواريخ في هذا العصر

قيل ان الاستاذ ابن العميد سأل الصاحب ابن عباد قائلا له : كيف رأيت بغداد ؟ فأجابه الصاحب : بغداد في البلاد، كالاستاذ في العباد ، وأنا أقول:تاريخ الاستاذ الامام في الكتب كالاستاذ الامام في الرجال ، كيف لا ومحرره حجة الاسلام البالغة في هذا العصر، وإحدى حججه الباقية على الدهر، الذي كان أعظم من أظهر فضل الاستاذ الامام ونشر تصانيفه ، وكان منه بمنزلة أبي يوسف من أبي حنيفة ،السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وخالد الآثار، فسح الله في أجله ، وكافأه أحسن ما يكافىء عبداً على عمله، فمن بعد أن نعرف ان هذا السفر الجليل هو من قلم هذا الحبر الحلاحل ، ومن فيض هذا البحر الذي ليس له ساحل ،أصبح التفنن في وصفه من قبيل تحصيل الحاصل ، والبديهيات التي لاتحتاج الى الدلائل

دعنا من متانة عبارة هذا الكتاب وعلو انشائه ،وانتشار المنطق السديد على جميع قضاياه وامتزاج الذوق السليم بجميع أنحائه، فان فيه من الفوائد التاريخية ما لايوجد في كتاب آخر،وما لايتم التاريخ العام إلا به ،بل ما كتب السير والحوادث تبقى في مستقبل الايام عيالا عليه

نعم ان ترجمة السيد جمال الدين الافغاني قد سبق اليها الكثيرون وذهب كل كاتب فيها مذهبا ، وكان محرر هذه الاسطر ممن طرز بها كتاب «حاضر العالم

الاسلامي » وأتى فيها بمعلومات لم تسبق لغيره ، إلا انه لا يوجد كتاب حوى من أخبار جمال الدين رحمه الله ماحواه هذا الكتاب ولا وفى بما وفى به ، بحيث لا تطلب فيه مطلباً ذا شأن عن حياة حكيم الشرق وموقظه الاعظم رحمه الله إلا رأيته بين دفتيه . ففي تاريخ الشيخ محمد عبده أوفى تاريخ لجمال الدين أيضا

وأما تاريخ الشيخ محمد عبده فمن البديهي انه سيكون هذا الكتاب هو الاول والآخر في الاحاطة بهذا الموضوع لان السيد رشيدا — وهو الذي أشعة نظره في العلوم ، كأشعة رونتجن في الجسوم — قد وقف جانبا من حياته على تصنيف هذا الكتاب ، وكان أعرف الناس بأحوال الاستاذ الامام وألزمهم له ، وأحفظهم لأقواله ، وأدراهم بمقاصده ، ومن قال إنه خليفته في الارض ، ونسخة عنه طبق الاصل ، لا يخطىء ، فمن العبث ان ننشد للشيخ محمد عبده تاريخاً من بعد هذا التاريخ

والاستاذ صاحب المنار كما يعلم كل من عرفه سالك طريق المحدثين في التدقيق والتمحيص ، فلا يبلغ أحد من التحري والتثبت مايبلغه ، بما غلب عليه من خلق علماء الاثر ، فلذلك لا يمكن أن ينطوي هذا الكتاب من الاخبار إلا على ما قتله صاحب المنار علما ، ولم يدع فيه للشك سهما ، فالذي يطالع ما فيه من الروايات ويكون ممن يعلم مذهب صاحب المنار في التحري ، لا يقدح في خاطره عارض من شك في أن الحادث المروي انما حدث على ذلك الوجه - يستثنى من ذلك هنات هينات لا يعبأ بها ، لحظت منها ظنه أن مدير المدرسة السلطانية في بيروت يوم كان الاستاذ الامام يدرس فيها هو المرحوم الاستاذ الشيخ احمد عباس ، والحال ان المدير الذي كان يومئذ هو المرحوم خلقي افندي الدمشقي وهو الذي أشار الى صرفه بغيره السيد عبد الباسط فتح الله رحمه الله في الفصل الممتع الذي كتبه عن مقام شيخنا في بيروت - وما عدا ملاحظة او اثنتين مما ليس بذي طائل لم اجد فيما طالعت من هذا التاريخ رواية لم أقل فيها : هذه اصح الروايات وسندها اوثق الاسانيد . ولقد يوردها المؤلف بطرق مختلفة ويمحصها من جملة وجوه ، ويعرضها على محك القياس ، ولا يزال ينخلها إلى أن تبلغ برد اليقين ، او أقصى درجات التحقيق المستطاعة للمؤرخين . وانه ليبلغ به حب التدقيق انه يروي عن استاذه ما قد ينتقده ، وما

يورد فيه اقوالا اقوى من اقوال الاستاذ الامام . فالسيد رشيد في جميع كتاباته ليس عنده احد فوق الغربال كما يقال، وكأنه ينظر ابداً إلى قول مالك رضي الله عنه: ليس منكم إلا من ردّ ورد عليه إلا صاحب هذا القبر - يشير إلى النبي ﷺ

هذا وإنك لن تجد تاريخ الثورة العرابية في كتاب بالبيان الوافي الواضح المستوفي لشروط النقل والعقل، وتعليل الحوادث بأسبابها، وردها إلى أصولها ، كما تجده في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

وفي هذا التاريخ أيضاً تواريخ أخرى لا توجد إلا فيه ، ولن تكتب بقسط التحقيق الذي كتبت به. هذا وذلك لمكان صاحب المنار من القرب في الزمان والمكان، إلى الحوادث المؤرخة وإلى الاستاذ الامام، الذي كان يومئذ قطب الرحى، وهي مثل تاريخ نهضة مصر، وتاريخ الازهر، وتاريخ نهضة الاسلام الحديثة، ويقظة الشرق الحاضر، وكله مرتبط بعضه ببعض ومتسلسل تسلسلا مطرداً بطبيعة الاشياء، وكيفما جلت في نواحيه وجدت عاملين كبيرين هما ، جمال الدين ومحمد عبده رحمهما الله ، وأنا اقول ان الله عززهما بثالث هو صاحب المنار حفظه الله

ولا تنس تاريخ سمو الخديو السابق وما فيه من الغرائب والعجائب ، وما يتخلل حوادثه من النوادر ، التي مع صحتها ونخلها بمنخل التدقيق لم تخسر شيئا من فكاهتها، فلم يزدها التحري إلا رونقا. مثال ذلك سرور المشار اليه بوفاة الاستاذ الامام رحمه الله واستياؤه من حزن الامة عليه، وعده ذلك تقريباً من ذنوب الاستاذ، ولم يغفل صاحب المنار في جانب هذه الاخبار - التنويه ببعض حسنات وأشباه حسنات أذنت بها الاقدار الالهية على يد سمو الامير ، فكان مذهبه هنا أيضا مذهب علماء الحديث ، فما تحامل ولا دلس، ولا زاد ولا نقص . ولو علم أمراء الاسلام أن جميع مؤرخيهم هم كالسيد رشيد رضا يحصون عليهم ماحسن وما قبح لاعتدلوا ،وعلموا أن قبل حساب الآخرة حسابا في هذه الدنيا ، ولكن أضر بأمراء الاسلام وبالاسلام تدليس المؤرخين، وتزيين المتزلفين، وأكبر الاثم على أولئك الفقهاء الذين انتظر منهم الشارع أن يقوموا الامراء وينهوهم عن المنكر، ويحثوا في وجوه شهواتهم ما كشف من تراب الزجر ، فكانوا المعاوين لهم على أهوائهم ،

المفتين لهم بما يزيد في إغوائهم . وليس مرادي هنا تخصيص الخديو السابق الذي قد يكون أحسن من غيره ، وإنما أريد أمراء المسلمين جميعاً إلا من رحم ربك

والله يعلم اني جادلت الخديو السابق في أمر الشيخ محمد عبده ولم أحابه ولم أكتم عنه انه كان متحاملا عليه. ودافعت عن الشيخ عبد العزيز جاويش أمام الخديو وهو في قصره برأس التين ، وذلك عند ما كانوا آتين بالشيخ جاويش من الاستانة الى الاسكندرية بتهمة المؤامرة على الخديو. ولم أكن لذلك العهد أعرف الشيخ جاويش، ولكني كنت أعرف ان هناك نية للانتقام منه رحمه الله ، فانتدبت نفسي للدفع عنه. ثم دافعت عنه مراراً بعد ذلك أمام الخديو السابق ولم أقبل في حقه كلمة واحدة من سموه

ثم ان في هذا الكتاب من الاخبار السياسية والروايات المأثورة عن أعاظم الرجال ما يجتمع منه مؤلف مستقل برأسه — كما أن فيه من الفوائد الشرعية، ومن الحلول الوجيهة للاشكالات الحديثة والمسائل العصرية، ما لا يتأتى في مجموع آخر، وكيف لا يكون ذلك وصاحب المنار هو فارس هذه الحلبة الذي لا يجاريه مجار، وإمام هذا المحراب الذي يصلي وراءه الكبار والصغار

ولم يختلف نظري عن نظره في هذا الكتاب إلا في أمر الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان ، فان السيد رشيداً فيما يظهر لا يراه في الرجال المذودين ، او كما قال له شيخنا : انه ناقم منك انك لا تعتقد بعلمه . هكذا رواها لي السيد رشيد نفسه، وكيف كان الحال فكان الشيخ عبد الكريم لم يكن في هذا الكتاب بالمكان الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير . ولست أحمل هذا من صاحب المنار على ضغن مع علمي منه ومن الشيخ عبد الكريم نفسه بأن المودة لم تكن بينهما في صفاء البلور ، ولكني أحمله على ما قاله الاستاذ الامام من أن السيد رشيداً لم يكن يعتقد بسعة علم الاستاذ الشيخ عبد الكريم ، ولولا هذا لوفر له حقه غير منقوص ، لان صاحب المنار ـ مع ما فيه من حفيظة ـ منصف مقسط لا يبخس الناس أشياءهم .

وأما أنا فكنت أعتقد بكثير من علم الشيخ عبد الكريم وأدبه وسلاسة طبعه وحسن إنشائه. والاستاذ السيد رشيد يقول ان الشيخ عبد الكريم كان لا يحب السوريين إجمالا وإنما كان يستثنيني أنا من بينهم لفكاهتي ، وعبارة السيد هي هذه:

« ثم سبب آخر هو كراهته للسوريين ولا أستثني منهم إلا الامير شكيب أرسلان فانه حل من نفسه محلا كريما عند مازار مصر لفكاهاته الادبية، ونوادره اللطيفة، على مكانته من حب الاستاذ الامام وتكريمه إياه، وللدعابة موقع من نفسه معروف، يعلو بما عنده صاحب المفاكهة وحاضر النادرة الخ» فاذا قرأ الانسان هذه الفقرة ورأى ما تكرر فيها من وصفي بالفكاهة والمفاكهة وسرعة البادرة عند النادرة، تخيل أني ابو نواس عصري، واني لم أنل من الشيخ عبد الكريم موقعا كريما إلا بمحبة الاستاذ الامام لي ومحبتي أنا للفكاهة، وحاشا للشيخ عبد الكريم الذي كان للجد عنده نصيب وافر، والذي ما كان يميل أحيانا للدعابة الا لتكون له اعون على الصواب إذا اخذ في معالي الامور، على نمط من قال: أني لأجم نفسي بشيء من الباطل ليكون اعون لي على الحق - اقول حاشا للشيخ عبد الكريم ان يكون كرم مقامي عنده ناشئا عن حرارة نكاتي مهما كانت رغبته في هذا الشأن . وإنما اقول ان سر المحبة كامن في اعماق الصدور واحناء القلوب، وان الاعمال تزيد منها وتنقص، وقد تذهب بها بتاتا، كما قد تزيدها اضعافا . ثم أني اشهد للشيخ عبد الكريم، انه لم يكن على شيء من الشنآن للسيد رشيد، وانه كان يشهد بفضله، وانه قال لي مرة: قد اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ

وفي هذا التاريخ فصل من قلمي عن ايام الشيخ في بيروت، وليس ذلك بكل ما كتبته عنه، وإنما أخر السيد بقية كلامي إلى الجزء القادم لتعلقها بما ارتسم في خاطري من ايامه بمصر وقد روى لي السيد في هذا الجزء اشعاراً كنت نسيتها فنشرها لي بعد الخفاء، وأبرزها بعد العفاء، ووعد بنشر الاكثر من مثلها في الجزء القادم . فأنا لا أحصي عليه ثناء من أجل هذا اللطف، وإلحاقه بعض اشعاري بهذا الكتاب عملا بواو العطف، لاسيما انه لم يبق عندي ولا نسخة واحدة من ذلك الديوان الذي اسميته «الباكورة» والذي أخرجته إذ كنت لم اتجاوز السابعة عشرة من العمر

وأما عدد صفحات هذا الجزء فتربي على الف ومائة صفحة يمتليء دماغ القارىء مما تضمنته من معالي الامور، وسياسة الجمهور، وتراجم الصدور، ونخب الفوائد التي تمخضت بها العصور . وليس هذا بالجزء الوحيد في موضوع حياة الاستاذ

الامام ، فقد تقدمه غيره وسيتلوه سواه . وكله بذلك القلم الذي دانت له اقاليم الاقلام، وخضعت ممالك الكلام ، اي قلم صاحب المنار الشهير ناشر علم الاستاذ الامام، ومخلدما آثره على الايام ، فمن يقدر ان ينشر من مآثره ألوفا من الصحائف غير صاحب المنار ؟ لاجرم انه كان ابرنا به، وأقدرنا على القيام بالواجب نحوه ، وأحرى تلاميذه بنشر آرائه في العوالم، وبان يكون بعده مرشداً يضيء النهج والليل قاتم.

(جنيف ـ سويسرة) شكيب أرسلان

﴿ تعليق على تقريظ الامير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام ﴾

(واثارة من تاريخ الشيخ عبد الكريم سلمان)

أشكر لاخي في البر والوفاء لوالدنا الروحي الاستاذ الامام ، ووليي في خدمة العرب والدفاع عن الاسلام ، ما تفضل به علي من هذا التقريظ ، وأجدر بي أن أفاخر جهابذة الكتاب وموابذة المؤرخين بشهادته لي ولهذا التاريخ ، وهو هو أمير البيان ،وأستاذ علماء العربية بالتاريخ الخاص والعام، وانني لعاجز عن ايفائه بعض حقه من واجب الثناء ، مستعيضاً عنه بالدعاء ، فجزاه الله تعالى عن أخيه وأستاذهما وعن الاصلاح الاسلامي أفضل الجزاء ، ولكن لا مندوحة لي عن الاعتراف بأنه أعطاني فوق مااستحق من الاطراء ، وعن الدفاع عن نفسي تجاه مارماني به من التقصير في حق المرحوم الشيخ عبدالكريم سلمان

أظن أن الامير لو كان قرأ كل ما كتبت في شأن الاستاذ الشيخ عبد الكريم لما كتب ما كتبه ، فانني لم اصفه رحمه الله تعالى بقلة العلم ،وإنما كان الاستاذ الامام قدس الله روحه هو الذي علل موجدته علي بأنه يظن فيّ ذلك ـ ولرأى انني على شدة انتقادي لأكبر علماء الأزهر المعارضين للامام في الاصلاح ولغيرهم في بعض المسائل العلمية قد نوهت في مواضع كثيرة بأن الشيخ عبد الكريم كان تربه وعشيره ، وصنوه وظهيره ،وثانيه في مجلس إدارة الازهر وأكبر اعوانه على اعمال الاصلاح فيه ، وكفى بهذا مدحا ، وأثبت انه امكنه بفضله وذكائه ان يكون في الذروة العليا من قضاة الشرع في المحكمة الشرعية العليا وهو شافعي المذهب ، وإنما

الحكم في هذه الحكمة بمذهب الحنفية ، وماذكرته مع غيره من خواص الاستاذ الامام كحسن باشا عاصم وسعد باشا وفتحي باشا زغلول إلا وقدمته عليهم في الذكر

وبينت ايضا انه هو الذي صنف كتاب (اعمال مجلس إدارة الازهر) وكان هذا سرا لا يعرفه غيري ، وصرحت ايضا بالمسائل التي علمت انه انفرد بها من تلك الاعمال الاصلاحية ، وانه لم يصرح باسمه ولا باسم زميله الاستاذ الامام في الاعمال التي اسندها إلى بعض اعضاء مجلس الادارة لاخلاصهما لله تعالى فيها وعدم ابتغائهما الشهرة ، فما عرفت له منقبة في ذلك إلا ودونتها له ، والتاريخ ليس بتاريخه ، والامير لم يثن عليه بأكثر من هذا ولا بمثله ، فيما انتقده علي من بخس حقه ، فانا أقر مثله بكثير من علمه وأدبه وسلامة طبعه وحسن إنشائه . وأزيد على هذا ما أجملته آنفا مما فصلته في هذا التاريخ

وأعظم منه ماترجمته به في المجلد العشرين من المنار عقب وفاته مفتتحاً إياه بقولي « في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه، وأديب من أبرع أدبائه ، وكاتب من أبلغ كتابه ، وقاض من أعدل قضاته ، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجمالية الشيخ عبد الكريم سلمان تغمده الله برحمته » ثم ذكر تعاشره مع الاستاذ الامام في طلب العلم وتعاونهما في ميدان العمل « تعاون اخلاء الاصحاب ، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب ، وعاشا ماعاشا متوادين موادة اللدات والاتراب ، ثم فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب ، (أعني دفنهما في تربة واحدة) فعسى أن يكون هذا مصليا لذلك المجلي إلى دار الثواب ، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب » ثم قلت : « لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام ولكن هذا فاقه ففاته بالجد والاجتهاد ، الى أن قلت « فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثنيان(*) » ولم أدع بعد هذا شيئا من اعماله وسيرته واخلاقه الحسنة إلا ونوهت به أحسن تنويه

(*) البدء هو الاول في سيادة قومه ونحوها والثنيان هو الذي يليه قال الشاعر

ثنيا نتا ان أتاهم كان بدأهم   وبدؤهم إن أتانا كان ثنيانا

محاولة الايقاع بين الاستاذ الامام وصاحب المنار

وأما مسألة مساعدته لمحاولي الايقاع بيني وبين الاستاذ الامام فانما ذكرتها لأنها في رأيي من اعظم مناقب الامام احسن الله جزاءه ، وانني وايم الحق قد تحريت فيها الحق والصدق ، والتجرد من هوى النفس ، ولو كانت وقعت مع غيري لدونتها بهذا الاسلوب عينه بل ربما كنت ازيدها تفصيلا وتنويها أستحي كتابة مثله في شيء يعنيني ويخصني ،ولكن لايجوز لي ان أهضم حق نفسي وحق الاستاذ في المسألة بعد وفاة الشيخين ودخولها في حكم التاريخ ، وقد دون سلفنا الصالح من المحدثين والمؤرخين من هفوات شيوخهم من الأئمة وكذا الصحابة ماهو أعظم من هفوة الشيخ عبد الكريم هذه

ذلك بأن المسألة من اظهر الحوادث الواقعة التي تدل على ان الاستاذ الامام كان يؤثر المصلحة العامة على العلاقات الخاصة بألصق اخوانه وأصدقائه به وأقربهم اليه ،على ماشتهر به من كمال الوفاء وصدق الوداد، وان الاصلاح الاسلامي الذي انفردتُ بالاشتغال معه به في خاتمة عمره الشريفة كان عنده فوق كل شيء من أمور الدين والدنيا ، لانه قد رسخ في وجدانه انه مفروض عليه — يثاب على العمل له فوق كل ثواب ، ويعاقب على التفريط فيه ما لا يعاقب على غيره ، وقد اثبت في إستيائه من الشيخ عبد الكريم وإنذاره إياه استغناءه عن صحبة اربعين سنة مكانة الشيخ عبد الكريم عنده

دعابة الشيخ عبد الكريم سلمان وعلمه

ذلك - ولا ارى وصف الشيخ عبد الكريم بحب الدعابة والفكاهة الادبية غميزة وإزراء به وهو مشهور بهذا ، وقد وصف بالدعابة في كتب التاريخ والادب افراد من أرقى البشر كأمير المؤمنين علي وأين مثل امير المؤمنين علي عليه السلام ؟

واني على مافي من حفيظة - كما قال الامير - لا احمل على أحد حقدا ، ولا ابخس احدا حقا ، واني قد اغضيت على فتور حرارة الشيخ عبد الكريم في مودتي عدد سنين ، فكنت على إبائي ازوره كثيرا ولا يزورني على ما اعلم من عنايته بزيارة جميع أصدقائه ،

فلم يشعر احد بشيء من هذا الفتور من قِبلي بقول ولا فعل . والامير ينقل عنه انه قال له عني : انني اصفيت له المودة بعد وفاة الشيخ . اه وأنا قد صرحت بهذا في التاريخ وقلت انه صار يزورني ويأكل طعامي كما آكل طعامه ، ويسألني عن اولادي - وهذه شهادة عليه عفا الله عنه بأنه لم يكن مواداً لي كموادتي له ، ولا كموادته لأدنى اصحاب الاستاذ الامام وصنائعه حتى صنائع التملق وطلاب المصالح وهو يرى ان الاستاذ اصطفاني على الجميع، ولكن هذه هي العلة في مماذقته لي على وغر كما كنت أعتقد ، لا ما قاله الاستاذ من انه كان يظن انني لا أعتقد انه عالم ، إذ لو كان هذا هو السبب لما صفا لي وده بعد وفاته (رحمهما الله تعالى) فانني إذا كنت أعتقد في عهد الاستاذ الامام انه غير عالم فلا يعقل ان يزول هذا الاعتقاد بعد وفاته ، فقول الامير عني « ولولا هذا لوفر له حقه غير منقوص » مبني على رأي الاستاذ وعلى عدم قراءته هو كل ما كتبته في حقه ، فأنا اعتقد انني وفيته حقه في هذا التاريخ لم انقصه منه شيئا يقتضي المقام ذكره ويعد من موضوعه ، بل ربما كنت قد زدته على حقه في المنار

ولعل سبب ظن الاستاذ فيه وفي ماذكر أن الشيخ عبد الكريم ما كان يشاركنا في المذاكرات العلمية الدقيقة التي تقع بيننا وهو معنا كمشاركته لنا في المباحث العملية من اصلاحية ووطنية. وإنني لا أنكر انني ما كنت أعتقد أنه متقن لعلم من العلوم ، لانه وجه كل عنايته الى الكتابة . ولكنني لم أكن انطق بما يدل على اعتقادي هذا تصريحا ولا تلويحا ، الا ما استثنيت في التاريخ من تمثلي في اثر انتقادات لغوية وأدبية معه بقول السموأل

ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

فكاهة الامير شكيب ونوادره

بقي علي ما يخص الامير (حفظه الله) من مودة الشيخ عبد الكريم رحمه الله فانني اراه فهم منه مالم يخطر لي على بال ، وما لا اراه يخطر على بال احد من الناس ، هو ان الشيخ عبدالكريم رحمه الله تعالى لم يجد فيه او لم يعرف منه مايحببه اليه ويحله

من نفسه محل الكرامة إلا فكاهاته الادبية ونوادره اللطيفة ، وان هذا التعليل مني يخيل الى قارئه انه ـ اي الامير ـ أبو نواس عصره!

فضائل الامير ومزاياه بارزة مضيئة كالشمس لاتخفى على حاسد يعميه الحسد عن رؤيتها ، فانه إن لم يرها تلذعه حرارتها ، فكيف يجهلها مثل الشيخ عبد الكريم في ذكائه ولوذعيته ، وإنما اعني بما ذكرته ان كراهة الرجل للسوريين لم يكن يخطب مودته منهم معها علم ولا ادب ، ولا حسب ولا نسب ، فهي وحدها لاتحلهم من نفسه محل الكرامة ، ولا محبة الاستاذ الامام ايضا ، فانه كان يحب السوريين ويغار عليهم ، وما كان الشيخ عبد الكريم يساهمه هذا ، لا في حملة العلم ووعاة الآداب ، ولا في ابناء الاحساب والانساب ، وهو كما قال الامير لم يكن يغمصني في شيء مما ذكر ، وقد انشأ الاستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت مجلة باسم غيره كان ينشر فيها شيء من تفسيره للقرآن ، فقال الشيخ عبد الكريم إن الشيخ بخيتا يستطيع أن ينشيء مجلة تنقل عنه تفسيراً وتنوه به مباراة للشيخ محمد عبده فيما تنشره عنه مجلة المنار ولكنه لا يستطيع ان يأتي بمثل الشيخ رشيد محررها له فما الفائدة ؟

جد الامير شكيب وشدته وظرفه

الامير شكيب مشهور بالجد في علمه وقلمه وبالشدة في سيرته السياسية والاجتماعية ولهذا ينبزه بعض الناس بلقب الكبر ، كما ينبزون به اكثر اهل الصدق والجد ، ولا يعرف ظرفه في فكاهاته اللطيفة ونوادره الادبية النزيهة إلا من عاشره وحاوره وسامره ، واني لأغبطه عليها ، وأتمنى لو اوتيت مثلها ، فان الجد المحض يمل الجليس ، ويوحش الانيس ، وأنا لا اعرف عن أبي نواس مثل هذا . إنما كان ابو نواس شاعراً بل هو أشعر الشعراء في عصره الذي ارتقى به شعر الحضارة والتمتع إلى أوجه ، وكان مع هذا ماجناً فاسقا ، ولم يؤت شيئا من الجد في خدمة الامة ، ولا

سياسة الدولة ، ولا عني بهداية الدين ولا ببيان فضائل الاسلام ، فأنى يذكر مع الامير شكيب أو يخطر بالبال إذا ذكر علمه وأدبه ، أو قرئت رسائله وكتبه ؟

إني لأوقن أن الامير لم يظن بي انني عنيت هذا الذي عده لازما ذهنياً لوصفي له بحلاوة الفكاهة ولطف النادرة ، وإنما عده علي مما غمصت به الشيخ عبد الكريم دونه ، فكان مثاراً لظن من لا يعرفه انه ابو نواس عصره ، وان الشيخ عبد الكريم يؤثر الهزل على الجد ، والدعابة العارضة ، على الفضائل الراسخة

كلا . انني لم أعن بكلمتي شيئا وراء ما تدل عليه دلالة المطابقة من تضمن أو التزام ، فلما قلت ان الشيخ عبد الكريم لم يكن يحب السوريين ، خطر في بالي ان من واجب الصدق ان أستثني الامير شكيباً من هذا الاطلاق او العموم ، لما كنت سمعته من كل منهما من التنويه بالآخر ، ثم ما رأيته من اغتباطهما بالتلاقي في اثناء إلمامة الامير الاخيرة بمصر

مثال من تحاور عبد الكريم وشكيب بالسجع

لعل الامير لم ينس انني كاشفته في بيروت سنة ١٣١٥ بعزمي على الهجرة إلى مصر للاتصال بالاستاذ الامام فيها ، وان هذا سر بيني وبينه لم يتعدنا إلا إلى الاستاذ عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون والاستاذ الشيخ صالح الرافعي ناظر النفوس ، ولعله يذكر إذا ذكرته ما حدثني به يومئذ عن محاوراته مع الشيخ عبد الكريم سلمان وابراهيم بك المويلحي ، وان جل حديثه عن محاورات الاول ما كانا يلتزمانه من السجع ، والفكاهات الحسنة الوقع ، وأزيد على هذا انني لما بلغت الشيخ عبد الكريم سلامه عليه ، واشتياقه اليه ، برقت أساريره وطفق يحدثني عن محاوراته اللطيفة معه ، وأذكر مما ذكره لي كل منهما أن شكيباً كان عنده بداره فسمعوا صياحا ولغطا أمام باب الدار بين الخدم وغيرهم فصاح

الشيخ لخادمه البواب غاضباً : ياولد يا ولد ، فقال الامير رافعاً صوته * وأوَّل التشاجر الذي ورد * فسكت غضب الشيخ وأغرب في الضحك استغرابا لهذه البديهة الحاضرة ، وإعجابا بالبادرة النادرة ، وربما لم يكن يخطر له ولا لغيره ان مثل الامير شكيب يحفظ العقيدة الازهرية المعروفة بجوهرة التوحيد ، وان يكون من قوة الذاكرة بحيث يسبق الى لسانه هذا الشطر منها عند صيحة الشيخ ياولد، وهما يتباريان السجع، ومناسبتها للمعنى أقوى من مناسبتها للفظ، فان الخدم كانوا يتشاجرون عند دار الشيخ ، وبيت الجوهرة في تأويل تشاجر الصحابة رضي الله عنهم

فهذا مثال مما عزوته اليهما من حب الفكاهة والفاكهة والنوادر الادبية ، فهل يقول أحد انها تنافي الجد أو تجانب العلم ، وهي لو عرضت على الحسن وابن سيرين ، لقالا ربنا لئن آتيتنا هذه لنكونن من الشاكرين ؟

ما يجب على الامير شكيب لتاريخ الاستاذ الامام

وأختم هذا التعليق بتذكير الامير شكيب بأن لتاريخ الاستاذ الامام عليه حقا آخر وراء حق التقريظ الذي أدى واجبه ومندوبه ، وزاده من النافلة ماشاء الله ان يزيده ، أعني بالحق الآخر تكرار التنويه في مقالاته الاصلاحية بالغرض المقصود بالذات من تصنيفه ، وهو ما فصلناه فيه وأجملناه في فاتحة تصديره وخاتمته ، من الدعوة الى الاصلاح والتجديد للشرق والاسلام ، التي قام بها الحكيم السيد الافغاني والاستاذ الامام، مع احياء ذكرهما، باسناد الفضل الاول فيها اليهما، ولهذه الدعوة مجالات واسعة في مقالات الامير السياسية والاجتماعية، ورسائله الاصلاحية، وليس بكثير على غيرته أن يخصها بمقال ممتع ، ويؤيدها بالبرهان المقنع . وهو انما يكتب ما يكتب مما نفخ فيه من روحهما ، ونفث في روعه من حكمتهما ، جعلنا الله وإياه خير خلف لهما ، آمين

مؤلف تاريخ الاستاذ الامام
محمد رشيد رضا

المناظرة بين اهل السنة و الشيعة

تمهيد وتصحيح غلط

نشرنا في الجزء الاول الماضي الرسالة الاولى لمقترح المناظرة الاستاذ السيد عبدالحسين نور الدين العاملي بنصها على مافيه وإمضائه ، ولكن سبق القلم في عنوانها فذكرنا أن لقبه «شرف الدين» وهذا لقب لعالم آخر من العامليين يوافقه في اسمه وهو أشهر عندنا وعند غيرنا بالذكر والعلم والرأي. فهو لا يكتب ما كتبه نور الدين. ومثل هذا الغلط في الاسماء من سبق القلم لذكر الرجل الاشهر ماذكرناه في ذلك الجزء من تعازي كبراء المصريين وزعمائهم لنا عند وفاة والدتنا رحمها الله تعالى فقد ذكرنا منهم حسن باشا عبد الرازق وإخوته وإنما عنينا نجله محمود باشا وكيل حزب الاحرار الدستوريين وكان له أخ آخر اسمه حسن باشا كاسم والده قتل اغتيالا سياسيا رحمهما الله تعالى وسبب هذا الغلط ان اسم حسن باشا عبدالرازق الكبير منقوش في ذهننا من عهد والدهم الجليل وطول عشرتنا له مع شيخنا الاستاذ الامام وذكر اسمه في تاريخه والمنار مراراً

مطالبة علماء الشيعة برأيهم في دعوى مناظري

نشرت رسالة مقترح المناظرة بنصها وقلت فيما علقته عليها انه لم يلتزم فيها الشرط الذي اشترطته عليه فيها ، وانني احب أن أعلم قبل الشروع في المناظرة «هل يوافقه كبار علماء الشيعة في سورية والعراق والهند وإيران على قوله : انه لا يمكن الاتفاق بين أهل السنة والشيعة على شيء من المصالح الاسلامية ... » إلا بالشرط الذي اشترطه وهو رجوع أحدهما إلى مذهب الآخر للسبب الذي ذكره . ثم اقترحت عليه وعلى زميلي الاستاذ الفاضل صاحب مجلة العرفان أن يأخذا لي تصريحا من علماء الشيعة المشهورين في المسألة (راجع ص ٧٢ ج ١)

مرت على هذا الاقتراح ثلاثة أشهر لم يصدر فيها المنار للاسباب المبينة في أول هـذا الجزء ولم يرد لنا من حضرة مناظرنا ولا من غيره من علماء الشيعة

شيء إلا أن زميلنا الاستاذ صاحب مجلة العرفان ذكر في كتاب تعزيته لناعن والدتنا انكاراً على السيد عبد الحسين نور الدين في ذلك ، وانه سينشر هذا الانكار في مجلته المحجوبة الآن عند عودتها الى الظهور ، ورسالة من سائح فاضل باسم « نظرة .. » ننشرها في هذا الفصل

ثم إني لما دعيت الى المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس وعلمت أن ممن أجابوا الدعوة الى حضوره الاستاذ العلامة الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الشهير أكبر مجتهدي النجف الذي هو أزهر اخواننا الشيعة سررت جد السرور، ونطت أملي في مسألة الشقاق الجديد ،أن يكون تلافيها بتلاقينا في هذا المكان الشريف، وتعاوننا هذا على هذا العمل الشريف، بأن يكون من أهم مقاصد نافيه السعي للتأليف. وقد سبق لي لقاء هذا الاستاذ بمصر اذ زارها بعد الحرب الكبرى وتذاكرنا في وجوب الاتفاق في مكتب دار المنار فوجدت منه ما أحب من سعة الصدر والرغبة في الاتفاق ، وكان معه في القدس الاستاذ الشيخ عبد الرسول من آله الكرام ونجله الشيخ عبد الحكيم حفظهم الله تعالى وحفظ بيتهم العلمي موفقا لخدمة الاسلام

تلاقينا على ما أحب وأطلعت الشيخ على رسالة السيد عبدالحسين نور الدين وسألته عن رأيه فيها فأنكر عليه أشد الانكار ، فقلت ان الانكار بالقول لايكفي فهل تكتب رأيك في الرد عليه لينشر في المنار ؟ قال نعم

وكان من حسن الحظ أن وجد في أعضاء المؤتمر عالمان شهيران من علماء الشيعة السوريين وهما من أصدقائنا قدماء قراء المنار، أحدهما الاستاذ الشيخ سليمان الضاهر من علماء جبل عامل ، والثاني الشيخ أحمد رضا من علماء صيدا ، وقد رأيت كلا منهما منكراً على السيد عبد الحسين نور الدين قوله ان الشيعة بمقتضى مذهبهم لايمكن أن يتفقوا مع أهل السنة لاعتقادهم أنهم غير متبعين لسبيل المؤمنين

فأما الاستاذ الاكبر الشيخ محمد حسين فقد كتبت اليه عند ماتفضل بتوديعي في القدس ساعة سفري منها كتابا سألته فيه كتابة رأيه في المسالة فأرسل الي جوابه بعد عودته الى النجف وسانشره في مقال خاص في موضوع الاتفاق وأما الاستاذان السوريان فلم يطلبا مني كتابا ولم يرسلا الي شيئا فأرجو منهما أن يكتبا الي في

الموضوع ما أقنع به قراء المنار بما سأجدد الدعوة اليه من الاتفاق والايلاف، وأرجو مثل هذا من الاستاذ الشيخ عارف الزين، واذا أمكنه أخذ كتاب أو إمضاء من العلامة المجتهد الكبير السيدعبدالحسين شرف الدين وغيره فان الفائدة تكون أتم، فان هذا الاستاذ قد لاقيته مراراً في بيروت وحدثته في وجوب السعي للاتفاق، فوجدت رأيه موافقاً لرأيي،وقد اتفقنا يومئذ على كلمة في الطائفتين « فرقتها السياسة وستجمعها السياسة » وسبق لي ذكر هذه الكلمة في المنار

وقد علم هؤلاء وسائر قراء المنار ان الذي دعاني بل دعّني الى الرد على الشيعة بل غلاتهم الملقبين بالرافضة ذلك الكتاب الخبيث الذي لفقه ملفقه في تكفير الوهابية كافة وشيخ الاسلام ابن تيمية وصاحب المنار خاصة... وما كان من تقريظ مجلة العرفان ونشرها له وعدم سماع كلمة من علماء الشيعة في الانكار على ملفقه. دع فتنة العراق المشهورة وذيولها بين الشيعة والنجديين وكانت بدسائس المستعمرين

ولكن جاءتني رسالة طويلة جداً في مناظرة طويلة لعالم سني مع بعض الشيعة في المحمرة لم أنشرها لانها تزيد الشقاق احتداما

(كتاب ورسالة من سائح شيعي أديب في الانكار على السيدعبدالحسين نور الدين)

سيدي الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا المبجل

بعد التحية : لا شك ان حضرتكم تعرفون مايوجبه الدين ويحتمه الوجدان والحق على كل منا في مثل هذا اليوم العصيب ، وقد أثر المقال الذي نشرتموه في مجلتكم الغراء بامضاء السيد عبد الحسين نور الدين العاملي فيّ تأثيراً اضطرني الى تحرير كلمة حول الموضوع رغم العناء ومشقات السفر ، واني لأنتظر أن يسارع اخواني وأساتذتي الى نشر حقيقة هذا الرجل وصده فيما بعد عن الخوض في مثل موضوعه ذاك المتطرف. وأملي الوحيد أن تسارعوا في نشر ماتجدونه طياً وأشكركم من صميم قلبي ، وأقدر أعمالكم ودعاياتكم الاصلاحية بكل عواطفي ، وتقبلوا مزيد تقدير مخلصكم واحترامه .

المخلص السائح العربي
عبد الهادي آل الجواهري

﴿ نظرة حول مناظرة ﴾

لقد كان من الصعب عليّ وأنا بين عوامل لاتسمح لي أن أخوض في بحث كهذا لكثرة انشغالي وتشوش بالي من كثرة الاسفار وفراق الاوطان وتعدد المصائب والاحزان .

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش مايصيد

نعم والله تكاثرت وتعدد المؤثرات المحزنة المشجية ، وقد كان الأجدر والأليق باخواني الذين أعهد فيهم الغيرة والحمية من ابناء العروبة والاسلام، والاساتذة الذين وقفوا أقلامهم لمكافحة الحشرات التي نخرت عظامنا وأنهكت قوانا، ومقاومة تلك الدعايات التي يقوم بها بعض أولئك المأجورين باسم الدين والمذهب، وأن يتصدوا للطم أولئك الأوغاد الذين ينتهزون الفرص لوصمنا بوحدتنا في الصميم وليتصيدوا بالماء العكر ، أولئك الذين لم يجدوا لهم مورداً شريفا في هذا المجتمع يسدون به طمعهم ويملؤن به جيوبهم وعيابهم إلا إثارة العواطف المذهبية والنزعات الطائفية يغرون بها البسطاء الجهلة ممن لم يعرفوا للدين معنى وللشريعة قيمة.

من الأسف ــ وليس يجدي نفعا ــ أن نجد بعض أولئك المتزعمين باسم الدين يستغلون (ومن دون غيرهم) التهويش باسم الدين ويحتكرون سمته لاغراضهم وأطماعهم ، فاذا ماوجدوا مجالا ليمثلوا دورهم على مرسح المذهبية أخذوا يعرضون (فلم) روايتهم المشؤومة المحزنة على رؤوس بعض السذج البسطاء والسوقة

باسم الدين تزعّم بعضهم وياحبذا لو قام ببعض ما تقتضيه هذه المهمة (ولو كانت مدّعاة) من عظيم الاعمال ، فينتهز الفرصة ويبرهن على أهليته وكفاءته لهذا المنصب الجليل المهم ، فيؤلفوا بين النزعات ، ويوحدوا القلوب والغايات، ويظهروا مزايا الدين وينشروا محاسنه ليجلبوا اليه الانظار ويحببوه في عين الاجنبي، لا أن يجعلوه واسطة للتنافر والتعادي ويظهروه بأسوأ مظهر وأخزى منظر، كي ينفر منه البعيد الاجنبي الذي عسى وهو لايعرف منه إلا انه دين أحزاب وخراب، وتنافر وبغضاء وشقاء ، على لسان من يدعون الزعامة الدينية في الجرائد والمجلات.

أليس كذلك أيها القارىء ؟ ؟ أليس ان مجلاتنا وصحفنا نراها طافحة بالسباب وشتم بعضنا بعضا ؟ وما كفانا ذلك حتى أخذنا نتحرش ونتجاسر حتى على أولئك المقبورين المدفونين منذ ألف وثلاثمائة سنة . ألسنا وقد خصصنا أوقاتنا وأوقفنا أقلامنا ، وبذلنا دراهمنا، واشغلنا مطابعنا ،وأنهكنا أفكارنا وأدمغتنا، وسهرنا الليالي والايام، لنخلق لنا هذه المشاكل المذهبية ولنجعل لنا عقبة لن تذلل؟ ألسنا ونحن أصبحنا بفضل هذه كلها في مؤخرة العالم والمجتمع وعبيداً للاجانب يفترس بعضنا الآخر وكل ذلك في مصلحة الاجنبي الغربي

أليس نظرة واحدة الى ماضينا المجيد حين كنا تحت راية واحدة وقد ملكنا زمام أكثر العالم ، وركزنا تلك الراية في قلب الغرب تكفينا وتدلنا على الفرق بين ذلك الزمن والزمن الذي ابتدأت فيه نار الفتن الطائفية والنزعات المذهبية، وما وصلنا اليه اليوم من حالة لا يرجى لهـا خير ؟ أليس السبب في ذاك كله هو التخاذل والتباغض باسم السلف الصالح والاسلام ؟ وحاشا للاسلام أن تكون هذه مبادئه ، بل حاشا للسلف الصالح أن يرضى هذه الاساليب والمبتكرات ، حاشا ثم حاشا. أوليس دين الاسلام هو دين التآخي والتآلف ؟ دين الوحدة والوئام ؟

أباسم عمر وعلي نطعن هذا الدين في الصميم؟ أباسمهما نمزق أوصال هذا الدين ونشتت شمله ؟ ونثلم وحدته ونضيمه ؟ حاشاهما أن يعذراكم ياقوم، وأن يرضيا هذه الافعال والاعمال ، وباسمهما تتفرقون وتتشتتون ؟؟ فاتقوا الله ياقوم فيهما

هلموا ياقوم وأمعنوا نظركم ، وتتبعوا التواريخ ، فانكم تجدون السبب كله في هذا التطاحن المذهبي هو تداخل الاجانب في أمورنا الدينية ، وتشبثهم باسم الدين في تفريقنا وتباغضنا ، والعار كل العار أن نكون وفق مشيئتهم وتحت إرادتهم ، وأن نستسلم مذعنين لما يفرضونه علينا من التنابذ والتعادي

والأسف كل الأسف أن تلعب بنا الاهواء والنزعات،وتقودنا فئة ذات أطماع واغراض باسم الدين والاسلام الى المهاوي والمهلكات، وهم بعيدون كل البعد (لو تحققنا) عن الاسلام ومبادئه ما جورون بدعايتهم هذه ومستخدمون بمبادئهم تلك.

في هذا اليوم وقد أخذ الكل يشعر بالحاجة الى التآلف وتوحيد الصفوف

أمام الاستعمار وسيله الجارف - في هذا اليوم الذي نئن فيه من انشقاقنا وانخذالنا - في هذا اليوم الذي سهل على العدو أن يمص آخر قطرة من دمائنا وينخر عظامنا، يظهر لنا حضرة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي في النبطية بمقاله المنشور في المنار الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين سنة ١٣٥٠ مناظراً فيه حضرة الاستاذ صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا يمثل الشيعة ويعبر عنهم في ذلك المقال المزيف المملوء خطأً وركة، والذي ينكره عليه الشيعة انفسهم، والذي اعتبره حضرته أساساً للصلح، وفاتحة لعقد التفاهم والمودة مابين اهل السنة والشيعة

وقد كنت أنتظر من اخواني الشيعة في العراق وسورية أن يسارعوا في احتجاجهم واستنكارهم على هذا الرجل المدعي، وأن يعجلوا في كم فمه والضرب على يده، كي لا يعود لمثله أبداً، ولا زلت انتظر من الشيعة في القطرين الشقيقين ان يعلنوا استنكارهم من هذه الفئة المتعجرفة وبراءتهم من هذا الحزب المتعصب المأجور، الذي جرهم الى الهلاك والتدهور، وأن لا يتماهل المصلحون الذين أعهد فيهم الحرص على سمعة الاسلام في تدارك ماجاء على لسان هذا الرجل، وينشروا حقيقة روح المسالمة والمودة الاكيدتين بين اخوانهم السنيين والشيعيين، ويدعو بعضهم البعض الى حسم هذا الخلاف واتمام فصول هذه الرواية المحزنة، وليجعلونا نسير والكل منا ينشد :

ما مذهب السني إلا مذهب الز	يدي والشيعي والوهابي
الدين يبرأ من تطاحن اهله	والأخذ بالتهويل والارهاب
ان الشقاء وان تطاول عهده	آبت به الايام شر مآب
أالمذهب يتقاتلون وحولهم	إلب العداة تهم بالاسلاب

وأعود فأقول بالرغم من شذوذ حضرة السيد عبد الحسين نور الدين عن الموضوع المتفق عليه في المناظرة، وخروجه عن الخطة المرسومة، فقد جاء في المقال ما لفظه (روي في كنز الاعمال على هامش مسند احمد ص٤٣ ان علياً سئل عن كثرة مايرويه عن رسول الله ﷺ فقال : كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت إبتدأني) وقد راجعنا هامش الستة مجلدات من مسند احمد فلم نجد لذلك أثراً،

وجاء أيضاً في المقال نفسه(روى المحدث الجليل الموثق عند اخواننا وهو محمد ابن سعد في الطبقات جزء ٣ صفحة ٢٧٣ باسناده عن أبي هريرة قال : قدمت على عمر (رض) من عند أبي موسى بثمانمائة الف درهم فقال لي : ألم اقل لك انك يمان احمق ، انك قدمت بثمانين ألفا . فقلت يا أمير المؤمنين انما قدمت بثمانمائة الف درهم ، فجعل يعجب ويكررها ، فقال ويحك وكم ثمانمائة الف درهم؟ فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانمائة) وقد راجعنا ايضاً في طبقات ابن سعد فلم نجد لذلك أثراً .

وهكذا قد لفق حضرته مقاله وادعى فيه انه جاء يريد بذلك الاتفاق والتآخي ، وهو أبعد ما يكون من روح الوفاق والوئام ، لما ضمنه من جمل وكلمات لايوافقه عليها الشيعة انفسهم (طبعا) وكان الأحرى بصاحب(كذا)أن ينتخب لو اراد التفاهم وإزالة الخلاف ان يختار من أولئك المصلحين القادرين الذين لا اخال حضرته يجهلهم من اخوانه (الشيعة) في العراق وسورية

اما أن يتصدى أمثال السيد عبد الحسين نور الدين وينزعم باسم الفرقة الشيعية والذي أعرفه منه أنه لا يملك حريته الشخصية فضلا عن الملايين ، وأنه مأجور لبعض العلماء الايرانيين (في النجف) ثم يجيء حضرة الاستاذ صاحب المنار ويفتح له مجلته للنشر ، فذاك أمر يزيد الطين بلة ، ويوسع شقة الخلاف ، وحينئذ يتعذر على المصلحين الحقيقيين تلافي الخطر [1]

وإني أعلم بصفتي أحد الشيعة ومن بيت له مكانته الدينية عند الشيعة ومطمئن من أن كلمتي هذه سوف ينكرها عليّ حضرة السيد عبد الحسين وأتباعه المأجورون، ولكني أعتقد أيضا أنها سوف تلاقي استحسانا من حضرات العلماء والاساتذة المصلحين ، ومن إخواني الشيعيين جميعا الذين أخذوا يشعرون بحاجتهم الى التعاون والتفاهم مع اخوانهم ، وأنهم ينفرون من أعمال هذه الفئة المتعصبة المعدودة، التي لازالت تشوه سمعتنا وتسيء الينا في الخارج ، وهم غير مؤيدين من عشر الشيعة، ولم يوافقهم أحد على ما يقولون ويدعون . وأملي الاكيد أن سوف يعرف رجال

(١) المنار : انما فتحنا الباب لمناظرة علمية يقصد بها جمع الكلمة فلما رأينا الرسالة الاولى على خلاف الشرط والقصد فوضنا أمر الحكم فيها الى علماء الشيعة.

الاصلاح وزعماؤه غايات أمثال السيد عبد الحسين فلا يدعوا لهم مجالا بعد هذا لبث سمومهم القتالة ، وان يعرفوا العالم هويات هؤلاء ومرامهم ، وان بعد هذا لنا عليهم حساب (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) السائح العربي

الحجاز ١٤ رجب سنة ١٣٥٠ عبد الهادي آل الجواهري

(المنار) اننا نشكر لهذا السائح الكريم من هذا البيت العريق غيرته الاسلامية التي لاشك في أن فوائد السياحة وعبرها تزيد في اذكاء نارها، وتألق أنوارها ، واني لأوافقه على أن دعاة التفريق بين المسلمين بعصبية المذاهب أصحاب أهواء وطلاب مال وجاه ، وان دسائس الاجانب والمتعصبين تعبث بهم من حيث يدرون ومن حيث لايدرون، وهذا مالا يشك فيه أحد من المختبرين الواقفين على الحقائق،

واني على هذا العلم لأجرأ على تبرئة السيد عبد الحسين نور الدين من سوء النية أو خدمة دسائس بعض الايرانيين أو المستعمرين الذين يستفيدون من غلوه ، ولا زال على رأيي السابق فيه وهو انه ذو وجدان خيالي ديني مستحوذ عليه فهو يعتقد مايقول

﴿ الرد على السيد عبد الحسين نور الدين لا على الشيعة في المفاضلة بين الخليفتين ﴾

لا مندوحة لي وقد نشرت هذه الرسالة على منكراتها من الرد عليها ، ليرى صاحبها قيمة حججه في مسألة التفاضل بين عمر وعلي رضوان الله عليهما ، وان بعض ماسماه براهين قطعية، لايعدو أن يكون شبهات خطابية، وتخيلات شعرية ، لايصح في الشرع ولا العقل أن تجعل من عقائد الدين ، ويجعل الخلاف فيها سبباً للشقاق بين المسلمين ، وان من أكبر الخذلان، واتباع خطوات الشيطان، أن يجعل الخلف الطالح مسألة المفاضلة بين الخليفتين من أصول الدين ، التي يقذف فيها المخالف بأنه « غير متبع سبيل المؤمنين » مع العلم القطعي بان علياً كان وليا ونصيراً وظهيراً وقاضيا ووزيراً لعمر ، وانه فضله هو وأبو بكر على نفسه وسائر أصحاب رسول الله ﷺ كما رواه أحمد والبخاري وغيره بالاسانيد الصحيحة ، يقابله ماعلم واشتهر من تقديم عمر له في التعظيم والشورى والقضاء ، ومن تفضيله على نفسه ماقاله عمر لابنه عبد الله

حين عاتبه على تفضيل الحسن والحسين عليهما السلام عليه في العطاء فقال له : ألك أب كأبيهما أو جد كجدهما ؟ كما نقله الرضي في نهج البلاغة

أليس أمير المؤمنين علي (ع. م) هو القدوة الاكبر بعد رسول الله ﷺ المعصوم عند اخواننا الشيعة فلماذا لا يتبعونه في إجلال أبي بكر وعمر وكذا عثمان لاجل جمع كلمة المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ؟ وإن كان أحق بالخلافة منه عندهم ؟ أو ليس هو وعمر عند أهل السنة في درجة واحدة من الخلافة الراشدة ؟ وقد قال النبي ﷺ «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» فما لنا في هذا العصر لا نقتدي بهما في الولاية والتعاون على مصلحة المسلمين ، ونتسلق إلى ما لا نبلغه من التفاضل بين علميهما ؟ ألا إننا سنفعل ذلك رغم أنوف المتعصبين الخياليين والمأجورين

تفنيد ما سماه البراهين القاطعة على تفضيل علي

خلاصة براهينه أن عمر أسلم في السنة السادسة من البعثة وعمره ست وعشرون سنة ، ومكث مدة ثلاث سنين لا يرى النبي ﷺ إلا نادراً وهي مدة حصار بني هاشم وبني المطلب في الشعب

ونتيجة هذا انه طلب العلم في سن لم يسمع المعترض أن أحداً طلب العلم فيها وبرع فيه - فهذا برهان عقلي عنده على ان عمر لم يبرع في علم الاسلام (اه ص٦٦)

وأما علي فقد ضمه اليه النبي ﷺ وهو ابن أربع سنوات ولم يفارقه في طول حياته إلا في أوقات قليلة فقد تلقى العلوم من سن الطفولة التي هي سن التحصيل ، وفي الزمن الطويل — فهذا برهان عقلي على انه فاق عمر وسائر الصحابة في علوم الاسلام كلها معه كأنه النادر (اه ص٦٧ — ٦٩)

أقول (١) ان العلم الذي دعا اليه النبي ﷺ لم يكن فيه شيء من الفنون الخاصة بالاطفال التي تؤخذ بحفظ العبارات اولا ثم تفهم بالتدريج البطيء الذي يراعى فيه سن الطفل ونمو مداركه ، وإنما دعا إلى علم لا يوجه إلا الى العقلاء المكلفين ، وأوله توحيد الله تعالى والايمان بملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والجزاء ثم بأصول الفضائل وعبادة الله تعالى بالصلاة والذكر والفكر ، وينبوع هذا العلم كله القرآن وقد بلغ كله للجميع ، وإنما كان النبي ﷺ مبيناً له بسنته العملية والقولية ، وكانوا

يتفاضلون في العلم بفهم القرآن . وقد سأل أبو جحيفة عليا (ع . م) هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء من العلم ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إلا أن يؤتي الله عبداً فهما في القرآن ومافي هذه الصحيفة — يعني كرم الله وجهه صحيفة كان ربطها بسيفه فيها أحكام عقل الدية وفكاك الاسير وتحريم المدينة كمكة وعدم قتل المؤمن بالكافر. والحديث صحيح رواه أحمد والبخاري في مواضع متعددة من المسند والجامع الصحيح ورواه غيرهما أيضا . ولم ينقل ان النبي ﷺ بلغ عشيرته في الشعب شيئا من التشريع ولا أن عليا او غيره قال ذلك ، بل من المعلوم الذي لا خلاف فيه ان أكثر الاحكام التشريعية كانت بعد الهجرة

(٢) الانسان كما يقول الاطباء لا يكتمل نموه الجسدي والعقلي الطبيعي إلا باكمال ٢٥ سنة التي هي ربع العمر الطبيعي المعتدل ، ومن المعلوم بالتجارب في المدارس وغيرها ان ابن ٢٦ سنة أقوى فهما للمسائل العقلية من اعتقادية وتشريعية من الطفل المميز واليافع الذي لم يكتمل نموه ، وان أكثر الذين يطيلون المكث في مدارس التعليم أقلهم نبوغا فأشهر الحكماء والنابغين لم يمكثوا في المدارس إلا قليلا. وقد سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر يقول للسيد علي الثمين نقيب الاشراف بطرابلس في تلميذله: انه ساوى في السنة الأولى الاذكياء الذين سبقوه في طلب العلم بسبع سنين

(٣) من المعلوم عند علماء النفس وعلماء التاريخ ان من كان قوي الاستعداد للحفظ يزداد في الشباب قوة باستعمال استعداده كما يعلم من تراجم حفاظ الحديث. ولما حفظ ابن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة من سماعها مرة واحدة كان كهلا لا شابا ولا طفلا، وعجب ممن عجب من ذلك فقال: وهل يسمع الانسان شيئا ولا يحفظه؟ وأملى الحافظ ابن حجر ألف درس من حفظه وكان كهلا، ومن المعلوم أيضاً ان ملكة الحفظ في العرب كانت قوية جداً لاعتمادهم عليها . وكذلك كانت عند غيرهم من الامم قبل تعلم الكتابة والاعتماد عليها في حفظ العلم ففي تاريخ اليونان القديم ان عقلاءهم اعترضوا على اقتباسهم فن الكتابة من المصريين بأن الاعتماد عليها يضعف ملكة الحفظ

(٤) ماجعل الله لرجل من قلبين، وزيادة بعض القوى يقابلها نقص غيرها، فمن كان أكثر حفظا للنصوص الشرعية كالقرآن والحديث أو اللغة قلما يساوي في فهمها والتفقه

فيهامن يعنى بفهمها دون حفظها. وقد علم بالتجربة ان قوة الاستعداد للحفظ قلما تتفق مع قوة الاستعداد للفهم والحكم في المعاني ، فأكثر حفاظ الحديث غير فقهاء فيه ، وأكثر الفقهاء غير حفاظ له، وكذا علماء المعقول فقلما تجد في كبارهم حافظا للحديث والآثار أو من يسمى محدثا. وقد كان أبو حنيفة يعد أفقه أئمة المذاهب المشهورة وهو اقلهم حفظا . وكان احمد بن حنبل أحفظهم وقد قال فيه الامام ابن جرير انه محدث لا فقيه . بل يروى ان الشافعي قال لاحمد على ما اشتهر من إجلاله له : اذا صح عندكم الحديث فأخبرونا به فأنتم أعلم بروايته ونحن أعلم بفقهه، اوما هذا معناه

(٥) ان فائدة حفظ النصوص تبليغها للناس ، وإننا نرى المروي عن عمر من الحديث في البخارى وفي مسند أحمد اكثر من المروي عن علي وهو لم يرو الا عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وأبي بن كعب . وعلي قد روى عنه وعن أبي بكر والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم. وكذا عن فاطمة عليها السلام، والمروي عن ابي هريرة الذي اسلم في السنة السادسة من الهجرة اكثر مما روي عن الخلفاء الأربعة ،وعن العبادلة الذين هم اكثر رواية من الخلفاء ولكنهم يلونهم في فقه الدين وحكمه . وكان ابو هريرة دون كل واحد منهم في علوم الاسلام الالهية والشرعية

فقول هذا السيد في براهينه القطعية عنده « فكان أعلمهم أكثرهم حفظـا وأقواهم حافظة » غير صحيح وإلا لكان أبو هريرة أعلم الصحابة على الاطلاق ، ثم انه معـارض ببرهانه القطعي الآخر ان المتأخر في الزمن في التلقي عن الرسول ﷺ لا يبلغ شأو المتقدم . ثم ان كون علي أكثرهم حفظا وأقواهم ذاكرة لا دليل عليه من عقل ولا من نقل،لان مثله لا يثبت إلا بامتحان استقرائي تام وهو لم يقع تاما ولا ناقصاً ، وإن كان في نفسه غير كثير عليه

ومن غرائب براهينه القطعية الخاصة بمنطقه استدلاله بذاكرته وذاكرة بعض معارفه إذ قال انه لم يكن ينسى في شبيبته شيئا سمعه أو قرأه وكان يتعجب ممن ينسى ، وبعد بلوغه الثلاثين انقلب الامر وانعكس وأصبح يتعجب ممن يحفظ ولا ينسى ، وانه ماشكا هذا الداء لأحد إلا وشكا له مثله فكأنه هو وأصحابه الذين شكا لهم حاله حجة الله القطعية على البشرية والمعيار لنابغي العلماء والحفاظ ومثل عمر

ابن الخطاب . وأنا أقول له انني بعد بلوغي الستين لم أنس شيئاً مما سمعته وقرأته إلا الامور التافهة التي لا ألقي لها بالا ولا أحب أن أحفظها ولا أن أعيدها إذا ذكرتها ، ولكنني منذ الصغر قليل الحفظ لاسماء الاعلام والارقام واستحضار مالم يتكرر على ذهني منها ، وقوي الحفظ سريع الاستحضار للمسائل العلمية ولا سيما المعقولة منها . ومن عادتي انني إذا ألقيت خطبة أو محاضرة أو سمعتها من غيري ونويت ان اعيدها او أكتبها فانني اعيدها بما يقرب من ألفاظها وبتحديد معانيها ، وإذا لم أنو هذا فانني أتذكرها بعد ذلك بالاجمال لا بالتفصيل

مثال ذلك بعض الخطب التي ألقيتها في سورية سنة الدستور وبعض الخطب التي ألقيتها في الهند فانني كتبتها للمنار بعد إلقائها في مدد قصيرة او طويلة ورأيت الذين سمعوها يقولون انني لم أترك مما قلته شيئا . ومنها الخطبة التي ارتجلتها في مدرسة عليكره الاسلامية الجامعة في الهند وموضوعها التربية وأنواعها وفلسفتها ـ اقترحت علي عند عقد الحفلة التي أقامها طلاب المدرسة لي ، ثم اقترح علي بعد الاحتفال أن اكتبها فلم اجد فرصة لذلك مدة مكثي في الهند ولكنني كتبتها في مسقط وأرسلتها إلى عمدة المدرسة وكانوا قد كتبوا كل ما وعوه منها بطريقة الاختزال فلما وصل اليهم ما كتبته وجدوه اوفى وأضبط مما كتبوا ، ولقد رويت عن شيخنا الاستاذ الامام في تاريخي له أموراً كثيرة سمعتها أو حضرتها بعد الثلاثين ودونتها بعد الستين ونشرت له خطبا ارتجالية في عهده لم يستدرك علي منها كلمة

(٦) لو كان التفاضل في العلم عند الصحابة بالرواية لتنافسوا فيها ولكتب الكاتبون منهم ماسمعوه ووعوه ولم ينقل عنهم هذا بل المنقول خلافه

(٧) من المقرر عند العلماء ان العلوم والاعمال التي يتعدى نفعها افضل وأكثر ثوابا من القاصرة على صاحبها ، ومن المعلوم الذي لا خلاف فيه بين المحدثين والمؤرخين للاسلام ودوله ان علوم عمر وأعماله كانت انفع من علوم سائر الخلفاء في نشر الاسلام واهتداء الشعوب به وفتوحه وما اشتهر به من العدل والفضائل

(٨) من المعلوم الذي لا مرية فيه بين الواقفين على تواريخ الامم وسنن الاجتماع البشري ان ارقى البشر عقلا وعلما نفسياً هم أقدرهم على سياسة الشعوب وإقامة

الدول ، وان هؤلاء مفضلون على الحفاظ والعلماء الفنيين الذين يقومون ببعض الاعمال الجزئية في الدولة ، وهذا هو العلم الذى يرجح صاحبه على من دونه فيه لتولي الحكم العام كالخلافة والملك. ومن دعائم هذا العلم معرفة استعداد الافراد الذين يصلحون للسياسة والادارة والقضاء وقيادة الجيوش ، ومن المعلوم من التاريخ بالتواتر والعمل ان عمر (رض) كان في الذروة العليا من نابغي البشر وأفذاذ الامم في هذا الامر علما وعملا يشهد له بهذا علماء هذا الشأن من جميع الشعوب . ولبعض علماء اوربة وفلاسفتهم اقوال في ذلك مشهورة ومدونة

فلو كان العلم الذى يفضل صاحبه على غيره في الخلافة وإدارة سياسة الامة هو كثرة الحفظ للاحاديث وضبط الروايات لكان ابو هريرة وأنس بن مالك أول من ولاهم الخلفاء الراشدون ولا سيما عمر على الامصار ، ولو كان الذي يصلح لذلك أصحاب المبالغة في الزهد والعبادة لكان أبو ذر وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري مقدمين على غيرهم للولاية والسياسة وإدارة أمور الشعوب

وجملة القول في براهين السيد عبد الحسين نور الدين العقلية انها ليس فيها قياس منطقي مؤلف من مقدمات يقينية تصلح لتأليف برهان عقلي، وإنما جاء بروايات نقلية لا يمكنه إثباتها كلها ، وإنما بعضها صحيح كتقدم إسلام علي على إسلام عمر وهو لا يدل على ما استدل به عليه، وبعضها لا يصح وهو على فرض صحته لا ينتج مع غيره ما فهمه منه بطريقة القياس البرهاني لما بيناه من الحقائق الفلسفية والتاريخية

على أننا نقول ان كلا من عمر وعلي (رض) من أفراد البشر الممتازين بالعبقرية العليا . فعمر جدير بأن يفهم في الزمن القصير من القرآن والسنة ما لم يفهمه غيره في الزمن الطويل وهو الذى شهد له الرسول بأنه من المحدثين (بفتح الدال المشددة) أي الملهمين المفهمين من الله تعالى، وبأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه ، وهو هو الذى نزل القرآن مرارا موافقا لرأيه وقال فيه الرسول ﷺ « لو كان بعدى نبي لكان عمر » رواه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وأقره الذهبي. وكان في شبابه صاحب سفارة قريش وعمدتهم في المفاخرة والمنافرة فلولا انه من احفظهم وافصحهم واقواهم حجة لما ولوه ذلك، فاذا كان قد سبقه اربعون رجلا

إلى الاسلام فلا يمكن لمن يفضل علياً وأبا بكر عليه في علمهما أن يفضل عليه باقي الاربعين. والتفاضل بين الثلاثة انفسهم لا يسهل أن يثبت بقياس برهاني — وإنما الدلائل القطعية في فضائل عمر وعلي هي ما ثبت بالتواتر من سيرتهما العملية التي لا تحتمل التأويل

دلائل مناظرنا النقلية

ان ماذكره الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين من الروايات النقلية التي بنى عليها استدلاله تدل على انه لا يوثق بنقله وان عين مواضعه بالارقام، ولا بتمييزه بين مايصح من الروايات وما لا يصح، ولا بفهمه لما ينقله . وهاك البيان مختصراً

(١) مانقله عن مختصر كنز العمال من هامش ص ٤٣ من مسند الامام أحمد وقد أنكره عليه السائح العربي ، وانما هو في ص ٤٦ منه ج ٥ وهو روايتان — إحداهما عن علي ولم ينقلها ولفظها : كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني وإذا سكت ابتدأني. وهذه أخرجها ابن ابي شيبة والترمذي من طريق عبد الله بن هند وهو المرادي الجملي الكوفي وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأقول ان عبد الله بن هند لم يثبت سماعه عن علي وهو صدوق ـ والثانية التي نقلها وهي : عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب انه قيل لعلي : مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً ؟ فقال اني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني. رواه ابن سعد اهو محمد ابن عمر هذا لم يسمع من جده علي ولم يذكر من حدثه عنه ، وفي روايته من جهة المتن انه لم يثبت ان علياً كرم الله وجهه كان اكثر الصحابة حديثاً أيضا

(٢) مانقله عن ص ٢٧٣ ج ٣ من طبقات ابن سعد وهو رواية قدوم أبي هريرة من عند ابي موسى بثمانمائة الف درهم ، وقد أنكره عليه السائح العربي أيضا وهو في ص ٦١٦ ج ٣ (طبعة أوربة) وهذا لفظه: اخبرنا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة انه قدم على عمر من البحرين . قال ابو هريرة فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس ثم قال لي : ماذا جئت به ؟ قلت جئت بخمسمائة الف درهم . قال هل تدري ما تقول ؟ قلت جئت بخمسمائة الف درهم . قال ماذا تقول ؟ قلت : مائة الف ، مائة الف، مائة الف حتى عددت خمساً . قال انك ناعس فارجع إلى اهلك فنم فاذا أصبحت فائتني . فقال ابو هريرة

فغدوت اليه فقال ماذا جئت به ؟ قلت جئت بخمسمائة الف درهم . قال عمر : أطيب ؟ قلت نعم لا أعلم الا ذلك . فقال للناس انه قدم عليكم مال كثير فان شئتم أن نعد لكم عدداً وان شئتم أن نكيله لكم كيلا ؟ ثم ذكر مسألة انشائه الديوان

اقول (أولا) ان السيد نور الدين لعدم وقوفه على علوم الحديث ومصطلحات اهلها يقول إذا نقل شيئا عن كتاب: ان صاحبه موثق عند اخواننا – كما قال في ابن سعد ، وإذا كان ابن سعد ثقة فلا يقتضي أن يكون كل مايرويه صحيحا فهو يروي غير الصحيح كغيره من المحدثين وعذره انه يذكر السند الذي هو العمدة في تمييز الصحيح من غيره وقد قال هو نفسه في محمد بن عمرو راوي هذا الحديث: كان كثير الحديث يستضعف. وقال فيه يحيى بن معين :مازال الناس يتقون حديثه، قيل له وما علة ذلك ؟ قال كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ثم يحدث به مرة أخرى عن ابي سلمة عن ابي هريرة اه أي مثل هذه الرواية

(ثانيا) ان هذه الرواية ليس فيها ادنى مطعن على علم عمر (رض) ولا على فهمه بل كل مافيها انه استكثر هذا المال ان يجيء من البحرين فظن أن اباهريرة مخطيء في بيانه لنعاس أو تعب طرأ عليه — وهو معذور في استكثاره لما كانوا عليه من الضيق والعسر

(٣) قوله : وروى احمد في مسنده ان عمر لم يعرف حكم الشك في الصلاة — وهذا من غرائب عدم فهمه إذا كان قد رواه بالمعنى وإلا كان افتراء على المسند فانه ليس فيه ان عمر لم يعرف حكم الشك وإنما فيه عن محمد بن اسحاق عن مكحول عن كريب عن ابن عباس انه قال له عمر : ياغلام هل سمعت من رسول الله ﷺ او من احد من اصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع ؟ فبينما هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف فقال فيم انتما؟ فقال عمر سألت هذا الغلام الخ فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا شك احدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم ثنتين وإذا لم يدر صلى ثلاثا ام اربعا فليجعلها ثلاثا ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل ان يسلم »

وأقول (اولا) ان السؤال لا يكون دائما عن جهل بالمسؤل عنه بل قد يكون امتحانا وقد يكون للتثبت في رواية مختلف فيها او متهم راويها وفي سجود السهو عدة روايات مختلفة

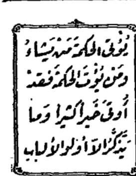
(وثانيا) ان هذا الحديث غير صحيح فانه رواية ابن اسحاق عن كريب وهو مدلس وقد عنعن فلا تقبل روايته، ومكحول رواه له مرسلا . قال ابن اسحاق فلقيت حسين بن عبدالله فقال لي هل اسنده لك ؟ قلت لا لكنه حدثني ان كريبا حدثه به . وحسين ضعيف جداً . وقال ابن ابي خيثمة سمعت هارون بن معروف يقول ان مكحولا لم يسمع من كريب. اه ولكن ذكر في التهذيب انه سمع منه والله اعلم

فهذه امثلة للروايات التي يعتمد عليها هذا المناظر في الطعن في علم عمر بن الخطاب مما ينقله عن المحدثين ، فما قولك بما ينقله عن كتاب الاغاني وابن ابي الحديد ؟

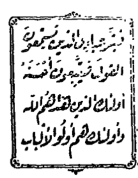
واني لأراه وأمثاله ممن يبحثون في الكتب عن شيء فيه طعن ما على من لهم هوى في نقل الطعن فيه من غير تمييز بين صحيحه وسقيمه كدعاة النصرانية (المبشرين) إذ ينظرون في القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير يتلمسون كلمة يمكن الطعن فيها او اتخاذها حجة على الاسلام والمسلمين ولو بالتحريف فينقلونها ويعتمدون عليها في تشكيك عوام المسلمين في دينهم ، وإلا فما باله يختار من مسند احمد ما نقله كما فهمه لا كما وجده ولم يعتبر بما رواه احمد فيه من طرق كثيرة عن علي انه قال: خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر ومنها انه قال ذلك وهو على المنبر ؟ ومنها انه قاله لمن سأله ومنهم ابو جحيفة من جماعته ومفضليه على غيره

هذا ومناظرنا يوجه هذا إلى صاحب المنار المشهور بالاشتغال بعلوم الحديث ونقد الروايات ، وإنما يوجهه اليه لاجل المناظرة فيه فلولا انه مصدق لهذه الروايات وواثق بفهمه لها مع اقراره بضعف ذاكرته ، لما جعلها من موضوع مناظرته معه

أكتفي بهذه المباحث في تفنيد براهين الاستاذ عبدالحسين العقلية والنقلية ليعتبر به هو ومن يغره كلامه ، ويعلم ان مثل هذا الذي جاء به لا يوصل إلى الغاية التي طلب المناظرة لاجلها لعله يحاسب نفسه ولا يجعل شعوره الخيالي وغلوه الوجداني حججا علمية وبراهين عقلية يحاول بها تحويل أهل السنة كلهم عن مذهبهم إلى مذهبه، فيجمع به كلمة المسلمين بوهمه . أما المناظرة العلمية في مسائل الخلاف فطريقها الوحيد أن تحرر مسائل الخلاف الاساسية تحريراً يمضيه اشهر علماء الشيعة في سورية والنجف ، وأما الاتفاق بدون مناظرة فهو ماسنبينه في جزء آخر لعله الذي يلي هذا.







قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ ق برج الحمل سنة ١٣١١ هـ ش مارس سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

خلاصة سورة براءة (التوبة)

﴿ وفيها خمسة أبواب وفصول ﴾

(هذه السورة آخر السور المدنية الطول نزولا فيقل فيها ذكر أصول الدين وأحكام العبادات البدنية . ـ راجع مقدمة خلاصة سورة الانفال في ص ١١٨ والتناسب بين السورتين في ص ١٤٧ ج ١٠)

الباب الاول

(في صفات الله تعالى وأفعاله وشؤونه في خلقه وأحكامه وسننه فيها)

(الفصل الاول في الاسماء والصفات الالهية والاضافات الربانية)

(١ ـ الاسماء والصفات)

في هذه السورة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى : الغفور الرحيم ، الرؤف الرحيم ، العليم الحكيم ، العزيز الحكيم ، السميع العليم ، عالم الغيب والشهادة ، ومنها

المكرر مرتين وثلاثا أو أكثر، وكل منها موضوع في موضعه المناسب لمعناه في السياق أو الآية . وأما الفائدة العامة لذكر أسماء الله تعالى وصفاته وتكرارها في المواضع المختلفة فهي تذكير تالي القرآن وسامعه المرة بعد المرة بربه وخالقه وما هو متصف به من صفات الكمال الذي يثمر له زيادة تعظيمه وحبه، والرجاء في رحمته وإحسانه، والخوف من عقابه، لمن أعرض عن هداية كتابه، أو خالف حكمته وسننه في خلقه، وهذا أعلا مقاصد القرآن، في إكمال الايمان، وإعلاء شأن الانسان (فراجعه في ص ١١٩ ج ١٠)

ومما ورد فيها في العلم الالهي قوله تعالى (٧٨ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، وأن الله علام الغيوب) وقوله (١٦ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم — الى قوله — والله خبير بما تعملون) وهما أعظم ما يجدد في القلب مراقبته عز وجل عند كل قول وعمل، وحسبك بهما وازعا ورافعا

(٢ ـ المعية الالهية)

في هذه السورة من المعية العليا قوله تعالى في آية الغار عن رسوله ﷺ (٤٠ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وهي معية النصر والمعونة ، والحفظ والعصمة ، والتأييد والرحمة، كما يقتضيه المقام في حال الهجرة ، وهذه المعية أفضل من كل ما ورد في معناها ، ومن أعظمه قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام (لا تخافا انني معكما أسمع وأرى) فراجع (ص ٤٢٧ ج ١٠) وفي الآية ١٢٣ (واعلموا أن الله مع المتقين) وهذه معية النصر لانها معطوفة على الامر بالقتال، ويقال في كل منها مع العلم بمعناها انها معية تليق به تعالى

(٣ ـ الدرجة والعندية الالهية وسكينته تعالى)

قال تعالى (٢٠ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله) الآية . وقد قلنا في تفسير هذه العندية [ص ٢٢٠ ج ١٠] انها حكمية [بضم الحاء] شرعية ، ومكانية جزائية ، أي هم أعظم درجة في الفضل والكمال في حكم الله وأكبر مثوبة في جوار الله

وقال بعد بشارتهم بالرحمة والرضوان والجنات والنعيم المقيم والخلود فيها من الآية (٢٢ إن الله عنده أجر عظيم) وهو استئناف بياني فالعندية فيه مفسرة لما قبلها. وقال (٣٦ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض) فالعندية هنا يفسرها ما بعدها وهو كتاب الله الذي كتب فيه مقادير السموات والارض ونظام الايام والليالي والشهور والسنين . وقيل كتابه المنزل الذي فيه حكمه التشريعي في الشهور وهو قوله بعد ما ذكر [منها أربعة حرم] الخ

وفي الاية (٥٢ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) فعندية العذاب عبارة عن كونه بفعله تعالى دون كسب للمؤمنين وهو ما يسمى بالمصائب السماوية بدليل مقابلته بقوله [أو بأيدينا] والاضافة في العندية الحكمية للتوقيف والتعريف، وفي العندية المكانية للتشريف، ومثلها إضافة السكينة اليه تعالى

٤ ــ حب الله ورضاه وكرهه وسخطه وغضبه

قال تعالى (٧ ان الله يحب المتقين) وقال في المهاجرين والانصار [١٠٠ رضي الله عنهم ورضوا عنه] وقال في جزاء المهاجرين المجاهدين [٧٢ ورضوان من الله اكبر] ويدخل في معناه ما صح في الاحاديث من مقام الرؤية كما بيناه في تفسيرها وقال في شأن المنافقين [٩٦ فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين] أسند الله تعالى الى نفسه الحب والرضى في هذه الآيات وفي سور أخرى ، كما أثبت لنفسه الكره في قوله من هذه السورة [٤٧ ولكن كره الله انبعاثهم] والسخط والغضب في سور أخرى . والمتكلمون يتأولون هذه الصفات بالاثابة والاحسان من لوازم الحب والرضى، وبالعقاب من لوازم السخط والكره والغضب، فراراً من تشبيه الخالق بعبيده الذين تعد هذه الصفات انفعالات نفسية لهم يتنزه الله عنها . ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تاويل ، فيقولون ان حب الله تعالى وكرهه ورضاه وغضبه صفات تليق به تترتب عليها آثارها ، وهي لا تماثل ما سمي باسمها من صفات البشر ، كما ان ذاته ونفسه وعلمه وقدرته لا تماثل ذوات البشر وعلمهم

وقدرتهم بلا فرق . بل نقول ان من خلق الله في عالم الغيب من الجن والملائكة لا يماثل في إدراكاته ولا في غيرها ما في عالم الشهادة ، بل روي في ثمر الجنة أنه يشبه ثمر الدنيا وليس مثله وعن ابن عباس [رض] انه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء . وقال تعالى في نعيم الآخرة [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين] وقال النبي ﷺ في تفسيره له « قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وأمر بقراءة الآية متفق عليه

وأما الكلام مع أهل التاويل من ناحية الادلة العقلية التي يزعمون الانفراد بها دون علماء السلف فهو أن حب الحق والخير كالايمان والعدل وأهلها ، وكراهة الباطل كالكفر ، والشر كالظلم ومجترحيها ، كلاهما من صفات الكمال المحض ، وكل ما كان كمالا محضا فالعقل يوجبه لواجب الوجود بأعلا مما يكون منه للوجود الممكن - فقد اتفق العقل مع النقل على إثبات هذه الصفات لله بمعنى أكمل مما هي في خيار الناس ، ولكن لا يمكن وضع أسماء لها من كلام الناس تدل على الفرق بين مسمياتها في الخالق والمخلوق ، فوجب الرجوع في ذلك إلى الوحي الفاصل وهو قوله تعالى [ليس كمثله شيء وهو السميع البصير] فالتنزيه في الجملة الاولى السالبة أزال ما يستلزمه التشبيه في الجملة الثانية الموجبة ، بل قال الشيخ محيي الدين بن عربي في تفسير هذه الآية ان الايمان الصحيح هو الجمع بين التنزيه والتشبيه

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ أفعال الله في تصرفه وتدبيره لامور خلقه بمقتضى سننه ، لا بجعلهم مجبرين بقدرته ﴾

قال تعالى (١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية . يتوهم أهل الجبر انها تدل على نحلتهم ، ويرده انه تعالى أمرهم بقتال المشركين ، ولو كانوا مجبرين لكان أمرهم لغواً وعبثا . وقوله (يعذبهم الله بأيديكم) معناه يعذبهم بتمكين أيديكم من رقابهم قتلا ، ومن صدورهم ونحورهم طعنا ، ويؤكده

الوعد بعده بنصرهم وفي معناه قوله (٥٢ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا)

وقال تعالى في آية (١٩ والله لا يهدي القوم الظالمين * وقال في آيتي ٢٤ و ٨٠ والله لا يهدي القوم الفاسقين * وقال(٣٧ والله لا يهدي القوم الكافرين) وليس معنى هذه الآيات ان الله تعالى منعهم من الهداية بقدرته فصاروا عاجزين عنها ومجبرين على الفسق والظلم والكفر إجباراً ، وإنما معناها ما بيناه في تفسيرها وهو ان هذه الصفات التي رسخت في انفسهم بكسبهم منافية لهدى الله تعالى الذي بعث به رسله بحسب سننه تعالى في الاسباب والمسببات (راجع ص ٢١٩ و ٢٣٦ و ٤١٩ و ٥٦٧ ج ١٠) ويقابله قوله تعالى قبل الآية الاولى من هذه الآيات فيمن ترجى لهم الهداية بحسب سنن الله تعالى (١٨ إنما يعمر مساجد الله من بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)

ويدخل في هذا الباب من بيان السنن وطبائع البشر قوله في خوالف المنافقين (٨٧ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ثم قوله فيهم (٩٣ وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) فهو بيان لسنة الله في تأثير أعمالهم التي منها رضاهم بخطة الخسف والذل وهو التخلف عن الجهاد ان قلوبهم كالمطبوع عليها التي لا تفقه كنه حالها ولا تعلم سوء مآلها (ص ٥٩٠ ج ١٠) وفي معناه قوله في الذين ينصرفون منهم متسللين من مجلس القرآن (١٢٧ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) أي بسبب انهم قوم فقدوا صفة الفقاهة الفطرية وفهم الحقائق وما يترتب عليها من الاعمال لعدم استعمال عقولهم فيها الخ مافصلناه في تفسيرها (ص ٨٥ ج ١١)

وبهذه المرآة ترى حقيقة المراد من قوله تعالى فيهم (٤٦ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) وراجعه في ص ٤٧١ ج ١٠ وقوله (٦٧ نسوا الله فنسيهم) وراجعه في ص ٥٣٤ ج ١٠

﴿ الفصل الثالث ﴾

في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه وسننه فيهما

١ — ترى تعليل الامر باتمام العهود الموقتة بقوله تعالى (ان الله يحب المتقين)
٢ — « « « بتخلية سبيل التائبين من المشركين بقوله تعالى (ان الله غفور رحيم)
٣ — « « « باجارة المشرك المستجير لسماع كلام الله بقوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)
٤ — « « « بقتال المشركين الناكثين للعهد بقوله (لعلهم ينتهون)
٥ — « « عدم قبول صدقات المنافقين بفسقهم ثم بكفرهم في آيتي ٥٣ و٥٤
٦ — « « « المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله وفسقهم في الآية ٧٩
٧ — « « النهي عن الصلاة على موتاهم بكفرهم بالله ورسوله في الآية ٨٤
٨ — « « الامر بأخذ الصدقة من المؤمنين بتطهيرهم وتزكيتهم بها [١٠٣]
٩ — « « فتنة المنافقين في كل عام بأمل التوبة والتذكر [١٢٦]

فيعلم من كل تعليل ان حكمته تعالى في أفعاله وأحكامه منفعة عباده ومصلحتهم وخيرهم

سننه تعالى في أفراد البشر وأقوامهم وأممهم

بينا سنن الله تعالى في تأثير العقائد والصفات النفسية في الاعمال وترتب الاعمال عليها في مواضع [منها] إخزاء الكافرين في الآية الاولى [ومنها] نفي هداية الله تعالى للظالمين والفاسقين والكافرين في الآيات ١٩ و٢٤ و٣٧ و٨٠ [ومنها] كراهته تعالى انبعاث المنافقين للقتال وتثبيطه لهم وقوله [اقعدوا مع القاعدين] في الآية ٤٦ [ومنها] طبعه على قلوبهم في الآيتين ٨٧ و٩٣ وفي معناه صرف قلوبهم عن الايمان بالقرآن في الآية ١٢٧ وتقدم بيان هذا في الفصل الذي قبل هذا

ومن بيان سننه تعالى في الامم قوله تعالى (٣٩ إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم) فبقاء الامم وعزتها يتوقفان على قوة الدفاع الحربية [راجع تفسيرها في ص ٤٢٥] ومنها قوله [٤٧ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا] فراجع تفسيرها في ص ٤٧٢

﴿ الفصل الرابع ﴾

في قضاء الله وقدره وولايته للمؤمنين وتوكلهم عليه

هذه عدة عقائد من أصول الايمان ، وكمال التوحيد والايقان، جمعت كلها في آية واحدة من هذه السورة أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد بها على المنافقين الذين أخبره عنهم بأنهم تسوءهم كل حسنة تصيبه كالنصر والغنيمة في غزوة بدر ، وتفرحهم كل مصيبة تصيبه كالنكبة التي وقعت في غزوة أحد وهي (٥١ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فتصور حال مؤمن يوقن أنه لن يصيبه الا ما كتبه الله له - وأنه ان لم يكن يعرف هذا المكتوب له بعينه فهو يعتقد أنه لا يعدو في جملته وعده تعالى له من حيث هو مؤمن من الخير والنصر والشهادة في سبيل الله المعبر عنهما بالحسنيين في الآية التي بعد هذه [أي آية ٥٢] ويعتقد أن الله تعالى هو مولاه الذي يتولى نصره وتوفيقه ، فهو بمقتضى إيمانه يتوكل عليه ويفوض أمره اليه، تصور حال مؤمن تمكنت هذه العقائد من نفسه، وملكت عليه وجدانه ، هل يخاف من غير الله ؟ هل يمكن أن ييأس من روح الله ؟ هل يمنعه أي خطب من الخطوب عن الجهاد لاعلاء كلمة الله ، واقامة دين الله ، وبذل الجهد ، في اقامة الحق والعدل ، ومد بساط البر والفضل ؟؟ وتصور حال أمة يغلب على أفرادها ماذكر ألا تكون أعز الامم نفساً، وأشدها بأسا ؟

ويؤيد هذه العقائد ويزيدها رسوخا في قلب تالي هذه السورة ختمها بقوله عز وجل (١٢٩ فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فينبغي للمؤمن أن يتأمل معناها ويطالب نفسه بالتحقق به، فانه يجد به من حلاوة الايمان وعزة النفس ما يحتقر به خسائس المادة التي يتكالب الماديون عليها، ويبخعون أنفسهم انتحارا اذا فاتهم أو أعياهم شيء منها، وقد ورد في ذلك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء [رض] من قال إذا أصبح وإذا أمسى « حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه» وهذا موقوف له حكم المرفوع، وهو في سنن أبي داود

الباب الثاني

(في مكانة محمد رسول الله وخاتم النبيين عند ربه وفي هداية دينه وحقوقه على أمته)

وفيه ثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول في اقتران اسمه باسم ربه وحقه ﷺ بحقه عز وجل ﴾

وفيه أربعة عشر شاهدا

(١ و ٢) افتتحت هذه السورة بقوله تعالى (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) وعطف عليها قوله تعالى (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) الخ فقرن تعالى اسم نبيه باسمه في تبليغ أحكامه وتنفيذها

(٣) قال تعالى في وصف كملة المؤمنين من الآية (١٦ — ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي دخيلة وبطانة من غيرهم يطلعونهم على الاسرار ، ولهذا أشرك المؤمنين في هذا لانه يتعلق بحقوقهم في ولاية بعضهم لبعض دون أعدائهم ، ويضرهم أن يكون بينهم ولائج ودخائل من غيرهم . دون ما قبله الذي هو تشريع هو حق الله تعالي وتبليغ وتنفيذ : هما حق رسوله ﷺ في عهده ، وورثته من بعده

(٤) قوله تعالى (٢٤ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) فجعل كمال الايمان مشروطا بتفضيل حب الله تعالى ورسوله على كل ما يحب في هذا العالم من الناس والمصالح والمنافع ، ولكنه جعل الجهاد في سبيل الله وحده دون رسوله لانه عبادة يتقرب بها الى الله وحده وليس للرسول ﷺ أدنى حق ولا شركة مع الله عز وجل في عبادته

(٥) قوله تعالى في صفات أهل الكتاب الذين شرع قتالهم من الآية (٢٩ — ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) على القول بأن « رسوله » في الآية هو الفرد الاكمل خاتم النبيين وهو قول للمفسرين يقابله أن المراد به رسوله

تعالى اليهم وهو موسى (ع . م) لليهود وعيسى (ع . م) للنصارى

وهل العطف في الآية يدل على أن الرسول قد أعطاه الله حق التحريم من تلقاء نفسه أم حظه منه التبليغ عن الله تعالى نصاً ولو في غير القرآن أو استنباطا ؟ اختلف علماؤنا في التشريع الدنيوي في هذه المسألة دون الديني المحض فذهب بعضهم الى الاول وجعلوا منه تحريمه ﷺ المدينة كمكة أن يصاد صيدها أو يختلى خلاها الخ وذهب آخرون الى الثاني ومنهم الامام الشافعي وقد بينا هذه المسألة في موضع آخر بالتفصيل

(٦) قوله تعالى في سبب منع المنافقين أن تقبل منهم نفقاتهم من الآية ٥٤ : (إنهم كفروا بالله ورسوله) ومثله في سبب عدم انتفاعهم باستغفار النبي ﷺ من الآية (٧٩ ـ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) وهذا ظاهر فان الدين انما يكون بالجمع بين الايمان بالله والايمان برسوله وما جاء به ، وأنى يعرف الله وما يرضيه من عبادته إلا من طريق رسله وما أوحاه اليهم ؟

(٧) قوله تعالى في الذين لمزوا النبي ﷺ أي عابوه في قسمة الصدقات وكانوا يرضون اذا أعطوا ويسخطون اذا منعوا (٥٩ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا الى الله راغبون) والجمع فيها بين اسم الله واسم رسوله في موضعين أحدهما الرضاء بما آتيا وأعطيا بالفعل ، والثاني الرجاء فيما يؤتيان من بعد ، فأما العطاء من الله تعالى فهو انه هو الذي أنعم وينعم بالغنائم في الحرب وهو الذي شرع قسمتها بين الغانمين ، وجعل خمسها فيما تقدم في أول الجزء العاشر في مصالح المسلمين ، ومنها مواساة الفقراء والمساكين ، وهو المنعم بسائر الاموال ، والذي فرض فيها ماتقدم تفصيله من الصدقات ، وأما الرسول ﷺ فهو القاسم للغنائم والصدقات باعطائها لمستحقيها بالحق والعدل ، ولذلك خص الله تعالى في الآية بالفضل ، وفيها من أصول التوحيد ، والتمييز بين ما لله وحده وماله وللرسول أمران (أحدهما) أن المحسب الكافي للعباد هو الله وحده ، ولهذا أرشدهم أن يقولوا « حسبنا الله » ولم يقل ورسوله كما قال في الايتاء (وثانيهما) ان توجه المؤمن فيما يرغبه ويرجوه من الرزق وغيره يجب أن ينتهي الى الله تعالى .

وحده وهو نص قوله (إنا إلى الله راغبون) ومنه (وإلى ربك فارغب) أي دون غيره (راجع ص ٤٨٨ ج ١٠)

(٨) قوله تعالى (٦٢ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) فمقتضى الايمان الذي لا يصح بدونه تحري المؤمن إرضاء الله ورسوله في المرتبة الاولى ، وإرضاء المؤمنين بما يتعلق بمعاملتهم في المرتبة الثانية التابعة للاولى ، ذلك بأن كل ما يرضي الله عز وجل يرضي رسوله ، وكل ما يرضي رسوله ﷺ يرضيه ، فهما متلازمان ، وأما المؤمنون فقد يرضي بعضهم مالا يرضي الله ورسوله لجهله بما يرضيهما أو غفلته عنه أو اتباعه لهواه فيه . ومنه في موضوع الآية ان بعض المؤمنين من الصحابة الكرام ربما كانوا يصدقون أولئك المنافقين الذين يحلفون لهم بأنهم صادقون في اعتذارهم عما اتهموا به في غزوة تبوك ، لانهم لا يعلمون ما يعلمه الله تعالى من باطن أمرهم وما أعلم به رسوله منه ، ولذلك قال في آية أخرى (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)

(٩) قوله تعالى (٦٣ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم) الآية وهذه مقابلة لما قبلها فان من يحادد الله أي يعاديه يعادي رسوله كما أن من يرضي أحدهما يرضي الآخر ، ومن ثم كان الجزاء واحداً

(١٠) قوله تعالى في المنافقين الذين كانوا يخوضون في مسألة غزوة تبوك ويهزؤن بمحاولة غزو الروم ورجاء الرسول ﷺ النصر عليهم وبما كان وعد به أصحابه من الظفر بملكهم (٦٥ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب .قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) ؟ فحكم الاستهزاء بالله وآياته الكفر ، وهو حكم الاستهزاء برسوله ، لان الله تعالى هو الذي وعد رسوله بالنصر وأمره بالغزو ، ورسوله انما بلغ عنه آياته ووعده في ذلك .

(١١) قوله تعالى (٩٠ وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) الآية . معنى كذبهم إياهما إظهار الايمان بهما كذباً وخداعاً

ومن كذب الرسول في دعوى الايمان فقد كذب الله ـ وان لم يشعر بذلك ـ واستحق الجزاء الذي في الآية

(١٢) قوله تعالى في أصحاب الاعذار الصادقة في التخلف عن الجهاد الواجب (٩١ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله) فاشترط لقبول عذرهم في القعود عن القتال النصح لله ورسوله في كل قول وعمل يقدرون عليهما في مقاومة الاعداء ومساعدة المؤمنين وغير ذلك فالنصح من أعظم شعب الايمان ، وراجع تفسير الآية

(١٣) قوله تعالى في المعتذرين من المنافقين عن الخروج إلى تبوك (٩٤ يعتذرون اليكم إذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم ، وسيرى الله عملكم ورسوله) الآية . والمراد من ذكر رؤية الرسول لها إعلامهم انه هو الذي سيعاملهم بمقتضاها في الدنيا، دون أقوالهم في الاعتذار عن تخلفهم وغيره من سيئاتهم . وأما رؤية الله تعالى لها فهي التي عليها مدار الجزاء في الآخرة كما صرح به في تتمة الآية (ص٣ ج ١١)وفي معناها قوله تعالى (١٠٥ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) هذه الآية حث على العمل النافع للدنيا والآخرة وإنما ذكر المؤمنون هنا بعد ذكر الله ورسوله لتذكير العاملين بان الله يرى أعمالهم وهو الذي يجازيهم عليها فيجب عليهم الاحسان والاخلاص له والوقوف عند حدود شرعه فيها . وبأن رسوله يراها ويعاملهم بمقتضاها ـ وهذا خاص بحال حياته ﷺ ـ وهو الشهيد عليهم فيها عند الله تعالى ليتحروا أن يشهد لهم لا عليهم ـ ثم لتذكيرهم بان المؤمنين يرونها فينبغي لهم أن يتبعوا فيها سبيلهم ويتحروا فيها مايوافق المصلحة العامة التي يشتركون فيها . وجماعة المؤمنين شهداء بعضهم على بعض وشهادتهم مقبولة عند الله تعالى (راجع تفسير الاية في ص٣٣ ج ١١)

(١٤) قوله تعالى (٩٩ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) فهذا ضرب من اقتران اسم الرسول ﷺ باسم الله تعالى في موضوع واحد مع الفصل فيه بين ما له تعالى وما لرسوله . فالذي لله عز وجل من هذه العبادة هو قصد القربة وابتغاء المرضاة

والمثوبة ، والذي للرسول ﷺ هو طلب صلواته أي أدعيته إذ كان يدعو للمتصدقين كما بيناه في تفسير الآية (ص ١١ ج ١١)

وكل هذه الآيات مما يفند دعوى بعض الملاحدة ان دين الاسلام هو القرآن وحده دون سنة رسوله ، وكذلك ما ترى في الفصلين اللذين بعده

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في علو مكانته وعناية الله تعالى به وتكريمه وتأديبه وتكميله إياه ﴾

(وفيه ١١ منقبة بالاجمال وأضعاف ذلك بالتفصيل)

(المنقبة الاولى) جعل الايمان به وطاعته وحبه وارضائه مقرونة في المرتبة والثناء والثواب بماله عز وجل من ذلك على عباده — وجعل ما يقابل ذلك من الكفر به وعصيانه وبغضه واغضابه وإيذائه مقرونة في الحظر والكفر والوعيد واستحقاق العذاب الاليم بالكفر بالله وعصيانه الخ وتجدها في السورة من الامرين مفصلا في الفصل الاول الذي قبل هذا ، فهي بضع عشرة لا منقبة واحدة

(الثانية) إنزال الله سكينته عليه وتأييده بجنوده من الملائكة في يوم حنين حين انهزم المؤمنون وولوا مدبرين كما هو مبين في الآيتين ٢٥ و٢٦ (ويراجع تفسيرهما في ص ٢٤٣ ـ ٢٤٨ ج ١٠)

(الثالثة) نصر الله له عند خروجه للهجرة مع صاحبه الصديق ومعيته الخاصة لهما وانزال سكينته عليهما وتأييدهما بجنوده من الملائكة ، وفيها عدة مناقب كما تراه في آية الغار (٤٠) وتفسيرها البديع من ص ٤٢٦ ـ ٤٥٩

(الرابعة) إتمام الله تعالى نوره به كما تراه في الآية ٣٢ وقال بعض المفسرين إنه هو ﷺ نور الله المراد من الآية فانظر تفسيرها في ٣٨٣ ج ١٠.

(الخامسة) قوله تعالى بعدها (٣٣ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) الآية وهي مشتملة على عدة مناقب فانظر تفسيرها في ص ٣٨٨ ـ ٣٩٤ ج ١٠

(السادسة) قوله تعالى له (٤٣ عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية وفيها من لطفه تعالى به وتكريمه إياه ان أعلمه بعفوه عنه قبل اعلامه بخطا الاجتهاد في اذنه لبعض المنافقين بالتخلف عن الخروج معه الى تبوك . وتجد في تفسيرها تحقيق الكلام في ذنوب الانبياء عليهم السلام [ص ٤٦٤]

[السابعة] إعلامه تعالى إياه بأن استغفاره للمشركين وعدمه سيان في جانب حكم الله فيهم وهو انه لا يغفر للمصرين على نفاقهم . وذلك في الآية [٧٠] وهذا تقييد لنفع الدعاء والشفاعة

(الثامنة) اعلامه تعالى بأنه ليس من شأن النبي من حيث هو نبي ولا من شأن المؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى بعد العلم بموتهم على كفرهم بعد ان فعلوا ذلك . وهذا نص الاية ١١٣ وهي ارشاد من الله لهم فيما يجب أن يقفوا عنده من مودة القرابة والنسب (راجع ص ٥٦ ج ١١)

(التاسعة) نهيه تعالى إياه عن الصلاة على المنافقين أو القيام على قبورهم عند الدفن بعد صلاته على زعيمهم الاكبر الأكفر عبدالله بن أبي بن سلول والقيام على قبره عند دفنه تكريما لنجله المؤمن الصادق وتأليفا لقومه وكان أكثر المنافقين منهم، وهذا النهي يتضمن الانكار والتأديب والحد الذي يجب الوقوف عنده في معاملة المنافقين ، وسيأتي تفصيله

[العاشرة] نهيه عن الاعجاب بأموالهم وأولادهم وإعلامه بأن الله يعذبهم في الدنيا قبل الآخرة في الآيتين ٥٥ و٨٥ على القول بأن الخطاب فيهما له ﷺ ويجوز أن يكون عاما لكل من يسمع القرآن أو يقرؤه ، وهو على كل تقدير تأديب من الله تعالى وتكميل للنبي والمؤمنين بالسمو بانفسهم عن تعظيم شأن قوة الاموال وعزة الاولاد وزينتهما يكونان للمحرومين من قوة الايمان وعزته وهما ان لا يعلوهما شيء ـ وتعليمهم ما لم يكونوا يعلمون من ان النعم الصورية الدنيوية لا تتم لاهلها النعمة والعزة بها الا باطمئنان القلوب بنعمة الايمان، وتزكي الانفس باعمال

الاسلام، وان السعادة الحقيقية انما هي سعادة النفس بالعلم والعرفان وعلو الاخلاق، ومن متماتها الدنيوية كثرة الاموال والاولاد، وان هؤلاء المنافقين بفقدهم لهذه النعم الباطنة، لاسعادة لهم بتلك النعم الظاهرة، وانما هي منغصات لهم في الدنيا نفسها بما بيناه في تفسير الآيتين [في ص ٤٨٤ و ٥٧٤ ج ١٠]

(الحادية عشرة) توبته تعالى عليه وعلى خيار أصحابه المؤمنين وهذا منتهى التطهير والتزكية لهم من ربهم عز وجل في اثر غزوة تبوك التي أرهقوا فيه أشد العسر، وقاسوا أعظم الجهد، من الجوع والظمأ والنصب، ومفارقة موسم الرطب، في شدة الحر، وقلة الزاد والظهر، [الرواحل] فكان لابد أن يعرض لهم بعض الهفوات الجديرة برأفة الله ورحمته في جانب تلك الحسنات، التي أشير الى مضاعفة أجرها فيما يلي الاخبار بالتوبة عليهم من الآيات، وهو قوله عز وجل [١١٧ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم] ثم ذكر فيما يليها توبته على الذين خلفوا من هؤلاء الصادقين عن تبوك بغير عذر [حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم] الخ

والتوبة من العبد إلى ربه هي رجوعه اليه عن كل ما لا يرضيه وتحريه ما يرضيه وهي تختلف باختلاف حال التائبين فيما يتوبون عنه حتى ان منهم من يتوب اليه ويستغفره من الغفلة، ومن التقصير في استكمال الجهد في الطاعة

وأما التوبة من الرب على عبده فهي قبول توبته، والتجاوز عن ذنبه أو هفوته، أو عن تقصيره في عبادته والخطأ في الاجتهاد في إقامة سنته، وتنفيذ شريعته، وعطفه عليه بما يكون مزيد كمال في إعلاء درجته، ولذلك قال بعض المحققين : ان التوبة هي أول درجات الطاعة والمعرفة وهي آخر درجات الكمال في الايمان وثمراته، وانها كالطهارة في الصلاة لابد من استمرارها من اول سن التكليف إلى آخرها [راجع ص ٦٤ ـ ٧٢ ج ١١]

(الفصل الثالث)

﴿ في فضله على أمته، وحقوقه الواجبة عليها، وحكم إخلالها بها وتقصيرها فيها ﴾
﴿ وهي ثلاثة أقسام ﴾

(القسم الاول في صفاته الخاصة وفيه بضع مزايا وفضائل)

(الاولى) وصف الله تعالى إياه بانه صلوات الله وسلامه عليه في الآية ٦١ (أذن خير) في الرد الحكيم على قول بعض المنافقين (هو أذن) يعنون انه يصدق كل مايقال له فيسهل عليهم خداعه ، وقد فسر وصفه بانه اذن خير بقوله تعالى [يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين] ووجه الرد عليهم بهذا انه ﷺ انما يؤمن بالله ويصدق ما يوحيه اليه في شأن المنافقين وغيرهم، وهو التصديق القطعي اليقيني ، ويليه انه يصدق المؤمنين بالله تعالى وبرسالته تصديق ثقة بهم وائتمان لهم فيما هو خير في نفسه، وخير للناس حتى المنافقين منهم، لانه لا يسمع سماع قبول الا ما كان حقا وخيراً ،دون الكذب والغيبة والنميمة ـ راجع تفسيرها في ص٥١٦ ج ١٠

[الثانية] وصفه تعالى اياه بعد ما ذكر بقوله [ورحمة للذين آمنوا منكم] أي بما كان سبباً لهدايتهم وإسباغ الله عليهم سعادة الدنيا والآخرة بايمانهم به وعلمهم بما دعاهم اليه من أسبابها ، دون المنافقين المكذبين أو المرتابين فيها ، وأما قوله تعالى في سورة الانبياء [وما أرسلناك الا رحمة للعالمين] فهو في معنى إرساله للناس كافة بما هو سبب الرحمة والسعادة . وما يأتي قريباً من وصفه بانه رحيم بالمؤمنين فهو معنى آخر وستعرف الفرق بينهما

[الثالثة] وصفه في آية ١٠٣ بتطهير المؤمنين وتزكيتهم بما يأخذه منهم من الصدقات. وذلك انه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن مثله في تبليغه لفرض الصدقات والنفقات ، وفي أخذه لها وقسمتها على مستحقيها كمثل الملوك والحكام الذين يجعلون المفروض على الناس من الاموال أتاوات وضرائب قهرية يؤدونها كما يؤدون سائر المغارم، ويعتقدون أنها تنفق بحسب أهواء الملوك والحكام، ويكون لهم منها أكبر نصيب بغير استحقاق ، وإنما كان ﷺ يبين للمؤمنين حكمة ما فرضه الله تعالى

عليهم ، وان فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة لهم في أفرادهم وجماعتهم ، وكان يقسمه بين مستحقيه بالعدل ، ويحرم باذن الله على نفسه وعلى أهل بيته أخذ شيء منه ، فبهذا وذاك أسند الله تعالى اليه فعل التطهير والتزكية لهم ، وهو داخل في حكمة بعثته في قوله [يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة] ونجد التفصيل في تفسير الآية [ص ٢٤ ج ١١]

[الرابعة] وصف صلاته ودعائه للمتصدقين بعد ما ذكر بأنه سكن لهم تطمئن به قلوبهم ، وترتاح إليه أنفسهم ، ويثقون بقبول الله لصدقاتهم ، ونقول ان كل مؤمن متصدق مخلص يناله حظ من دعائه ﷺ المتصدقين الى يوم القيامة ، ولكن لم يرد في القرآن ولا في السنة ولا في سيرة الصحابة والتابعين ان النبي ﷺ يطلب منه بعد وفاته الدعاء لأحد

[الخامسة] وصفه تعالى إياه بما امتن به على قومه من قوله في خاتمة السورة [١٢٨ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم] فاثبت له شدة الحب لهم والحرص على هدايتهم وسعادتهم ، وانه يعز ويشق عليه أن يصيبهم العنت والارهاق في دينهم أو دنياهم

[السادسة] وصفه بعد ما تقدم بقوله [بالمؤمنين رءوف رحيم] وهاتان الصفتان من أعظم صفات الربوبية غير الخاصة بالله عز وجل الا في كمالهما ، ورأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين غير ارسال الله تعالى إياه رحمة لهم خاصة ، وغير ارساله رحمة للناس كافة ، فان رحمته بهم من صفات نفسه الشريفة القدسية التي ظهر أثرها في سياسته ومعاشرته لهم ، وتاديبه إياهم ، وتنفيذ حكم الله تعالى فيهم ، كما ترى في هذه السورة كغيرها ، وشواهد سيرته ﷺ في تفسيرها ، فتأمل خطبته ﷺ في الانصار في أثر إنكار بعض شبانهم وغوائهم حرمانه إياهم من غنائم حنين [ص ٢٥٨ - ٢٦٠ ج ١٠] فهي العجب العجاب ، والكمال الذي لم يتم لبشر كما تم له عليه الصلاة والسلام

وأما ارساله رحمة للعالمين وللمؤمنين فهو بيان لحكمة رسالته وفوائدها فيما اشتملت عليه من الحق والعدل والخير التي هي أسباب رحمة الله ومثوبه ورضوانه لمن اهتدى بها كما تقدم بيانه في محله

﴿ القسم الثاني فيما يجب له على أمته وفيه خمس واجبات ﴾

[الاول] وجوب حبه ﷺ بالتبع لحب الله تعالى وفي الدرجة التي تلي درجته في ثمرة الايمان ، ووعيد من يفضل عليهما حب أي شيء مما يحب بمقتضى الفطرة ومصالح الدنيا ، فراجع بيان ذلك في تفسير الآية (٢٥) تجد فيه مالا تجد مثله في تفسير آخر [ص ٢٢٥ ج ١٠]

[الثاني] وجوب مرضاته بالتبع لمرضاة الله عز وجل في الآية ٦٢

[الثالث] وجوب طاعته بالتبع لطاعة الله في صفات المؤمنين من الآية ٧١

[الرابع] وجوب النصح له بالتبع للنصح لله عز وجل في صفات المعذورين في التخلف عن القتال من الآية (٩١)

وهذه الواجبات له قد ذكرت في الفصل الاول من هذا الباب في سياق آخر

[الخامس] وجوب نصره كما يؤخذ من آية [٤٠ إلا تنصروه فقد نصره الله] ويؤيدها ما يأتي في القسم الثالث من حظر التخلف عنه .

﴿ القسم الثالث فيما يحظر عليهم من ايذاء وتقصير في حقه وهو خمسة محظورات ﴾

[الاول] حظر إيذائه فداؤه أبي وأمي ونفسي والوعيد عليه في الآية [٦١]

[الثاني] حظر محادَّته أي معاداته والوعيد عليها في الآية [٦٣]

[الثالث] الكفر الصريح بالاستهزاء به في الآية [٦٥]

[الرابع] حظر القعود عن الخروج معه للجهاد في الآيتين [٨١ و ٩٠]

[الخامس] حظر تخلفهم عنه والرغبة بانفسهم عن نفسه في الاية [١٢٠]

وهذا تعبير بليغ جدا يتضمن ان كل من يضون نفسه عن جهاد وعمل بذل الرسول ﷺ نفسه فيه فهو مفضل لنفسه على نفسه الكريمة في عهده ، ويمكن أن يقال ذلك فيمن بعده وان كان الفرق بين الحالين ظاهراً من ناحية ملاحظة ذلك وعدمها ، ومن ناحية قيام الحجة على من كان معه بما لا تقوم به على من لم يكن معه فضلا عمن بعده .
وإنما نعني بالامكان انه ينبغي لكل مؤمن أن يتأسى به ﷺ في بذله ماله ونفسه لله والجهاد في سبيل الله بقدر إمكانه [لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا] فراجع تفسير الاية [ص ٧٤ ج ١١]

فتاوى المنار

﴿ تعليم أولاد المسلمين في المدارس اللادينية الحكومية وغيرها أو مدارس النصرانية ﴾

(س ٢٨) من حضرة صاحب الامضاء بتونس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما رأيكم دام نفعكم في من يدخل ابنه الصغير إحدى المكاتب (المدارس) الدولية وهي خالية من تعليم الدين الاسلامي وتدريس اللغة العربية كما يجب بل كل تعليمها امتهان لنفس التلميذ حتى ينشأ ذليلا محتقراً نفسه وأهله ، واعتناء باللغة الفرنساوية اللطيفة ، والدافع إلى زج هذه الفلذة الصغيرة هو توقع ما تحقق أن الولد يؤخذ للخدمة الجندية ثلاثة أعوام إذا لم يحرز من تلك المكاتب على شهادة يتخلص بها من الجندية ، مع أن طرق الخلاص منها كثيرة واضحة إلا ان الشهادة (المدرسية) أضمن للخلاص من حيث المآل وراحة البال

فهل هذا يعد ضرورة حتى يرتكبه الآباء المحافظون على الدين الاسلامي ، والقومية (العربية) . ومما يلاحظ أن بعض البلدان فقد منها تعليم القرآن المجيد فضلا عن حفظه الناشئة المولودة بعد الحرب العظمى ؟ نرقب جوابكم السامي في هذه المزلقة التي انطبعت في فكر العارف والجاهل إلا من عصمه الله وقليل ماهم ، والفضل الاكبر لدعاية المعلمين العربيين بالمكاتب الذين هم مسوقون بأن يكونوا كشعوذة ودعاية بين أهليهم وذويهم حتى اني رأيت التوظف بها مع القدرة على التعيش من طريق آخر من اكبر الكبائر . فما رأيكم ؟ أطال حياتكم والسلام

من محرره فقير ربه المخالف لكل أمته في هذه البدعة

(م.خ)

(ج) ان تعليم الاولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عند مايبلغون سن التكليف ومبادىء اللغة العربية التي هي لغة الاسلام فرض على والديهم وأولياء أمورهم، فاذا كانت المدارس الدولية المذكورة في السؤال لا تمنع والديهم من تعليم ماذكر من الامور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدي الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس — فلا مانع من إدخالهم فيها، وان كانت تمنعهم مما ذكر من التعليم والتربية الواجبين فلا يجوز لهم إدخالهم فيها، وماذكر في السؤال من الباعث على ذلك وهو التفصي من خدمة الجندية لا يصح أن يكون ضرورة ولا عذراً لهم، بل ينبغي للمسلمين أو يجب عليهم العناية بتعليم أولادهم النظام العسكري بقدر الامكان

هذا — وان في البلاد الاسلامية مدارس أخرى شراً من المدارس المذكورة في السؤال وهي مدارس دعاة النصرانية . وقد ثبت بالاختبار التام في جميع الاقطار الاسلامية أن المدارس التي تنشئها جمعيات الدعاية النصرانية انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائده وعباداته وآدابه ، وانها تتوخى مع ذلك إبعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين في العلم والجهل . وان المدارس اللادينية التي تنشئها الجمعيات السياسية والالحادية تتوخى بث الالحاد ، بل الكفر المطلق بالرسل وماجاؤا به من الهدى والرشاد

وقد ثبت بالاختبار ان الالحاد في الدين قد فشا في المتعلمين في هذه المدارس كلها على درجات تختلف باختلاف أحوالهم ، فمنهم المعطلة الذين لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وكتبه ورسله ، ولا بالبعث والجزاء . ومنهم الذين يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالوحي والرسل . ومنهم الشاكون (أو اللاأدريون) ومنهم الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . ومنهم الذين يلتزمون الجنسية الدينية السياسية والاجتماعية في الزواج والارث والاعياد والمواسم والجنائز ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يحجون البيت الحرام ولا يصومون رمضان، ومنهم من يلتزم حرمة شهر رمضان وعاداته وقد يصومون اياما منه ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والميسر والزنا والربا إلا بالقول دون الفعل

ومنهم من يصلي ويصوم احيانا او دائما ولكنهم لا يعرفون كل مايجب أن

يعرفه المسلم من عقائد الاسلام وأصول احكامه وآدابه

ومن آثار ذلك ما نراه من الفوضى في الامور الاسلامية الجهل ببعض الامور المعلومة من الاسلام بالضرورة التي اجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً على كفر جاحدها ، وعدم عذر جاهلها ، والدعوة إلى مخالفتها في المحاضرات والمناظرات والكتابة والخطابة ، وإنك لترى هذا في الصحف المنشرة ، والرسائل والكتب المنكرة ، التي تكتب بأسماء إسلامية في الاحكام الشرعية كحقوق النساء وترجمة القرآن وغير ذلك

ومن آثار ذلك ترجيح المتفرنجين وأولي العصبية الجنسية للغات الاجنبية على لغة الاسلام العربية — بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة لكل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة ، وشريعتهم واحدة ، وآدابهم واحدة ، ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه أمتكم أمة واحدة) من كل وجه

فتعليم اولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس اللادينية [لا ييك] قد جنى عليهم في دينهم ودنياهم وسياستهم وأوطانهم وسلبهم أكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم حتى لم يبق منه إلا القليل وهو على وشك الزوال

انهم اسلموا أولادهم وأفلاذ أكبادهم لأعدائهم لاجل أن يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولهم عزيزة قوية ، فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون ، ثم انهم بعد ذلك كله يمارون الذين ينبهونهم ويبينون لهم حقيقة حالهم وسوء مآلهم

وأكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة إسلامية تقيم الاسلام في علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فيرجعون اليها فيما يختلفون فيه من امورهم في بلادها وغير بلادها

وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمة غنية كجمعيات النصارى واليهود تنشيء لهم المدارس والملاجيء والمستشفيات الاسلامية فتغنيهم بها عن الالتجاء الى أعداء دينهم فيما صاروا يرونه ضروريا من التعليم الذي عليه مدار المعاش في هذا العصر

ترك المسلمون هذه الامور التي هي من فروض الكفايات فكان من سوء تأثير تركها ارتكاب الافراد لمعصية الله تعالى في تعليم أولادهم في المدارس التي

بينا ضررها وفسادها في دينهم ودنياهم

قد يغتر بعض الذين يعرفون الاسلام ويثقون بتربية أولادهم عليه فيظنون انه يمكنهم حفظ عقائد أولادهم مع تعليمهم في هذه المدارس، وقلما يصدق ظن احد منهم

وضع أخي السيد صالح (رحمه الله) بنتاً له في مدرسة البنات الامير كانية بطرابلس الشام وهي ناشئة في بيت قلما يوجد نظير له في بيوت المسلمين في معرفة الاسلام والاعتصام به — وكان السيد صالح بارعاً في جدال القسوس والمبشرين شديد العارضة قوي الحجة، وكان يكون له الفلج والظفر بهم في كل مناظرة، لكنه كاد يعجز عن إقناع بنته ببطلان مالقنتها المدرسة من الاناشيد في ألوهية المسيح وفدائه للبشر أو انتزاع شعورها الوجداني به، فاضطر الى إخراجها من المدرسة قبل أن تتم مدتها. ثم كانت — على تدينها ومحافظتها على الصلوات والصيام ويقينها بتوحيد الله تعالى وكون المسيح عبده ورسوله — تحن الى المدرسة وتعتقد ان ناظرتها (مس لا كرانج) من افضل البشر، وفي هذا عبرة لمن اعتبر

﴿ إشكال في تفسير المنار في نقل العرب المناسك وتحريم الاشهر عن ابراهيم ﴾

﴿ س ٢٩—٣٢ من صاحب الامضاء في طرابلس الشام ﴾

حضرة الاستاذ الفاضل علامة العصر، وفريد الدهر، الشيخ رشيد افندي رضا المحترم - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعالى (وبعد) فقد قرأت في العدد الاول من مجلد هذه السنة [يعني السنة الماضية] من مجلتكم الغراء مايأتي:

بعد ما ذكرتم قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) قلتم في تفسير هذه الآية: كانت العرب ورثت من ملة ابراهيم واسماعيل تحريم القتال في الاشهر الحرم لتأمين الحج وطرقه كما تقدم، كما ورثوا مناسك الحج، ولما طال عليهم الامد غيروا وبدلوا في المناسك وفي تحريم الاشهر الحرم ولاسيما شهر المحرم منها، فانه كان يشق عليهم ترك القتال وشن الغارات ثلاثة أشهر متوالية فأول مابدلوا في ذلك إحلال الشهر المحرم بالتأويل وهو أن ينسؤا تحريمه إلى صفر

لتبقى الاشهر الحرم أربعة كما كانت، وفي ذلك مخالفة للنص ولحكمة التحريم معاً)» اه

فنرجو من فضيلتكم أن تجيبونا على هذه الاسئلة الآتية على طريق الاستفادة لان مجلتكم ترغب بنشر المباحث لزداد النفع وتظهر حقية هذا الدين

أولا - هل لدينا مايثبت أن مناسك الحج وتحريم القتال في الاشهر الحرم هو من شريعة سيدنا ابراهيم الخليل ؟ أين الكتب الدينية أو السند المتصل الذي يثبت ذلك ويظهره ظهور الشمس في رائعة النهار ؟ — فتوارث ذلك عن أسلافهم إلى أن يصل إلى ابراهيم الخليل لا يكون سنداً يعتد به في الامور الدينية لعدم الثقة برجال الجاهلية لكونهم عبدة أوثان، ولان كل ما يفعلونه كانوا ينسبونه إلى ابراهيم الخليل، ولا يبعد أن تكون عبادتهم للاصنام ادعاءاً منهم ان سيدنا ابراهيم كان يعبدها

ثانياً - كيف يجعل الله عبادة الوثنيين ومناسكهم عبادة في الاسلام ومناسك له، والإسلام جاء ليجتث جذور الوثنية كما في تحريمه التشفع بالاولياء والصلحاء لانها تماثل ما يفعله الوثنيون

ثالثاً - إذا كانت العرب ورثت عن ابراهيم الخليل المناسك وتحريم القتال في الاشهر الحرم يلزم ان تكون العرب قبل الاسلام أمة غير جاهلية لانها صاحبة شريعة، وإن اعتقدنا أنها كانت أمة جاهلية لكونها غيرت وبدلت ماشرع ابراهيم الخليل فتكون الامة الاسرائيلية أيضاً قبل ظهور السيد المسيح أمة جاهلية لانه كان لها أحكام فغيرتها، وعقائد حقة بدلتها

رابعاً - مامعنى كون العرب قبل الاسلام أمة جاهلية ؟ هل لكونها لم يرسل لها نبي أو لكونها غيرت شريعة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه؟

نرجو الجواب على صفحات مجلتكم الغراء مؤيداً بالادلة العقلية والنقلية، فلا عدمت الامة الاسلامية أمثالكم ودمتم لها حصنا حصينا وسيفا قاطعاً لأعناق المعتدين والسلام

محمد فؤاد إشراقية

(ج) ان ما تنقله الامم بالعمل المتواتر لا يحتاج في إثباته إلى أسانيد قولية محفوظة ولا مكتوبة كنقل الكلام، فصفة الصلاة وعددها وعدد الركعات فيها وصفة

مناسك الحج المجمع عليها من الطواف والسعي والوقوف - كل ذلك بينه النبي ﷺ بالعمل وجرى عليه المسلمون بالعمل الى يومنا هذا ، وبذلك كان قطعيا يرتد جاحده عن الاسلام لا براوية المحدثين له بأسانيدهم في كتبهم . وكذلك العرب أخذت عن ابراهيم واسماعيل مناسك الحج التي أسندها الله تعالى اليهما في كتابه ، وكذا تحريم القتال في الاشهر الحرم وعملوا بهما قرنا بعد قرن ، إلا انهم أحدثوا فيهما بدعا كالنسيء في الاشهر والعري للطواف ووضع الاصنام في البيت وغيره ، وكانت هذه البدع والأحداث معروفة عندهم هي ومن أحدثها إلا قليلا منها ، ونقل هذا عنهم في كتب الحديث والتاريخ الاسلامي . ولم يكونوا يسندون عبادة الاصنام الى ابراهيم ﷺ وقد جاء في سيرة ابن اسحق ان النبي ﷺ قال «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار لانه أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وسيب السائبة» الخ ورواه الطبراني بلفظ «غير دين ابراهيم» وهو الذي وضع صنمي أساف ونائلة على الصفا والمروة

ولكن العمدة في التمييز بين ما كان من مناسك ابراهيم وما لم يكن منها انما هو كتاب الله وبيان النبي ﷺ وهو منقول في كتب الحديث ، فما أقره ﷺ من تلك المناسك قد صار مشروعا لنا باقراره إياه لا بنقلهم له ، وقد كان الحمس من قريش يقفون بالمزدلفة دون عرفات ويفيضون منها وظنوا ان النبي ﷺ يفعل ذلك في حجة الوداع فوقف مع الناس وأفاض . ونزل في ذلك [فاذا أفضتم من عرفات - الى قوله - ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس] وصوروا ابراهيم واسماعيل يستقسمان بالازلام فكذبهم النبي ﷺ بيانا لجعل الله ذلك من الفسق . بل جاء شرعنا موافقا لبعض عاداتهم فصارت مشروعة لنا ، وما كل عاداتهم ولا تقاليدهم كان قبيحا فهذا جواب السؤالين الاول والثاني

وأما الجواب عن الثالث والرابع فهو أن حالة العرب قبل الاسلام سميت جاهلية لما كان يغلب عليهم من الجهل بالدين والشرائع وغلبة الامية والوثنية ومفاسدها عليهم ، ولا ينافي هذا تعظيمهم لابراهيم واسماعيل وحفظهم لأكثر مناسكهما لما كان لهم في ذلك من العزة والفخر بالآباء والمنافع المادية في سدانة البيت وموسم الحج . والفرق بينهم وبين اليهود عظيم وهو غير محتاج إلى البيان لظهوره ، على أن هذا الجواب ليس بمحل له

ترجمة القرآن

وكون العربية لغة الاسلام

(مقدمة إجمالية)

وضعت مسألة ترجمة القرآن موضع المناظرة والجدال في الجرائد السياسية، فكانت كسائر المناظرات في السياسة الحزبية، والاهواء الاجتماعية ، خاض فيها من له إلمام بأصول الدين الاسلامي وفروعه ومن لا إلمام له بهما ممن اعتادوا تحكيم آرائهم في كل شيء بما تبيحه لهم فوضى العلم والدين والسياسة في مصر ، فكان الجمهور حائراً لايستقر له فكر ، ولا يستبين له حكم

ثم برز الى الميدان علماء الازهر فكانوا مختلفين كغيرهم ، وقد أكثروا من نقل عبارات الكتب واختلفوا في فهمها ، والترجيح بين مدلولاتها ، فزادوا الجمهور حيرة على حيرة ، واضطرابا على اضطراب ، لانه كلام في مقابلة كلام ، وخصام حيث لامسوغ للخصام، ولم يعرج أحد من الكاتبين على ماهو مثار النزاع في المسألة وهو عمل الحكومة التركية اللادينية : ماحقيقته وما سببه؟ وما موقعه من دين الشعب التركي ومذهبه واعتصامه بها ؟ بيد أن بعض من كتب من العلماء ألقى نظرة عجلى على شعوب الإسلام الاعجمية ليعطيها حقها من حكم ترجمة القرآن، بحسب حاجتها في هذا الزمان، ولكنه لم يبصر بهذه النظرة العجلى ماعليه هذه الشعوب، وألقى نظرة أثبت منها على الشعوب غير الاسلامية فأدرك ماللاسلام من الفائدة في اطلاعها على ترجمة القرآن بألسنتها ، ولكنه لم يحرر الموضوع من كل وجهة ، فظلت الحقيقة خفية غير ظاهرة

وقد كنت وفيت هذه المباحث حقها في مواضع من المنار ومن الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم ، وجمعت أكثرها في رسالة خاصة ، ولما ألح علي الكثيرون من العلماء والفضلاء بكتابة شيء جديد يناسب مقتضى الحال ، ويرجى

أن يزيل كل إشكال، شرعت في كتابة مقال طويل جمع بعضه في المطبعة ، ثم بدا لي بعد دخول كبار العلماء في المعمعة أن أرجيء إتمامه ، وأعجل الى الجمهور ببيان القضايا القطعية في الموضوع وما يجب على المسلمين منه في هذا العصر ، وهو ملخص في عشر مسائل، وسأنشر بعدها ذلك المقال الطويل المفصل، الذي يحز في المفصل، ويزيح كل مشكل، ويثبت أن اللغة العربية هي لغة دين الاسلام والمسلمين ، ورابطة الاخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمنين ، بما يفند نزعات الشعوبية وعصبية الجنسية ونزغات الملحدين ، ويوحد كلمة العلماء المختلفين ، بما يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . وهذه خلاصته الاجمالية :

١ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن المحفوظ في قلوب الالوف التي لا تحصى من الحفاظ ، المرسوم في ألوف الالوف من المصاحف، هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، بلسان عربي مبين ، معجز للخلق أجمعين

٢ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن هذا القرآن العربي هو أساس دين الله الذي أكمل به ما أوحاه الى رسله من قبله وأتم به نعمته على العالمين، وأمر رسوله أن يبلغه كما أنزله عليه بنصه العربي المبين ، فبلغه كما أمره الله ، وأمر أصحابه وأتباعه باذن الله تعالى أن يبلغوا عنه ما بلغهم عن الله عز وجل الى جميع البشر، فبلغوا وما زالوا يبلغون هذا القرآن بنصه العربي المنزل ، وما بينه من سنة الرسول الذي جاء به ﷺ وما استنبطه أئمة العلم من عقائده وأحكامه وآدابه ،

٣ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربي كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من أجناس البشر تلاوة وتدبراً وادكاراً واعتبارا ، وامتثالا للاوامر، واجتنابا للمناهي ، وحكما بين الناس كما قال (وكذلك أنزلناه حكما عربياً) على ما في ذلك من الفروض والواجبات على الاعيان ، ومن الفروض والواجبات على الكفاية التي يكفي قيام البعض بها عن قيام الكل ، وما فيه من المندوبات والفضائل والاداب الكمالية، فجميع الشعوب الاسلامية تعبد الله به الى هذا اليوم، وستعبده به الى ما شاء الله على تفاوت عظيم فيها بين جماعاتهم .

وأفرادهم في حظهم من هذه العبادة ، وبين خير القرون وما يليها

٤ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على أن مافرضه الله تعالى على أفراد أمة محمد ﷺ من قراءة في الصلاة فالواجب على كل فرد أن يتلوه بنصه العربي المنزل كما انزل (قرآنا عربيا غير ذي عوج)

ولكن اختلف مدونو الكتب الفقهية بعدعصر النبي ﷺ وأصحابه [رض] فيمن عجز من أفراد الاعاجم عن النطق به عربيا صحيحا غير ذي عوج بدون تحريف وتبديل لايبيحهما له الشرع ، فقال بعضهم انه في حال العجز تسقط عنه القراءة فيقف ساكتا مخبتا خاشعاً لله تعالى. وقال بعضهم يستبدل بها ذكراً آخر . وقالت الحنفية بل يستبدل بها ترجمتها وجوبا أو جوازا (قولان) كما ان العاجز عن القيام في الصلاة يصلي جالسا ، والعاجز عن الجلوس يصلي مضطجعا ، والعاجز عن الركوع والسجود يومىء بهما ، ومتى زال العذر في الجميع يرجع المصلي الى الاصل المفروض باجماع الامة

ومن المعروف بالاختبار أن العجز عن النطق بالقرآن العربي نادر قلما يقع الا لمن أسلم من بعض الاعاجم وهو كبير السن، وقد جرى المسلمون على تعليم أولادهم الفاتحة وبعض السور القصيرة عند تعليمهم أحكام الصلاة وأذكارها في الصغر ، فلا يكاد يوجد فيهم من يعجز عن النطق بها ، ويضطر أن يستبدل بها ترجمتها فيحتاج الى هذه الرخصة الحنفية فيها ، و انما يحتاج اليها بعض من يدخل في الاسلام كبيرا الى أن تنحل عقدة لسانه بالتمرين على اللفظ العربي

٥ — أجمعت الامة الاسلامية عربها وعجمها على انه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة أخرى يتعبد بها في الصلاة والتلاوة والتشريع ، ويطلق عليها اسم كلام الله ، وكتاب الله ، والقرآن الكريم ، والقرآن العظيم ، والقرآن المجيد ، كما سمى الله كتابه العربي ، ويستغنى بها عن كتابه المنزل ، الذي أرسل به رسوله ، وتعبد به أمته ، وصرحوا بأنه لايفعل ذلك الا مجنون أو زنديق ، ولذلك نرى جميع الشعوب الاسلامية الاعجمية من الترك والفرس والافغان والهند والجاوه والصين وغيرهم يعلمون أولادهم القرآن ويدرسون في مدارسهم الدينية تفاسيره

وكتب الحديث والفقه والاصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية ولكن أكثر أهل القرون الاخيرة منهم صاروا يفسرونها لطلاب العلم بلغاتهم خلافا للمتقدمين فلذلك قل المجتهدون والنابغون فيهم ، وكثيراً مايرسلون أولادهم الى مصر أوالحجاز لاجل اتقان اللغة العربية وعلومها

٦ — قد علم من هذه الاصول التي أجمعت عليها الامة اعتقادا وعملا أن إقامة هذا الدين في عباداته وتشريعه وحكومته تتوقف على معرفة اللغة العربية ،وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة وأوجب عليهم تعلمها،اذ لايمكن العمل بما ذكر من الاجماع بدونها،وقدصرح بهذا الامام الشافعي في رسالته التي هي أول كتاب صنف في تدوين أصول هذه الشريعة وكذلك الشاطبي في مقاصدها من كتابه الموافقات[1] وبيناه في مواضع من المنار والتفسير ،وسنزيده بيانا وإيضاحا في تفصيل مافي هذا المقال من الاجمال ،فلينتظره من يشتبه في شيء منه

٧ — قد ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم العلمية كالفرنسية والانكليزية والالمانية والطليانية، وترجمه بعض المسلمين باشهر لغاتهم الشرقية وبالانكليزية أيضا .وفي كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط كثيرة مخالفة لمدلولات عباراته اللغوية والشرعية ، فتح بها باب للطعن فيه والصد عن الاسلام ، كما انها فتحت بابا آخر ان اطلع عليها من مستقلي الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيحة،وحكمه العالية،وأحكامه العادلة،ومقاصده الحكيمة في اصلاح البشر ، وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون،ورجال الكنيسة المتعصبون، ودعاة النصرانية المرتزقون،من الكتب والرسائل الكثيرة في الطعن على الاسلام، بأن ما دونوه فيها من المطاعن زور وبهتان ، فكثر ما دحو الاسلام من علمائهم الاحرار،واهتدى كثير منهم به، واستضاءوا بنوره ، ولا تكاد تمر سنة إلا ونجد بعض المستقلين في الفهم منهم يدخلون في الاسلام بالاطلاع على بعض هذه التراجم أو بمعرفته ممن عرفوهم من المسلمين

---

١) ولكن الشاطبي أخطا في كلامه في موضوع ترجمة القرآن، وفي المسألة التي حاول بها إثبات كون هذه الشريعة أمية وسنبين ذلك في التفصيل الآتي

٨ — ان ما ترتب على ما ذكر من الترجمات من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفائيا أن يزيدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا ، وان يفندوا ماحدث من الفساد تفنيدا ، وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، اذ كانت الترجمة الحرفية متعذرة وغير مفيدة ، كما نبين ذلك بالادلة والشواهد التي لا تقبل النقض ، ولا تقابل بالرد ، وفاقا لما قررناه من قبل ، وهذه الترجمة التي تعد بما ذكرنا من الحاجة اليها فرض كفاية على المسلمين ، لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها ، انما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ، وفي باب الدعوة اليه من جهة أخرى ، وان كانت الدعوة العامة لاتتوقف عليها كما سنبينه في تفصيل هذه المسالة المجملة

٩ — ان هذه الترجمة لا يرجي أن تكون متقنة ومقبولة عند المسلمين وغيرهم الا اذا قام بها جماعة من العلماء الراسخين في اللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية وتاريخها ، ومتقنين للغات التي يترجمون بها ، حتى يكون لها صفة تشبه البلاغات الرسمية الدولية ، ولا يتم هذا العمل الا بانفاق ألوف كثيرة من الجنيهات ، فلا بد أن تقوم به دولة غنية ، أو جمعية قوية ، أو يكفله احد ملوك المسلمين بنفوذه وماله

١٠ — لا جرم ان الدولة المصرية أقدر الدول الاسلامية الحاضرة على أداء هذا الواجب الذي يعد أعظم خدمة للاسلام لدى الشعوب غير الاسلامية ، وأن جلالة ملكها المعظم اجدر ملوك المسلمين به ، اذ يمكنه ان يبذل في سبيله عشرات الالوف من الجنيهات من الاوقاف الخيرية العامة والخاصة بالاسرة المالكة ، وان احتاج الى المزيد فان في ثروة جلالته ما يغني عن فتح اكتتاب له من الامراء والنبلاء من اسرته وسائر أغنياء مصر وغيرها ان أراد أن يستقل بشرفه ، والا وجد كثيراً من المتنافسين بمشاركته فيه ، وقد بذل جلالته ألوفا من الجنيهات لعالم فرنسي جزاء على كتابة تاريخ حديث لمصر ، فلا يكثر على جوده ان يبذل اضعافه في سبيل الله ، والدفاع عن دين الله ، وتعميم هداية كتاب الله ، فان هذا افضل ما يمكن ان يعمله للاسلام

فاذا وفق الله تعالى جلالته لتنفيذ هذا العمل الذى نتقرب الى الله تعالى ثم الى مقامه الاسلامي السامي باقتراحه عليه أولا ، فهو أعلم الناس بطريقة التنفيذ له وتأليف

الجمعية التي تقوم بالترجمة من علماء الازهر وغيرهم من العارفين باللغات الاجنبية الحاذقين لها ، ووضع النظام لعملهم

وان كان لدى جلالته مانع من ذلك (وهو مالا نظنه) فان هذه الفريضة لا تسقط عنه وعن سائر المسلمين إلا بقيام آخرين بها ، وأيا ما قام بها يرتفع الاثم عن الآخرين ، وحينئذ يجب أن يفكر أهل الغيرة على الدين في الامر ، ويسعوا لتأليف جمعية قوية غنية تقوم به كجمعية الرابطة الاسلامية العامة التي فكر فيها الخديو السابق لمصر [الامير عباس حلمي] ونشرنا نظامها في المنار ، لا الجمعية الضعيفة التي وضع أساسها في هذا الشهر بعض المهتمين بالدفاع عن الاسلام ، فان لم يتيسر هذا ولا ذاك فيجب أن يجعل هذا المشروع أهم ما يعرض على المؤتمر الاسلامي العام في دورته الثانية ، اذا وفق الله تعالى لاعادته ، بما نرجو أن يكون أفضل من بدايته

ويمكن صاحب هذا الاقتراح أن يبين ما ينبغي توخيه في هذه الترجمة لتكون تامة الفائدة بما له من طول الاشتغال بتفسير القرآن الحكيم مدة ثلث قرن أخرج فيها عشرة مجلدات منه بطريقة لم يسبق بها من تحري صحيح المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه وعلماء السلف ، واجتناب الروايات الموضوعة والضعيفة من الاسرائيليات وغيرها ، وبيان ما أغفله المفسرون من سياسة الاسلام ، وما أرشد اليه القرآن من سنن الاجتماع وأصول العمران ، والتزييل بين ما كان عليه المسلمون في القرون الاولى من سعادة وسيادة بهدايته ، وما صاروا اليه من جهالة وضعف بتركها أو التقصير فيها ، مع رد شبهات الفلسفة والعلم الحديث ودعاية الالحاد أو الاديان الاخرى المضادة لها .

وانني اقترح على أصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبار علماء الازهر أن يؤيدوا اقتراحي هذا بتأليف وفد منهم يقابل جلالته ويبسط لهما في هذه الخدمة للاسلام من الفوائد الغر ، والمثوبة وعظم الاجر ، وحسن الاحدوثه وشرف الذكر ، وعسى ألا يصدهم عن هذا السعي ان كان مقترحه والمذكر به أخوهم المخلص المتواضع :

محمد رشيد رضا

أنباء العالم الاسلامي

نشر النداء الآتي في صحيفة (إيمان) التي تصدر في مدينة (لاهور — الهند) بالعربية والاوردية والفارسية والانكليزية وجاءنا منها عدة نسخ وزعناها على خواص المسلمين وبعض الصحف وانا نرجو من الجرائد والجمعيات الاسلامية وأفراد المؤمنين الصادقين التامل فيه والعمل به والحث عليه وهذا نص العربي منه

نداء عام لاحياء ذكرى يوم النبي

انتشرت فكرة في البلاد الهندية عام ١٩٢٨ لاقامة احتفال عام شامل دعي باسم « يوم النبي » وقد أيد هذه الفكرة جميع أجلة العلماء ، وأكابر هذه البلاد تأييداً تاما ، كما أن الصحف الاوردية كانت من أول محبذيه ، والداعية اليه والغرض من هذه الفكرة هو أن يجعل هذا اليوم وقفاً في سبيل ذكرى النبي ﷺ في كل أقطار العالم ، وأن ينبذ كل الاقوام في هذا اليوم التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية ظهرياً ويتناسوها ، وأن يقفوا صفاً واحداً متحدين متضامنين في سبيل الاخوة الانسانية بداعي المحبة والمساواة ، ساعين للاستنارة بنور هديه ﷺ والاقتداء به

ان كل ما ترمي اليه هذه الفكرة هو توحيد نظريات مسلمي العالم وهمم الجانه في كل الاقطار الاسلامية وجمعهم في مركز واحد ، ليقوموا جميعاً بالسعي والجهد لنشر تاريخ الحياة النبوية بين جميع أقوام الارض ، مترجمة إلى لغاتهم على أن يكون ذلك ضمن حلقة واسعة النطاق بصورة مستقلة دائمية شاملة منتظمة حتى يتسنى من وراء ذلك (أولا) ربط النظام التبشيري الديني في جميع البلدان بنظام واحد وإبراز نظام الاتحاد الاسلامي باللباس العملي (وثانياً) السعي لايصال الكتاب الكريم والحياة النبوية إلى كل فرد من أفراد المسكونة ، حتى يزول بذلك ماعلق في الاذهان وماهو رائج بين العوام من سوء الظن بالاسلام والنبي ﷺ وليتجه الناس

إلى مطالعة القرآن المجيد، وليقفوا على مافيه من الحق والنور المبين ، وليهتدوا بهديه ويتأسوا بأسوة النبي الحسنة

ان خير مناسبة تاريخية توافق الفطرة والطبع هو أن يكون ذاك اليوم (اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول) الذي بزغت فيه أشعته ﷺ في عالم الوجود ، وإنا لنرجو أن يتخذ هذا اليوم العظيم يوم عيد شامل على أهل المسكونة أجمعين ، وأن يوقف لتبليغ الناس للتأسي بالاسوة الحسنة ، وأن يكون مركز اتجاه العالم بأنظاره نحو تلك الذات الطاهرة لاغير ، وأن يرى لواء (ورفعنا لك ذكرك) مرفرفا فوق ربوع الارض كافة، وأن تظهر عيانا وبأجلى المظاهر صفته ﷺ بأنه (رحمة للعالمين) .

برنامج هذا اليوم هو كما يلي:

(١) أن يقوم المسلمون وغير المسلمين في كل بقاع الارض باظهار شأنه ﷺ باقامة احتفالات عامة ومواكب فخمة ، تذكاراً لذلك اليوم

(٢) أن ينشر مطبوعا في اليوم المذكور من كل سنة خطاب أومحاضرة لاي فاضل من الافاضل سواء أكان مسلما أم غير مسلم يتضمن السيرة النبوية على أن يترجم إلى لغات العالم اجمع

(٣) أن تلقى هذه النشرة الآنفة الذكر كمحاضرة في الاحتفالات في ذلك اليوم ، وأن تترجم وتوزع في كل بلدة مجانا بكثرة ، ليقف العالم كله في آن واحد على جانب من سيرة حياته ﷺ

ان السعي الذي بذل منذ ثلاث سنوات حتى الآن قد أتى بخير ثمر حيث أقيم في مئات من المدن مراكز تبليغية للحياة النبوية ، وقد ترجمت السيرة النبوية بفضل جهود هذه المراكز الى سبع عشرة لغة ، كما انه في كل سنة يقام مايزيد على خمسين الف اجتماع، وتوزع بمختلف اللغات الآلاف لا بل مئات الالوف من المحاضرات المطبوعة مجانا على المسلمين وغير المسلمين

إنا لنرجو من اخواننا المسلمين ومن لجانهم الموقرة ، ومن صحفهم الغراء أن يسعى كل في بلاده لإنجاح هذا السعي الخيري الانساني ولرفع مناره، وأن يؤسسوا

لجانا لتعميم نشر السيرة النبوية باذلين مافي وسعهم لتنظيم الاحتفالات المذكورة جادين وراء التبليغ ، كما اننا لعلى يقين من هممهم القعساء أن يترجموا كل الى لغته القومية سيرة الحياة النبوية وأن يوزعوها مجانا

اننا مفتقرون إلى معونة كل فرد من اخواننا المسلمين في كل أقطار الارض لانجاح هذا المسعى المقدس الجليل ، وإنا لنرجو من أرباب الصحف أن ينشروا نداءنا هذا على صفحات جرائدهم الغراء ، وأن يزودونا بما عندهم من الآراء الصائبة ، كما انا لنرجو من كل القراء الكرام لهذا النداء أن يتفضلوا علينا بلائحة تحوي أسماء وعناوين اللجان الاسلامية، والصحف الكبيرة، ومشاهير العلماء والوجهاء في بلادهم وغير ذلك من المعلومات القيمة ، ولهم منا جزيل الشكر، ومن الله عظيم الاجر

ان المحاضرة التي ستلقى في « يوم النبي» للعام القادم ١٣٥١ سينتهي طبعها في شهر رمضان ، فمن كان يود ترجمتها إلى لغته وتوزيعها سواءاً كان في الهند أو في خارجها فعليه أن يطلب الينا إياها بعنواننا أدناه ، على أن تكون المكاتبة بهذه اللغات : العربية ، الاوردية، الفارسية ، الانكليزية - فنتقدم اليه مجانا

القاضي عبدالمجيد القرشي بتى (لاهور الهند)

(ملحوظة) لقد طبع في السنوات الثلاث التي خلت ثلاث محاضرات ، وكانت محاضرة عام ١٣٥٠ محاضرة كتبها الحاج اللورد هيدلي أحد مشاهير الانكليز الذي اعتنق الاسلام حديثا ، فها إنا نرسل هذه المحاضرات مع بعض التراجم الى أرباب الصحف الاسلامية راجين منهم إبداء آرائهم بشأنها وشأن ندائنا هذا ، وأن يتكرموا علينا بنسخة من الجريدة التي تطبع فيها ولهم منا الشكر، وكل من يرغب الحصول على هذه المحاضرات التي قد ترجمت إلى اللغات : الاوردية، الكرمكية ، الانكليزية، الكجراتية، الهندية، التاملية — لا فرق أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ترسل اليهم عند الطلب مجانا اهـ

(المنار) هذا وانه قد ارسل الينا عدة نسخ من محاضرة اللورد الحاج هيدلى المذكورة وزعنا اكثرها وجاءنا من ناموس اللجنة خطاب في الموضوع باللغة الانكليزية يقترح علينا فيه وضع محاضرة لسنة ١٣٥١ وسننشر ترجمته بالعربية في الجزء الآتي :

المؤتمر الاسلامي العام
في بيت المقدس
(٢)

ما تجب مراعاته في عقد المؤتمر الثاني

لا يجوز أن تتضمن المؤتمرات الاسلامية العامة التي تعقد لمعالجة مصالح المسلمين الدينية والمدنية ما ليس موضوعا لها من تأييد حزب على حزب، ولا شعب اسلامي على حكومته، ولا إقرار استبداد حكومة في شعبها، ولا يجوز أن يسمح لرئيس ولا زعيم أن يكون له هوى شخصي في مؤتمر اسلامي يستعلي به على خصومه في الجاه والعظمة

ولا يجوز أن يكون اختلاف الرأي بين الذين يعقدون المؤتمرات الاسلامية لاحياء هداية الاسلام واعادة مجده ومصلحة شعوبه سبباً للتعادي والتخاصم، وقد عرض لمؤتمر القدس الاول شيء من هذه الشوائب

التمهيد لعقد المؤتمر الثاني منوط باللجنة التنفيذية فالواجب عليها قبل غيرها ان تراعي فيه ما ذكرنا واذا رجحت عقده في القدس لعدم المانع فالواجب عليها أن تسعى لعقد الصلح بين الفريقين المتنازعين في فلسطين الذين يلقبون بالمجلسيين والمعارضين والا كان محاولة عقده فيها مثار فتنة قد تكون سببا لمنع الحكومة الانكليزية إياه ان لم يكن لديها سبب آخر للمنع

نعم ان جمهور أهل فلسطين وسورية الشمالية ولبنان الذين يعنون بأخبار السياسة المصرية يميلون الى الوفد المصري ويحبون زعماءه لانهم يشاركونهم في احتمال الآلام من نفوذ الاستعمار الاجنبي ويعدونهم قدوة لهم في معارضته ومناهضته، وفي مقاومة كل حكومة وطنية تواتيه وترضيه، وليس من شأن المؤتمر أن ينكر عليهم رجاله هذا الميل والشعور لانه حق طبيعي لهم، ولا أن يجعلوا المؤتمر مظهراً

له فيه لانه ليس مما يعقد له المؤتمر من المصالح الاسلامية التي يجب استمالة جميع الشعوب الاسلامية وحكوماتها لمساعدتها ، واتقاء سخط أحد منهم على شيء منها بقدر الطاقة ، وأهمها الشعب المصري المجاهد والحكومة المصرية مهما تكن صفتها في بلدها ، وكذا جلالة ملك مصر مهما يكن شكل حكومته وصفتها، فان لعطف جلالته ومساعدته قيمة كبيرة لا يعدلها غيرها

وجملة القول انه يجب على اللجنة التنفيذية أن تعنى أشد العناية بجعل التمهيد للمؤتمر الثاني مقنعاً لجميع المسلمين بخلوه من الشوائب التي أشرنا اليها وتجعل نصب عينيها قاعدة الاستاذ الامام الحكيمة «ما دخلت السياسة في عمل إلا أفسدته»

جمعية الرابطة الاسلامية ومؤتمرها وناموسها

بعد كتابة ما تقدم تتمة لما نشر في الجزء الماضي من المنار وضيق الجزء عنه شاع أن صاحب السمو الامير عباس حلمي باشا خديو مصر (السابق) ألف في جنيف (سويسرة) جمعية باسم (الرابطة الاسلامية) من موضوعها عقد مؤتمرات إسلامية دورية ، ثم علمنا أن سموه جعل السيد ضياء الدين الطباطبائي الايراني ناموسا (سكرتيراً) عاما لهذه الرابطة . وكانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العام الأول قد اختارت هذا السيد ناموسا عاما لها فتردد في القبول وسافر الى أوربة واعداً بأن يكتب الى رئيس المؤتمر بما يستقر رأيه عليه من القبول وعدمه، فلما تبين انه قبل العمل مع سمو الامير عباس حلمي صار قبوله العمل في لجنة مؤتمر القدس مشكلا ، فان كتب الى رئيسه بالقبول وجب على الرئيس أن يستشير أعضاء اللجنة كلهم أينما كانوا في أمره، فان ما بلغنا من أخبار جمعية الرابطة الاسلامية يقتضي أن يعمل هذا الناموس لإدغام اللجنة التنفيذية لمؤتمر القدس في جمعية الرابطة الاسلامية الاوربية وتفويضه أمر المؤتمر الثاني اليها بحجة اتساع دائرة أعمالها ووفور ثروتها وحرية مركزها العام ، وهذا يتوقف على قرار رسمي من اللجنة التنفيذية للمؤتمر ولا يملك رئيس المؤتمر الاول البت فيه . وهو لما يجمع

اللجنة التنفيذية ولا ألف مكتبها . ولا ريب انه يتعذر على السيد الطباطبائي أن يقوم باعباء وظيفته في القدس ووظيفته في جنيف معا

ان الأمير عباس حلمي هذا من أعظم أمراء المسلمين حنكة واختباراً وهمة وإقداما ، واشتهر أن له مع ذلك آمالا شخصية في الملك وقد خاضت صحف الشرق والغرب في هذه الاثناء في أخبار سعيه لعرش سورية ، وهذا مما يجعل عمله هذا موجبا للظنة . وسنعقد لهذه الرابطة مقالا خاصاً بها

﴿ نظام المؤتمر الأول وافتتاحه ومكان عقده ﴾

ان المجلس الاسلامي في القدس قد قام مع اللجنة التحضيرية له بوضع النظام التام لعقد المؤتمر وتنفيذه ، وأخلى له مدرسة روضة المعارف الاسلامية التابعة للمجلس فكانت كافية لذلك ، ووضع فيها من الورق والاقلام والدفاتر والمحابر والكتبة والخدم (ومنهم سقاة الشاي والقهوة اليمانية الامامية) مالا حاجة معه الى مزيد ، وكان من التمهيد لراحة أعضاء المؤتمر والاقتصاد في نفقاتهم اتفاق المجلس الاسلامي مع أصحاب الفنادق التي ينزلون فيها على اسقاط قدر غير قليل من النفقة المعتادة عنهم ، والاتفاق مع أصحاب سيارات الركاب على نقلهم من الفنادق الى المؤتمر ومنه اليها أو الى حيث شاؤا على حساب المجلس ، بل احتمل المجلس جميع نفقة الفنادق عن بعضهم. وكان السيد محمد أمين الحسيني يعنى بكل ما يرضي الاعضاء بقدر اجتهاده

وفد على مدينـة القدس كثـير من أهل المدن والقرى الفلسطينيـة لحضور حفلة المؤتمر، واتفق أن كان يوم الاحد ٢٦ رجب الذي يجتمع فيـه الاعضاء في مكان المؤتمر لاجل الاحتفال يوما شديد المطر ولولا ذلك لكانت الوفود أضعاف ما رأينا

اجتمع الاعضاء في مدرسة الروضة وقبل المغرب توجهوا الى المسجد الاقصى بين الجماهير من مسلمي القدس ووفودها فوجدنا المنتظرين في المسجد يعدون بالالوف

وعند ما حضرت صلاة المغرب قدم السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الشرعي الاعلى الاستاذ العلامة كبير مجتهدي الشيعة في أعظم معاهدها العلمية (النجف الاشرف) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فصلى إماما بالناس

فكان لهذا التقديم تأثير عظيم ووقع حسن من أنفس أعضاء المؤتمر وغيرهم من المسلمين الذين يشعرون بشدة الضرورة الى التأليف بين أهل السنة والشيعة والقضاء على هذا التفرق والتعادي الذى طال عليه العهد، وكان فساده وضرره على الاسلام وشعوبه ودوله عظيما ، ولم تكن له أدنى فائدة صحيحة لاحد من الفريقين .

وبعد صلاة المغرب قرأ بعض القراء المجودين آيات من أول سورة الاسراء وتلاهم الاستاذ الشيخ حسن ابو السعود فقرأ رسالة في شمائل سيد ولد آدم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما جاء به من الاصلاح العام للبشر ، ألمّ فيها بمعجزة الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى إلماما ، وكان يتخلل إلقاءه استراحات ينشد فيها بعض القراء حسني الصوت اناشيد محفوظة في مدح النبي ﷺ قد اعتادوا إنشادها في حفلات الموالد، وفي بعضها منكرات نبهت صاحب السماحة المفتي ورئيس المجلس إلى وجوب الاختصار فيها ثم إعادة النظر فيها بعد المؤتمر .

وقد دعيتُ بعد ان أتم الاستاذ قراءة رسالته إلى إلقاء كلمة في معنى الاسراء وفضل المسجد الاقصى واختيار هذه الليلة الشريفة لافتتاح المؤتمر الاسلامي العام فأجبت وألقيت ما ألهمته على الكرسي المعد لذلك وامتد ذلك إلى وقت العشاء ، أوجزت الكلام في منقبة الاسراء إلى المسجد الاقصى وتواترها، وتقريب وقوعها إلى العقول بما أجمع عليه العلماء والفلاسفة الروحيون حتى غير المليين منهم على جواز تشكل الارواح في أجساد لطيفة كالاثير في نفوذها من الكثائف وسرعتها كالكهرباء ، وإثبات ألوف منهم وقوع هذا التشكل بالفعل ،وذكرت من حكمته وتسمية هذا المكان الشريف بالمسجد الاقصى بعد خراب مابناه سليمان عليه السلام ومحو اثره هو أن الله تعالى شرفه بجعله معبداً للمسلمين إلى آخر الزمان، وجعله في المرتبة الثالثة بعد المسجد الحرام ومسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأوجب على المسلمين صيانته وحفظه إلى آخر الزمان ، ولهذا اختير افتتاح هذا المؤتمر الاسلامي العام فيه وإقامته بجواره .الخ

وبعد صلاة العشاء بامامة الاستاذ آل كاشف الغطاء افتتح السيد الحسيني المؤتمر بخطبته التي كان أعدها لذلك وطبعت وأرسلت إلى الجرائد في البلاد المختلفة فنشرتها

وألقى بعده الاستاذ آل كاشف الغطاء محاضرة أو درسا في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية ذهب فيه الى أن المراد بالشجرة المباركة في الآية الكريمة آل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، ثم خطب غيره من اعضاء المؤتمر خطباً تناسب المقام . وقد نشر كل ذلك في الجرائد وسيدون في الكتاب الذي تقرر تأليفه ونشر اللجنة التنفيذية له في الاقطار ،فلا حاجة الى نشر شيء منه في المنار ، وإنما ننشر خلاصة في صفة المؤتمر وجلساته ونظامه واقتراحاته ولجانه ، ونخص بالذكر خطتنا فيه وتقرير لجنة الدعوة والارشاد من لجان المؤتمر ، وخطبتنا التي ألقيناها في آخر يوم منه في أمراض المسلمين الداخلية والخارجية وطرق علاجها فنقول :

رجال المؤتمر وجلساته ولجانه

كان في المؤتمر نفر من خواص رجال المسلمين في العلم والرأي وكل مايحتاج اليه في عقد المؤتمرات الملية العامة ، يقابلهم رهط من طبقة العوام — وأكثر أعضائه بين هذين ، وبلغ المنتظمون في عضويته زهاء ١٥٠ من جميع الاقطار والشعوب الاسلامية العربية والهندية والجاوية والتركية والروسية والاوربية . وأيدته الحكومات العربية اليمانية والحجازية النجدية والعراقية والاردنية وكثير من الامراء والزعماء والعقلاء من مصر والهند وجزائر اندوسية وغيرها .

وكان نظام جلساته حسنا لم يستطع أعداؤه الطعن فيها ، إلا ان أكثر أوقاتها ضاعت بالقاء الخطب والمناقشات العديدة مع كثرة التكرار في الموضوع الواحد والخطبة الواحدة. حتى إنني كنت شديد الزهد في الكلام فيها الا لضرورة. وقد أشرت الى ما انتقدته من الاقتراحات فيه في مقدمة تقرير لجنة الدعوة والارشاد

وأما لجانه فقد بني تأليفها على أساس فاسد وهو أنه أبيح لكل عضو أن يدخل في اللجنة التي يختار العمل فيها فكان العضو الواحد يكتب اسمه في لجنتين أو ثلاث بحسب ما يهوى لا بحسب استعداده للعمل فيها كلها ، وان أجهل الناس من يظن انه مستعد لكل عمل وبصير بكل علم ، وقد دخل زهاء نصف الاعضاء

في لجنة تنقيح القانون الاساسي للمؤتمر فكان أكثر الكلام في جلساتها لغوا وجدلا باطلا كادت تزهق له أرواح واضعي مشروع القانون وأهل العلم بهذه القوانين من الاعضاء . وسأبين ما قاسيناه في لجنة الدعوة والارشاد

وأما لجانه فكانت ثمانا (١) للدستور (٢) للدعاية والنشر (٣) للمالية والتنظيم (٤) للثقافة وجامعة المسجد الاقصى (٥) لسكة الحديد الحجازية (٦) للاماكن المقدسة والبراق الشريف (٧) للدعوة والارشاد (٨) للمقترحات

خطتنا وعملنا في المؤتمر

ذكرت في الجزء الماضي ان صاحب السماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس الذي تولى الدعوة الى المؤتمر بمساعدة اللجنة التحضيرية له قد اقترح علي باسم اللجنة وضع تقرير في الاصلاح الاسلامي ليكون مادة لمباحث أعضاء المؤتمر فابدأ هذا الفصل بنشر كتابه في ذلك وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السماحة الاستاذ الاكبر العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم ، متع الله المسلمين بطول بقاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) فقد تلقيت بيد التعظيم كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ وشكرت لسماحتكم تفضلكم بتلبية الدعوة إلى هذا المؤتمر الذي نرجو من ورائه الخير للمصلحة الاسلامية العامة ، ومما لا ريب فيه ان حضور سيادتكم هذا المؤتمر هو قيمة كبيرة وسبب عظيم لإنجاح المؤتمر وتحقيق غاياته ومقاصده باذن الله تعالى

وقد قررت اللجنة التحضيرية في جلستها الاخيرة أن نرجو من سماحتكم أن تتفضلوا بوضع تقرير بشأن الاصلاح الاسلامي ، ليطرح هذا التقرير على المؤتمر أثناء انعقاده ، ويكون مداراً لما يقرر في هذا الشأن ، وأني باسم اللجنة التحضيرية أنهي إلى سيادتكم هذا الرجاء مشفوعا برجائي الخاص أن تتفضلوا بشد ازر المؤتمر بوضع التقرير الخطير، وإذا أمكن الفراغ منه وإرساله الينا قبل ميعاد انعقاد

المؤتمر بأسبوعين أو ثلاثة على الاقل فاننا نتخذ أسرع الوسائل لطبعه وإعداده على شكل كراس على حدة

واني أنتظر تفضل سماحتكم بالجواب بهذا الشأن ، مختتما بالدعاء لله بأن يوفقنا إلى مافيه خير المسلمين ديناً ودنيا ، واني أرجو أن تتفضلوا بابداء نصائحكم الثمينة وآرائكم القيمة ، في شأن هذا المؤتمر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ رئيس المجلس الاسلامي الاعلى

محمد أمين الحسيني

جاءني هذا الكتاب في أثناء اشتداد الفتنة التي أثيرت في الازهر والمعاهد الدينية التابعة له لمقاومة المؤتمر وصد العالم الاسلامي عنه وقد بلغ الارجاف فيه مدى أبعد مما نشر في الجرائد وأشرنا اليه في الجزء الماضي فقد سمعت من لسان الاستاذ الاكبر شيخ الازهر أنه بلغه أن السيد الحسيني دعا الشيخ أبا زيد الدمنهوري الى حضور هذا المؤتمر أي ليبث نزغاته الالحادية فيه ويدعو اليها!! فقلت له أن هذا لا يعقل ولئن رأيته في المؤتمر لاقترحن اخراجه منه فان لم أجب خرجت محتجا. وعلمت انه قد بلغه وبلغ فضيلة مفتي الديار المصرية ان أحد أعاظم علماء الازهر المشهورين سيلقي في هذا المؤتمر خطابا في الطعن في الفقه الاسلامي والدعوة الى تركه ، وقد جزمت بأن هذا البلاغ افك وزور ، وكان عجبي شديدا ان انتهت الفتنة الى هذا الحد ، وان بلغ الارجاف فيها هذا المبلغ ، وكنت وجلا من سوء عاقبتها ، لهذا كتبت الى السيد الحسيني انه يجب عليه أن يبادر الى اطفاء نارها بنفسه في القاهرة وبعد ذلك أنظر في أمر اقتراحه ، وقد حضر وكان من عاقبة سعيه ما كان وشرحنا مافيه العبرة من خبره

بعد هذا شرعت في كتابة التقرير المقترح على كثرة الشواغل وفي أثناء ذلك بلغني أن جمعية الشبان المسلمين وضعت تقريراً طويلا تعرض فيه على المؤتمر ماتراه من الاصلاح الاسلامي ، وان معالي محمد علي باشا علوبة يضع تقريراً في الاصلاح اللغوي بوضع معجم عربي للعلوم والفنون والاصطلاحات العصرية ، فترجح عندي أن كثرة التقارير العامة ستكون من الشواغل لمن يهتم بها من أعضاء المؤتمر

ولا تزيد فائدتها على مايقرءون في الكتب والصحف، وان الاجدر بي إذا يسر الله تعالى لي حضور هذا المؤتمر — الذي أخشى أن تعوقني عنه شدة العسرة المالية وما يتعلق بها من الحقوق — أن أعرض ما أراه من الاصلاح في جلساته عند الحاجة اليها فان ذلك أحرى أن ينتفع بها ، وكذلك كان، وتركت إتمام كتابة التقرير ثم علمت انه عرض على المؤتمر بيانات أو تقارير غير ماذكرنا مطبوعة ، منها تقرير لجنة الدفاع عن سكة الحديد الحجازية وتقرير لجنة البراق الدولية ، وتقرير في أعمال دعاة النصرانية وهو مهم جداً قرأته بعد العودة إلى مصر وربما أنشره في المنار

لجنة الدعوة والارشاد

لما ألفت اللجان كتبت اسمي في لجنتين فقط (الاولى) لجنة القانون الاساسي لاجل حضور بعض مواده وأهمها عندي المادة الثالثة التي موضوعها تأليف المؤتمر وقد قاومت فيها رأي الزعيم شوكت علي جعل المؤتمر شعوبيا كما اقترح في مؤتمر مكة وتقرر فكان أفعل الاسباب في قتل ذلك المؤتمر واقترح مثل هـذا في مؤتمر القدس ففندنا اقتراحه فلم يقبل (الثانيـة) لجنة الدعوة والارشاد وكان معي في هذه اللجنة الاساتذة: رضا بك توفيق الملقب بالفيلسوف التركي وقد ولي وزارة المعارف في الدولة العثمانية ، والشيخ محمد عبد الرسول كاشف الغطاء من علماء النجف الشرعيين ، والشيخ عبد الوهاب النجار ناظر مدرسة عثمان ماهر باشا بمصر والمدرس بقسم التخصص في الازهر (وكان مدرساً في دار العلوم وكذا في مدرسة الدعوة والارشاد) والشيخ محمد عبد اللطيف دراز من علماء الازهر ، والشيخ حسن أبو السعود قاضي الرملة الشرعي وإسعاف بك النشاشيبي أديب فلسطين ، والشيخ محمد سعيد درويش البابي الحلبي (وكان قد جاور في الازهر) ومحمد علي افندي الجوماني التاجر من نبطية لبنان ومهاجرتها في أمريكا ، وغيرهم ممن لم يحضر الا جلسات قليلة

وكان كل واحد من هؤلاء الاعضاء عضواً في لجنة أو لجان أخرى . اجتمعنا أول مرة في الحجرة التي خصصنا بها من حجرات روضة المعارف فانتخبت رئيساً

للجنة ، وانتخب الاستاذ رضا بك توفيق نائباً للرئيس والاستاذ اسعاف بك النشاشيبي أميناً للسر ومقرراً للجنة ، وشرعنا في البحث ، وكان كل عضو من هؤلاء الاعضاء يعلم ماسبق لي من الاشتغال في تأسيس جماعة للدعوة والارشاد ومدرسة لها توليت وضع نظامهما ومناهج التعليم في المدرسة وكنت ناظراً لها إلا العضوين الاخيرين (ومن المعلوم بالبداهة انه وقع بيني وبين الاعضاء المؤسسين لجمعية الدعوة والارشاد في الاستانة ثم في مصر مناقشات كثيرة في كل مادة من نظامها) . فلما شرعنا في البحث كان هذان العضوان يعارضان في كل كلمة ويجادلان بغير علم في كل رأي حتى تنقضي الجلسة بدون وضع شيء يتفق عليه فيكتب ، وكنا مضطرين للصبر عليهما مراعاة لقاعدة حرية الرأي وقاعدة المساواة بين الاعضاء ، الى ان عيل الصبر

وقد كان أول ماقلته بعد شكر الاعضاء على اختيارهم إياي لرياسة اللجنة وما علاوه به : ان مشروع الدعوة والارشاد هو أعظم مشروع إسلامي لاصلاح المسلمين في أنفسهم و لتجديد هداية دينهم ومجده ، وهو يتوقف على تعليم جديد وتربية جديدة في مدرسة خاصة ، وعلى جمعية كالجمعية التي سبق لنا تأسيسها في مصر ، وعلى مال كثير لذلك وللدعاة والمرشدين الذين يتخرجون في المدرسة . ولا يتم غرسه ونباته وإثماره إلا في سنين كثيرة ، وأعضاء المؤتمر يطلبون منه بما يشعرون به من حاجة المسلمين شيئاً عاجلا موقتا قبل الشروع في العمل الاساسي الدائم . من تربية الدعاة والمرشدين وتعليمهم مايؤهلهم للقيام بهاتين الفريضتين العظيمتين اللتين لا قوام للاسلام بدونهما

والذي أراه في الحاجة الموقتة أن يسعى المؤتمر (أولا) لتأليف ثلاث رسائل في عقائد الاسلام القطعية ، وفي آدابه وفضائله وما ينافيهما من الرذائل والمحرمات القطعية ، وفي أحكام العبادات التي لايسع مسلماً جهلها - وأن يقتصر في هذه الرسائل على المجمع عليه بين المسلمين الذي لا تختلف فيه المذاهب الاسلامية ليكون مقبولا عند الجميع ، ويترك لاهل كل مذهب تعليم أهله ماهو خاص به - الى آخر ماسيأتي تفصيله

(وثانيا) لنشر رسائل في نقض أسس الاديان التي يتصدى دعاتها لاضلال المسلمين عن دينهم ، ويوجد في هذا رسائل وكتب مطبوعة قد جربت فائدتها

وذكرت لهم منها (عقيدة الصلب والفداء) وكذلك كتاب (نظرة في كتب العهدين القديم والجديد) للدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى

نازعني العضوان المذكوران هذا الكلام وتنازعوا مع اللجنة فيه واقترح أحدهما الشيخ محمد سعيد درويش : تأليف كتاب لازالة الاختلاف بين فرقتي الوهابية والشيعة التي تكفر كل منهما الاخرى يصرح فيه باثبات إسلام كل منهما وعدم الفرق بينهما (ثم علم انه من أعداء الوهابية وإنما يريد الرد عليهم ، او يتحداني للدفاع عنهم)

قلت له : ان التأليف بين فرق المسلمين ومقلدي المذاهب المختلفة منهم من أهم مقاصد المؤتمر ، وأنا قد سعيت له سعيه منذ خمس وثلاثين سنة ، وما اقترحه هو لا يفيد ذلك ، فان التعصب الذي يكفر مخالفه عن اعتقاد قد يكفر من يخطئه في اعتقاده أيضا . ومن كان من هؤلاء يتبع هذا المؤتمر في رأيه فقد علم القاصي والداني ان هذا المؤتمر لا يفرق بين أحد من أهل القبلة باختلاف مذاهبهم الاجتهادية المعروفة . ومن أعضائه السنيون من سلفية وخلفية ، والشيعة من زيدية وإمامية ، والاباضية — ولم يبق من فرق المسلمين الكبرى غير هؤلاء ، وكلهم في المؤتمر اخوان يصلي بعضهم مع بعض — فلم يعجبه هذا البيان وأصر على اقتراحه ، وكان يشاغب فيما عداه

واقترح محمد علي افندي الحوماني إرسال المؤتمر بعثة إلى أميركا لتقوية المسلمين الذين هاجروا اليها والدعوة إلى الاسلام ، وهذا اقتراح حسن في نفسه ولكن المؤتمر لا يمكنه الآن مثله ، وإنما هو ثمرة من ثمرات جمعية الدعوة والارشاد التي ستقدم اللجنة له اقتراحها في شأنها ، فأصر على رأيه وكان يشاغب في كل ما عداه

أكثر هذان العضوان المراء والشغب في اللجنة حتى مل سائر الاعضاء وقل اجتماعهم فيها ، ثم ملا هما وقل حضورهما ، فاغتنمت فرصة تخلفهما ووضعت ما أراه من الاقتراحات مع مقدمة لها في جلسة واحدة وتناقشنا فيها مع أهل العلم والرأي من سائر الاعضاء فنقحت ، ثم دعا السكرتير المقرر جميع الاعضاء لقراءتها الاخيرة قبل تقديمها إلى المؤتمر فامتنع العضوان المذكوران من الحضور فقدمناها الى المؤتمر ، وانني أنشرهنا نصها ثم أقفي عليه بما كان فيه من شأنها :

تقرير لجنة الدعوة والارشاد

للمؤتمر الاسلامي العام

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (سورة آل عمران)

(مقدمة)

أما بعد فان الله تعالى جلت حكمته قد أكمل لعباده الدين ، بنبي أمي بعثه في الأميين (يتلو عليهم آياته و يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وجعل دعوته عامة للناس أجمعين، فأتم به نعمته على العالمين ، باستكمال دينه العام الباقي الى يوم الدين، لجميع مايحتاجون اليه من حقوق الروح والجسد للافراد والاجتماع ، بالهداية الروحية ، والمصالح الدنية ، الموصلتين لمن أقامهما إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ولم يبعثه من أتباع الانبياء الذين كانوا قبله ، ولا في الشعوب التي توارثت العلوم والفلسفة، وأقامت معالم الحضارة ، وأتقنت فنون الصناعة، لتكون أميته صلى الله عليه وآله ، من دلائل اعجاز الكتاب الذي بعثه به ، ولتكون سنته في بيان هذا الكتاب بالعلم والعمل، والخلق والأدب ،والحكمة وجوامع الكلم ، من الحجج العلمية الحسية على نبوته ورسالته ، فلا يمكن المراء ولا الريبة فيها

ثم لتكون سيرة خلفائه الراشدين فيا فتحوا من الامصار ، وما أقاموا من ميزان العدل والمساواة في الاحكام ، وما ضربوه هم وسائر أصحابه لاهل الملل وأجناس الامم من المثل الصالح في الاخلاق والفضائل وأحاسن الاعمال ،مؤيدة

لتلك الحجج في اظهار حقية دين الاسلام ، وتواترها بين الانام، وأنها من عند الله عز وجل ، لا مستمدة من قوانين موضوعة ، ولا من معارف مكتسبة أو مقتبسة ، ولا من تقاليد موروثة

لقد كان الاساس الاعظم لاصلاح هذا الدين لجميع من يهتدي به من البشر هو التوحيد ، المزيل لجميع أنواع الشقاق والتفريق، ولذلك كان التوحيد خمسة أنواع (١) توحيد الالوهية والربوبية، المطهر للعقول والقلوب من خرافات الوثنية، وأوهامها المفسدة للفطرة البشرية ، الرافع لاهله الى أعلى المعارف الالهية (٢) توحيد العبادات، المزكية للانفس من دنس الفواحش والمنكرات ، المربية لها على الاتحاد والاجتماع والنظام (٣) توحيد التثقيف والآداب النفسية والمنزلية والاجتماعية ، المرقي للامة في الصحة ومكارم الاخلاق وأحاسن العادات (٤) توحيد التشريع المدني والمالي والسياسي والاجتماعي الذي هو قوام المصالح الدولية والمانع من التفرق في الاحكام والاوطان (٥) توحيد اللغة الذي يتم به التعاون والتعارف والتآلف والتعليم ، ويحول دون تفرق الامة الى أجناس مختلفة

فبهذه الانواع من التوحيد والتأليف بين أجناس البشر في جميع مقومات الامم، كانت أخوة الاسلام الدينية ، وروابطه الحسية والمعنوية ، أقوى وأمتن ما عرفته الانسانية في الجمع بين شعوبها وقبائلها وتعارفهم وتآلفهم ، وازالة ما أرهقها من التعادي والشقاق بينهم ، باختلاف الاديان ، واللغات والانساب والاوطان ، وتمهدت بذلك جميع وسائل الكمال البشري والمدنية الحق الفاضلة التي كان الحكماء السابقون يتمنونها وينشدونها ولا يهتدون اليها سبيلا ، وما زال الحكماء اللاحقون يمنونها ولن يجدوا اليها في غير ظل الاسلام مقيلا

جرى السلف الصالح من خلفاء الاسلام وأمرائه وقواد جيوشه وقضاته على صراط هذا التوحيد العام الكامل وهو الصراط المستقيم ، فكان هذا هو السبب دون غيره في دخول الامم في دين الله أفواجا ، وفي ترك لغاتهم الى لغته التي جعلها ربهم لغة لدين الاسلام وأهله ، إذ جعل كتابه لهم عربيا ، وحكمه فيهم به عربيا، وأوجب عليهم تدبره والتعبد به في الصلاة وغيرها . ولولا ان الذين كانوا

يهتدون الى الاسلام برؤية ما كان عليه الفاتحون من الصحابة (رض) وأهل الصدر الاول من العدل والفضائل قد علموا ان هذا الدين هو القرآن وما بينه رسول الله ﷺ به من سنته ، وان لغته هي لغة القرآن لا تقوم هدايته ولا تشريعه ولا تتم وحدة أمته وأخوتها إلا بها ـ لما أقبلوا على تعلم هذه اللغة من تلقاء انفسهم بباعث العقيدة، ولما انتشرت بينهم بتلك السرعة الغريبة ، حتى ان الشعب الفارسي العريق في المجد والحضارة والادب فضل لغة دينه السامية ، على لغة جنسه وشعبه الرشيقة الراقية، فانتشرت منذ العصر الاول فيهم بسرعة البرق ، من غير دعاة ولا مدارس ولا كتب ، ثم كان من رجاله واضعوا بعض معاجمها وفنونها، وأئمة الحديث والفقه وسائر العلوم فيها ، وصارت هي اللغة الوحيدة للاقطار السورية والمصرية والافريقية ، وتحقق بهذا أن هذه اللغة انما هي لغة الاسلام لا لغة العرب وحدهم ، ولولا ضعف الخلافة العباسية في العلم وتغلب نفوذ الاعاجم فيها ومنازعة سلاطينهم إياها في حكمها ، لعمت العربية بلاد الاعاجم الاسلامية كلها على انهم مازالوا كلهم يعبدون الله تعالى بها

بذلك التوحيد الذي أوجزنا في بيان أنواعه ساد الاسلام العالم كله دينا ولغة وحكما وتشريعا وأدبا وعلما وحكمة وحضارة ، ولكن المسلمين لم يلبثوا ان صدعوا بنيان كل توحيد منها ،وتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وكانوا شيعا حتى في العقائد والتشريع ، ودعوا الى العصبية النسبية واللغوية ، واقتتلوا بنعرة عصبيات المذاهب والملك والوطن، فأوشك ان يخرجوا من حظيرة قوله تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وكاد يحيط بهم سرادق (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) ولا تتسع هذه المقدمة لبيان الاسباب التي دعتهم الى هذا التفرق بل دعتهم اليه دعا، وعتلتهم الى هذه الضلالة عتلا ، مع بيان شواهدها من الكتاب العزيز والتاريخ

غيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم بمقتضى سننه العادلة في خلقه ، فسلب منهم جل ما كان آتاهم من ملك وسيادة ونعمة كانوا فيها فاكهين، وأنفذ وعيده فيهم ، كما أنفذه فيمن قبلهم ، وقد بلغ من خذلان الجهل وفساد الاخلاق فيهم ان راجت فيهم شبهة أعدائهم الذين وسوسوا اليهم ان سبب ما طرأ عليهم من الضعف وزوال

الملك انما هو دينهم ، وهو هو الذي ساد به سلفهم، وعزّ به ملكهم، ونشأت بهدايته حضارتهم ، ولكنهم جهلوا دينهم وتاريخهم

أتى عليهم بضع قرون ، وهم في غمرة ساهون ، لا يشعرون بذنوبهم فيتوبوا منها ، ولا يحسون بخطر أدوائهم فيُعْنوا بمعالجتها ، حتى اذا ما بلغ السيل الزبى بامعان الاقوياء في الفتك بهم ، ومحاولة الاجهاز على دينهم في كل قطر أجهزوا فيه على دنياهم ، بعث الله تعالى لهم مجدداً من آل بيت نبيه الاخيار، آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، ألا وهو الحكيم الرباني ، السيد جمال الدين الافغاني ، فصاح بهم صيحة بعد صيحة ، في قطر بعد قطر ، أيقظت كثيرا من النائمين، ونبهت المستعدمن الخاملين ، بدأ إنذاره بالافغان فالهند فمصر ، فالترك والتتار والفرس، فربي بحكمته وهمته رجالا ، نفروا للجهاد العلمي والسياسي والمدني خفافا وثقالا ، و كان ظهيره ووليه في عهده ، وخليفته في الاصلاح من بعده ، الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (رحمهما الله تعالى) فهما المجددان اللذان شخصا الداء ووصفا الدواء ، وشرعا في العلاج ، فهب لمعارضتهما الجامدون من المقلدين ، والخرافيون من المرشدين ، والمستبدون من الحاكمين ،وكان بينهما وبين قواد تلك الجنود المجندة ما كان من مصارعة ومقارعة ، ومصاولة ومنازلة ، حتى كان لدعوتهما النصر ، ولتعاليمهما الظفر ، على سنة التدريج المطردة في الامم ، فكل ما سمعناه في الجلسات العامة لهذا المؤتمر وجلسات ما عقده من اللجان من الشكوى من تفرق المسلمين وجهلهم وضعفهم ، ومن الآراء في الدفاع عنهم، انما هو أثر دعوتهما ،ومسريانها في جسم العالم الاسلامي مسريان البرء في السقم

أكثر أعضاء هذا المؤتمر من شعوب المسلمين في جميع الاقطار فيما اقترحوه عليه من الاصلاح وهو في مهد مولده ،حتى كأنه دولة نيابية قوية غنية ، وإنما هي نفثات مصدورين، و كرير مخنوقين ، بل يصح أن يقال في بعضها انها استغاثة غرقى أو حشرجة محتضرين ، كالصوت الذي وصل من اخواننا المرهقين بظلم البلشفية في الروسية ، ويقرب منهم إخواننا برابرة المغرب ولاسيا الاقصى ،ومنها ماهو تعبير عن الرجاء في المؤتمرات الملية التي هي أقوى وسائل توحيد قوى الامة

على انه قد بقي من مصائب المسلمين ماقصر الاعضاء في بيان كنهه ، وتمثيل خطره ، وهو فشو الالحاد والاباحة ، والاسراف في الشهوات الحيوانية ، فهذه الموبقات اشد فتكا وأسرع انتشاراً من مضار تفرق المذاهب ، والجمود على التقاليد والاصرار على الخرافات ، بل هي شر ما آلا من تعاليم الدعاة إلى دين غير الاسلام ،فان سمومها تنفث في الارواح، من طريق العلوم والفنون التي يتهافت عليها نشء المسلمين في جميع الاقطار، بباعث اعتقادهم واعتقاد أولياء أمورهم انها طريق الحياة المادية، ووسيلة السعادة في الحضارة العصرية ،والعيشة الراضية المرضية،

فأما كون الحياة المدنية في هذا العصر لا تقوم إلا بالعلوم والفنون فقد صار من المسلّمات التي لا امراء فيها ، وأما كون العلوم تقتضي الالحاد والاباحة فهذا باطل، ولهذا كان من أعظم مقاصد هذا المؤتمر إنشاء مدرسة جامعة لها تكون إسلامية، وليس معنى كونها إسلامية أن تقبل طلاب العلم العالي فيها من جميع شعوب المسلمين كما قيل، فان معاهد العلم العالي في كل بلد لا يصد عنها المسلمون، فمدرستهم أحق بذلك وأولى ، وإنما يعنى به أن يجمع فيها بين العلم النافع ودين الاسلام الصحيح الذي هو دين العلم والحضارة بطبعه ،بحيث يكون الاسلام فيها مهذبا للعلوم المادية بالعقائد الحق وتربية العبادة والفضائل التي تصد عن جعلها وسائل للاسراف في الشهوات، وفتك الاقوياء بالضعفاء ، ويكون العلم فيها معززاً للاسلام وأهله بالثروة والقوة التي تصد الاعداء عن الاعتداء على دار الاسلام، وتحول دون تمكنهم من سلب سلطته واستعباد أهله — وحسبنا هذه الجملة الوجيزة في معنى كون هذه المدرسة الجامعة اسلامية ، ومنه ننتقل إلى موضوع لجنتنا واقتراحاتها فنقول :

المقصد

ان مايقصده المؤتمر من مشروع الدعوة والارشاد هو الذي يتحقق به معنى كون الجامعة إسلامية، وبه تحصل جميع المقاصد الاصلاحية التي كثرت الاقتراحات فيها، كمقاومة التبشير المراد به تنصير المسلمين ومحاربة الالحاد والاباحة — ومناهضة التفريق بين المسلمين بعصبية المذاهب والجنس واللغة وهدم البدع والخرافات وغير ذلك.

ذلك بأن المراد من الدعوة والارشاد أن تعرف حقيقة الاسلام الحق وإظهاره.

بأمثل طرق التعليم في جميع درجاته ، وتربية من يقوم بذلك بالتعليم والارشاد والخطابة والتأليف، وتعميم ذلك بقدر الاستطاعة، وبالدفاع عن الاسلام، وبيان فضله على جميع الاديان ، وكونه هو الدين الذي لا يمكن بدونه أن تصلح أمور البشر ، ويعالج ما يهددها من مفاسد البلشفية والاباحة وفوضى الافكار المادية

وأما تنفيذه فلا يتم إلا بتعليم خاص وتربية خاصة، وجمعية خاصة وانما يمكن أن يقوم المؤتمر الآن بما هو دون الكمال منه والذي نقترحه في ذلك يلخص في المواد الآتية:

﴿ نص المواد التي اقترحتها لجنة الدعوة والارشاد ﴾

(المادة الاولى) تؤلف جمعية باسم (جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية) تكون تابعة للجنة التنفيذية وهي تعين مركزها العام ،ويكون لها فروع في الاقطار الاسلامية

(المادة الثانية) غايتها (ا) نشر الهداية الاسلامية (ب) توثيق عرى الوحدة والاخاء بين المسلمين (ج) مقاومة الالحاد (د) صد الغارة على الاسلام ودفع الشبهات عنه

(المادة الثالثة) تتوسل الجمعية إلى ذلك بالوسائل الآتية (ا) بث الدعاة إلى الاسلام (ب) بث المرشدين بين المسلمين ولاسيما أهل البادية منهم (ج) نشر رسائل وكتب تشتمل على أصول الاسلام وفضائله وآدابه وحكمة التشريع فيه (د) إلقاء المحاضرات والخطب ونشر المقالات في الصحف (هـ) إنشاء صحف باللغة العربية وغيرها في الاقطار المختلفة تعنى بالشؤون الاسلامية (و) السعي لاصلاح منهج الخطب المنبرية ودروس الوعظ والارشاد (ز) السعي لدى حكومات البلاد الاسلامية ومدارسها الاهلية لاجل العناية بالتعليم الديني والتربية الاسلامية

(المادة الرابعة) الاهتمام بتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية

المقرر	رئيس اللجنة
اسعاف النشاشيبي	السيد محمد رشيد رضا

(المنار) كانت هذه الاقتراحات مبسوطة ومطولة فعند المناقشة فيها قرر المؤتمر تأليف لجنة تلخصها وتضعها في صيغة مواد قانونية ، فاجتمعت اللجنة واتفقنا معها على وضعها بالنص الذي تراه هنا وقرره المؤتمر بالاجماع وساذكر في الجزء الآتي النص الاصلي لفائدته وما كان من الاعتراض عليه وتفنيد كلام المعترض خدمة للتاريخ.

الرابطة الاسلامية الدولية

(جاء في جريدة صوت الشعب الفلسطينية لصاحبها الكاتب الوطني المعروف عيسى أفندي بندك بتاريخ ١٢ أذار (مارس) تحت هذا العنوان ما نصه)

ننشر فيما يلي نظام الرابطة الاسلامية الدولية التي يشغل السيد ضياء الدين طباطبائي وظيفة السكرتير العام لها في جنيف و يشمل سمو الخديوي هذه الرابطة بنفوذه وعطفه

(١) إسمها ، مركزها ، أغراضها ووسائل عملها

(المادة الاولى) أسست وفاقاً للمادة الستين وما يليها من مواد القانون المدني السويسري جماعة إسمها « الرابطة الاسلامية الدولية » ومركزها العام مدينة « جنيف »

(المادة الثانية) ترمي هذه الرابطة على وجه الخصوص الى ما يأتي :

أولا — العمل على استدامة الوئام بين مختلف عناصر العالم الاسلامي

ثانياً — إنشاء مركز تعاون فكري بين علماء الاسلام وجامعاته ومعاهده

ثالثاً — السهر على الاحتفاظ بأوضاع الطوائف الاسلامية حينما توجد

رابعاً — اعانة أعمال البر و المؤسسات الاجتماعية الاسلامية

خامساً — اطلاع غير المسلمين على الاصول الصحيحة لعلوم الاسلام ومذاهبه ورفع الهجمات غير المبررة التي توجه اليها والوصول عن هذا الطريق الى توثيق العلاقات بين الشرق والغرب

(المادة الثالثة) تعمل الرابطة بوسائل اذاعة النشرات، وعقد الاجتماعات، وتقديم الآراء، واسداء النصائح، وذلك كله في الحدود التي ترسمها القوانين الاهلية في كل دولة

(٢) أعضاء الرابطة

(المادة الرابعة) يقبل عضواً في الرابطة كل مسلم كامل الاهلية تزيد سنه عن الواحدة والعشرين من غير تمييز للجنس أو اللغة أو المذهب متى قبل قوانين الرابطة وتعهد باحترام لوائح أنظمتها المختلفة وبتسديد قيمة اشتراكه في الميعاد

(المادة الخامسة) أعضاء الرابطة على سبعة أنواع : أعضاء شرف ، ومحسنون ، ومتبرعون ، ومؤسسون ، وعاديون ، وجماعيون ، ومنتسبون

(ا) فأعضاء الشرف هم الملوك ، ورؤساء الدول المسلمون ، وكذلك عظماء رجالات الاسلام ، الذين يؤدون للرابطة خدمات أدبية أو مادية يقدرها مجلس الرابطة الاعلى

(ب) والاعضاء المحسنون هم الذين يهبون الرابطة هبة أو يوصون لها بوصية تزيد قيمة أيتهما على عشرة آلاف فرنك سويسري

(ج) والاعضاء المتبرعون الذين يساهمون في ميزانية الرابطة بمبلغ سنوي تزيد قيمته على مئة فرنك سويسري

(د) والاعضاء المؤسسون هم الذين اشتركوا في تكوين الرابطة بمدينة « جنيف » في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣١

(هـ) والاعضاء العاديون هم المسلمون الذين يستوفون شرائط المادة الرابعة من هذا القانون الاساسي وتصادق اللجنة التنفيذية على طلبات الانضمام التي يقدمونها اليها

(و) والاعضاء الجماعيون هم الاحلاف التي تؤسس في عواصم بلاد أوربا والعالم الاسلامي مع ما يكون لها من فروع في هذه البلاد المختلفة وتديرها لجان أهلية تقرر طريقة تأليفها في قوانين الاحلاف التي يجب تصديق المجلس الأعلى عليها قبل نفاذها

وتنظر هذه اللجان الاهلية على وجه الخصوص في أمر قبول الاعضاء المنتسبين وتسهر على تحصيل الاشتراكات وارسال عشر قيمتها الى المجلس الاعلى وتقف هذا المجلس على حالة الطائفة الاسلامية في بلادها ، وتنفذ قراراته في حدودها ، كما تفصل بصفة ابتدائية في الخلافات التي تنشأ بين الفروع التابعة لها

(ز) والاعضاء المنتسبون هم الذين ينتمون الى حلف من أحلاف الرابطة ويدفعون له إشتراكاً سنوياً تعادل قيمته خمسة فرنكات سويسرية

(المادة السادسة) أعضاء الرابطة العاملون هم المؤسسون والمنتسبون والمتبرعون الذين يطلبون ذلك

(٣) نظام الرابطة

أنظمة الرابطة هي :

(ا) المؤتمر العالمي الاسلامي (ب) المجلس الاعلى (ج) اللجنة التنفيذية

المؤتمر العالمي الاسلامي

(المادة السابعة) يؤلف المؤتمر العالمي الاسلامي من الاعضاء المؤسسين ومن الاعضاء المتبرعين العاملين ومن مندوبين عن الاحلاف يمثل الواحد منهم ألف عضو منتسب وينعقد المؤتمر بهيئة جمعية عامة عادية مرة في كل ثلاث سنين وبهيئة جمعية عامة فوق العادة كلما وجد المجلس الاعلى ضرورة لذلك

ويرسل المجلس الاعلى الدعوات لعقد الجمعية العامة العادية قبل موعد الانعقاد بستة أشهر على الاقل ولعقد الجمعية العامة فوق العادة قبل موعد انعقادها بشهر واحد على الاقل

المجلس الاعلى

(المادة الثامنة) يدير الرابطة مجلس أعلى مؤلف من الاعضاء المؤسسين وخمسة أعضاء ينتخبهم المؤتمر العالمي الاسلامي بين المرشحين الذين يقدم كل حلف اثنين منهم ، ويكون انتخابهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد

(المادة التاسعة) يجب على المرشح لعضوية المجلس الاعلى أن تكون سنه قد جاوزت الاربعين وان يكون قد أمضى أكثر من سنتين عضواً في لجنة أهلية

(المادة العاشرة) يجتمع المجلس الاعلى كل ثلاثة اشهر مرة على الاقل ولا تكون قراراته صحيحة إلا بحضور خمسة من أعضائه على الاقل

(المادة الحادية عشرة) يدعو المجلس الاعلى الى اجتماع مندوبين عن الاحلاف بواقع واحد عن كل حلف مرة في كل عام قصد التشاور وتبادل الرأي

(المادة الثانية عشرة) يختص المجلس الاعلى بالفصل بصفة نهائية فيما ينشأ من خلاف بين حلف وحلف آخر كما يختص بالنظر استئنافيا بناء على طلب احد الاطراف ذات الشأن في الاحكام الصادرة في الخلافات بين الفروع

(المادة الثالثة عشرة) يرفع المجلس الاعلى الى المؤتمر العالمي المنعقد بهيئة جمعية عامة عادية تقريرا عاما عن سير أعمال الرابطة وادارة أموالها

اللجنة التنفيذية

(المادة الرابعة عشرة) يختار المجلس الاعلى من بين أعضائه رئيس الرابطة ووكيلها وسكرتيرها العام وامين صندوقها الذين يكونون لجنتها التنفيذية

(المادة الخامسة عشرة) رئيس الرابطة هو في الوقت نفسه رئيس المجلس الاعلى واللجنة التنفيذية والمؤتمر العالمي الاسلامي

(المادة السادسة عشرة) يحدد المجلس الاعلى اختصاص اللجنة التنفيذية والسكرتير العام وأمين الصندوق في لائحته الداخلية التي تشمل كذلك أحكاما خاصة بالنشرة الرسمية للرابطة وبمفتشيها الزائرين

(المادة السابعة عشرة) تجتمع اللجنة التنفيذية مرة في كل شهر ولا تكون قراراتها صحيحة الا بحضور اثنين على الاقل من أعضائها ،

(٤) أموال الرابطة

(المادة الثامنة عشرة) تتكون ايرادات الرابطة التي يعهد بادارتها الى المجلس الأعلى من هبات أعضاء الشرف والاعضاء المحسنين ووصاياهم ومن مساهمات الاعضاء المتبرعين واشتراكات الاعضاء العاديين وعشر اشتراكات الاعضاء المنتسبين

أما الاحلاف فيستقل كل واحد منها بادارة ايراداته المكونة فقط من تسعة أعشار اشتراكات الاعضاء المنتمين اليه

وقيمة الاشتراك السنوي للاعضاء العاديين خمسة فرنكات سويسرية تدفع في مركز الرابطة العام . إهـ

رأى المنار فى هذه الجمعية

(وفي سموّ مؤسسها)

ان موضوع هذه الجمعيــة لعظيم جداً ، وان هذا الهيكل العظمي لنظامها لكبير جداً ، وان حاجة العالم الاسلامي اليها لشديدة جداً ، وان همة مؤسسها (الامير الكبير عباس حلمي خديو مصر السابق) لـكبيرة ، وإن إرادته لقوية ، وإن ثروته لواسعة ، وانما يتوقف نجاح هذا العمل العظيم مع استخدام هذه القوى الثلاث ، على طائفة من الرجال العظام ، وانما اعني العظام بعقولهم وقلوبهم وأخلاقهم وعلومهم وأعمالهم وإخلاصهم وحريتهم واستقلالهم — لابألقابهم

يوجد في بلاد الاسلام المتفرقة أفراد من هؤلاء الرجال ،لا يعوزهم للقيام بمثل هذا المشروع العظيم إلا القوة والمال ، وأغنياء المسلمين أولوا المال كلهم أو جلهم أغبياء أو بخلاء ، وأمراؤهم أولو القوة والنفوذ كلهم أو جلهم مستبدون أو جهلاء ، فهم لا يعرفون أقدار عقلاء المصلحين ولا يقدرون على الاتفاق معهم ، لانهم يريدون استخدامهم لأشخاصهم لا لأمتهم ، ويحاولون تسخيرهم لأهوائهم دون العمل بمقتضى عقيدتهم ، والرجل المصلح المخلص لايتبع في عمله هوى نفسه ، فكيف يتبع هوى غيره ؟

ولا أعرف أحداً من أمراء المسلمين قد جرب الناس وخبرهم كالامير عباس هذا ، ذلك بانه كان في عهد إمارته قليل التحجب والترفع ، كثير المقابلة للناس من الطبقات العليا والوسطى ، واسع الحرية في محادثتهم ،وقد تدلى عن افق الامارة والملك إلى معاداة رجال من خواص أمته واتخاذهم خصوما ، ثم ارتقى إلى مقامه اللائق به فأدنى الباقين منهم واتخذ منهم أولياء وأنصارا ، وقد رأى كثيراً من الناس الذين يتبعون هواه ، ويبيعون دينهم بدنياه ، لا حباً فيه بل حباً لانفسهم ، وتوسلا به إلى شهواتهم ، ورأى قليلا من الناس لايعملون إلا لأمتهم ، ولا يؤثرون أحداً على ملتهم ، فلايلفتهم المال ولا الجاه أقل لفتة عن عقيدتهم ، ورأى أن قليل

هؤلاء الصادقين، خير من كثير أولئك المنافقين، وان جميع علماء الازهر ما كانوا يغنون غناء الشيخ محمد عبده ، وأن جميع رجال بطانته وحاشيته لا يبلون بلاء حسن عاصم باشا وحده، فماذا كان مبلغ استفادة سموه من هذه التجارب؟ هذا ما لا أعلمه

ولكنني كنت ممن عاداهم ثم أدناهم ، وقد وعدني بالمساعدة على ما أقوم به من الاصلاح الاسلامي إلى مدى بعيد، وشرع في الوفاء فحالت الحرب العالمية دون استمرار العمل الذي بدأت به بمساعدته (وهو مدرسة الدعوة والارشاد) وكان من مقاصده فيه الاتفاق مع الدولة العثمانية على مثله وماهو أوسع منه بعد وقوع ما كان يتوقعه من شعور رجالها بخطئهم في عدم تنفيذهم لمشروع الدعوة والارشاد في الاستانة . ولا أدري ما كان يرمي اليه من وراء ذلك الاتفاق وما ظننت الا خيرا

وأقول الآن : لو كان معه في مؤسسي هذه الرابطة الاسلامية رجلان كالشيخ محمد عبده وحسن باشا عاصم في بصيرتهما واستقلال عقولهما وإرادتهما وإخلاصهما لرجوت له الفوز والنجاح فيها ، إذا هو أعطاهما حقهما في استقلالهما وحريتهما، وقنعا بالعمل معه لخدمة الاسلام بالذات، وخدمته هو بالتبع لخدمة الاسلام، وإنما اقتصرت على ذكر رجلين اثنين في هذا المثل لانه ذكر في المادة السابعة عشرة من قانون رابطته ان اللجنة التنفيذية لمجلسها الأعلى تنعقد بحضور اثنين من أعضائها وتكون قراراتها صحيحة ، وهذا مما ينتقد من مواد هذا القانون ،ولكن عبقريي الرجال يغني قليلهم عن كثير غيرهم ان وجدوا ، ولا يفري فريَّهم ألوف الدهماء إن فقدوا

وأريد بهذا المثل أن مثل هذا العمل لا يمكن أن ينهض به إلا كبار رجال الاصلاح العالمين بامراض العالم الاسلامي العارفين بطرق علاجها، الذين يهمهم أمر أمتهم ،أكثر مما يهمهم أمر أنفسهم وأهليهم وأولادهم ، فان كان الاعضاء المؤسسون لهذه الرابطة مع سموه في جنيف (سويسرة) من هذه الطبقة فان ذكر أسمائهم في ذيل قانون الرابطة أعظم تأثيراً في العالم الاسلامي من جميع مواده الواسعة النطاق ،المحيطة بالآفاق ، ولكن أنى له برجال من هذه الطبقة ؟

أسس سموه هذه الرابطة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق خامس رجب من هذه السنة في مدينة جنيف ، ولا نعلم أنه كان فيها من رجال العالم الاسلامي

الذين يصلحون للنهوض بهذا العمل إلا الامير شكيب أرسلان ، الملقب بامير البيان ، والمشهور بجهاده في خدمة الاسلام في كل مكان ، وإنا نعلم علم اليقين انه لم يكن من المؤسسين مع سموه لهذه الرابطة ولا ممن استمد رأيهم فيها ، ولقد يعز على من يعرف هذا الرجل أن يثق بمشروع اسلامي يرغب مؤسسوه عن اشتراكه ، أو يرغب هو عن مشاركتهم فيه ؟

أسس سموه هذه الرابطة بعد أن وصل اليه كتاب الدعوة إلى المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس الشريف وكان وعد بأن يحضره أو يرسل مندوبا عنه يحضره ، ورأينا في أساس نظامها عقد (مؤتمر عالمي إسلامي) في كل ثلاث سنين مرة ، رأينا في مقدمته أن السيد الطباطبائي سكرتير لجنة هذا المؤتمر التنفيذية المنتخب جعل سكرتيرا للجمعية الرابطة الاسلامية الدولية أيضا ، وهو كفؤ لها باستعداده الفني والسياسي ، ولكنه لا يمكنه الجمع بين العملين ولا ادغام احداهما في الآخر

زار سمو الامير عباس - بعد تأسيس هذه الرابطة - أنقرة وجدد مودته لحكومتها الجمهورية اللادينية ، وزار فلسطين وسورية فاحتفى بزيارته المندوب السامي البريطاني في الاولى والمندوب السامي الفرنسي في الثانية ، وزار شرق الاردن وجدد مودته لأميرها عبد الله بن الملك حسين ، وكل زيارة من هذه الزيارات تضعف الثقة بهذه الرابطة التي أسسها ، فاذا قرن ذلك بمن استخدمهم سموه في زيارته هذه وباختياره لنشر قانون الرابطة جريدة رجل مسيحي في (بيت لحم) من فلسطين على المجلات الإسلامية والجرائد اليومية المشهورة فان الثقة بها تزداد وهناً على وهن ، وظنة على ظنة

عبارة قانون الرابطة ضعيفة ، ومنها ما لا يفهم معناه إلا بالقرينة ، وفي مواده على نقصها أمور مبهمة وأخرى غير معقولة ، ومن أغربها ان من أعضاء الشرف في هذه الجمعية ملوك المسلمين ورؤساء دولهم (أي الجمهورية) فمن ذا الذي يعقل أن يرضى إمام اليمن وملك مصر وملك الحجاز ونجد وملك الافغان وشاه ايران وملك العراق أن يكونوا أعضاء لهذه الجمعية ، وليس للمسلمين حكومة جمهورية إلا حكومة الترك ولكنها حكومة لادينية لا حكومة إسلامية ، فهي قد حلت جميع روابط

الاسلام وتبرأت من كل صلة لهـا بالمسلمين ، ومن الشرق والشرقيين ، فأنى يقبل رئيسها أن يكون عضواً لهذه الرابطة الاسلامية ؟ الا انه قد يكون له هوى سلبي فيها، وقد يكون منه شيء يتعلق بالخلافة، ولكنه لا يرضى ان يكون عضو شرف لها.

تداولت الصحف نبأ اضطراب هذه الحكومة اللادينية وانزعاجها من عقد مؤتمر اسلامي في القدس الشريف ، وخوفها أن يكون من مقاصده إحياء منصب الخلافة الاسلامية ، فخاطبت وزارة خارجيتها الدولة الانكليزية باعتراضها على عقد مؤتمر هنالك يبحث في مسألة الخلافة . فبلغتها هذه الدولة ان ذلك ليس من عمل المؤتمر ، ولم يمنعها هذا من الكتابة إلى الدول الاسلامية : ايران وافغانستان ومصر والحجاز والعراق مقترحة عليها عدم الاشتراك في هذا المؤتمر

وجملة القول أن اسباب الارتياب في هذه الجمعية كثيرة منها ما ذكرناه آنفاً، ومنها ما ذكرناه في الكلام على المؤتمر الاسلامي العام من هذا الجزء، وهو ما شاع من سعي سمو العباس ليكون ملكا لسورية أو رئيس جمهورية لها في ظل الانتداب الفرنسي ، وقد تناقل المشتغلون بالقضية السورية عنه أنه مهد السبيل لهذا السعي مع فرنسة وحكومة الترك الجمهورية بما حملهم على بث الدعاية لمقاومة سعيه، واحباط عمله

ويمكنني بعد هذا كله ان اقول ان مشروع هذه الرابطة الاسلامية هو أكبر عمل فكر فيه العباس ، وانه خير له من ملك سورية في ظل الانتداب، وقد يكون افضل له من ملك مصر مع سيطرة الاحتلال ، اذا هو أعطاه حقه ، واختار له من الرجال أهله، وما اراه الا يعتقد اخلاصي في النصح له، عملا بحديث «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم في صحيحه) وقد صرح لي بمثل هذا الاعتقاد اذ شرفني بالدعوة الى مقابلته في قصر القبة بعد ابتعادي عنه والحاحه في عداوتي تسع سنين

فليتأمل سمو العباس مقالي هذا تأملا ، وليتدبره تدبرا ، وليتفكر فيه تفكرا ، فانه ان يعطه حقه من ذلك غير مشوب بشعور عظمة ماضيه، ولا باماني حاضره وآتيه، يعلم أن ما قلته هو الحق لا ريب فيه ، وحينئذ يجب عليه ان يقف مواهبه النفسية والمالية على اخذه بربانه ، وتوسيد العمل فيه الى أهله ، فبذلك يحدث أكبر إصلاح في الشرق والغرب، وإلا فالاجدر به تركه والتفصي منه، و «كل ميسر لما خلق له »

أذان ابراهيم الخليل بالحج

ودعاؤه لاهل الحرم بالرزق

﴿ وما للمسلمين وعليهم من ذلك في هذا العهد ﴾

قضت حكمة الله تعالى أن يجعل الركن الاجتماعي العام لدينه الاسلام في بقعة من الأرض ليس للناس هوى فيها لذاتها، فهي لا تقصد لاعتدال هوائها، ولا لعذوبة مائها ، ولا لبهجة رياضها وجنى جناتها، حتى يكون الباعث على قصدها لأداء المناسك هو التعبد المحض والاخلاص لله تعالى فيه

وكان من شرع الله في هذه المناسك إهداء الانعام لبيت الله تعالى ، وإيجابه الفدية على من أخل بشيء من واجبات الاحرام عنده، وعلى من تمتع بالعمرة إلى الحج فيه ، لاجل توسعة الرزق على سكان حرم الله تعالى

قال الله تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير).

بل كان من عناية الله بأهل حرمه وجيران بيته أن أنطق خليله ابراهيم بالدعاء لهم أن يجذب اليهم قلوب الناس ، وأن يرزقهم من الثمرات، وهي غاية نعمة الرزق والرفاهة ـ قال تعالى (وإذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال (أي الله تعالى) ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) فوعد تعالى بأن يرزق من كفر منهم به وجحد نعمه بالرزق من الثمرات في الدنيا ، وانما يكون جزاؤه على الكفر في الآخرة لا بحرمان الرزق في الدنيا. وقال تعالى فيما قصه علينا من دعائه (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا

الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

استجاب الله تعالى دعاء خليله لاهل حرمه في كل زمان، فسخر لهم القلوب تهوي اليهم من كل مكان ، وتتقرب اليه تعالى بادرار الرزق عليهم، أجوراً لدورهم ، وجزاء على خدمتهم ، وصدقة على فقرائهم، وهدايا لاغنيائهم ،إذ علموا ان هذه التوسعة عليهم من متممات نسكهم، وموجبات رضوان ربهم،حتى ان الله تعالى سخر لهم في عهد الحرب العامة دولتي انكلترة وفرنسة تحمل الحجاج اليهم من المشرق والمغرب مع الانفاق على هؤلاء الحجاج ، وسخر الاولى لحمل الارزاق لهم من الهند

وقد وفق الله تعالى أغنياء هذه الامة المحمدية فوقفوا على حرم الله وحرم رسوله ﷺ مالا يحصى من الاطيان والبساتين والعقار في جميع الاقطار، مما لو حفظ كله أو جله وصرف ريعه في عمران المسجدين وما جعله الشرع حرما لكل منهما، وفي التوسعة على سكانهما، لكان الحرمان الشريفان أعظم بلاد الله تعالى عمرانا ، ولكان أهلها أوسع عباد الله تعالى رزقا وأبسطهم عيشا ، بحيث لاتنال منهم أمثال العسرة العالمية الحاضرة شيئا

ولكن الفاسقين من الافراد والظالمين من الحكام قد جعلوا كثيراً من تلك الاوقاف ملكا ، وطمسوا معالمها طمسا ، على ان ما بقي منها معروفا الى الآن كاف لعمران الحجاز كله ، وترفيه معيشة أهله ، بل ان المعروف من أوقاف الحرمين في وزارة الاوقاف المصرية وحدها يفي بذلك، واننا لانجد لحكومة مصر عذراً شرعيا في منع الحرمين الشريفين حقهما من أوقافهما والتصرف فيها بغير ما وقفت عليه

هل يصح أن يكون منع ملك الحجاز استمرار بدعة المحمل المنكرة الخرافية سببا شرعيا لحرمان الحرمين وسكانهما من ريع هذه الاوقاف ؟ هذا ما لا يقول به مسلم يعرف الاسلام ولو لم يكن المحمل بدعة مشتملة على كثير من المنكرات الشرعية حتى صرح الفقهاء بتحريم الاحتفال به ، والتفرج بالنظر اليه ، فكيف يكون التعبد بالتبرك به وجعله من قبيل مناسك الحج ؟

هل يصح أن يكون عدم اعتراف الحكومة المصرية بحكومة الحجاز الحاضرة عذراً شرعيا لهذا المنع والحرمان؟ كلا ان هذا ذنب وذلك ذنب، ولكن بعض رجال

الحكومة المصرية يلبسون الشرع بالسياسة كما اعتذر المرحوم عبد الخالق ثروت باشا عن عدم إرسال كسوة الكعبة المشرفة باحتمال رد الوهابية لها بادعاء أنها بدعة كالمحمل، قال هذا في جواب البرلمان وقبله منه البرلمان مع علمه وعلم أعضاء البرلمان أن الملك ابن السعود قبل الكسوة السابقة ووعد بقبول اللاحقة التي لم ترسل ، ومع علم الجميع بأن المحمل بدعة ابتدعته شجرة الدر، وان كسوة الكعبة مشروعة مجمع عليها بين المسلمين، وقد صنعها ابن السعود بعد منع مصر لها، فاستأثر بهذا الشرف من دونها

وقد بلغنا عن بعض رجال الحكومة انهم يعتذرون عن منع مخصصات الحجاز السنوية من مال وغلال وهي دون حق الحجاز أن ناظر أوقاف مصر لا يأمن حكومة الحجاز على وضعها في مواضعها ، ويتعذر على وزارة الاوقاف توليها لتوزيعها وإشرافها عليه ومراقبتها له ،وهذه التعليلات غير صحيحة، ولو صحت لما صلحت أن تكون سببا لمنع هذه الحقوق اهلها ، فحكومة الحجاز أمينة ويمكنها إثبات توزيع ما يرسل اليها على مستحقيه ، وهي لا تمنع عمال وزارة الاوقاف عن توزيع ما تشاء من المال إذا لم يكن بصفة تتضمن الطعن بأمانتها، ولو فرضنا ان الذين يتولون توزيعها يخونون بأ كل شيء منها لما كان هذا مبيحا لمنعها كلها عن جميع مستحقيها ، وقد يكون هؤلاء الخونة المفروض وجودهم منهم

مالنا وللاعذار السياسية والسياسة مازالت تلبس الحق بالباطل وتكتم الحق الصريح على علم بانه الحق، نحن الآن أمام خطب عظيم يجب فيه تحكيم الرحمة التي هي فوق الحقوق الرسمية ، والمماراة السياسية

ان جيران الله وجيران رسوله محتاجون ، وقد تكون العسرة العامة أشد عليهم من غيرهم ، وان حقوقهم على المسلمين كافة أكبر من حقوق غيرهم من اخوانهم في الدين ، فعلى المسلمين في جملتهم أن يتقربوا الى الله تعالى بتوفير ما امتن به على سكان حرمه من إغداق الرزق عليهم حتى احتج على المشركين منهم بقوله (أو لم نمكن لهم حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) ؟

وعلى المسلمين ان يتقربوا اليه عز وجل بان يكونوا مظهرا محققا لدعاء خليله ابراهيم بسعة هذا الرزق عليهم، ولدعاء محمد رسول الله وخاتم النبيين بالدعاء لاهل حرمه أيضا،

والذي أقترحه على خيار المسلمين في هذه العسرة أن يقبل المستطيعون على الحج ويكون الذين يوفقهم الله تعالى لأدائه أسخياء، يبسطون أيديهم بالعطاء للمطوفين والمزورين والخدم، وبالصدقات على الفقراء ، فان ثواب المناسك في هذا العام مضاعف، وثواب جميع النفقات في الحرمين مضاعف ، وليذكروا فيه حجة الوداع لمن هداهم الله تعالى الى هذه السعادة برسالته ، وشرفهم بجعلهم من أمته، صلى الله عليه وآله وصحابته ، وانه أهدى في حجته هذه الى بيت الله تعالى مائة بدنة (جمل) نحر بيده الشريفة منها في منى ثلاثا وستين (وهي عدد سني عمره الشريف) وأمر ربيبه عليا كرم الله وجهه فنحر الباقي

وليحذر كل مسلم من فتنة بعض المضلين والملحدين الذين يصدونهم عن التوسع في النفقة في الحرمين الشريفين ويغرونهم بالمشاحة والمماكسة فيها، ويصفون جيران الله ورسوله بالطمع في أموال الحجاج ، حتى صار المفتونون بأقوالهم يعدون كل مايقرب الى الله تعالى من النفقة هنالك مغرما من المغارم ، وان كانوا يسرفون في سائر النفقات حتى المكروهة والمحرمة منها في بلادهم ولاسيما أماكن اللهو والفسق الخاصة بالاجانب . دع اسراف الفساق في بلاد الافرنج ، واني لأخشى على صاحب هذا الشعور أن يكون حجه غير مبرور ، وسعيه غير مشكور ، وان يكون بهذا مأزورا غير مأجور

بل أحدث اعداء الاسلام من الاجانب ومن ملاحدة أهله دعاية أخرى شرا من هذه وهي ترك الحج لما فيه من اضاعة ثروة الوطن في بلاد العرب ، وهذا ضرب من الدعاية الى ترك الاسلام من أهله ، وانما المسلم من يفضل النفقة في الحرمين الشريفين على النفقة في وطنه تقربا الى الله تعالى وقد صار أكثر الحجاج من الفقراء الذين يزاحمون أهل الحرمين في رزقهم

أخبرني الرحالة الشيخ عبد الرشيد ابراهيم انه رأى مرة في البيت الحرام رجلا من حجاج بلخ فسأله عن فائدة حجه ، فأجابه بان الله تعالى جعل بيته في هذه البقعة الجرداء ، وسخر لاهله الناس لاجل أن يمونوهم ويدروا عليهم الارزاق، ففائدتي أنني ممن سخرهم الله تعالى لما يحبه من ذلك، فهذا البلخي الاعجمي قد

فهم من هذه الحكمة من حكم الحج ما لم تفهمه الالوف الكثيرة من المسلمين

وأختم هذه الذكرى بمخاطبة مولانا صاحب الجلالة ملك مصر باسم الله وبما تقدم من آيات كتابه وسنة خليله ابراهيم، وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليهما، أن يصدر أمره لوزارة الاوقاف بارسال جميع مخصصات الحرمين المتأخرة اليهما في هذا العام، فانه يكون بحسن النية أكبر أجراً من جميع الحجاج فيما ينفقون فيه، وإن لم يبذل من ماله الخاص شيئا، ويكون له أعلى الذكر وأرفع الشرف والحمد في جميع العالم، وترفع في بيت الله ومسجد رسوله ﷺ وسائر مشاعر الحج اصوات البائسين وغيرهم بالدعاء المرجو الاجابة له ولولي عهده (ان الله لا يضيع أجر المحسنين)

مجلة الازهر والاستاذ المراغي

في أثناء اشتغال الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي بوضع قانون الازهر الجديد كان يذاكر أهل العلم والرأي من أصدقائه في موضوعه ومناهج التعليم في الكليات التي ستنشأ فيه. وقد أفضى الحديث بيني وبينه في ذلك الى اقتراحه علي أن اكتب له مذكرة في موضوع المجلة التي تقرر في القانون الجديد إنشاء ادارة المعاهد الدينية لها، وفي موضوع درس الفقه في كلية الشريعة بعد حديث طويل دار بيننا في الموضوعين ففعلت، ثم قضى الله تعالى أن يستقيل من منصب المشيخة ورياسة المعاهد، وصدرت المجلة بعد ذلك فقرظتها في المنار، ونصحت لها بما أرجو أن يكون نافعا مفيدا، ولكن خاب أملي وآمال كل من أعرف من أهل العلم والرأي وطلاب الاصلاح الاسلامي فيها كما بينت ذلك في الجزء (١٠ م ٣١) من المنار وقد قرأت في جريدة الاهرام في الشهر الماضي ان شيخ الازهر ألف أو يؤلف لجنة لوضع تقرير فيما تراه من الاصلاح وترقية هذه المجلة (نور الاسلام) فتذكرت ما كنت كتبته للشيخ المراغي وأحببت نشره في المنار لما فيه من التنويه بمقاصد الاستاذ المراغي العالية في الاصلاح والتمهيد له، وعسى أن يكون مساعدا للجنة على عملها، أو مذكرا لها بشيء يفوتها، وهاهو ذا :

﴿ مذكرة صاحب المنار للاستاذ الافضل الشيخ محمد مصطفى المراغي ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية

رغبت إليّ أيدك الله أن أكاشفك برأيي في صفة التدريس في كليات الازهر المعمور التي ستنشأ — إن شاء الله تعالى — في أول السنة الدراسية من هذا العام ولاسيا دراسة العلوم الجديدة فيها ، وأن أذكر لك من أعرف من العلماء الذين يصلحون لتدريس هذه العلوم ، ورأيتك غير متقيد بكون هؤلاء العلماء مصريي الجنس ، ولا من الحاملين لشهادة مدرسية رسمية ، واستحسنت أن أعجل اليك بكتابة ما أراه في صفة تدريس الفقه خاصة ، وبكتابة ما أراه في نظام مجلة الازهر التي تقرر إصدارها منسوبة اليه ، والمواد التي تتألف منها أبوابها ـ الخ ما تفضلتم بمشافهتي به

أكبرت هذه المشاورة من فضيلتكم ، على ما أعلم وأعهد من عادتكم وشنشنتكم فيها ، وإنها لآية بينة على ما آتاكم الله تعالى من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وبعد الرأي ، والتأسي برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله في امتثاله لأمر الله عز وجل في قوله (وشاورهم في الامر)

وانني أرى أن امتثال أمركم هذا — وكذا كل ما هو بمعناه — واجب علي شرعا بما أمر الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق ، والامر بالمعروف ، وبما صح من قول رسوله ﷺ « الدين النصيحة » قالوا لمن يارسول الله؟ قال « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم من حديث تميم الداري ، وفي حديث أبي هريرة المرفوع في حقوق المسلم الست « وإذا استنصحك فانصح له » رواه مسلم أيضا

مجلة الازهر

أعيد في هذه المذكرة الوجيزة ما قلته في حديثنا من وجوب العناية التامة بالمجلة من أول الامر ، وبذل الجهد في إتقان تحريرها ، وحسن الاختيار لموادها ، فانها هي المرآة التي تتجلى فيها صورة عهد الاصلاح الجديد ، في هذا المعهد الاسلامي التليد ،

لجميع العالم الانساني، ولا سيما العالم الاسلامي، الذي يجب أن تكون هذه المجلة مدرسة كلية سيارة له، تهديه إلى كل ما يجب أن يكون عليه في أمري دينه ودنياه، وبها يحكمون للازهر ومشيخته ورئيسه أو يحكمون عليه وعليهم، وسيكون هذا الحكم قطعياً لا يقبل استئنافا ولا نقضا، وليس لشيء من دروس كليات الازهر مثل هذا الشأن لعدم اطلاع العالم عليها، ولان المعهود في مثلها أن يبدأ ناقصا ويرقى في معارج الكمال بالتدريج، وأما هذه المجلة فيجب أن تكون من أول يوم في أعلى درجات الكمال المستطاع أو يصرف النظر عنها

إن كثيراً من الكتاب وعلماء اللغة وعلماء الدين والمؤرخين والسياسيين وغيرهم من البارعين في العلوم المختلفة والفنون سينظرون إلى هذه المجلة بعيني النقد القويتي الاشعة، لما لها من الصفة الرسمية، ولما يتوقع أن يكون لها من التأثير في العالم الاسلامي - ومنهم المنصف وغير المنصف - فيجب أن يحسب رئيس تحريرها لذلك كل حساب، ويعلم أن حرية القول فيها يجب أن تكون دون حرية صحف الشركات وصحف الافراد — وأن يعنى باتقاء الاستهداف لسهام الاقلام وأسنتها أولا، وبإعداد المجانّ الصادة لها ثانياً، ثم بمداواة كلومها بعد الاصابة ثالثا، ولاسيما إذا كان الانتقاد موجهاً اليها من بعض الدول الاجنبية أو من بعض صحفها أو رجال سياستها أو علمائها

فأول ما يجب أن يُهتم به اختيار لجنة التحرير، وأن توزع مواد أبوابها على الاخصائيين في كل باب، وأن تكون العناية باختيار رئيسها أشد، وأول ما يشترط فيه أن يكون له معرفة واسعة بحالة العصر، وبما أشرنا اليه في أول هذه الجملة من مواضع النقد، فان لم يتيسر وجود من يوثق به في هذا فينبغي أن يكون للتحرير مراقب أو مستشار، وإن لم يكونا من المحررين الموظفين، وقد يوجد مَن فيه الكفاية لذلك من أساتذة بعض الكليات

وإذا يسر الله تعالى اختيار ثلاثة رجال لرياسة التحرير ولمراقبته وللادارة العامة فيهم الغناء والكفاية فانهم يغنون مولانا الاستاذ الاكبر عن وضع هذا

الداعي للتقرير المفصل الذي كاشفني برغبته فيه ، ولا أضن بوقتي عليهم إذا أحبوا استشارتي في عملهم ، فإن ظل — بعد الاطلاع على هذه المذكرة الوجيزة — على رأيه في وضعي للتقرير لم يجدني إلا صادعا بأمره مهما يكن فيه من بذل للوقت قلما أجود بمثله على أعمالي الادارية

أبواب المجلة

أهم أبواب هذه المجلة فيما أرى سبعة :

(الباب الاول) باب المقالات الدينية والعلمية والتاريخية والخطابية ، ويجب أن يكون الغرض الاول منها بيان حقيقة الاسلام وحقائقه ، وإصلاحه لشؤون البشر الشخصية والمنزلية والقومية ، والوطنية والسياسية ، ورفع مستوى الانسانية، وتوحيد مقومات الامم ، وبيان حاجة البشر إلى إصلاحه في كل زمان ومكان ، ولا سيما هذا الزمان الذي طغت فيه الافكار المادية والشهوات على الامم فأفسدت آدابها ، وعلى الدول فحصرت كل منها همها في الاستعداد للوثوب على التي تأنس فيها الضعف منها ، وحل التنازع في مرافق الحياة محل التعاون عليها

(الباب الثاني) باب الفتاوى العامة الذي يفتح لكل طارق له من مشارق الارض ومغاربها فيما يتعلق بعقائد الاسلام وآدابه وحكمه وأحكامه وتشريعه وسياسته ، فمن سأل عن حكم في مذهب معين أجيب بالمعتمد في ذلك المذهب ، ومن أطلق السؤال أجيب بما يقتضيه الاستقلال في الاستدلال (كما يعهد مولانا الاستاذ وغيره في فتاوى المنار)

(الباب الثالث) باب كشف الشبهات ، وحل عقد المشكلات، التي تعرض لطلاب العلوم وغيرهم بالإطلاع على كتب العلوم والفلسفة والاديان المختلفة ، وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الاسلام ، وما يستشكله قراء كتب التفسير والحديث والفقه منها وغير ذلك ، والغرض الاهم من هذا الباب مقاومة تيار الالحاد، الذي انتشر وباؤه في البلاد، فكاد يعمها الفساد

(الباب الرابع) باب البدع والخرافات، وانتقاد الضار من العادات، ويجوز التعبير عنه بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وينبغي لمحرري هذا الباب أن لا يكتفوا بما سبقهم اليه العلماء الذين عنوا بالتصنيف فيه ككتب الملل والنحل، ومثل الاعتصام والمدخل، بل يجب أن يستقرؤا ما ابتدع بعدهم وما لا يزال يستحدث في كل عصر ولا سيما عصرنا هذا

(الباب الخامس) باب التربية والتعليم، وأعني بالتربية مايشمل جميع موضوعاتها ومواضعها، فمن الاولى التربية الدينية والجسمية والعقلية والنفسية، ومن أقسام العقلية تربية ملكة الاستقلال في الفهم، وحرية البحث، ومن أقسام النفسية تهذيب الاخلاق بتربية ملكات الفضائل، وتربية الارادة التي عليها المدار الاعظم في النهوض بالاعمال الجليلة والنجاح فيها، وتربية الخيال بالاساليب المصورة للمعاني الخطابية والشعرية

وأما الثانية (وهي مواضع التربية) فأولها البيوت، وتليها المدارس على اختلاف درجاتها، فالجمعيات على تعدد أنواعها من دينية وخيرية وعلمية وفنية، ومنها ماحدث في هذا العصر من التربية البدنية المعروفة بالكشافة وكذا التربية العسكرية — فينبغي أن يدخل كل هذا وماقبله في مباحث باب التربية من هذه المجلة

(الباب السادس) باب آداب اللغة العربية وتاريخها، ولا حاجة إلى التذكير بشيء من مباحثه الا اقتباس بعض أساليب اللغات الغربية الراقية المؤثرة

(الباب السابع) باب الاقتباس والانتقاد، وتقريظ الكتب والصحف — نرى كل يوم في الجرائد والمجلات من عربية وغربية والكتب التي تنشر بالطبع مباحث نافعة للقراء مما يؤيد هداية الدين، ومصالح الامة، فيحسن اقتباس المهم منها في المجلة، فان من الناس من تؤثر في نفسه هذه المباحث ما لا يؤثر غيرها، ولاسيما إذا كانت مسندة إلى كبار العلماء والكتاب من رجال الغرب — ونرى فيها مباحث أخرى باطلة ومضلة، فيجب على المجلة انتقاد ما يخشى ضرره منها في الدين والدنيا بعبارات نزيهة حكيمة يهتدي كاتبوها بما أمر به الكتاب الحكيم من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فتجب بذلك ألسنة السفهاء، وتتحامى ما لا يليق بها من الجدل الباطل والمراء

التجديد والتجدد والمجددون

(تابع لما سبق من محاضرتنا في الجمعية الجغرافية الملكية)

القضية الثالثة

(في بيان الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي)

لايسعنا في بيان وجه الحاجة الى التجديد الديني والدنيوي وحكم الاسلام فيهما وحثه عليهما إلا أن نبدأه بمقدمة وجيزة في جمود العلماء ، وما كان له من سوء التأثير في الحكام وطلاب التجديد الدنيوي من سياسي واجتماعي . وقد ذكرت بعض الشواهد على جمود علماء مصر في الكلام على القضية الاولى [1] وإن لي في المنار مقالات كثيرة في هذا الموضوع ومباحث أخرى في تفسير القرآن الحكيم وباب الفتاوى وغيره من أبواب المنار ، وانني أستغني عن ذلك هنا بكلام لغيري فأنقل لكم جملة من كتاب لبعض نابغي شبان المسلمين في الهند كتبه في السابع من هذا الشهر (رمضان) في السنة الماضية (سنة ١٣٤٨) وهو من الذين طلبوا العلم بمصر ويقرأ الآن بعض جرائدها ويراسلها ، ويتبع كل حركة عامة فيها . وهذا نص ما أريده منه :

﴿ جمود علماء المسلمين في الهند ﴾

قال الكاتب الهندي المصلح في زعمائهم المسلمين

« نحن معشر الدعاة الى الاصلاح والانقلاب السياسي قد وقعنا في الايام الاخيرة في مشكلة عويصة . وهي اننا نجد أمامنا حزبين يتنازعان الزعامة في المسلمين : حزب الماديين وحزب الروحيين أو الدينيين . ونجد الاول يدعو إلى الانقلاب الاجتماعي والسياسي معاً . ونجد الثاني يدعو الى الخرافات ويعارض كل تغيير في الحالة الحاضرة حتى انه يخالف الانقلاب السياسي [2]

(١) لم أنشره في المنار هنا لانني نشرته في مقالات المساواة بين الرجل والمرأة
(٢) قد تغير موقف علماء الهند الشرعيين في هذا العام « ١٣٥٠ » ورفعوا أصواتهم بطلب الانقلاب السياسي

« هـذه الحالة في بلادنا : اننا لانرضى بحال أن نبقى مستعبدين للانكليز بل نضحي بأرواحنا في سبيل الانقلاب السياسي . أي قلب الحكومة الانكليزية وطرد أعدائنا من بلادنا . واننا نعادي و نقاوم كل من يكون عقبة في سبيل هذا الانقلاب السياسي . وكذلك نحن نريد تغيير الهيئة الاجتماعية الحاضرة بعض التغيير . ونريد بث الاخلاق الفاضلة والعقائد السلفية في المسلمين . ولكننا نرى الحزب المادي يماشينا الى حد بعيد . ونرى الحزب الديني يعاركنا في أول خطوة ولذلك ترون أننا قد وقعنا في مشكلة

« نحن لانحب الماديين ولكننا نريد الاستفادة من حركتهم ، ونحب الدينيين لاننا منهم، ولكننا لانستطيع تأييدهم لانهم أعداء لكل مايرجى منه الخير حتى انهم أعداء الاسلام الصحيح

« اني أتمنى لو ترشدوني الى الخطة الرشيدة في هـذه المسئلة . أنا أواظب على قراءة الجرائد المصرية وأعرف ان الماديين في مصر أناس قوالون ، لايعملون ولا يريدون أن يعملوا . ولا يعرفون كيف يعملون . وانما هم يريدون الظهور بالكلام الفارغ وبمخالفة أحكام الشريعة الغراء . ولكن حالة الهند تختلف عن مصر اختلافا كليا (الى أن قال بعد وصف حالة الهند ووجه الحاجة الى جعل حركة الانقلاب مادية مانصه)

« فالرجاء أن تبينوا لي أفكاركم العالية وتشرحوا لي ماينبغي أن يفعله أناس مثلي وهم الذين يريدون الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي معا[1] هذا ولا تؤاخذوني في بسط اعذاري وأفكاري لاني إن لم أصرح بها لكم فمن الذي ألجأ اليه غيركم في هذه المسائل » اه المراد منه

[1] كتبت اليه انه يجب عليه هو ومن على رأيه من اخواننا طلاب الاصلاح المزدوج أن يكونوا وسطا بين الحزب المادي والحزب الديني حتى يجمعوا بينهما و يوحدوا وجهة المسلمين على منهاجنا الذي فصلناه في المنار

﴿ جمود علماء المسلمين في الترك ﴾

واني أقفي على هذا الشرح المؤثر لحالة المسلمين في الهند بكلمتين لرجلين من رجال الترك في جمود علمائهم ونفوذهم المانع من الترقي : رجل من أكبر علماء الاسلام المستنيرين ، ورجل من أشهر رجال الالحاد المجاهرين ، ثم أذكر كلمة حكيم الشرق فيهم

(الرجل الاول) شيخ الاسلام موسى الكاظم رحمه الله تعالى كان يشرح لي في داره بضواحي الاستانة ما يريدوضعه من الاصلاح لحكومة اليمن وهو جعل أحكامها كلها شرعية ، وانشاء محكمة تجارية واحدة في الحديدة تختص برؤية القضايا المتعلقة بالاجانب واليهود . فقلت له اذا كنتم تتركون التزام مذهب الحنفية فأنا أضمن لكم أن أخرج لكم من الشريعة الاسلامية الواسعة ما تحتاج اليه جميع السلطنة من الاحكام الموافقة لحال هذا الزمان الخ . قال أنا أعلم ان هذا ممكن ولكن ماذا نفعل بمشايخ الفتوى خانه ؟

يعني ان كبار الشيوخ المنوط بهم الافتاء الرسمي للدولة عندهم في باب المشيخة الاسلامية هم الذين يعارضون في ذلك . ومما علمته عنهم وعن شيخ الاسلام المقيد بهم في الفتوى انهم لا يفتون بأحكام المجلة العدلية وهي كلها شرعية لان فيها ما يخالف القول المعتمد في مذهب الحنفية الذي عليه الفتوى في كتبها المتداولة

(الثاني) الدكتور عبد الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التي كان ينشرها في مصر قبل الدستور لانه كان مضطهداً لا يمكنه دخول البلاد العثمانية وهو احد المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي

هذا الرجل المجاهر بالالحاد كان يساعدني في الاستانة في مشروع الدعوة والارشاد . وقال لي اذا نجحتم في هذا العمل وأسستم المدرسة الكلية الاسلامية فأنا أتبرع بالتدريس فيها وأجعل دروسي الصحية والعلمية على منهجكم في الاصلاح الديني . قلت كيف وأنت تحارب الدين ؟ قال انما أحارب دين مشايخ الفاتح والسليمانية . لانه لا يمكننا أن نرتقي مع اتباع أفكار هؤلاء . وأما الدين

الاسلامي الذي يفهمه رشيد افندى رضا والشيخ محمد عبده فهو يساعد على الترقي وتنتفع به الدولة فأنا أول من يتمنى خدمته تحت رياستكم .

(وقد بلغني بعد عودي من الاستانة إلى مصر انه قال لطلعت باشا وزير الداخلية وركن جمعيتهم في الحكومة : انكم أخطأتم ان تركتم رشيد افندي يسافر ولم تنفذوا تشبثه (أي مشروع الدعوة والارشاد)

قد كان لعلماء الاستانة نفوذ عظيم في الامة والحكومة ليس لعلماء مصر منه أدنى نصيب فيحاربوا باتهامهم بمقاومة الترقي المدني، وأين هو؟ ومتى قاوموه مقاومة عملية تخشاها الحكومة ؟ وانني لما عرضت مشروع الدعوة والارشاد على الصدر الاعظم حسين حلمي باشا رحمه الله تعالى قال لي : هذا مشروع عظيم ضروري للدولة ولكن تنفيذه عندنا يتوقف على قبول العلماء له وعلى موافقة جمعية الاتحاد والترقي وسأكلم شيخ الاسلام ليقنع العلماء ، وأكلم صادق بك ليقنع الهيئة المركزية للجمعية ، وأجتهد في إقناعهما ببذل نفوذهما في ذلك . وقال لي محمود شوكت باشا رحمه الله تعالى مثل هذا القول في نفوذ علماء الترك ثم قال : ان العلماء في بلادنا (اي العراق) ليس لهم مثل هذا النفوذ ولا ادري كيف حالهم عندكم في مصر؟

(كلمة السيد جمال الدين في علماء الترك)

وأما كلمة السيد جمال الدين التي أعنيها هنا ولها امثال من كلامه في غيرهم من علماء المسلمين فهي ماقاله في النازلة الآتي بيانها :

كان ميكادو اليابان ارسل في عهد وجوده في الآستانة كتاباً إلى السلطان عبد الحميد يخطب فيه مودته ويقول ان كلا منا ملك شرقي ، ومن مصلحتنا ومصلحة شعوبنا أن نتعارف ونتواد ، وتكون الصلات بيننا قوية تجاه الدول والشعوب الغربية التي تنظر الينا بعين واحدة ، وانني أرى شعوب الافرنج يرسلون الى بلادنا دعاة إلى دينهم لحرية الدين عندنا ولا أراكم تفعلون ذلك فأنا احب ان ترسلوا الينا دعاة يدعون الى دينكم (الاسلام) ويمكن ان يكون هؤلاء صلة معنوية خفية بيننا وبينكم

اهتم السلطان لهذا الكتاب وأمر بتأليف لجنة من أكبر أهل الرأي عنده

في قصر يلدز للتشاور فيه وهم شيخ الاسلام وناظر المعارف وهما الوزيران المختصان بهذا الموضوع من الجهة الرسمية ، والسيد جمال الدين الافغاني الأخص به من كل جهة، وآخرون ، فاجتمعوا لدى السلطان في قصر يلدز ودارت المذاكرة فاستحسن شيخ الاسلام ووزير المعارف تأليف بعثة من علماء مدارس الآستانة لارسالها الى اليابان، والسيد جمال الدين ساكت فوجه اليه السلطان النظر وسأله عن رأيه فقال ما حاصله:

يامولاي ان هؤلاء العلماء ينفرون المسلمين أنفسهم من الاسلام فكيف يناط بهم إقناع أمثال اليابانيين بالدخول فيه ؟ انما الرأي ان يربى طائفة من الاذكياء ويعلموا تعليما خاصا يؤهلهم للقيام بهذا الواجب في هذا العصر ، ويكتفي جلالة السلطان الآن بارسال كتاب ودي الى الميكادو مع هدية لائقة به ويذكر له في الكتاب ان ما اقترحه قد وقع في اعلى مواقع الاستحسان وسننظر في تنفيذه بالصفة المرضية ، فكان عمل السلطان بهذا الرأي ، ولكن دون تنفيذ اقتراح التعليم الخاص بالدعاة الى الاسلام

المقصد من موضوع التجديدين

أما بعد فقد تقدم في التجديد الديني حديث «ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» وهو نص في الموضوع بلفظه وقد بينا معناه في أول المحاضرة وينحصر المراد منه بالرجوع بالدين إلى سهولته وهدايته كما كان في الصدر الاول وجمع كلمة المسلمين على ما أجمعوا عليه قبل التفرق والاختلاف، وجعل ماعدا القطعي منه مما يعذر فيه كل فرد باجتهاده ، وكل مقلد باتباع المذهب أو العالم الذي وثق بعلمه ، من غير تعصب يفرق الامة الواحدة إلى شيع وفرق يعادي بعضها بعضا . ولنا في تفصيل هذا الاجمال وبيانه مقالات كثيرة جمعنا أهمها في كتاب خاص باسم (الوحدة الاسلامية) ومن وسائل هذا التجديد إحياء اللغة العربية بالكلام والكتابة والخطابة وتأليف الكتب بالاساليب العصرية السهلة وتعميم التعليم والتربية على القواعد الفنية ونشر الدعاية الاسلامية في العالم

وإذا كانت الامة تحتاج إلى التجديد في إقامة أمر دينها وقد اكمله الله تعالى لها وحظر

عليها الابتداع فيه فهي أحوج الى التجديد في أمور الدنيا التي تختلف مصالحها باختلاف الزمان والمكان وعرف الناس، والشرع يراعي ذلك كله كما هو مقرر في كتب الفقه

والتجديد فيها نوعان: نوع يتعلق بالمصالح العامة وما تحتاج اليه من التشريع وقد حث الشارع على التجديد في هذا النوع بقوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله

وان من هذه السنن العامة وضع قواعد العلوم والفنون النافعة وإنشاء المدارس والملاجيء والمستشفيات ، ويستوي في هذا التجديد الافراد والجماعات والحكومات، ومنها ما هو خاص بالحكومة كالمصالح العسكرية التي يتوقف عليها حماية البلاد وحفظ الامة من العدوان

وأما التشريع المتعلق به فهو موكول في الاسلام الى أولي الامر ، والجماعة المعبر عنها بأصحاب الحل والعقد ، فهم يقررونه بالشورى بينهم ، والاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من وحي ربهم ، ولا سنة ماضية من سنن نبيهم، بشروطه المعروفة في محلها، فان الاجتهاد مع وجود النص ممنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعا

والنوع الثاني ما هو من أمور المعايش كالزراعة والصناعة والتجارة وأمور العادات التي ليس فيها مفسدة وقد وكله الشارع الى تجارب الناس، وفي هذا قال ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم من حديث أنس وعائشة (رض) وقال في معناه «ما كان من أمر دينكم فالي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به» رواه أحمد

وجملة القول ان التجديد المشروع يشمل كل ما تعتز به الامة والدولة من العلوم والفنون والصناعات والنظم المالية والادارية والعسكرية والمنشآت البرية والبحرية والجوية ، فكل ذلك يعد في الاسلام من فروض الكفايات التي تأثم الامة كلها بتركها والشرع لا يقيدها فيها الا باجتناب الضرر والضرار والظلم (ومنه استغلال حاجة المعسر بأخذ الربا منه) مع قواعد إباحة الضرورات للمحظورات وتقديرها بقدرها ، ومراعاة الحق والعدل

(لها بقية)

السنة والشيعة

(الاتفاق بينهما والوسيلة اليه ، ورأينا ورأي علامة الشيعة فيه)

قد علم قراء المنار ماسبق لي من السعي الحثيث منذ ثلث قرن ونيف للاتفاق والوحدة بين المسلمين بالقول والعمل والكتابة والتصنيف ، وانني ألجئت في هذه الآونة الاخيرة إلى الرد على عالمين من علماء الشيعة لكتابين لهما كانا من أكبر أسباب التفريق والتعادي، وان أحدهما طعن في كتابه على ديني وعقيدتي وأخلاقي الخ والثاني طلب مناظرتي مدعياً استحالة الاتفاق والتعاون بين أهل السنة والشيعة الا أن ترجع إحدى الفرقتين إلى مذهب الاخرى في مسائل الخلاف الاساسية

ويعلمون انني لم أقبل الدخول في المناظرة على هذه القاعدة التي وضعها الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين إلا أن يقره عليها جمهور علماء الشيعة ،وطالبتهم ببيان رأيهم في زعمه هذا، فلم يرد عليه أحد منهم - وانني افترصت لقاء مجتهد علمائهم الاشهر في هذا العصر الأستاذ الكبير الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في القدس أثناء عقد المؤتمر الاسلامي العام، فأطلعته على ماكتبه الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين وسألته رأيه فيه فأنكره أشد الانكار ، ووعد باجابتي إلى استنكاره والرد عليه كتابة كما اقترحت ليعلم ذلك من قرؤا تلك الدعوى في المنار ويقتنعوا بأن أكبر علماء الشيعة يخالفونه فيه، واشترط هو أن أسأله ذلك كتابة ففعلت

وذكرت في الجزء الماضي أن الجواب قد جاء من حضرته وانني سأنشره في هذا الجزء إذ كان ردي على الأستاذ السيد عبد الحسين نور الدين في الجزء الماضي في موضوع طعنه في علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) قد طال حتى انتهى بي إلى آخر الجزء وكان له بقية استغنيت عنها ،وقد قلت ان هذا الرد ليس رداً على الشيعة وإنما هو رداً على منكر علم عمر، ولم يكن لي بد منه بعد نشر تلك النظريات الباطلة ، والروايات التي لايعرف ناقلها درجتها من الضعف، وقد حملها ما تتبرأ من حمله من سوء الفهم، وإنني أنشر الآن جواب الاستاذ كاشف الغطاء، وأقفي عليه بما يزيد الحقيقة كشفاً

﴿ جواب العلامة آل كاشف الغطاء ﴾

عقيدة الشيعة في الاتفاق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * وله الحمد في السموات والارض ﴾

لما جمعني المؤتمر الاسلامي العام المنعقد ليلة الاسراء في القدس الشريف بالعلامة الشهير، إمام السنة والحديث، الاستاذ الهمام، صاحب منار الاسلام، السيد محمد رشيد رضا نفع الله المسلمين بمنار علومه ـ دفع إليّ كتابا بخطه يتضمن السؤال عن عقيدة الشيعة في اخوانهم المسلمين من أهل السنة، وانه هل صحيح ما ربما يقال من انه لا يمكن اتفاق الشيعة الامامية معهم على شيء، ولو كان لصالح الفريقين إلا إذا رجعوا إلى رأي الشيعة فيما يخالفونه فيه؟ ـ إلى أن قال دام تأييده ـ فأنت أيها الاستاذ أكبر مجتهدي الامامية فيما قد اشتهر في بلادنا، وعلى قولك نعتمد الخ ما كتب ـ ونحن نرغب اليه أن ينشر عنا في الجواب على صفحات مناره الاغر ما يلي:

ان إجماع الشيعة الامامية من سلف إلى خلف ولعله من ضروريات مذهبهم لا يخالف فيه أحد من فضلائهم فضلا عن علمائهم ـ ان من دان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولم ينصب العداوة والبغضاء لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم فهو مسلم وسبيله سبيل المؤمنين، يحرم دمه وماله وعرضه، وتحل مسادرته *) ومصاهرته، ولا تحل غيبته ولا أذيته، وتلزم اخوته ومودته، أخوة جعلها الله في محكم كتابه، وعقدها في أعناق المسلمة من عباده، فأصبحتم بنعمته إخوانا والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقد استفاض في السنة النبوية من طرق الفريقين أن المسلم أخو المسلم شاء أو أبى، والمسلم من المسلم كالعضو من الجسد الى كثير من أمثال هذا

وما صعد الاسلام وصعد الى أعلى ذروات العز والمجد إلا يوم كان محافظا على تلك الاخوة، وما انحط الى أسفل دركات السقوط والذلة إلا بعد أن أضاع تلك القوة، ويشهد الله سبحانه أن ما ذكرته من عقيدة الشيعة الامامية في اخوانهم المسلمين هو الحقيقة الراهنة التي لا محاباة فيها ولا تقية، وإن ظهر من كلام بعض العلماء خلافها فلعله من قصور التعبير وعدم وفاء البيان. ومن شاء الزيادة في اليقين

*) كذا في الاصل ولعل أصله مصحف أو محرف .

فدونه الصحيفة السجادية للامام زين العابدين سلام الله عليه وهي زبور آل محمد ﷺ فلينظر في دعائه لاهل الثغور الذي يقول في أوله : اللهم صل على محمد وآل محمد وحصّن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيد حماتها بقوتك ، واسبغ عطاياهم من جدتك ، الخ الدعاء على طوله ــ وهل يشك أحد ان حماة الثغور في عصر الامام زين العابدين (ع) أعني عصر بني أمية كانوا من جمهور المسلمين وأكثرهم بل كلهم من السنة ، والصحيفة السجادية تالية القرآن عند الامامية في الاعتبار وصحة السند

والقصارى اني أعلن عني وعن جميع مجتهدي الشيعة الامامية في النجف الاشرف وغيرها ــ ان اتفاق المسلمين واشتراكهم في السعي لصالح الاسلام والمحافظة عليه من كيد الاغيار ــ لم يزل ولا يزال من أهم أركان الاسلام وأعظم فرائضه وأهم وظائفه ، أما النزاعات المذهبية ، والنزعات الجدلية فهي عقيمة الفائدة في الدين ، عظيمة الضرر على الاسلام والمسلمين ، وهي اكبر آلات المستعمرين

فرجائي إلى الاستاذ صاحب (المنار) أن لا يعود الى ما فرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة ، ونشر الابحاث والمجادلات مع بعض علماء الامامية ، والطعن المر على مذهبهم الذي لا يثمر سوى تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين الاخوين ، ولا يعود إلا ببلاء الضعف والتفرقة بين الفريقين ، ونحن في أمس الحاجة اليوم الى جمع الكلمة ، وتوحيد إرادة الامة ، وإصلاح ذات البين

والاستاذ الرشيد ــ أرشد الله امره ــ ممن يعد في طليعة المصلحين ، وكبار رجال الدين ، فبالحري أن يقصر (مناره الاسلامي) على الدعوة الى الوفاق والوئام ، وجمع كلمة الاسلام ، ويتجافى في كل مؤلفاته ــ سيا في تفسيره الخطير ــ عن كل مايمس كرامة ، أو يثير عصبية او حمية ، او يهيج عاطفة ، وأن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فان ذلك أنجع وأنفع ، وأعلى درجة عند الله وأرفع ، وعلى هذه خطاي وخطتي ، وهي ديني وديدني ، عليه احيا وعليه اموت إن شاء الله

واليه تعالى ارغب وأبتهل في ان يجمع كلمتنا على الحق والهدى حتى نكون يداً واحدة في نصرة هذا الدين الحنيف انه ارحم الراحمين

حرره في زاوية النجف الاشرف المقدسة يوم النصف من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

[المنار] هذا نص الجواب الموعود من سماحة العلامة الواسع الصدر، الجليل القدر ، وهو على حسنه ولطفه دون ما سمعت منه بالمشافهة ، ودون ما كنت أتوقع من الصراحة ، جاء مجملا ليس حزاً في المفصل، لم يذكر فيه كلمة الخصم الشنعاء وإنما أشار اليها « بربما يقال » وحصر كلامه في رأي الشيعة الامامية في « اخوانهم المسلمين» وقال انها مجمع عليها بالشرط الذي ذكره، وانه « إن ظهر من كلام بعض العلماء خلافها فلعله من قصور التعبير وعدم وفاء البيان» فتضمن قوله هذا الاعتذار عن الاستاذ السيد عبد الحسين نور الدين بأنه ليس فيه إلا قصور التعبير عن مذهبهم وعدم وفاء البيان به، وهذا السيد ليس ضعيف البيان بل هو فصيح العبارة قلما يوجد في معاصريه مثله في حسن بيانه وصراحته، وهو يرى ان أكثر الصحابة والسواد الاعظم من المسلمين من بعدهم قد « نصبوا العداوة والبغضاء لاهل بيت النبوة سلام الله عليهم » من عهد أبيهم علي كرم الله وجهه الى الآن، وكذلك الامة العربية في جملتها كما يعلم من كلمته الاولى من كلماته الثلاث ، وحجته الكبرى على ذلك تقديم غيره عليه بالخلافة ويليها من الحجج مخالفة أهل السنة لما يفهمه هو بوجدانه من الروايات الصحيحة في مناقبه ولما يذكره من الروايات الباطلة فيها، ويطعن في حفاظ السنة حتى البخاري ومسلم لعدم روايتها، فهو يعدهم كلهم من النواصب المتبعين لغير سبيل المؤمنين - فهو يسلم ماقاله العلامة كاشف الغطاء من ان عدم نصب العداء لاهل البيت شرط لصحة الاسلام وولاية أهله - ولا يراه ردا عليه أو تخطئة له ؟ وكذلك السيد محسن العاملي لا يعده ردا على كتابه الذي يعدني فيه مع الوهابية غير متبعين لسبيل المؤمنين لاننا ننكر الحج الى المشاهد وعبادة قبور أهل البيت او عبادتهم بالدعاء والطواف بقبورهم ، ولكننا نعبد الله تعالى بالصلاة على نبيه وعلى آل بيته في الصلاة وغيرها، ونتقرب اليه بحبهم وولايتهم، وبالحكم على من ينصب لهم العداوة والبغضاء بأنه عدو الله ورسوله . وبهذا القول يقول جميع أهل السنة من الوهابية وغيرهم . ولا يرون القول بصحة خلافة الراشدين كما وقعت ووجوب حبهم وحب سائر الصحابة منافيا لذلك . فما قاله الاستاذ في ناحية الشيعة مجمل غير كاف ولا شاف .

بيد أنه عند ما توجه إلى ناحية السنة وأهلها تفضل على صاحب المنار بالنصيحة

أن لا يعود إلى «ما فرط منه كثيراً من التحريش بالشيعة» الخ الخ وهو يعلم ان صاحب المنار كان مبدوءاً لا بادئا ومدافعا لا مهاجما ، ولم يكن محرشا ولا متحرشا

ولم يكن يخفى على ذكاء الاستاذ مايكون لهذا الجواب عندنا من كلتي ناحيتيه، وما ضمه بين قطريه — وهو ما رأينا من حسن الذوق الاكتفاء بالاشارة اليه ، فشفعه بكتاب شخصي ، يتضمن الاعتذار عما توقعه من تأثير الجواب السلبي ، قال فيه بعد الاعتذار عن تأخيره بما هو مقبول :

ما قاله العلامة في كتابه الشخصي

« نأمل من ألطافه تعالى انكم لا تزالون ممتعين بالصحة والعافية ، والعز والكرامة ، مستمرين على منهاجكم الدائب في خدمة العلم والدين ، وكونوا على ثقة من اننا لانزال ندعو لكم بالتأييد والتسديد ، وان يجعل الحق منار كم عاليا ، ونور معارفكم لظلمات الجهل ماحيا ، ولا تزال ذكرى أخلاقكم الطيبة وغوارفكم الذكية ماثلة في نفوسنا ، شاخصة أمامنا

« وتجدون مع هذا الكتاب جواب الرقيم الذي تفضلتم به وأرجو أن تجدوه كافيا شافيا ، وتنشروه على صفحات منار كم الزاهر ليعم النفع به ، ويكون احدى همزات الوصل بين المسلمين ، وتمزيق ما نسجته عناكب الاوهام على ذلك الصرح المشيد ، وهي الغاية التي نتوخاها في جميع جهودنا ومساعينا ، ولعلكم أحرص عليها منا ، وما التوفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب

« وقد تجافيت عن ذكر القائل بتلك المقالة الغريبة والتي لا يوافقه عليها أحد نظرا لبعض الملاحظات التي لاتخفى عليكم (ان تجدعيبا فسدّ الخللا) اه المراد منه

[المنار] ان عبارة هذا الكتاب ، تكشف لنا الغطاء عما خفي في ذلك الجواب ، مما تنطوي عليه جوانح كاتبهما من أريحية إسلامية ، تأتلف بها معارفه العقلية وعوارفه القلبية ، وعما رأى أنه مضطر اليه في مقامه من الرياسة في علماء المذهب من مداراة المدارك المتفاوتة ، والوجدانات الموروثة ، واكتفائه من صدق لقبه (كاشف الغطاء) ان يبلغ غاياته في الدروس الفقهية ، والفنون العقلية واللغوية ، ويقف فيما دونها من مهابّ الاهواء الطائفية والمذهبية ، التي تختلف فيها

الافهام، وتزاحم الاوهام، موقف مراعاة الجامدين، ومداراة المتعصبين، اهتداء بما روي في الصحيح عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله. وروي عنه انه كان يقول: ان ههنا لعلماً جماً لا أجد له حملة - وأشار الى صدره - نقله صاحب نهج البلاغة - فهذا ما أشرحه من عذر صديقي في اجماله في الجواب، على ما فيه من موضع النظر، ووصفه إياي بالتحريش والطعن المر بالشيعة، ومطالبتي بالكف عن العودة الى ذلك معبراً عنه بلفظ الرجاء، واجتنابه الانكار على أولئك المهاجمين، وما هو بالعذر الذي يرضاه منه جميع القارئين

سيجدني صديقي العلامة المصلح عند رجائه ان شاء الله تعالى، بيد انني أرى أن ما نسعى اليه من جمع الكلمة، ووحدة الامة، لا يرجى نجاحه من طريق الدين إلا بسعي علماء الطائفتين له على القاعدتين اللتين رفعنا بنيانهما في المنار (الاولى) «نتعاون على ما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه» (والثانية) من اقترف سيئة من التفريق والعداء أو غير ذلك من احدى الطائفتين بقول أو كتابة فالواجب أن يتولى الرد عليه العلماء والكتاب من طائفته، واذا لم يكن صديقنا الاستاذ الكبير آل كاشف الغطاء هو الامام القدوة لمن ينهضون بهذا الاصلاح وهو هو في رياسته العلمية وثقة الطائفة باخلاصه ونصحه، فمن ذا الذي يتصدى له من دونه؟

إن المبالغة في مداراة القاصرين، تقف بصاحبها دون ما هو أهل له من زعامة المصلحين، كان استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر، ولولا مبالغته في مداراة الجامدين من المعممين وكذا العوام أيضا لكان ثالث السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده في زعامة الاصلاح، وانني قد صارحته باستنكار هذه المبالغة في المداراة مشافهة له وهو ما انتقدته على كتاب الرسالة الحميدية له من ايراد المسائل العلمية التي لاشك فيها بعبارات تدل على الشك فيها واحتمال صحتها بالفرض والتسليم الجدلي، ثم قلت له وقد اعتذر بمداراة الجامدين: اذا لم يكن مثل مولاي الاستاذ في مكانته من سعة العلم والصلاح يجرئ المسلمين على الجزم بالمسائل العلمية التي يستنكرها أو يجهلها الجمهور - فمن ذا الذي يجرئهم على هذا ولا يخشى اعتراض الجاهلين؟

فأرجو من الاستاذ الكبير كاشف الغطاء ان يتأمل ماذكرته من توقف التوفيق والتأليف على بنائه على القاعدتين المناريتين عسى ان يجد عنده قبولا ، ولا يخفى عليه أن علماء الدين اذا لم يجمعوا كلمة المسلمين بهدايته على القيام بمصالحهم المشتركة فقد يغلبهم الملاحدة المتفرنجون على أكثرهم، ويقنعونهم بان الدين أكبر المصائب عليهم ؟؟

﴿ السيد محمد بن عقيل بن يحيى ﴾

ذكرنا في آخر الجزء الاول من هذا المجلد (٣٢) خبر وفاة هذا السيد النبيل واننا شرعنا في كتابة مانرى فيه الفائدة والعبرة من سيرته ، واضطررنا إلى تقديم سيرة والدتنا بالنشر عليها . وقد سافرنا بعد ذلك إلى القدس لحضور المؤتمر الاسلامي العام وبعد العودة إلى مصر والشروع في طبع الجزء الثاني أردنا أن ننشر فيه ما كتبنا من سيرته ونزيد عليها فضلت عنا فلم نجدها ،فلا ندري أسقطت في الورق المهمل الذي يخرجه الخادم من مكتبنا أم ضلت بين أوراق أخرى . وقد نشرت ترجمته رحمه الله في كثير من جرائد الاقطار الاسلامية،وعقدت له حفلات تأبين في مصر وجاوة، وانني أفي بوعدي بنشر شيء من سيرته استأنف كتابته فأقول:

كان رحمه الله تعالى قوي الجسم والعقل ذكي الذهن،زكي النفس،عالي الهمة، واسع الاطلاع على الكتب الاسلامية من شرعية وأدبية وتاريخية ، مختبراً لأهل هذا الزمان ، عارفا بشؤون السياسة الدولية ،وأحوال الشعوب الشرقية والغربية، فان له عدة رحلات من بلاده حضرموت إلى جاوه والحجاز ومصر والهند والصين واليابان وأوربة الشرقية والغربية

وكان قوي الذاكرة ، حسن المذاكرة ، ذا بديهة حاضرة ، وعارضة ماضية، وعبارة سلسة في الكتابة، لا ركاكة فيها ولا براعة ، ولا أعلم شيئا عن حظه من الخطابة . وكنت أول عهدي بطلب العلم بطرابلس الشام أقرأ في المؤيد مقالات معزوة إلى الرحالة سيف الدين اليمني ثم علمت انها له

وأما أخلاقه فصف ماشئت من عزة نفس، وسخاء كف ، وشجاعة وإقدام، وعفة وورع، ووفاء ومروءة، واهتمام بالمصالح العامة القومية والملية، ولولا انه شغل بالتجارة لكان من أكبر زعماء الامة العربية ودعاة الاصلاح الاسلامي فيها

وكان كثير الزواج يجمع ماطاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وكثير النسل والانتاج، أخبرني سنة ١٣٣٠ أن أولاده وأحفاده يزيدون على خمسين نسمة، وهم متفرقون في بلاد مختلفة ، وانه لايعرفهم كلهم بأشخاصهم ، وانه لايعلم عدد من مات منهم، ولم يكن هذا بشاغل له عن أعماله التجارية، ولا عن أبحاثه العلمية والسياسية.

وقد نشأ على مذهب الشافعية تربية وتعليما وعملا، ولكنه كان مع ذلك مستقل الفكر في المسائل العلمية والدينية إلا فيما ملك وجدانه من شعور السيادة ولوازم عصبيته

ولما ظهر المنار في أواخر سنة ١٣١٥ بدعوته الاصلاحية في الدين والاجتماع واللغة كان من السابقين إلى الاشتراك فيه ثم عني بنشره في سنغافورة وجاوه وسائر الجزائر الاندوسية ، واتصلت المودة والمكاتبة بيننا بقوة وحرارة ، ثم فترت في السنوات الأخيرة لما سأذكره ، وقد أنشأ في جاوه مع بعض الاخوان مطبعة ومجلة اسلامية سماها (الامام) وكتب إلي أن الغرض منها نشر مقاصد المنار الاصلاحية بلغة البلاد الملاوية ، وان جل اعتماده فيها على مايترجمه عنه

وأول خلاف في الآراء وقع بيننا مسألة «لعن معاوية » وكان دعاة التشيع من العلويين قد أثاروها في جاوه اواندوسية كلها واستفتيت فيها فأفتيت بعدم الجواز وبينت ما في هذا الشقاق من الضرر والتفرق بين المسلمين بدون مصلحة راجحة تقابله، وفيها الف كتابه المشهور (النصائح الكافية) وعذر كل منا أخاه في اجتهاده

ثم تفاقمت دعاية الرفض والغلو في آل البيت وسلائلهم في تلك الجزائر فكان من زعمائها بالتبع لاستاذه السيد ابن شهاب كما بينت ذلك في ترجمة هذا عقب وفاته، ولكنه لم يكن داعية لما وراء ذلك من الخرافات كعبادة الموتى من السادة وغيرهم من الصالحين بدعائهم والطواف بقبورهم ، ولما كان الغلو والافراط في طرفي كل امر يثير الغلو في الطرف الآخر ، ظهر في تلك الجزائر خصوم كثيرون للسادة العلويين وتفاقم الخلاف ، واستشرى به الشقاق، وهو ما كنا نخشاه ونتوقعه ، وظهرت في أثناء ذلك جمعية عربية باسم (جمعية الارشاد) غرضها إنشاء المدارس ونشر التعليم الديني والمدني الذي تقتضيه حالة العصر من الاستقلال واحياء هداية الكتاب والسنة ومقاومة الخرافات الفاشية من طرق الابتداع في الدين وجر ذلك الى انكارهم على العلويين ترفعهم،

بأ نسابهم على الناس بما يعد احتقاراً لعلمائهم وأهل الوجاهة منهم، وأفرط بعضهم في ذلك

وقد طلبت مني جمعية الارشاد مرة أن أختار لها بعض المعلمين لمدارسها من مصر فاجبتها الى ذلك بما امرنا الله تعالى به من التعاون على البر والتقوى، وإنما يقومان على أساس العلم، فكتب إلي السيد محمد بن عقيل عفا الله عنا وعنه كتاباً ينكر علي فيه مساعدة هذه الجمعية الضالة المضلة في زعمه بل وصفها بما هو أقبح من ذلك، ثم أذاع بعض العلويين انني أنصر الارشاديين عليهم، وهم مخطئون، فأنا لا أنصر إلا ما أعتقد أنه الحق ولو كنت أتبع الهوى لكان هواي مع العلويين لانني منهم وأهل العلم الصحيح منهم يعلمون ذلك .

وقد علمت منه انه ترك مذهب الشافعي لا الى اتباع الدليل بل الى تقليد مذهب العترة أو آل البيت (أي مذهب الزيدية) وأخبرني انه حاول إقناع الملك حسين بنشر هذا المذهب في الحجاز والحكم به دون مذهب أبي حنيفة الذي أجبرت دولة الترك شرفاء مكة على تقليده — فلم يقبل فغضب عليه، ولعل هذا سبب ما أرسله الي من مكة وقتئذ في الطعن على الملك حسين، ووصف ظلمه واستبداده وقسوته في سجنه وغيره مما نشرته وقتئذ، واعتمدت عليه في الخطاب العام الذي وجهته الى العالم الاسلامي في القيام عليه

ثم سعى لدى شيخ الازهر في مصر لتقرير تدريس هذا المذهب في الازهر، فلم يقبل، وأنا لم أنكر عليه هذا السعي لان مذهب الزيدية في الفقه كغيره من المذاهب الاربعة التي تدرس في الازهر وقلما يخالف بعضها في حكم الا ويكون موافقا لآخر منها . وإنما كنت أعارضه قولا وكتابة هذا الغلو في العلويين الذي تأباه حالة البشر الاجتماعية في هذا العصر الذي فشت فيه فكرة المساواة ومايسمونه (الديمقراطية) وهم مهما يكن من غلوهم في تعظيم آل البيت النبوي فلن يصل إلى غلو من قبلهم من الشيعة الظاهرية والباطنية وكله عرضة للضعف فالزوال

وقد عرضت عليه وعلى غيره في تلك الاثناء رأيا لن يجد العلويون من الحضارمة ولا من غيرهم أمثل منه لاحياء مجد آل البيت النبوي وحمل جميع المسلمين على حفظ كرامتهم واعلاء شأنهم وتفضيلهم على غيرهم بالطوع والاختيار وهو ما سأذكره في النبذة التالية ان شاء الله تعالى



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ ق　برج الثور سنة ١٣١١ هـ ش　ابريل سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(بقيـة خلاصة سورة براءة — التوبة)

الباب الثالث

في دين الاسلام وما في السورة من حججه وأصوله وصفات أهله وفيه ٣ فصول

﴿ الفصل الاول في حجج الاسلام من البشارات والنذر والاخبار بالغيب وهي عشر ﴾

(الاولى) قوله تعالى في الآية الاولى (واعلموا انكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين)

(الثانية) قوله (١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم)

(الثالثة) قوله في الآية (٢٨ وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)

(الرابعة) بشارته بخذل اليهود والنصارى فيما يحاولون من اطفاء نوره تعالى (الاسلام) ووعده باتمامه واظهار دينه على الدين كله وذلك في الآيتين (٣٢ و٣٣ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم - إلى قوله - ولو كره المشركون)

(الخامسة) قوله تعالى (٦٤ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم)

(السادسة) قوله (٦٥ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية ولذلك كله ولما سيأتي قال (٧٨ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب)

(السابعة والثامنة والتاسعة) قوله (٩٤ يعتذرون اليكم إذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم) الآية وقوله (٩٥ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم - وقوله - (٩٦ يحلفون لكم لترضوا عنهم) الآيات وهي أظهر في خبر للغيب من قوله (٥٦ ويحلفون بالله انهم لمنكم) وقوله (٦٢ يحلفون بالله لكم ليرضوكم) لاحتمال أن يكون الاخبار بهذين الحلفين بعد وقوعهما لبيان غرضهم وما في باطنهم وهو تعليل حلفهم في الاية ٩٦

(العاشرة) قوله (١٠١ وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) أي في الدنيا وقد تم كل ذلك وصدق وعد الله ووعيده

وفي السورة أخبار أخرى بالغيب يحتمل أن تكون من باب طبيعة العمران وسنن الله في البشر وترى مثاله في الفصل الثالث من الباب الأول

(الفصل الثاني)

﴿ في صفة الاسلام ومدخله واهم أصول التشريع فيه - وفيه عشرة أصول ﴾

(الاصل الاول) أن دين الاسلام هو نور الله تعالى العام، وهداه الكامل التام، الذي نسخ به ما تقدمه من الاديان ، ووعد الله عز وجل باتمامه ، وخذلان مريدي إطفائه ، وذلك نص الآيتين (٣٢ و ٣٣) وتجد في تفسيرهما [من ص ٣٨٣- ٣٩٤ ج ١٠] ما لا تجد مثله في شيء من كتب التفسير الاخرى من إظهاره على جميع الاديان، بالحجة والبرهان ، والهداية والعرفان، والعلم والعمران، والسيادة والسلطان،

(الاصل الثاني) مدخل الاسلام ومفتاحه وما يتحقق به وهو قوله تعالى في المشركين (٥ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ويؤكدها قوله (١١ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) والمراد التوبة من الشرك ويحصل بالاقرار بالشهادتين ، وتجد في تفسيرهما خلاف العلماء في كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة من أفراد المسلمين (ص ١٦٨ و ١٨٧ ج ١٠)

(الاصل الثالث) بناء الاسلام على العلم الصحيح دون التقليد الذي ذمه القرآن في آيات كثيرة وشنع به على المشركين . وذليله في هذه السورة قوله تعالى في تعليل الامر باجارة المشرك الحربي في دار الاسلام ليسمع القرآن (٦ ذلك بأنهم قوم لايعلمون) وقوله في الآية (١١ ونفصل الآيات لقوم يعلمون) وأصرح منها قوله في مقلدة أهل الكتاب (٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) مع تفسير النبي ﷺ ذلك باتباعهم إياهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم [ص ٣٦٣ ج ١٠]

[الاصل الرابع] ان التكليف العام من العبادات والحلال والحرام الديني لا يثبت الا بنص قطعي وهو ما كان عليه السلف الصالح وأصل مذهب الحنفية وشاهده في هذه السورة قوله تعالى [١١٥ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون] وبيانه في تفسيرها [ص ٦١ ج ١١]

(الاصل الخامس) جهاد المشركين في سبيل الله وعدم السماح لهم بالاقامة في بلاد العرب أو يدخلوا في الاسلام وهو في آيات منها الآية التي سموها آية السيف وهي الخامسة (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وهي غير ناسخة لآيات العفو والصفح والإعراض عن المشركين كما قيل وترى في تفسيرها تحقيق الآيات الناسخة والمنسوخة (ص ١٦٦ ج ١٠) وسنأتي أحكام القتال وقواعده في الباب الرابع الآتي

(الاصل السادس) جعل الغاية من قتال أهل الكتاب أداء الجزية لنا بشرطها إلا ان يدخلوا في الاسلام . وهو في الاية ٢٩ وستذكر في أحكام القتال

[الاصل السابع) المساواة بين الرجال والنساء في ولاية الايمان المطلقة وصفاته الشخصية والعامة المشتركة في قوله (٧١ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) ويدخل في إطلاق الولاية ولاية النصر والدفاع عن الامة والبلاد، إلا انه لايجب على النساء القتال الا في حال النفير العام (ص ٥٤١ ج ١٠)

(الاصل الثامن) المساواة بين الرجال والنساء في جميع نعيم الآخرة تبعاً للمساواة في التكليف ، وهو نص قوله تعالى(٧٢ وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات)الخ

(الاصلان التاسع والعاشر) وجوب طلب العلم والتفقه في الدين ـ ووجوب بث العلم مقرونا بالوعظ والانذار الذي يرجى تأثيره النافع ـ وهما في الآية ١١٦

وفي السورة من أصول الايمان عقيدة البعث وجزاء المؤمنين والكافرين والمنافقين في آيات كثيرة كسائر القرآن (تراجع الآيات ٣ و ١٧ و ١٨ و١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٣١ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٩ و ٦١ و ٦٣ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٤ و ٨١ و ٩٥

وفائدة هذا التكرار أن ترسخ هذه العقيدة في قلوب المتعبدين بتلاوة القرآن بكثرة تذكرها في المواضع المختلفة من ذكر الاعمال التي يترتب عليها ذلك الجزاء وان من ضروب إعجاز القرآن أن يرد فيه المعنى الواحد في العشرات أو المئات من المواضع ، ولا يمل تكراره القارىء ولا السامع

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في آيات الايمان الصادق وصفات أهله وطبقاتهم وفيه ٣٢ شاهداً)

(الشاهد الاول) آية صدق الايمان المميزة بين الصادقين والمنافقين ومرضى القلوب التي تظهر بالامتحان وهو الجهاد وحفظ أسرار الملة والدولة أن يفضى بها إلى وليجة أو بطانة من دون المؤمنين ومنهم جواسيس الاعداء . وهو نص الآية ١٦ (ص ٢٠٢ ج ١٠)

(٢) آية صدق الايمان وماينافيه من ولاية الآباء والاخوان الذين يستحبون الكفر على الايمان في الآية ٢٣ (ص ٢٢٣ ج ١٠)

(٣) آية صدق الايمان تفضيل حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على حب

الآباء والابناء والاخوان والعشيرة والمال والتجارة والمساكن المرضية . وذلك مفصل في الآية ٢٤ وتجد من بيان معانيها في تفسيرها مالا تجد مثله في شيء من كتب التفسير (ص ٢٢٥ ـ ٢٤٢ منه)

(٤) أخوة الاسلام الدينية في الآية ١١ وتفسيرها في (ص ١٨٧ و ١٩٠)

(٥و٦) عمارة مساجد الله حسا ومعنى وعدم خشية أحد إلا الله في الآية ١٨

(٧) ولاية بعض المؤمنين لبعض ذكوراً وإناثا (٨) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٩) طاعة الله ورسوله ـ في الآية ٧١ (*)

(١٠) صفات المؤمنين المميزة لهم من المنافقين في المقابلة بين الآيتين ٤٤ و٤٥ (ص ٤٦٨ و٤٦٩) وبين الآية ٦٨ وما بعدها (ص ٥٣٣) والآية ٧١ وما بعدها (ص ٥٤١)والآية ٨٦ وما بعدها (ص ٥٨١) والآية ٨٨ وما بعدها (ص٥٨٢) وبين الآيتين ٩٨و٩٩(ص٩ـ١٢ج١١) وبين الآيات ١٢٤ـ ١٢٧ (ص٨٢ منه)

(١١) طبقات خيار المؤمنين الثلاث: المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان في الآية المتممة للمائة(ص١٣ منه)وفي الآية ١١٧ (ص٦٤ منه)

(١٢) المؤمنون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا في الآية ١٠٢ (ص٢٠ منه) والمؤمنون الذين أرجأ الله قبول توبتهم في الآية ١٠٦ (ص٣٥ منه)

(١٣) الاخلاص في الانفاق في سبيل الله ابتغاء القربات عند الله ، وصلوات الرسول أي أدعيته ـ الآية ٩٩

(١٤) العمل النافع للدنيا والدين الذي يرضي الله ورسوله والمؤمنين ـ الآية ١٠٥

(١٥) حب التطهر من الادران الحسية والارجاس المعنوية ـ الآية ١٠٨

(١٦) بيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم لله تعالى بالجنة في الآية ١١١

(١٧ـ٢٥) صفات هؤلاء المؤمنين : التوبة. العبادة الخالصة . الحمد لله على كل حال . السياحة . ركوع الخضوع . سجود الخشوع . الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله في الآية ١١٢

*) وفي هذه الآية اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما أهم أركان الاسلام العملية كما تقدم في ذكر أصوله

الباب الرابع

(في المسائل المالية والعسكرية والسياسية ، ومافيها من احكام القتال والعهود . وفيه ٣ فصول)

﴿ الفصل الاول في احكام الاموال ﴾

(تقدم في سورة الانفال أحكام الغنائم وما في معناها من أموال الحرب وفرض الخمس فيها ومصارفه وحق آل الرسول ﷺ فيه وحكمته وما للامة فيه من المصلحة، وبيان أنواع الاموال الشرعية في الاسلام وامهات مقاصدها في الدولة الاسلامية . فما في هذه السورة متمم لما قبله في الاموال كما انها متممة لما فيها من احكام القتال وشؤون المنافقين والكفار

والكلام في هذا الموضوع ثلاثة أقسام (١) المسائل الدينية والاجتماعية في الاموال (٢) أنواع الاموال ومصارفها (٣) فوائد اصلاح الاسلام المالي للبشر

(القسم الاول)

﴿ في مكان انفاق المال من الايمان، والبخل به من النفاق، وفيه ١٠ مسائل ﴾

(المسألة الاولى) كون الزكاة المعينة أحد أركان الاسلام لا تقبل دعواه بدونها، ولا تحصل اخوته الدينية الا بأدائها ،واعتبار ما نعيها من الجماعات مرتدين تجب مقاتلتهم وفي الأفراد خلاف تقدم تحقيق الكلام فيه . ونص ذلك في قوله تعالى (٥ ـ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقوله (١١ ـ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) ويؤكده عد الزكاة كالصلاة من صفات المؤمنين الراسخة في آية (٧١ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) الخ

(م ٢) كون بذل الاموال في سبيل الله آية الايمان الصحيح وقوام الدين، ومن شواهده الآيتان المشار اليهما آنفا في فريضة الزكاة، ومنها الآية (٢٠ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) إلى قوله في الاية (٢٢) إن الله عنده أجر عظيم * ومنها الوعيد الشديد لمن أمواله وتجارته وسائر حظوظه أحب اليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله في الآية (٢٤) ومنها قوله تعالى في آية النفير العام (٤١ انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) وقوله (٤٤ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) ويتم معناها الآيتان بعدها ومنها قوله تعالى (٥٥ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا)

(م ٣) كون البخل والامتناع عن الانفاق في سبيل الله آية الكفر والنفاق فمن شواهده عدم قبول نفقة المنافقين وكون أموالهم بلاء ووبالا عليهم في الدنيا والاخرة في الآيات ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ (ومنها) لمز المنافقين للنبي ﷺ في قسمة الصدقات للطمع في المال في الاية ٥٨ (ومنها) وصف المنافقين بالبخل وقبض الايدي عن الانفاق في قوله (٦٨ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض - إلى قوله - ويقبضون أيديهم) ويؤكدها ضرب المثل لهم في الاية ٧٠ بعدها بالذين من قبلهم من المغرورين بالقوة والمال ووصف المؤمنين بعدها بصفات منها (إيتاء الزكاة)

(ومنها) قوله تعالى (٧٥ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الاية والوعيد الشديد على البخل في الايات التي بعدها (ومنها) لمز المنافقين للمتطوعين من المؤمنين في الصدقات في الاية ٧٦ ومنها (٨١ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) الاية

(م ٤) وصف كثير من رؤساء الدين من أهل الكتاب بأكل أموال الناس بالباطل تحذيراً من فعلتهم، ورفعا لقدر كل مسلم أن يسف ويسفل الى دركتهم

(م ٥) الوعيد على كنز الاموال وعدم انفاقها في سبيل الله في الآيتين (٣٤ و ٣٥ ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل — الى قوله — فذوقوا ما كنتم تكنزون)

(م ٦) آية (٩٨ ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما) وهم منافقوهم كبني أسد وغطفان كانوا يعطون الصدقات رياء وخوفا لا يرجون منها نفعا بتأييد الاسلام ولا ثوابا في الآخرة لعدم ايمانهم، فهي في نظرهم مغارم يلتزمونها ليصدقوا بما يظهرون من اسلامهم، وهكذا شأن المنافقين في الدين وفي القومية والوطنية لايبذلون شيئا من مالهم لاجل المصلحة العامة ، بل للرياء والسمعة ، وهو في نظرهم غرامة

(م ٧) آية (٩٩ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) وهم بنو أسلم وغفار وجهينة وحسبك شهادة الله تعالى لهم بصدق إيمانهم وحسن نيتهم في نفقاتهم ، وحكمها عام

(م ٨) الترغيب في الصدقات بالتعبير عن قبولها والاثابة عليها باخذ الله عز وجل لها كما في الآية (١٠٤)

(م ٩) الترغيب فيها بقوله تعالى (١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة) الآية

(م ١٠) فضل النفقة في الجهاد قلت او كثرت وكون الجزاء عليها احسن الجزاء وهو نص الآية (١٢١) وتفسيرها في ص ٧٦ ج ١١

(القسم الثاني)

(أنواع الاموال الشرعية وأحكامها بالاجمال ومصارفها وفيه ١٤ مسألة)

(١) مال الجزية — وقد بينا معناها وتاريخها وأحكامها وشروطها في تفسير آية الجزية(٢٩) وهو في ص ٢٨١ — ٣٠٦ ج ١٠

(٢) أنواع الصدقات الواجبة المقدرة الموقوتة وهي النقدان من الذهب والفضة والتجارة في استغلالها والأنعام والزرع الذي عليه مدار الاقوات والركاز وهو المدفون في الارض يعثر عليه والمعدن (ص ٤٨٩ و٥٠٨ ج ١٠)

(٣) سهم الفقراء والمساكين وهل هما صنفان أو صنف واحد ينقسم بالوصف الى قسمين ؟ (راجع ص ٤٩٠ ج ١٠)

﴿ فصل في فوائد الزكاة المفروضة والصدقات واصلاح الاسلام المالي للبشر ﴾
(وامتياز الاسلام بذلك على جميع الاديان)

وفيه مقدمة في منافع المال وارتباط جميع مصالح البشر الدنيوية والدينية به وشأنهم في حبه وكسبه وانفاقه وامساكه، وارشاد الدين فيه، وكون الاسلام وسطا بين اليهودية والمادية فيه، وغلو عباده من اليهود والافرنج في جمعه واستغلاله ـ وبين بدعة البلشفية الاشتراكية في مقاومة الشعوب والدول المالية وغلوها في ذلك وفي هدم الاديان. وتلخيص الاصلاح الاسلامي المالي في أربعة عشر أصلا ـ فراجع في ص ٢٧ ـ ٣١ ج ١١

(الفصل الثاني في أحكام القتال والمعاهدات والصلح وهي ٢٠ حكما)

(الحكم الاول) البراءة من المشركين ونبذ عهود المعاهدين منهم، ذلك أن مشركي مكة قد ناصبوا النبي ﷺ العداوة منذ دعا الى التوحيد وتبعهم سائر العرب فكانوا حربا له ولمن آمن به يقتلون كل من ظفروا به منهم أو يعذبونه اذا لم يكن له من يحميه من المشركين، ولما هاجروا من مكة صاروا يقاتلونهم في دار هجرتهم وكان الله ينصر رسوله والمؤمنين عليهم كما وعده . حتى اذا ما كثروا وصارت لهم شوكة اضطر المشركون الى عقد أول صلح معهم في الحديبية فعاهدوهم سنة ست للهجرة على السلم والامان مدة عشر سنين ولم تلبث قريش مع أحلافها من بني بكر أن غدروا ونقضوا العهد فكان ذلك سببا لفتح النبي ﷺ مكة سنة ثمان ، ثم جمع المشركون جموعهم لقتاله في حنين والطائف فنصره الله عليهم ، وأمره في السنة التالية بأن ينبذ للمشركين عهودهم ويتبرأ منهم في موسم الحج (ص ١٩ ج ١٠)

(الثاني) أذان المشركين (إعلامهم) بذلك أذانا عاما في يوم الحج الاكبر وهو عيد النحر الذي تجتمع به وفود الحاج بمنى من جميع القبائل بحيث يعم هذا البلاغ جميع قبائل العرب في اقرب وقت ، لان الاسلام يحرم الغدر وأخذ المعاهدين على غرة . فكان لابد من اعلامهم بذلك بما ينتشر في جميع قبائلهم ، وكانت تلك الوسيلة الوحيدة لعلم كل فرد بعود حالة الحرب بينهم وبين المسلمين، وهذا من عدل الاسلام ورحمته لان المشركين لم تكن لهم دولة ولا رئيس عام يبلغهم مايتعلق بشؤونهم ومصالحهم العامة فيكتفى بابلاغه مثل هذا كما هو المعهود في الدول الملكية أو الجمهورية المدنية، ولم يكن في عصرهم صحف منتشرة عامة ولا آلات للاخبار البرقية تنشر مثل هذا البلاغ

(الثالث) منحهم هدنة اربعة اشهر يسيحون في الارض حيث شاؤا آمنين مطمئنين أحراراً في سيرهم وإقامتهم وسائر اعمالهم الدينية والدنيوية ليتروّوا في امرهم، ويتشاوروا في عاقبتهم . وفي هذا من رحمة القادر بعدوه مايفتخر به المسلمون بحق ـ وهذه الاحكام صريحة في الآيات الثلاث الاولى من السورة (ص ١٤٩ ج ١٠)

(الرابع) وعظهم بأنهم إذا تابوا من شركهم وما يغريهم به من عداوة المؤمنين

وقتالهم والغدر بهم فهو خير لهم ، لانهم لن يعجزوا الله في الارض ولن يعجزوه هربا منها، وقد وعد بنصر رسوله عليهم من قبل ان يكثر أتباعه ويبايعه انصاره، وأنجز له وعده في جملة غزواته معهم ، وسبب هذا الوعظ ان الايمان امر اختياري طريقه الموصل اليه الدعوة ودلائل الاقناع ، وذلك قوله في بقية الآية الثالثة (فان تبتم فهو خير لكم) الخ وفيها من الإخبار عن المستقبل ماصدقه الواقع

(الخامس) استثناء بعض المشركين من نبذ عهدهم وهم الذين عاهدهم المؤمنون عند المسجد الحرام في الحديبية سنة ست ولم ينقصوهم من شروط العهد ومواده شيئاً، ولم يظاهروا ويعاونوا عليهم احداً من أعدائهم المشركين ولا اهل الكتاب، كما نقض اهل مكة العهد بمظاهرة أحلافهم بني بكر على احلاف النبي ﷺ بني خزاعة ، والامر باتمام عهدهم إلى نهاية مدته ، وتعليله بأنه من التقوى التي يحبها الله تعالى . وهذا نص الآية الرابعة بشرط ان يظلوا مستقيمين عليه كما بينه في الآية السابعة

(السادس) الاذن في الاية الثامنة باستعمال جميع اسباب القتال معهم بعد انسلاخ أشهر المدة التي ضربت له وحرم فيها ، وهي القتل والاسر والحصر والقعود لهم في جميع المراصد لمراقبتهم لمنعهم من التجوال والتقلب في البلاد، وهو يدل على شرعية استعمال ما يتجدد بين البشر من وسائل القتال الموافقة لاصول الاسلام العادلة الرحيمة — فان استعمل العدو ماهو مخالف لها قابلناه بالمثل لعموم قوله تعالى (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله)

(السابع) تخلية سبيل من يتوبون من الشرك بالنطق بالشهادتين ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، لانهم بهذا يدخلون في الاسلام، ومن قبل الصلاة والزكاة والتزمهما فلابد أن يلتزم غيرهما . وهذا نص الآية الخامسة

(الثامن) ايجاب إجارة من يستجير النبي ﷺ منهم — وفي حكمه الامام الاعظم ونائبه والقائد العام في حال الحرب — لاجل ان يسمع كلام الله ويقف على دعوة الاسلام وإبلاغه بعد ذلك المكان الذي يأمن فيه على نفسه من سلطان المسلمين

(التاسع) تعليل نبذ عهد المشركين السابق وعدم استثنائه معهم بالاسباب الآتية

(ا) انهم نقضوا عهد الحديبية بالغدر فلم يخبروا المؤمنين بذلك ليأخذوا اهبتهم

(ب) ان من دأبهم وشأنهم انهم إذا ظهروا على المؤمنين برجحان قوتهم لا يرقبون فيهم عهداً ولا ذمة ولا قرابة، بل يفتكون بهم بدون رحمة

(ج) انهم ينافقون ويكذبون عليهم في حال الضعف فيرضونهم بأفواههم، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وأكثرهم اي السواد الاعظم منهم فاسقون اى خارجون من قيود العهود والمواثيق والصدق والوفاء.

(د) انهم يصدون عن سبيل الله ويعادون الاسلام وأهله لاجل منفعة قليلة يتمتعون بها ويخافون ان تسلب منهم بالتزام شريعته التي تحرم اكل اموال الناس بالباطل كالربا والقمار والغزو

(ه) انهم—على كونهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة في حال القوة ولا في حال الضعف—هم المعتدون على المسلمين بالقتال، فلا يمكن أن يظلوا معهم كذلك في كل حال

(و) انهم نكثوا عهودهم السابقة، فكذلك ينكثون غيرها فلا ثقة بها فتراعى

(ز) انهم هموا باخراج الرسول من وطنه ، بل هم الذين اضطروه الى الخروج هو وسائر من آمن معه ، وذلك بعد ان تواطؤا على قتله

(ح) انهم هم الذين بدؤا المؤمنين بالقتال أول مرة، وبقيت الحرب مستمرة، فلما أنهت معاهدة الحديبية حالة القتال أعادوها بغدرهم فيها ونقضهم لها ، وهذه الاسباب الثمانية صريحة في الآيات ٧—١٠

(الحكم العاشر) وجوب قتال مشركي العرب كافة الا أن يسلموا وهو نص الاية الخامسة المعروفة بآية السيف ، وقوله في الاية ٣٦ (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ووجهه ماعلم من جملة الايات في قتال مشركي العرب وهو عدم قبول الجزية منهم وعدم إقرارهم على السكنى والمجاورة للمسلمين في بلادهم ،مع بقائهم على شركهم لانهم لا أمان لهم ولا عهود فيمكن ان يعيش المؤمنون معهم بسلام

(الحكم ١١) تحريم ولاية الكفار من الآباء والاخوان كغيرهم على المؤمنين وكونها من الظلم العظيم في الآية ٢٣

(الحكم ١٢) حكم قتال أهل الكتاب بشرطه حتى يعطوا الجزية في الآية (٢٩)

ومن فروع هذه المسألة الفرق في القتال بين مشركي العرب وسائر الوثنيين.
ومنها أن ما في هذه السورة من قتالهم وقتال أهل الكتاب انما هو في بيان غايته لا في بدايته ، وان أول ما نزل من التشريع في القتال آيات سورة الحج (٢٢ : ٣٩) ثم آيات سورة البقرة التي أولها ٢ : ١٩٠ (راجع آخر ص ٢٧٩ ج ١٠ ومابعدها وص ٢٨٩) ويليها آيات سورة الانفال فسورة آل عمران فسورة محمد فهذه السورة

(الحكم ١٣) وصف أهل الكتاب الذين بين حكم قتالهم هنا بأربع صفات سلبية هي علة عداوتهم للاسلام ووجوب خضوعهم لحكمه (فيراجع تفسير آية الجزية في ص ٢٨١ وما بعدها)

(فصل في حقيقة الجزية لغة وشرعا وتاريخها وشروطها وأحكامها وسيرة الصحابة فيها) ص ٢٩٠ — ٣٠٦ ج ١٠
﴿ استطراد في حقيقة معنى الجهاد والحرب والغزو وإصلاح الاسلام فيه ﴾ ص ٣٠٦ — ٣١٢ ج ١٠
﴿ فصل في دار الاسلام والعدل . ودار الحرب والبغي ، وحقوق الاديان والاقوام في هذا العصر ﴾ ص ٣١٣ — ٣٢١ ج ١٠

(الحكم ١٤) ابطال النسيء في الاشهر لاجل القتال وكونه تشريعا جاهليا وهو نص الآية ٣٧

(الحكم ١٥) النفير العام، وهو مايكون القتال به واجبا بشرطه على الاعيان كما فصل في الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤١ وأما النفير الخاص فهو في الاية ١٢٢

(الحكم ١٦) الاستئذان في التخلف عن الجهاد بالمال والنفس من علامات النفاق ومنافيات الايمان بالله واليوم الآخر كما ترى في الآيتين ٤٤ و ٤٥ وما قبلهما وبعدهما من أحوال المنافقين وتتمة ذلك في الآيات ٨٦ — ٩٣

(الحكم ١٧) وجوب مجاهدة الكفار والمنافقين في المعاملات المدنية والادبية وهم الخاضعون لأحكام الاسلام كما في الآية (٧٣)

(الحكم ١٨)الاعذار المبيحة للتخلف عن الجهاد في قوله تعالى (٩١ ليس على الضعفاء ولا على المرضى) الى آخر الآية ٩٣

(الحكم ١٩) وجوب بذل الانفس والاموال في القتال المشروع لاعلاء كلمة الله وهي الحق والعدل باشتراء الله إياهما من المؤمنين بأن لهم الجنة ، وهو نص الآية ١١١ وتقدم تحريم الفرار من الزحف في سورة الانفال

(الحكم ٢٠) قتال الاقرب فالاقرب من الكفار الحربيين وهو نص الآية ١٢٣

﴿الفصل الثالث﴾

في القواعد والاصول السياسية والحربية المأخوذة من المسائل والاحكام السابقة

وهي ١٣ أصلا

(١) جواز البراءة من العهود ونبذها للمعاهدين لدفع المفاسد المترتبة على بقائها . وهو في الآيتين الأولى والثانية من السورة

(٢) عقد المعاهدات مع الدول والأمم من حقوق الامة لأن لها غنمها وعليها غرمها ، وإنما يعقدها الامام أو نائبه من حيث إنه هو الممثل لوحدة الأمة . وهو منطوق إسنادها الى المؤمنين في قوله في الآية الأولى (عاهدتم من المشركين) مع العلم بأن الذى تولى العقد وكتب باسمه في الحديبية هو النبي ﷺ

(٣) نبذ المعاهدات يجب أن يذاع وينشر بحيث يعرفه المخاطبون بالعمل به كما أمر الله بالاذان به يوم الحج الاكبر ، والاذاعة تختلف باختلاف الازمنة والامكنة وأحوال البشر في حضارتهم وبداوتهم

(٤) وجوب الوفاء بالمعاهدة ما دام الطرف الآخر من الاعداء يفي بها ولا ينقص منها شيئاً كما ترى في الآيات ٤و٧و١٢و١٣ إكمالا لما تقدم في سورة الانفال

(٥) المعاهدة الموقوتة تنتهي بانتهاء مدتها بنص قوله تعالى (فأتموا اليهم

عهدهم الى مدتهم) وقوله — (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)

(٦) ان القبائل والشعوب التي ليس لها دين ولا شرع يحرم عليها نقض العهود وجرب عليها نكثها للايمان لا يجب التزام معاهداتها السابقة ولا تجديد ما انتهت مدته منها كما تراه مفصلا في الآيات الثلاث عشرة الأولى من السورة ، ودول الافرنج تعمل بهذه القاعدة فلا تعقد المعاهدات الا مع الدول المنظمة التي تلتزم الشرائع والقوانين الدولية

(٧) الهدنة بين المحاربين مشروعة وللمسلمين أن يبدأوا بها اذا اقتضت ذلك المصلحة ومنها الرحمة بالمشركين فيما لا يضر المؤمنين ، وهو نص قوله تعالى في الآية الأولى (فسيحوا في الارض أربعة أشهر)

(٨) تأمين الحربي بالاذن له بدخول دار الاسلام جائز للمصلحة فاذا استأمن لأجل سماع كلام الله أو الوقوف على حقيقة الاسلام وجبت إجارته ثم إبلاغه مأمنه عند الخروج من دار الاسلام، وهو في الآية السادسة

(٩) انتهاء قتال مشركي العرب منوط بالدخول في الاسلام ومفتاحه التوبة من الشرك والتزام أحكام الاسلام وأهمها ركنا الصلاة والزكاة

(١٠) انتهاء قتال أهل الكتاب ومن في معناهم يناط بالاسلام أو باعطاء الجزية مع الخضوع لأحكام شرعنا كما ترى في آية الجزية ٢٩ وفي تفسيرها بيان حكم سائر الملل

(١١) النفير العام الذى يكون به الجهاد فرضاً على الاعيان في الآية ٤١ وترى في تفسيرها ما تكون به فرضيته ، وما يكون به فرض كفاية

(١٢) امتناع نفر المؤمنين كلهم للجهاد في غير حال النفير العام في الآية

(١٣) العجز عن القتال أو عن الخروج اليه عذر في التخلف عنه وتجد بيان أنواعه الشخصية والمالية في الآيات الثلاث ٩١ — ٩٣ وهي تختلف باختلاف أحوال الزمان والمكان والاستعداد للقتال

الباب الخامس

(في شؤون الكفار والمنافقين وحكم الاسلام عليهم وسياسته فيهم وفيه فصول)

﴿ الفصل الاول في ذم القرآن للكفار والمنافقين ونزاهته فيه عن السب والشتم ﴾

(تنبيه وتمهيد)

الذم الوصف بالقبيح ، والسب والشتم ما يقصد به التعيير والتشفي من الذم سواء كان معناه صحيحاً واقعاً أو افكا مفترى ، والقرآن منزه عن ذلك ، قال تعالى (٨:١٠٨ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) فنهي عن سب آلهة الكفار ومعبوداتهم ومنها الاصنام ، وقال النبي ﷺ « المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان » رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد من حديث عياض بن حمار بسند صحيح . فما في القرآن من ذم الكفار والمنافقين بيان لحقيقة حالهم وقبح أعمالهم ، وما يعقبها من الفساد والضرر بهم وسخط الله تعالى عليهم ، واستحقاقهم لعقابه ، وبعدهم من رحمته وثوابه ، بقصد الانذار والوعظ ، لاجل التنفير والزجر ، ولذلك تراها موجهة اليهم بوصفهم أو الى وصفهم العام : المشركين، الكافرين ، المنافقين، الفاسقين ،الظالمين،المجرمين،المفسدين. أو الخاص بطائفة منهم كبعض الاحبار والرهبان دون الاشخاص المعينين باسمائهم وألقابهم ، مهما يكن من شدة كفرهم وايذائهم للنبي ﷺ والمؤمنين كعبد الله ابن أبي بن سلول رئيس المنافقين الذي كان شرهم وأجرأهم على الضرر ، فقد كان ضرره في المدينة أشد من ضرر أئمة الكفر والشرك في مكة (كابي جهل)

ومن اطلع على شيء من هجاء العرب وسبابهم البذيء وقذعهم الفاحش أدرك نزاهة القرآن، وعلوه عن مثل بذاءتهم في الكلام

ويستثنى من هذه القضية الكلية في ذم الشخص المعين من أعداء الاسلام والرسول (ص) ما نزل في ذم أبي لهب وامرأته في سورة وجيزة لما بيناه من حكمة ذلك في قصة ابراهيم مع أبيه آزر والاستطراد إلى آباء الانبياء وأولي قرباهم

وما صح في الاحاديث في أبوي النبي ﷺ وعميه أبي طالب وأبي لهب ، لاثبات قاعدة عظيمة في الفرق بين دين الله تعالى على ألسنة أنبيائه ورسله والاديان الوثنية ، وهي أن دين الله تعالى مبني على أن مدار السعادة والنجاة من عذاب الآخرة والفوز بنعيمها انما هو الايمان الصحيح والاعمال الصالحة التي تتزكى بها الانفس وتكون بصفاتها العالية أهلا لجوار الله تعالى ومرضاته . وأن الاديان الوثنيه مبنية على أن السعادة والنجاة والفوز إنما تكون بوساطة بعض المخلوقات التي توصف بالولاية والقداسة أوالنبوة ويدعى لها التأثير في النفع والضر بأنفسها أو بالشفاعة عند الله تعالى وكونها تحابي بشفاعتها ووساطتها أولي القرابة منها والتقرب اليها بالمدح لها والاستغاثة بها وذعائها من دون الله أو مع الله عز وجل

وقد كان ابو لهب اغنى بني هاشم ومن اكثر المشركين غروراً بماله وثروته ونشبه ونسبه وكان بهذا الغرور اول من جاهر بعداوة ابن اخيه (محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه) محتقراً له لانه كان هو وابوه الذي لم يدركه وعمه الذي كفله بعد جده افقر بني هاشم ، وقال له حين جمع عشيرته وبلغهم دعوة ربه امتثالا لامره (وانذر عشيرتك الاقربين) : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ وكان يقول لقريش : خذوا على يديه ، قبل أن تجتمع العرب عليه . وكان أشد المشركين صدا للناس عنه وتكذيباً له كلما دعا أحداً منهم إلى الاسلام ، وكان كلامه مقبولا عندهم أكثر من كلام سائر الرؤساء الذين جاهروا بعداوته كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي سفيان بن حرب لقرابته ، وكذلك كانت امرأته أم جميل أخت أبي سفيان مسرفة في عداوته وذمه والصد عن دعوته بالنميمة ونقل الاخبار الكاذبة عنه لتبغيضه للناس ، وهو المراد من كنيتها « حمالة الحطب » كما هو معروف عند العرب . وروي انها كانت تجمع الحطب الشائك وتلقيه في طريقه بالفعل ، ومع هذا كله لم تكن السورة التي نزلت فيه الادعاء عليه بالتباب وهو الخسار المفضي إلى الهلاك أو اخبارا به ، وبكونه لا يغني عنه ماله الكثير وما كسبه من الجاه والولد شيئاً - في مقابلة قوله للرسول ﷺ تبا لك سائر اليوم — فهو إخبار بعاقبة

امرها وموتهما على كفرهما ، وخسرانهما سعادة الدنيا والآخرة ، وقد صدق خبر الله ووعيده، فهو قد مات بعدوقة بدر التي ساعد عليها بماله ، آسفاً لعجزه عن الخروج اليها بنفسه ، فذاق وبال امره بخذلان اقرانه من صناديد قريش ورءوس الشرك ، وخسران ماله الذي أنفقه فيها مصداقا لقوله تعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ورأى بعصداقها مبادىء عز الاسلام ونصره . مات بعدها بأيام قليلة بالعدسة شر ميتة، وترك ميتاحتى أنتن ، ثم استؤجر بعض السودان حتى دفنوه . وكان نجم بعد نزول السورة بولده عتبة الذي كان يعتز به، افترسه أسد في طريق الشام ، ولو أسلم كما أسلم أخوه وثانيه في جمع المال (العباس رضي الله عنه) لرأى مثل مارأى هو وذريته من عز الاسلام، وصدق ابن أخيه عليه أفضل الصلاة والسلام، في وعده لهم بأن كلمة «لا إله إلا الله» تجمع عليهم العرب ، وتدين لهم بها العجم .

ذكرت هذا التنبيه الطويل لبيان غلط بعض العلماء في قولهم إن القرآن اشتمل على سبهم وسب آلهتهم، وتفنيداً لما يهذي به بعض ملاحدة الكتاب في المقارنة بين أدبه والأدب الجاهلي. وما روي من قول رءوس المشركين للنبي ﷺ لقد سببت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة ـ فذكر السب والشتم فيه مبالغة في الانكار على أنه مرسل ضعيف السند وفيه رجل مبهم . وهاك ماوصف الله تعالى به أعداءه وأعداء رسوله والمؤمنين من هؤلاء المنافقين والكافرين في هذه السورة وهو أشده .

﴿ شواهد ذم القرآن النزيه للكفار والمنافقين ﴾

(١-٤) وصف المشركين في الآيات (٨و٩و١٠) بأنهم لا يرقبون ولا يراعون في أحد من المؤمنين إلا ولا ذمة، حتى قطعوا أرحامهم بهم خلافا لعاداتهم في عصبية النسب، وأنهم يصدون عن سبيل الله، وأن أكثرهم فاسقون وأنهم هم المعتدون.

(٥) قوله تعالى في منعهم عن عمارة المسجد الحرام وغيره من التعبد فيه (١٧ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون)

(٦) قوله تعالى (٢٨ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وكانت نجاستهم معنوية وهي الشرك وخرافاته ، وحسية إذ كانوا يأكلون الميتة ولا يدينون بالطهارة من النجاسة ولا الحيض والجنابة

(٧ ـ ١٠) وصف كفار أهل الكتاب في الآية (٣٠) بأنهم باتخاذ ابن لله سبحانه يضاهئون قول الذين كفروا من قبلهم كوثني قدماء الهند والمصريين وقوله (قاتلهم الله أنى يؤفكون) ووصفهم في الآية (٣١) بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ،وفي الآية (٣٢) بأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم أي بكلامهم الباطل في الصد عن الاسلام ـ وفي الآية (٣٤) بأن كثيراً من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . وكل هذه الصفات ظاهرة معروفة في تاريخهم الماضي وسيرتهم في هذا الزمان، ومن دقائق الصدق في القرآن الحكم في مثل هذا على الكثير منهم دون العموم كما قال في المشركين (وأكثرهم فاسقون) ولم يعهد مثل هذا التحري في كلام البشر

وأما وصفه لشرور المنافقين وذمهم فيها فنلخصه فيما يأتي تابعاً في العدد لما قبله

(١١) ذكر في استئذان المنافقين واعتذارهم عن الخروج إلى غزوة تبوك وبيان ما يكون شأنهم لو خرجوا من ابتغاء الفتنة والافساد بين المؤمنين بالتثبيط وغيره ولم يزد فيها على قوله فيهم (والله عليم بالظالمين) وقوله (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (راجع الآيات ٤٢ — ٤٩)

(١٢و١٣) تعليل عدم قبول نفقاتهم في الآية ٥٣ بفسقهم وقوله بعده (٥٤وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون)

(١٤و١٥) وصفهم بعد اثبات استهزائهم فيما بينهم بالله وآياته ورسله واعتذارهم عنه بقولهم « انما كنا نخوض ونلعب » بأنهم كفروا بعد ايمانهم وأنهم كانوا مجرمين ثم قال بعد ذكر صفاتهم العامة من الآية ٦٧ (نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) اي الخارجون من محيط هداية الدين وسلامة الفطرة

(١٦) قوله في لمزهم وعيبهم للمتطوعين من المؤمنين في الصدقات وسخريتهم

منهم في الآية ٧٩ (سخر الله منهم ولهم عذاب اليم) وهذا التعبير يسمى بالمشاكلة اي عاقبهم بمثل جرمهم فجعلهم سخرية للمؤمنين بما فضح به نفاقهم الذي كانوا يخفونه

(١٧) قوله في تعليل عدم غفران الله لهم (٨٠ ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقوله في هذا المعنى (٨٤ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقد نزل هذا في زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول ولكن جعل حكم النهي عاما

(١٨و١٩) أشد ما وصفهم به في الآية (٩٥) أنهم رجس وانه كلما نزلت سورة من القرآن زادتهم رجسا إلى رجسهم، حتى ماتوا على كفرهم كما في الآية ١٢٥ وانهم عند نزولها ينصرفون من مجلس النبي ﷺ عند غفلة المؤمنين عنهم ثم قال (صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون) أي صرف الله قلوبهم عن الاهتداء بها بسبب انهم لا يفقهون ما فيها من البينات والهدى بمقتضى سنته في ارتباط الاسباب بمسبباتها وهذا آخر ما ذكروا به في هذه السورة من الآية ١٢٧

فانت ترى ان كل ما وصفوا به بيان لحقيقة حالهم بأنزه تعبير يدل عليه مقرونا بتلك الاعمال القبيحة والاخلاق السافلة والسرائر التي هي شر منها ـ وأن المراد بوصفهم التنفير منه لاعداد من فيه استعداد لقبول الحق بالرجوع اليه وقد تاب أكثرهم ولله الحمد

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في المنافقين وصفاتهم وأعمالهم وسياسة الاسلام فيهم)

النفاق خلق رديء ووصف خبيث تتلوث به الانفس الدنيئة الفاسدة الفطرة فلا يرى اهلها وسيلة الى مطامعهم في المال ومطامحهم الى الجاه الا الكذب والرياء، ولقاء الناس بالوجوه المختلفة، والتصنع والخداع ولين القول، كما قال تعالى فيهم (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) وهم يوجدون في كل شعب وكل قبيلة، لا تخلو منهم بادية ولا حاضرة . والنفاق قسمان: خاص وعام، فالخاص هو الشخصي الذي يحاول صاحبه لقاء كل أحد بما يرضيه

عنه ويحببه اليه ولا سيا الحكام وأصحاب الجاه والمناصب والثراء الذين يرجى الانتفاع منهم . فهو يلبس للصالحين منهم لباس التقوى والصلاح ، ويخلع للفساق جلباب الحياء ، ويفرغ على المستكبرين حلل الاطراء ، وهو اهون النفاقين

واما النفاق العام فهو مايكون في الدين والدولة ، وخيانة الامة والملة ، وما وجد النفاق في عهد الرسول ﷺ الا بعد الهجرة ، لما صار للاسلام قوة ودولة ، اذ اسلم اكثر الانصار بظهور نور هذا الدين القويم لهم ، ولم يكن لهم مصلحة دنيوية تحجب هذا النور عن بصائرهم ، او تحملهم على مكابرة الحق وجحوده ، ككبراء قريش المغرورين بثروتهم الواسعة ، وجاههم في العرب بسدانة البيت الحرام ، واستكبارهم على سائر الناس ، واسرافهم في التمتع بالسكر والزنا واكل الربا والشهوات ، فكانوا يرون أن الاسلام يساوي بينهم وبين سائر الناس في جميع الحقوق ، ويفضل الفقير التقي لله تعالى على الغني المسرف في الفسوق ، ويقتص للسوقة من الامراء والملوك ، ويحقر المتكبرين ، ويكرم المتواضعين ، ويزدري الظالمين والفاسقين ، فيسلبهم بهذا جميع مايمتازون به على دهماء الناس . ولهذا كان اكثر من اهتدى به في مكة الفقراء وبعض اصحاب الفطرة السليمة والعقول الحرة من الطبقة الوسطى وكان اعلاهم فطرة وأزكاهم نفسا أبوبكر الصديق وسائر العشرة الكرام المبشرين بالجنة

آمن بعض الاوس والخزرج أولا بلقاء النبي ﷺ في موسم الحج ودعوا قومهم الى الاسلام بعد عودتهم الى المدينة فصادفت دعوتهم رواجا لقوة المقتضي وهو التوحيد وفضائل الاسلام ، فلما كثروا هاجر الرسول ﷺ اليهم اذ عاهده نقباؤهم في منى على نصره ومنعه (اي حمايته والذب عنه) مما يمنعون انفسهم وأهليهم ، ومن المعقول ان يكون نور الاسلام لم يظهر لكل فرد منهم على سواء ، وان يكون منهم من اضطر الى الدخول فيما دخل فيه قومهم مواتاة لهم ، مع عدم وجود نظام لديانتهم الوثنية يرتبط به بعضهم ببعض فيقيمونه ويذبون عنه ، فكان منافقو المدينة من هؤلاء وممن حولهم من قبائل الاعراب الذين لم يعقلوا الاسلام ، كاسد وغطفان .

وكان هنالك يهود كثيرون يقيم اكثرهم في حصون لهم بالقرب من المدينة كبني قريظة وبني النضير ، وقد عاهدهم النبي ﷺ على حريتهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم، ولكنهم كانوا ينقضون عهده ويظاهرون عليه المشركين كلما جاؤا لقتاله ، بل كانوا يغرونهم ويحرضونهم عليه، فكانوا في اظهار الوفاء بعهده منافقين ، وكان لهم احلاف من عرب المدينة تحافظ على مودتهم منافقوها بالسر كما بينا ذلك كله في محله

فكانت سياسة الاسلام في الفريقين أن من اظهر الاسلام يعامل كما يعامل سائر المسلمين ، لان قاعدة الاسلام ان الحكم على الظواهر، وان الله تعالى وحده هو الذي يحاسب ويعاقب على السرائر ، وأن من حافظ على الوفاء بعهده من أهل الكتاب يوفى له ، وكان اليهود ينقضون عهدهم مع النبي ﷺ سرا ، فاذا ظهر شيء من خياناتهم وغدرهم اعتذروا عنه ، حتى اذا ما افتضح امرهم حاربهم ﷺ وأجلاهم عن البلاد، كما ترى في تفسير الآيات ٥٥ ـ ٥٨ من سورة الانفال (ص٤٨ ـ ٦٠ ج ١٠)

وقد قص الله علينا في سورة الحشر ماكان بين اليهود والمنافقين من الاخاء والولاء وانه لاخير فيه لاحد منهما على ان اليهود ظاهروا المشركين على النبي ﷺ ولكن المنافقين لم يفوا لليهود بما وعدوهم به من نصرهم اذا هم اظهروا عداوتهم لان المنافق القح دون المتدين الكافر همة وشرفا وخلقا . قال تعالى (٥٩: ١١ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب: لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ١٢ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون)

كان سبب معاهدة النبي ﷺ اليهود واقراره إياهم على دينهم ان الاسلام دين حرية وعدل ، ودعوته قائمة على البرهان والحجة ، ولذلك منع المسلمين من أخذ أولادهم الذين تهودوا وانضموا الى اليهود بالقوة ، وأمرهم بأن يخيروهم اذ نزل فيهم قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

وقد تقدم ان سبب معاملة المنافقين بظاهر اسلامهم هو ان امر السرائر لله وحده ، فهو الذي يعلمها، وهو الذي يجازي عليها ، ولا يباح لحاكم ولا لغيره ان يحكم على انسان بأنه يسر الكفر في نفسه ولا أن يتهمه بذلك ويعاقبه عليه . ولا يثبت الكفر على من ظاهره الاسلام الا باقرار صريح منه أو صدور قول أو فعل يدل عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن أو النبي ﷺ او جحود كونه خاتم النبيين لا نبي بعده ،والشرك بالله بدعاء غيره ، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة لا يقبل فيه تأويل ، كجحود فرضية الصلاة والزكاة والصيام والحج ، أو استحلال الزنا والربا وشرب الخمر

وأما حكمة ذلك وفائدته فهي أن من يلتزم شعائر الاسلام وأحكامه ولو بغير ايمان يقيني فانه يرجى له بطول العمل ان ينشرح صدره للايمان ويطمئن به قلبه ، ويوقن به عقله ، وإلا كانت استفادته وافادته للامة دنيوية فقط

(فان قيل) إن مقتضى حرية الدين التي امتاز بها الاسلام في معاملة أهل الكتاب ـ إذ أقرهم على العمل بدينهم حتى فيما بين لهم أنهم خالفوا فيه ما جاء به رسلهم ـ أن يسمح للمنافقين بان يظهروا كفرهم (قلنا)ان الجمع بين اظهار كفرهم وحسبانهم من المسلمين لهم مالهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجبات ه تناقض لا يقول به عاقل ، ولا يحكم به عادل ، ومثلهم فيه كمثل من يسمح له بحقوق الجنسية السياسية الوطنية ولا يطالب بالخضوع لقوانينها ، ولا يعاقب على انتهاكها ومخالفة أحكامها ، وانما تكون حرية الدين المعقولة لاهله في دائرة محيطة بأن لا يحاسب أحدهم أحد على عقيدته ووجدانه فيه ، ولا اجتهاده في فهمه ، الا من طريق البحث العلمي ، وليس منها ان يخالف اصوله القطعية التي لا يكون المسلم مسلما بدونها ويعد مع ذلك مسلما، وإذاً ليس لاحد أن يطالب حكومته المتدينة بالسماح له بالخروج على دينها ، كما لا يصح له أن يطالبها بالسماح له بالخروج على قوانينها ، فتكون حريته هنا متعارضة مع حريتها هي وحرية أمتها

(فان قيل) ان القرآن قد فضح بعض المنافقين في هذه السورة وحكم بكفرهم ولم ينفذ النبي ﷺ عليهم أحكام المرتدين عن الاسلام، بل بقي يعاملهم هو وأصحابه

معاملة المسلمين (قلنا) ان ما بينه الله تعالى من حال المنافقين انما كان وصفا لأناس غير معينين بأشخاصهم، انذاراً وزجراً لهم ليعرفوا حقيقة حالهم، ويخشوا سوء مآلهم، عسى أن يتوب المستعدون للتوبة منهم ، وقد تاب الكثيرون منهم، بما ظهر لهم من إخبار القرآن عنهم، بما لا يعلمه إلا الله تعالى من أمرهم

وكان الذين عرف النبي ﷺ بعض أصحابه أشخاصهم قليلين جدا كالذين هموا باغتياله ﷺ بتشريد راحلته في عقبة في الطريق منصرفهم من تبوك ليطرحوه منها ، وقال بعضهم لبعض : لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير. وفيهم نزل (٧٣ يحلفون بالله ماقالوا . ولقد قالوا كلمة الكفر وهموا بما لم ينالوا) ولما استأمره أصحابه بقتلهم قال « اكره أن يتحدث الناس ويقولوا ان محمداً قد وضع يده في أصحابه » أي في رقابهم بقتلهم ،وهذا أكبر منفر عن الايمان ، فان كثيرا من الناس كان يستحسن هذا الدين ويفضله على ما كانوا عليه من الشرك في أحكامه وآدابه لذاتها، قبل أن تقوم عندهم الحجة على اليقين بكونه وحيا من الله تعالى، فيدخلون فيه، ثم بعد زمن قليل أو كثير من معرفته التفصيلية تطمئن قلوبهم بالايمان اليقيني، ومنهم من كان يدخل فيه تبعا لأكثر قومه من غير نظر الى تفضيله القلة عليه بدعوته، وكل هؤلاء يقبل إسلامهم ويعتد به شرعا، وفيهم نزل قوله تعالى من سورة الحجرات (قالت الاعراب آمنا. قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) ولو سمع أمثال هؤلاء أن النبي ﷺ يقتل بعض من اتبعه وصحبه لظهور شيء يدل على عدم ايمانهم في الباطن، أو لاعلام الله تعالى إياه بما في قلوبهم، لنفروا من الاسلام وخافوا عاقبة الدخول فيه

وثم مفسدة أخرى في هذه الاشاعة وهي أن المنافقين والكفار يذيعون فيها ماشاؤا من التهم الباطلة والافك المفتري، كزعمهم أنه انما قتل من ظهر لهم منه مادلهم على بطلان دينه بعد أن صدقوه وجاهدوا معه

على أن الله تعالى قال فيهم بعد وصفهم بالكفر بالقول وبالهم بشر نتائجه من الفعل (فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة)

الآية ، فليراجع تفسير الآية وماقبلها من الامر بجهاد الكفار والمنافقين في (ص ٥٤٨ — ٥٥٨ ج ١٠)

ويلي هذا في السورة خبر الذي عاهد الله لئن أتاه من فضله ليصدقن (في الآيات ٧٤ —٧٧) وما رووا في سبب نزولها خاصة وانه شخص يقال له ثعلبة، وانه بعد أن نزلت فيه الآيات تاب وأراد أن يؤدي زكاة ماله فلم يقبلها منه النبي ﷺ ثم لم يقبلها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان من بعده، وانه هلك في خلافة عثمان . وقد بينا في تفسيرها أن في حديث سبب نزولها اشكالات في سنده وفي متنه فانه مخالف لاصل الشريعة القطعي المجمع عليه من العمل بالظاهر فهو باطل قطعاً بما فصلوه به تفصيلا (راجع ٥٥٨ — ٥٦١)

ويقرب منه في المعنى ماروي في الصحاح من نزول قوله تعالى (٨٤ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) في عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين الاكبر وقد بينا في تفسيرها مافي الحديث من التعارض مع القرآن فراجعه (في ص ٥٧٣-٥٨١)

ومن المشكل في هذا الباب قصة مسجد الضرار في الآيات (١٠٧ـ ١١٠) . فقد بين الله تعالى فيها انهم اتخذوه لأربعة أغراض منها الكفر وسائرها أقبح مقاصد أعداء الله ورسوله والمؤمنين . وقد أمر النبي ﷺ بهدمه فهدم ولم يأمر بقتلهم، وقد شهد الله بكذبهم فيما حلفوا عليه من حسن نيتهم . وسبب ذلك ان الذين بنوه للمقاصد الاربعة المذكورة في الآيات كانوا كما قال المفسرون اثني عشر رجلا من منافقي الاوس والخزرج أتباع أبي عامر الراهب الذي وعدهم بان يتوسل بنصرانيته الى قيصر الروم في الشام فيرسل معه جنداً يكفيهم أمر الرسول ومن اتبعه من المؤمنين ، ولكن صدقهم في ظاهر عملهم وما زعموه من حسن النية فيه كثير من المؤمنين وشاركوهم وصلوا معهم فيه ، وكان التمييز بينهم متعذرا فصح أن يأتي في الفريقين قوله تعالى في المسلمين المستخفين من المشركين في مكة عام الحديبية (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما)

والسبب الخاص لعدم عقاب أصحاب مسجد الضرار على الكفر الذي أثبته

النص الصريح أمران [أحدهما] أن الآيات في قصتهم قد بدئت بما يحتمل أن يكون ذكرهم فيها معطوفا على الذين أرجأ الله البت في أمرهم وجعله التوبة عليهم مرجوة وهو قوله تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) والثاني ختم قصتهم بقوله تعالى (لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) فيظهر في معنى تقطع قلوبهم احتمال هو أحد الاقوال في تفسيره، وهو تقطعها من الاسف والحزن على ما فرط منهم ووقوع هذا الاستثناء محتمل، واذا يكون أقوى الادلة على التوبة وأصدقها، ويكفي الاحتمال لمنع الحكم عليهم بالكفر

وجملة القول في هذا الباب ان سياسة الاسلام في المنافقين أن يعاملوا بحسب ظواهرهم وما يبدو من أعمالهم ، وان للامام الاعظم أو عليه — ومثله نوابه من اولياء الامور — أن يعرّض في الخطب العامة والتصريحات الرسمية بتقبيح مايعلم من سوء أعمالهم والانذار بسوء عواقبها ليبعدهم للتوبة منها ، أو الحذر من إظهار مايضمرونه من الشر الذي يترتب عليه العقاب. وتتضمن هذه السياسة الاصول الاتية

﴿ الاصول الثلاثة في حرية الدين ، ومعاملة المنافقين ﴾

١ ـ ان حرية الاعتقاد والوجدان مرعية لاسيطرة عليها للرؤساء الحاكمين، ولا للمعلمين والمرشدين، الافي التربية والتعليم، فليس لأحد أن يتهم إنسانا باضمار الكفر ولا بنية الخيانة لملته أو دولته ، ولا بارادة السوء لقومه وأمته، ولا أن يعاقبه على ذلك بعقاب بدني ولا مالي ، ولا بحرمانه من الحقوق التي يتمتع بها غيره من أفراد الامة

٢ ـ انه ليس لمن يضمر الكفر بالله أو بما جاءت به رسله أن يكون فتنة للناس باظهار ذلك لهم ودعوتهم اليه ، أو الطعن في عقائدهم ، أو إظهار ما ينافيها من قول أو عمل ، وان لم يكن دعوة ولا طعنا ، فان فعل ذلك وكان يدعي الاسلام يحكم بارتداده وخروجه من الملة ، إن كان ما اظهره من الكفر صريحاً قطعياً مجمعاً عليه لايحتمل التأويل، ويترتب عليه ماهو مقرر في الشرع من استتابته وعقابه إن لم يتب (ومنه منع التوارث بينه وبين المسلمين وفسخ نكاحه بالمسلمات ، وعدم تشييع جنازته والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين)

لان حرية كل احد في اعتقاده تقف عند حد حرية غيره، ولاسيما احترام عقائد الملة التي يعيش في ظل شريعتها ، وسائر شعائرها وعباداتها

وليعلم القاريء أن كثيراً من الفقهاء قد أسرفوا في أبواب الردة في المسائل التي يحكم فيها بالكفر المخرج من الملة ، وبنوا كثيراً منه على اللوازم البعيدة، والمحتملة للتأويلات القريبة ، وما ورد في صفات المنافقين في هذه السورة حجة عليهم، وان قال بعض العلماء المتقدمين: إن ما كان في زمن النبي ﷺ نفاقاً لا ينافي ظاهر الاسلام، هو الآن كفر محض لاتقبل معه دعوى الايمان ، فهذا قول باطل ، فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما الحجة في الدين، والاهتداء بهما هو الواجب الى يوم الدين، فيجب قبول قول كل من أظهر الاسلام ولم يصرح بما ينافيه بما لايحتمل التأويل، ومما يحتمل التأويل احتمالا ظاهراً جميع المباحث العلمية المخالفة لظواهر النصوص كما هو مقرر في الاصول .

٣ ـ ان من ظهر منه شيء من أمارات النفاق العملي في الدين ، او الخيانة للامة والملة بما هو غير صريح ، مما لايعاقب عليه في الشرع بحد ولا تعزير ، فلولي الامر أن يعظه بالتعريض ، ثم بالتصريح والتكشيف ، وله أن يعاقبه بما يرجى أن يزعه عن غيه من التأديب ، كالحرمان من مظاهر التشريف ، او الازورار والتقطيب ، او التأنيب والتعنيف ، كما بيناه في تفسير (٧٣ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ومنه حرمان النبي ﷺ للذين تخلفوا عن غزوة تبوك من الخروج معه الى غزوة أخرى بقول الله تعالى (٨٣ فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً) الاية. ولكن الملوك المستبدين يقربون اليهم المنافقين فيزيدونهم فساداً ، ويجرؤن غيرهم بل يرغبونه في النفاق وخيانة الامة جهارا ، حتى إن المناصب الدينية المحضة صارت تنال بالنفاق، ويذاد عنها أهل الصدق والاخلاص ، وإلى الله المشتكى ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿ انتهى بيان ما فتح الله به علينا من خلاصة هذه السورة ﴾

﴿ وكتب في أوقات متقطعة في سنة عسرة شديدة ﴾

﴿ وتم في ذي الحجة سنة ١٣٥٠ ﴾

فتاوى المنار

(القبر روضة أو حفرة ، وتناسخ الارواح)

﴿س ٣٣ و ٣٤﴾ من صاحب الامضاء في جهة المحلة (مديرية الغربية بمصر)

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد الشيخ محمد رشيد رضا، بعد تقديم فروض الاحترام نرجو أن تتكرم بالرد على السؤالين أدناه بمجلتكم المنار الغراء

١ — هل « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» حديث متواتر عن رسول الله ﷺ أم لا؟ واذا كان الجواب بالايجاب فهل الحكم في هذه الحالة للروح أو للجسد مع ملاحظة انه إن كان للروح فانها لا تسكن القبور ، واذا كان للجسد فما الحكم لمن يبتلعه الحوت أو اليم أو الوحوش الكاسرة ؟ واذا كان بالسلب فما الفرق بين العاصي والطائع وما الفائدة من سؤال منكر ونكير وهل ننكره؟

٢ — هل تتقلص الروح من جسم الى آخر أو لكل جسم روح خاصة ؟ لازلت للاسلام المرشد الرشيد الذي يضيء النهج والليل قاتم . وتنازلوا بقبول وافر احتراماتي مصطفى صالح

(ج) أما حديث « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فقد رواه الترمذي والطبراني وسنده ضعيف، فلا هو متواتر ولا صحيح، ولكن عذاب القبر ثابت بالاحاديث الصحيحة وانه يكون عقب الدفن ، واضافته الى القبر مبنية على أن الغالب في الموتى أنهم يدفنون في القبور لا على أنه خاص بمن يدفن، وللارواح مأوى في البرزخ بحسب درجاتها لا في القبور ، والاجسام تفنى وهي باقية ، وكل ماورد في القرآن أو الاحاديث من أخبار عالم الغيب ومنه كل ما يكون بعد الموت فهو على غير المعروف لنا في عالم الشهادة ، وليس لنا أن نبحث عن صفته وكنهه، ونحن نجهل حالة الارواح بعد انفصالها من هذه الاجسام، واليها يوجه السؤال في حالي الاتصال والانفصال، ومهما تكن حالها فالفرق بين المؤمنين المتقين والكافرين المجرمين مما لا ينكره عاقل ، والوارد في سبب سؤال الملكين لمن يموت أنه

امتحان له يعرف به بعض مستقبل أمره في الآخرة ومتى صح الخبر عن عالم الغيب فالواجب الايمان به وان لم ندرك سره

وأما مسألة تقلص الارواح وانتقال الروح الواحد من جسد الى آخر فهو مذهب قديم باطل مشهور بمذهب التناسخ. والثابت عندنا أن لكل انسان روحا ينفخها فيه ملك يرسله الله عند ما يتم خلق جسده

(أسئلة مختلفة)

(س ٣٥ - ٤٩) من صاحب الامضاء في منوف (مديرية المنوفية بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرب القدير والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بهداه فكان من الفائزين

من مصطفى حافظ عيسى إلى صاحب المقام العالي السيد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) كيف أقدر لكم مجهوداتكم المدهشة وبلاغتكم النادرة، ومحاوراتكم اللطيفة، وردودكم الملجمة لافواه الملحدين، الذين حملوا على المسلمين حملة شعواء فكنتم أنتم في مقدمة المجاهدين الذين بددوا ظلماتهم بأنواركم الساطعة، وبراهينكم القاطعة. لقد جعلتم العالم الاسلامي يقوم من مرقده بعد نوم عميق فصفق لكم العالم إجلالا، لقد أبنتم بمناركم الرشد من الغي، والظلام من النور، والبدعة من السنة، فالى الامام، أطال الله عمركم حتى تنتفع بعلومكم الانام، ومهد لكم الطريق حتى تتمكنوا من القضاء المبرم على هؤلاء الاشرار

ياصاحب الفضيلة : - لما كان صدركم رحبا في الاجابة عن الاسئلة التي توجه اليكم وخصوصاً صارت مجلتكم المنار موضع نظر العالم الاسلامي لذلك أرجو نشر الاسئلة المسطورة في هذا الخطاب حتى تسفروا عن حقائق الشريعة الغراء ولكم من الله الجزاء الاوفى : -

س ١ ماقولكم في صلاة الجمعة في البيت جماعة هل هي صحيحة أم باطلة

وهل يشترط في الجمعة المسجد ؟ نرجو الابانة عن ذلك بالدليل من السنة ؟

س ٢ ماحكم الصلاةوالسلام بعد الاذان بصوت مرتفع ؟

س ٣ ماهي البدعة وماأقسامها وما المراد من قول الرسول ﷺ « كل بدعة ضلالة ؟ وما المراد من قول سيدنا عمر بن الخطاب « رض » نعمت البدعة هذه ؟ وما حكم الصلاة خلف المبتدع ؟

س ٤ ماحكم شرب الدخان هل هو حرام أم لا ؟ وما رأي الاطباء فيه هل هو مضر أم لا ؟ ومارأيكم في الحديث الذي معناه « صرف المال فيما لايضر ولاينفع حرام » نرجو الافادة بإسهاب على هذا السؤال خاصة

س ٥ ماحكم أكل الفسيخ والسردين المعروفين بمصر وهل أكله مضر ومارأي الاطباء في أكله من حيث الضرر وعدمه ؟ وهل فيه ميكروب ؟ ؟ ؟

س ٦ ماحكم بيع الفسيخ والسردين والدخان ؟ ؟ ؟

س ٧ ماالغرض من الحديث الذي بمعناه « لعن الله الواصلة والمستوصلة » وهل المراد وصل الشعر بالشعر أو وصل خيوط من القطن تسمى عند العامة « بالضفاير » ؟

س ٨ هل العمامة الخضراء والحمراء والصفراء ثبت لبسها عن رسول الله ﷺ ؟ وما حكم لبسها إذا لم يرد عن رسول الله أنه لبسها ؟ أو كان يراد بها التقرب من الله أو الافتخار أو اظهار النسب ؟

س ٩ ماحكم الذكر في المسجد بصوت مرتفع جماعة أو فرادى ؟ وهل هذا ورد عن رسول الله ﷺ

س ١٠ يشرب الناس الشاي في هذه الايام شربا كثيراً حتى صار عادة عند الناس لايمكن الاستغناء عنه ولا يمكن القيام بالأعمال المعيشية الا بعد تناوله ويشرب بالكيفية الاتية : —

مراً جداً لا يمكن استساغته إلا مع التضجر من شدة المرارة وقلة السكر ، تعاد الكرة ثلاث مرات . في مواعيد مخصوصة . يكون للشاي رئيس مخصوص ينفذ قوانينه . يدار الشاي على الجميع كما تدار الخمر على محتسيها الى غير ذلك ؟؟؟

س ١١ هل ورد عن الرسول أنه قال فيما معناه « كل محروق حرام » وإذا

كان قال ذلك فهل البن المستعمل في شرب القهوة محروق فيكون حراما؟ وماحكم الشارع فيه إذا أضيف عليه شيء من السكر ؟

س١٢ ماحكم الحجب والتمائم والرقى وهل وردعن الرسول فعل ذلك أو اقراره؟

س ١٣ ماحكم المحراب المستعمل الآن في المساجد؟ وهل ورد عن الرسول ﷺ أنه قال فيما معناه « لاتزال أمتي بخير مالم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى » وقال في موضع آخر « اتقوا هذه المذابح » وهل المذابح هي المحاريب وماالمراد من قول الله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » وقوله « فخرج على قومه من المحراب » وقوله « وهو قائم يصلي في المحراب » ؟؟

س١٤ ماحكم السلام بين المراحيض هل هو جائز أم لا ؟

س ١٥ و١٦ ماعطر الرجل وماعطر المرأة ؟ وإذا قلتم ان عطر الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه فما عطر المرأة ؟ وإن قلتم ماخفي ريحه وظهر لونه فماهو إذاً ؟ وهل استعمال الطلاء المستعمل لتلوين الوجه من عطر المرأة الذي خفي ريحه وظهر لونه ؟

أرجو من فضيلة الاستاذ إجابتي عن هذه الاسئلة الخمسة عشر إما في المجلة على مرار تباعا وإما كتابياً ثم نشرها في المجلة ولكم من الله جزيل الثواب

مصطفى حافظ عيسى

(ج ٣٥) صلاة الجمعة في البيوت جماعة

صلاة الجمعة عبادة اجتماعية من شعائر الاسلام العلنية التي يقيمها بالمسلمين إمامهم الاعظم أو نائبه ان وجد ويخطب فيهم بما تقتضيه الحال من مصالحهم وإرشادهم ويجب على جميع المكلفين في البلد الاجتماع لها في مسجد واحد إن أمكن . ولكن لا يشترط أن يكون المسجد موقوفا بل مسجدهم حيث يصلون . وأما صلاة الافراد لها في بيوتهم جماعات صغيرة فهذا شيء لا نعرفه عن سلف المسلمين ولا خلفهم . ولكن بعض الظاهرية جوزوا إقامتها في أي مكان لعدم وجود نص في الكتاب والسنة في العدد ولا في صفة المكان وقد نقلنا هذا عنهم في فتوى سابقة ولم نعلق عليه وقتئذ . ولكن يجب أن يعلم أن شعائر الاسلام الظاهرة من مناسك الحج والجمعة والجماعة والعيدين والاذان التي ثبتت بالتواتر العملي المجمع عليه في عهد الرسول ﷺ وخلفائه

فالواجب فيها الاتباع ولا يجوز فيها تغيير بزيادة ولا نقصان ولا صفة من الصفات بناء على عدم دليل يمنع ذلك، بل الادلة الفقهية الظنية لا يعتد بها في معارضة الشعائر المنقولة بالتواتر ، وأما اذا وجد جماعة في قرية ليس فيها مسجد موقوف تقام فيه الجمعة والجماعة وأقاموها في بيت من بيوتهم فانهم لا يكونون مخالفين للمأثور ، على قول الجمهور بصلاتها في القرى وعدم اشتراط المصر الذي تقام به الاحكام الشرعية وهذا مذهب الحنفية

(ج ٣٦) زيادة الصلوات والسلام في الاذان

الاذان من شعائر الاسلام المنقولة بالتواتر من عهد الرسول ﷺ ، وكلماته معدودة في كتب السنة وكتب الفقه مجمع عليها بين أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة ، والشيعة يقولون فيه «حي على خير العمل» ولهذا أصل في بعض الروايات وهو انه وجد في أول الاسلام ثم ترك ونسخ في عهد النبي ﷺ

وأما زيادة الصلوات والتسليمات في آخره فهي من بدع المؤذنين المتأخرين وقد توسع فيها بعضهم فصاروا ينادون فيها البدوي وغيره من الاموات الذين يدعوهم هؤلاء المبتدعة من دون الله . فقد دهشت سنة قدومي إلى مصر إذ سمعت أول مؤذن طرق سمعي صوته في أذان الفجر ينادي في آخر الاذان «يا شيخ العرب»

وانما فشت هذه البدعة وأمثالها في أمصار المسلمين بسبب جهل المعممين أدعياء العلم بالسنة ، وما ترتب عليه من عدم إنكارهم على منتحلي البدع . وفتح لهم باب الاحتجاج على تأييد البدع قول بعض فقهاء القرون الوسطى بأن البدعة قسمان حسنة وسيئة ، فصاروا يتبعون أهواءهم في الاستحسان وعدمه . واننا لنعجب أشد العجب اذ نرى بعض كبار علماء الازهر يفتون الناس ببدعة الزيادة في الاذان ويزعمون انها حسنة لانها ذكر مشروع في جنسه وحسن وقد قلنا ولا نزال نقول في تفنيد جهلهم هذا : اذا جاز للناس في العبادة المأثورة أن يزيدوا فيها غير المأثور في نفسه وان كان مأثوراً في نفسه فلهم أن يزيدوا في أول الاذان وفي وسطه كما يزيدون الآن في آخره ، وأن يكون من هذه الزيادة تلاوة بعض آيات

القرآن فانه لا أحسن منه . ولهم أيضا أن يزيدوا في الصلاة ركعات أو سجدات أخرى ، وأن يصلوا على النبي ﷺ بعد التلاوة في كل ركعة

وهل يوجد دليل على امتناع هذا كله غير كونه مخالفا للمأثور ؟ وما الفرق اذاً بين الاذان وغيره ؟ أما انه لو فعل هذا كثير من العوام ، لافتاهم باستحسانه مفتي مجلة نور الاسلام

(ج٣٧) تعريف البدعة وأقسامها

البدعة في اللغة الفعلة أو الحالة المبتدعة المستحدثة ، فان كانت في الدين فهي شرع لم يأذن به الله وافتراء على الله ، وهي ما لم يكن في عهد النبي ﷺ وجماعة المسلمين في عهده من العبادات، كما قال الامام مالك : كل ما لم يكن في عهد النبي ﷺ دينا فلا يكون بعده دينا . وأما غير الدينية المحضة فهذه منها حسن وهو النافع الذي لا مفسدة فيه ، ومنها سيء وهو الضار وما يترتب عليه فساد مثلا وكل منها درجات فتعتريها الاحكام الخمسة. ودليله حديث مسلم « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الخ وقوله في الاسلام معناه في عهد الاسلام المقابل لعهد الجاهلية .

وتسمية عمر (رض) جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح بدعة تسمية لغوية فان صلاة قيام رمضان جماعة مشروع في عهد النبي ﷺ ولكنه ﷺ لم يواظب عليه لئلا يفرض أو لئلا يظن وجوبه وصار الناس بعده يصلونها جماعات متفرقة فجمعهم عمر على إمام واحد لكراهة التفرق شرعا

وأما البدعة الدينية المحضة فهي لا تكون الا قبيحة وضلالة ودليل الكلية ماصح عن النبي ﷺ انه كان يقول على المنبر « أما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله وان أفضل الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » الحديث ـ رواه أحمد ومسلم وغيرهما

وعرف الشاطبي البدعة في كتابه الاعتصام بقوله « أنها طريقة في الدين

مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى» أو «يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » وقسمها إلى حقيقية وإضافية فيراجع

وروى بعض الجاهلين بالسنة أحاديث في عبادات مخصوصة بصفة مخصوصة كصلاة رجب التي سموها صلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان وقد عمل بها الناس في بعض البلاد وأجازها بعض الفقهاء لجهلهم بان الحديث فيها موضوع ، فتصدى لهم الفقهاء المحدثون وبينوا خطأهم حتى قال الامام النووي في المنهاج :وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان. وأنكر الفقهاء صلاة ركعتين بين الصفا والمروة قياسا على سنة ركعتي الطواف ، لان العبادة انما تثبت بالنص دون القياس،وقد فصلنا هذا الموضوع في مواضع من مجلدات المنار تحريرا

(ج ٣٨) شرب الدخان

بينا مرارا أنه لايقوم دليل على تحريم التدخين تحريماً عاما إلا اذا ثبت أنه ضار ضررا شديداً بكل من يستعمله،وهذا لم يثبت. ولكن الاطباء متفقون على أن فيه مادة سامة يسمونها «نيكوتين» وان استعماله يضر بعض الناس وينفع بعضا في الجملة وان أكثر الذين يتعودونه بالتدريج لا يضرهم ضررا ظاهرا. وعلى هذا يختلف حكمه باختلاف مستعمليه فمن ثبت عنده أنه يضره بالتجربة أو بقول طبيبه فعليه أن يتركه لانه يكون محرما عليه وقد اختلفت فيه أقوال فقهاء المذاهب فكان أكثرهم يحرمه عقب ظهوره كعادتهم في كل شيء جديد وبعد أن فشا واعتيد صار أكثرهم يبيحه وبعضهم يكرهه كعادتهم في مثل ذلك . وقد أفتى شيخ الازهر أبو الفضل الجيزاوي ومفتي الديار المصرية بان ثالث أقوال العلماء فيه وهو الكراهة هو الوسط الراجح

وأما حديث «صرف المال فيما لايضر ولاينفع حرام» فلم أره في شيء من كتب الحديث، ولعله لايوجد في الدنيا شيء يصرف فيه المال لاينفع ولايضر مطلقا . والتحريم في أصول الشرع هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما .وكان علماء السلف يشترطون في هذا الخطاب الالهي أن يكون قطعي الرواية والدلالة معاً وقد صرح به أئمة الحنفية وهو الحق. فالحديث المزعوم معارض بهذا الاصل الشرعي وباصل الاباحة في الاشياء المأخوذ من قوله تعالى «هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعاً»

(ج ٣٩) أكل الفسيخ والسردين

كان ينبغي للسائل الرجوع في هذا السؤال الى الاطباء ، وانا لم أسمع منهم ولاعنهم أن أكل الفسيخ والسردين ضار، والفسيخ لايؤكل في بيتي لاننا نستقذره ولم نتعوده ولانحب أن نتعوده ، وأما السردين فمنه نوع جيد كالفسيخ لانأكله ونوع كالمطبوخ شكلا وطعما ربما نأكله قليلا وقد تمر السنون الكثيرة ولا يأكله أحدمنا

(ج ٤٠) بيع الفسيخ والدخان

حكم بيع الفسيخ والدخان تابع لحكم استعماله الذي علم مما تقدم

(ج ٤١) حديث «لعن الله الواصلة والمستوصلة »

أما الحديث فهو متفق عليه رواه الجماعة كلهم ، وأما معناه فهو وصل شعر المرأة بشعر مستعار من غيرها . فالمستوصلة طالبة الوصل ، والواصلة هي التي تفعله لها . وأما سببه فهو أنه زينة مزورة قد تستعمل للغش في الزواج وغيره كما في حديث معاوية في البخاري أن النبي ﷺ سماه الزور

ولايدخل فيه الضفائر التي كانت تسمى بالقرامل وهي تكون من الصوف أوالقطن أوالحرير روى أبوداود عن سعيد بن جبير قال : لابأس بالقرامل وبه قال الامام أحمد وكثير من العلماء ، ومنعه الامام مالك وآخرون . وقال الشافعية إذاوصلت المرأة شعرها بشعر طاهر من غير الآدمي بإذن الزوج أو السيد جاز وإلا حرم

(ج ٤٢) العمائم الخضراء والحمراء والصفراء

هذه العمائم التي يلبسها مشايخ الطرق المنسوبة الى الصوفية لم يثبت عن النبي ﷺ منها شيء الا العمامة السوداء فقد ورد انه دخل مكة عام الفتح وعليه عمامة سوداء. وهو لم يلبسها تشريعا بل اتفق له ذلك . وقد سئل السيد محمد الزعبي الجيلاني شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام عن سبب اختلاف اهل الطرائق

في ألوان عمائمهم واعلامهم وغير ذلك مع قولهم ان غايتها واحدة هي عبادة الله ومعرفته - فاجاب السائل وهو من مريديه : تغيير شكل ، لاجل الاكل. اخبرني بهذا ابنه الاستاذ الكبير السيد عبد الفتاح نقيب الاشراف وشيخ الطريقة لهذا العهد

واما حكم لبسها لذاته فهو الاباحة الا اذا كان لأجل شهرة باطلة ومنها العمامة الخضراء لغير الاشراف في البلاد التي تعدها شعارا لهم - او ايهام الناس بالصلاح او الولاية رياء أو استدرارا للمنافع المادية او طلبا للشهرة فيكون محظورا بقدر حظر هذه المفاسد وما يترتب عليها من الباطل . وشر من هذا كله ان تلبس بدعوى انها مطلوبة شرعا وانها من سنن الرسول ﷺ فان هذا من الكذب على الله ورسوله .

(ج٤٣) الذكر برفع الصوت في المسجد

ان رفع الصوت الشديد بالذكر والدعاء المشروعين مكروه منهي عنه . وأما هذا الذي يفعله اهل الطريق في بعض المساجد والزوايا وفي الطرقات احيانا فهو من بدعهم المنكرة من كل ناحية لم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن السلف الصالح، وفعله في المساجد شر من فعله في غيرها ، لانه يشغل المصلين وقد يمنعهم من الصلاة التي بنيت المساجد لاجلها ومن الذكر والتفكر والتدبر من العبادات المشروعة. بل اتفق العلماء على ان تلاوة القرآن اذا كان رفع الصوت بها في المسجد يشغل المصلين ويهوش عليهم فانه يمنع وقد فصلنا هذا في مواضع من المنار، وللامام الشاطبي في الاعتصام بحث طويل في الانكار على اذكار الصوفية البدعية فراجعه فيه وراجع كتاب المدخل ايضا

(ج ٤٤) شرب الشاي كالخمر

شرب الشاي مباح كالقهوة لمن لا يمسه ضرر منه ، وهذه الصفة التي ذكرها السائل لم نرها ولم نسمع خبرها عن أحد من قبله ، وهي تشبه بالسكارى في شربهم الخمر أقل مايقال فيها انها مكروهة كراهة شديدة . وقال بعض كبار الفقهاء بأن مثل هذا التشبه حرام . ذكر الغزالي في الكلام على إباحة السماع لذاته وتحريمه لبعض العوارض ان من تلك العوارض التشبه بأهل البدع وأهل الفسق الذي

يلحق المتشبه بمن يتشبه بهم كما ورد «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه ابو داود من حديث ابن عمر (رض) مرفوعا وحسنوه — ثم قال مانصه :

« وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين[1] ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لان هذا تشبه بأهل الفساد الخ

(ج ٤٥) حديث كل محروق حرام

هذه الجملة لم أرها في كتاب ولم أسمعها إلا من بعض العوام . والمحروق يطلق في اللغة على الذي زالت حارقته وهي رأس الفخذ أو الذي زال وركه ـ وعلى السفود وهو بوزن التنور الحديدة التي يشوى عليها اللحم. وللخبز أو اللحم الذي تحرقه النار اسماء في اللغة الفصحى أشهرها الحاش ويقال محشته النار وأمحشته . واللغة الفصحى في فعل النار الاحراق والتحريق وهو المستعمل في القرآن والحديث والحرق بالتحريك اسم النار ، وأما قولهم حرق الثوب ونحوه فقد قال الراغب ان معناه ايقاع حرارة فيه من غير لهيب وحرق الاسنان والاضراس سحق بعضها على بعض وهن من بابي نصر وضرب

(ج ٤٦) الحجب والتمائم والرقى

هذه الامور من أعمال الجاهلية وسائر الشعوب الهمجية التي استحوذت عليها الخرافات والاوهام ، وقد ابطلها الاسلام، وورد في حظرها أحاديث شديدة منها قوله ﷺ « من علق تميمة فقد أشرك »رواه أحمد والحاكم من حديث عقبة بن عامر . وقوله « ان الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه احمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن مسعود . وقوله «ثلاث من السحر : الرقى والتولة والتمائم» رواه الحاكم من حديثه ايضا

ولما كان بعض المرضى ولاسيما أصحاب الامزجة العصبيـة منهم ينتفعون

[1] السكنجبين شراب كان يصنع من الخل والسكر وهو مفيد للصفراء

بالاوهام أذن النبي ﷺ بالرقية وقال «من استطاع منكم أن ينفع اخاه فلينفعه» رواه أحمد ومسلم من حديث جابر. واجاز الذين رقوا سيد الحي المشرك من اللدغة بفاتحة الكتاب كما في الصحيحين واجاز لهم أخذ الجعل عليها. واشترطوا في الرقية المباحة أن لا يكون فيها شرك كرقى الجاهلية كما في حديث عوف بن مالك عند مسلم وأبي داود. وروى البخاري في التاريخ وابن سعد والبغوي والطبراني وغيرهم ان النبي ﷺ لدغ مرة فغشي عليه فرقاه ناس فلما أفاق قال «ان الله شفاني وليس برقيتكم» وذلك انهم كانوا كامثالهم في كل زمن ينسبون نفع ذلك الى الجن وما شاكل ذلك من الخرافات فابطل ذلك بضده وهو دعاء الله تعالى فكان ﷺ يقول في رقيته للمريض «اللهم رب الناس مذهب الباس، اشف انت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما» وفي رواية «اذهب الباس» وهو في الصحيح من حديث انس وعائشة وقال في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون» الحديث وهو في الصحيحين وغيرهما وقد فصلنا هذه المسألة في مواضع من المنار أذكر منها الآن ص ٣٩٠ م ٧

(ج ٤٧) المحراب في المساجد والمذبح في الكنائس

المحراب يطلق في اللغة على مقدم المجلس وصدر المجلس والمحل المشرف العالي منه وعلى غرفة في مقدمة الدار. ومنه يسمى مكان الامام من المسجد محرابا: وانما جعل له تجويف في جدار القبلة حتى لا يعطل الامام منه صفاً كاملا لان المصلين يكونون وراءه. وكان لهياكل العبادة عند الوثنيين ثم عند أهل الكتاب محاريب هي الموضع المقدس عندهم من الهيكل أو المعبد ومنه محراب زكريا ومريم عليها السلام، وما يسمى عند النصارى بالمذبح الآن. وأصل المذبح في الاديان القديمة موضع ذبح القرابين الدينية. ففي سفر التكوين «٨: ٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. وفي آخر سفر الخروج أن الرب أمر موسى أن يصنع له مذبحاً من تراب يذبح عليه محرقاته وذبائح سلامته قال «واذا صنعت لي مذبحاً من حجارة فلا تبنه منها منحوته» أي لأنها تشبه

التماثيل ويراجع فى هذا السفر مذبح المحرقات أو المذبح النحاسي ومذبح البخور أو المذبح الذهبي. ومحاريب مساجدنا لا تشبه هذه المذابح ولا محاريب الكنائس في صورتها ولا في أحكامها. وماذ كرتم من الاحاديث فيها فهو ما لا نعرف له رواية. فان كنتم رأيتموه في كتاب فأخبرونا به او انقلوا لنا عبارته ان كان غير مشهور ولا يجوز لاحد ان يعزو الى رسول الله (ص) حديثا الا اذا رآه مرويا في كتاب من الكتب الموثوق بها اوسمعه من عالم مؤتمن على السنة الطاهرة. واننا نرى بعض كبار علماء الازهر يذكرون في مجلته المسماه بنور الاسلام أحاديث موضوعة ويدعون صحتها، واذا نقل لهم معترض حكم بعض الحفاظ بوضعها ماروا وجادلوا وحرفوا وتأولوا، مصرين على تصحيح الموضوع كما ترونه في باب التقريظ من هذا الجزء ـ فما رأيكم في غيرهم. أما نحن فنقول فيما نثبته على بينة، ونقول فيما لا نعرفه اننا لا نعرفه. ومن قال لا ادري فقد افتى

(ج ٤٨) السلام بين المراحيض

قال صاحب كتاب الآداب الشرعية «ص ٣٧٨ ج ٢» ويكره السلام على من يقضي حاجته ورده منه، نص عليه أحمد لان النبي ﷺ لم يرد على الذي سلم عليه وهو يبول رواه مسلم وغيره. وتقدم في الرعاية الكبرى أن الرد لا يكره لان النبي ﷺ رد، كذا رواه الشافعي من رواية ابراهيم بن أبي يحيى. وابراهيم ضعيف عند الاكثرين

(ج ٤٩) طيب الرجال والنساء

في حديث أبي هريرة المرفوع «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه». رواه الترمذي والنسائي. وفي معناه حديث عمران بن حصين «ألا وطيب الرجال ريح لا لون له وطيب النساء لون لا ريح له» قال بعض الرواة هذا اذا خرجت المرأة واما اذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت. ومستنده حديث ابي هريرة في الصحيح «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وحديثه التفرقة بين طيب الرجال وطيب المرأة غير صحيح وان صححه الحاكم

أنباء العالم الإسلامي

ذكرى يوم النبي ﷺ أو المولد النبوي

نشرنا في الجزء الماضي النداء العام في موضوع هذه الذكرى ووعدنا بان ننشر في هذا الجزء ما اقترحه سكرتير لجنة لاهور علينا في الموضوع وهو تأليف رسالة في حقوق النساء في الاسلام ، وحظ الجنس اللطيف من اصلاح محمد عليه الصلاة والسلام هذه ترجمته :

خطاب اللجنة لصاحب المنار واقتراحها عليه

أخي العزيز في الاسلام

قد تعلمون بالاستعدادات القائمة الآن في الهند بخصوص الاحتفال السنوي بمولد النبي ﷺ أعظم من أسدى خيرا الى الانسانية . ولا ريب في أن الاكثرين حتى من طبقة المتعلمين يجهلون تماما تفاصيل حياة فخر الكائنات وسيرته ، وهو الذي ظل لا يبارى على مر السنين في كونه منقذاً للانسانية من أسفل دركات الانحطاط والفساد والالحاد ، ورافعا لها الى أعلى ذروات المجد من كافة النواحي الدينية والاجتماعية والاخلاقية . وان جهل الجماهير لهذه الحقيقة لحقيقة أليمة

وهذه الخطوة في الهند تعطي الفرصة للقيام بدعاية واسعة في كل ركن من أركان الارض لبيان ما اكتسبه العالم من ذلك الينبوع الدائم الفياض من المزايا التي لا حصر لها ، والفوائد المثمرة التي لن تبرح ماثلة ظاهرة

وهذه الدعوة تنشر بوسائل المطبوعات ومن فوق المنابر . ولتحقيق هذه الغاية رؤي من المستحسن أن يقوم المهذبون الذين على سعة من العلم بعقد اجتماعات يدعى اليها المسلمون وغير المسلمين في كل أنحاء العالم يوم مولد الرسول ﷺ أي يوم ١٢ ربيع الاول من كل سنة

كما أن من المناسب ان يكون بجانب تلك الاجتماعات العامة إذاعة نشرات

دورية من وضع المسلمين وغير المسلمين في ملخص سيرة الرسول ﷺ وأعماله المجيدة . وتلك الخطوة كانت قاصرة على الهند في بدء سنتها الاولى . ولكن السنوات القابلة تبشر بانتشار جهودها في كثير من الممالك الاسلامية الاخرى .

ثم ان كل هذه الخطة هي من وضع اللورد الحاج الفاروق هدلي الشريف الانكليزي المسلم الذائع الصيت . ولقد ترجمت الى ست عشرة لغة مختلفة ووزع منها ستمائة ألف نسخة على القراء من المسلمين وغير المسلمين ، كما أنها أذيعت من محطة الاذاعة اللاسلكية بكلكتا الى كثير من الممالك الاوروبية.

ولقد قررت اللجنة أن تتقدم اليكم بطلب كتابة صورة من حياة نبي الاسلام ﷺ لاجل نشرها واذاعتها عموما في سنة ١٩٣٢ . والموضوع المطلوب لهذه المرة هو : (نبي الاسلام وحقوق الجنس اللطيف) ولسنا في حاجة الى التذكير بالجهاد المستمر في الممالك الاوربية لمساواة المرأة بالرجل في الحقوق

وإن الاسلام ليفخر الى أبعد مدى بأنه كان هو الدين الاول والآخر الذي شد أزر حقوق المرأة ، وأخذ بعضدها — ولكن في سياج الفضيلة ولاريب

وهذه المقالة من غير شك سيكون لها قوة التاثير والجاذبية في نساء أمريكا وأوربا . ولقد اختارتكم اللجنة كالمرجع الأعلى لهذا الموضوع . وعلى أية حال نرجو أن تسمحوا للجنة بأن ترغب اليكم بأن تكون الخطابة جذابة ومؤثرة وداعية الى هذه الحقيقة التي لا ريب فيها وهي اثبات أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي يوجد في تشريعه أعظم الوسائل الممكنة على وجه الأرض للوصول الى إرضاء الجنس اللطيف باعطائه جميع حقوقه وارواء غلة الظمأ الشديد الى ذلك في الممالك المتمدينة. هذا وان اللجنة لا تابي قبول ما ترون كتابته اليها في أي ناحية أخرى من أوجه حياة النبي ﷺ قد ترونها أكبر نفعاً وأعظم أهمية في وجهتها الاجتماعية العالمية العامة.

ومن الواضح الجلي أن اللجنة في طلبها هذا تعتمد إلهاماً على قوة إيمانكم الشديد المعروف ، ومواهبكم وأبحاثكم المستفيضة النادرة في الشمائل النبوية .

ومن الموثوق به أن نشاط اللجنة في نشر الدعوة هذه المرة سيكون إن شاء الله أوسع وأكبر مما كان عليه في الثلاث السنين الماضية وقد شرع الآن في عمله.

الترتيبات اللازمة فعلا لترجمة مقالتكم الى أكثر ما يمكن من اللغات وتوزيعها باقصى ما يستطاع على ملايين المفكرين في العالم .

وتعتقد اللجنة بأن مقالا في موضوع بمثل تلك الاهمية من حياة نبي الاسلام وبقلم مسلم مهذب كشخصكم الفاضل ،سيكشف عن نور جديد وسيكون تأثيره عظيما وثابتا في الطبقات المتعلمة في أنحاء العالم.

وبالنسبة الى جلالة هذا العمل وعظيم أهمية خطواته الأولى تؤمل اللجنة أن تلبوها الى طلبها وتوافوها بكتابتكم حوالي آخر نوفمبر سنة ١٩٣١ وتنتهز اللجنة هذه الفرصة للاعراب عن خالص تشكراتها لهذا العمل المحبوب الذي ستتقبلونه ان شاء الله بانشراح . عبد المجيد قرشي

(المنار) جاءتنا هذه الرسالة منذ بضعة أشهر فألقيناها الى الادارة لترجمتها والنظر في اجابة مرسلها الى ما طلب فلم تترجم لنا إلا بعد انتهاء المدة المقترحة. فكتبنا الى حضرة مرسلها ناموس اللجنة (السكرتير) نعتذر عن القيام باجابة الطلب في الموعد وأرسلنا اليه رسالتنا (خلاصة السيرة المحمدية) بالعربية مع ترجمتها بالانكليزية فتلقاها شاكراً وكتب الينا انها ستطبع بعد شهرين ومد لنا في أجل الرسالة النسائية الى آخر ذي الحجة ، وقد شرعنا فيه بكتابتها ونسال الله التوفيق لاتمامها ، وايتاءنا الحكمة وفصل الخطاب فيها

﴿ الدعوة الي الاحتفالات بالسيرة المحمدية يوم المولد النبوى الشريف ﴾

(أرسلتها الينا لجنة الهند بالعربية وطلبت منا توقيعها لاجل نشرها فى ذلك اليوم العظيم فوقعناها . والظاهر انها طلبت ذلك من غيرنا من العلماء والزعماء)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)

قال رسول الله ﷺ « بلغوا عني ولو آية »

لا يزال منار عظمة النبي محمد ﴿ص﴾ وجلاله من حيث العلم والعمل منذ الف

وثلاثمائة سنة قائما على صخرتين عظيمتين لا تتزعزعان قط . وقد ثبت أن هذا المنار هو النور والملجا الوحيد لفلك التهذيب والتمدن الحائرة في بحور الحياة المتلاطمة بالظلمة والطغيان في كل آن وزمان ، أعنى ان كل ما قاله ﴿ص﴾ فهو للجميع ، وكل ما فعله فهو للكل

ان النبي ﴿ص﴾ لم يبعث إلا لينظم أبناء المذاهب (الملل) المختلفة والتهذيب المتنافر ، في سلك واحد من الاخوة والمساواة ، وانه ﴿ص﴾ لم يكن ليخالف التفرقة المذهبية فحسب، بل كان يأبى وينفر من الخلاف العالمي بين أبناء الانسانية الواحدة بأية صفة وعلى أية حالة كان ، وان تعليمه ﴿ص﴾ لم يكن مما يتعلق باشخاص أو مواطن أو شعوب خاصة ، بل كان تعليما عاما أبديا لكل الخلق في كل البلدان والاقطار على حد سواء ، ليحكم علائق ارتباط المحبة الاخوية بين أفراد الانسانية جمعاء. وان ذاك الدين الذي دعا النوع الانساني اليه لم يكن دينا مخصوصا بجماعة أو فرقة بل هو دين الخلق أجمع ، وان قبول هذا الدين رادف قولنا : اننا قد اصبحنا أحراراً مطلقين من قيود تلك الحلقات الضيقة التي قامت دعائمها على اللون والجنس واللغة والقومية والوطن، واننا أصبحنا تحت امرة (ولاية) سلطان واحد وهو الله، وان الارض كلها وطن لنا وان كل ما عليها من العوالم من النوع الانساني هم أفراد عائلة واحدة

فتعالوا نحتفل بيوم يكون عيداً للمحبة والاستقلال الحقيقيين ، ليكون هذا اليوم ذكرى لنبي الوحدة والمحبة ، حيث تنزع من بيننا كل اختلاف وتناساه، ونقف في صف واحد يداً واحدة نسعى في خدمة الانسانية وتآخيها وفلاحها

لاجرم أن اليوم الثاني عشر من ربيع الاول يجب أن يتخذ لهذه الغاية لانه هو يوم ولادته ﴿ص﴾ وتذكاره الذي لا يفني :-

اننا ندعو بغاية الاخلاص والاحترام عموم أبناء البشر للاشتراك في عيد الاتحاد هذا ونرجو منهم ان يقوموا باقامة احتفالات متحدة في سائر أقطار الأرض باسم ﴿الاحتفالات بالسيرة النبوية﴾ احتفالات تليق بحضرة محمد ﴿ص﴾ وتتفق في عظمتها مع عمله وعظمته وقدره يتولد منها بين أفراد البشر احساسات حقيقية للمواساة والمحبة وخدمة الخلق :-

إننا آخذون بتوزيع بعض النشرات التي تبحث في أهم الامور من بعض جهات الحياة النبوية التي قد دبجتها أقلام خيرة من العلماء والفضلاء ، فالرجاء أن تقرأ هذه النشرات يوم الاحتفال كمحاضرات وأن تترجم الى لغات الارض الحية، وتذاع وتنشر في كل بقاع الارض بالمجان،

وبالختام فاننا نرجو الله تعالى أن يجعل هذا العيد السعيد مباركا على جنس الانسان

التوقيع

المؤتمر الاسلامي العام
في بيت المقدس
(٣)

نشرنا في الجزء الماضي نص تقرير لجنة الدعوة والارشاد التي وافق عليه المؤتمر بالفعل وذكرنا ان المواد الاربع التي فيه ملخصة من عدة مقترحات كانت اللجنة وضعتها مبسوطة فقرر المؤتمر في جلسته العامة أن تلخص بصورة مواد قانونية تصوغها فيها لجنة فرعية خاصة وكان ذلك - ووعدنا بأن ننشر المقترحات الاصلية لما فيها من الفائدة العلمية والتاريخية ،ولما وقع فيها من المناقشة والاعتراض وهذا نصها:

﴿ مقترحات لجنة الدعوة والارشاد على المؤتمر الاسلامي ﴾

١ - تأليف جمعية باسم [جمعية الدعوة والارشاد الاسلامية] على المنهج الذي كانت عليه الجمعية التي ألفت بهذا الاسم في القاهرة يكون لها مدرسة كلية خاصة تكون إحدى كليات الجامعة الاسلامية التي قرر المؤتمر السعي لانشائها في بيت المقدس لتخريج طائفتين من العلماء (إحداهما) تخصص لارشاد المسلمين على اختلاف أجناسهم الى حقيقة الاسلام بالتعليم النظامي السهل والتربية الدينية العملية الموافقة لحالة العصر - والثانية لاجل دعوة غير المسلمين الى الاسلام، ويستعان على إنشاء الجمية والمدرسة بما وضع للجمعية السابقة ومدرستها من نظام ومناهج وتجربة.

٢ - أن يعجل المؤتمر باجابة رغبة كثير من الاعضاء الى ما طلبوه من اتخاذ وسائل سريعة لمقاومة سوء التأثير والضرر الواقع بالفعل من طعن دعاة النصرانية [المبشرين] على الاسلام ، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، بخطبهم و كتبهم ورسائلهم بوسيلة عملية ناجزة ، وأن لاينتظر في ذلك انشاء المدرسة وتخريج الدعاة والمرشدين فيها للقيام بهذا الواجب

وترى اللجنة ان أقرب الوسائل لذلك نشر بعض الرسائل العلمية - المؤلفة

والتي تؤلف - في حقيقة دينهم وتقاليدهم فيه . ومن أهمها رسالة موضوعها [عقيدة الصلب والفداء] قد بين فيها مأخذ هذه العقيدة وأنها ليست مما جاء به المسيح عليه السلام . وانما الحق في مسالة الصلب ماحققه القرآن، وهو كتاب الله الاخير الذي حفظه الله من التحريف والتبديل، فنقترح أن يطبع المؤتمر منها ألوفا كثيرة من النسخ باللغة العربية وتوزع بالمجان في جميع البلاد العربية التي انتشر فيها أولئك الدعاة

وقد ترجمت هذه الرسالة باللغة الملاوية ترجمها الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراج سمبس برنيو وهو أحد تلاميذ مدرسة الدعوة والارشاد السابقة ، فنقترح أن يخاطب المؤتمر الجمعيات الاسلامية في البلاد الاندوسية بطبعها وتوزيعها على المدارس والجمعيات والاندية في تلك البلاد — وأن ينتدب الممثلون لمسلمي الهند في المؤتمر لترجمتها بلغة الأوردو، ونشرها في كل مكان يوجد فيه هؤلاء المبشرون من تلك البلاد . وينبغي أن تترجم باللغة الفارسية والانكليزية وغيرهما أيضا

وقد شكا صاحب مجلة إسلامية في الصين لصاحب مجلة دينية في مصر تصدي المبشرين عندهم لتنصير المسلمين والطعن في الاسلام والرسول عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ، فأرسل اليه نسخة من هذه الرسالة فطفق يترجمها وينشرها في صحيفته فكفّ أولئك المبشرون عن التصدي للمسلمين هنالك

٣ - أن يُعجل المؤتمر بتقديم خدمة الى العالم الاسلامي ترى اللجنة أنها أهم مايجب البدء به وتعميمه بقدر الطاقة وهي ان يكلف بعض العلماء بالكتاب والسنة ومسائل الاجماع والمذاهب الاسلامية تأليف رسائل في عقائد الاسلام وآدابه وفضائله وعباداته وتاريخ نشأته ، تكون الوسيلة الاولى لاحياء روح الدين ومقاومة الالحاد والزندقة في عامة المسلمين . وتحقيق الاخوة الاسلامية على أكمل وجه ممكن. ويتوخى فيها مايأتي :

(١) أن يقتصر فيها على المسائل الاجماعية عند جميع أهل المذاهب الاسلامية في الاصول والفروع لتكون مقبولة عند جميع المسلمين ، وتمهيداً لجمع كلمتهم ، وكونهم أمة واحدة لايجوز أن تتفرق باختلاف الاجتهاد الذي يعذر فيه كل مجتهد باجتهاده، وكل عامي باتباع المذهب الذي نشأ عليه

(ب) أن تكون مشتملة على مالايسع مسلما جهله من أمور دينه وما يعلم الذي فهمه بطلان مايدعو اليه المبشرون وغيرهم من الدعاة الى ماينافي الاسلام وأنه كفر وفسوق عن الاسلام ، من غير تصريح بشيء من تلك الاصول والبدع ولا ذكر العقائد المخالفة ولا أسماء أهلها . وأهم هذه المسائل كون محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين ، المرسل رحمة للعالمين ، وان التشريع السماوي قد تم بشرعه ، ومن ادعى الوحي بعده فهو مفتر على الله تعالى مارق من دينه

(ج) ان تكون في منتهى السهولة في العبارة والاسلوب بمكن ان يفهمها العوام بمجرد التلقين والبيان الوجيز ، ومن شرط ذلك خلوها من الاصطلاحات الكلامية والفقهية والادلة المنطقية والاصولية

(د) أن يكون ما تدونه في الايمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله موجها الى مايؤثر في القلوب والاعمال من حبه تعالى ومراقبته ، والتذكير بعلمه بما يسره المرء ويخفيه ، والرجاء في مثوبته لمن احسن عملا ، والخوف من عقابه لمن اساء وظلم الخ ويكون الكلام في رسالة الرسل عليهم السلام مبينا لعصمتهم وكذب من يفترون عليهم ، ويرمونهم بشيء من النقائص ، وكونهم كانوا كلهم داعين الى عبادة الله وتوحيده وابطال الشرك والوثنية ، والى العمل الصالح والاستعداد للآخرة — ثم ما امتاز به خاتمهم ﷺ من المزايا والكمالات في أميته وكتابه واشتمال شريعته على الاصول الكافية لاصلاح البشر الى آخر الزمان ، وما في افعاله وشمائله من الاسوة الحسنة والقدوة الصالحة كشجاعته وسخائه ورحمته وايثاره الناس على نفسه وأهله

(ه) ان يكون الكلام في آداب الاسلام وفضائله مقرونا بما لها من التأثير في الاعمال النافعة من شخصية ومنزلية واجتماعية — والكلام فيما ينافيها من الرذائل مبينا لما لها من سوء التأثير والضرر في الابدان والاموال والاعراض ، كمضار القمار والسكر واستعمال المخدرات التي فشت في هذا الزمان الخ

(و) ان يقتصر في العبادات على الكليات المجمع عليها في الطهارة ومنافعها وصفة الصلاة وحكمتها وهي النهي عن الفحشاء والمنكر ومنافاة الهلع والجبن والبخل ، وتعود النظام وجمع الكلمة ، وكون الزكاة ركنا من أركان الاصلاح المدني والاجتماعي

والسياسي واقيا للمسلمين من الفقر المدقع ومفاسد البلشفية وعونا لهم على كل إصلاح. وكون الصيام يقصد به تقوية الارادة بتربية النفس على ترك الشهوات البدنية الضرورية المباحة تعبدا لله تعالى لتكون على ترك الشهوات المحرمة أقدر - وكون الحج عبادة روحية مالية، ورياضة جسدية واجتماعية، ووسيلة لتعارف الشعوب الاسلامية الخ.

٤ - ان يقرر المؤتمر الاستعانة بأعضائه الحاضرين ثم بلجانه التي تؤلف له للتنفيذ وللنشر ولجمع الاموال، ثم بجمعيات الشبان المسلمين وغيرها من الجمعيات الاسلامية التي تكثر في جميع الامصار، على نشر هذه الرسائل في جميع الشعوب الاسلامية بعد ترجمتها بلغاتها الراقية لغات الكتابة والتأليف، كما تقدم في نشر رسالة مقاومة التبشير

٥ - أن يعنى المؤتمر بالسعي للصلة بين خطباء البلاد الاسلامية وتعاونهم على اصلاح الخطابة، وجعل موضوعاتها في المساجد في امور الدين وسائر مصالح المسلمين

٦ - ان يقرر المؤتمر التوسل لجعل التعليم في المدارس الاسلامية ولاسيما الحرة التي لاسيطرة عليها للاجانب والرسميات كمدارس المجلس الاسلامي الاعلى في مركزه (فلسطين) على الوجه الذي يؤهل تلاميذها للدعوة والارشاد اللذين تقدم بيانهما

٧ - ان يتخذ المؤتمر الوسائل التمهيدية لتعميم اللغة العربية في جميع الشعوب الاسلامية لما في مقدمة هذا التقرير من توقف فهم الدين ووحدته عليها، واشتداد الحاجة في هذا العصر الى هذه الوحدة التي تجمع قوة هذه الامة المؤلفة من ٣٥٠ مليونا الى ٤٠٠ مليون لحفظ حقيقتها واعلاء شأنها ودفع ضروب العدوان عن دينها ودنياها

فاللغة في الامة الواحدة كالمجموع العصبي في البنية به يكون شعور جميع الاعضاء بكل ما يطرأ عليها من الادراكات والمؤثرات المؤلمة والملائمة، وعلى هذا الشعور يتوقف التعاون الايجابي والسلبي. فلا يتم لنا إحياء هداية الاسلام بانواعها ولا وحداته المتقدمة ولا فائدة مؤتمراته الا باحياء لغته الجامعة

هذا ما رأت لجنتنا عرضه على الهيئة العامة لهذا المؤتمر وهي مستعدة لبيان ما عساه يحتاج الى الايضاح منه، والدفاع عما يرد عليه من النقد، والسلام

المقرر — رئيس لجنة الدعوة والارشاد

اسعاف النشاشيبي — محمد رشيد رضا

(الاعتراض على التقرير في المؤتمر)

دعيت لتلاوة التقرير على منصة المؤتمر في جلسة يوم الاحد قبل الظهر ثالث شعبان سنة ١٣٥٠ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣١) وتصدى للاعتراض الشيخ سعيد درويش البابي الحلبي أحد أعضاء اللجنة الذي ذكرت خطته وشغبه في الجلسات التي حضرها ، فأسكته الرئيس ليتمكن الاعضاء من سماع التقرير وفهمه متصلا بعضه ببعض ، وليكون الاعتراض بعد إتمامه وفهمه أدنى الى كونه معقولا الخ

وبعد تلاوته حضرت صلاة الظهر فأرجئت الجلسة إلى ما بعد الصلاة ثم افتتحت في أول الساعة الثانية بعدها وفتح باب المناقشة فيه ، فقام الشيخ سعيد درويش فقال ان مسألة الدعوة والارشاد مهمة جداً لانها تتعلق بالعقيدة وان أهم شيء عند المسلم أن يحافظ على عقيدته ، وانه هو كان عضواً فيها وفي اللجنة المالية ولكنه رأى الشيخ رشيداً رئيس هذه اللجنة مستبداً فيها لا يسمح للاعضاء بابداء آرائهم وانه هو كلما كان يبدي رأيا نادى عليه الشيخ رشيد بالويل والثبور

ثم قال ان هذا التقرير الذي قدمه الشيخ رشيد ليس تقريراً لكنه محاضرة هو الذي وضعها وحده فلم يشترك هو فيها ، وانها صنفت من مادة مطاطة باسلوبه الوهابي ليؤيد فيها مذهب الوهابية ضد سائر المذاهب الاسلامية وانه هو كان اقترح على اللجنة أن تقرر عدم وجود خلاف بين المذاهب فلم يقبل كلامه (قال) واننا نطلب الحكم على هذا التقرير بالاعدام

وقام السيد محمد الصبان مندوب الجاليات الحجازية التي تسعى لمقاومة ملك الحجاز في خارج الحجاز فثنى على رأي الشيخ سعيد درويش بان هذا التقرير وهابي وضع لتأييد مذهب الوهابية ، فاضطرب المؤتمر لهذه الجرأة الغريبة وانبرى أعضاؤه لتفنيد هذه المفسدة الدعاة مفسدة التفريق بين مذاهب المسلمين وفرقهم

فسبق الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس المجلس الاسلامي في بيروت وألقى خطابا وجيزاً بصوت جهوري قال ما خلاصته :

اننا جئنا الى هنا لجمع كلمة المسلمين ونحن فوق المذاهب ، وليس في استطاعة أحد

أن يمنع اختلاف المذاهب ويجعلها مذهباً واحداً فالمذاهب تبقى على حالها وليحترم كل منا مذهب الآخر، ويكون مرجعنا الى كتاب الله فهو جامعتنا الدينية الكبرى ولا بد أن يأتي يوم تتقارب فيه الاذهان حتى لا يبقى خلاف . واذا كنا نحن ندعو الى التقارب بين المسلم والمسيحي فكيف يمكن أن نفرق بين المسلم والمسلم؟

ثم تكلم مقرر اللجنة الاستاذ اسعاف بك النشاشيبي فقال ماخلاصته :

ان لجنتنا قد اجتمعت واختارت السيد رشيد رضا رئيساً لها - وعلل ذلك بالتنويه بعلمه وخدمته للاسلام في هذا العمل وغيره زهاء اربعين عاما - وان المعترض كان يحضر الجلسات أولا وقد اقترح على اللجنة أن تقرر انه لا يوجد خلاف بين المذاهب الاسلامية . وانني أنا رددت عليه وقلت له ان الخلاف موجود وإنكاره مكابرة لا فائدة فيها ، وخير لنا ان لا نذكره وأن نكتفي بذكر الاشياء المجمع عليها - ثم انقطع عن الحضور . وقال اننا لما أردنا قراءة التقرير للمرة الاخيرة أخبرت الشيخ سعيداً هذا ودعوته الى حضور الجلسة فامتنع . والتفت اليه وقال : أما نحن فقد حضرناو تقرر كل شيء برأينا، وأما انت فقد فررت من الزحف

(قال) نعم ان السيد رشيد رضا هو الذي وضع التقرير ولكنه لم يستبد به بل كنا معشر الاعضاء نبدي له كل ما نراه من آرائنا فيتقبلها ويدونها فتدور المناقشة فيها ولم نقدم الى المؤتمر إلا ما اتفقنا عليه

ثم تكلم الاستاذ الشيخ حسن أبو السعود وبدأ كلامه بقوله ان الاستاذ النشاشيبي مقرر اللجنة قد ذكر جل ما كان يريد أن يقوله هو ، وفند قول المعترض ان السيد رشيدا ما كان يقبل أن يناقشه أحد . وأنا أقر وأعترف بانه تقبل كثيراً من آرائي بقبول حسن وأنا بمنزلة ولده وتلميذه - وبالغ في الثناء كالاستاذ النشاشيبي

ثم قام محمد علي أفندي الحاني وقال انه يوافق السيد رشيداً على آرائه في العلم والدين ولكنه لا يوافقه على أن الاسلام قام بالدعوة والحجة دون السيف والقوة. فضج الأعضاء واضطربوا من كل ناحية ، ينكرون كلامه ، ويجرّون لسانه، وكان يعيد قوله ويبديه المرة بعد المرة متعجبا مبتسما، حتى اسكتوه واجما مبتئسا

ثم نهض الاستاذ الشيخ سليمان الضاهر وقال إننا جئنا الى هنا لتوحيد كلمة المسلمين لا لتفريقها وانني بصفتي شيعياً أؤيد تقرير السيد رشيد رضا ولا أرى فيه تفريقاً، وانا أعرف السيد وأقرأ مناره من أوائل العهد باصداره وأشهد أنه كان من أول الداعين إلى التأليف بين المسلمين وجمع كلمتهم ولكنني أقترح تنقيح المادة الرابعة منه

(فرد السيد محمد حسين الدباغ مندوب حزب الاحرار الحجازي كلمة الاعتراض على المادة الرابعة وعلى مقدمة التقرير طالبا إعادة قراءتها للمناقشة فيها فلم يجبه أحد)

ثم تكلم الاستاذ الشيخ ابراهيم إطفيش (الاباضي) فقال ماملخصه إنه هو ممن ابتلوا بدراسة الخلاف بين المسلمين، وأنه يعتقد أن التوفيق والتأليف في هذا المؤتمر متفق عليه، وأن الاخلاص مخيم عليه، وانه يعرف السيد رشيداً ويعرف فكره وفضله، وان رائده الوحدة الاسلامية وهو دائما يدعو اليها . . . قال: ولكنني رأيت في هذا التقرير ما كنت أود ألا يذكر فيه (؟؟)

ثم نهض الاستاذ الحاج نعمان الاعظمي البغدادي فألقى خطابا حماسيا في الاتفاق والوحدة واتفاق الجميع عليها والانكار على اثارة مايخالفها كالذي يحاوله المعترض

ثم نهض الاستاذ الشيخ محمد بهجة الاثري البغدادي وألقى خطابا حماسياً في الموضوع أثنى فيه على السيد رشيد رضا وقال انه هو يوافقه على كلامه من الناحية العلمية النظرية ولكنه يخالفه في إمكان جعل هذا التقرير نافذا بالفعل

ثم قام الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فقال ان التقرير الذي وضعه السيد محمد رشيد رضا جيد لا غبار عليه، ولا تفريق بين المسلمين فيه، وليس فيه ميل الى النزعة الوهابية كما قالوا قبل قراءته، وانه وضع على ملأ منا واني قرأته معه، ووافقت عليه، وكل مافيه نافع مفيد، وان السيد محمد سعيد البابي طلب من المؤتمر الحكم على هذا التقرير بالاعدام والتقرير لم يقرأ، فأطلب قراءته وتعديل مايرى المؤتمر إمكان تعديله منه

(وأقول) انني أخذت كلمة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بنصها من مذكراته التي أطلعني عليها بعد ذلك بعصر، ورأيته كتب فيها كلمة تاريخية غريبة لاتخطر الا في بال مؤرخ حفيظ مثله وهي :

« ويذكرني القول باعدام هذا التقرير بما قرره كهنة اليهود في هذا المكان من وجوب إعدام المسيح ، وأسأل الله تعالى للتقرير النجاة كانجا المسيح عليه السلام » اه

وأثنى بعض الاعضاء على التقرير الا أنهم ارتأوا وجوب اختصاره

(أقول) أما أنا فقابلت ذلك الهجوم من الشيخ سعيد درويش البابي - الذي أخبرت بعد الجلسة أنه أزهري ايضا - بالحلم والرفق . وقد كفاني الله تعالى أن أقول شيئا في إظهار جهله وجرأته على البهتان بما كتبه باعضاء لجنة الدعوة والارشاد ، فكان فضيحة له على رءوس الاشهاد ، وباستنكار هيئة المؤتمر كلها لما حاول من إثارة فتنة العصبية ، والانكار على الوهابية ، ولهذا نصره مندوب حزب الاحرار الحجازي الذي جاء المؤتمر لينصر حزبه على حكومة الحجاز السعودية ، ولم ينصره أحد غيره بل خذله المؤتمر كله

وقد افتتحت الدفاع عن التقرير بالاشارة إلى ما يعرفه أكثر أعضاء المؤتمر وغيرهم من جهادي مدة ثلث قرن ونيف في سبيل جمع كلمة المسلمين على طريقة أستاذي بل أستاذي العصر وحكيميه السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري ويشهد لي بذلك أكثر من ثلاثين مجلداً من مجلة المنار لا يمكن لأحد أن يماري فيها (قلت) وان لي قاعدة معروفة مشهورة في الجمع بين أصحاب المذاهب الاسلامية سميت القاعدة الذهبية وهذا نصها :

نتعاون على ما نتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه

وذكرت أن مسائل هذا التقرير ليست من الخواطر التي عرضت في جلسات اللجنة وإنما هي نتائج تفكير قديم ، وبحث طويل عريض ، وتجارب ممحصة ، ثم أعيد تمحيصها بالشكل الذي وضعته في مسودة هذا التقرير مع أعضاء لجنته ، ونقحت بما اتفقوا عليه ، بعد المناقشة فيه ، وان سبب ما اقترحه من جعل الرسائل الاسلامية في العقائد والاحكام المجمع عليها انما هو جعلها مقبولة عند علماء جميع

المذاهب فتكون أول نواة غرست في كل شعب إسلامي للاتفاق والوحدة، فكيف يفهم عاقل انها سبب للتفرقة ، ولا أرى حاجة الى تلخيص كل ماقلته في ذلك الموقف لأنني عالم أن كل من يقرأ هذا التقرير في المنار يرى ان من الفضول الدفاع عنه أو الرد على المعترض عليه بعد أن جبهه أعضاء اللجنة في جلسة المؤتمر العامة بما أثبت كذبه وبهته لي ولهم وأنه يتكلم عن هوى لا عن رأي واعتقاد ، حتى رثيت له ولم أزد على ماقالوه كلمة واحدة في تجهيله واظهار سوء نيته

ويرى أن اعتراض بعض الاعضاء على المادة الرابعة مما لا يظهر له وجه وجيه، مع صحة نيتهم وحسن فهمهم الذي لانزاع فيه

وأما مكتب الرياسة فانه نظر في وهن الاعتراض وخذلان من أثاره، وتأمل فيما ارتآه بعض الاعضاء من استحسان تنقيح بعض المقترحات أو اختصارها بمثل حذف ذكر جمعية الدعوة والارشاد الاولى ومدرستها ، وايضاح بعض المقترحات التي استحسن بعض الاعضاء تنقيحها كالمادة الرابعة ، ـ نظر المكتب في كل هذا فعرض على هيئة المؤتمر العامة أن تقرر تأليف لجنة فرعية تختصر هذه المقترحات وتضعها في صيغة مواد قانونية ، فوافق المؤتمر على ذلك ، وتألفت اللجنة وخرج أعضاؤها من بهو الجلسات الى حجرة خاصة ، وبعد البحث والمناقشة وضعنا المواد الاربع التي تقدم نصها في الجزء الماضي من المنار (ص ٢٠٨)

ثم عدنا الى الجلسة العامة وقرئت المواد الاربع فوافق عليها المؤتمر بالاجماع فقام مندوب الحزب الحجازي وطلب إعادة قراءة مقدمة التقرير والمناقشة فيها فلم يعن بطلبه أحد. فهذا ملخص ماوقع، ولم يدون مثله في شيء مماتناقش فيه المؤتمر

وإنني سأنشر في جزء آخر خلاصة الخطاب الطويل الذي ألقيته على هيئة المؤتمر العامة في الأخطار التي تهدد العالم الاسلامي من أمراضه الذاتية العامة لجماعته والشخصية في أفراده والخارجية وما يجب على مثل هذا المؤتمر من السعي لدرء الاخطار ومعالجة الامراض

جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

ألفت في مكة المكرمة جمعية بهذا الاسم أرسل الينا رئيسها الاستاذ الشيخ عبد الله الشيبي النجل الاكبر للشيخ عبدالقادر الشيبي حاجب بيت الله الحرام ما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

معدن الفضل ، وينبوع الحكمة، فضيلة العالم العلامة ، والاستاذ الجليل، السيد رشيد رضا ، كلأته العناية

تحية من عند الله مباركة طيبة (وبعد) فان لي الشرف الاعظم الاثيل أن أحيط فضيلتكم علماً أن الحكومة السنية مدد الله مداها ، قد لبت طلب الشعب الحجازي في تأسيس جمعية يوكل اليها أمر المطالبة بأوقاف الحرمين ، وإذ قد اعترف رسمياً بهذه الجمعية بعد أن بلغت تصديق نظامها الذي اعتزمت السير بمقتضاه نحو الغاية الجليلة التي أسست من أجلها - أجمع رأي الهيئة الادارية المدون بمحضرها رقم ٤ وتاريخ ١٦ الحجة ١٣٥٠ على نشر بلاغ بالكيفية ، وزف هذه البشرى الى فضيلتكم مشفوعة بصورة من البلاغ والنظام المصدق المذكورين طلبا في نوال عطف ذوي الفضل والهمم ، وأرباب المكارم والشيم أمثالكم ، وإعلاناً لحاجة الجمعية في مظاهر تكم لها في الخطة التي ارتسمتها ، و بعيد الشأو الذي نصبته، لا عدمت الامة الاسلامية تلك الانفاس الطاهرة، وذلك القلم السيال بأسمى العواطف الشريفة وأنبلها، والمتحفز بنقي وجدان وحساس شعور وحي ضمير حر عرف ما له وما عليه

هذا ولم يفت الجمعية بهذه المناسبة ان تبدي لشخصكم الكريم عظيم شكرها وخالص امتنانها على تلك النفثات العبقرية التي تضوعت من خلال مقال نشر لكم على صفحات صوت الحجاز في موضوع أوقاف الحرمين الشريفين، فجاء بالحقيقة آية

استفاضت من علم غزير، ومبدأ جليل، ونظر ثاقب، ورأي صائب، أبدع أساليب الحكمة، وضروب الحجج الناصعة، في تأييد حق ابلج، أبصرتم بوازع ماهو مسلم به لكم من غيرة دينية، وحمية إسلامية، وجوب مناصرته، والأخذ بناصية اهله الى حيث مبتغاهم في الحصول عليه، جزاكم الله خيراً، وأكثر للامة الاسلامية من هذا المثل - أمثال علم وعمل وصدق وإخلاص

وإذ تعظم الجمعية لفضيلتكم أيادي أسديتموها، ومنناً أوليتموها، تؤكد لفضيلتكم بأنها عظيمة الثقة وطيدة الامل في أن يكون لها من شخصكم الكريم خير مستمد روحي، وأمثل ينبوع حكمي، تستنزف من متلاحق فيضه إرشادات قيمة، وأفكار نيرة، تسهل لها مهمة ما أخذت على عاتقها تذليله من الصعاب، وكؤود العقبات التي تعترضها في سبيلها تجاه الغاية المرجوة والشأو المبتغى. تولى الله الجميع بعونه وعين عنايته وتوفيقاته، والسلام ٢٠ — ١٢ — ١٣٥٠ توقيع

رئيس الجمعية

﴿ بلاغ من جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ﴾

غير خاف ما لهذه البلاد المقدسة وأهلها في سائر الاوساط الاسلامية كتونس ومصر وتركيا والعراق والهند وفلسطين وسوريا - من أوقاف عظيمة، منها ماهو للحرمين الشريفين وخدمتها خاصة، ومنها ما هو لعوائل معلومة، وأشخاص معروفين من مجاوريها، لكل وقف شروط معينة، ولوائح مبينة لنوع الوقف وموقعه وحدوده، ومقدار مايستحقه الحجاز من ريعه السنوي، عكف نظاره على توفية المستحقين حقوقهم من هذه المحصولات طبق شروط الواقفين، ولكن أسبابا وعوامل - ذهب المجموع في تعليلها كل مذهب - حالت هذه السنوات الاخيرة عن انتظام إيصال هذه المبرات الدائمة والحقوق الموروثة الى أهلها

ولما لم يعد في قوس صبر الامة منزع اعتمدت بعد الله على مابيدها من مستندات

قيمة وحجج قوية تؤيدها في مشروع حق لها موروث وسارعت الى تشكيل جمعية تحت عنوان ﴿ جمعية المطالبة باوقاف الحرمين الشريفين ﴾ وألقت على كاهلها مهمة البحث بالطرق الممكنة والمشروعة عن اموال الاوقاف العائدة للحرمين الشريفين وأهلها وحصر جهودها في المطالبة بريعها السنوى وإيصال ذلك إلى مستحقيه الاول فالاول ، وإذ تعلن الجمعية اعتراف الحكومة السنية بتأسيسها وتصديقها نظامها الذي اعتزمت السير بمقتضاه نحو الغاية التي أسست من أجلها - تظهر حاجتها القصوى الى استعطاف نظر أرباب الغيرة والحمية عليها من سائر رجالات المسلمين مستحثة — باسم الواجب الديني — هممهم ، ومستنهضة عزيمتهم على مؤازرتها ومناصرتها في كل مامن شأنه يسهل لها مهمة القيام بهذا العمل الجليل، والمشروع الخطير

ولما كانت المادة التي تحتاج اليها الجمعية لتأمين مصروفاتها في سبيل تحصيل المعلومات وإرسال الهيئات وتعيين المحامين عند الحاجة واللزوم انما هي منحصرة في تبرعات المحسنين من رجال البر والاحسان في كل صقع من الاصقاع الاسلامية وفيما يتكون من بدل اشتراك سنوي زهيد لايقل عن ريال واحد مفروض على كل عضو من أعضائها - فان الجمعية تدعو كل من يترتب عليه أداء هذا الواجب ، وبالاخص عموم أفراد الامة على اختلاف طبقاتها باعتبارهم أعضاء طبيعيين في هذه الجمعية الى المبادرة بالقيام بما عليهم من واجبات أهمها تقديم بدل الاشتراك المنوه عنه ومظاهرة الجمعية في كل مامنه تشجيع وتعضيد لها على تحقيق غاية جليلة، وأمنية مضمونة الحصول والنفع العميم ان شاء الله .

نظام جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين

١ - تأسس في مكة المكرمة والمدينة المنورة جمعية تسمى ﴿ جمعية المطالبة بحقوق أوقاف الحرمين الشريفين ﴾

٢ - مركز الجمعية في المدينة المنورة يكون مربوطا بمركز جمعية مكة

٣ - غرض الجمعية خيري محض ولاتتعاطى السياسة مطلقا

٤ - تبحث الجمعية بالطرق الممكنة والمشروعة عن أموال الاوقاف العائدة للحرمين الشريفين وأهلها في أي جهة كانت

٥ - يجري تنظيم كل ما تتحصل عليه الجمعية من نتيجة درسها ضمن لوائح تحتوي على نوع الوقف وجهته وغلته والبلدان التي توجد بها أعيان الاوقاف والتي تستحصل غلالها منها برسم الخطط القويمة التي يستطاع مع تطبيقها الوصول الى الشأو المبتغى

٦ - تقوم الجمعية بحصر جهودها في المطالبة والملاحقة باموال الاوقاف وايصالها الى مستحقيها بالاشتراك مع مديرية الاوقاف عندالتوزيع

٧ - تقوم الجمعية بالمطالبة بحقوق الاوقاف وتثبيتها سواء أكان ذلك عن طريق المرافعات بما يلزم لها من تعيين محامين أو ايفاد مندوبين من قبلها او مخابرات الجمعيات والهيئات الخيرية في الخارج أو ما في معنى ذلك

٨ - للجمعية حق تشكيل فروع لها داخل المملكة طبق ماتقتضيه المصلحة واللزوم

٩ - لعموم الوطنيين حق الانتساب الى هذه الجمعية والاشتراك فيها بمبلغ لا يقل عن ريال واحد سنوياً كما يجوز لهيئة الجمعية قبول من يتراءى لها مصلحة في دخوله ممن يعلن الرغبة في الانضمام الى الجمعية من سائر المسلمين

١٠ - تجتمع الجمعية العمومية لاول مرة برئاسة أكبر الاعضاء سنا وبعد ذلك برئاسة رئيس الجمعية أو من ينوب عنه في كل سنة مرة واحدة بمكة المكرمة والمدينة المنورة في شهر ذي القعدة بدعوة من هيئة الادارة أو بطلب عشرة أعضاء من الهيئة العمومية

١١ - الهيئة العمومية تنتخب من بين أعضائها هيئة ادارية في رأس كل سنة لتنوب عنها في جميع أعمالها طيلة السنة

١٢ - تنظر الجمعية العمومية في الاعمال الآتية:

ا - الحساب السنوي

ب ـ الاعمال التي قامت بها الهيئة الادارية والتي عهد اليها أمر القيام بها من قبل الهيئة العمومية

ج ـ الاقتراحات المقدمة باسم الجمعية

١٣ — تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة بالاكثرية الحاضرة على أن لايقل ذلك عن ثلثي نصابها المؤلفة منه

نفقات الجمعية ومصاريفها

١٤ ـ الاموال التي تحتاج اليها الجمعية للمصروفات في سبيل تحصيل المعلومات وارسال الهيئات ـ وتقديم المحامين تكون من التبرعات التي يتبرع بها المحسنون ومن مجموع بدل الاشتراك المفروض دفعه سنويا ومن قبل أعضاء اللجنة للصندوق طبق المادة (٩) من هذا النظام

١٥ ـ ترصد التبرعات والاشتراكات التي تقدم الى الجمعية في سجل خاص بها

١٦ ـ تصدر الجمعية في نهاية كل سنة بيانا عن عموم الاعمال التي قامت بها خلال تلك السنة ومادخل وأنفق فيها ،

١٧ ـ تتألف هيئة الادارة من عشرة أعضاء تنتخبهم الهيئة العمومية والهيئة المنتخبة تنتخب من بين أعضائها رئيسا ونائبا وسكرتيراً وأمينا للصندوق

١٨ ـ تجتمع الهيئة الادارية في الاسبوع مرة ولها أن تقرب أوقات الاجتماع وموالاته يومياً عند الحاجة واللزوم

١٩ ـ لاتكون قرارات الهيئة الادارية نافذة المفعول الابالاكثرية المطلقة

٢٠ ـ الهيئة الادارية تقوم بتنفيذ قرارات الجمعية العمومية وعرض مقرراتها وأعمالها الى الجمعية العمومية عند اجتماعها ،

٢١ ـ يعهد بجميع دفاتر الجمعية الى السكرتير وذلك فيما عدا دفتر الحساب الخاص بالدخل والنفقات فانه يكون من نسختين احداهما في عهدة أمين الصندوق والآخر في عهدة رئيس هيئة الادارة ونائبه ويكون موقعا على صحة حسابها من أكثر الهيئة الادارية

٢٢ — للجمعية حق مراجعة الدوائر ذات العلاقة فيما تحتاجه من ايضاحات ومطالبات وغير ذلك — وعلى الدوائر المذكورة أن تبذل منتهى الجهد في مساعدة هذه الجمعية وتسهيل أمر مهمتها اه

(المنار) انه ليسرني تأليف هذه الجمعية وأعدها بكل ما تكلفني إياه من مساعدة أقدر عليها، وأحث كل مسلم مخلص لدينه ومحب لله ولرسوله (ص) ولجيرانهما في حرميهما على مساعدتها — ولعلي أول من فكر في مسألة البحث عن أوقاف الحرمين العامة والخاصة بمصارف معينة والمطالبة بها لاجل ايصال ريعها الى مستحقيها وأول من دعا الى ذلك السعي بعد استيلاء الملك عبد العزيز السعودي على الحجاز، وقد كلمته بهذا عند وضعي للمباحث التي يجب بحث المؤتمر الاسلامي العام فيها، وكنت أرى انه يجب أن يوضع حامئذ مثل ما وضع في هذا العام من النظام وتأليف اللجان لهذا العمل ولكن المرض الذي كاد يقضي علي ثم ما كان من شغب وفد جمعية الخلافة في المؤتمر الذي كاد أن يقضي عليه والاشتراك في معالجته قد حالا دون هذا وغيره مما كنت عازما على السعي لنهوض المؤتمر به تقريرا وتنفيذا

ثم انني كنت أناقش هنا كثيراً من رجال الحكومة المصرية وغيرهم في مسألة أوقاف الحرمين وقد ذكرتها في المنار مراراً آخرها المقالة التي نشرت في الجزء الثاني من المنار وفي جريدة الجهاد المصرية وجريدة صوت الحجاز المكية الجديدة (* ولكن أبت نشرها جريدة أم القرى الرسمية لحكومة الحجاز وقد ارسلت اليها نسخة منها لنشرها !

ثم أرسلت في بريد معتمد حكومة الحجاز ونجد بمصر الى وكيل وزارة الخارجية بمكة المكرمة فكان من الغريب الذي لا يعقل أن تأبى هذه الجريدة نشر هذه المقالة الحكيمة في الحث على القيام بحقوق الحرمين وسكانهما والدفاع عن حكومتهما، بدلا من أخبار منشوريا وشنغاي وأمثالها، وكان المنتظر أن تأمر حكومة الحجاز بترجمة هذه المقالة الى لغات أكثر الحجاج وتطبع الوفاً من أصلها العربي وتراجمها وتوزعها على الحجاج ولعل المانع من ذلك اتقاء سخط حكومة مصر، ولكنا عجبنا من قول جلالة الملك في خطبته النفيسة على حجاج هذا العام انه لم يدافع عنه أحد من المسلمين فيما يوجه اليه من المطاعن مع علمنا بكثرة المدافعين عنه في كل قطر فهل يحجب عن جلالته ما ينشر في صحف الآفاق الاسلامية من ذلك فلا يقرؤه ولا يلخصه له ديوانه حتى هذه المقالة ؟

*) من غريب ما فعلته هذه الجريدة انها نشرت المقالة ووضعت لها هذا الامضاء (الشيخ رشيد رضا)

اصلاح عظيم في وزارة المعارف

وإخراج الدكتور طه حسين منها وخروج أحمد بك لطفي السيد من الجامعة المصرية

لقد كان أكبر هم الاحتلال الانكليزي في مصر إفساد مايتوقف عليه استقلالها في مستقبل أمرها اذا قضت الاقدار الالهية خروج جيشهم منها وهو المدارس والجيش ، فاما الجيش فلا كلام لنا فيه هنا ، وأما المدارس فكان همهم من السيطرة عليها تخريج نشء جديد لاهم له من الحياة إلا التمتع باللذات الجسدية والزينة في اللباس والاثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة ووظائفها ، والتوسل إلى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتملق للرؤساء المسيطرين من الانكليز في المرتبة الاولى ومن صنائعهم الوطنيين في المرتبة الثانية

لهذا كان أهم ماعني به المسيطر على وزارة المعارف منهم (ألا وهو القسيس مستر دانلوب) أن يطمس كل أثر كان للدين الاسلامي في المدارس الاميرية ولا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الديني منفذاً يشرف منه على القلوب ، أو يشرق على العقول ، تيسيراً للالحاد والاباحة أن ينفثا سمومهما في إفساد الاخلاق ، وعبادة الشهوات ، وإيثارها على هداية الملة ، ومصالح الامة ، وحجابا دون مقاصد الاسلام العالية في السيادة الملية ، وعدم الخضوع لأي سيطرة أجنبية ، أن تتمكن في الاذهان ، وتتغلغل في أعماق الوجدان ، وإلهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية ، التي تفصل بين مسلمي مصر ومسلمي سائر الاقطار ولاسيما العربية ، التي تخشى انكلترة أن تتحد بها فيكون منها دولة عربية اسلامية قوية ــ وهو الأمر العظيم الذي كان استشرف له محمد علي الكبير فحالت الدولة الانكليزية دونه بحيلة الانتصار للدولة العثمانية التي كانت تراها سائرة الى الانحلال

نجح مستر دانلوب في سياسته اتم النجاح ، وشغل المدارس بألعاب الرياضة الجسدية عن ترويض الأرواح ، (على سهولة الجمع بينهما) وكان شر العواقب لنجاحه ان طبع وزارة المعارف المصرية بطابع سياسته ، ووجهها شطر مقصده ،

حتى اذا جاء الاستقلال المقيد وصار أمر التعليم في ايدي الوطنيين كان بعض وزراء المعارف من بعده، شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده . بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزغات التفرنج وصد تيار الاباحة والالحاد، الذي يقذف بالامة في فوضى الاخلاق والفساد

ومن العجيب ان نرى جميع الاذكياء من العلماء والادباء والكتاب مجمعين على ان اقتل امراض هذه الامة فساد الاخلاق ، وانه لا ينفعها بدون تهذيب الاخلاق علم ولا استقلال ، ثم لا نجد لهذا الاجماع ادنى تأثير في التربية المدرسية، مع الاجماع على فقد التربية المنزلية

واعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البلاد السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملي والأدبي الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها به من الفساد والفوضى، وانما الطريقة المتبعة عند كل حزب تقسيم الوزارات بين رجال الحزب المستمسكين به، لا يصرفهم صارف عن جعل وزير المعارف أحد المعروفين بالالحاد، كما لا يصدهم صاد عن جعل وزير الحربية أحد الادباء او رجال الاقتصاد

ولقد كان من مثار العجب جعل الاستاذ احمد لطفي السيد المحامي وزيرا للمعارف، حتى اذا ما تبوأ هذا المنصب مراد بك سيد احمد القاضي الاهلي زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين ان الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين في الامة بتربية بنيها وبناتها على الالحاد والاباحة المطلقة

لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتغذيته مبادىء الالحاد في نفسه ، وتجرئته على بثها بقلمه أولا وفي دروسه في الجامعة آخراً ، فان الثاني قد ابتدع في وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحة ، والقاء جلابيب الحياء والصيانة ، من رقص التهتك والخلاعة ، وتصوير الشبان والشواب ، مجردين ومجردات من الثياب ، ما يتضاءل أمامه ذلك الافساد القولي الذي يمكن ابطاله بما هو أقوى منه في نوعه .

ليس بكثير على مثل مراد بك سيد احمد أن يفترص ارتقاءه إلى منصب وزارة

المعارف فيبتدع فيها تعليم الناشئة المصرية من البنين والبنات التمثيل الاباحي والرقص (التوقيعي) بانه من الرياضة الجسدية وتجديد المدنية، ويربيهم على التجرد من الثياب بحجة الترقي في صناعة التصوير ، وهو هو الذي كان قاضيا فرفعت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب أستاذ في المدارس على التصدي لتخبيب امرأته وافسادها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبي والاستمالة، كقوله لها ان جمالها قد سلب منه الرقاد، وحكم عليه بطول السهاد، فحكم هذا القاضي الذي ارتقى من كرسي القضاء الى كرسي الوزارة بأن ما وقع من الاستاذ المعلم المربي مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل ، وإنما يعاقب القانون على الرذائل ، فحكم ببراءة الفاسق المتصدي لافساد نظام الزوجية ، وكفى به إفسادا للامة

أجدر برجل هذا رأيه وهذا وجدانه في القضاء أن يعد من أعلى الفضائل التي يخدم بها أمته بتربيتها عليها بالفعل تمتع شبانها وشوابها بكل ما في أبدان الحسان من الجمال الخفي والظاهر ، على مذهب الشاعر القائل :

حسن الغصون اذا اكتست أوراقها   ونراك أحسن ما تكون مجردا

ولكن الغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضي الجمالي والمجدد الاباحي وزيرا للمعارف ، وأن يبتدع فتنته وتقره هيئة الوزارة عليها ، ، ولا تبالي انكار أهل الدين ومحبي الصيانة لها ، وما منعني أن أرفع صوتي يومئذ بمشايعة المستنكرين الا أنني ظننت أن الحكومة المصرية قد أجمعت أمرها على إلقاء هذا الشعب المتدين في فوضى الاباحة المطلقة ، وقذفه في تيهور الالحاد والزندقة ، وانه لم يبق لهذا المزاج الحكومي من علاج ، إلا أن يصب الله المنتقم عليها صوت عذاب .

بيد أن الحكومة لم تلبث أن أخرجت هذا الرجل من الوزارة وجعلته سفيرا لها في أوربة ، وناطت وزارة المعارف بمحمد حلمي باشا عيسى ، فابطل البدعتين الاباحيتين ، فعلمنا أن ابتداعها انما كان بسوء رأي الوزير الذي افتجرها ، لا بمقتضى خطة اجماعية من الحكومة قام بتنفيذها

ثم ان هذا الوزير جعل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة مفتشا للغة العربية في الوزارة فاخرجه من الجامعة التي يبث فيها إلحاده ، فكان

لاخراجه ضجة شديدة ورجة عنيفة في الجامعة ، لا لاجل طه حسين نفسه بل لاجل المحافظة على جعل الجامعة مستقلة كجامعات اوربة لايملك وزير المعارف نقل عميد منها ولا استاذ إلا بقرار من مجلس إدارتها ، وقد افترص هذه الضجة والرجة معارضو الحكومة فكبروها تكبيرا وكبروا طه حسين بالتبع لها ، فهب في وجوههم مجلس النواب المؤيد للحكومة فطلب احد اعضائه الدكتور عبد الحميد سعيد (رئيس جمعية الشبان المسلمين) استجوابا من وزير المعارف في مسألة طه حسين واستنكار ابقائه في وزارة المعارف على ماعرف الخاص والعام من سوء سيرته في نفث سموم الالحاد في الطلبة وافساد عقائدهم وآدابهم بدروسه وكتبه . وقد القى المستجوب على المجلس بيانا طويلا لما تضمنته كتب هذا المدرس من نزغات الكفر والالحاد والاباحة ، فوعدت الحكومة المجلس بانها ستنظر في مسألته وتقرر مايرضي المجلس والامة في شأنه ،

اسهب مجلس النواب والجرائد الموالية للحكومة في الطعن على طه حسين ، فأطنبت الجرائد المعارضة لها في إطرائه ، وذلك دأب المناظرات السياسية ، وكان من تأثير اطراء الجرائد المعارضة وبعض طلبة الجامعة وغيرهم في نفس طه حسين ان شمخ انفه ، واهتز عطفه ، فافلت من لسانه ما ارادت الحكومة تحقيقه فسألته عنه فامتنع من الجواب ، وعتا عتوا كبيرا انتهى بعزله من وظيفة التفتيش قبل انه يعمل فيها عملا ، وهذا ماتبغيه المعاهد الدينية والنواب وكل مسلم يعرف افساد طه حسين في الجامعة

وكان مما دفعته سيول هذه الحوادث ان استقال أستاذه ومربيه أحمد لطفي بك السيد من رياسة الجامعة المصرية فقبلت الحكومة استقالته فتم بذلك سرور اهل الدين

لقد أوتي طه حسين من الحظ والتاييد أضعاف ما أوتي من العلم والتاديب ، فهو يدعي التجديد ولم يأت بجديد ، إلا أن خدم دعاة النصرانية بالصد عن الاسلام وبغيه عوجا ، وقلد بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك ، وهو ضرب من السفسطة قديم ، كان الذين ابتلوا به يشكون فيما يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم ، ويذوقونه بألسنتهم ، حتى شكوا في وجود ذواتهم ، فما تعوده أحد وانتحله مذهباً

له الا وأعقبه جهلا لا مخرج له منه ، ومن شك في كلام الله ، وفيما تواتر من أخبار الناس ، فأنى له أن يوقن بآراء طه حسين ؟ كلا إنما مثله كمثل من يبيع الموجود بالمعدوم ، والمتحقق بالموهوم ، أو كما قال الله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض . اذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة له أنهم رأوه مستولغا مستهتراً لا يبالي في سبيل الشهرة بالالحاد والاباحة ذما ولا عارا ، وهم حريصون على نشر هذه الدعوة في الجامعة المصرية ليهدموا بمعاول المتخرجين فيها كل ما بقي للاسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية ، فهم ارادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية وعلى دار العلوم أيضا ، وقد صرح بعض كتابهم بهذا في مقالات نشرت في بعض الصحف ، بل صرحوا بان ثقافة هذه الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الازهر الدينية في مصر وفي سائر البلاد العربية. ويسرنا ان بعض الذي جاهروا بهذا العداء للدين وصلينا نار قذفهم للرد عليهم فيه قد ثابوا فى هذا العهد او العام الى رشدهم ، وانابوا الى ربهم ، ولقد كان اظهر الاسباب لعناية اولئك الملاحدة ببث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب مازال يغلب عليه الدين ، فهو يحتقر في نفسه أمثالهم من الزنادقة والمعطلين ، وقد رأى طه حسين ان في كفالتهم له وتقديمهم اياه ربحا لا يصل اليه بدون هذه الوسيلة ، وان الذين لا يزالون يغارون على الدين لا ينصرون انصاره ، ولا يضرون أعداءه ، الا أذى من القول ، وقد كان من دهائه وعدم مبالاته بالذم أن لا يرد على معترض ، ولا يثأر من منتقص ، فكان الرد عليه يزيده شهرة ، ولولا كثرة الردود عليه لما ذاعت شهرته وانتشرت مصنفاته ، فكان هذا من كبر حظه أيضاً

ولعلمي بهذا لم أعن بالرد عليه والعناية باظهار جهله . بل لم أنظر الا في قليل مما كتبه ، وكان المرحوم رفيق بك العظم أول من أنبأني بمقالاته في جريدة السياسة

التي جعل عنوانها (حديث الاربعاء) ومافيها من الجناية على التاريخ العربي والاصلاح الاسلامي وإغراء الناشئة بالفسق والاباحة لاقرأها وأرد عليها فلم افعل، ولعله كان رحمه الله أول من رد عليه، ولكنني عنيت باظهار ما كان خفيا على الناس من امر الحزب الذي اتخذه داعية له والجمعية التي تؤيده وتنوه به، وقد سميتها (جمعية الالحاد والزندقة، والاباحة المطلقة) فانتقموا مني بهجر من القول، وقذع فاحش من البهت، وتبديل حسناتي سيئات، كقولهم انني كنت أقل الناس وفاء وأشدهم كنودا للشيخ محمد عبده حتى انني بعت مذكراته ومستندات تاريخه للخديو عدوه !!!

ها هو ذا تاريخ الاستاذ الامام قدظهر ناطقا بما يعلم الناس وبما لم يكونوا يعلمون من سيئات الخديو في مقاومة الشيخ محمد عبده في اصلاحه، وناشراً لما كان مطويا من مذكراته، فهل رجع المفتري علينا عن بهتانه؟ واذا كان صاحب المنار قليل الوفاء للشيخ محمد عبده وهو الذي يشهد له ٣٢ مجلداً من المنار بالتنويه بفضله، والاشادة بذكره، فليدلنا ذلك الكاتب على الاوفياء له أو على واحد من أحيائهم أو أمواتهم ؟

لقد كان وجود الدكتور طه حسين أستاذاً معلماً للآداب العربية في الجامعة المصرية ذنباً كبيراً لوزارة المعارف فانه مفسد لآداب النفس التي لاقوام لها إلا بالدين، ولا دين إلا باليقين، ومن قواعد آدابه الشك والتشكيك في الدين وفي غير الدين، فهو من أكبر المفسدين، وإنه على إفساده لآداب النفس غير مصلح في آداب اللغة بل هو مفسد فيها أيضاً، وإن شهد له إخوانه اللاحدة في مصر وأوربة وأخوه الذي في حلب أيضا بأنه امام المصلحين، كما شهد هو لأبي نواس أفسق أهل عصره بانه امام المصلحين!! فان كل آدابه اللسانية خلابة لفظية، ونظريات جدلية، واذ كان وجوده ذنبا لها وللحكومة فاخراجه كفارة لهذا الذنب، وإذ كان هو مفسداً للآداب فاخراجه اصلاح لاريب فيه

ولقد سر هذا الاصلاح جميع أهل الدين، وكل من يغار على الفضائل والآداب الصحيحة، ولو وقع في عهد سعد باشا عقب حملته عليه في مجلس النواب تلك الحملة الشديدة لعده السواد الاعظم من الامة من أكبر حسنات سعد، ولفاضت أنهار الجرائد الوفدية بمقالات الثناء على سعد، والقذف والرجم لطه حسين، إذ كان

يدخل حجرة الدرس في الجامعة فيسمع من صفير طلبتها وزفيرهم مايكاد يحرقه احراقا
ولكن جاء هذا الاخراج أو الاصلاح في وقت لم تظهر فيه مزاياه لجمهور الامة وسوادها الاعظم، أو «ظرف غير مناسب» كما قال بعض الادباء المستقلين، فكان من أثره ما كان من الدفاع عن طه حسين واطرائه بالتبع للدفاع عن استقلال الجامعة المصرية، والهجوم على الوزارة الصدقية، ورميها باخراجه لاسباب سياسية،
وما لنا نحن معاشر المستقلين في الرأي والمنتبذين لاقصى مكان من السياسة الحزبية لا نقول الحق ولا نخاف فيه لومة لائم، على انه لا يقدر أحد أن يتهمنا بالانتصار للحكومة أو الدفاع عنها، بل يعلم السعديون الخلص اننا كنا مع سعد من حزب شيخنا وشيخه الاستاذ الامام (رح) وما زلنا أقرب الى مبادىء سعد والوفد الشعبية أو الوطنية (الديمقراطية) منا الى خصومها مع المحافظة على استقلالنا في الرأي، وجهرنا بما نعتقد انه الحق، وعدم نصبنا العداء لاحد — مالنا لا نقر ونقرر وننوه بما نعتقد أنه إصلاح، ونقول إنه إصلاح، ونظهر سرورنا به، ونثني على فاعله، من غير أن نماري خصومه في سياستهم، وأي صحيفة أجدر بنصر الاصلاح الاسلامي من منار الاسلام الذي نصب للعناية به والدعوة اليه
قال حكيمنا المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغاني لاستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي في الآستانة: اننا لا يمكن أن نخطو خطوة واحدة الى الامام إلا اذا كنا نعطي كل ذي حق حقه، فنقول للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت
ولئن كان غلاة التجديد الصوري الاباحي يحمدون وزير الرقص وتصوير العراة ويسمونه مجددا، ويذمون وزير الفضيلة والصيانة ويسمونه رجعيا مقلدا، فاجدر باهل الاعتدال في الاصلاح على صراط الاسلام المستقيم، الجامع بين مصالح الدنيا والدين، أن يحمدوا الحلمي باشا عيسى عمله ويسموه من المصلحين
الا انني كلمت من أدركت قبل حلمي باشا من وزراء المعارف ـ الا واحدا أو اثنين منهم ـ فيما يجب من الاصلاح الديني فيها فما رأيت من أحد منهم ما رأيت منه من الارتياح والقبول والتوجه الى العمل من تلقاء نفسه، وقد بدأ بالتمهيد والتخلية، وفقه الله تعالى لاتمام ما بدأ به، بالتعليم والتربية

تقريظ المطبوعات الحديثة

النقد التحليلي لكتاب (في الادب الجاهلي)

مؤلفه الاستاذ الفاضل محمد احمد الغمراوي خريج مدرسة المعلمين العليا بمصر ثم جامعة لندن في انكلترة، وله بمقدمة حافلة بقلم أمير البيان الامير شكيب أرسلان طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م وصفحاته بفهرسه دون مقدمته ٣٢٥ وثمن النسخة ١٥ قرشا

أما كتاب (في الادب الجاهلي) الذي وضع هذا الكتاب لنقده بالاسلوب الذي يسمى بالتحليلي فهو كتاب للدكتور طه حسين الذي كان أستاذ أدب اللغة في كليـة الآداب من الجامعة المصرية ، وأخرج منها في هذه الاثناء ثم عزل من وزارة المعارف . وكان سماه (في الشعر الجاهلي) لخص فيه دروساً في آداب اللغة العربية ألقاها على تلاميذه في الجامعة كان أهم مقصد له فيها نفث سموم الالحاد في أرواحهم بالتشكيك في عقائد الاسلام بل صرح فيه بتكذيب القرآن العظيم ، فضج المسلمون في غير الجامعة ضجيجا شديدا بالانكار عليه ، وكتبوا مقالات كثيرة وألفوا كتبا ورسائل في نقض مطاعنه وغيرها من جهالته ، فكان يطير بذلك سرورا لانه سبب لطيران شهرته وعلو مكانته عند منافقي المسلمين أعداء الاسلام من الافرنج وغيرهم ولاسيما الملاحدة ودعاة النصرانية منهم ، وهما الفريقان اللذان قد أيدا دعايتهما وكان ما كتبه في الصد عن الاسلام أضر من كل ما كتبوه . ولكن آل ذلك الى مطالبة النيابة العامة مقاضاته الى محكمة العقوبات واصدار رئيسها عقب التحقيق قرارا في شأن كتابه شديد الوطأة عليه ، وأبلغ من كل ما كتب من الطعن فيه ، الا أنه لم يثبت عنده أنه سيء النية في طعنه ، بحيث يحكم القانون بعقابه ، ولكن جاء في صيغة القرار ما يدل على سوء النية . وقد أمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وجمع ما بقي من نسخه ومنع نشرها فنفذ ذلك

ذلك بأن مجلس النواب المصري كان قد ثار عليه يومئذ ثورة شؤمى وارتأى وجوب عقابه ومنعه من التدريس وكان رئيسه الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول يرى ذلك

ولكن تصدى لمظاهرة الدكتور والدفاع عنه زعماء الحزب الدستوري الذي ينتمي اليه ، فلما اشتد سعد باشا عليه بلغ من انتصار عدلي باشا له أن بلغ سعد باشا أنه يستقيل من الوزارة إذا عوقب طه حسين - وكان عدلي رئيس الوزارة الائتلافية بعد الصلح بينه وبين سعد باشا - فاضطر سعد باشا الى الاغماض والاغضاء - فكان هذا أغرب ضعف رأيناه من سعد باشا ، وأغرب قوة وشدة عزيمة عرفناها من عدلي باشا .. ولماذا ؟ لأجل إبقاء طه حسين في الجامعة المصرية ينفث سموم الالحاد والزندقة فيها

بيد أن الدكتور طه حسين اضطر في أثناء هذه المحنة أن يصرح بقول ينجو به من عقاب الحكم عليه بتعمد الطعن على القرآن ومعاداة الاسلام فصرح في كتاب كتبه إلى رئيس الجامعة يقول فيه انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولكن مثل هذا الاقرار لا يكفي في اثبات رجوعه عما كان قاله وفعله منافيا للاسلام فان أهل الكتاب يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله إجمالا وهو لم يأخذ طعنه في القرآن إلا عنهم ، وإنما كان يجب أن يقر بانه يؤمن بان القرآن كلام الله تعالى المنزل على محمد رسول الله وخاتم النبيين وان كل ما فيه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وان ما قاله منافيا أو معارضاً لذلك فهو خطأ

ثم انه قد اضطر بعد هذا الى أن يحذف أصرح ما قيل انه تكذيب القرآن ومناف للاسلام والايمان من كتاب (في الشعر الجاهلي) ويزيد فيه بعض المباحث ويعيد طبعه مسمياً اياه (في الادب الجاهلي) وهذا الكتاب الثاني هو الذي ألف الاستاذ الغمراوي كتابه في نقده ، واثبات ما فيه من الجهل ومنافاة الاسلام والتشكيك فيه ، ولكن طه حسين لا يبالي نقدا ولا نقضا ، ولا يرد على ناقد ولا ناقض ، لانه ان فعل هذا يظهر جهله للمغرورين بعلمه من تلاميذه وغيرهم ، وربما كان أكثرهم لا يقرءون كلام الذين يردون عليه ، وما هو بالذي يتحرى الحق وما ينفع الناس فيرجع عما يظهر له خطؤه فيه

أما مقدمة الامير شكيب للكتاب فلو لم يكتب في النقض الاجمالي لكتابي الدكتور طه حسين أو كتابه ذي الثوبين أو الاسمين - لما احتيج الى غيرها. وأما كتاب الاستاذ الغمراوي نفسه فهو لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فيه إلا أحصاها ،

وحكم عليها حكماً تحليلياً عادلا ، ولعمر الحق إن طه حسين وكتبه الخلابة الافسادية لايستحقان كل هذه العناية وانما عني العلماء والادباء بالرد عليه لما رأوا من عناية بعض الوزراء والكبراء به وبما يكتبه وبدفاعهم عنه ، ولهذا زاد الامير شكيب على الاستاذ الغمراوي القاء ذنبه على وزارة المعارف ووضع ذنبها على برلمان البلاد وذنب البرلمان على الامة المصرية

إن دعاية الالحاد التي ينفث سمومها طه حسين في أرواح طلبة الجامعة وقد دون أصولها في كتابه هذا مبنية على قاعدة التجديد تجديد الأدب — وإن مادته فيها كتب دعاة النصرانية وكتب بعض المستشرقين ولا سيما أعداء الاسلام منهم كالدكتور مرجيلوث الانكليزي المشهور — وإن أسلوبه فيها — هو ذم كل قديم في الاسلام وكتبه وآدابه وأئمتها والتشكيك في كل حق وحسن منها بعبارات التهكم والاستهزاء ، وأما حجته فيها فهي أنها مقتضى النقد التحليلي الذي يزعمون أنه من وضع الافرنج وما هو من وضع الافرنج بل كان معروفا عند سلفنا علماء العرب وأدبائهم ، فمنه ما تراه في مقدمة حكيمنا ابن خلدون من نقده لكتب التاريخ ومنه ما كتبه كثير من العلماء والادباء في نقضهم للشعر ولبعض كتب العلم كنقض شيخ الاسلام ابن تيمية لكتاب أساس التقديس للامام الرازي ونقض علم المنطق

واذا قرأت كتاب النقد التحليلي للاستاذ الغمراوي فانه يثبت لك أن الدكتور طه حسين لا يملك من هذا النقد الا خلابة اللفظ ، فباسداء الدعوى ولحته الجهل ، وحسبك اعتماده فيه على الشك ، وانما الشك دون الظن ، والظن دون العلم ، وقد بينا هذا في المنار من قبل

وفي كتاب الغمراوي من الحجج القيمة على جهله مالا يمكن رده . وفيه من الفوائد العلمية والقول الحق في المسائل المبحوث فيها وفيما حولها مالا يستغني عنه طلاب الأدب فنحث القراء على مطالعته والاستفادة منه

﴿ كتاب البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية ﴾

(مؤلفه الشيخ عبدالله بن علي النجدي القصيمي من طلاب العلم في الازهر وطبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ وصفحاته ٢٠٣ وثمن النسخة منه ٥ قروش)

أسرف الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي في الطعن على جماعة الوهابية فيما

ينشره من المقالات في مجلة الازهر المسماة بنور الاسلام ، كما أسرف في فتاويه التي تنشرها هذه المجلة،فيما ادعاه من شرعية دعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد، وإيهام الجاهلين بأصول التوحيد أن الصالحين منهم يستجيبون لمن يدعوهم ويستغيث بهم فيغيثونهم ويقضون حوائجهم — فهو ينصر بهذه الفتاوى من أفسدت عليهم الخرافات الوثنية دينهم ودنياهم ، فهم يتكلون على أصحاب القبور ويطلبون منهم ما لا يطلبه المؤمن الموحد إلا من الله عز وجل كما بيناه في الجزء العاشر من المجلد ٣١

وقد كان لعدم اطلاعه على كتب الوهابية في التوحيد وإبطال البدع والخرافات والرد على دعاتها والداضين عنها يظن انه لا يوجد فيهم علماء يقدرون على تفنيد شبهاته ، وإبطال خرافاته ، وكيف وهو محلى بلقب «أحد هيئة كبار علماء الازهر» حتى تصدى أحد طلاب العلم منهم بالازهر الرد عليه بهذا الكتاب ، فظهر لمن اطلع عليه أن مؤلفه الطالب المبتدئ أعلم من الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي بعقائد الاسلام ومذاهب المسلمين وبالتفسير والحديث النبوي وبأقوال أئمة علماء السنة ، فلذلك كبر عليه وعلى الاستاذ الا كبر أمره ، وعاقبوا مؤلفه بحرمانه وحرمان زميل له من اخوانه النجديين بما سنذكره

بلغنا أن الاستاذ الدجوي اكبر أمر هذا الكتاب فأنكر أن يكون هذا الطالب النجدي هو المؤلف له وقال لا بد أن يكون مؤلفه صاحب المنار ، وهذا غريب من فضيلته فان لصاحب المنار أسلوباً في الكتابة غير أسلوب هذا الكتاب ولونا غير لونه ، وطعما غير طعمه (وان اتفقا في المسألة) فاذا كان الاستاذ الدجوي لا يميز بين الالوان والاساليب الكلامية كالحسية أفلا يذوق طعمها ايضاً ؟ ومتى كان صاحب المنار يعير قلمه لغيره ويكتم علمه ورأيه ؟ ولو اطلع على كتب علماء نجد في هذه المسائل لما استكثر على طالب منهم مثل هذا الرد عليه

الكتاب مؤلف من مقدمة وأربعة أبواب ، أما المقدمة فقد افتتحت بقصيدة فخرية للمؤلف منتقدة في ذوقنا، يليها تفسير كلمة الوسيلة وتقسيم التوصل إلى مشروع وهو أحد عشر نوعا ،وممنوع غير مشروع وهو ما يثبته الشيخ الدجوي وأمثاله

وأما الابواب فالاول منها في إبطال ما ادعاه الشيخ الدجوي من أدلة القرآن

على التوسل الممنوع وهو ست آيات ، والثاني في إبطال ما ادعاه من الادلة الحديثية وهي ١٤ ـ والثالث في محق أدلته العقلية ـ والرابع فيما احتج به من أقوال العلماء. وفي كل باب منها مسائل كثيرة أظهر فيها من أغلاط الشيخ الدجوي وجهله بأصول الشرع الاعتقادية والفقهية وقلة اطلاعه على كتب السنة وعدم وقوفه على الصحيح وغيره ، ومن ضعفه في الاستدلال ، مالم يكن يخطر لأحد من الازهريين على بال، ولو أردنا إيراد الشواهد منه على ذلك لطال بنا المقال

ولما اطلع عليه الشيخ ضاق به ذرعا ولجأ إلى رئيسه الاستاذ الاكبر، لينتقم له من هذا الطالب النجدي المجاور في الازهر، فيقال ان الشيخ لجأ أولا إلى الحكومة كعادته وطلب منها مصادرة الكتاب، فسأله صاحب الدولة رئيسها هل يوجد في الكتاب طعن في الدين عنمه القانون ويعاقب عليه ؟ قال لا وإنما فيه تأييد مذهب الوهابية والانتصار له ، قال الوزير: ان له أن يدافع عن مذهبه ويؤيده كما تدافعون عن مذاهبكم وتؤيدونها

فلجأ ثانيا إلى حمل المؤلف على بيع الكتاب لهم بثمن بخس ، ووعده بأن يعطى شهادة العالمية في أقرب وقت ، فلم يقبل لانه يطلب العلم لاجل الانتفاع والنفع به ابتغاء وجه الله تعالى لا لاجل الشهادة الرسمية

فلما أعيته الحيلة فيه انتهى ثالثا إلى سلطته الرسمية وهو لا يسئل فيما عما يفعل فقطع أولا ما كان له ولرفيق له من النجديين من رزق قليل، وانتهى آخراً إلى قطع اسمه من سجل المجاورين وإخراجه من مأواه معهم. فاذا صح هذا كما يظهر فهو حجة ناهضة على عجز مشيخة الازهر وعجز مجلتها عن طالب علم وهابي مبتدىء فهل يليق بهم بعد هذا أن يعودوا الى الطعن في الوهابية في مجلتهم وقد صارت هذه المجلة حجة عليهم لا لهم ؟

بيد أن الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي مفتي هذه المجلة ومجادلها قد راعه تحدث بعض الازهريين وغيرهم في مسائل من رد هذا النجدي عليه. تعد من أكبر الفضائح الهادمة لصيته السابق — فطفق يرد عليها في المجلة بأسلوبه المعروف وطريقته الجدلية في المغالطة ، منها الحديث الموضوع الذي يتخذه هذا الشيخ وأمثاله من القبوريين حجة على مايسمونه التوسل بذوات الانبياء والصالحين وسؤال

الله تعالى بحقهم عليه وبأشخاصهم وهو ما رواه الحاكم في مستدركه عن عمر (رض) مرفوعا انه «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يارب لانك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك، فقال الله صدقت يا آدم، انه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك»

أصر الأستاذ الدجوي على القول بتصحيح هذا الحديث والتفصي من قول الحافظ الذهبي انه موضوع بالمغالطة والتأويل. وقد سألني بعض مجاوري الازهر عن رأيي في رده فقرأته على تحامي قراءة هذا المجلة لئلا أراني مضطرا الى ما لا أحبه من الرد على ما أنكره فيها، فبينت للسائل خطأه فيه اجمالا وانني أذكره هنا استطرادا

تصحيح الدجوي لحديث آدم الموضوع

زعم الاستاذ الدجوي أولا ان الحاكم صحح هذا الحديث وان الحافظ الذهبي أقره على تصحيحه. والحق ان الحافظ الذهبي تعقبه في تصحيحه وصرح بأنه موضوع. وقد بالغ المؤلف النجدي في التشنيع على الدجوي بهذا الجهل الجريء والافك الصريح، ففطن الدجوي بعد التأمل والتفكر في المسألة عدة أشهر إلى جواب عنه نشره في مجلة «نور الاسلام» مظهر معارفه وعلومه بعد الازهر – وهو أن الذهبي كتابا جمع فيه الاحاديث الموضوعة التي في مستدرك الحاكم – وهو غير متداول – ولم يذكر هذا الحديث فيها، فعدم ذكره له دليل على انه رجع عن عده من الموضوعات الذي صرح به في كتابه «تلخيص المستدرك» أو أنه مدسوس عليه، ثم حاول تصحيح الحديث أو تقويته بتحقيقات أزهرية طويلة بدأها بقوله:

[على اننا نقول ان الذي قاله الذهبي في تلخيص المستدرك بعد قول الحاكم إنه صحيح هكذا «بل موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه ولم يزد على ذلك» ونقول ان هذا مدسوس على الذهبي من بعض تلك الطائفة ويبعد جداً أن يكون من كلامه، وكثيراً ما رأينا ذلك وتثبتنا منه، وربما جرت اليه المناسبة في الاعداد الآتية – فان ذلك لو كان من الذهبي لقال: فيه فلان الكذاب أو الوضاع، ولا يكفي في

الحكم عليه بالوضع أن يقول ان عبد الرحمن واه ثم يسكت بل كان يقول على الأقل: واه جداً . وكيف يقول انه موضوع وقد رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة الذي قال فيه الذهبي نفسه : إن هذا الكتاب كله هدى ونور]

ثم ذكر ان القاضي عياض رواه في الشفاء وان سنده فيه صحيح وان مناظرة مالك لابي جعفر المنصور تدل على تصحيحه له. وأطال في محاولة توثيق عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم بطريقته الجدلية الازهرية التي لا تروج بضاعتها إلا على أمثال تلاميذه من مجاوري الأزهر الذين تربوا على أن يقبلوا من مشايخهم كل مايقولون، وأن يهانوا اذا عارضوهم في شيء مما يقررون .

واقول ان هذا الاستطراد لا يتسع لتفنيد كل ما في هذا الرد من الخطأ ولكنني اذكر للقارئ نموذجا موجزا منه يعلم قدر الدجوي في امانة النقل وفي الفهم

(١) قال الدجوي ان الذهبي لم يزد في التلخيص على قوله « بل هو موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه » واقول بل زاد على ذلك أن قال بعده : رواه عبد الله ابن مسلم الفهري ولا أدري من ذا ؟ عن اسماعيل بن مسلمة عنه اه أي عن عبد الرحمن . فقوله ولا أدري من ذا ، سببه الاشتباه بينه وبين عبد الله بن مسلم ابن رشيد الذي ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عن الذهبي قول ابن حبان فيه « متهم بوضع الحديث » ثم ذكر بعده الفهري هذا وقال نقلا عن الميزان روى عن اسماعيل بن مسلمة بن قعنب ، عن عبد الرحمن بن اسلم خبرا باطلا فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك ، رواه البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال ابن حجر قلت ولا استبعد ان يكون هو الذي قبله فانه من طبقته اه فالحافظ ابن حجر يقول في عبد الله ابن مسلم راوي الحديث انه من طبقة عبد الله بن مسلم بن رشيد يعني أنه يضع الحديث أو هو هو

ولكن الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي لا يعرف اصطلاح المحدثين في حكمهم على الاحاديث واكتفائهم أحيانا بالاستدلال على المعلول منها بذكر علته من رجال السند المجروحين من غير وصف الواحد منهم بالوضاع أو الكذاب كما ذكره .

(٢) زعمه انه لا يعقل حكم الذهبي على الحديث بالوضع وهو يعلم أن البيهقي رواه في الدلائل التي مدحها ـ مردود بما ذكره في ميزان الاعتدال من حكمه ببطلانه

هذا الحديث مع عزوه الى كتاب الدلائل للبيهقي ، وقد وافقه الحافظ ابن حجر في ذلك . فالمسألة مسألة نقل مدون لا مسألة نظريات عقلية واحتمالات أزهرية

(٣) ذكر الدجوي أهون ما قال اهل الجرح والتعديل في جرح عبد الرحمن بن زيد واحتج به على أن حديثه غير موضوع وانه قد يكون صحيحا إذ قال : معلوم ان الذي يغلب عليه الوهم قد يصح حديثه الخ

وأقول في تفنيد قوله هذا : ان عبد الرحمن ليست علة ضعفه غلبة الوهم عليه كما زعم ، بل أهون ماقالوا فيه انه واه وضعيف جداً وانه لا يعقل ما يروي وكان الشافعي يهزأ بخرافاته عن أبيه ويجعلها مضرب المثل في الكذب ، والحاكم نفسه قال فيه انه روى عن أبيه أحاديث موضوعة. فليراجع ص ١٧٨ و ١٧٩ من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (الجزء السادس) فتصحيحه بعد هذا الحديث له رواه عنه الفهري الذي هو شر منه من عجائب أغلاطه في المستدرك وان كان لم يفرغ لتنقيحه

(٤) ان القاضي عياض قد ذكر حديث آدم هذا في الفصل الاول من الجزء الاول من الشفاء حكاية عن أبي محمد المكي وأبي الليث السمرقندى وهما من الذين يكثرون من حكاية الموضوعات ولم يروه عن احد من أهل الحديث ولا عزاه الى كتبهم

(٥) ان مارواه القاضي عياض من مناظرة أبي جعفر المنصور لمالك المشتمل على قول مالك له مستدلا على استقبال الرسول ﷺ في الدعاء دون القبلة : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم؟ - ليس نصا صريحا من مالك بصحة حديث عمر المذكور اذا فرضنا ان هذا قول ثابت عن مالك وما هو بثابت بل هو مخالف لمذهبه المعروف ولمذاهب سائر الائمة

(٦) ان زعمه ان سند القاضي عياض اليه صحيح لا مطعن فيه، زعم باطل لا ريب في بطلانه فانه سند منقطع وينتهي الى ابن حميد الرازي وقد ضعفه بعضهم واثبت آخرون كذبه وكان بعضهم يعده مقبولا في بعض مروياته قبل ان يثبت عندهم كذبه ومنهم الامام أحمد فقد نقل عنه ابنه صالح انه استأذن عليه مرة ابو زرعة ومحمد ابن مسلم بن وارة فتحدثا عنده ساعة ثم قال له الثاني ياأبا عبد الله رأيت محمد بن حميد؟ قال نعم، قال كيف رأيت حديثه ؟ قال اذا حدث عن العراقيين يأتي باشياء مستقيمة واذا

حدث من اهل بلده يأتي باشياء لا تعرف، لا يدرى ماهي. قال فقال أبو زرعة وابن وارة صح عندنا انه يكذب. قال صالح فرأيت ابي بعد هذا اذا ذكر ابن حميد نفض يده.

(٧) استدلال الدجوي بعدم ذكر حديث عمر هذا فيما جمعه الذهبي من موضوعات المستدرك على أنه غير موضوع. موافق لقاعدة له باطلة يجري عليها في الجدل والاستدلال على شرعية كثير من البدع التي لم يرد أو لم يطلع هو على ما ورد في عدم شرعيتها أو لم يفهمه، ككون الموتى يقضون حاجات الذين يدعونهم ويستغيثون بهم. وقد عقد الطالب النجدي لهذه الجهالة فصلا في كتابه رأيته في فهرس الكتاب ولم أقرأ منه شيئا. ولولا اغترار بعض العوام والمجاورين بكلام هذا الرجل وبمجلة نور الاسلام لما كان هذا مما يحتاج الى الرد فان القاعدة المعروفة التي لا خلاف فيها بين العلماء هي أن شرعية الاحكام لا تثبت الا بالدليل، وعدم شرعيتها هو الاصل فلا يطالب مدعيه بالدليل. وقد قال بعض أشياخ الازهر مرة في هذه المسألة أو مثلها: أين الدليل على منعها وكونها بدعة؟ وكان ذلك في حضرة الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الازهر رحمه الله - فانتهره أبو الفضل وقال له: هذا جهل، انما يطالب بالدليل من يدعي ان هذا الامر مشروع لا من يقول أنه غير مشروع. ومن فروع قاعدته السلبية استدلاله على صحة الحديث المذكور بعدم تعقب صاحب المواهب ومحشيها له على أنهما لو صرحا بصحته لما كان لتصريحهما قيمة بعد العلم بوضعه.

وههنا يقال للشيخ الدجوي (أولا) لانسلم ان الحافظ الذهبي لم يذكر هذا الحديث فيما جمعه من موضوعات المستدرك لانه ليس في الايدي نسخة منها

(ثانياً) اذا وجدت نسخة مخطوطة لا تعد من الاصول المعتمدة في اصطلاح المحدثين فلا يصح الاحتجاج بها مع وجود المعارض لها، لاحتمال وقوع التحريف والزيادة والنقص من النساخ فيها

(ثالثا) لو وجدت نسخة معتمدة لم يذكر فيها هذا الحديث لما صح ان تعد دليلا على رجوع الذهبي عما قاله في تلخيص المستدرك لاحتمال تركه سهواً فالعمدة ماصرح فيه لا ما سكت عنه

(رابعا) إذا فرضنا أنه صرح في هذه الرسالة بأن هذا الحديث غير موضوع فلا يصح ترجيح ما أثبته فيها على ما أثبته في تلخيص المستدرك الا اذا علم انه جمعها بعد كتابة التلخيص المذكور وفاقا لما اشترطه علماء الاصول في النسخ

(خامسا) اذا فرضنا أنه صرح في هذه النسخة بان الحديث غير موضوع فتصريحه هذا يصدق بكونه واهياً منكرا لا يصح الاستدلال ولا العمل به حتى في فضائل الاعمال التي لها أصل مشروع لان من قال من العلماء ان الحديث الضعيف يعمل به في مثل ذلك اشترطوا أن لايكون واهياً او شديد الضعف فضلا عن القول بتصحيحه

هذا وان الكلام قد طال في هذا الاستطراد للرد على مارأيته للاستاذ الدجوي في مجلة نور الاسلام من المغالطات في محاولة تصحيح هذا الحديث والتبجح بتجهيل المؤلف جزاء على تجهيله إياه في تصحيحه مع الاستكبار عن ذكر اسمه واسم كتابه خوفا من زيادة اشتهاره ، فنكتفي بما ذكرنا

باب وفيات الاعيان

﴿ تتمة ترجمة السيد محمد بن عقيل ﴾

(٢)

كنت اود لو أتيح لى كتابة ترجمة لصديقي السيد محمد بن عقيل (رح) في وقت فراغ يسهل علي فيه ان أراجع مكتوباته الكثيرة المحفوظة عندي ومانشرته في المنار من المسائل الاصلاحية التي اختلف بها رأينا واعتقادنا ، ولكنني لا أملك من هذا الفراغ كثيرا ولا قليلا . لهذا أقتصر على مسألة واحدة هي أبها وأهمها

اقتراحي على العلويين وشيعتهم

انا أعتقد ان شر مامني به الاسلام هو الخلاف والشقاق ، وان اضر انواعه ماكان بين اهل السنة والشيعة ، فلقد كان كل ضر دون ضره ، وكل شر اهون من شره ، ولا أستثني ردة المرتدين ولا قتال الكافرين ، ولا ظلم المستبدين ، واعتقد

ايضا ان الغلو في أئمتنا آل البيت العلوي النبوي عليهم السلام كان أضر عليهم من كل ما أصيبوا به من البلاء والمحن ، بل كان هو سبب اكثرها . إنما أستثني عداء بني أمية لهم فهو عداء موروث من عهد الجاهلية أذكى ناره في قلوبهم بعد الاسلام حب الرياسة وعظمة الملك ، ولذات الدنيا ، واعتقادهم أن أولئك الائمة أولى وأحق بالامامة منهم ، وان الامة لو تركت وشأنها فانها تفضلهم عليهم .

واعتقد أن شر ذلك الضرر على أكثر سلائل أولئك الائمة الهادين المهديين هو ماحدث في أنفسهم من اعتقاد أن شرف النسب أعلى من شرف العلم والعمل لاعزاز الملة ، ومصالح الامة ، وأنه يغني عنه فيما تحبه الطباع من كرامة الجاه ونعمة المال ، فأعرض الاكثرون منهم عن الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم والفنون ، والجهاد في سبيل مصالح الامة العامة ، اكتفاء بشرف النسب الذي يجذب الرؤساء والحكام الى تقبيل أيديهم ، والاغنياء الى بذل كثير من المال لهم ، فصار جميع الذين فتنوا بهذا المظهر منهم عالة على الناس ، ولقد حرم الشرع عليهم الصدقات تكريما لهم فأحلوها لانفسهم بهذه الفتنة ، وتوهمهم أن تقبيل المتصدقين عليهم لأيديهم ، ينافي كون تلك الصدقة من أوساخهم التي كرمهم الشرع بمنعهم منها .

حدثني صادق باشا أحد شرفاء مكة المشهورين قال إنني أردت أن أعلم أولادي في مدارس الدولة في الآستانة فبلغني رئيس كتاب السلطان عبد الحميد أن جلالة السلطان لا يرضيه ذلك لانه لا يليق بابناء الرسول ﷺ أن يزاحموا سائر طبقات الناس في المدارس توسلا بها الى الدنيا ، وإن أكبر رجال الدنيا ليقبلون انامل‍هم تبركا بهم وتقربا اليهم . فاحضرت لهم معلما يلقنهم الدروس في داري فبلغني (الباشكاتب) كراهة السلطان لذلك ومنعني منه . والسبب الباطن لهذا المنع أن السلطان كان يكره أن يوجد في أبناء هذه الاسرة المشهورة في الاشراف علماء يعرفون أصول الشرع وطبائع الامم وسنن الاجتماع ، لئلا تسمو هممهم بالعلم الى قيادة الامة التي تمكنهم من ناصية الملك .

فلما رأيت ما بثه السيد محمد بن عقيل وشيخه السيد أبو بكر بن شهاب (عفا الله عنهما) من تجديد الغلو في اطراء العلويين والاحتجاج لهم في استعلائهم على الناس بأنسابهم ، حتى بما يجدد التفريق بين المسلمين وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم ،

من الطعن في بعض الصحابة وأئمة السنة ـ اعتقدت أن هذه الدعاية ستأتي بضد ما يرومه دعاتها منها في هذا العصر الذي تغلغلت في شعوبه وأقوامه كلها نزعة المساواة التي يعبرون عنها في عرف هذا العصر بكلمة (الديمقراطية) وأنها ستهيج عليهم الناس وتحملهم على بغضهم والطعن فيهم وفي أنسابهم (وكان الامر كذلك كما تقدم) ففكرت في تلافي هذا الشر قبل تفاقمه وتوجيه عصبية النسب الى عمل لا يمكن إعلاء شأن أهل البيت النبوي وحمل المسلمين كافة على الاعتراف بفضلهم وشرفهم في هذا العصر بغيره فاهتديت لما أذكره هنا بمعنى ما كتبته يومئذ لعدم تمكني من مراجعته وربما كان هنا أوضح من ذلك

اقترحت عليه السعي لانشاء مدرسة جامعة خاصة بآل البيت يتخرج فيها الاخصائيون النابغون في جميع العلوم الدينية والدنيوية والفنون التي عليها مدار العمران في هذا العصر، فيكون منهم الذين ينفردون بعلوم القرآن ويكونون المرجع للأمة في تفسيره وبيان إعجازه وصراط هدايته المستقيم، وما أودع فيه من الحكمة وإصلاح البشر، ودفع الشبهات التي تحوم حوله، وسائر مايعرض للناس في هذا العصر من ذلك

ويكون منهم حفاظ الحديث وعلماء روايته ودرايته وتحرير كل ما يحتاج الباحثون الى تحقيقه فيه من جرح وتعديل واستنباط لما قصر فيه المتقدمون من حكمه واحكامه وسياسته وسائر ما يحتاج اليه أهل هذا العصر من هدايته

ويكون منهم أئمة الفقه واصول التشريع القادرون على بيان ما في الشريعة السمحة من أصول الاصلاح للبشر الذي تفضل به جميع القوانين الوضعية — واساتذة علوم اللغة العربية وآدابها الناهضون بترقية التعليم والتصنيف فيها على المناهج التي ارتقت بها لغات الامم الحية والمتقنون لجميع اللغات الراقية

ويكون منهم الاطباء في كل فرع من فروع الطب والمهندسون البارعون في كل نوع من أنواع الهندسة والفلكيون وعلماء الاقتصاد السياسي والماليون

ونقول بالاختصار يجب أن يتخرج منهم في هذه الجامعة كل صنف من العلماء والعاملين الذين تحتاج اليهم الامة الاسلامية فيما يجب أن تتوجه اليه في نهضتها التي تحيي بها مجد الاسلام وسيادته واصلاحه للبشر ليتولوا ترقية التربية والتعليم والارشاد

والتهذيب في المدارس وتأليف الجمعيات الدينية ، والعلمية والخيرية ، والاحزاب الاجتماعية والسياسية والشركات المالية وغير ذلك، وحينئذ تعلم الامة أن سلائل آل بيت نبيها هم سادتها وأئمتها وسفينة نجاتها مما سقطت فيه من الذل والجهل والتفرق والتمزق

ويتوقف هذا المشروع على وضع نظام لجمع المال الكثير له من جميع أقطار الأرض بطريقة مأمونة موثوق بها يقتنع كل من وقف عليها بان ما يدفعه سيصرف في الغرض الذي جبي لأجله ، وعند الشروع في جباية المال يعلم المحبون الصادقون لآل البيت، ويعلم المنافقون والمقلدون الذين ينحصر حبهم لهم في مأتم عاشوراء ، ونقل رمم الموتى إلى النجف والكاظمية وكربلاء ، وما إلى ذلك من البدع التي سيقضي عليها روح هذا الزمان بسرعة عجيبة

قد انتشر اقتراحي هذا واشتهر حتى إن بعض المخلصين من شيعة العراق طبعوه في رسالة صغيرة نشروها في الناس ، ولكن السيد محمد بن عقيل الذي كان أول من خوطب به وعرف قيمته لم تسم به همته الى السعي لتنفيذه ولا سعى غيره من العلويين ولا من الشيعة لذلك

بيد أن الملك فيصلا أنشأ في بغداد مدرسة باسم (جامعة آل البيت) لم يتح لها من رجال العلم وأئمة الاصلاح من يعطيها حقها فقضي عليها في مهدها

وأختم هذا البحث هنا بكلمة نصح اخص بها اخواني مؤسسي جمعية الرابطة العلوية في جزائر الهند الشرقية وغيرها « والرائد لا يكذب أهله » وان اتخذني الجاهلون منهم خصما لهم وهي : تساهلوا ما استطعتم في الصلح بينكم وبين الإرشاديين، واعلموا أن التواضع خير لكم من التكبر، وان تفضيل الناس لكم بشرف النسب لن يكون في هذا الزمان الا بوسيلتين أقربهما وأسهلهما مكارم الاخلاق وعمل البر ، وأبعدهما النبوغ في العلوم والاعمال الاصلاحية العامة التي اقترحتها عليكم من قبل ، واعتبروا بالدولة البريطانية (الارستقراطية) التي صار رئيس وزارتها من حزب العمال ، واعلموا أن تكريمكم لنسبكم ، رهين بحفظكم لحرمته بأدبكم ، ولا تنسوا قاعدة الشرع في الغنم والغرم، فمن يؤتى أجره مرتين، يضاعف له العذاب ضعفين . وسأفصل هذا في مقال مستقل ان شاء الله (للترجمة بقية)

﴿ الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ﴾

في العشر الاخير من رمضان هذا العام قضى نحبه ولقي ربه صديقنا الاستاذ الكبير، العلم الشهير، الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت ورئيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية، فخسرت بوفاته الامة الاسلامية والبلاد السورية رجلا من أفضل رجال عصره علماً وفضلا وديانة وصيانة ووطنية وإخلاصا ودفاعا عن الدين وقدوة صالحة في التقوى والعمل الصالح النافع للأمة والوطن، في مصالح الدين والدنيا . بغيرة وشدة لاهوادة فيها ولامداراة، وأخذ بالعزائم لايجنح فيه الى رخصة إلا ما صرح به الفقهاء، بيد أنه كان على تقليده للفقهاء في العمل والفتوى لم يبط به الجمود الى غمط حق أولي الاستقلال في العلم والفهم، الداعين الى هداية الكتاب والسنة، اذا رآهم من المعتصمين بحبل الله والاسوة الحسنة برسول الله ﷺ لا من الجاهلين الأدعياء الذين يتبعون أهواءهم، ويتخذون دعوى اتباع الدليل ذريعة لمخالفة علماء المذاهب وتجرئة العوام على المعاصي

كان من قراء المنار منذ انشائه الراضين عنه وعن منشئه بل المحبين المثنين، وقد نشرنا له فيه ما قرظ به تفسيرنا وكتابنا الوجيز (خلاصة السيرة المحمدية) ولم ينكر علينا يوما شيئا مما قررناه أو أفتينا به مخالفا لما يراه تقليداً لفقهاء مذهب الشافعية الذي يعتمد عليه في عبادته ، أو مذهب الحنفية الذي كان يفتي به بحكم وظيفته ، وكنت من جهتي أعذره في تشديده التقليدي فيما يقوم الدليل من الكتاب والسنة أو قواعد الاصول على الرخصة أو السعة فيه ، وأرى أن من مصلحة الشعب أن يوجد فيه مثله في الورع والتقوى والنفور من اللهو واللعب ولو مباحا تجاه ما يوجد فيه من الفساق والمائلين الى الاباحة المطلقة ومن القدوة السوءى في بعض الذين يعدون من علماء الدين، وأرى أن الاعتدال في الارشاد بوضع كل من العزائم والرخص في مواضعها لايظهر أنه اعتدال بين طرفين الا إذا وجد من يقفون في كل طرف منهما موقفاً ظاهراً

أجدر بي أن يحزنني موت صديقي الشيخ مصطفى نجا ، وإني لأراني أحق بأن أعزى عنه من أن أعزي . وكنت أرجو أن يكتب الي بعض آله أو تلاميذه ترجمة له أنشرها مع تأبينه ورثائه فخاب الرجاء الى الآن ، وعسى أن تكون هذه الكلمة باعثة لأحد منهم على كتابة ما يدونه المنار من تاريخه النافع (رحمه الله تعالى)

عبد الحميد بك الرافعي

في اليوم السابع عشر من شهرنا هذا اهتزت أسلاك البرق وخفقت بنعي صديقنا الكريم ، وولينا الحميم ، عبد الحميد بك الرافعي رحمه الله تعالى. وفي مثل هذا الشهر من سنة ١٣٤٨ احتفل في طرابلس بالعيد الذهبي لهذا النابغة السوري العربي، (وقد بينا مناقبه ووصفنا أدبه في المنار يومئذ) فلم يكن بين الاحتفال بعيد مجده ، والاحتفال بتجهيزه لعيد لقاء ربه إلا سنتان فقط ، فسبحان الذي يحيي ويميت وإليه المصير، ولقد كان عازما على زيارة مصر في هذا الربيع فسررنا جد السرور بخبر عزمه، ومنينا النفس بعودة ما كان لنا في سن الشباب من التمتع بأدبه، ولم نلبث أن حزنا اشد الحزن لما حال دون إنجاز وعده ، فنسأل الله تعالى ان يجمعنا به في دار كرامته

ليس المقام الآن مقام التأبين والرثاء، بل مقام الصلاة والدعاء، والعبرة والموعظة، والشهادة الحسنة بما نرجو به لفقيدنا الرحمة والمغفرة ، فلقد كان أحسن الله مآبه، وأجزل ثوابه ، من أحسن الناس أخلاقا وقد قال رسول الله ﷺ « ان خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو. وقال « ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

وكان رحمه الله من أوصل الناس للرحم وأبرهم بالوالدين والاخوة والاهل، فهو المربي لغير واحد من اخوته ، ولا يزال في كنفه كثير من أولادهم ، وقد قال ﷺ « الرحم شجنة من الرحمن فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وعائشة ، وقال ﷺ « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » متفق عليه من حديث أنس ورواه البخاري من حديث أبي هريرة

إن أدب عبد الحميد لا ينسى، وان شعره الخالد لا يبلى ، وان ذكراه بنجابة نجليه لأدوم وأبقى، فهما المثل الحي لآدابه وفضائله، والعزاء للوطن عن شخصه، وان سميا لشاعر عصري وكاتب مجيد ، ووطني صادق ، فلا زال هذا البيت الكريم مفخرا للعرب ، في العلم والادب، والفضل والحسب . آمين



قال عليه الصلاة والسلام . ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٥١ هـ ق برج الجوزاء سنة ١٣١١ هـ ش مايو سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

١٠ – سورة يونس

(السورة العاشرة في المصحف وآياتها ١٠٩ عند الجمهور وعند الشامي ١١٠)

هي مكية نزلت بعد سورة الاسراء (بني اسرائيل) وقبل سورة هود . وما رواه ابن مردويه من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس من كونها مدنية غلط مخالف للروايات الكثيرة عنه وعن غيره بل للاجماع الذي يؤيده موضوع السورة من أولها إلى آخرها فهو يدور على

اثبات أصول التوحيد وهدم الشرك واثبات الرسالة والبعث ودفع الشبهات عنها وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين الاصلية التي هي موضوع السور المكية، وعثمان بن عطاء ضعيف متروك لايحتج بروايته فيما يحتمل الصواب فكيف ينظر اليها في مثل هذه المسألة، ولكن الرواة لم يتركوه مترد مله الا وألقوه للناس ليحكموا فيه

وقال السيوطي في الاتقان: استثني منها (فان كنت في شك) الآيتين ٩٤ و٩٥ - وقوله (٤٠ ومنهم من يؤمن به) الآية قيل نزلت في اليهود، وقيل من أولها الى رأس أربعين مكي والباقي مدني حكاه ابن الفرس والسخاوي في جمال القراء اهـ

أقول ان موضوع السورة لايقبل هذا من جهة الدراية، وهو مما لم تثبت به رواية. وكون المراد بالذين يقرؤن الكتاب (في الآية ٩٤) اليهود لايقتضي أن تكون نزلت في المدينة. وبيانه من وجهين (أحدهما) أن المراد بالشرطية فيها الفرض لا وقوع الشك حقيقة ولذلك قال ﷺ «لا أشك ولا أسأل» وهو مرسل يؤيده قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري كما سيأتي في تفسيرها (وثانيهما) ان هذا المعنى نزل في سور مكية أخرى كقوله تعالى في سورة الاسراء (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) وقوله في سورتي النحل والانبياء (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

ووجه مناسبتها لما قبلها أن تلك ختمت بذكر رسالة النبي ﷺ وهذه افتتحت بها، وان جل تلك في بيان أحوال المنافقين ومنه ما كانوا يقولونه وما كانوا يفعلونه عند نزول القرآن مما يدل على كفرهم به وحرمانهم من نفعه

وهدايته - وهذه في أحوال الكفار ومنها ماكانوا يقولونه في القرآن كالآيات ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٧ - ٤٠

واعلم أن التناسب الذي يوجد بين السور ليس سببا في هذا الترتيب الذي بينها ، فرب سورتين بينهما أقوى التناسب في موضوع الآيات ومسائلها يفصل بينهما تارة ويجمع بينهما أخرى فمن الاول الفصل بين سورتي الهمزة واللهب وموضوعهما واحد . ومنه الفصل بين السور المبدوءة بالتسبيح بسورة المنافقين . ويقابلها من الوجه الثاني الوصل بين سور الطواسين وسور آل حاميم وبين سورتي المرسلات والنبأ وسورتي التكوير والانفطار ، وربما يقال ان التناسب بين أكثر السور المكية أقوى منه بينها وبين السور المدنية

ومن حكمة الفصل بين القوية التناسب في المعاني كالمكية التي موضوع أكثرها العقائد والاصول العامة والزواجر الصادعة والمدنية التي موضوع أكثرها الاحكام العملية أنه أدنى إلى تنشيط تالي القرآن بالترتيب وأنأى به من الملل ، وأدعى له إلى التدبر ، فهذه الحكمة تشبه حكمة تفريق مقاصد القرآن في السورة الواحدة من عقائد وقواعد، وأحكام عملية ، وحكم أدبية ، وترغيب وترهيب ، وبشارات ونذر ، وأمثال وقصص ، والعمدة في كل ذلك التوقيف والاتباع

وهاءنذا أشرع في تفسير السورة ملتزما فيها القصد والاختصار في كل ماسبق له بيان مفصل في تفسير السور السابقة ولا سيما السورتين المكيتين من السور الطول : الانعام والاعراف : وإنما أبسط القول فيما لم أبسطه فيه تمام البسط من قبل ، وأهمه في هذه السورة مسألة الوحي

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الٓر ، تِلْكَ آيَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ، قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ

﴿ الر ﴾ تقرأ هذه الحروف الثلاث بأسمائها ساكنة غير معربة هكذا : ألف ، لام ، را . والحرف الاخير غير مهموز . وفائدة النطق بها وبأمثالها هكذا تنبيه الذين تتلى عليهم السورة إلى مابعدها لعظم العناية بفهمه حتى لا يفوتهم من سماعه شيء . وهي اقوى في هذا التنبيه من حرف الهاء الموضوع له في اسم الاشارة ، ومن كلمة «ألا» الافتتاحية، وقد فصلنا هذه المسألة في أول تفسير سورة الاعراف[١]

﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ أي تلك الآيات البعيدة الشأو ، الرفيعة الشأن ، التي تألفت منها هذه السورة، أو القرآن كله ، هي آيات الكتاب الموصوف بالحكمة في معانيه ، والاحكام في مبانيه، الحقيق بهداية متدبره وواعيه .

﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ الاستفهام للتعجيب من عجب الكفار واستنكار إنكارهم للوحي إلى رجل من جنسهم . والوحي الاعلام

---

١) زعم بعض ملاحدة مصر ان هـذه الاحرف كانت تكتب في بعض مصاحف الصحابة رمزاً لاصحابها فادخلت في القرآن عند كتابة المصاحف الرسمية ظنا انها من السور . وفي هذا الزعم اكبر جرأة على الافتراء والافتجار ورد النقل المتواتر بدون ادنى شبهة غير وسوسة الشيطان، وعداوة الرحمن ،

الخاص لامرىء بما يخفى على غيره ـ اي أكان إيحاؤنا إلى رجل من الناس أمراً نكراً اتخذوه أعجوبة بينهم يتفكهون باستغرابها؟ كأن مشاركتهم له في البشرية يمنع اختصاص الله إياه بما شاء من العلم. والمراد بالناس كفار مكة ومن تبعهم في إنكار نبوة محمد ﷺ، وعبر عنهم بالناس لأن هذه الشبهة على الرسالة قد سبقتهم اليها أقوام الانبياء قبله كما تقدم في قصة نوح وهود من سورة الاعراف (٧: ٦٢ و٦٨ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم؟) وهذا المعنى مكرر في القرآن وقد دحضنا هذه الشبهة في آخر تفسير سورة الانعام[1] ﴿ أن أنذر الناس ﴾ «أن» هذه مفسرة لما قبلها، والانذار الاعلام بالتوحيد والبعث وسائر مقاصد الدين المقترن بالتخويف من عاقبة الكفر والمعاصي، أي أوحينا اليه بأن أنذر الناس كافة

﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ التبشير مقابل الانذار، أي الاعلام المقترن بالبشارة بحسن الجزاء على الايمان والعمل الصالح. والمعنى وبشر الذين آمنوا منهم خاصة بأن لهم قدم صدق عند ربهم يجزيهم به في الآخرة ـ والصدق في اصل اللغة ضد الكذب ثم أطلق على الايمان وصدق النية والوفاء وسائر مواقف الفضائل، ومنه في التنزيل: مقعد صدق، ومدخل صدق، ومخرج صدق، وقدم صدق. والقدم ههنا السابقة والتقدم. قال البيضاوي: سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدماً لان السبق بها كما سميت النعمة يداً لانها تعطى باليد، وإضافتها إلى الصدق لتحققها، والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية

﴿ قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ قرأ ابن كثير والكوفيون (لساحر) يعنون النبي ﷺ، والباقون (لسحر) ويعنون به القرآن، وكلا من القولين قد قالوا، وكل من القولين يشير الى إثبات رسالته ﷺ فان قولهم إن القرآن سحر جاء به ساحر يتضمن اعترافهم بانها فوق المعهود والمعلوم للبشر في عالم الاسباب المقدورة لهم. وتأكيد قولهم بالجملة الاسمية وإن واللام وبوصف السحر أو الساحر

---

[1]) راجع ص ٢٧٨ ج ٨ تفسير

بالمبين الظاهر يفيد الحصر كقول الوليد (إن هذا إلا سحر يؤثر) يعني القرآن . وسموه سحراً لانه بقوة تاثيره في القلوب وجذبه النفوس الى الايمان يفرق بين المرء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجه وبنيه ، وفصيلته التي تؤيه ، وعنعه وتحميه . وانما السحر ما كان باسباب خفية خاصة ببعض الناس يتعلمها بعضهم من بعض ، وهي إما حيل وشعوذة، وإما اسباب طبيعية علمية من خواص الاشياء ، او قوى النفس المشتركة بين الكثيرين من العارفين بها[1] وقد استبان لعامة العرب ثم لغيرهم من شعوب العجم أن القرآن ليس بسحر يؤثر بالتعليم والصناعة ، بل هو مجموعة علوم عالية في العقائد والآداب والتشريع والاجتماع مرقية للعقول، مزكية للانفس، مصلحة للناس ، وانه معجز للبشر في اسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه وإخباره بالغيب (٢) وأن محمدا ﷺ مبلغ له، ولم يكن ليقدر على شيء منه وقد عجز عنه غيره ، فثبت إنه نبي الله ورسوله ، وان ماجاء به وحي منه تعالى .

وقد بينا حقيقة الوحي لغة وشرعا وإثباته لنبينا ﷺ في مواضع منها مافي بحث دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ وهو في (ص ٢١٦ ـ ٢٢٤ ج ١ تفسير) ومنها تفسير (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح) وهو في (ص٦٧ ج ٦ تفسير) ومنها رد شبهات الكفار عليه في سورة الانعام (ص٣٠٩ ـ ٣٢٠ ج ٧ تفسير) ومنها في خلاصتها (ص٢٧٤ ـ ٢٨٠ ج ٨) ومنها تحقيق القول في مسألة الكلام الالهي بمناسبة تكليم الله لموسى عليه السلام (ص ١٧٨ ـ ١٩١ ج ٩) وبقي علينا بسط القول في نبوة محمد مع مثبتي الوحي ونفاته ، وشبهة النفاة لعالم الغيب عليها وتصويرهم الوحي اليه بغير صورته ، فنعقد له الفصل التالي :

---

١) راجع حقيقة السحر في ص٣٩٩ ـ ٤٠٥ ج ١ تفسير
٢) راجع إعجاز القرآن ص ١٩٠ ـ ٢١٥ ج ١ تفسير

فصل في اقامة الحجة على مثبتي الوحي ونفاته

(في إثبات نبوة محمد ﷺ)

الكلام في الوحي لمحمد ﷺ مع مثبتي الوحي

أما الفريق الاول فهم أهل الكتاب ، وان من اطلع على كتبهم المقدسة المعبر عنها بكتب العهدين العتيق والجديد وعلى القرآن وكتب السنة والسيرة المحمدية علم علماً عقلياً وجدانياً انه لا يستطيع أحد أن يؤمن إيماناً علمياً بأن تلك كتب وحي من الله ، وان الذين كتبوها أنبياء معصومون فيما كتبوه ، ثم لا يؤمن بأن القرآن وحي من الله وأن محمداً نبي معصوم فيما بلغه عن الله تعالى ، كما لا يستطيع فقيه أن ينكر فقه أبي حنيفة والشافعي ولا نحوي أن يجحد نحو سيبويه وابن جني، ولا شاعر أن ينفي شاعرية الرضي والبحتري، بل كما لا يستطيع بصير أن يكابر حسه فيفضل نور القمر والكوكب على ضوء الشمس ، أو نور السراج على نور النهار ، ولله در البوصيري حيث قال :

الله أكبر ان دين محمد ... وكتابه اقوى وأقوم قيلا

لاتذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فاطفيء القنديلا

وقد صرح بهذا المعنى علماء الافرنج الذين نشؤا في النصرانية وأحاطوا بها علماً وخبراً ثم عرفوا الاسلام معرفة صحيحة ولو غير تامة . وهاك شهادة حديثة لعالم مستشرق منهم

كتب الاستاذ أدوار مونتيه المستشرق مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف الجامعة في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن ما ترجمته بالعربية :

« كان محمد نبياً صادقاً كما كان انبياء بني اسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الانبياء أسلافه فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم

ذلك الالهام النفسي، وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي من بابها » اه

فهذا العالم الاوربي المستقل الفكر يقول ان كل ما كان به انبياء بني اسرائيل انبياء كان ثابتا لمحمد . ونحن نقول ان جميع خصائص النبوة التي كانت فيه هي اكمل شكلا وموضوعا وأصح رواية وأبعد عن الشبهات كما سنوضحه ، وأما ما فسر به هذه الخصائص فهو التعليل الذي يعلل به الماديون الوحي المطلق ، وسنتكلم عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

وقد لخص هذا العالم خبر نزول الوحي على محمد ﷺ من كتب إسلامية مذعنا لصحة روايتها وفصلها بعده العالم المستشرق الفرنسي أميل درمنغام [1] في كتابه (حياة محمد) مذعنا لصحة الرواية ولموضوعها مفصلا لتأثير نبوته في إصلاح البشر متمنيا الاتفاق بين المسلمين والنصارى آسفا للشقاق بينهم

وانا ننقل هنا تعريف الوحي والنبوة والآيات (المعجائب) عن احد علماء الافرنج الجامعين بين العلوم العصرية والدينية والتواريخ وهو الدكتور جورج بوست الشهير مؤلف كتاب (قاموس الكتاب المقدس) بالعربية ليبني عليها الباحث المستقل العقل حكمه في نبوة انبياء بني اسرائيل ووحيهم ونبوة محمد رسول الله وخاتم النبيين والوحي الذي انزل عليه

تعريف الوحي عندهم

جاء في تفسير كلمة «وحي» من قاموس الكتاب المقدس مانصه مع حذف رموز الشواهد :

« تستعمل هذه اللفظة للدلالة على نبوة خاصة بمدينة أو شعب . وجاء في (حز ١٢ : ١) «هذا الوحي هو الرئيس» اي انه آية الشعب . وعلى العموم يراد بالوحي الالهام . وعلى ذلك يقال «ان كل الكتاب هو موحى به من الله» والوحي بهذا المعنى هو حلول روح

(١) يكتب هذا الاسم في مجلة السياسة «درمنجيم» بالجيم المصرية وانما اخترنا كتابته بالغين لكتاب جاءنا من المؤلف بالعربية كتب فيه امضاءه : اميل درمنغام ونشرناه في الجزء الاول من مجلد المنار الثلاثين

الله في روح الكتاب الملهمين وذلك على انواع (١) إفادتهم بحقائق روحية او حوادث مستقبلة لم يكن يمكنهم التوصل اليها إلا به (٢) ارشادهم الى تأليف حوادث معروفة أو حقائق مقررة والتفوه بها شفاها او تدوينها كتابة بحيث يعصمون من الخطأ . فيقال «تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» وهنا لا يفقد المتكلم او الكاتب شيئا من شخصيته وانما يؤثر فيه الروح الألهي بحيث يستعمل ماعنده من القوى والصفات وفق إرشاده تعالى . ولهذا نرى في كل مؤلف من الكتاب الكرام ما امتاز به من المواهب الطبيعية ونمط التأليف وماشابه ذلك وفي شرح هذا التعليم دقة. وقد اختلف العلماء فيما اوردوه من شرحه ،غير ان جميع المسيحيين يتفقون على ان الله قد اوحى لأولئك الكتاب ليدونوا إرادته ويفيدوا الانسان ما يجب عليه من الايمان والعمل لكي ينال الخلاص الابدي» اهـ

تعريف النبوة والانبياء عندهم

وجاء في تفسير « نبي أنبياء نبوة » منه مانصه:

« النبوة لفظة تفيد معنى الاخبار عن الله وعن الامور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد . وسمي هارون نبيا لانه كان المخبر والمتكلم عن موسى نظرا لفصاحته . أما انبياء العهد القديم فكانوا ينادون بالشريعة الموسوية ، وينبئون بمجيء المسيح. ولما قلت رغبة الكهنة وقل اهتمامهم بالتعليم والعلم في ايام صموئيل أقام مدرسة في الرامة وأطلق على تلامذتها اسم بني الانبياء فاشتهر من ثم صموئيل باحياء الشريعة وقرن اسمه باسم موسى وهارون في مواضع كثيرة من الكتاب وتأسست أيضا مدارس أخرى للانبياء في بيت ايل وأريحا والجلجال وأماكن اخرى . وكان رئيس المدرسة النبوية يدعى ابا اوسيدا ، وكان يعلم في هذه المدارس تفسير التوراة والموسيقى والشعر، ولذلك كان الانبياء شعراء وأغلبهم كانوا يرنمون ويلعبون على آلات الطرب . وكانت الغاية من هذه المدارس أن يرشح الطلبة فيها لتعليم الشعب . أما معيشة الانبياء وبني الانبياء فكانت ساذجة للغاية، وكثير منهم كانوا متنسكين او طوافين يضافون عند الاتقياء

« ويظهر ان كثيرين من الذين تعلموا في تلك المدارس لم يعطوا قوة على الانباء بما سيأتي ، انما اختص بهذه الخصوصية اناس منهم كان الله يقيمهم وقتا دون آخر حسب مشيئته، ويعدهم بتربية فوق العادة لواجباتهم الخطيرة. على ان بعض الانبياء الملهمين كان يختصهم الله بوحيه ولم يتعلموا من قبل ولا دخلوا تلك المدارس كعاموس مثلا فانه كان راعيا وجاني جميز . اما النبوة فكانت على انواع مختلفة كالاحلام والرؤى والتبليغ . وأحيانا كثيرة كان الانبياء يرون الامور المستقبلة بدون تمييز ازمنتها فكانت تقترن في رؤاهم الحوادث القريبة العهد مع البعيدة كاقتران نجاة اليهود من الاشوريين بخلاص العالم بواسطة المسيح ، وكانتصار اسكندر ذي القرنين باتيان المسيح ، وكاقتران انسكاب الروح القدس يوم الخمسين بيوم الحشر . ومن هذا القبيل اقتران خراب اورشليم بحوادث يوم الدينونة

«وقد ارسل الله الانبياء الملهمين ليعلنوا مشيئته وليصلحوا الشؤون الدينية وعلى الاخص ليخبروا بالمسيح الآتي لتخليص العالم : وكانوا القوة العظيمة الفعالة في تعليم الشعب وتنبيههم وارشادهم الى سبيل الحق . وكان لهم دخل عظيم في الامور السياسية اه بنصه

مايرد على نبواتهم من تعريفها

أما تفسيره الالهام بحلول روح الله في روح الملهم فهو تحكم للنصارى لايعرفه ولا يعترف به أنبياء بني اسرائيل ولا علماؤهم . ولا يمكنهم إثباته ولا دفع ما يرد عليه من وقوع التعارض والتناقض والخلف فيما كتبه أولئك الملهمون وماخالفوا فيه الواقع ، وقد أشار الى ذلك بقوله : ان في شرح ذلك التعليم دقة وان العلماء اختلفوا في شرحه الخ ، ومن حل فيه روح الله صار الها اذ المسيح لم يكن الها عند النصارى الا بهذا الحلول فكيف يقع في مثل ماذكر ويتخلف وحيه او يخالف الواقع؟

وأما كلامه في النبوة والانبياء فيؤخذ منه مايأتي :

«١» ان أكثر أنبياء بني اسرائيل كانوا يتخرجون في مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها تفسير شريعتهم التوراة والموسيقي والشعر وأنهم كانوا شعراء ومغنين وعزافين على آلات الطرب وبارعين في كل مايؤثر في الانفس ويحرك الشعور

والوجدان ، ويثير روا كد الخيال ، فلا غرو أن يكون عزرا ونحميا من أعظم أنبيائهم ساقيين من سقاة الخمر للملك بابل (ارتحششتا) ومغنيين له ، وان يكونا قد استمالا بتأثير غنائهما في نفسه على سماحه لهما بالعودة بقومهما الى وطنهما واقامة دينهما فيه

فالنبوة على هذا كانت صناعة تعلم موادها في المدارس ويستعان على الاقناع بها بالتخييلات الشعرية والالمامات الكلامية ، والمؤثرات الغنائية والموسيقية . والمعلومات المكتسبة . فأين هي من نبوة محمد الأمي الذي لم يتعلم شيئاً ولم يقل شعراً ، وقد جاء بأعظم مما جاءوا به كلهم ؟

«٢» ان كثيراً من هؤلاء الانبياء وأولادهم كانوا متنسكين أوطوافين على الناس يعيشون ضيوفا عند الاتقياء المحبين لرجال الدين كما هو المعهود من دراويش المتصوفة أهل الطرق في المسلمين ، ومن المعلوم أن هؤلاء هم الذين يقبلون من رجال التنسك كل مايقولون ، ويسلمون لهم مايدعون ، ويذيعون عنهم كل مايقبلون منهم ، ومن غير هؤلاء الكثيرين من الانبياء من نقلت عنهم كتبهم المقدسة بعض كبائر المعاصي ، وان من أخبار الصوفية والنساك والسياح عند المسلمين من تفضل سيرتهم سيرة هؤلاء الانبياء في كتبهم ، فكيف يصح أن يرتفع أحد منهم الى درجة محمد ﷺ في نشأته الفطرية ومعيشته من كسبه ، وكونه لم يكن عالة على الناس في شيء قبل النبوة ولا بعدها

«٣» أشهر أنواع نبوتهم الاحلام والرؤى المنامية والتخيلات المبهمة وكلها تقع لغيرهم ، وقد كانت الرؤيا الصادقة مبدأ نبوة محمد ﷺ قبل وحي التشريع الذي كان له صور أعلى منها سنبينها بعد . والرؤى صور حسية في الخيال تذهب الآراء والافكار في تعبيرها مذاهب شتى فلما يعرف تأويل الصادق منها غير الانبياء كرؤيا ملك مصر التي عبرها يوسف عليه السلام ، ورؤياه هو في صغره .

«٤» ان نبوة الاخبار عن الامور المستقبلة وهي التي يستدلون بها على كونهم مخبرين عن الله تعالى كانت أحيانا كثيرة بدون تمييز أزمنتها ولا حوادثها فكان بعضها يختلط ببعض فلا يكاد يظهر المراد منها إلا بعد حملها على شيء واضح بعد وقوعه كما يعهد في كل عصر من أخبار العرافين والمنجمين، بله الروحانيين الكاشفين،

ومنها ما ظهر خلافه كما أشار اليه ولم يشرحه ولكن التاريخ شرحه. وكان أعظم نبوات هؤلاء الانبياء إخبارهم عن المسيح (مسيا) وملك اسرائيل وخراب العالم ومجيء الملكوت وهي لاتزال مبهمة مضطربة ومثار خلاف كبير بين اليهود والنصارى .

امتياز نبوة محمد على نبوة من قبله

فأنى تضاهي هذه الاخبار (النبوات) وهي كما علمت أنباء القرآن الكثيرة بالمغيبات كالذي بيناه في خلاصة تفسير السورة السابقة مما وقع من المنافقين وما هو في سورة الفتح . وقوله تعالى في أول سورة الروم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) الآية ، وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وأين هي من إنباء النبي ﷺ أصحابه بأنهم سيفتحون بعده بلاد الشام وبلاد الفرس ومصر وسيتولون على ملك كسرى وقيصر حتى انه سمى كسرى عصره باسمه الخ ؟

هذا ما يقال بالاجمال في أحد موضوعي النبوة وهو الاخبار عما سيكون في مستقبل الزمان ، فما جاء به محمد ﷺ منها في وحي القرآن وغيره أظهر وأوضح وأبعد عن احتمال التأويل ، وأعصى على إنكار المرتابين ، ويزيد عليه ماجاء به من أنباء الغيب الماضية ، وسأذكر مايتأوله به الجاحدون للنبوة والوحي في بيان بطلان شبهتهم

وأما الموضوع الثاني للنبوة وهو الأهم الاعظم أي عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فالنظر فيه من وجهين (أحدهما) ماذكروه من كونه لايمكن أن يصل اليه عقل من جاء به وفكره ولا علومه ومعارفه الكسبية فيتعين أن يكون بوحي من الله (وثانيهما) أن يكون ما فيه من هداية الناس وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم أعلى في نفسه من معارف البشر في عصره ، فيتعين أن يكون وحياً

فأما الأول الخاص بشخص الرسول فان العاقل المستقل المفكر إذا عرف تاريخ محمد ﷺ وتاريخ أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام فانه يرى أن محمداً ﷺ قد نشأ أمياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، وان قومه الذين نشأ فيهم كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الامم وعلوم التشريع والفلسفة ، حتى إن مكة عاصمة بلادهم ، وقاعدة

دينهم، ومثوى كبرائهم ورؤسائهم ، ومثابة الشعوب والقبائل للحج والتجارة فيها ، والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة في أسواقها التابعة لها ، لم يكن يوجد فيها مدرسة ولا كتاب مدون قط، فما جاء به من الدين التام الكامل ، والشرع العام العادل، لا يمكن ان يكون مكتسباً ولا ان يكون مستنبطاً بعقله وفكره كما بيناه من قبل ، وسندفع مايرد من الشبهة عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

ويرى تجاه هذا أن موسى أعظم اولئك الانبياء في عمله وفي شريعته وفي هدايته قد نشأ في اعظم بيوت الملك لأعظم شعب في الارض وأرقاه تشريعا وعلما وحكمة وفنا وصناعة ، وهو بيت فرعون مصر ، ورأى قومه في حكم هذا الملك القوي القاهر مستعبدين مستذلين، تذبح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم، تمهيداً لفنائهم ومحوهم من الارض، ثم انه مكث بضع سنين عند حميه وكان نبيا ـ او كاهنا كما يقولون ـ فمن ثم يرى منكرو الوحي ان ماجاء به موسى من الشريعة الخاصة بشعبه ليس بكثير على رجل كبير العقل عظيم الهمة، ناشىء في بيت الملك والتشريع والحكمة الخ

ثم ظهر في أوائل هذا القرن الميلادي ان شريعة التوراة موافقة في اكثر أحكامها لشريعة حمورابي العربي ملك الكلدان الذي كان قبل موسى وقد قال الذين عثروا على هذه الشريعة من علماء الالمان في حفائر العراق انه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها لا وحي من الله تعالى كما شرحنا ذلك في مجلد المنار السادس وذكرنا خلاصته في تفسير سورة التوبة (٩ : ٣٠) وهو في [ص ٣٤٨ ج ١٠] وأقل ما يقوله مستقل الفكر في ذلك انه أن لم تكن التوراة مستمدة منها فلا تعد أحق منها بأن تكون وحيا من الله تعالى ، ولم ينقل ان حمورابي ادعى ان شريعته وحي من الله تعالى

ثم يرى الناظر سائر أنبياء العهد القديم كانوا تابعين للتوراة متعبدين بها ، وانهم كانوا يتدارسون تفسيرها في مدارس خاصة بهم وبأبنائهم مع علوم أخرى، فلا يصح أن يذكر أحدهم مع محمد، ويرى أيضا أن يوحنا المعمدان الذي شهد المسيح بتفضيله عليهم كلهم لم يأت بشرع ولا بنبأ غيبي ـ بل يرى ان عيسى عليه السلام وهو أعظمهم قدراً ، وأعلاهم ذكراً ، وأجلهم أثراً، لم يأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة مع نسخ قليل من أحكامها، وإصلاح روحي أدبي لجمود اليهود المادي على ظواهر ألفاظها ، فأمكن لجاحدي الوحي أن يقولوا انه لا يكثر على رجل مثله ذكي

الفطرة ذكي العقل ناشيء في حجر الشريعة اليهودية، والمدنية الرومانية، والحكمة اليونانية ، غلب عليه الزهد والروحانية ، أن يأتي بتلك الوصايا الادبية ، ونحن المسلمين لا نقول هـذا وإنما يقوله الماديون والملحدون والعقليون وألوف منهم ينسبون إلى المذاهب النصرانية

وأما الوجه الثاني وهو عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فلا يرتاب العقل المستقل المفكر غير المقلد لدين من الاديان أن عقائد الاسلام من توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بصفات الكمال، والاستدلال عليها بالدلائل العقلية والعلمية الكونية، ومن بيان هداية رسله ، ومن عباداته وآدابه المزكية للنفس المرقية للعقـل ،ومن تشريعه العادل وحكمـه الشوري المرقي للاجتماع البشري ـ كل ذلك أرقى مما في التوراة والاناجيل وسائر كتب العهد القديم والجديد ،بل هو الاصلاح الذي بلغ به دين الله أعلى الكمال ، ويشهد بهذا علماء الافرنج وقد شرحناه من وجهة نظرنا ووجهة نظرهم في مواضع من المنار والتفسير [آخرها ص ٣٥٩ ج ١٠ تفسير]

ومن نظر في قصة آدم ونوح وابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب ويوسف من سفر التكوين وسيرة موسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء في سائر أسفار العهد القديم ، ثم قرأ هذه القصص في القرآن يري الفرق العظيم في الاهتداء بسيرة هؤلاء الانبياء العظام ، ففي أسفار العهد القديم يرى وصف الله تعالى بما لايليق به من الجهل والندم على خلق البشر والانتقام منهم، ووصف الانبياء ايضا بما لا يليق بهم من المعاصي مما هو قدوة سوء، من حيث يجد في قصص القرآن من حكمة الله تعالى ورحمته وعدله وفضله وسننه في خلقه، ومن وصف انبيائه ورسله بالكمال وأحاسن الاعمال، ما هو قدوة صالحة وأسوة حسنة تزيد قارئها ايمانا وهدى، فأخبار الانبياء في كتب العهدين تشبه بستانا فيه كثير من الشجر والعشب والشوك والثمار والازهار والحشرات، وأخبارهم في القرآن تشبه العطر المستخرج من تلك الازهار، والعسل المشتار من تلك الثمار، ويجد فيه رياضاً أخرى جمعت جمال الكون كله

وندع هنا ذكر ما كتبه علماء الافرنج الاحرار في نقد هذه الكتب والطعن فيها، ومن أخصرها وأغربها كتاب (أضرار تعليم التوراة والانجيل) لاحد علماء الانكليز ، وما فيها من مخالفة العلم والعقل والتاريخ ، والقرآن خال من مثل ذلك

﴿ صد الكنيسة عن الاسلام وبغيه عوجا ﴾

ان رجال الكنيسة لم يجدوا مايصدون به اتباعها عن الاسلام بعد أن رأوه قد قضى على الوثنية والمجوسية وكاد يقضي على النصرانية في الشرق ثم امتد نوره إلى الغرب الا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاغاني في ذم الاسلام ونبيه وكتابه بالافك والبهتان وفحش الكلام الذي يدل على أن هؤلاء المتدينين اكذب البشر واشدهم عداوة للحق والفضيلة في سبيل رياستهم التي يتبرأ منها المسيح عليه صلوات الله وسلامه

وقد كان أتباعهم يصدقون ما يقولون ويكتبون، ويتهيجون بما ينظمون وينشدون، حتى اذا ما اطلع بعضهم على كتب الاسلام ورأوا المسلمين وعاشروهم فضحوهم اقبح الفضائح، كما ترى في كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) للكونت دي كاستري وكما ترى في الكتاب الفرنسي الذي ظهر في هذا العهد باسم (حياة محمد) للموسيو درمنغام وهذان الكاتبان افرنسيان من طائفة الكاثوليك اللاتين، وقد صرحا كغيرهما بان كنيستهم هي البادئة بالظلم والعدوان، والافك والبهتان، وبأدب المسلمين في الدفاع (*)

(*) قال موسيو درمنغام ما ترجمته العربية بقلم الدكتور محمد بك حسين هيكل: لما نشبت الحرب بين الاسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلف وسوء الفهم بطبيعة الحال وازدادت حدة ويجب أن يعترف الانسان بأن الغربيين كانوا السابقين الى أكبر الخلاف. فمن المجادلين البيزنطيين الذين أوقروا الاسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم — فيما خلا جان داماسين — مؤنة دراسته لم يحارب الكتاب والنظامون (يعني الشعراء) مسلمي الاندلس الا بأسخف المثالب. فقد زعموا محمداً لص نياق (؟) وزعموه منها لكا على اللهو وزعموه ساحراً وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق بل زعموه قسا رومانياً مغيظاً ان لم ينتخب لكرسي البابوية .. وحسبه بعضهم الها زائفاً «يقرب له عباده الضحايا البشرية» وان جيبر دنوجين نفسه وهو رجل جد ليذكر أن محمداً مات في نوبة سكر بين (كذا) وان جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرم الخمر وحرم لحم ذلك الحيوان . . . وذهبت الاغنيات الى حد أن جعلت محمداً صنما من ذهب وجعلت المساجد الاسلامية برابي (معابد أصنام) ملآى بالتماثيل والصور. وقد تحدث واضع أغنية أنطاكية حديث من رأى صنم «ماحوم» مصنوعا من ذهب ومن فضة خالصين وقد جلس فوق فيل على مقعد من الفسيفساء وأما أغنية رولان التي تصور فرسان شارلمان يحطمون الاوثان الاسلامية فتزعم أن مسلمي الاندلس يعبدون ثالوثا مكونا من ترفاجان وماهوم (هو ماحوم ويعنون به محمد) وابولون. وتحسب «قصة محمد» ان الاسلام يبيح للمرأة تعدد الازواج.

وقد ظلت حياة الاحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة. فمنذ رودلف دلوهيم الى وقتنا الحاضر قام نيكولا دكيز وفيفس ومراتشي وهوتنجر وبيليا نلار وبريدو وغيرهم فوصفوا محمداً بأنه دجال والاسلام بأنه مجموعة من الهرطقات (الكفر) كلها وأنه من عمل الشيطان والمسلمين بأنهم وحوش والقرآن بأنه نسيج من السخافات. اهـ المراد منه على كثرته، وابهام في ترجمته، وهو قليل من اسرافهم

ولما ظهرت طائفة البروتستان وغلب مذهبها في شعوب الانجلوسكسون والجرمان، وكان الفضل في دعوتهم الاصلاحية لما انعكس على أوربة من نور الاسلام، لم يتعفف قسوسهم ودعاتهم (المبشرون) عن افتراء الكذب، ولا تجملوا فيه بشيء من النزاهة والادب ، والذي نراه في هذا العصر من مطاعنهم وافترائهم وسوء أدبهم أشد مما نراه من غيرهم، ولكن الذين أنصفوا الاسلام من أحرار علمائهم اصرح قولا ، ولعلهم أكثر من اللاتين عدداً ، وكذلك الذين اهتدوا به ، وسبب ذلك أن الحرية والاستقلال في تربيتهم أقوى ، وسيكونون هم الذين ينشرون الاسلام في أوربة والولايات المتحدة الامير كانية ثم في سائر العالم كما جزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه الحياة الزوجية

مسألة الآيات والعجائب أي الخوارق

بقي الكلام في مسألة العجائب التي بنيت على أساسها الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبها ، وفيما يدعونه من تجرد محمد ﷺ من لباسها ، وهي قد أصبحت في هذا العصر حجة على دينهم لا له ، وصادة للعلماء والعقلاء عنه لا مقنعة به، ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي ايد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال أحرار الافرنج عليه اكثر ، واهتداؤهم به أعم وأسرع ، لان أساسه قد بني على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية ، وتزكية أنفس الافراد ، وترقية مصالح الاجتماع ، وآيته التي احتج بها على كونه من عند الله تعالى هي القرآن، وأمية محمد عليه الصلاة والسلام، فهي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان

كفاك بالعلم في الامي معجزة ۝ في الجاهلية والتأديب في اليتم

واما تلك العجائب الكونية فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها . وأمثال هذه الامور تقع من اناس كثيرين في كل زمان والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين اكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفرات العلماء عن الدين في هذا العصر، وسنبين ما جاء الاسلام فيها من الفصل

العجائب وما للمسيح منها

جاء في تعريف العجائب وأنواعها من قاموس الكتاب المقدس ما نصه :

« عجيبة: حادثة تحدث بقوة الهية خارقة مجرى العادة الطبيعية لاثبات ارسالية من جرت على يده اوفيه. والعجيبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لاضدها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لابعما كستها ، وهي اظهار نظام اعلى من الطبيعة يخضع له النظام الطبيعي، ولنا في فعل الارادة مثال يظهر لنا حقيقة امر العجائب اذ بها نرفع اليد وبذلك نوقف ناموس الثقل . ويتسلط الله على قوى الطبيعة ويرشدها ويمد مدارها او يحصره لانها عوامل لمشيئته. ويناط فعل العجائب بالله وحده او بمن سمح له بذلك

« واذا آمنا بالاله القادر على كل شيء لم يعسر علينا التسليم بامكان العجائب وكانت العجيبة الاولى خليقة الكون من العدم بارادته تعالى . اما المسيح فاقنومه عجيبة ادبية عظيمة، وعجائبه لم تكن الا اظهار هذا الاقنوم واعماله، واذا آمنا بالمسيح ابن الله العديم الخطية لم يعسر علينا تصديق عجائبه . اما الشيطان فعجائبه كذابه

« ولا بد من العجائب لتعزيز الديانة فكثيرا ما يستشهد المسيح بعجائبه لاثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وابدانهم، وكان يفعلها ظاهراً امام جماهير اصحابه واعدائه ولم ينكرها اعداؤه غير انهم نسبوها لبعلزبول(١) وسواء امتحناها بالشهادة من الخارج وبمناسبتها الى ارساليته الالهية ظهرت لكل من كان خاليا من الغرض صحيحة . فاذا لم نسلم بصحتها التزمنا ان نقول بان مقرريها كذابون الامر الذي لا يسوغ ظنه بالمسيح والرسل

« وبقيت قوة العجائب في عصر الرسل ولما امتدت الديانة المسيحية زال الاضطرار اليها(٢) ولا يلزمنا الآن سوى العجائب الادبية الحاصلة من هذه الديانة مع الشواهد الداخلية على صحتها غير انه يمكن لله تعالى ان يجددها في اي وقت شاء » اه

ثم وضع المؤلف جدولا احصى فيه عجائب العهد القديم من خراب سدوم

(١) اي الى الشيطان والاناجيل تثبت العجائب للشيطان كما صرح به آنفا

(٢) هذا مذهب البروتستانت واما الكاثوليك فيدعون وجودها في كل عصر

وعمورة على قوم لوط الى «خلاص يونان (يونس) بواسطة حوت» فبلغت ٦٧ عجيبة وقفى عليه بجدول العجائب المقرونة بحياة المسيح من الحبل به «بفعل الروح القدس» الى «الصعود إلى السماء» فبلغت ٣٧ . وعزز الجدولين بثالث في «العجائب التي جرت في عصر الرسل» اي الذين بثوا دعوة المسيح من تلاميذه وغيرهم من «انسكاب الروح القدس يوم الخمسين» الى «شفاء أبي بوبليوس وغيره» فكانت عشرين . وقد صرح بان يوحنا المعمدان لم يرد في الكتاب انه صنع عجائب

بحث في عجائب المسيح عليه السلام

اقول: ان ٢٧ من عجائب المسيح المذكورة شفاء مرضى ومجانين لابستهم الشياطين وثلاث منها إقامة موتى عقب موتهم ومابقي فمسألة الحبل به وتحويله الماء الى خمر وصحب الشبكة في بحر الجليل، واشباع خمسة آلاف مرة واربعة آلاف مرة أخرى، وضرب التينة العقيمة بما أيبسها ، وقيامة المسيح وصيد السمك والصعود . واننا نلخص رواية الاناجيل لأهمها وهو إحياء الموتى ونذكر مايقوله فيها منكرو العجائب

الميت الاول شاب من مدينة نايين كان محمولا في جنازة وأمه تبكي فاستوقف النعش وقال له: أيها الشاب لك أقول قم . فجلس وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه (لوقا ٧: ١١-١٦)

الثاني صبية ماتت فقال له أبوها وكان رئيساً : ابنتي الآن ماتت لكن تعال فضع يدك عليها فتحيا . فجاء بيت الرئيس ووجد المزمرين والجمع يضجون فقال لهم « تنحوا فان الصبية لم تمت لكنها نائمة » فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية (مت ٩: ١٨ - ٢٤)

فمنكرو العجائب يقولون ان كلا من الشاب والشابة لم يكونا قد ماتا بالفعل وان كثيراً من الناس في كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن ظن الناس انهم ماتوا . ولذلك تمنع الحكومات المدنية دفن الميت إلا بعد أن يكتب أحد الاطباء شهادة بموته . وللمؤمنين بالآيات أن يجزموا أيضاً بأن الصبية لم تكن ميتة أخذا بظاهر قوله عليه السلام

وأما الثالث فهو « ليعازر » حبيبه وأخو مرثا ومريم حبيبتيه : مرض في قريتهم « بيت عنيا» فأرسلتا الى المسيح قائلتين « هو ذا الذي تحبه مريض» فمكث يومين وحضر فوجد انه مات منذ اربعة أيام فلاقته مرثا وقالت :ياسيد لو كنت هنا لم يمت أخي،ثم دعت أختها مريم فلما رأته خرت عند رجليه قائلة كما قالت مرثا وكانوا قدذهبوا الى عندالقبر للبكاء، فلمارآها تبكي واليهود الذين جاءوامعها يبكون «انزعج بالروح واضطرب » وقال « أين وضعتموه؟» فدلوه عليه فبكى وانزعج في نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارةوقد وضع عليه حجر، فأمر برفع الحجر فرفعوه «ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: ايها الاب أشكرك لانك سمعت لي ، وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي ، ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتني » ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم « لعازر ! هلم خارجا » فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب .اهـ ماخصاً من الفصل ١١ من انجيل يوحنا

أتدري أيها القارىء ما يقول منكرو العجائب والآيات في هذه القصة على تقدير صحة الرواية ؟ انني سمعت طبيباً سوريا بروتستنتياً يقول انها كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبتيه وحبيبه لاقناع اليهود بنبوته . وحاشاه عليه السلام . وانما ننقل هذا لنبين أن النصارى لايستطيعون إقامة البرهان في هذا العصر على نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته بهذه الروايات التي تدل على النبوة وتنفي الالوهية ، كما فهم الذين شاهدوها ، لانه ليس لها أسانيد متصلة الى كاتبيها،ولا دليل على عصمتهم من الخطأ في روايتها ، دع قول المنكرين باحتمال الاحتيال والتلبيس أو المصادفة فيها أو عدهم اياها على تقدير ثبوتها من فلتات الطبيعة

واذا كان اعظمها وهو احياء الميت يحتمل ماذكروا من التأويل فما القول في شفاء المرضى واخراج الشياطين الذي يكثر وقوع مثله في كل زمان والاطباء كلهم يقولون ان مايدعي العوام من دخول الشياطين في اجساد الناس ماهو الا أمراض عصبية تشفي بالمعالجة او بالوهم والاعتقاد. ودونها مسألة الخمر والسمك ويبس التينة ؛

آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر آياته الكونية

هذا وان مارواه المحدثون بالاسانيد المتصلة تارة وبالمرسلة اخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بهـا رسوله محمدا ﷺ هي أكثر من كل مارواه الانجيليون وأبعد عن التأويل، ولم يجعلها برهاناً على صحة الدين ولا أمر بتلقينها للناس

ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها ،لان البشر قد بدؤا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة لنظام المألوف في سنن الـكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه ،فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي (كما بيناه في تفسير سورة البقرة) ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال ، إلى ما هم مستعدون له من الكمال

هذا الفصل بين النبوات الخاصة الماضية ، والنبوة العامة الباقية ،قد عبر عنه النبي ﷺ بقوله « مامن الانبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» متفق عليه من حديث أبي هريرة (رض)

وقص الله تعالى علينا في كتابه ان المشركين اقترحوا الآيات الكونية (العجائب) على رسوله فاحتج عليهم بالقرآن في جملته وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة التي لم يكن يعلمها هو ولا قومه، وبهدايته وبعلومه وباعجازه، وعدم استطاعة احد ولا جماعة ولا العالم كله على الاتيان بمثله (١٧: ٨٨ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لاقامة الحجة على نبوته ورسالته بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد كنصرهم على المعتدين عليهم من الكفار الذين يفوقونهم عدداً وعدداً واستعداداً بالسلاح والطعام وناهيك بغزوة بدر والنصر فيها، ثم بغزوة الاحزاب إذ تألب المشركون واليهود

على المسلمين وأحاطوا بمدينتهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال

من تلك الآيات شفاء المرضى وابصار الاعمى وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في هذه الغزوة وفي غزوة تبوك كما وقع للمسيح عليه السلام . ومنه تسخير الله السحاب لاسقاء المسلمين وتثبيت أقدامهم التي كانت تسيخ في الرمل ببدر ولم يصب المشركين من غيثها شيء . ومثل ذلك في غزوة تبوك إذ نفد ماء الجيش في الصحراء والحر شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون الفرث من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم ، وكان يقل من يجد من عصارته ما يشربه شرباً ، فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، فرفع يديه فدعا فلم يرجعهما حتى كانت السماء قد سكبت لهم ماملأوا مامعهم من الروايا ولم تتجاوز عسكرهم

تأثير العجائب في الافراد والامم

لقد كانت آيات المرسلين حجة على الجاحدين المعاندين استحقوا بجحودها عذاب الله في الدنيا والآخرة، ولم يؤمن بها ممن شاهدوها إلا المستعدون للايمان بها: ان فرعون وقومه لم يؤمنوا بآيات موسى ، وإن أكثر بني اسرائيل لم يعقلوها، وقد اتخذوا العجل وعبدوه بعد رؤيتها . وقال اليهود في المسيح لولا انه رئيس الشياطين لما اخرج الشيطان من الانسان . وقالوا ان ابليس أو بعلزبول يفعل اكبر من فعله، وما كان اكثرهم مؤمنين. وقال المنافقون وقد رأوا بأعينهم سحابة واحدة في ابان القيظ قد مطرت عسكر المؤمنين وحده عند دعاء النبي ﷺ: اننا مطرنا بتأثير النوء لا بدعائه .

وقد كان اكثر من آمن بتلك الايات انما خضعت أعناقهم واستخذت انفسهم لما لا يعقلون له سبباً وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب فلا بد أن يكون بمظهر للخالق سبحانه ان لم يكن هو الخالق نفسه، وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك وقد نقلوا عن المسيح عليه السلام انه سيأتي بعده مسحاء كذبة وأنبياء كذبة

ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً (متى ٢٤ : ٢٤)
وقد ذكر في قاموس الكتاب المقدس عدداً كثيراً منهم وأسماء بعضهم . وأقول :
ان منهم القادياني الذي ظهر من مسلمي الهند ، وتذكر صحف الأخبار ظهور هندي
آخر يريد اظهار عجائبه في أمريكا في هذا العام ونقلوا عن المسيح أنه قال: «الحق
اقول لكم ليس كل نبي مقبولا في وطنه » وجعل القاعدة لمعرفة النبي الصادق تأثير
هدايته في الناس لا الآيات والعجائب فقال « من ثمارهم تعرفونهم » ولم يظهر
بعده - ولا قبله - نبي كانت ثماره الطيبة في هداية البشر كثمار محمد ﷺ
ولا احد يصدق عليه قوله في انجيل يوحنا (١٦ : ١٢ ان لي أمورا كثيرة ايضا
ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك (أي البارقليط) روح الحق
فهو يرشدكم الى جميع الحق) الخ وما جاء بعده نبي أرشد الناس الى جميع الحق في
الدين من توحيد وتشريع وحكمة وتأديب غير محمد رسول الله وخاتم النبيين

ومن استقرأ تواريخ الامم علم ان أهل الملل الوثنية اكثر اعتمادا على العجائب
من أهل الاديان السماوية ، ورأى الجميع ينقلون منها عن معتقديهم من الاولياء
والقديسين ، اكثر مما نقلوا عن الانبياء المرسلين ، وان اكثر المصدقين بها من الخرافيين

ثبوت نبوة محمد بنفسها واثباتها لغيرها

وجملة القول ان نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها ، أي بالبرهان العلمي والعقلي
الذي لا ريب فيه لا بالآيات والعجائب الكونية ، وان هذا البرهان قائم ماثل للعقول
والحواس في كل زمان ، وانه لا يمكن اثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوته
ﷺ وهذا القرآن الذي جاء به ، فالحجة الوحيدة عليها في هذا الطور العلمي الاستقلالي
من اطوار النوع البشري هو شهادته لها . فان الكتب التي نقلتها لا يمكن اثبات
عزوها الى من عزيت اليهم ، اذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم تواترا باللغات التي
كتبوها بها ، ولا يمكن إثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبوه على اختلافه وتناقضه ،

وتعارضه، ولا اثبات صحة التراجم التي نقلت بها، كما قلنا آنفاً وبيناه بالتفصيل مرارا

الكتاب الالهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواترا عمن جاء به بطريقتي الحفظ والكتابة معا هو القرآن، والنبي الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الاسانيد حفظا وكتابة هو محمد (ص) فالدين الوحيد الذي يمكن للعلماء المستقلين في الفهم والرأي ان يعقلوه ويبنوا عليه حكمهم هو الاسلام. وأما خلاصة ما يمكن الاعتراف به من الاديان السابقة لثبوت قضاياه الاجمالية بالتواتر المعنوي، فهو انه وجد في جميع امم الحضارة القديمة دعاة الى عبادة الله تعالى والى العمل الصالح والى ترك الشرور والرذائل منهم انبياء مبلغون عن الله تعالى مبشرين ومنذرين، كما انه وجد فيهم حكماء يبنون ارشادهم على الاحتجاج بما ينفع الناس ويضرهم بحكم العقل والتجربة - ووجد في جميع ما نقل عن الفريقين أمور مخالفة للعقل ولما ينفع الناس من الاعمال، وخرافات ينكرها العقل وينقضها العلم

واذ كان الاسلام هو الدين الوحيد الذي عرفت حقيقته وتاريخه، بالتفصيل فاننا نذكر هنا شبهة علماء الافرنج الماديين ومقلدتهم عليه، بعد مقدمة في شهادتهم الاجمالية له، تمهيداً لدحض الشبهة، ونهوض الحجة، فنقول:

(درس علماء الافرنج للسيرة المحمدية وشهادتهم بصدقه ﷺ)

درس علماء الافرنج تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا ونقشوها بالمناقيش، وقرؤا القرآن بلغته وقرؤا ما ترجم به أقوامهم، وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد، وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية، وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الاسلام والنبي والقرآن مما أشرنا إلى بعضه آنفاً، فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية :

﴿ ان محمداً كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الاخلاق ، صادق ﴾
﴿ الحديث ، عفيف النفس ، قنوعا بالقليل من الرزق ، غير طموع بالمال ولا ﴾
﴿ جنوح الى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر ، والمباراة في تحبير ﴾
﴿ الخطب وقرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات ﴾
﴿ الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر ﴾
﴿ وأكل أموال الناس بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد ﴾
﴿ النبوة جزموا بانه كان صادقا فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من سنه من ﴾
﴿ رؤية ملك الوحي ، واقرائه اياه هذا القرآن ، وإنبائه بأنه رسول من الله ﴾
﴿ لهداية قومه فسائر الناس ﴾

وزادهم ثقة بصدقه ان كان أول الناس ايمانا به واهتداء بنبوته أعلمهم بدخيلة أمره ، وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة ، ومولاه زيد بن حارثة الذي اختار أن يكون عبدا له على أن يلحق بوالده وأهل بيته ويكون معهم حرا ، ثم أن كان الذين آمنوا به من أعظم العرب حرية واستقلالا في الرأي ولا سيما أبي بكر وعمر

فاما المؤمنون بالله وملائكته وبان للبشر أرواحا خالدة من هؤلاء الافرنج فقد آمنوا بنبوة محمد ﷺ على علم وبرهان ، وهم يزيدون عاما بعد عام ، بقدر ما يتاح لهم من العلم بالاسلام ، وأما الماديون فلم يكن لهم بد من تفسير لهذه الحادثة أو الظاهرة التي لاريب في صحتها وثبوتها ، وبتصويرها بالصورة العلمية التي يقبلها العقل ، الذي لا يؤمن بما وراء المادة أو الطبيعة من عالم الغيب

قدحوا زناد الفكر ، واستوروا به نظريات الفلسفة ، فلاح لهم منه سقط أبصروا في ضوئه الضئيل الصورة الخيالية التي أجملها الاستاذ مونتيه في عبارته التي نقلناها عنه آنفاً وفصلها أميل درمنغام وغيره بما نشرحه ههنا .

(للفصل بقية)

نهضة جديدة لاحياء لغة الاسلام العربية

في البلاد الهندية

لعل صاحب هذه المجلة (المنار) أول من فطن في هذا القرن لما غفل عنه المسلمون منذ بضعة قرون من كون الاسلام قد جعل اللغة العربية لغة لجميع المسلمين بالتبع لدينهم الذي هو كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين ، وسنة رسوله العربي الكريم ، وان هذا أمر مجمع عليه بين المسلمين وجري الخلفاء الراشدون والاميون والعباسيون على تنفيذه في جميع الشعوب غير العربية الى أن قوي الاعاجم وصار لهم دول تتعصب للغاتها وترجحها على لغة دينها بجهل ملوكها وحكامها بحقيقة الاسلام وبنائه على أساس الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحقق إخوة الاسلام وكون أهله أمة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة

دعونا المسلمين إلى احياء لغة دينهم منذ عشرات السنين وكان أكبر أملنا في إجابة هذه الدعوة من قبل الشعوب الاعجمية الشعب الهندي لان تمسكه بلغته الاوردية ليس مقترنا بعصبية دولية كعصبية الفرس والترك بل عصبيته الاسلامية أقوى من كل عصبية ، وانما كان جعله التعليم العام بلغته الوطنية وجعله العربية لغة علماء الدين فقط لاسباب عارضة لامحل هنا لبسطها ، وطالما كلمت العلماء والزعماء منهم الذين كنت ألقاهم بمصر في وجوب احياء اللغة العربية في بلادهم فيعترفون بالوجوب ويعتذرون بالعجز عن أداء هذا الواجب

ولما زرت الهند في سنة ١٣٣٠ إجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء لرياسة مؤتمرها العام كلمت كثيراً منهم في هذا الواجب ونوهت به في بعض الخطب العامة التي ألقيتها في معاهد العلم ولاسيما مدرسة ديوبند العلماء فرأيت منهم قبولا وارتياحا

وأبشر العالم الاسلامي اليوم بأنه قد وصل الينا قبل اتمام تحرير هذا الجزء من المنار (الذي تأخر صدوره عن وقته ليصدر مع الذي بعده) مجلة عربية أنشئت في لكهنؤ مركز ندوة العلماء باسم (الضياء) لأجل هذا الغرض وجعلت تحت اشراف صديقينا الاستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوي والعلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي — فاننا نعجل بنشر فاتحتها للأول في هذا الجزء وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

طلوع الضياء

(بقلم العلامة الجليل الأستاذ السيد سليمان الندوي رئيس دار المصنفين)

باسمك اللهم نفتتح وبك نستعين ، فنعم الفاتح أنت ونعم المعين ، فاشرح لنا ربنا صدورنا ، ويسر لنا أمورنا (واهدنا) سبيل الرشاد ، وألهمنا طريق السداد ، واحلل عقدة من لساننا ليفقهوا قولنا ، ونصلي ونسلم على النبي العربي الامين، الذي انزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين

(وبعد) فللاسلام مزايا تفوت الاحصاء دررها ، وتستغنى عن الانباء غررها ، إحداها أنه دين وحدة الشعوب والامم ، ودين مؤاخاة البشر ، والنصيحة لعامة الصالحين — ومن الوسائل التي اتخذها لتحقيق بغيته هذه أن جعل للمؤمنين بقرآنه ، والخاضعين لسلطانه ، على اختلاف ألسنتهم وبلدانهم ، وجنسياتهم وألوانهم، لغة خاصة وهي لغة كتابه المنزل من السماء ، يتفاهمون بها معاني القلوب، ويتعارفون بها (١) هواجس الافكار ، ويخطب بعضهم بها مودة بعض ، فهي على تقلب من الاحوال، لغة عصبة الامم الاسلامية منذ قرون وأجيال

قد رأى الآن رجال من نصارى الافرنج في حلمهم أن يدعوا اممهم الى الوحدة الانسانية ، والمودة البشرية ، فأحدثوا لغة واحدة يسهل عليهم أخذها ، يتحادثوا (؟) بها الاقوام، وينادوا (؟) بها الى الالتحام، ولكن أولي النهى ممن يرون العواقب رأي العين يفتون أن لا بقاء للغة إلا اذا كانت لها دعائم من الدين والسياسة يتعصب لها ذووها ، ويسعى لها بنوها ، وان الاسلام قد قضى وطره منها منذ خالق ، بجعل لأممه المنتشرة في أكناف الارض مشارقها ومغاربها لغة تعم أطرافها ، وتضم أشتاتها، وهي لغة نبيها المصطفى ، ودينها المرتضى ، وكتابها المنتقى ، وهي لغة علومهم ، وآدابهم وحضارتهم ، ولها أهل يحمون حوضها ،

(١) المنار : تعارف الناس عرف بعضهم بعضا وهو لازم كما في التنزيل

ويذبون عن حماها ، فهي تبقى معهم مهما بقوا ، وترحل معهم أينما رحلوا ، وتحل معهم بأي ارض حلوا ، وهي تجمع بين دفتيها دفاتر أربعة عشر قرنا ، فيها الدين والشرع ، والرواية والاثر ، والتاريخ والخبر ، والشعر والادب ، والجد واللعب ، تلم بين طرفيها شعث ما تركه سلفهم ، وكسبه خلفهم ، وما جادت به طبائعهم ، وفاضت به ينابعهم (؟) وفاهت به مجامعهم ، وزرعته أفهامهم ، وحصدته أقلامهم ، وما أبدعوا من انواع الطرف ، وما أودعوا من أوراق الصحف ، فلغتهم هذه كنز خير لهم لا يفنى ، وثوب فخر لهم لا يبلى

لا تكاد تجد قرية احتلها المسلمون من بلاد الارض إلا وفيها رجال ينطقون بالضاد ويتفننون بالقرآن ، ويفهمون لغة قريش ، ويتدارسون آداب العرب ، وإن كانت في لسانهم عقدة ، وفي بيانهم عجمة ، هذه بلادنا الهند فيها نحو (من) ثمانين مليوناً من المسلمين ، وفيها نحو (من) مليون ممن يفهم لغة القرآن ويعرفها ، وإن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها ، وطلبة العربية فيها نحو (من) مائة ألف اويزيدون ، فان صقعاً واحداً من أصقاع الهند يعرف ببلاد بنغال يضم بين جناحيه ستين ألفا من طلبة العلوم العربية وتلامذتها ، وتجد في مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مائة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة أثراها مدرسة جامع فتحبوري ، وأعمرها المدرسة الامينية ، وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في ديوبند اكثر من خمسمائة طالب تدر على اكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بما كلهم وملابسهم ، ودع عنك دار علومنا التي قامت بتأسيسها ندوة العلماء بلكنؤ فهي أحدثها عمرا ، ولكل منها من المزايا ما لا يخفى على ذي عينين

وعلى ذلك مايؤلمنا ذكره ، ويشوكنا نشره ، ان هؤلاء الجم الغفير ، والعدد الوفير ، اكثرهم بكم عن التكلم (؟) باللغة العربية ، ولهم عي عن الكتابة البديعة السلسة المنسجمة ، فضلا عن الخطابة فيها مرتجلين ، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الفقه ، أو أبحاث سمجة في المنطق ، تمجها الآذان ، ولا تسمن ولا تغني من جوع العلم ، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الاردية ، فلا يقرؤنها فيستفيدوا

فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم ، وينمو شأنه كل صباح ومساء ، وزادك (؟) أسفا لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة ، وما فيها من الكتب السقيمة ، ذات الاساليب الرميمة

وأول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافاة هذا الخطأ ، دار العلوم التي أسستها ندوة العلماء بلكناؤ ، فافرغت جهدها في تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابة وخطابة ، وزادت في قائمة درسها كتب الادباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين ، الذين كتبهم ينبوع الأدب ، ومادة لغة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينوري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وقدامة بن جعفر البغدادي ، وأبي الهلال العسكري ، وجاحظ البصري ، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجما جديدا يضمن شرح الكلمات الدخيلة والمعربة التي لاغنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية ، وعينت معلماً خاصاً لتعليم اللغة الحديثة فيها

وآثرت لتعليم الآداب العربية رجالا معروفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعاً وذوقا ، ولنا تكلفا وتعمقا ، فأسندت أولا رياسة أساتذة اللغة العربية الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المكي ، ثم إلى الاستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني رحمها الله تعالى ، وأخيرا يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الاستاذ الكبير الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي

وقد كان لمسعاها دوي في سائر أندية المدارس العربية ، وأخذت تبذل ما في وسعها من الجهد في مباراتها ، والحق أحق أن يقال ، إنه بعد ما تملك صديقنا العزيز ، ورفيقنا في طلب العلم ، ورديفنا في تلقي الدروس ، وشريكنا في الشيوخ وأوثنا في الجمع بين علوم الشرق والغرب ، الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي (م ٤٤) زمام تفتيش المدارس العربية ورياسة امتحاناتها في ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشرقية طور آخر ، ودور زاه زاهر ، فانه أدخل فيها تعديلات نافعة ، واتخذ لاصلاح أمرها تدبيرات ناجعة ،

فجعلها متسقة النظم ، ومتحدة النظام ، وانتقى لها مناهج درس ، وقوائم كتب ، تضمن بالنجاح ، وتؤذن بالفلاح ، فجعل فيها للأدب العرب محلا يليق به ، وألزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية

وكذلك فعلت رياسة المدارس العربية في ولاية بنجاب فجعلت الكتابة والانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التي لا غنى عنها لطالب

وتلتها الجوامع الانكليزية الرسمية ، فانها أدخلت تحسينات نافعة في فرعها العربي بأيدي أساتذة فضلاء دكاترة في العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا وانكلترة ، ولهم يد بيضاء في استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة . وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، وللجامعتي لاهور ودهاكة خطوة في هذا السبيل بعيدة الشوط ، وتبعتهما جوامع الهٰ آباد ولكنؤ وبتنة وكلكته ، واهتمت بها من المعاهد العربية التي للحكومة الكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى ببتنة ، والمدرسة العالية بكلكتة

وأشد الجوامع الانكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة دهاكه ، فانها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الانكليزية ، وتمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول (فيه) للناجحين في العلوم الانكليزية المحضة من الوظائف والمناصب ، أما جامعتنا الاسلامية بعليكرة فارادت أن تقتفي أثر جامعة دهاكه في جعل العربية وآدابها فرعا لها خاصاً فقررت لجنة لتحقيق أمنيتها ، ونيل بغيتها ، وعسى أن تأتي بأثر يذكر ، وعمل يشكر ، وأما الجامعة العثمانيـة بحيدر أباد الدكن فهي أكثر الجوامع انفاقا على فرعها العربي وأشدها اهتماما بأمره ، واكراما للناجحين في علومه وآدابه ، وأسخاها منحاً بالمناصب والوظائف لهم

هذا ــ ولكن هذه الاموال المنفقة ، والجهود المفرغة ، تكاد أن تذهب سدى ، ولا تأتي بجدوى ، لان جو الهند غير عربي ، يكدر فضاءها زعازع هوجاء من العلوم الافرنجية ، والآداب الانكليزية ، فتحدق بالطلبة الصحف الاردية ، والجرائد والمجلات الانكليزية ، وترد عليهم النشرات الاردية والانكليزية

تترى ، فلا تدع لهم جانباً فارغا للعربية ، فلا تجد للهند صحيفة عربية يقرءونها ولو مرة في الشهر ، ويكتبون فيها ولو مرة في السنة ، فيتمرنوا في الانشاء العربي ويحذقوا فيه ويسهل عليهم الكتابة في اللغة العربية ويستطيعوا ابداء المعاني العلمية غير الخيالية التي يقرءونها في الكتب ، فيخيل اليهم من سحرها أنهم في جيل غير جيلهم، ويقتدروا على إبراز المعاني المستحدثة في طراف حلل تسر الناظرين، وتجري أقلامهم في نقد السياسة والاخلاق ونشر التربية والتعليم ، وسرد الانباء والحوادث ، وقرض الشعر ونسج الادب ، ويضربوا بسهم نافذ في معرفة الآداب العربية المستطرفة المستظرفة ، ويتمكنوا من الخوض في كل موضوع ، والاستغراف(؟) من كل حوض، وتكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية، فتقوى بها بينهم وسائل التعارف والتداني ، ووسائط التصافح والتصافي، ولا تغني عنهم الجرائد والمجلات العربية التي تجلب من البلاد الاجنبية ، لبعد شقتها ، وغلاء أثمانها ، واختلافها عن ذوق متعلمي العربية بالهند ، (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد؟)

فذلك مادعانا الى اصدار مجلة عربية ، واضطرنا أن نتحمل هذا العبء الثقيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولقد ألقينا بايدينا إلى التهلكة ، ونصبنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث ، ونعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسعى وكبوة القدح فكان أحد سلفنا رحمه الله أصدر جريدة الرياض فظهرت وزهرت ، ثم تقلبت بها الرياح ، فأصابها أعصار من نار الفقر فاحترقت ، وتلتها مجلة البيان ، فقضت من عمرها سنين ثم أناخ الدهر عليها بكلاكله ، فخرست(١) عن النطق ، ثم جاءت على فترة من رسل الكلام، الجامعة لابي الكلام ، فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمعها، وشتت لمها، فذهبت مساعيها أدراج الرياح، وغيرها من الصحف العربية التي لم ترزق الحياة إلا لشهر أو شهرين، فنخشى علينا ما أصابهم من خيبة الامل ، وقربة الاجل

(١) في الاصل خرصت بالصاد وهو من غلط الطبع . وخرس لازم ومعناه العجز عن النطق فقوله عن النطق تفسير أو تضمين لمعنى العجز

وليس لدينا قوة لنقتحم بها هذه العقبات الا التوكل على الرحمن، ولا من زاد لهذا السفر الشاسع الا الثقة بنصر من الخلان، ولا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة، الا حسن الظن بناصري العربية في هذه البلدان، فمن أحسن الينا فأجره على الله ان الله يحب المحسنين

وليحتسب حماة العربية في الهند أن خلوجوها من صوت صحيفة عربية عار لهم غير ظاهر (؟) فكم من لغات ميتة تدون لها في هذه البلاد ألسنة حال تنطق، وعيون حياة لها تتدفق، وما ذاك إلا بناصر من الدعاية، وهاجس في صدورهم يحس بفرض الكفاية، وكم من بلاد مثل أمريكية فيها جالية من العرب يقل عددهم عن عارفي اللغة العربية في الهند، ولهم صحف سائرة، فالرجاء من القائمين بالمعاهد العربية ومدرسيها الكرام، وأساتذتها الفخام، وتلاميذها النجباء ومحبيها الاخيار، ان يأخذوا بأيدينا، وينصروا من ليس له قوة ولا ناصر، (وما النصر إلا من عند الله وهو العزيز الحكيم)

وليعلم أن المجلة مواد بحثها ومواضع انشائها تنحصر في علوم الدين وفنون العلم وآداب اللغة وطرق التربية والتعليم وما يناسبها من المسائل والاخبار، وأنها لاتعزو نفسها إلى معهد دون معهد و (لا) تتعصب لاحد على أحد، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار

ونرجو أساتذة لغة العرب، وجهابذة نقد الادب، ولاسيما أمراء القول من العرب، ومالكي أزمة البيان منهم أن يسبلوا علينا ذيل الستر، ويمنوا علينا بغض البصر، فلسنا إلا متطفلين على ما ئدتهم، ومتكففين لرفادتهم، والحمد لله أولا واخراً وظاهراً وباطناً.

[المنار] نرحب بأختنا مجلة الضياء، ونرجو أن نرى منها خير مدد نوري للمنار، ونحث قراء العربية في كل مكان على الاشتراك فيها وإمدادها بالمساعدة المالية والقلمية، ونوجه عناية صديقينا الغيورين المشرفين على المجلة بان يبذلا كل العناية لتصحيحها فاننا رأينا في الجزء الاول أغلاطا اكثرها من غلط الطبع، في مثل هذا المقام، ويغتفر في الابتداء ما لا يغتفر في الدوام، وسنعود الى تقريظها والنقل عنها ان شاء الله

نداء للجنس اللطيف

يوم المولد النبوي الشريف

(في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام)

نشرنا في جزء المنار الماضي ما اقترحته علينا لجنة (ذكرى يوم النبي) في لاهور الهند من كتابة رسالة في هذا الموضوع ، لاجل ترجمتها بأشهر لغات العالم المدني ونشرها في يوم المولد من سنة ١٣٥١ - واننا قد شرعنا في كتابتها في شهر ذي الحجة الذي صدر الجزء الرابع من المنار في آخره

وأقول الآن انني لما شرعت في كتابة الرسالة توخيت فيها الاختصار ، وفاقا لاقتراح لجنة لاهور في كتاب خاص، وقد أرسلتُ ثلاث كراسات (ملازم) منها بالبريد الجوي في رابع المحرم وكراستين آخرين في الحادي عشر منه، ونبذة ثالثة في ١٨ منه، ولما لم يرد إلي جواب من اللجنة ترجح عندي انها لن تتمكن من ترجمتها ونشرها في يوم مولده هذا العام ، وكان عرض لي أن أبسط بعض المسائل ولا سيما مسألة تعدد الزوجات، وحكمة كثرة أزواج النبي ﷺ بأكثر مما تطلبه اللجنة على أن أختصر الرسالة لها إذا أرادت ترجمتها لسنة أخرى

بيد أني رأيت أن أنشر الرسالة كلها في المنار، ثم أطبعها على حدة وأنشرها في يوم المولد الشريف من هذا العام، مشاركة لاخواننا مسلمي الهند في إحياء هذه الذكرى ببيان ما اشتدت اليه حاجة هذا العصر من بيان الاصلاح الاسلامي العام للبشر، الذي يعلم به أن محمداً ﷺ بعث رحمة للعالمين، ومكملا لدين الله على ألسنة النبيين والمرسلين، ومصلحا لما أفسده البشر من الاديان والشرائع وشؤون الاجتماع البشري كلها . وهذا نص الرسالة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ارسله لاصلاح جميع البشر في أمور دينهم ودنياهم ، وازالة التعادي والتناكر بين شعوبهم وقبائلهم بالتعارف والتآلف بينهم ، وإثبات المساواة في الحقوق والاحكام بين اجناسهم ، وأفراد رجالهم ونسائهم ، على اختلاف عروقهم وألوانهم ، وبقاعهم واقطارهم ، ومنع التمايز بين الطبقات والعشائر بالانساب والتقاليد العرفية أو الوراثية ، وتحقيق التوحيد بينهم في جميع المقومات الانسانية ، والاخوة الروحية ، والتفاضل بالفضائل النفسية ، من علمية وعمليه ، فقال عز وجل (٤٩ : ١٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

أما بعد فيقول محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسني منشيء مجلة المنار الاسلامي ، ومؤلف التفسير السلفي العصري الأثري السياسي الاجتماعي في مصر القاهرة : إن الجماعة التي تألفت من اخواننا مسلمي الهند في مدينة لاهور لاذاعة سيرة رسول الانسانية الاعظم ، وهديه واصلاحه الاقوم ، وخصصت لذلك يوم مولده من كل سنة ، قد اقترحت علي ان اكتب رسالة في أهم ما جاء في كتاب الله تعالى المنزل عليه وفي سنته المبينة له من حقوق النساء ، والاصلاح الذي يجب على الجنس اللطيف أن يعرفه في كل شعب ويطالب به الرجال ، ليترجم باللغات المشهورة وينشر في الآفاق في يوم ذكرى مولده ﷺ من سنة ١٣٥١ لهجرته الشريفة

فقبلت الاقتراح ، وأجبت الدعوة بالارتياح ، شاكرا لاخواني تفضلهم عليّ واختصاصهم إياي ببيان هذا الواجب الكفائي العظيم ، داعيا أن يلهمني الله تعالى فيه الصواب ، ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب ، وقد استحسنت أن ابدأ ما أكتبه بنداء عام للنساء ، ليعرفن حقوقهن ويعرفها الرجال ، فأقول :

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكري المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

في

﴿ حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(سورة الروم ٣٠ : ٢١)

ألا يامعشر النساء ، و بنات حواء ، في الشرق والغرب والجنوب والشمال ، هل تدرين كيف كانت عيشة جداتكن قبل بعثة مصلح البشر الاعظم ، محمد النبي الامي (ص) ؟ أم تدرين أن البشر لما يفقهوا كنه الاقانيم الثلاثة للحياة الزوجية التي نزل بيانها من لدن رب العالمين ، على قلب محمد خاتم النبيين . أعني السكون النفسي الجنسي الذي يتحد به الزوجان فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء - والمودة التي تتعدى الزوجين الى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الاقارب إلى البعداء ، والرحمة التي تكمل لهما بالولد المنفصل منهما الممثل لهما فينتشر التراحم بين الاحياء؟

تعالين أحدثكن عما كانت عليه جداتكن بالاجمال ، وبما جاء به محمد (ص) بشيء من التفصيل : لقد كان جميع نساء البشر ، مرهقات بظلم الرجال في البدو والحضر ، لا فرق فيه بين الاميين والمتعلمين ، ولا بين الوثنيين والكتابيين

كانت المرأة تشترى وتباع ، كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولا ترث ، وكانت تملك ولا تملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها انسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟

وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام . لانها أحبولة الشيطان ، وكانت اعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للاب الحق في قتل بنته بل في وأدها «دفنها حية» أيضا. وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية

وكان أهم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوربة بعد ميلاد محمد (ص) وقبل بعثته ان قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة انسان الا انها خلقت لخدمة الرجل

ولد محمد (ص) في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ، وأصدر الفرنسيس هذا القرار النسوي في سنة ٥٨٦ أي بعد مولده بخمس عشرة سنة، ولم يكن يدري هو ولا غيره بما سيجيء به من الاصلاح البشري العام ، والاصلاح النسوي الخاص

فهل أتاكن يا بنات حواء أنباء ما جاء محمد نبي الرحمة من التعاليم في حقكن ؟ هذا ما اقترح علي ان أقصه عليكن وعلى رجال الامم كلها في هذه الرسالة في هذا اليوم من ذكرى مولد محمد (ص) سنة ١٣٥١ من هجرته

بعث محمد (ص) في أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيراً للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والى اصلاح انفسهم التي أفسدتها التقاليد الدينية، والعصبيات القومية والوطنية، وكان للنساء حظ كبير من هذا الاصلاح لم يسبق الاسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل :

١ - المرأة انسان هي شقيقة الرجل

قام محمد (ص) يتلو على البشر آيات الله عز وجل في كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للانسانية إلا بهما وهذه أربع شهادات منها:

(٤٩: ١٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(٤ : ١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)

(٧ : ١٨٨ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)

(١٦ : ٧٢ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)

وكان ﷺ يقول: «إنما النساء شقائق الرجال» (١)

٢ ـ إيمان النساء كالرجال

قام محمد (ص) يتلو على الناس ما أثبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال، فمن ذلك قوله تعالى (٦٠ : ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) الآية

ومنه قوله تعالى (٣٣: ٥٨ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)

وقوله (٨٥ : ١٠ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

وأخبرهم بأن الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعاً بقوله (٤٧ : ١٩ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)

---

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين والبزار عن أنس

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان على النساء ما على الرجال من أركان الاسلام الا ان الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفاس مطلقا فتتركها ولا تعيدها لكثرتها. وأما الصيام فيسقط عنها في زمنهما وتقضي ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجها فيصح في كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة

٣ — جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين

وقام يتلو على العالم في جزاء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى منها قوله تعالى (١٦: ٩٧ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

وقوله تعالى (٤٠ : ٤١ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

وقوله تعالى (٤ : ١٢٣ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا).

وقوله تعالى في أولي الالباب الذين يذكرونه كثيرا ويتفكرون في خلق السموات والارض ويدعونه (٣ : ١٩٥ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) الآية، وفيها وعدهم جميعا بادخالهم الجنة وحسن الثواب

وقوله تعالى (٣٣ : ٣٥ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

وقوله (٩ : ٧٢ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

٤ — مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية

(والاعمال الاجتماعية والسياسية)

النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين فتشرع لهن ولكن لا تجب عليهن تخفيفا عليهن، وصح ان النبي (ص) أذن للحيض (*) منهن بحضور اجتماع العيد في المصلى دون صلاته. وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن مدة الاحرام، وقد شرع لهن من الامور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك

قال الله تعالى (٩ : ٧١ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

(*) الحيض بتشديد الياء جمع حائض، ومصلى العيد كان خارج البلد

وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الاخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي ، وولاية النصرة الحربية والسياسية ، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، فكان نساء النبي وأصحابه يخرجن في الغزوات مع الرجال يسقين الماء ، ويجهزن الطعام، ويضمدن الجراح ،ويحرضن على القتال . وقد ثبت في الصحيح ان بنت رسول الله (ص) فاطمة عليها السلام كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها الى الجرحى في غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم . ولما جرح رسول الله (ص) تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده .

٥ — (أمان المرأة للحربيين)

ومن حقوق المرأة السياسية في الاسلام انها اذا أجارت أو أمنت أحدا من الاعداء المحاربين نفذ ذلك، فقد قالت أم هاني، للنبي (ص) — وهي بنت عمه أبى طالب — يوم فتح مكة : اني أجرت رجلين من أحمائي. فقال (ص) « قد أجرنا من أجرت يا أم هاني، » وهذا حديث صحيح متفق عليه. وفي بعض الروايات أنها أجارت رجلا فأراد أخوها علي كرم الله وجهه قتله فشكته الى النبي (ص) فأشكاها وأجاز جوارها. وفي حديث حسن عند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعني تجير على المسلمين اه وفي معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت : إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز . ونقل ابن المنذر ان المسلمين أجمعوا على صحة اجارة المرأة وأمانها

٦ (أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر)

ومافي الآية من فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة ، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والامراء فمن دونهم ، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تغالي الناس في مهور النساء حين اتسعت دنياهم في عصره فخاف عاقبة ذلك وهو مايشكو منه الناس منذ عصور، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربعمائة درهم فاعترضت له امرأة من قريش فقالت أماسمعت ما أنزل الله؟ يقول (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) فقال اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر. وفي رواية انه قال: امرأة أصابت وأخطأ عمر . وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله

٧ – مبايعة النبي ﷺ للنساء كالرجال

كان النبي (ص) يبايع الرجال على السمع والطاعة والنصرة وكانت أول بيعة منه لنقباء الانصار في عقبة منى قبل الهجرة على بيعة النساء كما في السيرة ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه - أي حمايته - مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم . وبايع المؤمنين تحت الشجرة في الحديبية على أن لا يفروا من الموت ، سنة ست من الهجرة — وخصت بيعة النساء بذكر نصها في سورة الممتحنة وهو قوله تعالى (٦٠ : ١٢ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) نزلت يوم فتح مكة وبايع النبي (ص) بها النساء على الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الاسلام والجهاد . وكان عمر بن الخطاب يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه

وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهي متنقبة متنكرة مع النساء لئلا يعرفها رسول الله (ص) وهي التي كانت أخرجت كبد عمه حمزة (رض) يوم قتل في أحد فمضغتها ولا كتها شماتة وانتقاما . ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة . قال رسول الله (ص) «أبايعهن » (على أن لا يشركن بالله شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتاخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال — وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد — فقال النبي (ص) (ولا يسرقن) فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله (ص) وعرفها فقال لها «وانك لهند بنت عتبة ؟» قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال (ولا يزنين) فقالت أو تزني الحرة ؟ فقال(ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فانتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر ، فضحك عمر رضي الله عنه حتى

استلقى وتبسم رسول الله (ص) فقال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) —وهو أن تقذف ولداً على زوجها وليس منه — قالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ قالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فاقرّ النسوة بما أخذ عليهن

وكان « ص » يقول لهن عند المبايعة « فيما استطعتن وأطقتن » فيقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. ﴿أقول﴾ وأية رحمة ويسر في الاسلام أوسع من تقييد الله طاعة رسوله بالمعروف ، وهو لا يامر الا بالمعروف (ومنه منع عادات الجاهلية في الموتى) ثم تقييد الرسول نفسه ذلك بالاستطاعة والطاقة وفاقا لقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقوله ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ وقوله ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾

وقتل الاولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من وأد البنات أي دفنهن حيات اتقاء لعارهن أن يسبين أو يفجرن، وقتل الصغار لاجل الفقر أو خوف الفقر اذا كبرن ، وقال بعض المفسرين إن منه تعمد المرأة اسقاط الجنين لاي سبب من الاسباب . وأما البهتان الذي أخذ عليهن ألا يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فهو ان يلحقن بالرجل ولداً ليس له كما فسر في الحديث — أي ولو لقيطا يلتقطنه فان المرأة تضع طفلها كذلك وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة

ثم بايع رسول الله « ص » الرجال بيعة النساء كما في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه : قال كنا مع رسول الله « ص » في مجلس فقال « تبايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — وقرأ الآية التي أخذت على النساء : اذا جاءك المؤمنات — فمن وفى منكم فاجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وان شاء عذبه »

وروى الامام أحمد ان فاطمة بنت عتبة جاءت تبايع رسول الله ﴿ص﴾ فاخذ عليها « أن لا يشركن بالله شيئا ولا يزنين » الآية فوضعت يدها على رأسها حياء ، فاعجبه ما رأى منها فقالت عائشة : أقري أيتها المرأة فوالله مابايعنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذاً. فبايعها بالآية

٨ــ حقوق النساء في التعليم والتاديب

بين الله تعالى في مواضع من كتابه انه أرسل نبيه محمداً (ص) في الاميين ليخرجهم من الامية فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ومدح العلم في آيات كثيرة ومدحه رسوله في مواضع لامحل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب في هذه الآيات بصناعة الكتابة لانه في الاصل مصدر كتب ثم اطلق على المكتوب ، وكان النبي يحث اصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها في آية الدين (٢ : ٢٧٢) وقد ثبت من عدة طرق ان الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة

وقد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الاسلام فكان منهن راويات الاحاديث النبوية والآثار ، يرويه عنهن الرجال، والاديبات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة. وكانوا يعلمون جواريهم وقيانهم كما يعلمون بناتهم

وقد أجمع المسلمون على ان كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم اليه فالرجال والنساء فيه سواء الا ما استثني مما هو خاص بالنساء لانوثتهن في الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن ان ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة ــ اي مضاعفا ــ قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فاحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تاديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» فقرن ثواب التعليم والتاديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيرا فوق ماشرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والحديث متفق عليه عن أبي موسى (رض) وله ألفاظ أخرى

وان حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الاسلام وان لم يرد فيه لفظ (ومسلمة) وقد صحح في الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فصحيح بالاجماع

وسيأتي في الكلام على أمهات المسلمين ان الغرض الاول من تعددهن ان يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون اليهن فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الشرعية ولاسيما السيدة عائشة (رض)

٩ - حقوق النساء المالية

قد أبطل الاسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك، او التضييق عليهن في التصرف بما يملكن ، واستبداد أزواج المتزوجات منهن باموالهن، فاثبت لهن حق الملك بانواعه والتصرف بانواعه المشروعة ، فشرع الوصية والارث لهن كالرجال وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وان كانت غنية ، واعطاهن حق البيع والشراء والاجارة والهبة والصدقة وغير ذلك . ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الاعمال المشروعة ، وان المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية

١٠ - حقهن في الميراث

قال الله تعالى في ابطال ظلم الذين كانوا يمنعون النساء من الارث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء (٤ : ٧ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)

ثم بين نصيب كل وارث من الرجال والنساء في آيات المواريث من هذه السورة (اعني ١٠-١٢ و ١١٦) وهي مبنية على قاعدة « للذكر مثل حظ الانثيين » من الآية العاشرة المفصلة في سائر الآيات . وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ان الشرع الاسلامي أوجب على الرجل أن ينفق على المرأة . فبهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل تارة وزائداً عليه تارة أخرى باختلاف الاحوال

إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأنثى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلا كان للذكر ألفان وللأخته الف . فاذا تزوج هو فان عليه أن يعطي امرأته مهراً وان يعد لها مسكنا وأن ينفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية ، في هذه الحالة تكون الالفان له ولزوجه ، فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل

منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شيء . وفي هذه الحالة يكون ماله الموروث دون مال أخته . فانها اذا تزوجت كما هو الغالب فانها تاخذ مهرا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها ان تستغل ما ورثته من أبيها وتنميه لنفسها وحدها ، فلو لم يكن للوارثين الا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال، اذا اتحدت وسائل الاستغلال ، فيكون اعطاؤهن نصف الميراث تفضيلا لهن عليهم في أكثر الاحوال ، إلا أن سببه ان المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ، ولها من شواغل الزوجية وما يتصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الامومة ما يصرفها عن الكسب الذي تقدر عليه وهو دون ما يقدر عليه الرجل في الغالب — فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والاولاد على الرجل ظلما له وتفضيلا للمرأة عليه في المعيشة ووجه اعطاء المرأة ماتعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أومات زوجها ولم يترك لها مايقوم باودها، فهو من قبيل المال الاحتياطي لها وللاسرة « وقد شرحنا هذه المسالة بالتفصيل في مقالات أخرى »

١١ — مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الاسلامية المحمدية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التي يجري عليها البشر في الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهراً مقدما على البناء بها، من حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هي المهر للرجل — ولكنهم يسمونه باسم آخر — فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لاجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولي من والد أو غيره يبذل لها هذا المال ، وكثيراً ماتركب الاوانس الناعمات أخشن المراكب وتتعرض للعنت ، والتفريط في العرض والشرف ، في سبيل تحصيل هذا المال

وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهراً لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها لانه ليس لها أن تتصرف بمالها وهي متزوجة

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضا حتما وحرم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال ﴿ ٤ : ٣ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ والنحلة في اللغة العطاء الذي لا يقابله عوض فقول الفقهاء ان المهر في معنى ثمن

الاستمتاع مخالف للغة ورد عليهم شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا ان الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ولذلك قال « نحلة » فالذي ينبغي أن يلاحظ ان هـذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وانه واجب حتم لا تخيير فيـه كما يتخير المشتري والمستاجر ، وترى عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف اهـ كلامه ولكنه قال في موضع آخر ان حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ، وسيأتي

والخطاب يحتمل وجها آخر وهو ان الخطاب للاولياء الذين يزوجون اليتامى وغير اليتامى فقد كان ولي المرأة في الجاهلية يزوجها ويأخذ صداقها لنفسه دونها فنهى الله الاولياء في الاسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) أي فان طابت أنفسهن عن شيء من المهر فاعطينه من غير إكراه ولا إلجاء بسبب سوء العشرة ، ولا إخجال بالخلابة والخديعة ، وقال ابن عباس (رض) : من غير ضرار ولا خديعة (فكلوه هنيئا مريئا) أي سائغا لا غصص فيه ولا تنغيص ، فاذا طلب منها شيئا فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى

١٢ - الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب في الجاهلية انواع من الزواج الفاسد الذي كان يوجد عند كثير من الشعوب ولا يزال بعضه الى اليوم في البلاد التي تغلب عليها الهمجيـة - فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة وإعطاؤها الحق في الولد ان تلحقه بمن شاءت منهم

ومنها نكاح الاستبضاع وهي ان يأذن الرجل لزوجه ان تمكن من نفسها رجلا معينا من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة او الكرم ليكون لها منه ولد مثله

وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة في بعض البلاد كالتبت وغيرها وكان عند العرب موقتا ومقيدا بما ذكرنا

(ومنها) السفاح بالبغاء العلني وكان عند العرب خاصا بالاماء دون الحرائر (ومنها) اتخاذ الاخدان اي الصواحب العشيقات، وكان عرب الجاهلية يستترون به ويعدون ما ظهر منه لؤما وخسة — وهذان النوعان عامان شائعان في بلاد الافرنج كلها جهراً ، وقد سرى فساده منهم الى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليها او على حكامها كالهند وتونس والجزائر ومصر وسورية ولبنان والعراق وقد قررت حكومة فرنسة أخيرا جعل اولاد الاخدان كالاولاد الشرعيين في الميراث وغيره بعموم الفساد فيه

(ومنها) نكاح المتعة وهو الموقت وقد شاع في بلاد الافرنج اخيراً ويسمونه نكاح التجربة وتبيحه الشيعة الامامية من المسلمين (ومنها) نكاح البدل والمبادلة وهو ان يترل رجلان كل منهما عن امرأته للآخر . ونكاح الشغار وهو ان يزوج كل من الرجلين الآخر بنته او اخته او غيرهن ممن تحت ولايتهما بدون صداق — وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسبان المرأة ملكا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله ، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة او الهمجية كالغجر . والغبن في كل ذلك على النساء فهن اللائي يحملن اثقاله واوزاره الجسمية والادبية والمالية

وأما المرتقون من العرب كقريش فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي اقره الاسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها او عضلهن اي منعهن من الزواج او أكل مهورهن ، وكذا تعددهن بغير حد في العدد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العدل ولا في الحقوق ـ ابطل الاسلام كل المظالم الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجح المصلحة على المفسدة والعدل على الظلم

١٣ — (ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه)

جمع الاسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترضاه من الازواج ورد من لا ترضاه، فنع الاولياء من الاستبداد في تزويج مولياتهم من بنات واخوات وغيرهن بغير رضاهن وكان من ظلم الجاهلية لهن، بل لا يزال الوالدان يكرهن بناتهم على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الامم على ما فيه من الشقاء

والفساد، كذلك منع المرأة من التزوج بغير كفؤ يرضاه أولياؤها وعصبتها فيكون تزوجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم و بين عشيرته بالتبع له، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرته. وليس للاولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأي كفؤ ترضاه

روى الجماعة كلهم(١) عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال «لا تنكح الايم(٢) حتى تستأمر. ولا البكر حتى تستأذن – قالوا يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال ان تسكت» ورووا (الا البخاري) عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها واذنها صماتها» أي سكوتها يكتفى به فلا تكلف التصريح لحيائها كما روي عن عائشة أنها سألت النبي (ص) عن استئذان البكر فقالت ان البكر تستأذن فتستحي فتسكت فقال «سكاتها اذنها» متفق عليه وروى الجماعة الا مسلما عن خنساء بنت خدام الانصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها أي أبطله. قال بعض المحققين لا يكون سكوت البنت اذنا للاب بتزويجها الا اذا كانت تعلم ذلك. فان كانت لا تعلم فينبغي اعلامها.

وروى احمد والنسائي من حديث ابن بريدة وابن ماجه من حديث عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال جاءت فتاة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال فجعل (ص) الامر اليها، فقالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء انه ليس الى الآباء من شيء. تعني أنه ليس لهم اكراههن على التزوج بمن لا يرضينه.

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه (ص) قال «إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» ورواه من حديث أبي حاتم المزني بلفظ «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» الخ ورواه أبو داود في المراسيل

(١) الجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة
(٢) الايم بتشديد الياء غير المتزوجة بكراً كانت أم ثيبا

١٤ — أركان الزوجية الفطرية في الاسلام

ارشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم الى ان للحياة الزوجيـة ثلاثة اركان (أو أقانيم) يجب عليهم تحريها فيهـا وهي ما اشرنا اليـه في صدر هذه الرسالة وصدرناها بآيتها من قوله عز وجل (٣٠ : ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

فالسكون النفسي الجنسي وهو الركن الاول من هذه الاركان خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجده كل منهما باتصالهما والملابسة بافضاء أحدهما الى الآخر الذي به تتم انسانيتهما فتكون منتجة أناسي مثلهما، وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل لا ترتاح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه

وانما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى اليه من قصد الاحصان في النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر أي إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية الى المسافحة أو اتخاذ الاخدان لاجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الاحصان أن يقصر كل منهما هذا الاستمتاع على الآخر ويقصد حكمته وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجه وأفضله

قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء (٤ : ٢٤ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) الآية . ثم قال بعدها في نكاح الاماء (٢٥ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)

وقال في سورة المائدة (٥ : ٤ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِنَ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) والركن الثاني من اركان الزوجية المودة اي المحبة التي يظهر اثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما — والركن الثالث الرحمة التي لا تكمل للانسان إلا بعواطف الامومة والابوة ورحمتهما لاولادهما، فيكون لكل البشر او الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة، إذا لم يكن فساد التربية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر مفسدة لها او قاصرة لها على المشاركين فى القومية او العقيدة أو الوطن ومن تفكر في هذه الاركان الثلاثة حق التفكر علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التي هي جل سعادة الانسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(*

١٥

المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

ان الاصلاح الاكبر الذي جاء به الاسلام، ونزل به القرآن في شأن النساء هو الآية (٢: ٢٢٨) من سورة البقرة فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوي والعادات والتقاليد التي يستبد بها الرجال الاقوياء ويستعلون على النساء الضعيفات في انفسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرنا هذه الآية في الجزء الثاني من تفسيرنا بما بينا به هذه الدرجة وننشر هنا ملخصه وهذا نصه :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

هذه كلمة جليلة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بان المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (٤: ٣٤ الرجال

*) قد أنشأنا عدة فصول في شرح هذه الاركان نشرناها في مجلد المنار الثامن

قوامون على النساء ﴾ الآية . وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهن ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والاحوال ، فاذا هم بمطالبتها بامر من الامور يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما « اني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية »

وليس المراد بالمثل المثل لاعيان الاشياء وانما اراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والاعمال ، كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره ما لا يلائمه وما ينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ، ويتخذه عبداً يستذله ويستخدمه في مصالحه لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها امة من الامم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الامم الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون — لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها . وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف

وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب او أسوأ حالا — ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص لهم كاملا سالما من الاضافات والبدع. ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم

بالاسلام أن ما نحن عليه هو أثر ديننا — ذكر الاستاذ الامام في الدرس ان احد السائحين من الافرنج زاره في الازهر و بينا هما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ما هذا ؟ أنى تدخل الجامع انقال له الامام: وما وجه الغرابة في ذلك؟ قال اننا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن ارواح وليس عليهن عبادة . فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا؟ والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة (١) فما بالكم بعامتهم؟

إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لهم عليهن إلا ما ميزهم به من الرياسة، فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن، و يجعل لهن في النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن و يسهل طريقه، فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدبا عالما بما يجب عليه عاملا به ولا يسهل عليه أن يمتهنه أو يهينه ، واذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها

خاطب الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن، وقرن أسماءهن باسمائهم في آيات كثيرة و بايع النبي (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما امرهم ، وأجمعت الامة على ما مضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على اعمالهن في الدنيا والآخرة - أفيجوز بعد هذا كله أن يحرمن من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولاولادهن ولذي القربى وللامة والملة؟

العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه إذ يستحيل أن تتوجه الى المجهول المطلق، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوقي من إهماله ـ فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا؟ وكيف تسعد في الدنيا او الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس؟ والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك و يترك الباقي ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة

(١) كان سبب هذا ما اذاعه رجال الكنيسة من الكتب والرسائل والاناشيد في ذم الاسلام والافتراء عليه

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية اولادها ونحو ذلك من امور الدنيا كاحكام المعاملات - إن كانت في بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، كما تختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال : ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكني والخدمة اللائقة بحال المرأة ؟ ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسى كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج ، وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس؟ ألم تر ان تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ؟ أي الامرين أفضل في نظر الاسلام :أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة اجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أوولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وباسماء الادوية؟ نعم يتيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة او بجعل دواء مكان آخر

(وقدذ كرنا في التفسير هنا كلاما للمحدثين والفقهاء في حقوق كل من الزوجين على الآخر كقول الا كثرين: ان المرأة لايجب عليها للرجل غير الطاعة في نفسها وحفظ نفسها وماله دون خدمة الدار، ورده بامر النبي (ص) بنته فاطمة بخدمة البيت و بامر علي بما كان في خارجه ،وجزم بعض المحققين من الحنابلة أن ذلك يرجع الى عرف الناس . ثم قلنا)

وما قضى به النبي (ص) بين بنته وربيبه وصهره عليهما السلام هو ماتقضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه : وعلى الرجل السعي والكسب خارجه، وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة ، وهولا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ، ولامساعدة كل منهما للآخر في عمله إذا كانت هناك ضرورة،وانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لايستغنون في ذلك ولافي غيره عن التعاون (٢ : ٢٨٦ لايكلف الله نفسا الا وسعها — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله)

و إذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة، لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز، ويحملونهن ما لا يحملنه إلا بالتكلف والجهد، ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ، ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهائهم إنه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش، ولا ارضاع طفل، ولا تربية ولد، ولا اشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك ، إن يجب عليهن إلا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع ، وهذان الامران عدميان ، أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن وعدم المعارضة بالاستمتاع ، فالمعنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للأولاد مع وجود آبائهم .

وأما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء ، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى (٤ : ٣٤ الرِّجالُ قوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور، ولا تقوم مصلحتهم إلا اذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لانه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف الخ

١٦

مقتضى الفطرة فى اعمال الزوجين

هذا وان ما تقرر في السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة ــ والاسلام دين الفطرة ــ فقد فضل الله الرجل في خلقته بقوة في الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالاسرة ، والعام للامة والدولة ، ومن ثم فرض عليه النفقة ، وبها كان الرجال قوامين على النساء، يتولون الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها،

فعليه جميع الاعمال الخارجية في أصل الفطرة ، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة

ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة فى جميع الاعمال الداخلية المحضة فيه قال النبي (ص) « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » الحديث وهو متفق عليه

ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة الاجاهل أو مكابر ، فهو أكبر دماغا وأوسع عقلا ، وأقوى عضلا ، وأعظم استعدادا للعلوم وأقدر على مختلف الاعمال ، بل هو يؤدي وظيفته من حكمة الزوجية وهي النسل كافراغ مادته بارادته واختياره في عامة أحواله ، والمرأة ليس لها قدرة على مثل هذا وانما تنشأ فيها بويضات النسل في أوقات مخصوصة لا ارادة لها فيها ، والحيوان المنوي الذي يلقح هذه البويضات هو الذي يسعى اليها في مكانها من مدخل الرحم الى مستقره فيلقحها وليست هي التى تسعى اليه ، بل هي لا تشاركه أيضا في هذا السعي وانما تنتظره انتظاراً ، فمنه الحصول والفعل ، وعليها القبول والانفعال ، ويجد في البيضة التي يلقحها الغذاء الذي يكون به النمو . وانما الحركة والنمو من خاصيته لامنها . الى أن تتكون النطفة المتحدة بالتنقل في الاطوار فتكون جنينا لانسان كامل ، فكذلك يسعى الرجل و يكدح و ينقل ما يكسبه الى المرأة في الدار فتتصرف فيه بما تقتضيه حاجة الاسرة من غذاء وغيره

ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية وفساد النظام يرى أن الثابت في غرائزهن ان خير الازواج وأولاهم بالاختيار من كان قادراً على الكسب وحماية النسل وصيانته . وما تتوقف عليه تربيته الى أن يبلغ أشده . وقد ألقت غير واحدة من الصحف الافرنجية ولاسيما الانكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الازواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ماذكرنا .

على أن هذا النظام الفطري الشرعي في الزوجية لا يمنع غير الزوجات والامهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع في بعض العلوم والاعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن ، وانما الافضل والانفع لهن ولامتهن وللانسانية كلها أن يتقن العلوم والاعمال الخاصة بالزوجية والامومة ، وقد صارت في هذا العصر كبيرة وكثيرة

(١٧ — رياسة الرجل في الاسرة شورية لا استبدادية)

وردت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين في جعل ادارة المنزل والاسرة مقيدة باوامر الشريعة ونواهيها وبالعرف المرعي بين الناس في المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة في حالتي الحب والكره والرضا والسخط قال الله تعالى (٤ : ١٩ وعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ فإنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فعسى أَنْ تكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيرًا كثيرًا)

وقال النبي ص) «لايفرك (١) مؤمن مؤمنة : إن كره منها خلقا رضي آخر» رواه مسلم من حديث جابر — والفرك ضد العشق بين الزوجين . فالحديث بمعنى الآية . والنهي فيه مبنى على أن الاصل في الزوجين التحاب التام ، فان حرمانه فليتجنبا اسباب الكره والبغض . وخص النبي (ص) الرجل بالنهي عن الفرك لزيادة العناية بشأن المرأة — وهو يتضمن نهيها عن فركه بالاولى — لان العرب كانت تسند الفرك الى النساء في الاكثر ، والفارك منهن ضد العروب بفتح العين المتحببة الى زوجها

والقاعدة الشرعية في نظام المنزل التزام كل من الزوجين العمل بارشاد الشرع في كل ما هو منصوص عليه ، والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما وعدم تكليف احدهما الآخر ما ليس في وسعه ، والاصل في قاعدة هذه الاحكام كلها قوله تعالى (٢ : ٢٣٣ وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمَعْرُوفِ ، لا تكلَّفُ نَفْسٌ إلا وُسْعَهَا ، لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الوارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فإنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الآية . وهي في الوالدات المطلقات فالثابتات الزوجية أولى منهن بالتراضي والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لولدهما . وهو يدخل في وصفه تعالى للمؤمنين بقوله (٤٢ : ٣٨

(١) فرك مثال ضرب يضرب

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

وقال (ص) «استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج »(١) ومعناه ان في طبع المرأة عوجا في صلابة خلقية لحكمة في ذلك فهي كالضلع في عوجه وتقوسه لحكمة، فيجب على الرجل أن لا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة ،وان يستوصي بها خيراً على ماهي عليه مما هو طبع لها ، وانما يكون التأديب على العوج والميل عن الصواب والمصلحة في الامور العادية التي يمكن تركها بدون مقاومة للطبع

وقال (ص) «خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي ٢» وقال «خيركم خيركم للنساء ٣» وقال خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ٤) وقال (ص) لعمر حين سأله عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة « ألا أخبرك بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة : إذا نظر اليها سرته ،و إذا أمرها اطاعته ، و إذا غاب عنها حفظته ٥)

وانا نزيد موضوع تفضيل الرجال على النساء والمساواة شرحا لما قد تجدد في هذا العصر من البحث فيه ومن طلب المساواة التامة بين الجنسين التي جرأ نساء أوربة على المطالبة بها و إلحاحهن في الطلب بعد الحرب العالمية الكبرى أنهن تولين فيها اكثر أعمال الرجال في الكسب والانفاق ووجد منهن ألوف الالوف أرامل وعوانس لا كافل لهن من الرجال ، فنشرحه بما يعلم به القارىء ان نساء العرب استشرفن الى مثله في صدر الاسلام بما نفخه من روح الحياة فيهن ، وأن الوحي عالجه علاجا لا يمكن ان يعالج في بلاد الافرنج الا به فنقول :

---

١) رواه الشيخان في صحيحيهما . وفي رواية كالضلع (٢) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية وهو صحيح (٣) رواه الحاكم عن ابن عباس (٤) رواه ابن عساكر عن علي وهو صحيح كما علم عليه السيوطي في الجامع الصغير (٥) رواه ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم

١٨ - وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى في سورة النساء (٤ : ٣٢ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

ذكرنا في الجزء الخامس من تفسير المنار انه ورد في سبب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات ﴿ الاولى﴾ عن مجاهد ان ام سلمة زوج النبي ﴿ص﴾ قالت يارسول الله : يغزو الرجال ولا نغزو ، وانما لنا نصف الميراث ﴿الثانية﴾عن عكرمة ان النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال ﴿ الثالثة ﴾ عن قتادة والسدي قالا لما نزل قوله تعالى (للذكر مثل حظ الانثيين) قال الرجال : انا لنرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من أجر النساء . وقالت النساء : انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا. كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفي غيره مما في معناه . ونقلنا عن استاذنا الامام في تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لاحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر ، وجعل الخطاب عاما للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وانما كان النساء هن اللواتى تمنين عمل الرجال ، وأي عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة ، ففي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين. والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمني الناشيء عن الحياة الملية الشريفة (منهن) فان تمني مثل هذا العمل

قريب من النساء جدا ، وسببه أن الامة في عنفوان حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها ، وانها لتسري فيها سريانا عجيبا ، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل منقبة وكل عمل فقد كن يأتين ويبايعن النبي ﴿ص﴾ تلك المبايعة المذكورة في ﴿سورة الممتحنة﴾ كما كان يبايعه الرجال، وكن ينفرن معهم اذا نفروا للقتال، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال، فاراد الله أن يختص النساء باعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منها عمله، ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له. وتنكير لفظ « نصيب » لافادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه وانما الاجر على ما عمل بالاخلاص - أي في الكلام حث ضمني عليه - ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ أي ليسأله كل منكم الاعانة والقوة على ما نيط به حيث لا يجوز له ان يتمنى ما نيط بالآخر. ويدخل في هذا النهي تمني كل ما هو من الامور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة في تمنيها لمن لم يعطها. ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحمد من الناس أن ينظر بعضهم الى ما نال الآخر و يتمنى لنفسه مثله وخيراً منه بالسعي والجد، كأنه يقول وجهوا أنظاركم الى ما يقع تحت كسبكم، ولا توجهوها الى ما ليس في استطاعتكم، فانما الفضل بالاعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم اهـ المراد نقله

١٩ - درجة الرجال على النساء الرياسة

﴿ وكونهن معهم قسمين صالحات وناشزات ﴾

بعد هذا النهي لكل من الرجال والنساء عن تمني ما اختص به الآخر بمقتضى الفطرة التي أكملها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله :

(٤ : ٣٤ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)

وقد كتبت في تفسيرها من الجزء الخامس ما نصه :

أي ان من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن، لان عليهم من النفقة ما ليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة ، وأعطاهم مالم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام، أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد ، وثم سبب آخر كسبي يدعم السبب الفطري ، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم، فان في المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة اذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة ، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ورضيت بعوض مالي عنها ، فقد قال تعالى ٢: ٢٢٧ (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالآية أوجبت لهم هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة اعطاؤها عوضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة، وجعلها بذلك من قبيل الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين. ولا يقال ان الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض، فانا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه إلا بعض الافراد ؟

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرءوس بارادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرؤس مقهوراً مسلوب الارادة لا يعمل عملا الا ما يوجهه اليه رئيسه، فان كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لنحو زيارة أولي القربي الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى

(قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخصر وأظهر فيما قلنا انه المراد، وانما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله (ولا تتمنوا ما فضل الله

به بعضكم على بعض) وهي افادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد : فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن

(أقول) يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يبغي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها، فانه لا عار على الشخص ان كان راسه افضل من يده وقلبه اشرف من معدته مثلا، فان تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض بجعل بعضها رئيسيا دون بعض انما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضو ما، وانما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سربها، مكفية مايهمها من أمر رزقها. وفي التعبير حكمة اخرى وهي الاشارة الى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل به وفي قوة البنية والقدرة على الكسب؟ الخ

٢٠ — صفة الزوجات الصالحات

ثم قال تعالى ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التى تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قسمان : صالحات وغير صالحات. وأن من صفة الصالحات القنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لازواجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة : حافظات للغيب يحفظن في غيبة الازواج مايجب حفظه في النفس والمال، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث ابي هريرة ان النبي (ص) قال «خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » وقرأ (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو ما يستحيا من اظهاره اي حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاص بالزوج

أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة ولاسيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندي ان هذه العبارة أبلغ مافي القرآن من دقائق كنايات النزاهة، تقرأها خرائد العذارى جهراً، ويفهمن

ما توحي إليه مما يكون سراً ، وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف انامها ، فلقلوبهن الامان من تلك الخاجات ، التي تدفع الدم إلى الوجنات ، ناهيك بوصل حفظ الغيب (بما حفظ الله) فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي ، الى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الاستار ، من تلك الخفايا والاسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل

وفسروا قوله تعالى (بما حفظ الله) بما حفظه لهن في مهورهن وايجاب النفقة لهن – يريدون انهن يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر ووجوب النفقة المحفوظين لهن في حكم الله تعالى . وما أراك إلا ذاهبا معي إلى وهن هذا القول وهزاله ، وتكريم اولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، او أذن تسترق السمع ، معللا بدراهم قبضن ، ولقيمات يرتقبن . ولعلك بعد أن تمج هذا القول يقبل ذوقك ماقبله ذوقي وهو أن الباء في قوله (بما حفظ الله) هي صنو باء (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن المعنى حافظات للغيب بحفظ الله أي بالحفظ الذي يؤتيهن الله إياهن بصلاحهن فان الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة ، قوية على حفظ الامانة . اوحافظات له بسبب أمر الله بحفظه ، فهن يطعنه ويعصين الهوى ، فعسى ان يصل معنى هذه الآية الى نساء عصرنا اللواتي يتفكهن بافشاء اسرار الزوجية ولا يحفظن الغيب فيها (١ !

٢١ — حكم الزوجات الناشزات

الاستاذ الامام : ان هذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب وانما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه و بين حكمه بقوله عز وجل ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ النشوز في الاصل بمعني الارتفاع – فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت ان تكون فوق رئيسها بل ترفعت ايضا عن طبيعتها وما يقتضيه نظام الفطرة

(١) قال رسول الله (ص) «ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه» وفي رواية التعبير عن ذلك بأنه (من أعظم الاهانة عند الله) رواه مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وفي المسند والسنن أحاديث في هذا المعنى

في التعامل فتكون كالناشز من الارض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط و بعضهم بالعلم به . ولكن يقال لم ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ؟ او لم لم يقل (واللاتي ينشزن)؟ لا جرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي ان الله تعالى لما كان يحب ان تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتئام لم يشأ ان يسند النشوز الى النساء إسنادا يدل على ان من شأنه ان يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة تومىء الى أن من شأنه ان لا يقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة وتطيب به المعيشة ــ ففي هذا التعبير تنبيه لطيف إلى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها، والى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها، حتي اذا آنس منها ما يخشى ان يؤول الى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه اولا ان يبدأ بالوعظ الذي يرى انه يؤثر في نفسها

والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز ، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشماتة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته

واما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها و يشق عليها هجره إياها ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش، ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع ،وانما يتحقق بهجر في الفراش نفسه. وتعمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة، وفي الهجر في المضجع نفسه معني لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر و يزول اضطرابهما الذي اثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سؤاله عن السبب و يهبط بها من نشز المخالفة ، الى صفصف (١ الموافقة ، وكأني بالقارىء وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مثلي لم يره لاحد من الاموات ولا الاحياء،

(١) النشز بالتحريك المكان المرتفع من الارض والصفصف المستوي من الارض

وأما الضرب فشترط فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعا الى النبي (ص) والتبريح الايذاء الشديد . وروي عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقصبة صغيرة

وقد وردت أحاديث كثيرة في تقبيح الضرب والتنفير عنه منها حديث عبد الله ابن زمعة في الصحيحين وغيرهما قال قال رسول الله (ص) «لا يجلد احدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم؟» وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق «أما يستحي احدكم ان يضرب امرأته كما يضرب العبد ؟ يضربها اول النهار ثم يجامعها آخره» يذكر الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه انه لابد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو اقوى وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد احدهما بالآخر اتحادا تاما ، فيشعر كل منهما بان صلته بالآخر أقوى من صلة بعض اعضائه ببعض ـ اذا كان لابد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة، فكيف يليق به أن يجعل امرأته وهي كنفسه ، مهينة كمهانة عبده، بحيث يضربها بسوطه أو يده ؟ حقا ان الرجل الحي الكريم ليتجافى به طبعه عن مثل هذا الجفاء ، و يأبي عليه ان يطلب منتهى الاتحاد بمن انزلها منزلة الاماء. فالحديث ابلغ مايمكن ان يقال في تشنيع ضرب النساء

وأذكر انني هديت الى معناه العالي قبل ان اطلع على لفظه الشريف، فكنت كلما سمعت ان رجلا ضرب امرأته اقول يالله العجب كيف يستطيع الانسان ان يعيش عيشة الازواج مع امرأة تضرب ؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة من الذئب ،وتارة يذل لها كالعبد ، طالبا منتهى القرب . ولكن لاننكر ان الناس متفاوتون فمنهم من لاتطيب له هذه الحياة ،فاذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكريمه اياها حق قدره، ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والهجران، فارقها بمعروف وسرحها باحسان، إلا ان يرجو صلاحها بالتحكيم الذي ارشدت اليه الآية، ولا يضرب فان الاخيار لا يضربون النساء، وان أبيح لهم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث ام كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن الى رسول الله (ص) بأنهن تمردن عليهم حتى قال عمر يارسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن ، أي تمردن وعتين في النشوز والجرأة، فخلى بينهم و بين ضربهن ثم قال « ولن يضرب خياركم » فما اشبه هذه الرخصة بالحظر. وجملة القول ان الضرب

علاج مر، قد يستغني عنه الخير الحر، ولكنه لايزول من البيوت بكل حال، او يعم التهذيب النساء والرجال

قال تعالى ﴿فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ قال الاستاذ الامام أي ان أطعنكم بواحدة من هذه الخصال التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها طريقا، فابدأوا بما بدأ الله به من الوعظ، فان لم يفد فليهجر، فان لم يفد فليضرب، فاذا لم يفد هذا ايضا يلجأ الى التحكيم، ويفهم من هذا ان الصالحات القانتات لاسبيل عليهن حتى في الوعظ والنصح، فضلا عن الهجر والضرب (ان الله كان عليا كبيرا) فان سلطانه عليكم فوق سلطانكم على نسائكم، فاذا بغيتم عليهن عاقبكم، واذا تجاوزتم عن هفواتهن كرما وشمما تجاوز عنكم، قال الاستاذ أتي بهذا بعد النهي عن البغي لان الرجل انما يبغي على المرأة بما يحسه في نفسه من الاستعلاء عليها وكونه اكبر منها واقدر، فذكره تعالى بعلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ ويخشع ويتقي الله فيها. واعلموا ان الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم، انما يلدون عبيدا لغيرهم اه يعني ان اولادهم يتربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

٢٢ — التحكيم بين الزوجين

قال تعالى بعد ما ذكر (٤ : ٣٥ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل، فالنشوز يعالجه الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية فاذا تمادى هو في ظلمه او عجز عن إنزالها عن نشوزها وخيف ان يحول الشقاق بينهما دون إقامتهما لحدود الله تعالى في الزوجية باقامة اركانها الثلاثة : السكون والمودة والرحمة — وجب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها، عارفين بأحواله وأحوالها. ويجب على هذين الحكمين أن يوجها إرادتهما إلى اصلاح ذات البين. ومتى صدقت الارادة كان التوفيق الالهي رفيقها ان شاء الله تعالى. ويجب الخضوع لحكم الحكمين والعمل به — فخوف الشقاق توقعه بظهور أسبابه. والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق اى في جانب. والحكم (بالتحريك) من له حق الحكم والفصل بين الخصمين. والمراد ببعثهما ارسالهما الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما، ويتعرفا ما يرجي أن يصلح بينهما، ويسترضوهما بالتحكيم، واعطاؤهما حق الجمع والتفريق اه المراد هنا من تفسيرنا للآية

٢٣ ـ نشوز الرجل وإعراضه وعلاجه بالصلح أيضاً

قال الله تعالى في نشوز الرجل (٤ : ١٢٨ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بعلها نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ـ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ـ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ارشد الله الزوجين إلى الصلح عند خوف المرأة نشوز زوجها وإعراضه التام عنها ، وذكرهما بما يحول دون الوفاق من طباع النفس ، وهو بخل كل منهما بأداء ما عليه من الواجب وحرصه على استيفاء كل ماله من الحق ، بل يقصر كل فيما عليه ، ويطالب الآخر بأكثر مما عليه ، ولا سيما المرأة — فان الشح جامع لمعنى البخل والحرص . فاحضار الانفس الشح عبارة عن كونها حاضرة له بطبعها لا تكاد تفارقه الا بمعالجة وعزيمة قوية . ثم وصف لهما هذا العلاج بما يرغبهما فيه وهو الاحسان في المعاملة الذي قد يكون فوق أداء الواجب ، واتقاء الله في منع الحقوق او المطالبة باكثر منها طاعة لشح النفس . وهاك خلاصة معنى الآية من تفسير المنار (ص ٤٤٥ ج ٥)

اي وان خافت امرأة ﴿من بعلها نشوزاً﴾ وترفعاً عليها ﴿أو إعراضاً﴾ عنها ، بأن ثبت لها ذلك وتحقق ولم يكن وهماً مجردا ، او وسواسا عارضا ، وذلك ان المرأة إذا رأت زوجها مشغولا بأكبر العظائم المالية او السياسية ، أو حل أعوص المسائل العلمية ، او بغير ذلك من المشاكل الدنيوية او المهمات الدينية ـ لا تعد ذلك عذراً يبيح له الاعراض عن مسامرتها او منادمتها ، او الرغبة عن مناغاتها ومباعلتها . والواجب عليها أن تتبين وتتثبت فيما تراه من أمارات النشوز والاعراض فاذا ظهر لها ان ذلك لسبب خارجي لا لكراهتها والرغبة عن معاشرتها بالمعروف فعليها أن تعذر الرجل وتصبر على ما لا تحب من ذلك . وان ظهر لها ان ذلك لكراهته إياها ورغبته عنها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ اي فلا جناح عليها ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما كأن تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة او المبيت معها

أو بحقها كله فيها او في احدها لتبقى في عصمته مكرمة (١) او تسمح له ببعض المهر ومتعة الطلاق او بكل ذلك ليطلقها — فهو كقوله تعالى في سورة البقرة (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) وانما يحل للرجل ما تعطيه من حقها إذا كان برضاها لاعتقادها انه خير لها، من غير أن يكون ملجئا إياها اليه بما لا يحل له من ظلمها او إهانتها

قال تعالى ﴿ والصلح خير ﴾ أي من التسريح والفراق وان كان باحسان وأداء المهر والمتعة وحفظ الكرامة كما هو الواجب على المطلق – لان رابطة الزوجية من أعظم الروابط وأحقها بالحفظ ، وميثاقها من اغلظ المواثيق وأجدرها بالوفاء .

﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ البخل الناشيء عن الحرص ، ومعنى إحضاره الانفس انها عرضة له ، فاذا جاء مقتضى البذل ألم بها ونهاها ان تبذل ما ينبغي بذله لاجل الصلح واقامة المصلحة ، فالنساء حريصات على حقوقهن في القسم والنفقة وحسن العشرة شحيحات بها ، والرجال ايضا حريصون على اموالهم اشحة بها ، فينبغي لكل منهما ان يتذكر ان هذا من ضعف النفس الذي يضره ولا ينفعه ، وأن يعالجه فلا يبخل بما ينبغي بذله والتسامح فيه لاجل المصلحة – فان من اقبح البخل ان يبخل احد الزوجين في سبيل مرضاة الآخر بعد ان افضى بعضهما الى بعض وارتبطا بذلك الميثاق المظيم ، بل ينبغي ان يكون التسامح بينهما اوسع من ذلك وهو ما تشير اليه الجملة الآتية :

﴿ وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ اي وان تحسنوا العشرة فيما بينكم فتتراحموا وتتعاطفوا ويعذر بعضكم بعضا وتتقوا النشوز والاعراض ، وما يترتب عليهما من منع الحقوق او الشقاق ، فان الله كان بما تعملونه من ذلك خبيراً لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفاياه ، ولا من قصدكم فيه ، فيجزي الذين احسنوا منكم بالحسنى ، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى اه باختصار

ثم بين لنا في الآيتين اللتين بعد هذه أن عدل الرجل بين النساء غير مستطاع ولاسيما في الحب وإنما عليه ما يملك من العدل في النفقة والمعاشرة وأن يكبح جماح الميل النفسي بقوة الارادة حتى لا يفحش فيه فتكون المائل عنها كالمعلقة التي لا هي متزوجة ولا خلية – وأنهما اذا تفارقا لتعذر اقامة حدود العدل والتراضي فان الله يغني كلا منهما عن الآخر بفضله

(١) هذا ما فسرت به الصلح عائشة أم المؤمنين (رض) قالت هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها (أي من معاشرتها لكبر سن أو مرض أو غير ذلك) فيريد طلاقها أو يتزوج غيرها فتقول امسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي الخ رواه البخاري وغيره عنها . ومثل هذا يقع كثيرا باختيار المرأة لمصلحتها

تعدد الزوجات

أيتها السيدات الكرائم

كأني بكن وقد سمعتن أو قرأتن ما كتبته لكن مما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من تكريمكن وإثبات مشاركتكن للرجال في جميع الأمور الدينية والحقوق الانسانية — ترفعن أصواتكن قائلات: آمنا وصدقنا بأن هذا إصلاح لم يسبق الاسلام اليه دين، ولم يبلغ أو محمد فيه نبي ولا حاكم ولا حكيم، ولكن ما بال تعدد الزوجات بقي في دينه مباحا حتى انه هو نفسه لم يتنزه عنه، بل أباح له شرعه الالهي منه اكثر مما أباح لغيره من رجال أمته؟

ألا إن لكن أن تسألن هذا السؤال، وعلي أن أدلي اليكن بالجواب:

٢٤ — مقدمة في تاريخ تعدد الزوجات وأصله

يقول الباحثون في طبائع البشر، وتواريخ البدو والحضر، ان تعدد الزوجات في الاقطار الكثيرة التي اعتاده أهلها هو اثر ما كان من استرقاق النساء واتخاذ الاقوياء والاغنياء العدد الكثير منهن للاستمتاع والخدمة والعظمة، ولذلك كان خاصا بالملوك والامراء والرؤساء والاغنياء، وكان يكثر في البلاد الحارة التي يفتن اهلها بشهوة الاستمتاع، وكثرة التنقل بين الحسان وصغار السن من النساء ـ وكان عند بعضهم استرقاقا محضا، ثم وجد الجمع بين نكاح الحرائر والاستمتاع بالجواري المملوكات. فقدماء اليونان الاثينيين كانوا يبيعون النساء في الاسواق، و يبيحون تعدد الزوجات بغير حساب. وقد أباح الاسبرطيون تعدد الازواج للمرأة الواحدة كاهل (التبت) دون تعدد الزوجات للرجل. وكان التعدد فاشيا في أوربة عند الغولوا في زمن سزار ومعروفا عند الجرمانيين في زمن تاسيت. وقد فشا في الرومان فعلا لا قانونا حتى حظره جوستنيان في قوانينه ولكنه ظل فاشيا بالفعل، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسة الذي كان معاصرا للخليفتين المهدي والرشيد من العباسيين. وقد اختلفت عادات الناس فيه بين الامم

في جميع القارات والجزائر الجنوبية وما شذعن ذلك إلا اهل اوربة في القرون الاخيرة، ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات السفاح واتخاذ الاخدان كما تقدم ، وسيأتي مزيد بسط له في بحث التسري

على ان النساء في اوربة قد كن مهينات كالاماء عند اولئك الوثنيين حتى في اعراضهن ، الى ما بعد ظهور الإصلاح الاسلامي المحمدي بقرون . والشواهد التاريخية على هذا كثيرة

يقول الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي في كتابه (علم وصف الاجتماع) إن الزوجات كانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، وانه حدث اخيراً في القرن الحادي عشر ان المحاكم الكنسية سنت قانونا ينص على ان للزوج ان ينقل (أو يعير) زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المنقولة اليه المرأة(١ وشر من ذلك ماكان للشريف النبيل (الحاكم) روحانيا كان اوزمنيا من الحق في الاستمتاع بامراة الفلاح الى مدة اربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه (اي على الفلاح)

وفي سنة ١٥٦٧ ميلادية صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندي بأن المراة لايجوز ان تمنح اي سلطة على اي شيء من الاشياء

واغرب من هذا كله ان البرلمان الانكليزي اصدر قراراً في عصر هنري الثامن ملك انكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد أي يحرم على النساء قراءة الاناجيل وكتب رسل المسيح . فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الاول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أم المؤمنين ثم كتابة نسخ المصاحف التي وزعت على الامصار في خلافة عثمان عن ذلك المصحف. ولم تخل البلاد الاسلامية من نساء يحفظن القرآن كله حفظا تاما من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا(٢)

ومن العجيب ان بعض الناس الذين جمعوا بين الزواج والتسري كانوا يحرصون على شرف الزوجات ويبذلون جواريهم لضيوفهم وأكابر قومهم يستمتعون بهن كما

---

١) من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف انكلتره في هذه الايام إنه لا يزال يوجد في بلاد الارياف الانكليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جدا كثلاثين شلنا وقد ذكرت اسماء بعضهم

٢) كان المناسب وضع هذه النصوص التاريخية في مقدمة الرسالة

قل عن اهل جزيرة فيتي . ونقل عن بعض وثني امريكا الشمالية ان من تزوج امرأة منهم حلت له جميع اخواتها ، وقالوا ان هذا قد انتشر كثيراً في كولومبيا وغيرها

وكان تعدد الزوجات شائعاً بين اليهود قبل السبي في ملوكهم وأنبيائهم وناهيك بداود وسليمان عليهما السلام . وكانت البنت مهينة عندهم حتى كان بعضهم يبيح لابيها بيعها . وهاك النص المقدس عندهم لاعندنا في نساء اعظم انبيائهم وملوكهم داود وسليمان عليهما السلام

جاء في الفصل الخامس من سفر صموئيل الثاني « ٧ فقال ناثان لداود انت هو الرجل ،هكذا قال الرب إله اسرائيل :انا مسحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك » ثم وبخه على قتله لاوريا الحثي وأخذ زوجته وقال (١١ هكذا قال الرب : هاءنذا اقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك امام عينيك ، وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس) وسأذكر خبر أوريا مع داود عند الكلام على زينب أم المؤمنين

وفي الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الاول ما نصه « وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لاتدخلون اليهم وهم يدخلون اليكم لانهم يحملون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ٣ وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من الجواري فأمالت نساؤه قلبه » الخ

٢٥ ـ الاصلاح الاسلامي في تعدد الزوجات

لما بعث الله محمداً خاتم النبيين في العرب وأبطل شرعه الزنا وكل ما هو في معناه من انواع الانكحة وكل ماهو مبني على عد المرأة كالمتاع او الحيوان المملوك، لم يحرم تعدد الزوجات تحريما مطلقا ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الاسراف في العدد وفي ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذي قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ويوافق استعداد الرجال له وهو ان لايتجاوز الاربع وبالقدرة على النفقة عليهن واشترط فيه العدل بين الزوجين او الازواج لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة وهو ما قد يفضي بالمتدين بالاسلام الى الاقتصار على زوج واحدة إلا لضرورة

قال تعالى في سورة النساء (٤ : ٣ وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في الْيَتَمَى فَانْكِحُوا مَاطابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلَاثَ ورُبَعَ فَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى ألاَّ تَعُولُوا)

العول الجور - اي ذلك الاقتصار على امرأة واحدة او ملك اليمين اقرب الوسائل لعدم وقوعكم في الجور والظلم المانع من تعدد الزوجات لمن خاف الوقوع فيه . فالآية تدل على تحريم التعدد على من يخاف على نفسه ظلم زوجة محاباة لاخرى وتفضيلا لها عليها - وعلى تحريمه بالاولى إذا كان عازما على هذا الظلم بأن كان يريد ان يضارها لكرهه لها . ثم قال تعالى في الآية ١٢٩ من هذه السورة نفسها (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولوحرصتم) فاذا قرنت هذه القضية بقضية (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أنتجتا وجوب الاقتصار على امرأة واحدة - ولكنه قال بعدها (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) فعلم به ان غير المستطاع هو العدل في الحب وأثره من ميل النفس ، فيجب ضبط النفس في أثره ومايترتب عليه من المعاملة المستطاعة في النفقة والمبيت وغيرها وهو العدل المشروط في الاولى

مهنا ثلاث مسائل قطعية (إحداها) ان الاسلام لم يوجب تعدد الزوجات ولم يندب اليه ، وانما ذكره بما يدل على انه قلما يسلم فاعله من الظلم المحرم . وحكمة هذا وفائدته أن يتروى فيه الرجل الذي تطالبه نفسه به ويحاسبها على قصده وعزمه وما يكون من مستقبل أمره في العدل الواجب

(الثانية) انه لم يحرمه تحريما قطعيا لا هوادة فيه لما في طبيعة الرجال وعاداتهم الراسخة بالوراثة في جميع العالم من عدم اقتصارهم في الغالب على التمتع بامرأة واحدة - ومن حاجة بعضهم الى النسل في حال عقم المرأة او كبرها أو علة اخرى مانعة من الحمل - ومن كثرة النساء في بعض الازمنة والامكنة ولاسيما اعقاب الحروب بحيث تكون الالوف الكثيرة منهن أيامي لايجدن رجالا يحصنونهن وينفقون عليهن مع وجود الاقوياء الاغنياء القادرين على إحصان امرأتين او اكثر الراغبين فيه

(الثالثة) انه لهذا وذاك تركه مباحا إلا انه قيده بما تقدم بيانه آنفا من العدد والشرط الذي يتقى به ضرره ويرجى به نفعه إذا التزم فاعله جميع أحكام الاسلام وآدابه في معاملة النساء وقد تقدم أهمها . وقد رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا من

أهل عصرنا ان من المتدينين المتقين من لم يرزق ولداً من زوجه الاولى فعز عليهن ذلك فرغبنهم في التزوج بغيرهن وخطبن لهم وعشن مع الزوج الثانية كعيشة الاخوات في حجر والدهن . وقد كان هذا هو اكثر حال المسلمين في قرون الاسلام الاولى ولكنه قل في هذا الزمن بما طرأ على اكثر الشعوب الاسلامية من الجهل بالاسلام، وبحكمه واحكامه وآدابه في الزواج ، وفسدت تربيتهم بالتبع لفساد حكوماتهم ، فصار تعدد الزوجات في الامصار مثارا لمفاسد لا تحصى في الازواج والاولاد وعشائر الزوجين حتى اقلب ما بيناه من اركان الزوجية الثابتة في كتاب الله تعالى من حب ومودة ورحمة إلى أضدادها ـ وقد حمل شيخنا الاستاذ الامام في سياق تفسيره للآية في الازهر حملة منكرة شديدة على هذه المفسدة في مصر وقرر انه يستحيل تربية الامة تربية صحيحة مع كثرة هذا التعدد الافسادي الذي صار يجب منعه عملا بقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » الثابتة في الحديث(١) وقاعدة تقديم دره المفاسد على جلب المصالح وهي متفق عليها . وقد نشرنا اقواله في تفسيرها من الجزء الخامس وذكرنا في أول المجلد ٢٨ من المنار انه افتى فتوى غير رسمية بأن للحكومة منع التعدد لغير ضرورة مبيحة لا مفسدة فيها

وشرحنا في تفسيرها أيضا ما اجملناه في المسألة الثانية هنا من وجوه الحاجة الى التعدد من شخصية وطبيعية واجتماعية وآراء بعض علماء الافرنج ونسائهم الكاتبات في تفضيله على بذل النساء من أبكار وثيبات أعراضهن للرجال في اختلاطهن بهم في المعامل وخدمة البيوت وما في ذلك من المفاسد والمضرات التي لا يعد تعدد الزوجات بالنسبة اليها شيئا قبيحا اوضارا اذا التزم فيه شرع الاسلام. وقد زاد ما كتبناه في موضوعها على ثلاثين صفحة ولا تسع هذه الرسالة لنقله كله، فيراجع تفصيله في محله (٢)

بيد انى أكتب هنا كلمة في استعداد كل من الزوجين للنسل الذي هو غاية الزوجية ومقصدها الفطري بما تظهر به حكمة جعل الحد الاقصى في عدد الزوجات أربعا. وأقفي عليه ببيان الاسباب التي يكون بها التعدد حاجة أو ضرورة تقتضيها مصلحة الزوجية بل مصلحة الانسانية ، ثم انقل بعض ما اشرت اليه من ذلك التفصيل

(١) رواه احمد وابن ماجه عن ابن عباس (٢) راجع ص ٣٤٤ـ٣٧٥ ج ٤ تفسير المنار

٢٦ — استعداد كل من الذكر والانثى للنسل

من المعلوم بالمشاهدة أن الذكر قد يكون مستعداً لوظيفة النسل من سن البلوغ الى نهاية العمر الطبيعي وهو مائة سنة، وأن الانثى ينقطع استعدادها في سن الخمسين الى ٥٥ ثم إنها اذا حملت كان حملها شاغلا لها عن غيره الى نهاية مدته وهي تسعة أشهر في الغالب ثم الى انتهاء النفاس وهو اربعون يوما في المتوسط وقد يمتد الى شهرين ولكن لاحد لاقله، ثم ان استعدادها للحمل في مدة الرضاعة يكون ضعيفا جدا ومن مصلحتها ومصلحة طفلها أن لا يقع وان كان ممكنا ومدة الحمل والرضاعة المشتركة بين البدو والحضر سنتان ونصف كما قال تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ولكن الرجل يكون في كل هذه المدة مستعداً للقيام بوظيفته الزوجية ان لم يكن في كل يوم ففي كل أسبوع أو أقل أو اكثر على حسب قوة المزاج وسلامة البنية وحسن الغذاء وما يقابل ذلك من الاضداد، فاذا فرضنا ان زوجين اقترنا في متوسط سن البلوغ وهو ١٥ سنة كان اقصى ما تلده له ٢٠ ولدا في اربعين عاما وهو على كونه نادرا يبلغ ربع ما يمكن ان يولد له من اربع نسوة الى سن الثمانين

وقد بينت في آخر فصل المساواة بين الزوجين ما يفضل به الرجل على المرأة في مادة النسل وعملها في العلوق والحمل الذي للمرأة فيه ما هو معروف مما هو خاص بها .

وقد علم بالاختبار أنه يوجد من النساء الزاهدات في الرجال لضعف استعدادهن للنسل أضعاف ما يوجد في الرجال من الزاهدين في النساء وان موانعه الخلقية فيهن أكثر من موانعه فيهم،

٢٧ — مصلحة الزوجية أو الانسانية في تعدد الزوجات

سبق لي ان بينت هذا الموضوع في فتوى عن سؤال ورد من طالب طب في امريكا نشرت في مجلد المنار السابع (سنة ١٣٢١) ثم في جزء التفسير الرابع — وبدأتها بخمس مقدمات قفيت عليها بما يلي :

إذا أنعمت النظر في هذه المقدمات كلها، وعرفت فرعها وأصلها، تتجلى لك النتيجة أو النتائج الآتية : ان الاصل في السعادة الزوجية والحياة البيتية هو أن يكون الرجل زوجة واحدة، وان هذا هو غاية الارتقاء البشري في بابه، والكمال الذي ينبغي

أن يربي الناس عليه ويقتنعوا به، وانه قد يعرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به، وقد تمس الحاجة إلى كفالة الرجل الواحد لأكثر من امرأة واحدة، وان ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجال والنساء جميعاً كأن يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر الى غيرها لاجل النسل، وقد يكون من مصلحتها أو مصلحتهما معاً أن لا يطلقها وترضى بأن يتزوج بغيرها، لاسيما إذا كان ملكا او اميراً - أو تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل انه مستعد للاعقاب من غيرها وهو قادر على القيام باود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم ، أو يرى ان المرأة الواحدة لاتكفي لاحصانه لان مزاجه يدفعه الى كثرة الافضاء ومزاجها بالعكس، أو تكون فاركا منشاصاً (أي تكره الزوج طبعاً) أو يكون زمن حيضها طويلا ينتهي إلى خمسة عشر يوما في الشهر ويرى نفسه مضطراً الى احد الامرين: التزوج بثانية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة، ويكون شراً على الزوجة من ضم واحدة اليها مع العدل بينهما كما هو شرط الاباحة في الاسلام، ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي يمنع فيها التعدد بالمرة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن تكثر فيها النساء كثرة فاحشة كما هو الواقع في مثل البلاد الانكليزية وفي كل بلاد تقع فيها حرب مجتاحة تذهب بالالوف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة فاحشة تضطرهن الى الكسب والسعي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لاكثرهن في الكسب سوى أبضاعهن ، واذا هن بذلتها فلا يخفى على الناظر ما وراء بذلها من الشقاء على المرأة التي لا كافل لها اذا اضطرت الى القيام بأود نفسها، وأود ولد ليس له والد ولاسيما عقب الولادة ومدة الرضاعة بل الطفولية كلها . وما قال من قال من كاتبات الانكليز بوجوب تعدد الزوجات إلا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يعرض لهن من هتك الاعراض، والوقوع في الشقاء والبلاء، ولكن لما كانت الاسباب التي تبيح تعدد الزوجات هي ضرورات تقدر بقدرها وكان الرجال انما يندفعون الى هذا الامر في الغالب إرضاء للشهوة لا عملا بالمصلحة . وكان الكمال الذي هو الاصل المطلوب عدم التعدد — جعل التعدد في الاسلام رخصة لا واجبا ولا مندوبا لذاته، وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة، وأكدته تأكيداً مكرراً، فتأملها اه

وكتبنا في الرد على لورد كرومر إذ ألقى خطبة انتقد بها الشريعة الاسلامية ما نصه نقلا عن (ص ٢٢٥) من مجلد المنار العاشر :

طالما انتقد الاوربيون على الاسلام نفسه مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات ، وهما لم يطلبا ولم يحمدا فيه، وانما أجيزا لانهما من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير مرة، وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وان لم يشرعه لهم كتابهم (الانجيل) الا لعلة الزنا . وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصلحة النساء أنفسهن كأن تغتال الحرب كثيراً من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون الخير لهن أن يكن ضرائر ولا يكن فواجر يأكلن بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك لمصائب ترزحهن أثقالها . وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام غير واحدة من نساء الانكليز الكاتبات الفاضلات يطالبن في الجرائد باباحة تعدد الزوجات رحمة بالعاملات الفقيرات ، وبالبغايا المضطرات . وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت إحداهن في جريدة (لندن ثروت) مستحسنة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشاردات، إلا تعدد الزوجات ، وما كتبت الفاضلة (مس اني رود) في جريدة (الاسترن ميل) والكاتبة (اللادي كوك)في جريدة (الايكو) في ذلك (راجع ص٤٨١م ٤ منار)

إن قاعدة اليسر في الامور ورفع الحرج لهي من القواعد الاساسية لبناء الاسلام (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — و — ٥ : ٦ مايريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر تلجيء اليه الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الخاصة (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امتثاله دفعة واحدة لاسيما على من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات، كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من المفاسد، فلم يبق الا أن يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات، وهو شرط يعز تحققه و من فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له ان أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي

وجملة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالكمال الذي لابد أن يعترف به جماهير الاوربيين ولو بعد حين ، كما يعترف به بعض فضلائهم وفضلياتهم الآن. وأما المسلمون فلم يلتزموا هدايته فصاروا حجة على دينهم، ونحن أحوج الى الرد عليهم والعناية بارجاعهم إلى الحق منا إلى إقناع غير المسلمين بفضل الاسلام، مع بقاء أهله على هذه المخازي والاثام ، إذ لو رجعوا اليه، لما كان لاحد أن يعترض عليه اه

٢٨ - أقوال بعض فضليات الانكليزيات في تعدد الزوجات

أما ما أشرنا اليه من اقتراح بعض كاتبات الافرنج تعدد الزوجات فهو ما أودعناه مقالة عنوانها (النساء والرجال) نشرت في (ص ٤٨١ م ٤) من المنار (*وهاك المقصود منها

لما تنبه أهل أوربا إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن فكان لذلك أثر عظيم في ترقيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ كمالها الا بالتربية الإسلامية وأعني بالاسلامية ماجاء به الاسلام لا ماعليه المسلمون اليوم ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفا إنهم ما رعوا تعاليم دينهم حق رعايتها . ولهذا وجدت مع التربية الاوربية للنساء جراثيم الفساد ونمت هذه الجراثيم فتولدت منها الادواء الاجتماعية والامراض المدنية، وقد ظهر اثرها بشدة في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا فضعف نسلها، وقلت مواليدها قلة تهددها بالانقراض، والذنب في ذلك على الرجال

حذر مغبة هذه الامراض العقلاء ، وحذر من عواقبه الكتاب الاذكياء وصرح من يعرف شيئا من الديانة الاسلامية ، بتمني الرجوع الى تعاليمها المرضية، وفضائلها الحقيقية ، وصرحوا بأن الرجل هو الذي أضل المرأة وأفسد تربيتها وان بعض فضليات نساء الافرنج صرحن بتمني تعدد الزوجات للرجل الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

(١) جاء في جريدة (لاغوص ويكلي ركورد) في العدد الصادر في ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلا عن جريدة (لندن ثروت) بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصا:

« لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة أراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا ، وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وان شاركني فيه الناس جميعا ؟؟ لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجس ولله در العالم الفاضل (تومس) فانه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (ان يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة) وبهذه الواسطة يزول البلاء لامحالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل

*) هو الذي صدر في جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ هالموافق سبتمبر سنة ١٩٠١ م

البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

« أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة وعاراً على المجتمع الانساني ؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الاولاد وبامهاتهم ماهم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ماليس على الرجل وعليه ماليس عليها؟ وباباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس أرود) مقالة مفيدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في عشرة مايو (أيار) سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتي

« لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق: يتنعمان بأرغد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الاعراض بسوء . نعم انه لعار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على مايوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها ؟

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادي كوك) بجريدة الايكو ما ترجمته وهو يؤيد ما تقدم:

« ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الموت أيضاً . أما الفاقة فلان الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأما العناء فهو أن تصبح شريدة حائرة لا تدري

ماذا تصنع بنفسها، وأما الذل والعار فأي عار بعد، وأما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة نفسها بالانتحار وغيره

هذا والرجل لا يلم به شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسئولة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا أن نبحث عما يخفف – إذا لم نقل عما يزيل – هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الالوف من الاطفال الذين لاذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمني به من الاماني، حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الاليم

« ياأيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الاحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلون البنت زوجة ما لم تكن مجربة، أى عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم ! ! ! وهذا غاية الهبوط بالمدنية، فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم، والذي علقت منه لا ينظر إلى أولئك الاطفال ولا يتعهدهم بشيء، ويلاه من هذه الحالة التعسة : ترى من كان معينا لها في الوحم ودواره ، والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه، والفصال ومرارته ؟ » اه

ذلك ما قلناه في وجه الحاجة تارة والضرورة تارة الى تعدد الزوجات ويزاد عليه ما علم منه ضمنا من كثرة النسل المطلوب شرعا وطبعا، فاذا كان منع التعدد ولا سيما في أعقاب الحروب وكثرة النساء يفضي الى كثرة الزنا وهو مما يقلل النسل كان مما يليق

بالشريعة الاجتماعية المرغبة في كثرة النسل والمشددة في منع الزنا ان تبيح التعدد عند الحاجة اليه لاجل ذلك مع التشديد في منع مضراته. وقد صرح بعض علماء أوربا بأن تعدد الزوجات من جملة اسباب انتشار الاسلام في افريقية وغيرها وكثرة المسلمين. ومهما يكن من ضرر تعدد الزوجات فهو لا يبلغ ضرر قلة النسل الذي منيت به فرنسا بانتشار الزنا وقلة الزواج وستبعها انكلترا وغيرها من الامم التي على شاكلتها في التساهل في الفسق

واما منع تعدد الزوجات إذا فشا ضرره وكثرت مفاسده وثبت عند أولي الامر ان الجمهور لا يعدلون فيه في بعض البلاد لعدم الحاجة اليه بله الضرورة فقد يمكن ان يوجد له وجه في الشريعة الاسلامية السمحة اذا كان هناك حكومة اسلامية فان للامام ان يمنع المباح الذي يترتب عليه مفسدة مادامت المفسدة قائمة به والمصلحة بخلافه، بل منع عمر (رض) في عام الرمادة ان يحد سارق ولذلك نظائر اخرى ليس هذا محل بيانها: وللاستاذ الامام فتوى في ذلك (تقدم انها في أول المجلد ٢٨ من المنار)

لكن الافرنج يبالغون في وصف مفاسد التعدد وكذا المتفرنجون كدأب الناس في التسليم للامم القوية والتقليد لها. وما قال الاستاذ الامام ما قاله في التشنيع على التعدد الا لتنفير الذواقين من المصريين وأمثالهم الذين يتزوجون كثيرا ويطلقون كثيرا لمحض التنقل في اللذة والاغراق في طاعة الشهوة مع عدم التهذيب الديني والمدني

ألا ان التهذيب الذي يعرف به الانسان قيمة الحياة الزوجية يمنع صاحبه التعدد لغير ضرورة فهذه الحياة التي بينها الله تعالى في قوله (٣٠ : ٢١ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) قلما تتحقق على كمالها مع التعدد ولاسيما اذا كان لغير عذر ولذلك يقل في المهذبين من يجمع بين زوجين، واني لا أعرف أحداً من أصحابي في مصر وسورية له أكثر من زوج واحدة اهـ المراد منه

يا معشر النساء المحصنات

أرأيتن ما نقلته اليكن عن بعض نساء الشعب الانكليزي الذي هو أسلم من الشعب الفرنسي أخلاقا، وأمثل تربية وأكثر نسلا ؟ ذلك ما كتبته منذ ثلاثين عاما فما رأيكن فيما يقوله أمثالهن من الكاتبات والكاتبين في هذه الاعوام، وقد فقدت اوربة في حربها العالمية الكبرى زهاء عشرين مليون رجل أمسى مثلهم أو أكثر منهم من النساء محرومات من الحياة الزوجية والنسل وكفالة الرجل(١) فترجل الملايين منهن وصرن يزاحمن الرجال في الاعمال على كثرة العاطلين منهم والبطالين، ويطلبن مساواتهم في كل شيء، فقلت الرغبة في الزواج وتفاقم شر الطلاق، واستشرى فساد الخنا والبغاء، حتى صرح بعض كبار العقلاء من الكتاب بأن البيوت الانكليزية مهددة بالسقوط والزوال، بعد أن كانت أشد رسوخا وثباتا من الجبال، وأن الحال فيما عدا ايطالية من الدول الحربية أسوأ ولا سيما الولايات المتحدة الاميركية فان اسراف نسائها ورجالها في الطلاق وفي نكاح التجربة قد أوشك أن يقوض فيها بناء الاسرة وينتهي باستقلال النساء وأمر النسل الى الشيوعية المحضة. وان آخر ما قرأناه عن نسبة عدد الطلاق الى عدد الزواج فيها انه الخمس أي ٢٠ في المائة ويقال انه يتوقع بلوغه النصف بعد سنين قليلة

٢٩ — كلمات لبعض كبار علماء أوربة في التعدد والاسلام

ولولا أن تطول هذه الرسالة بما يخرج بها اقترحه طالبوها من القصد فيها لنقلت لكن كثيراً من أقوال الصحف الافرنجية في اثبات ما ذكرت ولكنني أختم هذه المسألة بحكم حكيمين من أكبر علماء الاجتماع وفلسفة التاريخ الواسعي الاطلاع على تاريخ المسلمين وغيرهم في المسألة

(الاول) الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي صاحب المصنفات . وله في تعدد الزوجات وأقوال علماء الافرنج فيه أقوال كثيرة في مصنفاته أوسعها بسطاً وتحقيقاً ما نشره في كتابه (حضارة العرب) فأثبت به عدالة حكم الاسلام بالتعدد واقتضاء

(١) جاء في بعض الجرائد أن عدد النساء الايامى في أوروبه ٢٥ مليونا

الضرورة الاجتماعية له . وله فيه عبارة مختصرة في كتابه روح السياسة قالها في سياق الكلام على اصلاح أمور المسلمين في الجزائر هذه ترجمتها :

«وأهم اصلاح يراه الموسيو (لروا بوليو) هو تحريم تعدد الزوجات، وقد أسهب في بيان فوائد الاقتصار على زوجة واحدة فقال : « ان تدبير المنزل يقوم على الزوجة الواحدة فقط . فبتعدد الزوجات تزول روح العائلة وهناء البيت وينحط المجتمع العربي»

«ولا أريد أن أبين هنا الاسباب التي جعلت الشرقيين يقولون بتعدد الزوجات وأن أذكر أن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدي الى زيادة اللقطاء في أوربا . فعلى القارىء أن يطالع كتابي « حضارة العرب » . ففيه يجد إيضاحا كافياً لهذه المسائل وغيرها ويرى أنه ظهر أيام سلطان العرب نساء فاضلات عالمات كما يظهر عندنا في هذه الازمنة .

«وقد ثبت في أيامنا أن توقف ارتقاء المسلمين لم ينشأ عن تعدد الزوجات . وهل من الضروري أن أذكر أن العرب وحدهم هم الذين أطلعونا على العالم الاغريقي الروماني وأن جامعات أوربا ومنها جامعة باريس لم تعرف في ستة قرون لها مورداً علمياً غير مؤلفات العرب وتطبيق مناهجهم ؟ فحضارة العرب هي إحدى الحضارات التى لم يعرف التاريخ ما هو أكثر منها نضارة . ولا تنكر أنها ماتت ككثير من أخواتها غير أننا نرى من السذاجة أن نعزو إلى مبدإ تعدد الزوجات نتائج صادرة عن عوامل أكثرمنها أهمية

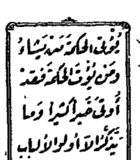
« ولا ندرك السبب في حقد ذلك الاستاذ الفاضل على مبدأ تعدد الزوجات وهو الذي يخبرنا باقتصاره على عائلات العرب المثرية وبأن ظله يتقلص بالتدريج واذا كان الرجوع اليه نادراً فلماذا يراد إلغاؤه وكيف يكون « من الاسباب الكبيرة في انحطاط المجتمع العربي» ؟

وأما العالم الثاني فهو الاستاذ (فون أهر مسلس) الالماني فانه قد صرح بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أوضرورية للسلائل الآرية، أي نموها وبقائها.

وهكذا يرجع علماء الافرنج وحكماؤهم الى قواعد الاسلام قاعدة بعد قاعدة، بل جزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه (التزويج) أو الحياة الزوجية بان الدولة الانكليزية ستضطر الى اتخاذ الاسلام دينا لها قبل انقضاء هذا القرن . ونقلت عنه بعض الصحف العربية انه جزم بان شعوب اوربة وأمريكا كلها ستهتدي بالاسلام قبل انقضاء قرن – وهذا ما نجزم بانتهاء جميع الافرنج اليه بالتبع لما جزم به قبلنا حكيما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده (رح) وسيصدق عليهم قول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

صفر سنة ١٣٥١هـ ق برج السرطان سنة ١٣١١هـ ش يونيه سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم



(شبهة منكري عالم الغيب على الوحي الالهي)

(وتصويرهم لنبوة محمد ﷺ)

خلاصة رأي الماديين أن الوحي إلهام يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج ، ذلك أن نفسه العالية، وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية، وتقاليد وراثية ، يكون لها من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الرؤى والاحوال الروحية ، فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً الهياً نازلا عليه من السماء بدون واسطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب وقد يسمعه يقول ذلك، وانما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع

الانبياء ، فـكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في روعه أو ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده

يقول هؤلاء الماديون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، وانما نقول ان منبع ذلك من نفسه ، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فان هذا شيء لم يثبت عندنا وجوده كما أنه لم يثبت عندنا ماينفيه ويلحقه بالمحال، وإنما نفسر الظواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون مالم يثبت

ويضربون مثلا لهذا الوحي قصة جان دارك الفتاة الافرنسية التي قررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد موتها بزمن، وهذا التصوير الذي يصورون به ظاهرة الوحي قد سرت شبهته الى كثير من المسلمين المرتابين الذين يقلدون هؤلاء الماديين في نظرياتهم المادية أو يقتنعون بها. وانني أفتتح الكلام في ابطال هذه الصورة الخيالية بالكلام على جان دارك فقد ألقي الي سؤال عنها نشرته مع الجواب عنه في صفحة ٧٨٨ من المجلد السادس من المنار (سنة ١٣٢١) وهذا نصه

(شبهة على الوحي)

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ـ حيث وقع اختياري عليها ـ وقرأت في بابي (حاجة البشر الى الوحي) و (إمكان الوحي) فوجدت الكلام وجيهاً معقولا ،غير ان الحاجة الى الشيء لاتستلزم وقوعه،وكذا إمكانه وعدم استحالته عقلا لا يقتضي حصوله . ثم ماذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بجلائل الاعمال وبوقوع الخير للناس على يديه هو دليل نبوته وتأييد بعثته، فليس شيئا، فانه قد يكون (كون) النبي حميد السيرة في عشيرته صادقا في دعوته ـ اعني معتقدا في نفسه ـ سببا في نهوض أمته ، ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له

ولقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكليز

ان بنتا تدعى (جان دارك) من اجمل النساء سيرة وأسلمهن نية اعتقدت وهي في بيت اهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسلة من عند الله لانقاذ وطنها ودفع العدو عنه، وصارت تسمع صوت الوحي فأخلصت في الدعوة للقتال، وتوصلت بصدق إرادتها الى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا، ثم ماتت غب نصرتها موتة الابطال من الرجال، إذ خذلها قومها، ووقعت في يد عدوها فألقوها في النار حية، فذهبت تاركة في صحائف التاريخ اسما يعبق نشره وتضوع رياه. وهي الآن موضع إجلال القوم وإعظامهم، فلقد تيسرت لهم النهضة بعدها وجروا في العلم والرقي بعيداً.

فهل نجزم لذلك ان تلك البنت نبية مرسلة ؟؟ ربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما اتت به الرسل وما وصل للناس من الخير بسببهم، فأقول هل هناك من ميزان نزن به الاعمال النافعة لنعلم إن كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان نصدق دعوة صاحبها ؟ وهل لو ساعدت الصدف (كذا) رجلا على ان يكون اكبر الناس فعلا وأبقاهم أثرا واعتقد برسالة نفسه لوهم قام (عنده) يفضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟

اظن أن هذا كله مضافا لغيره يدعو الى الترجيح ولا يستلزم اليقين ابدا. على انني أنتظر ان تجدوا في قولي هذا خطأ تقنعوني به أو تزيدوني ايضاحا ينكشف به الحجاب وتنالون به الثواب هذا واني اعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم يتحفظون في الكتمان، ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان، ولكنني لا اجد في السؤال عارا، وكل عقل يخطيء ويصيب، ويزل ويستقيم (احد قرائكم)

﴿ جواب المنار ﴾

لقد سرنا من السائل انه على تمكن الشبهة من نفسه لم يذعن لها تمام الاذعان، فيسترسل في تعدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي تفسد الارواح والاجسام، بل أطاع شعور الدين الفطري، ولجأ الى البحث في الكتب، ثم السؤال ممن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة، ويقيم الحجة، وان كثيرا من الناس لينصرفون عن طلب الحق عند اول قذعة من الشبه تلوح في فضاء أذهانهم، لانهم شبوا على حب التمتع والانغماس في اللذة، ويرون الدين صاداً لهم عن

الانهماك والاسترسال فيها ، فهم يحاولون إماتة شعوره الفطري ، كما امات النشوء في الجهل برهانه الكسبي

ارى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات ووعاها ولكنه لم يدقق النظر في المقاصد والنتائج ؛ لذلك نراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع اللزوم بينهما ، فاذا هو عاد الى مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتدبره وهو مؤمن بالله وانه أقام الكون على اساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فانني ارجو له أن يقتنع . ثم انني آنست منه انه لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) او لعله قرأه ولم يتدبره ، فانه لم يذكر البرهان على نفس الرسالة ويبني الشبهة عليه وانما بناها على جزء من أجزاء المقدمات ، وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . واني أكشف له شبهته أولا فأبين انها لم تصب موضعها ثم أعود إلى رأيي في الموضوع

ان [جان درك] التي اشتبه عليه امرها بوحي الانبياء لم تقم بدعوة الى دين او مذهب تدعي ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع الرسلين ، ولم تأت بآية كونية ولا علمية لا يعهد مثلها من كسب البشر تتحدى بها الناس ليؤمنوا بها . وانما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين وحركته مزعجات السياسة ، فتحرك ، فنفر ، فصادف مساعدة من الحكومة ، واستعداداً من الامة للخروج من الذل الذي كانت فيه ، وكان التحمس الذي حركته سببا للحملة الصادقة على العدو وخذلانه . وما اسهل تهييج حماسة أهل فرنسا بمثل هذه المؤثرات وبما هو أضعف منها ، فان نابليون الاول كان يسوقهم الى الموت مختارين بكلمة شعرية يقولها ككلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إبعاد الفتاة عن السياسة ومذاهبها فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف (العربية للبستاني) ما نصه :

« كانت متعودة الشغل خارج البيت كرعي المواشي وركوب الخيل الى العين ومنها الى البيت ، وكان الناس في جوار دومرمي [اي بلدها] متمسكين بالخرافات ، ويميلون الى حزب اورليان في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا ، وكانت جان

تشترك في الهياج السياسي والحماسة الدينية، وكانت كثيرة التخيل والورع تحب ان تتأمل في قصص العذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت، وهي ان احدى العذارى ستخلص فرنسا من أعدائها . ولما كان عمرها ١٣ سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة الطبيعة وتتكلم عن اصوات كانت تسمعها ورؤى كانت تراها . ثم بعد ذلك ببضع سنين خيل لها انها قد دعيت لتخلص بلادها وتتوج ملكها . ثم أوقع البرغنيور تعديا على القرية التي ولدت فيها فقوى ذلك اعتقادها بصحة ما خيل لها »

ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكام وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أورليان، وانها دفعتهم عنها حتى رفعوا الحصار في مدة اسبوع، وذلك سنة ١٤٢٩ ثم ذكر انها بعد ذلك زالت خيالاتها الحماسية، ولذلك هوجمت في السنة التالية سنة ١٤٣٠ فانكسرت وجرحت وأسرت

فمن ملخص القصة يعلم ان ما كان منها انما هو تهييج عصبي سببه التألم من تلك الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة التحمس الديني والاعتقاد بالخرافات الدينية التي كانت ذائعة في زمنها . وهذا شيء عادي معروف السبب وهو من قبيل الذين يقومون باسم المهدي المنتظر كمحمد احمد السوداني والباب (وكذا البهاء والقادياني) بل الشبهة في قصتها ابعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين، وان كانت اسباب النهضة متقاربة فان هذين كانا كأمثالهما يدعوان الى شيء (ملفق) يزعمان انه اصلاح للبشر في الجملة

أين هذه النوبة العصبية القصيرة الزمن، المعروفة السبب ، التي لا دعوة فيها الى علم ولا إصلاح اجتماعي إلا المدافعة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الانسان والحيوان الاعجم ، التي لا حجة تعمدها ، ولا معجزة تؤيدها ، التي اشتعلت بنفخة وطفئت بنفخة ؟ أين هي من دعوة الانبياء التي بين الاستاذ الامام انها حاجة طبيعية من حاجات الاجتماع البشري ، طلبها هذا النوع بلسان استعداده فوهبها له المدبر الحكيم الذي (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فسار الانسان بذلك إلى كماله ، فلم يكن أدنى من سائر المخلوقات الحية النامية بل أرقى وأعلى . وأين دليلها من أدلة

النبوة وأين أثرها من أثر النبوة ؟ إن الامم التي ارتقت بما أرشدها اليه تعليم الوحي انما ارتقت بطبيعة ذلك التعليم وتأثيره، وان فرنسا لم ترتق بارشاد (جان درك) وتعليمها ، وانما مثلها مثل قائد انتصر في واقعة فاصلة بشجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه، واستولت أمته بسبب ذلك على بلاد رقتها بعلوم علمائها وحكمة حكمائها وصنع صناعها، ولم يكن القائد يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشد اليه، فلا يقال ان ذلك القائد هو الذي أصلح تلك البلاد ، وعمرها ومدنها ، وإن عد سبباً بعيداً فهو شبيه بالسبب الطبيعي ، كهبوب ريح تهيج البحر فيغرق الاسطول وتنتصر الامة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبارقة خفت (أي ظهرت وأومضت) ثم خفيت، وصيحة علت ولم تلبث أن خفتت ، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت فأنارت الأرجاء ، ولا يزال نورها ولن يزال متألق السناء ، أمي يتيم قضى سن الصبا وسن الشباب هادئا سا كنا لا يعرف عنه علم ولا تخيل، ولا وهم ديني، ولا شعر ولا خطابة، ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة « انكم على ضلال مبين ، فاتبعون أهدكم الصراط المستقيم» فأصلح وهو الامي أديان البشر عقائدها وآدابها وشرائعها ، وقلب نظام الأرض فدخلت بتعليمه في طور جديد ؟ لاجرم أن الفرق بين الحالين عظيم إذا أمعن النظر فيه العاقل

لا سعة في جواب سؤال لتقرير الدليل على النبوة وإنما أحيل السائل على التأمل في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الامالي الدينية في المنار لاسيا الدرس الذي عنوانه (الآيات البينات ، على صدق النبوات)وان كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الفرا » فان بقي عنده شبهة فالاولى أن يتفضل بزيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية في الموضوع، فان المشافهة أقوى بيانا ، وأنصع برهانا ، ونحن نعاهده بأن نكتم أمره وإن أبى فليكتب الينا مايظهر له من الشبهة على ما في الرسالة والامالي من الاستدلال على وقوع النبوة بالفعل، وعند ذلك نسهب في الجواب بما نرجو أن يكون مقنعاً ، على أن المشافهة أولى كما هو معقول وكما ثبت لنا بالتجربة مع كثير من المشتبهين والمرتابين اه

هذا وان ما بينه الاستاذ الامام في اثبات وقوع الوحي لا يستطيع أحد فهمه حق الفهم وهو يؤمن بوجود الله العليم الحكيم الفاعل المختار الا أن يقبله ويذعن له ، فانه بين أن الوحي والرسالة بالمعنى الذي قرره لازم عقلي لعلمه تعالى وحكمته وكونه هو (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ولا يفهمه حق الفهم الا من أوتي نصيبا من علم الاجتماع وحكمة الوجود وسننه وأصول العقائد ، ونصيبا آخر من بلاغة اللغة العربية . وان نبوة محمد ﷺ ورسالته يمكن اثباتها بما دون هذه الفلسفة والبلاغة وهو ما قهر عقول علماء الافرنج على تصديق دعوته ، وحمل الماديين على تصويرها بما نبسطه فيما يأتي ونقفي عليه باثبات بطلانه

تفصيل الشبهة ودحضها بالحجة

قد فصل أميل درمنغام الشبهة التي اجملها مونتيه بما لم نر مثله لغيره من كتاب الافرنج حتى اغتر بكلامه كثير من المسلمين ، ولئن قال حكيمنا السيد جمال الدين لبعض مجادلي النصرانية : انكم فصلتم قميصاً من رقاع العهد القديم وألبستموها للمسيح عليه السلام - فنحن نقول لهم انكم فصلتم قميصا آخر مما فهمتم من تاريخ الاسلام لا من نصوصه وحاولتم خلعها على محمد ﷺ ، وانني أشرح هذه الشبهة بأوضح مما كتبه درمنغام وما بلغني عن كل احد منهم ، ثم أكر عليها بالنقض والدحض فأقول :

(١) قالوا ان محمداً قد لقي بحيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام ، وقالوا انه كان نسطوريا من أتباع آريوس في التوحيد وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث وان محمدا لابد أن يكون علم منه عقيدته ، وقالوا في بحيرا ايضا انه كان عالما فلكيا منجما وحاسبا ساحرا ، وانه كان يعتقد أن الله ظهر له وأنبأه بأن سيكون هاديا لآل اسماعيل إلى الدين المسيحي . بل سمعنا من بعض الرهبان انه كان معلماً لمحمد ومصاحباً له بعد رسالته ، وان محمداً ما حرم الخمر إلا لانه قتل أستاذه بحيرا وهو سكران ، وأمثال هذا من الافتراء والبهتان ، وكل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية ان النبي ﷺ لما خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وهو ابن تسع سنين

وقيل ١٢ سنة رآه هذا الراهب مع قريش ورأى سحابة تظلله من الشمس وذكر لعمه انه سيكون له شأن وحذره عليه من اليهود - وفي المسألة روايات أخرى بعضها ضعيفة الاسانيد إلا رواية للترمذي ليس فيها اسم بحيرا وفيها غلط في المتن وليس في شيء منها انه ﷺ سمع من بحيرا شيئاً من عقيدته أو دينه

(٢) قالوا ان ورقة بن نوفل كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية وأحد أقارب خديجة - يوهمون القارئ انه ﷺ اخذ عنه شيئا من علم اهل الكتاب - والذي صح من خبر ورقة هذا هو مارواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من أن خديجة اخذته ﷺ عقب إخباره إياها برؤية الملك في حراء إلى ورقة هذا وأخبرته خبره وكان شيخا قد عمي ولم يلبث بعد ذلك أن توفي ولم يثبت ان النبي ﷺ رآه قبل ذلك (وسأذكر نص الحديث في آخر هذا المبحث) وقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة هذا مما صح سنده ومما لم يصح له سند كدأبهم في كل ماله علاقة بالنبي ﷺ والاسلام فلم يذكر احد منهم انه عرف عنه دعوة إلى النصرانية او كتابة فيها . وإنما ورد في بعضها انه قال حين علم من خديجة خبر محمد : انه هو النبي المنتظر الذي بشر به المسيح عيسى بن مريم . وفي بعضها انه عاش حتى رأى بلالا يعذبه المشركون ليرجع عن الاسلام ولكن هذه الرواية شاذة مخالفة لحديث عائشة الصحيح انه كان عند بدء الوحي اعمى ولم ينشب أي لم يلبث أن مات ، وقد كان تعذيب بلال بعد إظهار دعوة النبوة ودخول الناس فيها وقد كان هذا بعد بدء الوحي بثلاث سنين - وأميل درمنغام قد غلط فيما نقله من خبر فترة الوحي لاختلاط الروايات عليه فيها وعدم اطلاعه على مادون في كتب الحديث منها . وإنما كان هم المحدثين في خبر ورقة أن يعلموا انه كان صحابياً ام لا، فان الصحابي هو من لقي النبي ﷺ بعد البعثة مؤمنا به، ولو بلغهم عنه أي شيء من علمه بالتوراة أو الانجيل لنقلوه

(٣) ما كان من انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب قبل الاسلام وتنصر بعض فصحاء العرب وشعرائهم كقس بن ساعدة الايادي وأمية بن أبي الصلت وإشادة هؤلاء بما كانوا يسمعون من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي الذي بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء . وقد نشرنا بعض ما نقل عنهم في

التوراة والاناجيل وكتب النبوات في تفسير (١٥٧ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) من سورة الاعراف

فاما قس فقد مات قبل البعثة . وروي ان النبي ﷺ رآه قبل البعثة بزمن طويل يخطب الناس في سوق عكاظ على جمل له اورق، بكلام له مونق، قال فيه: ان ان لله ديناً خيراً من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد أظلكم زمانه، وأدرككم اوانه ، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه – والروايات في هذا ضعيفة ، وتعددها يدل على أن لها أصلا

وأما امية بن ابي الصلت الثقفي فهو شاعر مشهور . قال ابو عبيدة اتفقت العرب على ان امية أشعر ثقيف ، وقال الزبير بن بكار حدثني عمي قال : كان امية في الجاهلية نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر وتجنب الاوثان وطمع في النبوة لانه قرأ في الكتب ان نبيا يبعث بالحجاز فرجا أن يكون هو . فلما بعث النبي ﷺ حسده فلم يسلم . وهو الذي رثى قتلى بدر (المشركين) بالقصيدة التي اولها

ماذا ببدر والعقنـ قل من مرازبة جحاجح

وفي المرآة عن ابن هشام انه كان آمن بالنبي ﷺ فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر فعلم بغزوة بدر وقتل صناديد قريش فيها فجدع أنف ناقته وشق ثوبه وبكى لان فيهم ابني خاله وعاد إلى الطائف ومات فيها . وصح ان النبي ﷺ استنشد الشريد بن عمرو من شعره فأنشده فقال «كاد ان يسلم» ولكنه كان حنيفيا على ملة ابراهيم ولم يتنصر ومن شعره

كل دين يوم القيامة عند الـلـــــه الا دين الحنيفة زور

(٤) إسلام سلمان الفارسي (رض) كان فارسيا مجوسيا فتنصر على يد بعض الرهبان وصحب غير واحد من عبادهم وسمع منهم أو من آخرهم بقرب ظهور النبي الذي بشر به عيسى والانبياء من العرب فقصد بلاد العرب وبيع لبعض يهود يثرب ظلماً وعدوانا ولم ير النبي ﷺ إلا بعد الهجرة فأسلم وكاتب سيده . وفي قصته روايات متعارضة هذا هو المراد منها لدرمنغام وغيره

(٥) ما كان من رحلة تجار قريش في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام واجتماعهم بالنصارى في كل منهما كلما مروا بدير أو صومعة الرهبان، وكان هؤلاء النصارى يتحدثون بقرب ظهور نبي من العرب

(٦) زعم درمنغام انه كان يوجد بمكة نفسها اناس من اليهود والنصارى ولكنهم كانوا عبيداً وخدما لان رؤساء قريش لم يكونوا يسمحون لهم أن يسكنوا في مكة حرمهم المقدس الخاص بوثنيتهم وأصنامهم . وكان هؤلاء يسكنون في أطراف مكة «في المنازل البعيدة عن الكعبة المتاخمة للصحراء »!! وكانوا يتحدثون بقصص عن دينهم لا تصل الى مسامع رؤساء قريش وعظمائهم أو ما كانوا يحفلون بها لسماع أمثالها في رحلاتهم الكثيرة. ولكنه ذكر ان اباسفيان عتب على أمية بن أبي الصلت كثرة تكريره لما يذكره الرهبان من هذا الامر

فهذه مقدمات يذكرها كتاب الافرنج لتعليل ماظهر به محمد ﷺ من دعوى النبوة على طريقتهم في الاستنباط وما يسمونه النقد التحليلي، ويقرنون بها مقدمات اخرى في وصف حالته النفسية والعقلية وحالة قومه وما استفاده منهامن تأثير وعبرة، فنلخصها مضمومة الى ماقبلها مع الالمام بنقدها

(٧) قال درمنغام في كفالة أبي طالب لمحمد بعد وفاة جده: انه لم يكن غنياً فلم يتح له تعليم الصبي الذي بقي أمياً طول حياته (يوهم القارىء ان أولاد الموسرين بمكة كانوا يعلمون كأن هنالك مدارس يعلم فيها النشء بالاجور كمدارس بلاد الحضارة وهذا باطل لا أصل له — ثم قال)

« ولكنه كان يستصحبه وإياه في التجارة فيسير والقوافل خلال الصحراء يقطع هذه الابعاد المتنائية وتحدق عيناه الجميلتان بمدين ووادي القرى وديار ثمود، وتستمع أذناه المرهفتان إلى حديث العرب والبادية عن هذه المنازل وحديثها وماضي نبئها . ويقال انه في إحدى هذه الرحلات الى الشام التقى بالراهب بحيرا في جوار مدينة بصرى وأن الراهب رأى فيه علامات النبوة على ما تدله عليه أنباء كتبه . وفي الشام عرف محمد احبار الروم ونصرانيتهم وكتابهم ومناوأة الفرس من عباد النار لهم وانتظار الوقيعة بهم »

كل ماذكره درمنغام هنا فهو من مخترعات خياله ومبتدعات رأيه الا مسألة بحيرا الراهب فأصلها ماذكرنا، وكأنه لم يحفل باثباتها لما يعلمه من مفتريات رجال الكنيسة فيها

فمحمد ﷺ لم يذهب مع عمه الى التجارة في الشام إلا وهو طفل كما تقدم وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته . ثم سافر اليها في تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة ولم يتجاوز سوق بصرى في المرتين . والقوافل التي تذهب الى الشام لم تكن تمر بمدين وهي في ارض سيناء . ولم تكن هذه القوافل تضيع شيئاً من وقتها للبحث مع العرب او الاعراب في طريقها عن أنبائها والتاريخ القديم لبلادها ، ولم يعرف عن تجارها انهم كانوا يعنون بلقاء احبار النصارى ومباحثتهم في دينهم وكتبهم ، فمن أين جاء لدرمنغام أن محمداً هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة بالبحث عن الامم والتواريخ والكتب والاديان ويعني بلقاء رؤسائها والبحث معهم؟ انما اخترع هذا لانه لا يستطيع تعليل ما جاء في القرآن من قصص الرسل إلا به وكذلك الانباء بغلب الروم للفرس كما سيأتي . وسنرى ما نفند به تعليله وتحليله وتركيبه على تقدير صحة مازعمه كله

(٨) ثم ذكر درمنغام أن العرب ولاسيا أهل مكة كانوا يصرفون معظم أوقاتهم بعدما يكون من تجارة أو حرب في الاستمتاع باللذات من السكر والتسري وغير ذلك ، وان التاريخ يشهد بان محمداً كان يراهم ولم يكن يشاركهم في ذلك لالفقره وضيق ذات يده قال « لكن نفس محمد كانت شغفة بان ترى وأن تسمع وأن تعرف ، وكأن حرمانه من التعليم الذي كان يعلمه أنداده جعله أشد للمعرفة شوقا وبها تعلقاً ، كما أن النفس العظيمة التي تجلت من بعد آثارها ، وما زال يغمر العالم سلطانها ، كانت في توقها إلى الكمال ترغب عن هذا اللهو الذي يطمح اليه أهل مكة - إلى نور الحياة المتجلي من كل مظاهر الحياة لمن هداه الحق اليها الاستكناه ماتدل هذه المظاهر عليه وماتحدث الموهوبين به »

هذا الخبر من مخترعات درمنغام فمحمد لم يكن شغوفا بان يرى مايفعله فساق قومه من فسق وفجور ، ولا أن يسمع ذلك ، ولا يتحرى أن يعرفه ، وقد ثبت عنه أنه لم يحضر سمرهم ولهوهم إلا مرتين ألقى الله عليه النوم في كل منهما حتى طلعت

الشمس فلم ير ولم يسمع شيئاً ، وقد بطل بهذا ماعلل به الخبر على مافيه من المدح المتضمنين لدسيستين (احداهما) أن أنداده في قريش كانوا متعلمين وكان هو محروما مما لقنوه من العلم وكان حرمانه هذا يزيده شغفاً بالبحث والاستطلاع (والثانية) أن نفسه كانت بسبب هذا تزداد طموحا إلى نور الحياة المتجلي في جميع مظاهرها لاستكناه ماتدل عليه هذه المظاهر ، فهذه مدحة غرضه منها تعليل ماانبثق في نفسه بعد ذلك من الوحي ، وسترى بطلانه

(٩) ثم ذكر درمنغام مسألة أبناء النبي ﷺ القاسم والطيب والطاهر وهو يشك في وجودهم ويقول إن تكنيته بأبي القاسم لاتدل على وجود ولد له بهذا الاسم وانه ان صح انهم ولدوا فقد ماتوا في المهد ، والتحقيق أنه ولد له غلام سماه القاسم وكني به وانه مات طفلا وقيل عاش إلى أن ركب الدابة وان الطيب والطاهر لقبان للقاسم . ولكن درمنغام قد كبر مسألة موت هؤلاء الاولاد الذين يشك في وجودهم، وبنى عليها حكماً ،وأثار وهماً ، قال بعد أن زعم ان محمداً تبنى زيد بن حارثة لانه لم يطق على الحرمان من البنين صبراً :

« فمن حق المؤرخ أن يجعل لهذا الحادث بل الحوادث الثلاثة التي أصابت محمداً في بنيه ماهي جديرة بأن تتركه في حياته وفي تفكيره من أثر . والامر كذلك بنوع خاص أن كان محمد أمياً ،فلم تكن المضاربات الجدلية (كذا) لتصرفه عن التأثير بعبر الحوادث ودروسها ،وحوادث أليمة كوفاة أبنائه جديرة بأن تستوقف تفكيره وأن تلفته في كل واحدة منها لما كانت خديجة تتقرب به إلى اصنام الكعبة وتنحر لهبل واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تريد أن تفتدي نفسها من ألم الثكل فلا تفيد القربان ولا تجدي النحور »

« والامر كان كذلك لا ريب أن كانت عبادة لاصنام قد بدأت تتزعزع في النفوس تحت ضغط النصرانية الآتية من الشام منحدرة اليها من الروم ومن اليمن متخطية اليها من خليج العرب (البحر الاحمر) من بلاد الحبشة»

غرض درمنغام من تكبير المصيبة بموت الابناء المشكوك في ولادتهم هو أن يجعلها مسوغة لما اختلقه من توسل خديجة الى الاصنام بالقرابين لينقذوها من

مصيبة الثكل، ثم يستنبط من ذلك زعزعة ايمانها وايمان بعلها بعبادتها الذي كان سببه تأثير النصرانية في مكة وغيرها من بلاد العرب، ثم ليجعل ذلك من الاسباب التحليلية لتعليل الوحي لمحمد ﷺ - وهو ما تبنى زيداً الالانه آثر أن يكون عبداً له على أن يكون حرامع والده وعمه عندما جاءا مكة لافتدائه بالمال فقال لهما «ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير فداء» ثم دعاه فسأله عن أبيه وعمه فعرفهما قال «فانا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما» فقال زيد ماأنا بالذي أختار عليك أحداً. أنت مني بمكان الاب والعم. فقالا ويحك يازيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً. فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال «اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما. فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام. رواه ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق

هذا وان محمدا لم يكن جزوعا عند موت ولد ولا غيره بل كان أصبر الصابرين، وان خديجة لم تيأس بموت القاسم من الله ان يمن عليها بولد آخر، ولم تنحر للاصنام شيئا - وان اللات كانت صخرة في الطائف تعبدها ثقيف ولم تكن من أصنام قريش، والعزى كانت شجرة ببطن نخلة تعبدها قريش وكنانة وغطفان، ومناة كانت صنما في قديد لبني هلال وهذيل وخزاعة. وقد كان ماذكره من ضعف الوثنية في ذلك العهد - وزعم انه سببه انتشار النصرانية - جديراً بأن يمنع خديجة وهي من أعقل العرب وأسلمهم فطرة وأقربهم الى الحنيفة ملة ابراهيم أن تهاجر الى هذه الاصنام لتنحر لها وتتقرب اليها لترزقها غلاما، فان لم يمنعها عقلها وفطرتها فأجدر ببعلها المصطفى أن يمنعها من ذلك وهو عدو الوثنية والاصنام من طفولته كما يعترف درمنغام - ولكن اتباع الهوى ينسي صاحبه مالم يكن لينساه لولاه

(١٠) زعم درمنغام أن ما ذكره من تغلغل النصرانية في بلاد العرب اوجد فيها حالة نفسية أدت الى زيادة إمعانهم فيما كانوا يسمونه في الجاهلية التحنث او التحنف وفرع على ذلك قوله:

« وكان محمد يجد في التحنث طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف، وأن

كان يجد فيها الوسيلة الى مابرح شوقه يشتد اليه من نشدان المعرفة واستلهام مافي الكون من اسبابها ، فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس مكتفياً بالقليل من الزاد يحمل اليه ليمضي أياما بالغار طويلة في التأمل والعبادة بعيداً عن ضجة الناس وضوضاء الحياة »

وأقول: ان روايات المحدثين تفيد انه حبب اليه التحنث في غار حراء في العام الذي جاءه فيه الوحي وكان هو يحمل الزاد وما كان أحد يحمله اليه، وما ذكره ابن اسحاق من تعبده فيه في شهر رمضان كل سنة انما كان في زمن فترة الوحي كما سيأتي

وههنا وصل درمنغام إلى آخر المقدمات التي تتصل بالنتيجة المطلوبة له فأرخى لخياله العنان ، ونزع من جواده اللجام ، ونخسه بالمهاز ، فعدابه سبحاً ، وجمح به جمحاً ، وقدحت حوافره له قدحا ، وأثارت له نقعاً ، وأذن لشاعريته الفرنسية أن تصف محمداً عند ذلك الغار بما تحدثه في نفسه مشاهد نجوم الليل، وماتسفعه به شمس النهار ، وماتصور أنه كان يراه في تلك القنة من الجبل من صحارى وقفار ، وخيام وآبار ، ورعاة تهش على غنمها حيث لا أشجار، وقد أتقن التخييل الشعري، ولكنه لم يوافق به الوصف الموضعي، ثم قال مصوراً لما يبتغيه من مشاهداته ﷺ

« وهذه النجوم في ليالي صيف الصحراء كثيرة شديدة البريق حتى ليحسب الانسان أنه يسمع بصيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة

« حقا ! ان في السماء لشارات للمدركين . وفي العالم غيب بل العالم غيب كله . لكن ! ألا يكفي أن يفتح الانسان عينيه ليرى، وأن يرهف أذنه ليسمع؟ ليرى حقا، وليسمع الكلم الخالد ! لكن للناس عيوناً لاترى وآذانا لاتسمع .. أما هو فيحسب أنه يسمع ويرى . وهل تحتاج لكي تسمع ماوراء السماء من أصوات إلا الى قلب خالص ونفس مخلصة وفؤاد مليء إيمانا؟

« ومحمد في ريب من حكمة الناس فهو لا يريد أن يعرف إلا الحق الخالص الذي لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه باطل، وهو لا يستطيع العيش إلا بالحق، والحق ليس فيما يرى حوله ، فحياة القرشيين ليست حقا ، وربا المرابين ونهب البدو ولهو الخلعاء وكل ماإلى ذلك لاشيء من الحق فيه. والاصنام المحيطة بالكعبة ليست حقا

وهبل الاله الطويل الذقن الكثير العطور والملابس ليس آلها حقا

« إذن فاين الحق وماهو »

«وظل محمد يتردد على حراء في رمضان من كل عام سنوات متتالية وهناك كان يزداد به التأمل ابتغاء الحقيقة حتى لكان ينسى نفسه، وينسى طعامه، وينسى كل مافي الحياة، لان هذا الذي يرى في الحياة ليس حقا. وهناك كان يقلب في صحف ذهنه كل ماوعى، فيزداد عما يزاول الناس من ألوان الظن رغبة وازوراراً . وهو لم يكن يطمع في أن يجد في قصص الاحبار وفي كتب الرهبان الحق الذي ينشد، بل في هذا الكون المحيط به: في السماء ونجومها وقمرها وشمسها . وفي الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللألاء، وساعات صفوها البديع إذ تكسوها أشعة القمر أو أضواء النجوم بلباسها الرطب الندي، وفي البحر وموجه وفي كل ماوراء ذلك مما يتصل بالوجود وتشمله وحدة الوجود - في هذا الكون كان يلتمس الحقيقة العليا وابتغاء إدراكها كان يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون. وليخترق شغاف الحجب الى مكنون سره

قال درمنغام : فلما كانت سنة ٦١٠ او نحوها كانت الحال النفسية التي يعانيها محمد على أشدها فقد أبهظت عاتقه العقيدة بأن أمراً جوهريا ينقصه وينقص، قومه وان الناس نسوا هذا الامر الجوهري وتشبث كل بصنم قومه وقبيلته ، وخشي الناس الجن والاشباح والبوارح وأهملوا الحقيقة العليا ، ولعلهم لم ينكروها ولكنهم نسوها نسيانا هو موت الروح . وقد خلصت نفس محمد من كل هذه الآراء التافهة، ومن كل القوى التي تخضع لقوة غيرها ومن كل كائن ليس مظهراً للكائن الواحد

ولقد عرف ان المسيحيين في الشام ومكة لهم دين اوحي به وان اقواما غيرهم نزلت عليهم كلمة الله وانهم عرفوا الحق ووعوه أن جاءهم علم من انبياء أوحي اليهم به ، وكلما ضل الناس بعثت السماء اليهم نبياً يهديهم الى الصراط المستقيم ويذكرهم بالحقيقة الخالدة . وهذا الدين الذي جاء به الانبياء في كل الازمان دين واحد. وكلما افسده الناس جاءهم رسول من السماء يقوم عوجهم . وقد كان الشعب

العربي يومئذ في اشد تيهاء الضلال . أفما آن لرحمة الله أن تظهر فيهم مرة أخرى وأن تهديهم الى الحق ؟ »

« وتزايدت رغبة محمد عن الاجتماع بالناس، ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل يوم عمقا ، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد وروحه تزداد بالصوم والسهر والادمان على تقليب فكرته صقالا وحدة . ونسي النهار والليل والحلم واليقظة، وجعل يقضي الساعات الطوال جاثياً في الغار، اومستلقياً في الشمس، او سائرا بخطى واسعة في طرق الصحراء الحجرية، وكأنه يسمع الاصوات تخرج من خلال أحجارها تناديه مؤمنة برسالته

« وقضى ستة أشهر في هذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره فأسر بمخاوفه الى خديجة فطمأنته وجعلت تحدثه بأنه الامين وان الجن لا يمكن أن تقترب منه . وفيما هو يوما نائم بالغار جاءه ملك فقال له اقرأ ، قال « ما أنا بقاريء » وكان هذا أول الوحي وأول النبوة

«وهنا تبدأ حياة حدة روحية قوية غاية القوة، حياة تأخذ بالابصار والألباب ولكنها حياة تضحية خالصة لوجه الله والحق والانسانية»

أقول ان كل ماهنا من خبر أو جله فهو غير صحيح فمن أين علم هذا الافرنسي أنه نسي الليل والنهار، والحلم واليقظة، وانه كان يقضي الساعات الطوال جاثياً في الغار أومستلقياً في الشمس الخ وانه قضى ستة أشهر في هذه الحال — قد افترى في الاخبار ليستنبط منها انه صار صلوات الله عليه مغلوبا على عقله ، غائباً عن حسه. وانا ننقل هنا أصح الاخبار في خبر تحنثه في الغار الليالي ذوات العدد لتفنيد مفترياته وللاستغناء بها عما نقله من الخلط في الفصل الآتي ــ وهو مارواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما . وهذا نص رواية البخاري رضي الله عنه

باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ

افتتح الباب بل الكتاب كله بروايته لحديث « انما الاعمال بالنيات » ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي[1] قال رسول الله ﷺ «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس[2] وهو أشده علي فيفصم[3] عني وقد وعيت عنه ماقال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا[4] فيكلمني فأعي مايقول » قالت عائشة رضي الله عنها ، ولقد

---

(١) للوحي معنى عام يطلق على عدة صور من الاعلام الخفي الخاص الموافق لوضع اللغة منها الرؤيا الصادقة والنفث في الروع والالهام و إلقاء الملك ، وله معنى خاص هو أحد الاقسام الثلاثة للتكليم الالهي الوارد في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء إنه علي حكيم) وهذا الحديث فيه وصف القسم الاول وذكر الثالث ، وأما الثاني وهو الكلام الالهي من وراء حجاب بدون واسطة فقد ثبت للنبي (ص) في ليلة الاسراء والمعراج ولموسى عليهما الصلاة والسلام. وغير هذه الثلاثة من الوحي العام لا يعد من كلام الله تعالى التشريعي، والرؤيا الصادقة والالهام مما وقع و يقع لغير الانبياء

(٢) المراد من التشبيه أنه صوت كصلصلة الحديد المتصلة المتداركة التي تسمع من الجلاجل ونحوها ليس بكلام مؤلف من الحروف والاقرب أن سببه وجود الملائكة وإن لم ير أحدا منهم في حال سماعه . وكانت هذه الحالة أشد الحالتين عليه لانها كما قال الحكيم ابن خلدون انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية والحالة الآخرى عكسها لانها انتقال الملك من الروحانية المحضة الى البشرية الجسمانية

(٣) يفصم وزان يضرب ينفك و ينجلي

(٤) أي يظهر بصفة رجل ومثاله ، وذلك أن الملك روح عاقل مريد له قوة التصرف في المادة فهو يأخذ من مادة الكون الصورة التي يريدها وان علم الكيمياء في هذا العصر يقرب إلى التصور هذا التصرف بما ثبت فيه من تحول كل مادة من الكثافة إلى اللطافة وما بينهما بقوة الحرارة وأقواها حرارة الكهربائية ، والملك يتصرف في الكهربائية كما يشاء ،وقد شرحنا هذا المعنى في تفسير قوله تعالى(٧: ١٤٣ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) — راجع ص ١٦٢ — ١٦٧ ج ٩ تفسير

رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا(١)

حدثنا يحي بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم(٢) فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه(٣) - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق(٤) وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقاريء(٥) قال

(١) كان من هذه الشدة عليه ما قاله العلامة ابن القيم في زاد المعاد: «حتى ان راحلته لتبرك به الي الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها اه

(٢) أكثر الرؤى أضغاث أحلام لها أسباب تثيرها في خيال النائم، والرؤيا الصالحة عبارة عن نوع من انكشاف الحقائق للنفس المستعدة لادراكها بما يكون وقت النوم من صفائها بعدم اشتغالها بمدركات الحواس وما تثيرها من الخواطر والافكار، ورؤيا الانبياء قبل وحي التشريع تمهيد وتأنيس للنفس تقوي استعدادها لتلقي الكلام الالهي

(٣) أصل التحنث اتقاء الحنث أي الذنب أو مقلوب التحنف وهو اتباع الحنيفية ملة ابراهيم . وهو رواية ابن هشام . وقوله وهو التعبد، جملة تفسيرية لراوي الحديث وهو ابن شهاب الزهري فهو مدرج في الحديث والليالي ظرف متعلق بيتحنث

(٤) وفي رواية فجئه الحق أي بغته والمراد به الوحي الصريح الذي هو من كلام الله تعالى، وهذه الرواية الثابتة في الصحيحين صريحة في أن هذا كان في اليقظة، وفي سيرة ابن هشام أن جبريل جاءه في المنام، وهي من مراسيل عمرو بن عبيد وهو ثقة وله صحبة ولكن رواية الصحيحين المسندة هي المعتمدة، وجمع بعضهم بين الروايتين بأنه رآه أولا في المنام فاستقرأه ثم رآه في اليقظة، ولو وقع هذا في المنام لزال (ص) خوفه ورعبه بمجرد اليقظة ولم يذهب إلى خديجة يرجف فؤاده

(٥) الظاهر أن الامر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف - أي كن قارئا، ولذلك قال له في الثالثة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أي كن قارئا باسمه ومن قبله وباقداره اياك على القراءة لا بحولك وقوتك فهو يعلم أنك أمي لا يتعلق كسبك واستطاعتك بالقراءة أما وقد شاء ربك - الذي خلق، خلق الانسان من علق، وهو الحيوان المنوي أو أول ما تتحول اليه نطفة الزوجين بعد العلوق فجعله بشراً سويا يسمع ويبصر ويعقل - أن يجعلك قارئا لما يوحيه اليك لتقرأه على الناس فأنت تكون قارئا

فأخذني فغطني(١)حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ،قلت ماأنا بقاريء.فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد،ثم أرسلني فقال اقرأ، فقلت ماأنا بقاريء،فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني،فقال(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق*الانسان من علق* اقرأ وربك الاكرم) (٢) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر«لقد خشيت على نفسي» (٣)فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله أبداً (٤)إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري

﴿١﴾ فسروا الغط بالضم الشديد الضاغط فقالوا أي ضمني وعصرني وفي رواية الطبري للحديث فغتني بالمثناة الفوقية وعليها ابن هشام وهي بمعنى غطني واصل معناهما الغمس في الماء وضيق النفس وحكمة هذا الغط تقوية روحانية النبي﴿ص﴾ حتى يقوى على الاتصال بالملك والفهم منه .

﴿٢﴾ اختصره هنا وزاد في التفسير (الذي علم بالقلم* علم الانسان مالم يعلم)

﴿٣﴾ اختلف العلماء في خوفه ﴿ص﴾ على نفسه فقيل خشي الجنون وان يكون مارآه من الجن وقد أنكره ورده القاضي أبو بكر بن العربي ووافقه الحافظ ابن حجر ولكن الحافظ قال انه روي من عدة طرق أقول وهو الظاهر مما أجابته به خديجة واستشكل بان الوحي يكون مقترنا بعلم قطعي بأنه من الله وان الملقن له من الملائكة وأجيب بأن هذا العلم الضروري يحصل باستعراف الملك له واعلامه إياه بذلك عند تلقينه الامر بالتبليغ وانما كان ظهور الملك له هي المرة لاجل الايناس والاعداد لتلقي وحي الاحكام ، والامر فيه بالقراءة للتكوين لاللتكليف، والا كان من تكليف مالايطاق . وقيل انه خاف على نفسه الموت أو الهلاك وهو قريب وثم اقوال اخرى متكلفة. وهو على كل حال يدل على انه﴿ص﴾ لم يفهم من هذه الرؤيا انه صار نبيا ولا ان الذي رآه هو ملك الوحي جبريل عليه السلام ويؤيد ذلك مسألة ورقة

﴿٤﴾ الخزي الذل والهوان واخزاه أذله واهانه. والكل بالفتح المتعب(بفتح العين) ومن هو عالة على غيره ،وحمله اعطاؤه راحلة يركبها اوحمل اثقاله ، وتكسب بفتح التاء وضمها لغة ورواية، والمعدوم المفقود ولايظهر معناه الابتكلف وقال الخطابي الصواب المعدم وهو الفقير الفاقد لما يكفيه ، والاعانة على نوائب الحق كلمة جامعة لكل اعمال البر والنجدة والمروءة فيما عدا الباطل

الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب (١) وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ياابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس (٢) الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا. ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أومخرجيّ هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي (٣)

(١) وفي رواية التفسير يكتب من الانجيل بالعربية، وفي معناه رواية مسلم: فكان يكتب الكتاب العربي. ولا تنافي بين الروايات اذ كان يعرف اللغتين وورقة ابن عم خديجة واما قولها له اسمع من ابن اخيك فهو من باب التوقير لسنه واستعطاف الرحم

(٢) الناموس في اللغة صاحب السر والمراد به امين الوحي جبريل وقوله نزل على موسى ولم يقل وعيسى لان الشبه بين الوحي الى موسى ومحمد عليهما السلام اتم لأن كلا منهما اوتي شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها وسياستها وقوتها العسكرية وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة وناسخا لبعض الاحكام التي يقتضيها الاصلاح ومبشرا بالنبي الذي يأتي من بعده بالشرع الكامل العام الدائم وهو محمد رسول الله وخاتم النبيين، وفي بعض الروايات الضعيفة ان ورقة قال ناموس عيسى وفي رواية اخرى حسنة الاسناد في دلائل النبوة لابي نعيم ان خديجة جاءت ورقة وحدها اولا فذكرت له الخبر فقال لها : لئن كنت صدقتني انه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو اسرائيل ابناءهم اه والناموس واحد على كل حال . ولكن رواية الصحيحين « فانطلقت به » تدل على التعقيب اي انها ذهبت به عقب تحديثها بما راى

(٣) لم ينشب بفتح الشين المعجمة أي لم يلبث بعد هذا أن توفي ولم ينل ما يتمناه من إدراك زمن تبليغ الرسالة لينصر النبي (ص) ولكن في سيرة ابن اسحاق وتبعه غيره أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، ومقتضاه انه أدرك زمن البعثة واضطهاد المشركين للمؤمنين . والمعتمد ما في الصحيح من انه توفي عقب هذا الحديث بقليل

وفتر الوحي (١)

قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الانصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه «بينا أنا ماش إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى قوله (والرجز فاهجر) فحمي الوحي وتتابع (٢) اه

(وأقول) اخرج البخاري حديث جابر في تفسير سورة المدثر من طرق في بعضها

---

(١) فتر الوحي انقطع موقتا ليعود - وكانت فترة الوحي ثلاث سنين - وهي ما بين بدئه بأمر جبريل له بالقراءة و بين نزول أول سورة المدثر التي أمر فيها بانذار الناس

(٢) أي اتصل مدة التبليغ كلها وهي عشرون سنة ولكنه كان نجوما متفرقة حسب الحاجة، فتارة تنزل السورة دفعة واحدة، وتارة تنزل الآيات المتفرقة، وقد يكون بين ذلك فترات قصيرة، كالذي ورد في سبب نزول سورة الضحى . وقد اختلط الامر في هذا على درمنغام فظن انها هي التي نزلت بعد فترة الوحي، والمروي انه نزل قبلها بضع سور : وكان سبب نزولها كما في الصحيحين من حديث جندب بن سفيان ان النبي (ص) اشتكى (أي وجع) فلم يقم ليلتين أو ثلاثا (أي إلى تهجده وتلاوته) فقالت امرأة يا محمد اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث. فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) اه تقرأ ودعك بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد وهو الترك، والقلى بالكسر والقصر البغض، أي ما تركك ربك وما أبغضك - وهذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب وبنت أبي سفيان كما رواه الحاكم عن زيد بن أرقم . وكان هذا بعد نزول سورة (تبت يدا أبي لهب) وروى ابن جرير من طريقين مرسلين أن جبريل أبطأ على النبي (ص) فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة اني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك فنزلت - ومعارضة رواية الصحيحين لهاته الرواية المرسلة تسقط اعتبارها وإن جمع الحافظ بينهما بأن خديجة قالت ما قالت توجعا ، وحمالة الحطب قالته شماتة

أن أولها أول ماأنزل مطلقا وفي البعض الآخر انها من حديث النبي ﷺ عن فترة الوحي كالتي هنا وقد عبر ﷺ عن رعبه من رؤية الملك بقوله « فجئثت منه رعبا »وفي رواية أخرى «فجئثت منه حتى هويت الى الارض» أي فزعت وخفت وهو بضم الجيم وكسر الهمزة بالبناء للمفعول

هذا هو المعتمد عند المحدثين في أول ما نزل من القرآن .وقال مجاهد أول مانزل سورة(ن والقلم)وهو غلط وروي عن علي كرم الله وجهه أن أول مانزل سورة الفاتحة واعتمده شيخنا في توجيه كونها فاتحة الكتاب ويمكن أن يراد انها أول سورة تامة نزلت بعد بدء الوحي بالتمهيد التكويني ثم بالامر بالتبليغ الاجمالي وتلاها فرض الصلاة

(بسط ما يصورون به الوحي النفسي لمحمد ﷺ)

ها انذا قد بسطت جميع المقدمات التي استنبطوها من تاريخ محمد ﷺ وحالته النفسية والعقلية،وحالة قومه ووطنه،وما تصوروا أنه استفاده من اسفاره، وما كان من تأثير خلواته وتحنثه وتفكره فيها ، وقفيت عليها بأصح مارواه المحدثون في الصحاح من صفة الوحي وكيف كان بدؤه وفترته ، ثم كيف أمر ﷺ بتبليغه ودعوة الناس الى الحق وكيف حمي وتتابع

وأبين الآن كيف يستنبطون من ذلك أن هذا الوحي قد نبع من نفس محمد وأفكاره بتأثير ذلك كله في وجدانه وعقله ، بما لم أر ولم أسمع مثله في تقريبه الى العقل ، ثم أقفي عليه بما ينقضه من اساسه بادلة العقل والنقل والتاريخ والصحيح من وصف حالته ﷺ فأقول

يقولون ان عقل محمد الهيولاني قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الاصنام كما أدرك ذلك أفراد آخرون من قومه — آمنا وصدقنا —. وان فطرته الزكية قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمع الاموال بالربا والقمار — آمنا وصدقنا — وان فقره وفقر عمه (ابي طالب) الذي كفله صغيرا قد حال دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات،من السكر والتسري وعزف القيان — الصحيح أنه ترك ذلك احتقاراً له لا عجزاً عنه —

وانه طال تفكره في إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح وتطهيرهم من تلك الفواحش والنكرات - لامانع من ذلك — وانه استفاد من أسفاره وممن لقيه فيها وفي مكة نفسها من النصارى كثيراً من المعلومات عن النبيين والمرسلين الذين بعثهم الله في بني اسرائيل وغيرهم فأخرجوهم من الظلمات الى النور — هذا لم يصح عندنا ولا يضرنا — وان تلك المعلومات لم تكن كلها مقبولة في عقله لما عرض للنصرانية من الوثنية بألوهية المسيح وأمه وغير ذلك وبما حدث فيها من البدع —هذا مبني على ما قبله فهو معقول غير منقول — وانه كان قد سمع ان الله سيبعث نبياً مثل أولئك الانبياء، من العرب في الحجاز قد بشر به عيسى المسيح وغيره من الانبياء — وان هذا علق بنفسه فتعلق رجاؤه بان يكون هو ذلك النبي الذي آن أوانه —وهذا استنباط لهم مما قبله وسيأتي مافيه —ونتيجة ماتقدم أنه توسل الى ذلك بالانقطاع الى عبادة الله تعالى والتوجه اليه في خلوته بغار حراء فقوي هنالك ايمانه، وسما وجدانه، فاتسع محيط تفكره، وتضاعف نور بصيرته، فاهتدى عقله الكبير الى الآيات البينات في ملكوت السموات والارض على وحدانية مبدع الوجود، وسر النظام الساري في كل موجود، بما صار به اهلا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور، وما زال يفكر ويتامل، وينفعل ويتململ، ويتقلب بين الآلام والآمال، حتى أيقن انه هو النبي المنتظر، الذي يبعثه الله لهداية البشر، فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة

وأما المعلومات التي جاءته في هذا الوحي فهي مستمدة الاصل من تلك المعلومات التي ذكرناها، ومما هداه اليه عقله وتفكره في التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ولكنها كانت تتجلى له نازلة من السماء، وأنها خطاب الخالق عز وجل بواسطة الناموس الاكبر ملك الوحي جبريل الذي كان ينزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم وغيرهما من النبيين عليهم السلام

وقال أحد ملاحدة المصريين إن سولون الحكيم اليوناني وضع قانونا وشريعة لقومه فليس بدعا في العقل أن يضع محمد شريعة أيضا

﴿ تفنيد تصويرهم للوحي النفسي وإبطاله من وجوه ﴾

(الوجه الاول) ان اكثر المقدمات التي أخذوا منها هذه النتيجة هي آراء متخيلة ، أو دعاوي باطلة ، لا قضايا تاريخية ثابتة ، كما بيناه عند ذكرها ، وإذا بطلت المقدمات بطل التسليم بالنتيجة

مثال ذلك زعمهم ان محمداً ﷺ سمع من نصارى الشام خبر غلب الفرس وظهورهم على الروم ، ليوهموا الناس ان ما جاء في أول سورة الروم من الانباء بالمسألة وبان الروم سيغلبون الفرس بعد ذلك — هو مستمد مما سمعه ﷺ من نصارى الشام . وهذا مردود بدلائل التاريخ والعقل . فأما التاريخ فانه يحدثنا بأن ظهور الفرس على الروم كان في سنة ٦١٠ م وذلك بعد رحلة محمد الاخيرة الى الشام باربع عشرة سنة وقبل بدء الوحي بسنة . ثم ان التاريخ أنبأنا ان دولة الروم كانت مختلة معتلة في ذلك العهد بحيث لم يكن أحد يرجو ان تعود لها الكرة والغلب على الفرس . حتى ان أهل مكة أنفسهم هزئوا بالخبر وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك وأجازه النبي ﷺ فربح الرهان . وأما العقل فانه يحكم بان مثل محمد في سمو إدراكه المتفق عليه لا يمكن أن يجزم بان الغلب سيعود للروم على الفرس في مدة بضع سنين — لا من قبل الرأي ولا من الوحي النفسي المستمد من الاخبار غير الموثوق بها . وقد صح أن انتصار الروم حصل سنة ٦٢٢ م وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤ فاذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة يكون النصر قد حصل بعد ثماني سنين وان كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين ، وهو المعتمد في التفسير والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع . والحكمة في التعبير عن هذا النبأ بقوله تعالى (غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) ولم يقل بعد سبع سنين أو ثمان مثلا — هي إفادة أن الغلب يكون في الحرب الممتدة في هذه المدة . وأنباء الوحي والعبر لا تكون باسلوب التاريخ الذي يحدد الوقائع بالسنين ، وليس في وعود القرآن الكثيرة للمسلمين بالنصر وغيره من أنباء الغيب ذكر السنين ولا الشهور فهذه الآية فريدة في بابها

ومثال آخر ما زعموه من مروره ﷺ في رحلته الى الشام بارض مدين وحديثه مع أهلها، الذي أرادوا به ان يجعلوه أصلا لما جاء في القرآن من أخبارها ، والخبر باطل كما بيناه عند نقلنا إياه في المقدمات ، ولو صح لما كان من المعقول أن يكون ماسمعه في الطريق من أناس مجهولين ومعارفهم لا يوثق بها أصلا للوحي الذي جاءه في قصة موسى وفي قصة شعيب عليهما السلام .

(الوجه الثاني) لو كان النبي ﷺ تلقى عن علماء النصارى في الشام شيئا او عاشرهم لنقل ذلك اتباعه الذين لم يتركوا شيئا علم عنه اوقيل فيه ولو لم يثبت الا ودونوه ووكلوا أمر صحته أوعدمها الى اسناده

(الوجه الثالث) لو وقع ماذكر لاتخذه أعداؤه من كبار المشركين شبهة يحتجون بها على ان مايدعيه من الوحي قد تعلمه في الشام من النصارى ، فانهم كانوا يوردون عليه ماهو اضعف واسخف من هذه الشبهة وهو انه كان في مكة قين (حداد) رومي يصنع السيوف وغيرها فكان النبي ﷺ يقف عنده احيانا يشاهد صنعته فاتهموه بانه يتعلم منه ، فرد الله عليهم بقوله (١٦ : ١٠٣ ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر. لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين).

(الوجه الرابع) نصوص القرآن صريحة في انه ﷺ لم يكن يعرف شيئا من اخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي ، وهم متفقون معنا على انه ﷺ لم يكن يكذب على احد فضلا عن الكذب على الله عز وجل ، كما اعترف بذلك أعدى أعدائه أبو جهل ، كما أنهم متفقون معنا على قوة إيمانه بالله عز وجل ويقينه بكل ماأوحاه اليه

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى عقب قصة موسى في مدين ومابعدها من سورة القصص (٢٨: ٤٤ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ٤٥ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا مرسلين) وقوله بعد قصة نوح من سورة هود (١١: ٤٩ تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين).

(الوجه الخامس) انه لم يرد في الاخبار الصحيحة ولا الضعيفة ان محمداً ﷺ

كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته ، ولو روي عنه شيء من ذلك لدونه المحدثون لانهم ماتركوا شيئاً بلغهم عنه إلا ودونوه كما رووا مثله عن امية بن ابي الصلت

(الوجه السادس) ان حديث بدء الوحي الذي أثبته الشيخان في الصحيحين وغيرهما من المحدثين صريح في انه ﷺ خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة ولم تجد زوجه خديجة بنت خويلد العاقلة المفكرة وسيلة يطمئن بها على نفسه وتطمئن هي عليه إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن وهو ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان تنصر وقرأ كتب اليهود والنصارى

(الوجه السابع) لو كانت النبوة أمراً كان يرجوه محمد ويتوقعه ، وكان قد تم استعداده له باختلائه وتعبده في الغار ، وما صوروا به حاله فيه من الفكر المضطرب ، والوجدان الملتهب ، والقلب المتقلب ، حتى إذا كمل استعداده تجلى له رجاؤه واعتقاده ، بما تم به مراده ، لظهر عقب ذلك كل ما كانت تنطوي عليه نفسه الوثابة ، وفكرته الوقادة ، في سورة أو سور من أبلغ سور القرآن ، في بيان أصول الايمان ، وتوحيد الديان ، واجتثاث شجرة الشرك وعبادة الاوثان ، وإنذار رءوس الكفر والطغيان ، ماسيلقون في الدنيا من الخزي والنكال ، وفي الآخرة من عذاب النار ، كسور المفصل ولا سيما [ق والقرآن المجيد] والذاريات والطور والنجم والقمر . ثم الحاقة والنبأ — او في سورة من السور الوسطى التي تقرعهم بالحجج ، وتأخذهم بالعبر ، وتضرب لهم المثل بسنن الله في الرسل ، كسور الانبياء والحج والمؤمنون ، ولكنه ظل ثلاث سنين لم يتل فيها على الناس سورة ، ولم يدعهم الى شيء ، ولا تحدث إلى اهل بيته ولا إلى أصدقائه بمسألة من مسائل الاصلاح الديني الذي توجهت اليه نفسه ، ولا من ذم خرافات الشرك الذي ضاق به ذرعه ، اذ لو تحدث بذلك لنقلوه عنه ، وناهيك بألصق الناس به خديجة وعلي وزيد بن حارثة في بيته ، وأبي بكر الصديق الذي عاشره طول عمره — فهذا السكوت وحده برهان قاطع على بطلان ماصوروا به استعداده للوحي الذاتي الذي زعموه ، واستمداده لعلومه من التلقي الذي توهموه

(الوجه الثامن) ان ما نقل من ترتيب نزول الوحي بعد ذلك موافقاً لماجريات الوقائع والحوادث يؤيد ذلك ، فقد نزل ما بعد صدر سورة المدثر عقب قول الوليد بن المغيرة المخزومي الذي قاله في القرآن — فقد أراده ابوجهل أن يقول فيه قولا يبلغ قومه انه منكر له وانه كاره له ، بعد ان علم انه تحرى استماعه من محمد ﷺ واعجب به . قال له الوليد وماذا اقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر لا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن ، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمنير أعلاه، مشرق اسفله(١) وانه ليعلو وما يعلى ، وانه ليحطم ما تحته .قال ابوجهل لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه . فقال دعني حتى أفكر ، فلما فكر قال :هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت الآيات (٧٤ :١١ ذرني ومن خلقت وحيداً) الخ رواه الحاكم عن ابن عباس باسناد صحيح على شرط البخاري

(الوجه التاسع) ان هذه المعلومات المحمدية التي تصورها هؤلاء المحللون لمسألة الوحي قليلة المواد، ضيقة النطاق عن أن تكون مصدراً لوحي القرآن

وان القرآن لأعلى وأوسع وأكمل من كل ما كان يعرفه مثل بحيرا ونسطور وكل نصارى الشام ونصارى الارض ويهودها، دع الاعراب الذين كان يمر بهم النبي ﷺ بالطريق إلى الشام

وان القرآن نزل مصدقا لكتب أهل الكتاب من حيث كونها في الاصل من وحي الله الى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم ـ ونزل أيضا مهيمنا عليها أي رقيبا وحاكما كما نصت عليه الآية (٤٨) من سورة المائدة (٦) ومما حكم به على أهلها من اليهود والنصارى انهم أوتوا نصيباً من الكتاب (٥:٤٤و٥١) ونسوا نصيباً أوحظاً آخر منه وانهم حرفوا وغيروا وبدلوا (٦:١٢و١٣) وبين كثيراً من المسائل الكبرى مما خالفوا واختلفوا فيه من العقائد والاحكام والاخبار ، ومثل هذه الاحكام العليا عليهم لايمكن أن تكون مستمدة من أفراد من الرهبان أو غير الرهبان، أفاضوها على محمد في رحلته التجارية الى الشام ، سواء أ كان عنده

---

(١) وفي رواية :وان اعلاه لمثمر ،وان اسفله لمغدق.

بعضهم بقية من التوحيد الموسوي والعيسوي الذي كان يقول به آريوس وأتباعه أم لا وسواء اكان لدى بعضهم بقية من الاناجيل التي حكمت الكنيسة الرسمية بعدم قانونيتها (ابوكريف) كانجيل طفولة المسيح وانجيل برنابا ام لا ، فمحمد لم يعقد في الشام ولا في مكة مجمعاً مسيحياً كمجامع الكنيسة للترجيح بين الاناجيل والمذاهب المسيحية ويحكم بصحة بعضها دون بعض

ان وقوع مثل هذا منه في تلك الرحلة مما يعلم واضعو هذه الاخبار ببداهة العقل انه محال ، وعلى فرض وقوعه يقال كيف يمكن أن يحكم بين تلك الاناجيل وتلك المذاهب برأيه في تلك الخلسة التجارية للنظر فيها ويأمن على حكمه الخطأ ؟ وقد صح عنه أنه قال لاصحابه في شأن أهل الكتاب « لاتصدقوهم ولا تكذبوهم » يعني فيما سكت عنه القرآن لئلا يكون ما كذبوهم فيه مما حفظوا ، ويكون ما صدقوهم به مما نسوا حقيقته أو حرفوا أو بدلوا

(العاشر) أن في القرآن ماهو مخالف للعهدين العتيق والجديد وهو مما لا يعلم الى الآن أن احداً من اليهود والنصارى قال به ، كمخالفة سفر الخروج فيمن تبنت موسى ففيه أنها ابنة فرعون وفي القرآن أنها امرأته - فيما قرره من عزو صنع العجل الذي عبده بنو اسرائيل الى هارون عليه السلام بعزوه إياه الى السامري واثباته لانكار هارون عليهم فيه وغير ذلك ،

بل ما جاء به محمد أكبر وأعظم من كل ما في الكتب الالهية ما صح منها وما لم يصح كما سنبينه

رويدكم أيها المفتاتون ، الذين يقولون مالا يعلمون ، إن وحي القرآن أعلى مما تزعمون ، وأكبر مما تتصورون وتصورون وان محمداً أقل علماً كسبياً مما تدعون ، وأكمل استعداداً لتلقي كلام الله عن الروح القدس مما تستكبرون

وإذا كان وحي القرآن أعلى وأكمل من جميع ما حفظ عن أنبياء الله ورسله لانه الخاتم لهم المكمل لشرائعهم الخاصة الموقوتة ، فأجدر به أن يكون أكمل مما وضعه سولون الفيلسوف اليوناني الذي شبه محمداً به احد ملاحدة عصرنا في مصرنا ، مع بعد الشبه بين أمي نشأ بين الاميين ، وفيلسوف نشأ في أمة حكمة وتشريع ودولة

وسياسة ، ودخل في كل أمور الامة والدولة (١)

القول الحق في استعداد محمد ﴿ص﴾ للنبوة

التحقيق في صفة حال محمد ﷺ من أول نشأته، وإعداد الله تعالى إياه لنبوته ورسالته، هو أنه خلقه كامل الفطرة ، ليبعثه بدين الفطرة ، وانه خلقه كامل العقل الاستعدادي الهيولاني، ليبعثه بدين العقل والنظر العلمي، وانه كمله بمعالي الاخلاق ، ليبعثه متمما لمكارم الاخلاق ، وانه بغض اليه الوثنية وخرافات اهلها ورذائلهم من صغر سنه، وحبب اليه العزلة حتى لا تأنس نفسه بشيء مما يتنافسون فيه من الشهوات واللذات البدنية ، او منكرات الوحشية ، كسفك الدماء والبغي على الناس ، أو المطامع الدنيئة كأكل أموال الناس بالباطل ـ ليبعثه مصلحاً لما فسد من أنفس الناس، ومزكياً لهم بالتأسي به، وجعله المثل البشري الاعلى، لتنفيذ ما يوحيه اليه من الشرع الاعلى ، فكان من عفته أن سلخ من سني شبابه خمساً وعشرين سنة مع زوجه خديجة كانت في ١٥ منها عجوزا يائسة من النسل، فتوفيت في الخامسة والستين وهي أحب الناس اليه، وظل يذكرها ويفضلها على جميع من تزوج بهن من بعدها، حتى عائشة بنت صاحبه الصديق على جمالها وحداثتها وذكائها وكمال استعدادها للتبليغ عنه — وظل طول عمره يكره سفك الدماء ولو بالحق فكان على شجاعته

---

(١) سولون أحد فلاسفة اليونان السبعة في القرن السابع قبل المسيح ووالدته من انسباء بستراتوس آخر ملوك اثينا ،وكان من رجال المال ورجال الحرب وتولى في بلاده بعض الاعمال الادارية والعسكرية وقيادة الجيش .وقد انتخب في سنة ٥٩٤ ق.م «ارخونا» اي رئيسا على الامة باجماع احزابها كلهم وقلدوه سلطة مطلقة لتغيير ما شاء من نظم البلاد وقانونها الذي وضعه «زراكوت» من قبله فوضع لهم نظاما جديدا قررت الحكومة والامة اتخاذه دستورا متبعا مدة عشر سنين. فسولون كان في قانونه منقحا ومجددا لقانون اعظم امة من امم الحكمة والحضارة نشأ فيها فكان متعلما وفيلسوفا وحاكما وقائدا ورئيسا، أفيقاس عليه محمد ﴿ص﴾ الامي الذي لم يقرأ سطرا ولم ير كتابا، ولا تولى عملا اداريا ولا سياسيا، ثم إن ما جاء به لم يكن قانونا موضعيا منقحا لقوانين آخرى قبله، بل كان اصلاحا لجميع البشر في عقائدهم وآدابهم واحكامهم وحروبهم الخ ؟ تأمل ايها القارىء الى شبهات ملاحدة المسلمين على دينهم ونبيهم !!

الكاملة يقود أصحابه لقتال أعداء الله وأعدائه المعتدين عليه وعليهم لاجل صدهم عن دينهم ، ولكنه لم يقتل بيده إلا رجلا واحدا منهم (هو أبي بن خلف) كان موطنا نفسه على قتله ﷺ فهجم عليه وهو مدجج بالحديد من مغفر ودرع فلم يجد ﷺ بداً من قتله فطعنه في ترقوته من خلال الدرع والمغفر ، وظل طول عمره وبعد ما أفاء الله عليه من غنائم المشركين واليهود يؤثر القشف وشظف العيش على نعمته ، مع إباحة شرعه لاكل الطيبات ونهيه لمن كان يتركها تدينا ، ويرقع ثوبه ويخصف نعله ، مع إباحة دينه للزينة وأمره بها عند كل مسجد ، وكان يأكل ما وجد لايعيب طعاما قط ، الا أنه كان لايشرب إلا الماء العذب النقي

وأكمل الله تعالى استعداده الذاتي «لا الكسبي» للبعثة بأكمل دين النبيين والمرسلين ، والتشريع الكافي الكافل لاصلاح جميع البشر الى يوم الدين ، وجعله حجة على جميع العالمين ، بأن أنشأه كأكثر قومه أمياً وصرفه في أميته عن اكتساب أي شيء من علوم البشر من قومه العرب الاميين ومن أهل الكتاب ، حتى انه لم يجعل له أدنى عناية بما يفاخر به قومه من فصاحة اللسان ، وقوة البيان ، من شعر وخطابة ، ومفاخرة ومنافرة ، إذ كانوا يؤمون أسواق موسم الحج وأشهرها عكاظ من جميع النواحي لاظهار بلاغتهم وبراعتهم ، فكان ذلك أعظم الاسباب لارتقاء لغتهم ، ولوجود الحكمة في شعرهم ، فكان من الغريب أن يزهد في مشاركتهم فيه بنفسه ، وفي روايته لما عساه يسمعه منه ، وقد سمع بعد النبوة زهاء مائة قافية من شعر أمية فقال «ان كاد ليسلم» وقال « آمن شعره وكفر قلبه» وقال «ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر حكما » رواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عباس ، وأما قوله « ان من البيان لسحرا » فقد رواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر

قلنا إن استعداد محمد ﷺ للنبوة والرسالة فطري لم يكن فيه شيء من كسبه بعلم ولا عمل لساني ولا نفسي ، ولم يرو عنه انه كان يرجوها كما روي عن أمية ابن أبي الصلت ، بل روي عن خديجة (رض) انها لما سمعت من غلامها ميسرة أخبار أمانته وفضائله وكراماته وما قاله بحيرا الراهب فيه تعلق أملها بأن يكون

هو النبي الذي يتحدثون عنه ، ولكن هذه الروايات لا يصل شيء منها الى درجة المسند الصحيح كحديث بدء الوحي الذي أوردناه آنفا ، فإن قيل انه يقويه حلفها بالله ان الله تعالى لا يخزيه أبدا، قلنا انها علّلت ذلك بما ذكرته من فضائله، ورأت انها في حاجة الى استفتاء ابن عمها امية في شأنه .

واما اختلاؤه ﷺ وتعبده في الغار عام الوحي فلا شك في انه كان عملا كسبيا مقويا لذلك الاستعداد الفطري، ولذلك الاستعداد السلبي من العزلة وعدم مشاركة المشركين في شيء من عباداتهم ولا عاداتهم ، ولكنه لم يكن بقصد الاستعداد للنبوة، لانه لو كان لاجلها لاعتقد حين رأى الملك او عقب رؤيته حصول مأموله وتحقق رجائه ، ولم يخف منه على نفسه، وانما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث اشتداد الوحشة من سوء حال الناس والهرب منها الى الانس بالله تعالى ، والرجاء في هدايته الى المخرج منها، كما بسطه شيخنا الاستاذ الامام في تفسير قوله تعالى من سورة الضحى (ووجدك ضالا فهدى) وما يفسره من قوله عزوجل في سورة الشورى (٤٢: ٥٢ وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. وانك لتهدي الى صراط مستقيم * ٥٢ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور) وألم به في رسالة التوحيد الماما مختصراً مفيداً ، فقال رحمه الله تعالى :

«من السنن المعروفة أن يتيما فقيراً أمياً مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه لاسيما ان كان من ذوي قرابته، وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينبهه، ولا عضد إذا عزم يؤيده فلو جرى الامر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم ، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون للفكر والنظر مجال، فيرجع الى مخالفتهم، اذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده (١) ولكن الامر لم يجر على سنته، بل بغضت اليه الوثنية من مبدأ عمره ، فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة ، وما جاء في الكتاب من قوله (ووجدك ضالا فهدى) لا يفهم منه

(١) كأمية بن أبي الصلت وعمرو بن نفيل

أنه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد، أوعلى غير السبيل القويم، قبل الخلق العظيم ، حاش لله ان ذلك لهو الافك المبين ، وانما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الاخلاص ، فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل الى ماهدوا اليه من انقاذ الهالكين، وارشاد للضالين ،وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته» اه

(أقول) وجملة القول ان استعداد محمد ﷺ للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله تعالى روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل ما في العالم من التقاليد الدينية ، والآداب الوراثية والعادات المكتسبة، الى ان تجلى لها الوحي الالهي باكمل معانيه ، وابلغ مبانيه ، لتجديد دين الله المطلق الذي كان يرسل به رسله الى اقوامهم خاصة بما يناسب حالهم واستعدادهم ، وجعل به بعثة خاتم النبيين عامة دائمة لايحتاجون بعدها الى وحي آخر، فكان في فطرته السليمة وروحه الشريفة، وما نزل من المعارف العالية ، وما أشرق فيها من نور الله عز وجل الذي تلوته عليك من آخر سورة الشورى — هو مضرب المثل في قوله تعالى في سورة النور (٢٤ : ٣٥ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لاشرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ،نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم)

فزيت مصباح المعارف المحمدية، يوقد من زيتونة لاشرقية ولا غربية، ولا يهودية ، ولا نصرانية ، بل هي الهية علوية ، هذا ماتراه كافيا لتفنيد مزاعم مصوري الوحي النفسي من ناحية شخص محمد واستعداده، ويتلوه ماهو أقوى دليلا ، واقوم قيلا ، وهو تفنيده بموضوع الوحي الذي هو آية نبوته الخالدة وهو القرآن العظيم : (وبيان ذلك في الجزء الآتي)

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

٣٠ — أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين

﴿ وحكمة تعددهن بعد الهجرة وفوائده ﴾

(الزوج الاولى خديجة رضي الله عنها)

تزوج (ص) وهو ابن خمس وعشرين سنة بالسيدة خديجة بنت خويلد وهي ثيب بنت أربعين سنة فعاشت معه خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشراً بعدها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت عجوزاً بنت ٦٥ سنة وهو في مستوى العمر الطبيعي فقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها، ولا أحب أحداً مثل حبه لها، وظل طول عمره يذكرها، ويكرم أصدقاءها ومعارفها ، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فاجلسها عليه فلما انصرفت سألته عائشة عنها لتعلم سبب اكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صح عن عائشة أنها غارت منها وهي لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت الا عجوزاً ابدلك الله خيراً منها ؟ — تعني نفسها وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها وكونه (ص) لم يتزوج بكراً غيرها وبكونها بنت صديقه الاكبر ابي بكر رضي الله عنه وعنها — قالت فغضب وقال « لا والله ما ابدلني الله خيراً منها : آمنت بي اذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت : فقلت في نفسي لا اذكرها بعدها بسيئة ابداً رواه بن عبد البر والدولابي

وروى الشيخان عنها انها قالت: ماغرت على احد من نساء النبي (ص) ماغرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبي (ص) يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة (أي صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة؟ فيقول « انها كانت وكانت، وكان لي منها ولد » زاد في رواية :قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وفي صحيح مسلم عنها : كان اذا ذبح الشاة قال « أرسلوها إلى أصدقاء خديجة » فذكرت له يوما فقال « إني لاحب حبيبها » وكانت خديجة أعقل العقائل، وفضلى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهي أول من آمن بالنبي (ص)

وقد كنت سئلت عن حكمة تعدد أزواجه (ص) سنة ١٣٢٠ فأجبت جوابا نشر في المجلد الخامس من المنار ثم في الجزء الرابع من التفسير (ص ٣٧) ثم طرقت هذا البحث في فتاوى (م ٢٨) من المنار وأنا أذكر هنا معنى ما هنالك مع فوائد أخرى فأقول:

٣١
الحكمة العامة لتعدد أزواج النبي ﷺ

ان الحكمة العامة لهذا التعدد بعد الهجرة، في سن الكهولة، والقيام بأعباء الرسالة، والاشتغال بسياسة البشر، ومصابرة المعادين، ومدافعة المعتدين، دون سن الشباب، وراحة البال، هي السياسة الرشيدة، وتربية الامة وضرب المثل الكامل لها في معاشرة النساء بالمعروف، والعدل بينهن، وتخريج بضع معلمات للنساء، يعلمنهن الاحكام الشرعية الخاصة بهن، مما كان (ص) يستحي أن يخاطب به النساء فيما كان يخصهن به أحيانا من مواعظه، كما كان أكثرهن يستحيين أن يسألنه عن أحكام الزوجية والجنابة والطهارة، وقد كان نساء المهاجرين أشد حياء من نساء الانصار في هذا بل كان من نساء الانصار من يهبنه أن يسألنه عما لا يستحيا منه

ومن الشواهد عنهن في ذلك ماروي عن عائشة (رض) ان امرأة من الانصار سألت النبي (ص) عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل ثم قال «خذي فرصة من مسك فتطهري بها» قالت كيف أتطهر بها؟ قال «تطهري بها» قالت كيف قال «سبحان الله تطهري» قالت عائشة فاجتذبتها الي فقلت تتبعي بها أثر الدم. وفي رواية أخرى أنه قال لها «خذي فرصة ممسكة (١) فتوضأي ثلاثا» ثم إنه صلى الله عليه وسلم استحيا أو اعرض بوجهه حياء. أي منعه الحياء بأن يصرح لها بوضع القطنة المطيبة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم اتماما للطهارة فاخذتها عائشة وأفهمتها المراد. والحديث في المسند والصحيحين وأكثر السنن

وفي صحيح مسلم أن أسماء — وهي بنت شكل (٢) سألت النبي (ص) عن غسل المحيض فقال «تأخذ احداكن ماءها وسدرها (٣) فتطهر فتحسن الطهور

(١) الفرصة الممسكة بتثليث الفاء قطنة أو صوفة مطيبة بالمسك (٢) هي أنصارية أيضا وقيل انها الاولى نفسها. وشكل بفتح المثلثة والكاف وقيل انه محرف (٣) السدر بالكسر شجر النبق وكانوا يدقون ورق البستاني منه دون البري ويستعملونه في الغسل لانه نبات منظف كالصابون. وقوله فتطهر بفتح التاء أصله تتطهر وتحذف احدى التائين من مثله للتخفيف

فتصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى يبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » قالت أسماء وكيف اتطهر بها؟ قال «سبحان الله تطهري بها» سبح الله تعجبا من عدم فهمها المراد بالايماء والتعريض، وطلبها للتصريح به والتكشيف ، ومنعه الحياء منه ، حتى كفته زوجته عائشة ذلك ، وقد ورد في وصفه (ص) أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها (متفق عليه)

وكان المؤمنات يسألنه عن كل ما يعرض لهن على اختلاف درجاتهن في الحياء حتى كان بعضهن يشكون اليه هجر بعولتهن لهن اشتغالا بالتعبد او لغير ذلك. وكان لابد له من تعليمهن وانصافهن من بعولتهن ، وكان ازواجه خير مبلغ له عنهن ولهن عنه في حياته ، وخير مرجع في الاستفتاء النسوي بعد وفاته، ومن ذا الذي يقول ان زوجا واحدة كانت تقوم بهذا الواجب وحدها ؟

بل كان الرجال يرجعون بعده الى امهات المؤمنين في كثير من احكام الدين ولاسيا الزوجية فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها، فكان اكثر الرواة عن عائشة اختها ام كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وابنا اخيها القاسم وعبد الله ابنا محمد بن ابي بكر ، وحفصة وأسماء بنتا اخيها عبد الرحمن ، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من اختها اسماء. وروى عنها غيرهم من اقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جدا ــ

كذلك كان اكثر الرواة عن حفصة اخوها عبد الله بن عمر وابنه حمزة وزوجه صفية بنت عبيد وأم بشر الانصارية الخ ــ وأكثر الرواة عن ميمونة بنت الحارث ابناء اخواتها ولا سيما أعلمهم وأشهرهم عبد الله بن عباس ــ وأشهر الرواة عن رملة بنت ابي سفيان ابنتها حبيبة وأخواها معاوية وعنبسة وابنا اخيها وأختها

وهكذا نرى كل واحدة من امهات المؤمنين قد روى عنها علم الدين كثير من اولي قرباها ومن النساء والرجال الآخرين حتى ان صفية اليهودية كان لها ابن اخ مسلم روى عنها فيمن روى ــ فهل كان يمكن ان ينقل ذلك كله زوج واحدة يروى عنها كل من روى عن امهات المؤمنين ؟ ولعل اكثر ما سمعه النساء منهن لم يصل الى الذين دونوا احاديثهن

وجملة القول أن أمهات المؤمنين التسع اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ كن كلهن معلمات ومفتيات لنساء أمته ولرجالها مالم يسمعه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية ، وحكم نبوية ، وكن قدوة صالحة في الخير وعمل البر

٣٢ — ﴿ الاسباب الخاصة لكل زوج منهن بعد خديجة ﴾

﴿ ١ ـ سودة بنت زمعة (رض) ﴾

كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة وكان توفي عنها زوجها ابن عمها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها انها من المؤمنات المهاجرات المهاجرات لاهلهن خوف الفتنة والتعذيب لارجاعها عن الاسلام ولو عادت إلى أهلها لاكرهوها على الشرك أو عذبوها عذاباً نكراً ليفتنوها عن الاسلام . فاختار «ص» كفالتها. وفيه تأليف لبني عبدشمس اعدائه وأعداء بني هاشم وتشريف لبني النجار أخوال عترته واكرم انصاره فان امها الشموس بنت قيس بن زيد الانصارية من بني عدي بن النجار . وكانت أول من ذكر له مع عائشة فكفلها ﷺ . وقد تزوجها بمكة قبل الهجرة في عامها كما يأتي فهو لم يجمع بمكة بين زوجين بالفعل

﴿ ٢ — عائشة بنت الصديق الاكبر رضي الله عنهما ﴾

روى ابن سعد بسند مرسل رجاله ثقات وابن أبي عاصم من طريق عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون (رض) للنبي ﷺ أي رسول الله ألا تزوج؟ (١) قال «من؟ قالت إن شئت بكراً وان شئت ثيباً قال فمن البكر؟ قالت بنت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبي بكر ، قال «ومن الثيب؟ قالت سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك قال « فاذهبي فاذكريهما علي — وفي رواية ابن سعد قالت أفلا أخطب عليك قال « بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك » قالت عائشة فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان (تعني أمها) فقالت ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة . قالت وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت وددت لو تنتظرين أبا بكر . فجاء أبو بكر فذكرت له فقال وهل تصلح له وهي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «قولي له أنت أخي

(١) تزوج بفتح التاء والزاي وتشديد الواو أصله تتزوج

في الاسلام وابنتك تحل لي » وفي رواية ان أبا بكر هو الذي قال له هذا القول وأجابه ﷺ بهذا الجواب . ولم تكن نزلت في ذلك الوقت آية محرمات النكاح ولا آية (إنما المؤمنون اخوة)

وكانت عائشة أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن بل كانت أعلم من أكثر الرجال قال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . بل قال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الاكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة . وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه : ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علماً فيه . وقال أبو الزناد ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة (بن الزبير) فقيل له: ما أرواك ! فقال: ماروايتي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت فيه شعراً

وجملة القول ان مصاهرة الرسول ﷺ لاول أصحابه وأعلاهم قدراً وإخلاصاً له ونصراً ، على ما كان من مودة بينهما قبل الاسلام — كانت أعظم منة ومكافأة وقرة عين له ، وخير وسيلة لنشر سنته وفضائله الزوجية وأحكام شريعته ولا سيما النسوية . ولم يرو في الصحيح عن أحد الرجال أكثر مما روي عنها من الاحاديث إلا أبي هريرة وعبدالله ابن عمر (رض) وقد دخل بها رسول الله ﷺ في شوال من السنة الثانية للهجرة

(٣ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)

كانت حفصة زوجا لحسن بن حذافة وهو ممن شهدوا غزوة بدر وتوفي بعدها في المدينة فلما انقضت عدتها عرضها عمر على ابي بكر فسكت فعرضها على عثمان بن عفان بعد موت زوجه رقية بنت رسول الله (ص) فقال له ما اريد أن أتزوج اليوم . وانما كان يرجو ان يزوجه النبي (ص) بنته ام كلثوم . وقد ساء عمر ما كان من أبي بكر وعثمان وهما الكفؤان الكريمان لبنته فذكر ذلك للنبي (ص) فقال « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة »

فلقي ابو بكر عمر فقال لاتجد علي فان رسول الله (ص) ذكر حفصة فلم اكن لافشي سر رسول الله (ص) ولو تركها لتزوجتها

نعم ان رسول الله ﷺ تزوج عائشة في السنة الثانية من الهجرة فكان هذا قرة عين لصاحبه ووزيره الاول وخير مكافأة له في الدنيا على صدقه واخلاصه فلما توفي زوج حفصة بنت وزيره الثاني رأى أن يساوي بينه وبين أبي بكر في تشريفهما بمصاهرته،ولم يكن في الامكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا . فتزوج حفصة في السنة الثالثة وقيل في الثانية ولولا ذلك لكانت حسرة في قلب عمر ، فما أجل سياسته ﷺ وما أعظم وفاءه للاوفياء له

ويقابل ذلك اكرامه لعثمان وعلي (رض) بتزويجهما بناته وهؤلاء الاربعة اعظم اصحابه في حياته وخلفاؤه في اقامة ملته ونشر دعوته بعد وفاته

(٤ - زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها)

زوجها النبي ﷺ بأمر الله تعالى لمولاه (عتيقه) ومتبناه زيد بن حارثة ثم زوجه الله إياها بعد طلاق زيد لها لحكمة لا تعلوها حكمة في زواج أحد من أزواجه وهي ابطال بدعة التبني التي كانت متبعة في الجاهلية. وكان ذلك سنة ثلاث وقيل خمس من الهجرة

ذلك أنه كان من عادات العرب الباطلة التي اتخذت ديناً تقليديا أنهم يتخذون لانفسهم أبناء أدعياء يلصقونهم بأنسابهم ويعطون الدعي منهم جميع حقوق الابناء حتى في المواريث ومحرمات النكاح. وما كان الاسلام ليقرهم على باطل فحرم الله التبني وهو يعلم ماعلق بالطباع ولصق بالوجدان من تأثير هذا النسب المفتعل وأن إبطاله وإبطال لوازمه مما يثقل على الناس امتثاله كما هو شأن التقاليد العامة الراسخة . إلا على أصحاب الايمان الكامل والعزائم المرهفة الحد ،الذين لا يبالون بشعور الجماهير ،ولا برميهم لمخالفهم بنعوت التحقير وقليل ما هم

علم الله تعالى هذا فألهم نبيه من قبل انزال وحيه عليه وارساله الى الناس مبشراً ونذيراً أن يتبنى غلاما كان ملكا لزوجه خديجة فوهبته له وأشرب قلبه حبه، على ما كان من كرهه لعادات الجاهلية الباطلة، ليجعله هو القدوة الصالحة في إبطال التبني

وكل ما كان له من الاحكام، وكان هذا الغلام زيد بن حارثة . ومن زيد بن حارثة ؟

كان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من كرام العرب وكانت أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن بن طيء ، وقد زارت قومها وهو معها فأغار عليهم جيل لبني القين بن جسر فسبوه وهو غلام يفقه واحتملوه إلى عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد في الجاهلية فلما تزوجها رسول الله (ص) وهبته إياه لما رأت من اعجابه بأدبه وفطرته الزكية وكان أبوه ينشده وينشد فيه الشعر موصيا أولاده بالبحث عنه فحج ناس من قومه فرأوا زيداً بمكة فعرفوه وعرفهم وحملهم شعراً في حنينه الى قومه فبلغوا والده حارثة خبره فخرج هو وأخوه كعب بفدائه فقدما مكة فسألا عن النبي (ص) فقيل لهما هو في المسجد فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون الاسير. جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك . قال وما ذاك ؟ قالوا زيد بن حارثة . فقال « أو غير ذلك : أدعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء : وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء »

قالوا فدعاه فقال « هل تعرف هؤلاء » ؟ قال نعم هذا أبي وهذا عمي. قال « فانا من قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما » فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحداً . أنت مني بمكان الاب والعم. فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً .

فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال « اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه » فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما . فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام . رواه ابن سعد ونحوه في سيرة ابن اسحق .

وروى الحاكم خبر أسره ومجيء والده وأهله في طلبه مطولا وفيه انه كان بعد النبوة وان أباه أسلم ولكن هذه الرواية لا تصح

ومن تدبر خبر اختيار زيد بن حارثة للرق عند محمد ﷺ على الحرية عند أبيه

وقومه - وهو كخديجة أعلم الناس بأخلاقه وأعماله - يحكم حكما عقلياً وجدانياً بأن محمداً كان من قبل النبوة آية من أكبر آيات الله تعالى في فضائله وآدابه فكيف يكون بعدها؟ وإذا كان بعض علماء الافرنج يستدل بإيمان خديجة به وتقديسها لفضائله وفواضله من قبل البعثة على انه كان صادقا في دعوى النبوة، لا طالبا لمنفعة او رياسة - فأحر بهم أن يعدوا إيثار زيد له على حريته وأبيه وأمه وعشيرته برهانا مثل ذلك البرهان على صدقه (ص) وكماله بل أظهر منه

تضاعف حب النبي ﷺ لزيد بهذا الايثار وأعتقه وتبناه وكان التبنى أعظم شيء مستطاع في تكريمه وتعظيم قدره، وقد كان يلقب بحب رسول الله ﷺ أي حبيبه وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر كان يقول: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) وفي الصحيحين عن ابن عمر انه سمع يقول: بعث رسول الله بعثا وأمر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وايم الله إن كان لخليقا للامرة وإن كان لمن أحب الناس الي وان هذا من أحب الناس الي بعده» وفي رواية لمسلم انه قال هذا على المنبر وان لفظه في زيد وابنه «وايم الله ان كان لأحب الناس الي»

وروي عن الشعبي انه قال: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا وأمره عليهم. اقول وانما طعن بعض الناس في إمارة زيد على السرايا لانه كان عتيقا فكيف يقدمه علي كبراء المهاجرين والانصار؟ وأما طعنهم في إمارة ولده حارثة بعده فلانه كان صغير السن لم يبلغ العشرين. ولكن هذا من أفضل سياسته ﷺ في خفض استعلاء العصبية وكبرياء النسب (الارستقراطية)

بعد هذه المقدمة أقول لما اراد الله تعالى ان يبطل دعاية التبني وأحكامها الجاهلية امر رسوله (ص) ان يزوج زينب بنت جحش بن رباب من عمة النبي (ص) أميمة بنت عبد المطلب لزيد بن حارثة مولاه، وهو عز وجل يعلم انهما لا يتفقان على بقاء هذه الزوجية، لانها تتكبر عليه بالطبع، وهو عزيز النفس لا يحمل ذل الكبرياء عليه

فذهب (ص) الى زينب فقال « إني أريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيته لك » قالت يارسول الله لكني لا ارضاه لنفسي ، وانا أيم قومي وبنت عمتك فلم اكن لافعل . فنزلت الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

فقالت زينب للنبي (ص) قد اطعتك فاصنع ماشئت . فزوجها زيدا ودخل عليها فكانت تغلظ له القول وتتعظم عليه بالشرف فيذهب الى النبي (ص) شاكيا منها ويستأذنه في طلاقها فيقول له (ص) أمسك عليك زوجك واتق الله . وهو يعلم أنه لابد له من طلاقها وان الله يأمره بالتزوج بها بعده ابطالا لبدعة التبني وماكان من تحريم الجاهلية لامرأة الدعي كامرأة الابن الحقيقي ، ولكنه (ص) لم يكن يظهر هذا له ولا لغيره ، وكان بمقتضى الشعور الطبيعي يخشى مايقوله الناس ولاسيما المشركين : ان محمدا تزوج امرأة ابنه . فانزل الله تعالى في ذلك قوله

(٣٣ : ٣٧ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أي واذكر أيها الرسول اذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام ، وانعمت عليه بالعتق والاكرام ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في معاشرتها بالمعروف ولا تطلقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ ان يقولوا تزوج امرأة ابنه اومتبناه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ولا تبالي بما يقول الناس في تنفيذك لشرعه واقامتك لدينه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ الوطر الحاجة المهمة او التي ليس بعدها مأرب . وقضاؤه إياه عبارة عن تطليقها بمحض ارادته ورغبته لانه لم يبق له حاجة فيها ولا رجاء في معاشرتها بالمعروف . وتنكير الوطر هنا دون اضافته الى زيد للدلالة على انه شيء اراده الله تعالى منه وسخره له ، وهذا من دقائق البلاغة في تحديد المعاني باللفظ المفرد النكرة ، وقوله تعالى (زوجناكها) نص في ان هذا التزويج كان من الله تعالى لما ذكر من حكمة التشريع فيه ولم يكن برغبة النبي (ص) وميله .

وقد صح أنه (ص) لم يعقد عليها كما عقد على سائر ازواجه لان تزويج ربه اياه بها اقوي وأثبت. والعقد بعده لغو لأنه تحصيل حاصل

ثم قال ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وهو تصريح بعلة تزويجه اياها أي لاجل ان لا يجد أحد من المؤمنين في نفسه أدني ضيق صدر ولامبالاة بلوم في التزوج بنساء ادعيائهم بالتبني وكفى برسول الله (ص) قدوة في ذلك ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فطلقوهن بارادتهم لعدم بقاء شيء من الرغبة لهم فيهن كما فعل زيد ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ اي وكان قضاؤه في التكوين والتشريع نافذا لامرد له ولارأي لاحد فيه

ثم اكد الله تعالى هذا الامر برفع الحرج عن النبي (ص) فيه لانه هو الذي قضاه واختاره له فما كان له ان يختار لنفسه غيره، ولا ان يخشي غير الله في تنفيذه وان تلك سنته تعالى في رسله بما يبلغون من رسالته وينفذون من احكامه ويخشونه ولا يخشون غيره فقال

(٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)

أي ما كان عليه ﷺ وهو نبي الله ورسوله أدنى حرج وضيق فيما فرضه وقسمه الله من مثل هذا الزواج من التشريع وتنفيذ الاحكام وفاقاً لسنته تعالى في اخوانه النبيين الذين خلوا من قبله، وكان أمر الله الذي يريده من إقامة شرعه يجرى على حكم القدر وهو النظام والتقدير الذي يكون به المسبب على قدر السبب، والمعلول تابعاً للعلة، كما وقع إبطال التبنى. ولما كان هذا من تبليغ الرسالة الالهية كان من شأن رسل الله أن يخشوا الله ولا يخشوا أحداً غيره في تبليغ رسالته، وكفى بالله رقيباً عليهم ومحاسباً لهم فلا يبالون بغيره

وقفي على هذا بنفي أبوة محمد (ص) لزيد ولغيره والرد على من قالوا انه تزوج

حايلة ابنه ، كما رواه الترمذي عن عائشة - تأكيداً لما بينه في أول السورة من نفي بنوة الادعياء والامر بنسبتهم إلى آبائهم أو وصفهم باخوة الدين وولاية العتق فقال

(٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

﴿ فرية لبعض الرواة في تفسير : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾

لقد كان من مثار العجب ، وغرائب سفاه العقل وسوء الادب ، أن خطر لبعض وضاع الاحاديث ، وصناع الروايات في التفسير . أن يحرف هذه الآيات الجلية كلها عن مواضعها ، ويحملها على غرض ينأى عنه منطوقها ، ويتبرأ منه مفهومها ، وتأباه حكمة التشريع فيها ، ويستلزم الطعن بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والنيل من خلق رسول الله وأدبه ، الذي قال الله له فيه (وانك لعلى خلق عظيم) فاخترع لها خبرا زعم فيه أن النبي ﷺ مر ببيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقع في قلبه منها شيء فقال « سبحان مقلب القلوب » فسمعت التسبيحة زينب فنقلتها إلى زيد فوقع في قلبه أن يطلقها ، فكان هـذا سببا لاستئذانه النبي ﷺ في طلاقها ، وزعموا أن هذا هو المراد من قول الله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وهذه الرواية لم يثبت لها سند وإنما نقلها بعض المفسرين كعادتهم في نقل كل ما يسمعون وقد صرح بتلفيقها المحققون لانها مخالفة للآيات الصريحة المحكمة من جهات كثيرة ، ومنافية للعقول المستقلة في الفهم والحكم أيضاً فان تزويج النبي ﷺ زينب لمولاه ، وحبه وربيبه ومتبناه ، يكون بحسب الطباع الكريمة مانعاً من الميل الى التزوج بها ، وناهيك بما اجتهد به من اقناعها . وهو يعرفها من صغرها ، وهذا إذا كان تزويجه لها تزويجا عاديا ليكونا زوجين ما بقيا ، فكيف وهو (ص) يعلم أنه تزويج موقت بالنسبة الى عاقبته وغايته التي يجهلها كل منهما . ثم انه على حسب زعمهم أمر وقع في نفسه ، وتنسمته زينب بالقرينة من تسبيحه ، ولفظ ذلك التسبيح لا يدل عليه ، ولم يعلم به الناس فيخشى أن يخوضوا فيه ، ويعاتبه ربه على خشيته اياهم وينزل ذلك في قرآنا يتلى ويتعبد به ، ثم ان زيدا

كان يعلم بمعاشرته له من سن الصبا أن نفسه أجل وأكبر من أن يلم بها ذلك . وان كان لا ينافي عصمة النبوة . ولولا هذا العلم بعلو نفسه وسمو فضائله لما آثر الرق عنده على الحرية عند والده وفي قومه ، وقد أبى الحافظ ابن كثير ذكر هذه الرواية السخيفة في تفسيره لتجنبه رواية الموضوعات ، وذكر الاباطيل الواضحة فيه ، وان كان ينقل الاحاديث الضعيفة المعقولة أحيانا . وشنع ابن العربي وغيره على ناقليها

لولا أن دعاة النصرانية يذكرون هذه الفرية في كل كتاب يلفقونه في الطعن على الاسلام والنيل من مصلح البشر ، وأفضل النبيين والرسل ، لما ذكرتها في هذه الرسالة الوجيزة ، وان لشيخنا الاستاذ الامام مقالة خاصة في تفنيدها بالمعقول والمنقول ولي مقالة أخرى في ايضاح مقالته والرد على أديب نصراني انتقدها ، وقد نشرتها في المجلد الثالث من المنار وطبعتهما مع تفسير الفاتحة وبعض مشكلات القرآن

ولو كان عند هؤلاء الدعاة (المبشرين) عرق حياء ينبض لنههم الجذع الكبير الذي في أعينهم عن رؤية قذاة ضئيلة في عين غيرهم أي لمنعتهم قصة داود النبي الذين يصلون ويعبدون الله بمزاميره مع امرأة أوريا الحثي اذ رآها كما يروي كتابهم المقدس تغتسل فأعجبته فاستحضرها وضاجعها فحملت وأمر بجعل زوجها في مقدمة الحرب وتعريضه للقتل فقتل لينفرد بها من دونه ، كما هو مفصل في الفصل ١١ من سفر صموئيل الثاني ، والمسلمون يبرؤن نبي الله داود عليه السلام مما ترويه عنه كتب قومه المقدسة عندهم وعند النصارى ، وقصة داود في سورة (ص) لا تدل على اقترافه الفاحشة وجريمة القتل إرضاء للشهوة ـ حاشاه من ذلك

﴿ ٥ — هند أم سلمة المخزومية رضي الله عنها ﴾

هي هند أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية . كان أبوها من أجواد العرب المشهورين . وتزوجت ابن عمها عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وهو من السابقين الاولين الى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفس وهو ابن عمة رسول الله (ص) وأخوه من الرضاعة ، وكان أول من هاجر إلى الحبشة وكانت معه وولدت له سلمة في أثناء ذلك . ثم عاد إلى مكة ولما أراد الهجرة بها إلى المدينة صدها قومها وانتزعوها منه هي وابنها سلمة

ثم انتزع بنو عبد الاسد آل زوجها ابنها سلمة من آلها بالقوة حتى خلعوا يده، وكانت كل يوم تخرج الى الابطح تبكي حتى شفع فيها شافع من قومها فأعطوها ولدها فرحلت(١) بعيراً ووضعت ابنها في حجرها وهاجرت عليه، فكانت أول امرأة هاجرت الى الحبشة، ثم كانت أول ظعينة هاجرت الى المدينة. وكانت تجل زوجها أيما اجلال حتى ان أبابكر وعمر خطباها بعد وفاته من جرح أصابه في غزوة أحد فلم تقبل، وعزاها النبي ﷺ عنه بقوله «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» فقالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة ؟ فلم يرلها عزاء ولا كافلا لها ولاولادها ترضاه غيره صلوات الله تعالى عليه وعلى آله ، ولما خطبها لنفسه اعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام وذات غيرة ، فأجاب ﷺ بأنه أكبر منها سناً وبأن الغيرة يذهبها الله تعالى وبأن الايتام الى الله ورسوله. فاجتمع لها من الفضائل النسب الشريف ، والبيت الكريم ، والسبق الى الاسلام وعلو الاخلاق ولاسيما الوفاء وكفالة الايتام وكل منها سبب صحيح لاختيار صاحب الخلق العظيم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق لهذه المرأة الفضلى ان تكون من أزواجه الطاهرات، وامهات المؤمنين ومعلمات المؤمنات.

على أن لها فوق ذلك فضيلة أخرى هي جودة الفكر وصحة الرأي ، وحسبك من الشواهد على هذا استشارة النبي ﷺ لها في أهم ما حزنه وأهمه من أمر المسلمين في مدة البعثة، وما أشارت به عليه . ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كان قد ساءهم صلح الحديبية الذي عقده ﷺ مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين بالشروط المعلومة التي تدل في ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون ولم يكونوا بمغلوبين وانما حبه ﷺ للسلم ولاختلاط المسلمين بالمشركين ـ وكان دونه خرط القتاد ـ وكراهته للحرب التي اكرهه المشركون عليها بعدوانهم ـ هما اللذان حببا اليه قبول شروطهم لهم في الصلح ، وكان من أثر استياء المسلمين من شروطهم أن أمرهم ﷺ بالتحلل من عمرتهم بالحلق أو التقصير لاجل العود الى المدينة فلم يمتثل أمره أحد ، ولم يقع مثل هذه المخالفة من قبل ولا من بعد، فلما استشارها رضى الله عنها في ذلك وقال

١) رحلته بتشديد الحاء جعلته راحلة تركب

« هلك الناس » هونت عليه الامر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه ، وجزمت بأنهم لايلبثون أن يقتدوا به ، لانهم يعلمون أنه صار أمراً لامرد له، ولان تأثير العمل في القدوة أقوى من تأثير القول وحده ـ وكذلك كان : خرج فامر الحلاق بحلق رأسه، فتنافسوا في التبرك بشعره ، وبادروا الى الاقتداء به ، وكانت من اعلم ازواجه ، وروى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهي تلي عائشة في كثرة الرواية والعلم وتفضلها في الروية والرأي

﴿ ٦ — جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ﴾

وفي سنة خمس تزوج برة بنت الحارث سيد بني المصطلق وسماها جويرية وكان أبوها هو وقومه قد ساعدوا المشركين على المؤمنين في غزوة أحد سنة أربع، ثم بلغ النبي (ص) أنه يجمع الجموع لقتاله فخرج له فالتقى الجمان في المريسيع وهو ماء لخزاعة ، فأحاط بهم المسلمون وأخذوهم أسرى بعد قتل عشرة منهم وكانت برة بنت سيدهم في الاسرى فكاتب عليها من وقعت في سهمه «١» فجاءت النبي (ص) فتعرفت اليه بأنها بنت سيد قومها وذكرت له سبيها، واستعانته على كتابتها لتحرير نفسها، فقال « أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » قالت نعم ففعل، فقال المسلمون : أصهار رسول الله (ص) فأعتقوا جميع الاسرى والسبايا فأسلموا كلهم فكانت اعظم امرأة بركة على قومها ،وكان لهذا العمل أحسن التأثير في العرب كلها، وروي أن أباها جاء النبي (ص) فقال ان ابنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها، فأمره (ص) أن يخيرها فسر بذلك فخيرها فاختارت الله ورسوله ، وكانت من أعبد أمهات المؤمنين وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد بن السباق وابن أختها الطفيل وغيرهم

﴿ ٧ — صفية بنت حي الإسرائيلية رضي الله عنها ﴾

وفي سنة ست تزوج صفية بنت حي بن أخطب الاسرائيلية من ذرية نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام، كانت من بني النضير وأسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر ،فأخذها دحية في سهمه، فقال أهل الرأي من الصحابة يارسول الله

١) الكتابة اشتراء الرقيق نفسه من سيده بمال يؤديه ولو أقساطا

انها سيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بالرق عند من تراه دونها، فاصطفاها وأعتقها وتزوجها - كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها، ووصل سببه ببنى اسرائيل لعله يخفف مما كان من عداوتهم له، وروى الامام أحمد أنه خيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته. وكان بلال قد مر بها وبابنة عم لها على قتلى اليهود فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال له النبي (ص) « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟ رواه ابن اسحاق. وفي حديث الترمذي ان صفية بلغها أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله منها فذكرت ذلك للنبي « ص » فقال « ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى » ؟ وقد لقبتها زينب مرة باليهودية احتقارا لها فهجرها النبي « ص » شهراً كاملا عقوبة لها فتأمل هذه الشمائل المحمدية والتربية الاسلامية روى عنها ابن أخيها ومولیان لها وعلي بن الحسن بن على عليهم السلام وغيرهم

(٨ - أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموية رضي الله عنها)

وفي سنة ست او سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الاموي اشد أعدائه تحريضاً عليه وحرباً له (ص) وكان قومه بنو عبد شمس أعداء بنى هاشم قوم النبي « ص » وكان تزوجه بها تأليفا له ولقومه وقد كانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش الى الحبشة ، فتنصر زوجها هنالك وفارقها، فأرسل النبي (ص) الى النجاشى يخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة: ولما عادت الى المدينة بنى بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال هو الفحل لا يقدع أنفه . فهو لم ينكر كفاءته « ص » بل افتخر به . ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه « ص » له يوم الفتح أن قال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ رياء وتقية ثم كان من تأليفه له « ص » بعد غزوة حنين ان أعطاه من غنيمة هوازن مائة ناقة، فهذا التأليف بعد التأليف لابى سفيان.

يدل على تزوجه «ص» بنته كان لمثل ذلك على أن تركها أرملة مهينة بعد مصابها بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأمها لم يكن يهون على رسول الله «ص» روى عنها ابنها وأخواها وابن أخيها او ابن أختها ومولياها وآخرون .

﴿ ٩ — ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ﴾

وفي أواخر سنة سبع تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وكان اسمها برة فسماها ميمونة . وكان ذلك في إبان عمرة القضاء وهي آخر أزواجه أمهات المؤمنين زواجا وموتا كما في بعض الروايات، وقد قالت فيها عائشة أما انها كانت من أتقانا الله وأوصلنا للرحم، ولم أقف على سبب ولا حكمة خاصة لتزوجه بها ولكن ورد أن عمه العباس رغبه فيها وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل وهو الذي عقد له عليها باذنها ،ولولا أن العباس رأى في ذلك مصلحة عظيمة لما عني به كل هذه العناية لارضاء امرأته، روى عنها أبناء اخواتها ومواليهم وآخرون أجلهم ابن عباس

وجملة القول انه «ص» راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه عليهن الرضوان في التشريع والتأديب والمودة والتأليف وكفالة الارامل والايتام، فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن والعدل بينهن وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام مايليق بهن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ،ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الامة غناء التسع

ولو كان «ص» أراد بتعدد الزواج مايريده الملوك والامراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الابكار على أولئك الثيبات المكتهلات منهن كما قال لمن استشاره في التزوج بأمرأة ثيب « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » وفي رواية زيادة « وتضاحكها وتضاحكك » وهو من حديث جابر في الصحيحين

وأذكر القارىء بأن تعدد الزوجات في ذلك العصر كان من الضروريات لكثرة القتلى من الرجال وحاجة نسائهم الى من يكفلهن لان أكثر أهلهن من

المشركين. فالمصلحة فيه للنساء لا للرجال إما بالكفالة والنفقة وإما بالشرف والتكرمة ولذلك كن يسمين أو يسعى الآباء أو غيرهن من الاقربين لمن يقتل زوجها أو يموت بكفؤ يتزوجها وان كان له زوج أو أزواج غيرها كما فعل عمر بعرض بنته حفصة على أبي بكر وعثمان

وأما النبي (ص) فكان النساء يعرضن أنفسهن عليه كما يعرضهن بعض أولي القربى منهن وسيأتي بعض الروايات في ذلك فهل يتصور أحد أن تعدد الزوجات كان في ذلك العهد هضما لحقوقهن، وقد أعطاهن الاسلام من الحقوق والتكريم ما أعطاهن؟ وناهيك بشرف التزوج برسول الله (ص) وسيأتي ما يؤيد ذلك كله

٣٣

﴿ سيرة النبي ﷺ في معاشرة نسائه ﴾

كان رسول الله (ص) المثل الكامل والاسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرة أزواجه بالمعروف، والقسمة بينهن بالعدل في كل من المبيت والنفقة واللطف والتكريم، وفي احتمال غضبهن وغيرهن وتنازعهن بالأناة والرفق والموعظة الحسنة. وكان يزورهن كلهن صباحا للوعظ والتعليم ومساء للمجاملة والمؤانسة، وكن يجتمعن معه في بيت كل منهن. وكان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده. قالت عائشة: ما ضرب رسول الله (ص) بيده امرأة له ولا خادما قط (١) وسئلت: ما كان النبي (ص) يصنع في أهله؟ قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة (٢) ولها أحاديث أخرى مفصلة في خدمته في بيته وقيامه بحاجة نفسه. ومن وصفها له: كان ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم إلا انه كان بساما (٣)

وكان (ص) إذا أراد السفر ضرب القرعة بينهن إذ لا يمكن السفر بهن كلهن، وترجيح إحداهن يسخط سائرهن، وإن كان فيها من المرجحات ما يقتضي الترجيح إذ لا يتساوى النساء في استعدادهن للسفر ومشقاته. ولكنه لما حج أخذهن كلهن معه

ولما مرض مرضه الاخير شق عليه أن يتنقل بين بيوتهن كل يوم كما كان يفعل في حال صحته فكان يسأل «أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟» يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه كلهن أن يكون حيث شاء، فاختار بيت عائشة وفيه توفي (٤)

---

(١) رواه النسائي وله تتمة (٢) رواه البخاري والمهنة بكسر الميم وبفتحها الخدمة (٣) رواه ابن سعد (٤) رواه البخاري

وروي عنها أنه بعث في مرضه الى نسائه فاجتمعن فقال « اني لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن أن تأذن لي أن أكون عند عائشة » فأذن له (١) ومن حكمة ذلك أن يدفن في بيتها وقد كان صرح بانه يدفن حيث يموت

ولما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبغي رضاء رسول الله «ص» عنها(٢) وفي رواية عنها : كان رسول الله (ص) لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها . ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت(أي خافت) أن يفارقها رسول الله «ص» يا رسول الله يومي لعائشة . فقبل رسول الله ذلك منها (٣)

وقد كان لعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما من قلب رسول الله «ص» ما لم يكن لأحد من نسائه بعد خديجة « رض » فكانت الحبيبة بنت الحبيب ، وكانت هي أكثرهن إدلالا عليه . وفي الصحيحين عنها قالت قال لي رسول الله ص) « اني لأعلم إذا كنت راضية عني وإذا كنت علي غضبى »فقلت من أين تعرف ذلك ؟ قال « أما إذا كنت عني راضية فانك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت لا ورب ابراهيم » قلت أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك

وكان هذا الحب الطبعي الذي تعددت أسبابه أعظم دليل على عدله « ص » بين أزواجه، فهو لم يكن يفضلها على أقلهن مزايا في الخلق والخلق والذكاء والنسب بشيء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة ، ولذلك كان يقول في قسمه بينهن بالعدل « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » (٤) يعني الحب ولوازمه الطبيعية غير الاختيارية. وما ابتلي الرجال بشيء ابعث على الجور والمحاباة كفتنة حب النساء فان الرجل الضعيف الدين والارادة ليظلم أولاده ونفسه مرضاة لمن يحبها ولو أجنبية فكيف لا يظلم ضرتها ؟

(١) رواه ابوداود (٢) رواه الشيخان واصحاب السنن

(٣) رواه احمد واصحاب السنن وفيه زيادة رأي عائشة انه نزل في هذه واشباهها (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) وقد تقدم . وفي رواية عند ابن سعد أنه فارقها فناشدته ان يمسكها وقالت انه ليس لها في الرجال حاجة وانما تريد ان تكون معه في الجنة . ولكن هذه الرواية مرسلة(٤) رواه ابن ابي شيبة واصحاب السنن الاربعه وابن المنذر عنها

٣٤

تغاير نسائه ﷺ وتحزبهن ومناشدتهن إياه العدل

لما كان من طباع البشر أن العدل بينهم يغريهم بالمطالبة بأكثر من حقوقهم، والظلم يسكتهم على مادونها ولا سيما النساء، ورأى نساء النبي (ص) أنه لا يفضل إحداهن على غيرها بشيء ما إلا أن الناس يتحرون بهداياهم له يوم عائشة رأين أن في هذا هضما لحقوقهن وكرامتهن، وإن كان هذا الهضم ليس من فعله ﷺ وكان ينالهن من الهدايا كلهن، فطالبنه بإنصافهن، وأغلظن في المطالبة وألحفن حتى أسكتهن بما يكرهن

قالت عائشة : ان نساء رسول الله (ص) كن حزبين لحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة . والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء النبي (ص) وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله «ص» عائشة فاذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله «ص» أخرها حتى اذا كان رسول الله (ص) في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله (ص) في بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة (أم سلمة) فقلن لها كلمي رسول الله (ص) يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ص) هدية فليهدها اليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئاً، فسألنها فقالت ماقال لي شيئاً، فقلن لها كلميه قالت فكلمته حين دار اليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار اليها فكلمته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة . قالت فقلت أتوب الى الله من أذاك يارسول الله . ثم انهن دعون فاطمة بنت رسول الله «ص» فأرسلت الى رسول الله «ص» تقول ان نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال « يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ » قالت بلى، فرجعت اليهن فأخبرتهن . فقلن ارجعي اليه فأبت أن ترجع . فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت ان نساءك ينشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها، حتى ان رسول الله لينظر الى عائشة هل تكلم ؟ فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت : فنظر النبي «ص» الى عائشة

وقال « انها بنت أبي بكر » (١) يعني انها مثل أبيها في الذكاء والعقل والحجة ،

ورواية مسلم عنها : أرسل أزواج النبي (ص) فاطمة بنت رسول الله «ص» الى رسول الله «ص» فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي فأذن لها فقالت يارسول الله ان أزواجك أرسلنني اليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة — وأنا ساكتة — فقال لها رسول الله (ص) « أي بنية ألست تحبين ما أحب؟ » قالت بلى قال « فأحبي هذه » فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله «ص» فرجعت الى أزواج رسول الله «ص» فأخبرتهن بالذي قال رسول الله «ص» فقلن ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي الى رسول الله «ص» فقولي له ان أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبداً (قالت) فأرسل أزواج النبي «ص» زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند النبي (ص) ولم أر قط امرأة خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتتقرب به الى الله تعالى ماعدا سورة من حدة فيها كانت تسرع منها الفيئة (أي الرجعة الى الحلم) الخ .

ولها مع زينب مهاترة أخرى ذكرها انس ملخصها ان نساء النبي كن يجتمعن كل ليلة في بيت صاحبة النوبة منهن فدخلت زينب بيت عائشة فمد اليها النبي ﷺ يده فقالت عائشة انها زينب فكف النبي (ص) يده فتقاولتا حتى ارتفعت أصواتهما فمر أبو بكر فسمعهما فقال يارسول الله أحث في أفواههن التراب وجاءت الصلاة فخرج «ص» ولم يكلمهما ولكن أبا بكر عاد بعد الصلاة فعنف عائشة (٢) وهو المشهور بالحلم ، وأين حلمه من حلم رسول الله ﷺ ؟

٣٥

غيرة أزواجه ﷺ وصبره عليهن فيها

الغيرة الزوجية غريزة أو عاطفة في الرجال والنساء وهي فيهن أشد ولا سيما إذا تعددن عند الرجل وكان يحابي بعضهن على بعض . ولئن كان أزواج النبي (ص) كلهن يعرفن

(١) رواه البخاري ومسلم . وقوله هل تكلم بفتح التاء اصله تتكلم نخفف (٢) رواه مسلم

من عائشة لعلمهن بأنها أحب اليه ، فهي كانت أشدهن غيرة عليه ، حتى كانت تغار من خديجة زوجه قبلها وهي لم ترها كما تقدم ، فكانت على شدة ماترى من عدله ومساواته بين نسائه تطيع مايوسوس اليها الشيطان إذا خرج من عندها في ليلتها أنه يذهب إلى غيرها ، حتى تبعته مرة من حيث لا يشعر فاذا هو قد ذهب الى البقيع (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء قالت فقلت بأبي أنت وأمي : أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا . فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول الله ﷺ فقال « ماهذا النفس ياعائشة؟ فقالت بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستها فأخذتني غيرة شديدة ظننت انك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ماتصنع فقال « ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله » (١) وخرج مرة قالت فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه فجاء فرأى ما أصنع فقال « أغرت؟ فقلت وهل مثلي لا يغار على مثلك؟ فقال « لقد جاءك شيطانك » قلت أو معي شيطان ؟ قال « نعم » قلت ومع كل انسان ؟ قال « نعم » قلت ومعك قال « نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم » (٢) يعني انني أسلم من طاعة وسوسته ، أو هو أسلم فلا يأمر بشر

وقالت مارأيت صانعة طعام مثل صفية ، صنعت لرسول الله (ص) طعاما وهو في بيتي فأخذني أفكل (هو بالفتح الرعدة والقشعريرة) فارتعدت من شدة الغيرة فكسرت الاناء ثم ندمت. فقلت يارسول الله : ماكفارة ماصنعت ؟ قال « اناء مثل اناء وطعام مثل طعام » (٣

وقالت تعيب صفية لتغيرها منها : يارسول الله حسبك من صفية قصرها ! فقال لها « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » (٤) أي إن كلمتها في قبحها وخبثها لو ألقيت في البحر لأثرت فيه كله وخبث بها

٣٦

تواطؤ ازواجه وتظاهرهن على الكيد له ﷺ

شرب مرة عسلا عند زينب كان أهدي اليها وكان يحبه فأغرت عائشة به جميع نسائه فتظاهرن على الكيد له حتى لا يعود الى شرب العسل عندها بأن تواطأن على أن ينكرن

١) رواه البيهقي ٢) رواه مسلم عنها وعن ابن مسعود بلفظ آخر (٣) رواه ابو داود والنسائي (٤) رواه ابو داود والترمذي

رائحته مما شرب فنعان، وكان شديد الكراهة للرائحة الخبيثة فامتنع من شرب ذلك العسل عندها وحرمه على نفسه فلما علم بكيدهن وكذبهن عليه غضب عليهن كلهن (١)

وتواطأت عائشة مع حفصة في حادثة تحريم مارية القبطية وكان سببه غضب حفصة لاجتماعه بها في بيتها فاسترضاها بتحريمها عليه وأمرها أن تكتم الخبر فأفشته لعائشة. وروي أنه أسر إليها حديثاً آخر في مسألة الخلافة وتظاهرتا - أي تعاونتا - عليه في ذلك وفيهما نزل قوله تعالى معاتباً له ومنذراً لهن

(١:٦٦) يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (٢) قد فرض الله لكم تحلة أيمنكم والله مولكم وهو العليم الحكيم (٣) وإذ أسر النبي إلى بعض أزوجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (٤) إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولىه وجبريل وصلح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير (٥) عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزوجاً خيراً منكن مسلمت مؤمنت قنتت تئبت عبدت سئحت ثيبت وأبكاراً

حاصل معنى الآيات أنه لا ينبغي لك أيها النبي أن تبالغ في مرضاة أزواجك فتبلغ منها أن تحرم لأجلهن ما أحل الله لك، والله غفور رحيم غفر لك هذه فلا تعودن إلى مثلها. وإن الله قد شرع لكم كفارة أيمانكم ومنها يمين تحريم المرأة أو الامة، فهو كاليمين بالله تعالى (أي يكفره إطعام عشرة مساكين مرة واحدة أو كسوة كل منهم ثوبا أو عتق رقبة فمن لم يستطع إحدى هذه الثلاث وهو مخير فيها فصيام ثلاثة أيام) والله هو العليم بأفعالكم ونياتكم فيها الحكيم بما يشرعه لكم فيما يعرض لكم من مقتضى

(١) رواه الشيخان وغيرهما وروي تعدد هذه القصة

الطباع البشرية فيربيكم به ويزكيكم . ثم ذكر ذنب التي أفشت سره (ص) وهي حفصة بما هو ظاهر المعنى في الجملة ، وليس تفصيله من موضوع هذه الرسالة — وأرشدها هي والتي أفشت لها السر وهي عائشة إلى التوبة من ذنبهما وما صغت أي مالت اليه قلوبهما ووافق أهواءهما من تلك الواقعة ،وأنذرهما ان أصرتا على التظاهر أي التعاون والتمالؤ على الرسول (ص) بان الله هو مولاه الذي ينصره ويتولاه في كل أمر وكذلك جبريل وصالحو المؤمنين والمراد بهم هنا أبواهما أبو بكر وعمر (رض) والملائكة بعد ذلك كله يظاهرونه ويؤيدونه «ص» ثم هددهما بأن الرسول إذا طلقهما وسائر أزواجه المتحزبات عليه فان الله يبدله خيراً منهن في كل ما يتفاضل به النساء عنده من صفات الكمال، ولو كان «ص» يهمه التمتع الجسدي لوصف الله البدل بصفات الحسن والجمال،ولكنه لم يكن يحفل به، ولو لم يكن نقصاً في نفسه

٣٧

(غضبه ﷺ على ازواجه وايلاؤه منهن شهرا)

(فتخييره إياهن بين الطلاق وبقاء الزوجية المرضية لله ولرسوله)

علمنا من الشواهد الصحيحة التي رويناها في حسن عشرة النبي «ص» لازواجه بما هو أعلى من المعروف من عدل وحلم ولطف ، وصبر على تغايرهن وائتمارهن ، ليكون أسوة حسنة لرجال أمته ولا سيما المهاجرين في ذلك ـ علمنا انه آل أمرهن الى الائتمار بينهن والتظاهر عليه واستباحة الكذب وإفشاء السر ،وكدن يكن أسوة سيئة لنساء المؤمنين ،على خلاف ما راد من تربية الرسول لهن ليكن قدوة صالحة لهن ، وكان قد اضطرب أمر النساء مع الرجال إذ زادت جرأتهن عليهم بتأثير ما أعطاهن الاسلام من الحقوق وما أوصى بهن النبي « ص » من التكريم حتى انه قد اجتمع عند نسائه « ص» مرة سبعون امرأة كل تشكو زوجها ـ فلما انتهى نساؤه معه الى هذا الحد مع العدل الكامل ، واللطف الشامل،غضب غضبة الحليم، وحلف أن لا يقربهن شهراً ،واعتزلهن كاهن تربية لهن ،ولا تتم التربية إلا بوضع الحلم في موضعه والغضب في

موضعه - وانني أستخلص من الصحيحين خبر غضبه وحلفه هذا بما فيه زيادة البيان لما كان عليه حال النساء في أول الاسلام ، وأبدأ بسياق مسلم فأقول

روى مسلم في صحيحه أن عبد الله بن عباس قال : مكثت سنة وانا أريد ان اسأل عمر بن الخطاب عن آية فما استطيع أن اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه؟ فقال تلك حفصة وعائشة، قال فقلت له والله إن كنت لأريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك، قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك (قال) وقال عمر والله أن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم قال فبينا انا في أمر أأتمره إذ قالت لي امرأتي لو صنعت كذا وكذا ، فقلت لها ومالك أنت ولما ههنا ؟ وما تكلفك في امر أريده ؟ فقالت لي عجبا لك ياابن الخطاب ما تريد ان تراجع انت وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ؟ قال عمر فآخذ ردائي ثم اخرج من مكاني حتى ادخل على حفصة ، فقلت لها يابنية انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة والله انا لنراجعه، فقلت تعلمين اني احذرك عقوبة الله وغضب رسوله؟ يابنية لا يغرنك هذه التي قد اعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها. ثم خرجت حتى ادخل على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي أم سلمة عجبا لك ياابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه ؟ قال فاخذتني اخذا كسرتني عن بعض ما كنت اجد (١ فخرجت من عندها (هذه مقدمة مسلم لحديث عمر وأذكر تتمته من رواية البخاري عنه)

(١) اي كسرت ما اجده في نفسي ودفعتني عنه حتى لم أقله لها وفي رواية لابن سعد أنها قالت له :اي والله انا لنكلمه فان تحمل ذلك فهو اولى به وان نهانا عنه كان اطوع عندنا منك

(قال) ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال كنت أنا وجارلي من الانصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي (ص) فينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ، وكنا معشر قريش نغلب النساء(١) فلما قدمنا على الانصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار ، فصخبت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت علي ثيابي ، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي (ص) اليوم حتى الليل ؟ قالت نعم فقلت : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله (ص) فتهلكي ، لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة ،

قال عمر وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ، فرجع الينا عشاء فضرب بابي ضربا شديداً وقال أثم هو ؟ ففزعت فخرجت اليه ، فقال قد حدث اليوم أمر عظيم ، قلت ماهو أجاء غسان ؟ قال لا . بل أعظم من ذلك وأهول ، طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، فقلت خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون ، فجمعت علي ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له (٣) فاعتزل فيها ، ودخلت على حفصة فاذا هي تبكي ، فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا ؟

---

(١) وفي رواية: كنا ونحن بمكة لا يكلم احد امرأته الا اذا كانت له حاجة... وفي رواية: كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في امورنا . هذا وقد قال النبي (ص) «خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش: احناه على ولد (وفي رواية يتيم) في صغره وارعاه على زوج في ذات يده» رواه البخاري ومسلم وتذكير الفعل وافراده فيه مسموع

(٢) اي لا تطلبي منه الشيء الكثير (٣) المشربة بضم الراء الغرفة او العلية

أطلق كن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت لا أدري هاهو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر فدخل الغلام ثم كلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر ، فدخل ثم رجع فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت . فلما وليت منصرفا (قال) إذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير(١) ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يارسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال «لا» فقلت الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم أستأنس يارسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت يارسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يريد عائشة) فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله مارأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة (٢) فقلت يارسول ادع الله فليوسع على أمتك فان فارساً والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله (٣) فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان

(١) وفي رواية رمال سرير والرمال اسم لضلوع الحصير التي ينسج بها فتكون متداخلة كالخيوط في الثوب (٢) الاهبة بفتحتين وبضمتين ايضا الجلود مدبوغة أولا . واحدها إهاب (٣) وفي رواية فبكيت فقال مايبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى وذاك قيصر وكسرى في الانهار والثمار وانت رسول الله وصفوته . واما الذي رآه في خزانته فهو قدر صاع من شعير ومثله قرظ مجموع في ناحية الغرفة. والقرظ حب شجر يدبغ به الجلود

متكئا فقال «أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا » فقلت يارسول الله استغفر لي . فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال « ما أنا بداخل شهرا » من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى، قالت عائشة ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة

اتفقت الروايات على أن تخيير النبي «ص» أزواجه بين تطليقهن وإبقائهن على عصمته على الوجه الذي يريده منهن وهو أن يكن قدوة صالحة للنساء في الدين كان بعد حادثة غضبه وهجره لهن شهرا ثم رضاه عنهن، وقد صح أنه حدث في أثناء ذلك سبب آخر للتخيير وهو إلحافهن بطلب التوسعة في النفقة والزينة

٣٨

مطالبة ازواجه ﷺ إياه بسعة النفقة والزينة

كان من السهل على النبي «ص» أن يعيش مع نسائه عيشة الترف والنعمة، وأن يمتعهن بما أحببن من اللباس والحلي والزينة، بما كان له من الحق في خمس الغنيمة، ومنها غنائم بني النضير ثم بما كان له من الارض في خيبر، وكانت غاية توسعته عليهن اعطاؤهن مؤنة سنة كاملة من التمر والشعير الذي كان يتخذ منه الخبز في الغالب وكان ربما يتصدق ببعض ما آتاهن أو به كله إذا وجد من هو أحوج اليه من الفقراء ، بل ذبح مرة شاة فتصدق بها كلها فقالت له عائشة هلا أبقيت لنا قطعة منها نفطر عليها فقال « لو ذكرتيني لفعلت » وقد وقع لها بعده مثل ذلك بعينه فقالت لها مولاة لها كما قالت للنبي (ص) وأجابتها بما أجابها به: فهذه هي التربية المحمدية لأمهات المؤمنين ، ولو اتبع أهواءهن في الترف والزينة والامة في طور التأسيس ، لعد من فضائل الدين - على ذم القرآن للمترفين المسرفين

ولقد بشر النبي « ص » أصحابه بفتح بلاد الشام والفرس ومصر والاستيلاء على خزائن كسرى وقيصر والسيادة فيها وفي غيرها من الارض، وحذرهم من الاسراف

فيما أباح الله لهم في كتابه من الزينة والطيبات. وقال « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »(١) ومن هذه الفتنة أنهن الداعيات الى الاسراف في النفقة والزينة. فلما أراد نساؤه ذلك جعل الله تعالى له مخرجا منه بتخييرهن بين بقائهن على عصمته إيثاراً لحظ الآخرة، وبين تمتيعه لهن بما يطلبن مع طلاقه لهن وتسريحه لهن باحسان إيثاراً منهن لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فلو أن نساءه صلى الله عليه وسلم غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد ولما استطاع الرجال صرفهن عنه، ولما قامت للامة قائمة، فان الاسراف في الترف والزينة يهلك الامم الغنية، فكيف تقوى به الامم الفقيرة؟ أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لفساد البشر وظلمهم بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة؟

وإنما أباح الله الزينة والطيبات في حال السعة والثروة، بدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة، والغرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية كما انه هو القدوة العليا والاسوة الحسنى للامة كلها في معاملة النساء وفي سائر الامور، وملاك ذلك كله إيثار سعادة الآخرة على متاع الدنيا

٣٩

تخييره ﷺ لأزواجه بين الدنيا والآخرة

قد ثبت أنه كان لهذا التخيير سببان (أحدهما) غضبه وموجدته عليهن فيما كان من تظاهرن عليه وقد ذكرنا أصح الروايات فيه. وأما السبب الآخر وهو مطالبتهن له بالتوسع في النفقة والزينة فهو مادلت عليه الآية الاولى من آيتي التخيير الآتيتين وذكر بعض المفسرين بعض ما طلبن من ذلك. وانني أختار من الروايات الصريحة فيه حديث جابر من صحيح مسلم وهذا نصه:

عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله (ص) فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي (ص) جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن ماعدا اباداود عن اسامة بن زيد .

(ابو بكر) لأقولن شيئا أضحك النبي (ص) فقال يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها(١) فضحك رسول الله (ص) وقال «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله (ص) ما ليس عنده؟ فقلن والله لانسأل رسول الله (ص) شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية (ياأيها النبي قل لازواجك - حتى بلغ - للمحسنات منكن أجراً عظيما) قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وماهو يارسول الله؟ فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لاتخبر امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال « لاتسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسراً » ثم خيرهن كلهن فاخترن ماهو خير لهن - اخترن الله ورسوله والدار الاخرة وهذا نص آيتي التخيير :

(٣٣ : ٢٨) يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا

خلاصة معنى الايتين : قل لهن إن كنتن تردن من حياتكن الزوجية حظوظ الدنيا وشهواتها وزينتها فانني لم أبعث لذلك ولا تزوجتكن لذلك فتعالين أعطكن المتعة المالية التي شرعها الله للمطلقات وأسرحكن إلى أهليكن سراحا جميلا لا إهانة فيه ولا إساءة كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته لعدم استطاعته أن

(١) بنت خارجة زوجته ووجأ عنقها لكزه بجمع يده أولواه إظهاراً للانكار لا لاجل الايلام

يعيش معها عيشة راضية مرضية لله ثم له ولها . وهو دليل على أنه (ص) لايستطيع أن يقوم بوظيفة نبوته مع نساء همهن من حياتهن النعيم والزينة ـ وان كنتن تردن من هذه الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام باعباء الدين ، واصلاح أمور المؤمنات والمؤمنين ، وثواب الدار الاخرة ، تؤثرنه على نعمة الدنيا العاجلة ، فان الله قد أعد للمحسنات منكن في ذلك أجراً عظيما هو أعظم وأكبر مما أعده للمحسنات من سائر المؤمنات . وقد بين هذا في الايات التي بعد هذه . وهي وما سبق من أسباب نزولها تدل على افتراء اعداء الاسلام الذين يقولون ان هم محمد من حياته التمتع باللذات والشهوات ، وانه لذلك أكثر من الزوجات

٤٠

(تأديب الله لازواج نبيه ﷺ وتعليمهن مايراد منهن)

أمر الله تعالى رسوله أن يبلغ أزواجه ما ذكر من التخيير على أنه من ربه لامن عند نفسه ، ووصل الامر بمواعظ وحكم عرفهن بها منزلتهن وتفضيلهن على سائر النساء بجعلهن قدوة لهن في التقوى وحسن معاملة الازواج، بما أتاحه لهن من معاشرة مصلح البشر الاعظم محمد رسول الله وخاتم النبيين وما يتلقينه عنه من آيات الله والحكمة، وما يشاهدنه من معاملته وعلو أخلاقه من الاسوة الحسنة، وأن مقتضى ذلك أن يكون أجرهن على العمل الصالح مضاعفا ، وعقابهن على الاعمال الفاحشة مضاعفا ، على قاعدة الغرم والغنم ، وكون الذي يقتدى به في الخير له أجره ومثل أجور من يقتدون به فيه ، والذي يقتدى به في الشر عليه وزره ومثل أوزار الذين يقتدون به فيه. وفي ذلك حديث نبوي في صحيح مسلم معروف. ولو كانت سيرة أزواج الرسول «ص» فاسدة لفسدت سيرة سائر المؤمنات بل لكان ذلك من أسباب فساد اعتقاد كثير من الرجال، قال الله عز وجل مخاطباً لهن :

(٣٣ : ٣٠ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣١) وَمَن يَقْنُتْ

منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا)

الفاحشة المبينة هي الفعلة الظاهرة القبح كالكذب في مسألة العسل دون الهفوة واللمم مما قد يخفى قبحه على فاعله . والقنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وإذعان النفس ، والعمل الصالح أعم منه . والتقوى اتقاء مخالفة الله ورسوله وكل ما تسوء عاقبته . والخضوع بالقول لين الكلام الأنثوي الذي يطمع الرجل الخبيث الضعيف الايمان في المرأة لارتيابه في عفتها - والقول المعروف هو الحسن البريء من الريبة الذي لا ينكر نزاهة قائلته من يسمعه (وقرن في بيوتكن) أمر من القرار أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن منها لغير حاجة - والتبرج التبختر مع اظهار الزينة لجذب الابصار وهو من منكرات الجاهلية القديمة. والرجس الدنس المعنوي وهو كل ما يمس الدين أو الشرف . وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) تعليل لهذه الاوامر والنواهي كلها فان امتثالها ينافيه وتتم به الطهارة بأكمل معانيها . وذكر الضمير (عنكم) ليشمل صاحب البيت صلوات الله وسلامه عليه فان شرف أزواجه شرف له فان علق باحداهن رجس أصابه ألمه وعاره - أعلى الله كرامته ونزه ساحته - وقد يشمل بعمومه سائر أهل بيته غير نسائه المقصودات بالذات ، وتؤيده بعض الروايات. وآيات الله كتابه وبراهينه ، والحكمة المعارف المعقولة المرقية للعقول المزكية للنفوس ، الحاملة لها على معالي الامور

٤١

(توسعة الله على نبيه ﷺ بما تكمل به تربية ازواجه)

بالغ ازواج النبي (ص) في التضيق عليه بباعث الغيرة وجرأهن عليه حلمه الواسع ولطفه ، واعتقادهن ان المساواة بينهن واجبة عليه ، وتوهمهن ان منها المساواة في الحب ، وفي امره الناس بان يهدي اليه من شاء منهم حيث كان من بيوتهن . فكان من تربية الوحي لهن ما ذكرنا آنفا من تهديد زعيمتيهن عائشة وحفصة وإنذارهن الطلاق وإبدال ربه إياه خيرا منهن ، ثم ما خاطبه به في الآية الخمسين من سورة الاحزاب من أنه احل له ازواجه اللاتي تزوجهن بمهورهن وغيرهن من قريباته المهاجرات وما أفاء عليه من ملك اليمين ومن تهبه نفسها ليتزوجها بدون مهر خاصا به ، مع بقاء ما فرضه على سائر المؤمنين من المهور ، وتقييد الزواج بان لا يزيد على اربع نسوة في حال القدرة مع العدل والمساواة ، وعلى واحدة عند الخوف من الظلم ، وكان بعض النساء يهبن انفسهن له (ص) وبعضهن يعرضن عليه قريباتهن حتى نهاهن عن ذلك (* ثم افتاه الله تعالى في الاية التي بعدها برفع الحرج عنه في معاملة أزواجه كلهن بما يشاء ليعلمن أن مساواته بينهن فضل منه (ص) عليهن واحسان بهن لا واجب عليه من الله تعالى لهن لئلا يعدن إلى مثل ما كان منهن قال تعالى

(٣٣ : ٥١) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ

---

*) روى البخاري وغيره عن ثابت قال كنت عند انس وعنده بنت له فقال جاءت امراة تعرض نفسها على رسول الله (ص) فقالت ألك بي حاجة؟ فقالت بنت انس ما اقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه! فقال هي خير منك رغبت في رسول الله (ص) فعرضت نفسها عليه ، وروى البخاري وغيره ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي (ص) فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل . وروى ان ام حبيبة عرضت عليه اختها ليتزوجها فتشاركها في خيرها فاخبرها بعدم حلها له معها وقال «فلا تعرضوا علي بناتكن ولا اخواتكن »

وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً

رفع الله عن نبيه بهذه الآية مافرضه على أمته من القسم والمساواة بين الازواج ، وأباح له ما يشاء من إرجاء نوبة بعضهن أي تأخيرها، وإيواء من شاء اليه متى شاء ، وعزل من شاء وابعادها، ولكنه ﷺ ظل على ما كان من مساواته بينهن بالعدل، فرضين منه لانه بمحض الفضل، ولم يتزوج عليهن أحداً ممن أبيح له في الآية التي قبلها ،ولو كانت رغبته في تعدد الازواج للاستمتاع بهن لفعل ولاختار حسان الابكار على الثيبات

ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة له كلمة شاذة لعلها أشذ ماصدر عنها من إدلال حب الزوجيـة وغرارة الحداثة : قالت له ماأرى إلا أن ربك يسارع في هواك (١) تعني بهواه رغبته وميله النفسي فقابل (ص) هذه الكلمة الجريئة النابية عن الادب بحلمه الواسع حتى علمت عائشة وغيرها أنه (ص) لم يكن له أدنى هوى نفسي في هذه التوسعة عليه فانه لم يعمل بها ،وانما كانت لاجل تربيتها هي وسائر أزواجه واقناعهن بكمال عدله فيهن وفضله عليهن فيما لم يوجبه ربه عليه

وكانت عائشة على حداثتها قوية الايمان والاجلال له (ص) ولكن الغيرة النسائية كانت تغلب على وجدانها ــ ولقد أقنعتها حفصة في سفر لهما مع النبي (ص) بأن تستبدل بعيرها ببعيرها ففعلت فرأته (ص) يكلم حفصة ظانا انها عائشة فاشتعلت نار غيرتها فلما نزلت وضعت رجليها في الاذخر (نبات عطر معروف) وصارت تدعو الله أن يرسل اليها حية او عقربا تلدغها وتقول : انه نبيك ولا أستطيع أن اقول له شيئا. رواه البخاري

روت معاذة عن عائشة قالت ان رسول الله كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية (ترجي من تشاء منهن الخ فقلت لها ما كنت تقولين ؟ قالت كنت أقول له إن كان ذلك إلي فاني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً ٢» وفي رواية لم أوثر أحداً على نفسي . فأين هذا الجواب من انكارها عليه مد يده إلى زينب لمصافحتها في بيتها ومن تجسسها عليه إذ أبطأ في زيارته لها يوم شرب العسل عندها ؟

(يتبع)

١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (٢) رواه البخاري

العقيدة السلفية والاستاذ الدجوي

حديث فاطمة بنت أسد

(لم يجد الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي طريقة لخدمة الاسلام والمسلمين في مجلة الأزهر (نور الاسلام) إلا الطعن في العقيدة السلفية وأهل الحديث والطعن على متبعيها عامة وأهل نجد خاصة ، وترويج البدع ، وقد جاءتنا عدة رسائل في الرد عليه أبينا نشر شيء منها ، ولو اخترنا أمثلها حجة وأدبا لفضلنا منها ما كتبه الاستاذ العالم العامل الشيخ محمد بهجة البيطار الشهير إذ كنا اطلعنا على أوله فاستحسناه . وقد نشر أربع مقالات منه في مجلة الرابطة الاسلامية الدمشقية ثم عطلت هذه المجلة فأرسل الينا الخامسة فرأينا أن ننشرها ضنا بها أن تضيع وهذا نصها والعنوان من الاصل)

قال الاستاذ الدجوي [وقد توسل ﷺ بالانبياء السابقين بعد موتهم كما في الحديث الصحيح] ثم أورد حديث فاطمة بنت أسد ، والشاهد منه [اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين] قال [اخرجه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح]

أقول قوله : في الحديث الصحيح وبسند صحيح . هو حكم غير مسلم ولا صحيح فان في سنده روح بن صلاح المصري ، ضعفه ابن عدي . والحديث لم يرضه الشيخان ولذا لم يخرجاه في الصحيحين ولا سائر اصحاب الكتب الستة ، ويعلم النقاد البصيرون بعلل الاحاديث أن كل مالم يخرجه هؤلاء كلهم فلعلة قوية فيه ، وعلل الحديث يعلمها الراسخون في علم السنة ، ولست الآن في صدد التصحيح والتضعيف فأورد ما قاله أئمة هذا الشأن فيه

وعلى فرض صحته لا شاهد فيه ، إذ هو توسل بحق النبيين صلوات الله عليهم وحقهم هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة ، وما خصهم به من الخصائص والمزايا كاجتبائهم واصطفائهم ، وما وعدهم به من النصر والتمكين والعز والتأييد ، وقبول شفاعتهم إذا شفعوا بعد الاذن والرضا ، فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله ، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته ، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته

ومثل حديث فاطمة ما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال « اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا » الحديث وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح فهو توسل الى الله بعمل المتوسل من دعائه والمشي الى الصلاة وبما وعد على ذلك ، فحق السائلين عليه الاجابة ، وحق الماشين الى المساجد الاثابة : قال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال (أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال (ان تنصروا الله ينصركم) وقال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل فجعله حقا لهم عليه سبحانه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء

وفي الصحيحين (واللفظ للبخاري) عن معاذ بن جبل (رض) قال قال النبي ﷺ «يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد ؟ قال الله ورسوله أعلم قال «أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا، أتدري ماحقهم عليه ؟ قال الله ورسوله أعلم . قال «أن لا يعذبهم»

وقد قدمنا عن الامام ابي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله قولهم يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام ، لانه لا حق لغير الله عليه وانما الحق لله تعالى على خلقه

ويوافقهم في هذا جميع المتمسكين بهدي السلف وآثارهم ممن يقول كشيخ الاسلام ابن تيمية [اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك افعل بي كذا وكذا ، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء] وقد يظن بعض من لانصيب له من التحقيق ـ وبعض الظن إثم ـ أن هؤلاء ينكرون حرمة الرسل وجاههم وكرامتهم على ربهم في حياتهم أو بعد وفاتهم ، مع أن ثبوت الجاه لهم وارد في القرآن . قال تعالى في حق موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيها) وقال في حق عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة)

قال شيخ الاسلام في كتاب التوسل فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون

والآخرون ، وصاحب الكوثر والحوض المورود الذي آنيته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلا من العسل، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابداً ، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين، ويتقدم هو اليها ،وهو صاحب اللواء ، آدم ومن دونه تحت لوائه،وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل وهو إمام الانبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا ،ذو الجاه العظيم ﷺ وعلى آله .ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده احد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد احصاهم وعدهم عداً) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)الآية . والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له لما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) اه

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاه الرسل الثابت لهم عند ربهم والذي لا يزايلهم ولا ينفك عنهم أبداً ، بل هو في مزيد عنده تعالى يرفعهم به أعلى الدرجات فكيف بسيد ولد آدم وروحي له الفداء ﷺ،وانما الخلاف في فهم المراد من التوسل بالجاه،أو الحرمة أو الحق،وهل جعله الله سبباً شرعيا في إجابة الدعوات فان كان المراد منه معنى يرجع الى أفعاله تعالى وصفاته ـ كاصطفائهم واجتبائهم وما وعدهم به تعالى من النصر والتمكين ورفع الدرجات في الحياة الدنيا وفي الآخرة فبه نقول ونحن متفقون

بيد ان ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصلاح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين اجابة سؤاله ، فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي . فمعنى ذلك اقض حاجتي لكون فلان صالحا ، فاي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ، واذا قلت بجاه فلان اغفر لي، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأي ملازمة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أوجاهه ليس

منفيا عنه لا في حياته ولا بعد مماته ، ولا هو محل نزاع ، ولكنه ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وانما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) فقول الاستاذ الدجوى في خاتمة مقاله الثاني : «على أن التوسل بالاعمال متفق عليه منا ومنهم فلماذا لا نقول : ان من يتوسل بالانبياء والصالحين هو متوسل باعمالهم التي يحبها الله تعالى ، وقد ورد بها حديث أصحاب الغار ، فيكون من محل الاتفاق، ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث هم صالحون ، فيرجع الامر الى الاعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها ، كما قلنا في صدر المقالة » اه

أقول : قوله هذا غير مسلم على إطلاقه ، بل فيه نظر ظاهر ، فان المتفق عليه هو توسل كل عامل بعمله ، ويشهد له حديث أصحاب الغار الذي استدل به ، فهو حجة عليه لا له ، لأن كل واحد من أولئك النفر الثلاثة توسل بعمله الصالح الذي اخلص فيه لله تعالى ولم يتوسل بعمل غيره : والاصل في هذا قوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) فالقول بان الاعمال الصالحة تنفع العاملين وغير العاملين ، ومنفعتها وثمرتها تشمل الصالحين والطالحين والمؤمنين والفاسقين، مما يجرىء على ترك العمل والزهد فيه ، والاكتفاء بالتوسل بدلا عنه ، ويجعل المتقين والفجار سواء في العاقبة والجزاء : الاولون ناجون بعملهم ، والآخرون بتوسلهم بعمل غيرهم . ولكن الله يقول (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) ويقول (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ ساء ما يحكمون)

لو كان التوسل بصلاح الصالحين وعمل العاملين يفيد المتوسلين لهان الامر علينا معشر المسلمين، ولنالنا كل خير من ذلك، إذ كان يمكننا ان نقول مثلا اللهم أزل ضعفنا وآمن خوفنا وانصرنا على عدونا بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لاعلاء كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً مبيناً، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا الملك والسلطان، والعلم والعرفان، والحضارة والعمران، مثل ما وهبت لهم، نسألك اللهم أن

تمنحنا ذلك كله بجهادهم وسعيهم وعلمهم وعملهم، إذ نحن لا جهاد لنا ولا سعي، ولا علم ولا عمل، وانما نحن عالة على غيرنا يا ارحم الراحمين — أفترى انه تفيدنا هذه التوسلات بجاه أسلافنا وقوتهم وسعة سلطانهم واستبحار عمرانهم ، ونحن قد تداعت علينا الامم فجعلتنا مغنما ونهباً مقسما؟

وهكذا شأن التوسل الديني الاخروي ، من وفقه الله وألهمه رشده يتقي عقاب الآخرة بما شرعه الله لاتقائه من التوبة والايمان والاعمال الصالحة فرب الدارين واحد وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضا، كما حققه الامام ابن القيم وأثرناه عنه في المقال المتقدم فجدد به عهداً (ومثله في كتابي العجب والغرور من احياء الغزالي) والاصل في ذلك قوله تعالى (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) فهو توسل الى الله تعالى بالايمان والاتباع ومثله قوله (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) فقد رتب الله عليه الاستجابة بقوله (فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل منكم) الآية . وفي معناها آيات أخرى

فانظر رحمك الله الى هذه الآيات الكريمة، والادعية الجليلة، كيف ارشدتنا الى التوسل الى الله عز وجل بما شرعه من الاخلاص في الدعاء له وحده ، والايمان بما انزله من عنده، واتباع الرسول ﷺ على الوجه الذي جاء به من عند ربه ، ثم تأمل كيف جعل ذلك سبباً لاستجابة الدعاء بمغفرة الذنوب وتكفير السيئات والوقاية من النار ، والنظم في سلك الابرار - وأين هذا التعليم الالهي والتوسل الشرعي ، من المعامل التوسلية التي أنشأها المبتدعة لانفسهم ولغيرهم وهم يصدرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة انواعاً متنوعة ما انزل الله بها من سلطان (قل أأنتم اعلم ام الله) وهل كان دين الله ناقصاً فأكملتموه بهذه المبتدعات المحدثات؟

اختم بهذا مباحثي في موضوع التوسل وألوي عنان القلم عنه لأجيب عما هو اهم منه كمباحث الالوهية والصفات على طريقة السلف الصالح بما يوضح للمشتبهين أن مذهبهم هو الاسلم والاعلم والاحكم إن شاء الله تعالى

دمشق محمد بهجت البيطار

أنباء العالم الإسلامي

﴿ الخطر على الاسلام بسيطرة الانكليز على الحجاز ﴾

(أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة) والمسلمون لاهون غافلون، وأعداء الاسلام دائبون مسرعون، يسخرون خونة المسلمين في فتح دار الاسلام، والقضاء على ملك الاسلام، ويشغلون أذكياءهم بظواهر الامور عن بواطنها، وبمحقراتها عن عظائمها، فالدولة البريطانية [أقوى اعداء الاسلام] تريد تأسيس امبراطورية عربية بريطانية جديدة تحل محل الامبراطورية الهندية التي يعلمون قرب أجلها تمتد من مصر الى خليج فارس وتشمل جزيرة العرب كلها بشكل معين، وتقسيم مدبر، ينفذ في زمن مقدر، ومن مقاصده الاساسية القضاء على دين الاسلام نفسه من نواحيه السياسية والاجتماعية والعسكرية، بالسيطرة على الحجاز وقطع الطريق على منصب الخلافة الحق، ولو بالتوسل اليه بخلافة باطلة مدينة لها خاضعة لنفوذها

وقد بينا من قبل ان أعظم تمهيد بدأت به هذه الدولة الجشعة للقضاء على استقلال الاسلام والعرب هو استخدام شريفين شهيرين من شرفاء الحجاز لتمليكها أعظم مواقع الحجاز البحرية والبرية (أحدهما) صاحب الجلالة الهاشمية (الملك علي) الذي نصبه الحزب الوطني الحجازي ملكا على الحجاز عند ازماع والده صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الرحيل من مكة الى حيث تشاء الدولة الانكليزية ليقينه باستيلاء ابن السعود على مكة (وثانيهما) صاحب السمو الهاشمي الامير عبدالله بن الحسين الذي استقدمه بعض اعضاء حزب الاستقلال العربي من الحجاز الى شرق الاردن عقب استيلاء الجنرال غورو الفرنسي على دمشق وإخراج جلالة الملك فيصل منها لاجل أن ينظم لهم وسائل الدفاع في منطقة شرق الاردن العربية الحرة لانها ليست من فلسطين التي قيدها الانكليز بالوطن القومي لليهود، وليست من منطقة النفوذ الفرنسي فخضر وكان من خدمته للعرب والعربية أن جعل شرق الاردن مقيدة بالانتداب البريطاني وخاضعة لنفوذ الانكليز العسكري مباشرة، وتشريد الحزب الذي استقدمه

وأما الخدمة التي اشترك فيها هو وأخوه الملك علي في التمهيد لامتلاك الانكليز للحجاز فهي اتفاقهما على جعل خليج العقبة الحجازي الذي هو من أعظم مواقع البحار الحربية في العالم والارض الممتدة منه الى معان أهم محطات سكة الحديد الحجازية في أرض الحجاز تابعة لامارة شرق الاردن ، وخاضعة للانتداب البريطاني السياسي ونفوذ جلالة ملك الانكليز العسكري

أصدر الملك علي الهاشمي وهو تحت حصر الجيش السعودي في جدة إرادته الهاشمية باقتطاع منطقة العقبة - معان من مملكة الحجاز وإلحاقها بامارة شرق الاردن التي وضعها اخوه تحت السيطرة البريطانية، فعدها هذا فتحاً مبيناً له وأمر باطلاق مائة مدفع ومدفع ابتهاجا بهذا الفتح ، لان سيطرة الانكليز على الحجاز بعضه أو كله احظى عندهما من سيطرة عبدالعزيز بن السعود، وان كان دين الاسلام لايبيح لأمثال الخلفاء الراشدين مثل هذا التصرف في أرض الحجاز ولافي غيرها من بلاد المسلمين بل صرح الامام الشافعي ولم يخالفه غيره بأنه لا يجوز لامام المسلمين الاعظم أن يأذن لغير المسلمين بالاقامة في ثغور الحجاز ولافي جزيرة من جزائره فكيف يبيح الاسلام لمثل علي بن حسين الذي لم تكن له سلطة شرعية على الحجاز ولا نفوذ فعلي فيما عدا مدينة جدة مثل هذه الهبة ؟ ومن عجائب افتتان هذه الشعوب الجاهلة بلقب «ملك» ان بعض السوريين يتمنون أن يكون « الملك علي» هذا ملكا لسورية وان بعض كتابها يتشرف بسؤاله عن سياستها وينقل أقواله السخيفة في الجرائد فتتناقلها !! ان هذه الهبة ليس لها قيمة شرعية ولا قانونية بيد ان قوة الدولة البريطانية وقى الله الاسلام والعرب شرها ، وأدال لمصر والسودان والهند منها - تكتفي بهذه الالفاظ لانشاب براثنها في مقتل أي أمة ضعيفة إذا لم تجد مستنداً قانونياً أقوى منها ، وقد حاولت هذا المستند تخيل بينه وبينها

ذلك بأنه لما تم لابن السعود الاستيلاء على الحجاز أرادت الدولة الانكليزية ان تحمله على إقرار إلحاق العقبة ومعان بشرق الاردن في المعاهدة التي عقدت في بحره لوضع الحدود بين مملكته وإمارة شرق الاردن فأبى الا ان تكون منطقة العقبة ومعان تابعة للحجاز كما كانت، وقد طالت المشادة والمحادة بين المندوب البريطاني

(الجنرال كليتون) وبينه في ذلك وكادت تفشل المعاهدة فاقترح المندوب البريطاني بعد استئذان حكومته تأجيل البت في ذلك الى مفاوضة أخرى مدة سبع سنين لا يحدث أحد الفريقين في ذلك حدثاً جديداً فقبل الاقتراح

لماذا اقترح الانكليز تأجيل هذه المسألة؟ الجواب عن هذا السؤال يؤخذ من كلمة اشتهرت عنهم وصارت هجيراهم وهي قولهم « ان الوقت معنا ـ أو لنا » وذلك انهم أصحاب روية وأناة، لا أصحاب بديهة وبادرة، وأصحاب حزم وثبات، لا أصحاب عجلة، وقد طفقوا يكيدون لابن السعود ويتخذون الوسائل لإخضاعه لهم بما فعلوا على حدود العراق ثم على حدود شرق الاردن من المعاقل والقوى العسكرية، وبما كان لهم من الدسائس والفتن في الثورة النجدية (ثورة فيصل الدويش) وبدسائسهم الخفية المضعفة لثروة المملكة وملكها وغير ذلك مما ليس لنا أن نخوض فيه الآن، حتى اذا ما اعتقدوا أن العسرة قد اشتد خناقها بضعف موسم الحج في هذا العام، ظنوا ان احداث فتنة جديدة في الحجاز أو ثورة في أطرافه لا تلبث أن يطير شررها الى اعرابه فمدنه وان يمتد لهيبها الى نجد، فتقضي على ملك هذا الزعيم العربي المسلم الشديد البأس قبل أن يوفق الى تنظيم قوته وتوطيد استقلاله

ما كادت ترتفع حرارة الصيف من هذا العام الا وقد ارتفعت حرارة الفتن والدسائس السياسية السرية، مقترنة بالحركات العسكرية العلنية، فالانكليز يجمعون قواتهم الامبراطورية والعربية الهاشمية في امارة شرق الاردن على حدود الحجاز ونجد. والجيوش الانكليزية تنقل بالطيارات من مصر الى شرق الاردن، وبعض بوارج الاسطول البريطاني ترسو في خليج العقبة الحجازي الذي هو أهم وأمنع موقع بحري حربي في بلاد العرب وكذلك جلالة ملك الحجاز ونجد يجمع قواته أيضاً، ولماذا كل هذا وكل ذلك؟

قيل ان سبب هذا وذاك ان ابن رفادة أحد شيوخ الاعراب (البدو) الحجازيين الذي كان فر من الحجاز بعد استيلاء ابن السعود عليه ولجأ الى مصر قد جمع شرذمة من البدو وزحف بها من شبه جزيرة سينا لاجل مهاجمة الحجاز وإخراج الدولة السعودية منها!!

وقد عنيت الانباء البرقية من لندن ومن شرق الاردن بالطعن في الحكومة السعودية وإضعاف أمرها وادعاء كراهة أهل الحجاز وكذا سائر المسلمين لما حتى أهل نجد ... وعظمت في مقابلة ذلك أمر ابن رفادة هذا وشأن قوته التي قيل انها تبلغ أربعمائة نسمة فارتقت بها بعض الانباء الى أن زادتها ألف رجل أو أكثر (!!) ثم عظمت أنباء أنصاره وأعوانه الذين يمدونه بالمال والمؤن والذخائر ومنها ان هذا المدد كله من مصر تحمله اليه سفن مخصوصة، وقد صرح بهذا بعض رجال الانكليز الرسميين، فانصرفت أذهان الناس الى الدولة المصرية نفسها، اذ لا يوجد في مصر من يمكنه ذلك غيرها، اذا كانت متفقة مع رجال الانكليز عليها،

نعم أن في مصر جمعية حجازية تكره الحكومة السعودية ولكنها جمعية فقيرة، وان في مصر بعض الشرفاء الذين يودون الادالة لاسرتهم من الملك عبدالعزيز آل سعود ولكنهم عاجزون عن مد هؤلاء الثائرين، فلا مال ولا رجال، ولا وسائل لنقل المال والرجال من مصر الى حدود الحجاز، ولو وجد كل ذلك لديهم لما اقدموا على هذا العمل الا اذا كانت الدولتان البريطانية والمصرية إحداهما أو كلتاهما تسخرهم لتنفيذ مقاصدها بما يعتقدون به ان هذه الثورة الحقيرة ستكون تمهيداً لقلب حكومة الحجاز ونزعها من يد ابن السعود.

والمنقبون عن خفايا الدسائس في مصر يقولون ان بعض الشرفاء موعود بان يجعل اميرا على الحجاز بعد الحاقه بمصر، وان يجعل راتبه ثمانين الف جنيه في السنة، وان يجعل له حامية مصرية مؤلفة من ستة آلاف من الجيش المنظم.

وجملة القول ان الانكليز ظنوا ان الفرصة الآن سانحة لايقاد نيران ثورة في الحجاز شر من ثورة نجد السابقة، اما ان تنتهي باخراج ابن السعود من الحجاز أو باضطراره الى الاعتراف لهم بالحاق العقبة ومعان بشرق الاردن، لأن الاوان قد آن لاحداث ما يريدون فيها من الاعمال التجارية والعسكرية لقرب وصول أنابيب زيت البترول من العراق الى البحر المتوسط ولكن ابن السعود قد شعر بالمراد، وجمع من القوات النجدية والحجازية ما يفوق ما جمعه الانكليز استعدادا لدرء الفتنة.

إن أقوال الجرائد الانكليزية الكبرى كالتيمس والديلي تلغراف في تكبير حركة

ابن رفاده الصغيرة وفي اراجيفها الكثيرة فيما تحكيه عن اهل الحجاز وعن سائر المسلمين من تمنيهم لزوال سلطة « الوهابيين » عن الحجاز بفسرها للمسلمين استعداد الانكليز العسكري على حدود الحجاز ونجد من العقبة الى آخر حدود شرق الاردن وتفسره اقوال الامير عبدالله الذي وضع هذه البلاد تحت سيطرتها العسكرية من تصريحه بعداوة ابن السعود وسعيه طول حياته لاستعادة ملك الحجاز الى نفسه وتفسره اقوال مستر كلوب (ابوحنيك) الانكليزي وأعماله في تنظيم قوات شرق الاردن العربية والانكليزية الذي يعيد فيها سيرته الاولى بين نجد والعراق التي أعقبت ثورة الدويش، وهذه الاقوال نشرتها الجرائد كلها فحسبنا العبرة بها من ذكرها

وحاصل هذه الاقوال والافعال أن الانكليز يريدون نقض ماعاهدوا عليه ملك الحجاز ونجد من أنهم لا يحدثون حدثا في منطقة العقبة ومعان مدة سبع سنين أو يحملوه على مطاردة ابن رفادة فيها اذا لجأ اليها فيتهموه بنقضها ويعلنوا احتلالها للضرورة والا فانهم يسخرون العرب للقضاء على ملك العرب ، ويسخرون المسلمين لتمكينهم من هدم الاسلام واذلاله بوضع الحرمين الشريفين تحت نفوذهم وسلطانهم كشرق الاردن ومصر فان خليج العقبة من الحجاز كزقاق البوسفور من مدينة الاستانة أو أعظم وان الطريق منها الى العراق من جزيرة العرب وسورية والعراق كنياط القلب وهو الشريان الاعظم في الجسم كما بينا ذلك في المنار مرارا

كذب الانجليز في دعواهم أن المسلمين لايسوءهم اخراج ابن السعود من الحجاز فها هي ذي جميع الجرائد الاسلامية في مصر وغيرها تعلن سخطها على ابن رفادة الخائن ، وتمد كل من يساعده خائناً لامته ودينه ، وكل مسلمي مصر ساخطون على حكومتهم لعدم اعترافها بحكومة ابن السعود ولعدم ارسالها الى الحجاز حقوقه وحقوق أهله في أوقاف الحرمين في العهد السعودي مع اشتداد العسرة في هذا العام . كل هذا وأكثرهم لما يشعروا بمقاصد الانكليز في العقبة ومعان وشرق الاردن والعراق، وانهم يريدون تأليف امبراطورية عربية لا تقوم معها للعرب ولا للاسلام قائمة ولا تطمع بعدها مصر ولا جزيرة العرب باستقلال ديني ولا دنيوي فيجب على الصحف الاسلامية في مصر والهند وغيرهما من الاقطار أن ينبهوا

العالم الاسلامي لهذا الخطر الانكليزي على حرم الله وحرم رسوله وعلى الصحف العربية ان تذكر امتها بان كل جهادها في سبيل الاستقلال يكون عبثا إذا تم للانكليز ما يريدون من الحجاز وقد صار من المعلوم بالضرورة أنه لاسبيل لحفظ الحرمين الشريفين من نفوذ الاجانب الا الحكومة السعودية التي حفظت فيه الامن على أهله وعلى الحاج كما كان في صدر الاسلام

إلا أن الامة العربية لاتزال غافلة متخاذلة بفساد بعض امرائها وكبرائها واستعباد الطامعين لهم وانما الرجاء الاكبر في ايقاظ مسلمي الهند لهذا الخطر فيجب عليهم السعي لدرئه أو الاتحاد مع الهندوس للقضاء على هذه الدولة المتجبرة المتكبرة قبل أن تستولى على مهد دينهم وسنفرد لهذا مقالا خاصا نوجهه اليهم

وفيات الاعيان

﴿ الامير سيف الاسلام محمد أمير لواء الحديدة وملحقاتها ﴾

في منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٥٠ رزئت المملكة اليمانية، والامة العربية بوفاة هذا الامير الجليل ، والسيد النبيل ، النجل الثاني من أنجال جلالة (أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين، الامام يحيى بن حميد الدين)

توفي شهيد الشهامة الهاشمية ، والنجدة العربية ، غريقاً في سبيل إنقاذ غرقى من أتباعه في ساحل الحديدة، فنبضت اسلاك البرق بنعيه لمصر وغيرها من الاقطار، فاضطربت لها القرى والامصار ، وأكبرت الخطب صحف الاخبار على اختلاف سياستها وأحزابها، ونوهت بمناقب الفقيد الشهيد التي كانت خاتمتها هذه النجدة التي بذل روحه الكريمة فيها، وتواترت التعازي البرقية والبريدية على جلالة والده المظيم من جميع الارجاء وكان أحسن الله عزاءه وأطال بقاءه يجيب كل معز بما يليق به من الطريق الذي جاءت به تعزيته . واننا نسجل في المنار ما كان من صفة شهادته، والمهم من ترجمته، ملخصاً من جريدة (الايمان) الغراء الشهرية التي تصدر في صنعاء عاصمة اليمن ثم ننشر تعزيتنا لجلالة والده الامام ورده الكريم :

﴿ صفة استشهاده من رسالة مكاتب الجريدة في الحديدة قال : ﴾

خرج رحمه الله في يوم الخميس الموافق ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ في جمع من خاصته الى مكان من شاطيء البحر الاحمر يبعد عن ميناء الحديدة بنصف ساعة بالسيارة تقريباً ، وكانت الخيام قد نصبت فاستراحوا قليلا ونزلوا يستحمون في البحر . وكان رحمه الله يجيد السباحة فمكثوا مدة ثم خرجوا بعدها الى الخيام يتجاذبون أطراف الحديث ويتذاكرون، وجلس سمو الامير يحدث الجميع - بتلك البساطة ، وذلك التواضع الذي هو خير من عرف به - عن المشاريع التي يعدها لاسعاد اليمن والحديدة خصوصاً، وعن عظيم آماله في أن يرى اليمن وسائر الاقطار العربية تخطو الخطوات الواسعة الى الامام في القريب العاجل ، وجلسوا طول تلك الليلة وسموه يحادثهم بعذب حديثه إلى ما بعد منتصف الليل حيث قام الجميع الى النوم فنام وقام بعد ساعة يحدث الجميع عن رؤياه التي رآها وهي [انه خرج من جميع ماله وتصدق بالباقي على الفقراء وسافر لأداء فريضة الحج وهو باك] فجعل كل يفسر تلك الرؤيا تفسيراً تطمئن له القلوب ، ثم تناولوا طعام الافطار بعد أداء فريضة الصلاة وجلسوا يتحدثون الى قريب الظهر ، فأظهر سموه رحمه الله الرغبة في الاستحمام ودفع الجميع إلى البحر ولكن سرعان ما اشتدت الريح وقوي المد ، وصار كل يجاهد ويغالب الموت الذي كان ينشر رايته المشئومة

وعند ذلك تتجلى شجاعة ذلك الامير العظيم فيندفع بنفسه يغالب الامواج الثائرة والأمواج المتلاطمة مسرعاً لينقذ من كان في خطر ، أنقذ الاول ورجع الثاني والثالث ثم ما رجع الرابع يريد إنقاذه إلا وتعلق به وفي تلك اللحظة حم القضاء ونفذت إرادة العظيم القادر فهبط إلى قاع البحر وذهب سموه الى رحمة ربه شهيد المروءة والإنقاذ شهيد الشهامة والشجاعة — وما علمت تلك الامواج الثائرة التي اختطفته انها اختطفت آمال امة جزعت وذهلت لهول المصاب الذي عقد الالسن منها

عصم الله تلك القلوب الدامية بجميل الصبر أما ذكراه الطيبة الطاهرة فخالدة الى الابد

مولده ونشأته

«ولد رحمه الله ورضي عنه في رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف بمقام جده مولانا الامام المنصور بالله رب العالمين أبي يحيى محمد بن حميد الدين رضوان الله عليه ونشأ في حجر والده إمام الزمن أمير المؤمنين أيده الله وأمد مدته

مغارس طالت في ربى المجد والتقت على أنبيـاء الله والخلفـاء

وعلى هذا يكون عمره الشريف عند وفاته أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً.

ونشأ بمحروس قفلة عذر وهنالك كرع من بحر الفضائل، وجثى بين أيدي العلماء الفطاحل، فاشترى نفيس الفوائد بنوم أجفانه، حتى تفرد بعرفانه، وكان المجلى على أقرانه في تحصيل العلوم، والتحلي بمنطوقها والمفهوم. وله مشايخ كثيرون في جميع العلوم والفنون - منهم في مبادىء الطلب الفقيه لطف بن سعد السميني والسيد الفاضل محمد بن عبد الله المقدمي الاهنومي والقاضي يحيى بن محمد الغشم الآنسي والفقيه المحقق احمد بن قاسم الشمط الاهنومي

وعند أن قوي ساعده في الادراك رشف من معين القاضي العلامة عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي. والقاضي المحدث اسحاق بن عبد الله المجاهد الصنعاني والسيد العلامة حسين بن محمد أبو طالب والمولى العلامة شيخ الاسلام علي بن علي اليماني. والسيد العلامة المحقق عباس بن احمد بن ابراهيم الحسني وغيرهم كثير

وقد أجازه كثير من أعلام العلماء الذين تشد اليهم الرحال، وتضرب بعلو درجاتهم الامثال، في المعقول والمنقول، فممن أجازه إجازة عامة والده جلالة مولانا أمير المؤمنين أيده الله ومتع الاسلام والمسلمين بمضاعفة أيامه

وأجازه المولى العلامة الحجة شرف الاسلام القاضي الحسين بن علي العمري حفظه الله والمولى العلامة سيف الاسلام احمد بن قاسم حميد الدين والمولى العلامة رئيس المحكمة الاستئنافية السيد زيد بن علي الديلمي والسيد العلامة الحافظ احمد ابن عبد الله الكبسي والمولى شيخ الاسلام علي بن علي اليماني. والاستاذ العلامة خليل أسعد افندي رئيس محكمة التدقيق الحنفية. والسيد الحافظ أحمد بن محمد

الغماري المغربي الحسني. والاستاذ الشهير محمد حبيب الله الشنقيطي المغربي نزيل القاهرة وسواهم كثير وجم غفير. اه وللفقيد شعر كثير ذكر منه المترجم هذين البيتين.

وما هذه الدنيا سوى كسب مغنم ... لأجر جزيـل أو لذكر مجمـل

فمن جاد منها لم يكن خاسرا بها ... ولا ناقصاً والفضـل للمتقبـل

(المنار) كان ينبغي لكاتب الترجمه أن يذكر ماتولاه الفقيد من الاعمال وسيرته فيها، و سفره إلى ايطالية وما استفاده منه ، وما كان له من الآمال في خدمة أمته ووطنه التي أشرنا اليها في تعزية والده .

(تعزيتنا لجلالة الامام الهمام)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رشيد آل رضا إلى حضرة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين. سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين

أما بعد فان مصابكم بنجلكم الكريم الهمام، الامير محمد سيف الاسلام، هو مصاب لنا وللامة العربية والملة الاسلامية : هو مصاب لنا لاننا منكم نشعر بشعوركم ،ونألم لآلمكم ، كما نسر بكل نعمة يسبغها الله عليكم ـ وهو مصاب للامة العربية لان نجلكم أمير من أعظم أمرائها، وزعيم من خير زعمائها ،كانت ترجو أن يكون من أرسخ دعائم نهضتها ، بعلو همته ، وزكاء قريحته ، وحسن تربيته ، وسعة علمه وخبرته : في شرف أرومته ، وكرم منبته ، وقد ظهرت لها بوادر أعماله الاصلاحية ،من إدارية وعسكريه ، وشهد لها سبب شهادته بكبر شهامته ، وإيثاره ونجدته ـ وهو مصاب الملة الاسلامية بما كان سيفاً من سيوفها المسلولة ،وربانا من ربابنة سفينة نجاتها المأمولة ـ فهذا مابلغنا من نعوته وشمائله ، وماروي لنا عن آرائه وآماله ، المستنبطة من أقواله وأعماله

فأجدر باولي الشعور من شعوب أمته ، وبمحبي الاتفاق من أهل المذاهب المختلفة في ملته ، أن يعدوا شهادته مصيبة عامة ، وكارثة طامة ، تملا القلوب حزنا

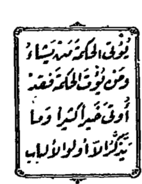
وخشوعا ، وتفيض لها العيون دموعا ، وتردد الالسن فيها حوقلة واسترجاعا

وأما أنت أيها الامام العظيم، والأب الرؤف الرحيم ، فلئن كنت أجدر بحزن القلب وفيض الدمع ،بمقتضى سلامة الطبع وهدي الشرع ، فلأنت أحق بالصبر الجميل ، وأحرص على صلوات الله ورحمته للصابرين المسترجعين ،بما أوتيت من قوة الايمان ، وثبات الجنان ، وسعة العرفان ، وقيامك في محراب الامامة في الدين ،والاسوة الحسنة في جدك محمد رسول الله وخاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى آ له الطاهرين، ولاحول ولاقوة إلابالله العلي العظيم م؟

﴿ جواب جلالة الامام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد العلامة والمرشد الفاضل الفهامة ، الشريف محمد رشيد آل رضا صاحب المنار ، حرس الله مهجته ، وأطال في الرشاد مدته ، والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته ، أيها السيد الفاضل ما أوفى كتابكم الكريم باداء سنة الدين ، وأشفاه بيانا لحسن العزاء بمن مضى شهيداً ولحق بسلفه الصالحين،وأراع بالفراق قبل الامتاع ، ولبى نداء ربه ممتطياً صهوة الاسراع ، فلئن كان المصاب بوفاته عظيما ،والرزء بمفاجأة يومه جسيما ،قد بلغ الغاية من مرارة النكاية، واضرام حرارة الاحزان ، واثارة عواصف الاشجان ، فما في كتابكم الكريم من تحلية الفقيد رحمه الله بنعوت المادح ، والتوصية بالصبر الجميل في المصاب الفادح،والتسلية بذلك الاسلوب المرغوب من القول الشارح ، قدبلغ الغاية في الافادة ، وحسن البيان والاجادة ، فشكراً لكم على تلك اليد البيضاء المجلوة في الكتاب ، وامتنانا يزف اليكم مقرونا بثناء مستطاب ،والله سبحانه يجبر المصاب بما نرجوه من وفور الاجر،والاعانة على دوام الاعتصام بالصبر ،والتحلي بالرضا والتسليم،لحكم الرب الحكيم، واسبال شآبيب الرحمة والرضوان على الفقيد الشهيد، والاستعداد ليوم المعاد، وبلوغ المراد من حسن الختام،والدعا مستمد وشريف السلام. في١٨ المحرم سنة ٥١





بشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

ربيع الاول سنة ١٣٥١ هـ ق برج الاسد سنة ١٣١١ هـ ش يوليه سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

آية الله الكبرى ـ القرآن العظيم

﴿ القرآن الكريم ، القرآن الحكيم ، القرآن المجيد ، الكتاب العزيز ﴾

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

هو كتاب لا كالكتب ، هو آية لا كالآيات ، هو معجزة لا كالمعجزات ، هو نور لا كالانوار ، هو سر لا كالاسرار ، هو كلام لا كالكلام ، هو كلام الله الحي القيوم الذي ليس لروح القدس جبريل الامين عليه السلام منه إلا نقله بلفظه العربي من الافق الأعلى إلى هذه الارض ، ولا لمحمد رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله منه الا تبليغه للناس ليهتدوا به ، فهو معجز للخلق

بلفظه ونظمه وأسلوبه وعلومه وهدايته ، لم يكن في استطاعة محمد ﷺ أن يأتي بسورة من سوره بكسبه ومعارفه ، وفصاحته وبلاغته ، وهو (ص) لم يكن عالما ولا بليغا ممتازا الا به ، وكل متقن للغة العربية يدرك الفرق العظيم بين القرآن والاحاديث النبوية ، بل كثيراً ما يدركها العوام من العرب المستعربين

قد بينت في تفسير آية التحدي بالقرآن من سورة البقرة (٢ : ٢٣) أهم وجوه الاعجاز اللفظي والمعنوي بالاجمال والايجاز وأعود هنا الى الكلام في علوم القرآن المصلحة للبشر بما يحتمله المقام من البسط والتفصيل ، وهو القدر الذي يعلم منه أن هذه العلوم أعلى من كل ماحفظه التاريخ عن جميع الانبياء والحكماء ، وواضعي الشرائع والقوانين ، وساسة الشعوب والامم

فمن كان يؤمن بأن للعالم رباً عليما حكيما رحيما مريدا فاعلا مختارا فلا مندوحة له ولا مناص من الايمان بأن هذا القرآن وحي من لدنه عز وجل أنزله على خاتم انبيائه المرسلين رحمة بهم ليهتدوا به إلى تكميل فطرتهم ، وتزكية أنفسهم ، وإصلاح مجتمعهم من المفاسد التي كانت عامة لجميع أممهم ، فيكون اتباع محمد فرضا إلهياً لازباً عاما كما قال تعالى (٧ : ١٥٨ قل ياءيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)

ومن كان لا يؤمن بوجود هذا الرب العليم الحكيم فلا مندوحة له عن الجزم بأن محمدا أكمل وأفضل وأعلم وأحكم من كل من عرف في هذا العالم من الحكماء الهادين المهديين ، ويكون الواجب بمقتضى العقل ان يعترف له هؤلاء بأنه سيد البشر على الاطلاق وأولاهم بالاتباع بعنوان (سيد البشر وحكيمهم الاعظم)

واننا رأينا بعض المنصفين من الواقفين على السيرة المحمدية الذين يفهمون القرآن في الجملة يعترفون بهذا قولا وكتابة (منهم) الاستاذ مولر الانكليزي المشهور ، ومنهم ذلك الفيلسوف الطبيب السوري الكاثوليكي النشأة الذي رأى في مجلة المنار بعض المناقب المحمدية فكتب الينا كتابا يقول في اوله : أنت تنظر الى

محمد كنبي فتراه عظيما ، وأنا أنظر اليه كرجل فأعده اعظم وذكر ابياتا في وصفه ووصف القرآن وما فيه من محكم الآيات ، النافعة لمن عقلهـا من تقييد العمران بالعادات ، وإصلاحه للبشر بحكمة بيانه وقوة بنانه ، وختمها بقوله :

ببيانه أربى على أهل النهى وبسيفه أمحى على الهامات

من دونه الابطال في كل الورى من سابق أو حاضر أو آت

والمؤمنون بهذه الحقيقة من أحرار مفكري الشعوب كلها كثيرون ، ولكن الجاحدين لوجود رب مدبر للعالمين قليلون ، وان محمدا ﷺ لحجـة عليهم في نشأته وتربيته وما علم بالضرورة من صدقه الفطري المطبوع ، ثم بما جاء به في سن الكهولة من هذه العلوم المصلحة لجميع شؤون البشر في كل زمان إذا عقلوها واهتدوا بها ، وإسناده إياها الى الوحي الالهي ، فهو ﷺ بمزاياه هذه حجة وبرهان على وجود الرب الخالق الحكيم بل مجموعة حجج عقلية وطبيعية ـ وهاك أيها القارىء ماأزفه اليك من قواعد تلك العلوم الاصلاحية بعد تمهيد وجيز في أسلوب القرآن وحكمة جعل تلك العلوم الكلية متفرقة في سوره بأسلوبه الغريب العجيب، وهذا المعنى قد بيناه من قبل وإنما نعيده مع زيادة مفيدة وإيضاح اقتداء بأسلوب القرآن نفسه في تكرار المعنى الواحد في المواقع المقتضية له من ايجاز أو إسهاب، وتفصيل او إجمال

(أسلوب القرآن الخاص وحكمته واعجازه به)

لو أن عقائد الاسلام المنزلة في القرآن من الايمان بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء ودار الثواب ودار العقاب جمعت وحدها مرتبة في ثلاث سور أو اربع اوخمس مثلا ككتب العقائد المدونة — ولو ان عباداته من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج وضع كل منها في بضع سور أيضا ككتب الفقه المصنفة ـ ولو أن آدابه وحكمه وفضائله الواجبة والمندوبة ، وما يقابلها من الرذائل والاعمال المحرمة والمكروهة ، أفردت هي وما يقتضيه الترغيب والترهيب من المواعظ والنذر والامثال الباعثة لشعوري الخوف والرجاء في بضع سور أخرى ككتب الاخلاق والآداب المؤلفة ـ ولو

ان قواعده التشريعية وأحكامه السياسية والمدنية وعقوباته التأديبية رتبت في عدة سور خاصة بها كأسفار القوانين الوضعية - ثم لو ان قصص النبيين المرسلين ومافيها من العبر والمواعظ والسنن الالهية سردت في سورها مرتبة كدواوين التاريخ - لو أن كل ماذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن التي أراد الله بها اصلاح شؤون البشر جمع كل نوع منها وحده كترتيب أسفار التوراة التاريخي الذي لا يعلم احد مرتبه أو كتب العلم والفقه والقوانين لفقد القرآن بذلك اعظم مزايا هدايته المقصودة بالقصد الاول للغاية التي انتهت اليها ، وأخص أنواع إعجازه ايضا

ويعلم هذا وذاك مما نبينه من فوائد نظمه وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين، العليم الحكيم الرحيم ، وهو مزج تلك المقاصد كلها بعضها ببعض وتفريقها في السور الكثيرة ،الطويلة منها والقصيرة ، بالمناسبات المختلفة ، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب ، المحركة للشعور ،النافية للسآمة والملل من المواظبة على ترتيلها بنغمات نظمه الخاص به وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من التغني الذي يحدث في القلب وجدان الخشوع، وخشية الاجلال للرب المعبود ، والرجاء في رضوانه ورحمته ، والخوف من عقوبته، بما لا نظير له في كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع

الثورة والانقلاب الذي أحدثه القرآن في البشر

فالقرآن كتاب أنزل على قلب رجل أمي نشأ على الفطرة البشرية سليم العقل صقيل النفس طاهر الاخلاق لم تملكه تقاليد دينية ولا أهواء دنيوية لأجل إحداث ثورة وانقلاب كبير في العرب فسائر الامم يكتسح من العالم الانساني مادنس فطرته من رجس الشرك والوثنية الذي هبط بهذا الانسان من أفقه الاعلى في عالم الارض إلى عبادة مثله وما هو دونه من هذه المخلوقات ، وما أفسد عقله وذهب باستقلال فكره من البدع الكنسية ، والتقاليد المذهبية ، التي أحالت توحيد الانبياء الاولين شركا وحقهم باطلا ، وما أفسد بأسه، وأذل نفسه، وسلبه ارادته، من استبداد الملوك الظالمين ، والرؤساء القاهرين ، ثورة تحرر العقل البشري والارادة الانسانية من رق المنتحلين لانفسهم صفة الربوبية أو النيابة عنها في التحكم

في الناس واستذلالهم، فيكون كل امريء حرا كريماً في نفسه، عبدا خالصا لربه واِلهه، ويوجه قواه العقلية والبدنية الى تكميل نفسه وجنسه

مثل هذه الثورة الانسانية لايمكن أن تكون الا على قاعدة القرآن في قوله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) وكيف يكون تغيير الاقوام لما بأنفسهم من العقائد والاخلاق والصفات ، التى طبعتها عليها العبادات الموروثة والعادات الراسخة ؟

هل يكفي في ذلك قيام مصلح فيهم يضع لهم كتابا تعليمياً جافا ككتب الفنون يقول فيه انكم أيها الناس ضالون فاسدون ، ومضلون مفسدون ، فاعملوا بهذا الكتاب تهتدوا وتصلحوا ، أو قانونا مدنيا يقول في مقدمته نفذوا هذا القانون تحفظ حقوقكم ، وتعتز أمتكم وتقو دولتكم ؟ أنى وقد عهد من الناس الفاسدين المفسدين سوء التصرف بكتب أنبيائهم المرسلين، واهمال قوانين حكمائهم المصلحين، وإنما توضع القوانين للحكومات المنظمة ذات السلطان والقوة التي تكفل تنفيذها ، وأنى لمحمد فعل هذا في الامة العربية وقد بعث بالحجة والبرهان، فريداً وحيداً لاعصبة له من قومه ولاسلطان؟ على انه جاء بأعدل الأصول التي تبني عليها امته قوانينها عند تكوين دولتها ، في الاحوال الملائمة لها كما يعلم مما يأتي

كلا ان هذه الثورة ما كان يمكن أن تحدث إلا بما حدثت به وهو تأثير هذا القرآن في الامة العربية التي كانت أشد الامم البدوية والمدنية استعدادا فطريا لظهور الاسلام فيها بالاقناع كما بيناه بالتفصيل في كتابنا (خلاصة السيرة المحمدية)

ذلك بان من طباع البشر في معرفة الحق والباطل والخير والشر، والعمل بمقتضى المعرفة وان خالف مقتضى الاهواء والشهوات ، والتقاليد والعادات ، ان مجرد البيان والاعلام والامر والنهي لايكفي في الحمل على التزام الحق ونصره على الباطل، ولافي أداء الواجب من عمل الخير وترك الشر في حال تعارض المقتضي العلمي لهما مع المانع أو الموانع النفسية والعملية التي ذكرناها آنفا ، إلا في بعض الافراد من الناس دون الجماعات والاقوام .بل مضت سنة الله في تثبيت الحق والخير

في النفس وصدور آثارهما عنهما بالعمل ، أنه يتوقف على صيرورة الايمان بهما اذعانا وجدانيا حاكما على القلب، راجحا على ما يخالفه من رغب ورهب وألم وأمل، وانما يكون هذا في الاحداث بالتربية العلمية العملية والاسوة الحسنة لهم فيمن ينشؤن بينهم من الوالدين والاقربين والمعاشرين

وأما كبار السن فلا سبيل إلى جعل الايمان بالحق المطلق والخير العام اذعانا وجدانيا لجمهورهم إلا بالاسلوب الذي نزل به القرآن فقلب به طباع الكهول والشبان وأخلاقهم وتقاليدهم وعاداتهم وحولها إلى ضدها علما وعملا بما لم يعهد له نظير في البشر بتأثير آخر، فكان القرآن آية خارقة للمعهود من سنن الاجتماع البشري في تأثيره ، بالتبع لكونه آية معجزة للبشر في لغته وأساليبه

واعتبر هذا ببني اسرائيل سلالة النبيين ، فان كل ما رأوه بمصر من آيات موسى عليه السلام، ثم ما رأوه في برية سينا مدة التيه منها، ومن عناية الله تعالى بهم ، ومن سماعهم كلام الله تعالى بآذانهم في لهيب النار المشتعلة على ما ترويه توراتهم - ولم يثبت عندنا التكليم الا لنبيهم - أنهم على هذا كله لم يتغير شيء من أخلاقهم، ولا من تأثير الوثنية المصرية فيهم ، وقد عذبوا موسى عذابا نكرا ، وعاندوه في كل ما كان يأمرهم به ، حتى وصفهم الله في التوراة بالشعب الصلب الرقبة ، وهو كناية عن البلادة والعناد ، وعصل الطباع المانع من الانقياد، وظل ذلك كذلك إلى أن باد ذلك الجيل الفاسد بعد أربعين سنة ونشأ فيهم جيل جديد ممن كانوا أطفالا عند الخروج من مصر وممن ولد في التيه أمكن أن يعقلوا التوحيد والشريعة، وأن يعملوا بها، ويجاهدوا في سبيلها ، وانما كان ذلك بعد موت موسى عليه السلام

فأين بنو اسرائيل من أصحاب محمد ﷺ الذين تربوا بسماع القرآن وترتيله وتدبره في رسوخهم في الايمان، وصبرهم على أذى المشركين واضطهادهم إياهم ليفتنوهم عن دينهم ، ثم في مجاهدتهم لهم عند الامكان بعد الهجرة ، ومجاهدة اعوانهم من أهل الكتاب (اليهود) وتطهيرهم الحجاز وسائر جزيرة العرب من كفر الفريقين في عهده ﷺ ثم من تدفقهم انفسهم كالسيل على الاقطار من نواحي الجزيرة الثلاث (الشرق والغرب والشمال) والظهور على ملكي قيصر وكسرى أعظم

ملوك الارض وإزالة الشرك والظلم منها ، ونشر التوحيد والحق والعدل فيها ، ودخول الامم في دين الله أفواجا مختارين اهتداء بهم ، وعنايتهم بتعلم العربية بالتبع لعنايتهم بالدين

وقد كانت مدة البعثة المحمدية كلها عشرين سنة أي نصف مدة التيه ، وكان ذهب نصفها في الدعوة وتبليغ الدين للافراد بمكة ، والنصف الآخر هو الذي تم فيه الانقلاب العربي من تشريع وتنفيذ وجهاد

وأنى يبلغ الشعب الذي وصفه ربه في كتابه بالشعب الصلب الرقبة رتبة الذين وصفهم رب العالمين بقوله (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الآيات

لاجرم أن سبب هذا كله تأثير القرآن بهذا الاسلوب الذي نراه في المصحف فقد كان النبي ﷺ يجاهد به الكافرين كما أمره الله بقوله (٢٥ : ٥٢ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) ثم كان به يربي المؤمنين ويزكيهم ، وبهدايته ربوا الامم وهذبوها ، وقلما يقرؤه احد كما كانوا يقرءون ، إلا ويهتدي به كما كانوا يهتدون ، على تفاوت في الاستعداد النفسي واللغوي واختلاف الزمان لا يخفى ولو كان القرآن باسلوب الكتب العلمية والقوانين الوضعية لما كان له ذلك التأثير الذي غير ما بأنفس العرب فغيروا به أمم العجم ، فكانوا كلهم كما وصفهم الله عز وجل بقوله (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)

(فعل القرآن في أنفس العرب المستعدة له نوعان)

وبيان ذلك ان فعل القرآن في أنفس العرب وإحداثه تلك الثورة الكبرى فيهم قد كان على نوعين أولهما جذبه الناس الى الاسلام ، وثانيهما تزكيتهم وتغيير كل ما كان بانفسهم من جهل وفساد الى ضده ، حتى اعقب ما أعقب من الاصلاح في العالم كله . وهاك التفصيل الذي يحتمله المقام لذلك

بينا مرارا ان الله تعالى قد أعد الامة العربية ولا سيما قريش ومن حولها لما أراده من الاصلاح العام للبشر بكونهم كانوا اقرب الامم الى سلامة الفطرة، وأرقاهم لغة وأقواهم استقلالا في العقل والارادة، لعدم وجود ملوك مستبدين ورؤساء دين أولي سلطان روحي يتحكمون في عقائدهم وأفكارهم ويسخرونهم لشهواتهم

فلما بعث فيهم محمد بهذا القرآن الداعي الى الحق والى صراط مستقيم كانوا على أتم الاستعداد الفطري لقبول دعوته، ولكن رؤساء قريش كانوا على مقربة من ملوك شعوب العجم في التمتع بالثروة الواسعة والعظمة الكاذبة والشهوات الفاتنة والسرف في الترف، وعلى حظ مما كان عليه رؤساء الاديان فيها من المكانة الدينية بسدانتهم لبيت الله الحرام الذي أودع الله تعظيمه في القلوب من عهد ابراهيم واسماعيل - فرأوا ان هذا الدين يسلبهم الانفراد بهذه العظمة الموروثة، وقد يفضل عليهم بعض الفقراء والموالي، وانه يحكم عليهم وعلى من يفاخرون بهم من آبائهم بالكفر والجهل والظلم والفسوق ويشبههم بسائمة الانعام — فوجهوا كل قواهم ونفوذهم الى صد محمد عن دعوته ولو بتمليكه عليهم، وجعله أغنى رجل فيهم، ولكن تعذر إقناعه بالرجوع عنها بالترغيب، حتى التمويل والتمليك، فقد أجاب عمه ابا طالب لما عرض عليه ما أرادوه من ذلك بتلك الكلمة العليا «ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ما تركته» حينئذ أجمعوا أمرهم على صده عن تبليغها بالقوة، والحيلولة بينه وبين جماهير الناس في الاسواق والمجامع والبيت الحرام، وبصد الناس عنه أن يأتوه ويستمعوا له، وباضطهاد من اتبعه بالدعوة الفردية، الا أن يكون له من يحميه منهم لقرابة او جوار او ذمة، فهؤلاء الرؤساء المترفون المسرفون المتكبرون كانوا أعلم الناس بصدق محمد وفيهم نزل قوله تعالى (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فقد كابروا الحق بغيا واستكبارا للحرص على رياستهم وشهواتهم، وكانوا اجدر العرب بقبول دعوة القرآن (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً) كفرعون وقارون وهامان

فعل القرآن في مشركي العرب

قلنا ان فعل القرآن في أنفس العرب كان على نوعين : فعله في المشركين ، وفعله في المؤمنين ، فالأول تأثير روعة بلاغته ودهشة نظمه وأسلوبه ، الجاذب لفهم دعوته والايمان به، وكانوا يتفاوتون في هذا النوع تفاوتاً كبيراً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم المعاني العالية .

فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته العالية فيه لابي جهل التي اعترف فيها بانه الحق الذي يعلو ولا يعلى ، والذي يحطم ما تحته ، وكانت كلمة فائضة من نور عقله وصميم وجدانه، وما استطاع أن يقول كلمة أخرى في الصد عنه بعد إلحاح أبي جهل عليه باقتراحها إلا بتكلف لمكابرة عقله ووجدانه، وبعد أن فكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، وأدبر واستكبر، كما يعلم من سورة المدثر وسبب نزول قوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) الآيات

وهذا التأثير هو الذي كان يجذب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلا لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته، على ما كان من نهيهم ونأيهم عنه ، وتواصيهم وتقاسمهم لا يسمعون له ، ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين ، ويتلاقون في الطريق متلاومين،

وهذا التأثير هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق (رض) من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلا لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب الى الاسلام ، وعللوا ذلك بانه يفتن عليهم نساءهم وأولادهم ، فاتخذ مسجداً له بفناء داره فطفق النساء والاولاد الناشئون ينسلون إلى بيته ليلا لاستماع القرآن، فنهاه أشراف المشركين بان العلة لا تزال، وانهم يخشون أن يغلبهم نساؤهم وأولادهم على الاسلام ، وكانوا ألجأوه إلى الهجرة فهاجر فلقي في طريقه ابن الدغنة سيد قومه فسأله سبب هجرته فأخبره الخبر وهو يعرف فضائل أبي بكر من قبل الاسلام فاجاره وأعاده إلى مكة بجواره فعاد إلى قراءته وعاد النساء والنشء الحديث الى الاستماع له، حتى اضطر المشركون ابن الدغنة إلى اقناعه بترك رفع صوته بالقرآن أو يرد عليه جواره، فرد أبو بكر جواره اكتفاء بجوار الله تعالى ، وخبره هذا رواه البخاري في باب الهجرة وأوردناه بطوله في تفسير آية الغار (ص ٤٣٦ من الجزء العاشر)

بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي (ص) بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفي أسواق الموسم ومجامعه ، وعلى تواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

وقد أدرك هذا أحد فلاسفة فرنسة فذكر في كتاب له قول دعاة النصرانية إن محمداً لم يأت بآية على نبوته كآيات موسى وعيسى وقال في الرد عليهم: ان محمدا كان يقرأ القرآن خاشعاً أواها متألها فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الايمان مالم تفعله جميع آيات الانبياء الاولين (أقول) ولو كان القرآن ككتب القوانين المرتبة وكتب الفنون المبوبة ، لما كان لقليله وكثيره من التأثير ما كان لسوره المنزلة.

كان كل مايطلبه النبي ﷺ من قومه أن يمكنوه من تبليغ دعوة ربه بتلاوة القرآن على الناس. قال تعالى مخاطباً له (٦ : ١٩ قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أي وأنذر به كل من بلغه من غيركم من الناس. وقال في آخر سورة النحل (٢٧ : ٩١ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت أن أكون من المسلمين (٩٢) وأن أتلو القرآن : فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين (٩٣) وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

ان رؤساء قريش عرفوا من قوة جذب الناس الى الاسلام بوقعه في أنفسهم ما لم يعرفه غيرهم ، وعرفوا أنه ليس لجمهور العرب مثل مالهم من أسباب الجحود والمكابرة، فقال لهم عمه أبولهب من أول الامر : خذوا على يديه ، قبل أن تجتمع العرب عليه» ففعلوا. وكان من ثباته على بث الدعوة واحتمال الاذى ماأفضى بهم إلى الاضطهاد وأشد الايذاء له ولمن يؤمن به ، ثم اجماع الرأي على قتله ، حتى الجؤهم الي الهجرة بعد الهجرة. ثم صاروا يقاتلونه في دار هجرته وماحولها، وينصره الله عليهم، إلى أن اضطروا إلى عقد الصلح معه في الحديبية سنة ست من الهجرة وكان أهم شروط الصلح السماح للمؤمنين بمخالطة المشركين الذي كان سبب سماعهم للقرآن ، ودخولهم بتأثيره في دين الله أفواجا، فكان انتشار الاسلام في أربع سنين بالسلم والامان، أضعاف انتشاره في ست عشرة سنة من أول الاسلام.

فعل القرآن في أنفس المؤمنين

كان كل من يدخل في الاسلام قبل الهجرة يلقن مانزل من القرآن ـ ليعبد الله بتلاوته ـ ويعلم الصلاة ولم يفرض في مكة من أركان الاسلام غيرها، فيرتل مايحفظه في صلاته اقتداء بالنبي ﷺ إذ فرض الله عليه التهجد بالليل من أول الاسلام قال تعالى في أول سورة المزمل التي قيل إنها أول مانزل بعد فترة الوحي وبعدها المدثر وقيل بالعكس ـ وتقدم الجمع بين الاقوال (ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا *) ثم قال في آخرها (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن) أي في صلاة الليل وغيرها ، ثم ذكر الاعذار المانعة من قيام الليل كله ماكان منها في ذلك العهد كالمرض والسفر ، وما سيكون بعد سنين وهو القتال في سبيل الله .

ومما ورد في صفة الصحابة (رض) أن الذي كان يمر ببيوتهم ليلا يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن ، وقد غلا بعضهم فكان يقوم الليل كله حتى شكا منهم نساؤهم فنهاهم النبي (ص) عن ذلك، وكان هو يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة يوتر بواحدة منهن، وما قبلها مثنى مثنى، وكان هو يطيل فيهن حتى تورمت قدماه من طول القيام فأنزل الله عليه مرفها ومسليا (طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى)

فتربية الصحابة التي غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفاسد الجاهلية وزكتها تلك التزكية التي أشرنا اليها آنفا وأحدثت أعظم ثورة روحية اجتماعية في التاريخ إنما كانت بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة وتدبره، حتى كانوا يقرؤنه مستلقين ومضطجعين كما وصفهم الله بقوله (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) وأعظم ذكر الله تلاوة كتابه المشتمل على ذكر أسمائه الحسنى وصفاته المقدسة وأحكامه وحكمه، وسننه في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه، ولو كان القرآن ككتب القوانين والفنون لما كان لتلاوته كل ذلك التأثير في قلب الطباع، وتغيير

الاوضاع ، بل لكانت تلاوته تمل فتترك ، فأسلوب القرآن الذي وصفناه آنفاً من أعظم أنواع اعجازه اللغوي ، وتأثيره الروحي ، ومن ارتاب في هذا فلينظر في المسائل التي تشتمل عليها السورة منه وليحاول كتابتها نفسها أومثلها بأسلوب تلك السورة ونظمها أو أسلوب سورة أخرى كالسور التي يتكرر فيها الموضوع الواحد بالاجمال الموجز تارة وببعض التفصيل تارة وبالاطناب فيه أخرى، - كالاعتبار بقصص الرسل مع أقوامهم في سور المفصل وفيما فوقها - ثم لينظر ما يفضي اليه عجزه من السخرية

وقد بين بعض علماء الاجتماع في هذا العصر ان تكرار الدعوات الدينية والسياسية والاجتماعية هي التي تثير الجماعات وتدعهم إلى الانهماك والتفاني فيها دعًّا ، وما كان محمد ولا أحد من أهل عصره يعلمون هذا ، ولكن الله يعلم من طباع الجماعات والاقوام فوق مايعلمه حكماء عصرنا وسائر الاعصار ، وانما القرآن كلامه ، وليس فيه من التكرار، الا ماله أكبر الشأن في انقلاب الافكار، وتحويل مافي الانفس من العقائد والاخلاق إلى خيرمنها ، وهومالا تكن احداث الانقلاب الاصلاحي بدونه كما تعلم من التفصيل الآتي

مقاصد القرآن ، في ترقية نوع الانسان

ان مقاصد القرآن من اصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم وادخالهم في طور الرشد وتحقيق اخوتهم الانسانية ووحدتهم وترقية عقولهم وتزكية أنفسهم منها مايكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أومرتين أومرارا قليلة ، ومنها مالاتحصل الغاية منه إلا بتكراره مرارا كثيرة لاجل أن يجتث من أعماق الانفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والعادات القبيحة الضارة ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه حتى يؤتي ثمره، ومنها مايجب أن يبدأ بها كاملة ومنها ما لايمكن كماله إلا بالتدريج ، ومنها ما لايمكن وجوده إلا في المستقبل

والقرآن كتاب تربية عملية وتعليم لا كتاب تعليم فقط فلايكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهود في كتب الفنون والقوانين ،وقد بين

الله تعالى ذلك بقوله في موضوع البعثة المحمدية (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) واننا نذكر هنا أصول هذه المقاصد كما وعدنا عند قولنا إن ماجاء به محمد (ص) هو أعلى وأكمل مما جاء به من قبله جميع الانبياء والحكماء والحكام فهو برهان على أنه من عند الله تعالى لا من فيض استعداده الشخصي ، وإننا نقسم هذه المقاصد إلى أنواع ونبين حكمة القرآن وما امتاز به في كل نوع منها

﴿ النوع الاول من مقاصده الاصلاح الديني ﴾

﴿ بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة ﴾

ان أركان الدين الاساسية التي بعث بها جميع رسل الله تعالى وناط بها سعادة البشر هي الثلاثة المبينة بقوله (٢:٦٢ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهاك الكلام على كل منها بالايجاز

الركن الاول للدين الايمان بالله تعالى

فالركن الاول الاعظم من هذه الاركان ـ وهو الايمان بالله تعالى ـ قد ضل فيه جميع الاقوام والأمم حتى أقربهم عهداً بهداية الرسل ، فاليهود جعلوا الله كالانسان يتعب ويندم على مافعل كخلقه للانسان لانه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله ، وزعموا انه كان يظهر في شكل الانسان حتى أنه صارع اسرائيل ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه ! وعبدوا بعلا وغيره من الاصنام . والنصارى جددوا من عهد قسطنطين الوثنيات القديمة ، فغمر الشرك بالله هذه الارض بطوفانه ، وطغت الوثنية على أهلها ، حتى صارت كنائس النصارى كهياكل الوثنية الاولى مملوءة بالصور والتماثيل المعبودة ـ على أن عقيدة التثليث والصلب والفداء هي عقيدة الهنود في كرشنة وثالوثه في جملتها وتفصيلها ، وهي مدعومة بفلسفة خيالية غير معقولة وبنظام يقوم بتنفيذه الملوك والقياصرة ، ويبذل في سبيله القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ويربى

عليه الاحداث من الصغر تربية وجدانية خيالية لا تقبل حجة ولا برهانا ، فهدم معاقل هذه الوثنية وحصونها المشيدة في الافكار والقلوب لا يتم باقامة برهان عقلي على توحيد الله عز وجل، بل لا بد فيه من دحض الشبهات وتفصيل الحجج العقلية والعلمية والخطابية بالعبارات المختلفة وضرب الامثال، لذلك كان أكثر المسائل تكرارا في القرآن مسألة توحيد الله عز وجل في ألوهيته بعبادته وحده ، واعتقاد أن كل ما سواه من الموجودات سواء في كونهم ملكا وعبيداً له لا يملكون من دونه نفعاً ولا ضرا لأحد إلا فيما سخره من الاسباب المشتركة بين الخلق كما شرحناه مرارا .

وأما تكرار توحيد الربوبية وهو انفراده تعالى بالخلق والتقدير والتدبير والتشريع الديني فليس سببه كثرة المشركين بربوبيته تعالى ، بل سببه إقامة الحجة به على شرك العبادة بدعاء غير الله تعالى لأجل التقرب اليه وابتغاء الشفاعة عنده، فشر الشرك وأعرقه في الكفر توجه العبد إلى غير الله تعالى فيما يشعر بالحاجة اليه من كشف ضر وجلب نفع من غير طريق الاسباب ، فقد ذكر الدعاء في القرآن أكثر من سبعين مرة، بل زهاء سبعين بعد سبعين مرة، لأنه روح العبادة ومخها، بل هو العبادة التي هي دين الفطرة كلها ، وما عداه من العبادات فوضعي تشريعي

بعض آيات الدعاء أمر بدعائه تعالى ، وبعضها نهي عن دعاء غيره مطلقا ، وبعضها إخبار بأن دعاء غيره لا ينفع ولا يستجاب ، وان كل من يدعى من دونه تعالى فهو عبد له، وان أفضلهم وخيارهم كالملائكة والانبياء يدعونه هو ويبتغون الوسيلة اليه، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، وانهم يوم القيامة يكفرون بشرك الذين يدعونهم من دون الله أو مع الله – وأمثال ذلك مما يطول تلخيصه

وثم انواع أخرى من آيات الايمان بالله تعالى تغذي التوحيد وتصعد بأهله درجات متفاوتة في السمو بمعرفته تعالى والتأله والتوله في حبه من التنزيه والتقديس والتسبيح، وذكر أسمائه الحسنى ممزوجة ببيان الاحكام حتى أحكام النساء والارث والاموال، وبحكم الخلق والتدبير لامور العالم، وسننه في طباع البشر وفي شؤونهم الاجتماعية . ووضع كل اسم منها في الموضع المناسب له من رحمة وعلم وحكمة وقدرة ومشيئة وحلم وعفو ومغفرة وحب ورضا وما يقابل ذلك ، ومن الامر بالتوكل

عليه والخوف منه والرجاء في فضله الخ وناهيك بما سرد منها سرداً لجذب الارواح العالية إلى كماله المطلق وفنائها فيه كما تراه في خاتمة سورة الحشر فتأملها ، وفي فاتحة سورة الحديد (سبح لله مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم * هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

بهذا التكرار الذي جعله أسلوب القرآن المعجز مقبولا غير مملول طهر الله عقول العرب وقلوبهم من رجس الشرك وخرافات الوثنية ، وزكاها بالاخلاق العالية والفضائل السامية ، وكذا غير العرب ممن آمن بالله وأتقن لغة كتابه وصار يرتله في عبادته ويتدبر آياته ، حتى إذا دب في الامة دبيب الجهل بلغة القرآن وقل تدبره واعتمد المسلمون في فهم عقيدتهم على الكتب الكلامية المصنفة ضعف التوحيد واتبعوا سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع اعتقاداً وعملا ، وتأولا وجدلا ، فصار أدعياء العلم يتأولون تلك الآيات الكثيرة على التوحيد بشبهاتهم وأهوائهم كما هو مشاهد ومعلوم

على أن بعض المتكلمين والصوفية قد بالغوا في التوحيد حتى أنكر بعضهم تأثير الاسباب في مسبباتها ، وقال بعضهم بوحدة الوجود ، وانتهى بهم ذلك الى بدعة الجبر التي أفسدت على أهلها كل شيء ، بيد أن الاولين منهم كانوا يقولون بما يهديهم اليه النظر العقلي ، أو رياضة النفس وما تثمره من الشعور الوجداني ، ثم خلف من بعدهم خلف من المقلدين لاحظ لهم من القرآن ولا من البرهان ولا من الوجدان ، وإنما يتبعون العوام ويتأولون لهم بكلام امثالهم من المصنفين الجاهلين . ولو فقهوا أقصر سورة في التوحيد والتنزيه كما يجب - وهي سورة الاخلاص - لما وجد الشرك الى أنفسهم سبيلا

قد كان توحيد المسلمين الاولين لله ومعرفتهم به وحبهم له وتوكلهم عليه هو الذي زكى أنفسهم ، وأعلى هممهم ، وكملهم بعزة النفس ، وشدة البأس ، وإقامة الحق والعدل ، ومكنهم من فتح البلاد وسياسة الامم ، واعتاقها من رق الكهنة والاحبار والرهبان والبوذات والموبذانات الروحي والعقلي ، وتحريرهم من ظلم الملوك واستبدادهم ، وإقامة دعائم الحضارة ، وإحياء العلوم والفنون الميتة وترقيتها فيهم ،

وقد تم لهم من كل ذلك مالم يقع مثله ولا مايقاربه لأمة من امم الارض ، حتى قال الدكتور غوستاف لوبون المؤرخ الاجتماعي الشهير : ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها لأمة من الامم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال ، أولها جيل التقليد وثانيها جيل الخضرمة وثالثها جيل الاستقلال والاجتهاد - قال : إلا العرب وحدهم فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الاول الذى بدؤا فيه بمزاولتها

وأقول ان سبب ذلك تربية القرآن لهم على استقلال العقل والفكر واحتقار التقليد ، وتوطين انفسهم على إمامة البشر وقيادتها في أمور الدين والدنيا معا ، وقد خفي كل هذا على سلائلهم بعد ذهاب الخلافة الاسلامية وزوال النهضة العربية وتحول السلطان الى الاعاجم الذين لم يكن لهم من الاسلام الا الظواهر التقليدية المنفصلة عن هداية القرآن .

الركن الثاني من اركان الدين

وأما الركن الثاني وهو الايمان باليوم الآخر ومايكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الاعمال ، فقد كان جل مشركي العرب ينكرونه اشد الانكار ، ولا يكمل الايمان بالله تعالى ويكون باعثاً للامة على العمل الصالح وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان بدونه ، وكان أهل الكتاب وغيرهم من الملل التي كان لها كتب وتشريع ديني ومدني ثم فقدت كتبهم واستحوذت عليهم الوثنية يؤمنون بحياة بعد الموت وجزاء على الاعمال ، ولكن ايمانهم هذا قد شابه الفساد ببنائه على بدع ذهبت بجل فائدته في إصلاح الناس ، وأساسها عند الهنود وغيرهم من قدماء الوثنيين وخلف النصارى وجود المخلص الفادي الذي يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه ، وهو الاقنوم الثاني من الثالوث الالهي الذي هو عين الاول والثالث ، وكل واحد منها عين الآخر . وكل مايقوله النصارى في فداء المسيح للبشر وغير ذلك فهو نسخة مطابقة لما يقوله الهنود في كرشنة في اللفظ والفحوى كما تقدم ، لا يختلفان إلا في الاسمين كرشنة ويسوع .

وأما اليهود فكل ديانتهم خاصة بشعب اسرائيل ومحاباة الله تعالى له على

سائر الشعوب في الدنيا والآخرة ، ودياناتهم أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، فكان فساد الايمان بهذا الركن من أركان الدين تابعاً لفساد الركن الاول وهو الايمان بالله تعالى ومعرفته ومحتاجا إلى الاصلاح مثله

جاء القرآن للبشر بهذا الاصلاح، فقد أعاد دين النبيين في الجزاء إلى أصله المعقول وهو ما كرم الله تعالى به الانسان من جعل سعادته وشقائه منوطين بايمانه وعمله ، اللذين هما من كسبه وسعيه لا من عمل غيره ، وان الجزاء على الكفر والمعاصي يكون بعدل الله تعالى بين جميع خلقه بدون محاباة شعب على شعب، والجزاء على الايمان والاعمال الصالحة يكون بمقتضى الفضل ، فالحسنة بعشر أمثالها وقد يضاعفها الله تعالى أضعافا كثيرة

ومدار كل ذلك قاعدة قوله تعالى (ونفس وماسواها * فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) أي إن الله الذي خلق هذه النفس وسواها بما وهبها من المشاعر والعقل ، قد جعلها بالهام الفطرة والغريزة مستعدة للفجور الذي يرديها ويدسيها ، والتقوى التي تنجيها وتعليها ، ومتمكنة من كل منهما بارادتها ، والترجيح بين خواطرها ومطالبها، ومنحها العقل والدين يرجحان الحق والخير على الباطل والشر، فبقدر طهارة النفس وأثر تزكيتها بالايمان ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال يكون ارتقاؤها في الدنيا وفي الآخرة، والضد بالضد : فالجزاء أثر طبيعي للعمل النفسي والبدني الذي يزكي النفس او يدسيها ويدنسها ، وهذا هو الحق الذي يثبته من عرف حقيقة الانسان ، وحكمة الديان ، وهو مما أصلحه القرآن من تعاليم الاديان

فاذا علمت ما كان من انكار مشركي العرب للبعث والجزاء ، ومن فساد إيمان أهل الكتاب وسائر الملل في هذه العقيدة ، وعلمت أنها مكملة للايمان بالله تعالى، وان تذكرها هو الذي يقوي الوازع النفسي الذي يصد الانسان عن الباطل والشر والظلم والبغي ، ويرغبه في التزام الحق والخير وعمل البر ـ علمت أن ذلك ما كان ليفعل فعله العاجل في شعب كبير الا بتكراره في القرآن بالاساليب العجيبة التي فيه من حسن

البيان ، وتقريب البعيد من الاذهان ، تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الامثال

الايمان بالبعث والجزاء وهو الركن الثاني في جميع الاديان من لوازم الركن الأول وهو الايمان بالله المتصف بجميع صفات الكمال ، المنزه عن العبث في أفعاله وأحكامه ، ولهذا كان من أظهر أدلة القرآن عليه قوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فمن كفر الانسان بحكمة ربه وعدله في خلقه ، وكفره لنعمته بخلقه في أحسن تقويم ، وتفضيله على أهل عالمه (الارض) حيث سخرها وكل ما فيها لمنافعه ، وعلى كثير ممن خلق في عالم الغيب الذي وعده بمصيره اليه ، ومن كفره بما وهبه من المشاعر والقوى والعقل ، وجهله بحكمته في خلقه مستعداً لما ليس له حد ونهاية من العلم ، الدال على انه خلق لحياة لا حد لها ولا نهاية ، ـ من لوازم هذا الكفر كله والجهل ، احتقاره لنفسه باعتقاده انه خلق عبثا لا لحكمة بالغة ، وأن وجوده في الارض موقوت محدود بهذا العمر القصير المنغص بالهموم والمصائب والظلم والبغي والآثام ، وانه يترك سدى لا يجزى كل ظالم بظلمه ، وكل عادل بعدله وفضله ، واذ كان هذا الجزاء غير مطرد في الدنيا لجميع الافراد ، تعين ان يكون جزاء الآخرة هو المظهر الاكبر للعدل العام

ومما جاء في القرآن مخالفاً لما عند النصارى من عقيدة البعث والجزاء ان الانسان في الحياة الآخرة يكون انسانا كما كان في الدنيا إلا أن اصحاب الأنفس الزكية والارواح العالية يكونون أكمل أرواحا وأجساداً مما كانوا بتزكية أنفسهم في الدنيا ، وأصحاب الانفس الخبيثة والارواح السافلة يكونون انقص وأخبث مما كانوا بتدسية أنفسهم في الدنيا ، ويعلم مما ثبت عن قدماء المصريين وغيرهم من الأقدمين أن الاديان القديمة كانت تعلم الناس عقيدة البعث بالروح والجسد

ولو كان البعث للارواح وحدها لنقص من ملكوت الله تعالى هذا النوع الكريم المكرم من الخلق المؤلف من روح وجسد ، فهو يدرك اللذات الروحية واللذات الجسدية ويتحقق بحكم الله وأسرار صنعه فيهما معاً ، من حيث حرم

الحيوان والنبات من الاولى والملائكة من الثانية، وما جنح من جنح من اصحاب النظريات الفلسفية إلى البعث الروحاني المجرد إلا لاحتقارهم للذات الجسدية وتسميتها بالحيوانية، وإنما تكون نقصاً في الانسان إذا سخر عقله وقواه لها وحدها حتى يصرفه اشتغاله بها عن اللذات العقلية والروحية بالعلم والعرفان - وأصل هذا الافراط والتفريط غلو الهنود في احتقار الجسد وتربية النفس بالرياضة وتعذيب الجسد وتبعهم فيه نساك النصارى كما تبعوهم في عقيدة الصلب والفداء والتثليث على انهم نقلوا ان المسيح عليه السلام شرب الخمر مع تلاميذه لما ودعهم في الفصح وقال لهم : اني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي. (متى ٢٦ : ٢٩) وجرى اليهود على عكس ذلك. وجاء الاسلام بالاعتدال فاعطى الانسان جميع حقوقه .

وقد بينا كل ما يتعلق بهذه المسألة من جميع اطرافها العلمية والدينية وكشف شبهاتها في تفسير سورة الانعام التي هي اجمع سور القرآن لمسائل الايمان بالله وتوحيده والبعث والرسالة ودحض شبهات المشركين عليها (ص ٤٧٠ - ٤٨١ ج ٨ تفسير)

ويؤخذ مما ورد من الآيات والاحاديث النبوية من صفة حياة الآخرة ان القوى الروحية تكون هي الغالبة والمتصرفة في الاجساد فتكون قادرة على التشكل بالصور اللطيفة وقطع المسافات البعيدة في المدة القريبة ، والتخاطب بالكلام بين اهل الجنة وأهل النار — وان ترقي البشر في علم الكيمياء وخواص الكهرباء والصناعات والآلات في عصرنا قد قرب كل هذا من حس الانسان بعد أن كان الماديون الملحدون يعدون مثل قوله تعالى (٧ : ٤٤ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم : ان لعنة الله على الظالمين) من تخيلات محمد صلوات الله وسلامه عليه - وها نحن أولاء نخاطب من مصر اهل عواصم اوربة بآلة التلفون ، ونسمع خطبهم ومعازفهم بآلة الراديو ، وسنراهم ويروننا بآلة التليفزيون مع التخاطب حينما يتم انتشارها

وأما علماء الروح من الافرنج وغيرهم فقد قرروا ان الارواح البشرية قادرة على التشكل في أجساد تأخذها من مادة الكون كما يقول الصوفية . وهذه مسألة او مسائل

قد شرحناها من قبل في هذا التفسير وانما نذكرها هنا بالاجمال رداً على من زعموا ان القرآن مستمد من كتب اليهود والنصارى ومن عقل محمد ﷺ وإلهاماته الروحية

ويناسب هذا ماجاء في القرآن من نبأ خراب العالم وقيام الساعة التي هي بدء ما يجب الايمان به من عقيدة البعث والجزاء ولم يوجد له اصل عند اهل الكتاب ولا غيرهم ولا هو مما يمكن أن يكون قد عرفه محمد ﷺ بذكائه او نظرياته العقلية. وجملته ان قارعة ـ والظاهر انها كوكب ـ تقرع الارض وتصخها صخا وترجها رجا فتكون هباء (غباراً رقيقا) منبثا في الفضاء . وحينئذ يختل مايسمى في عرف العلماء بالجاذبية العامة فتتناثر الكواكب الخ وهذا المعنى لم يكن يخطر ببال احد من علماء الكون ولا من علماء الدين فلا يمكن أن يقال ان محمداً ﷺ سمعه من احد في بلده او في سفره ، ولا يعقل أن يكون قاله برأيه وفكره، فهو من أنباء القرآن الكثيرة التي تدحض زعم القائلين بالوحي النفسي. وقد صرح غير واحد من علماء الهيئة الفلكية المعاصرين بأن خراب العالم بهذا السبب هو أقرب النظريات العلمية لخرابه

(الركن الثالث للدين ، العمل الصالح)

وأما الركن الثالث من مقاصد بعثة الرسل وهو العمل الصالح فهو مكرر في القرآن في سور كثيرة لاصلاح ماأفسده البشر فيه بجعله تقليديا غير مزك للنفس ولا مصلح لشؤون الاجتماع ، ولكن دون تكرار توحيد الله وتقديسه الذي هو الاصل الذي يتبعه غيره، ولولا الحاجة الى هذا التكرار في التذكير والتأثير لكانت سورة العصر كافية في الاصلاح العلمي العملي على قصرها ، كسورة الاخلاص في الركن الاول الاعتقادي ، وكل منهما تكتب في سطر واحد فهما من معجزات ايجاز القرآن وهدايته

ثم ان العمل الصالح من لوازم الايمان بالله في الدرجة الاولى لأن من عرف الله عرف استحقاقه للحمد والشكر والعبادة والحب والتعظيم ، وهو من لوازم الايمان بالجزاء على الاعمال في الدرجة الثانية خوفا من العقاب ورجاء في الثواب

ويدخل في الاعمال الصالحة العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، وسائر

أعمال البر التي ترضيه بما لها من التأثير في صلاح البشر كبر الوالدين وصلة الرحم واكرام اليتامى والمساكين. ومن أصوله الوصايا الجامعة في آيات سورة الاسراء (١٧ : ٢٣ وقضى ربك - الى قوله - ٣٩ ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) الخ وهي اجمع واعظم من الوصايا العشر التي في التوراة. وآيات سورة الانعام (٦: ١٥٢ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الخ - وغير ذلك مما ينفع الناس من الحث على الفضائل والزجر عن الرذائل والمعاصي الضارة بالابدان والاموال والاعراض والعقول والاديان ، ومثارها الاكبر اتباع الهوى وطاعة وسوسة الشيطان. ويضادهما ملكة التقوى فهي اسم جامع لما يقي النفس من كل ما يدنسها وتسوء به عاقبتها في الدنيا او الآخرة ولهذا تذكر في المسائل الدينية والزوجية والحربية وغيرها ، وقد فصلنا هذا في (ص ٦٤٨ ج ٩ تفسير) ولا حاجة الى التطويل بالشواهد على ما في القرآن منها

وسنة القرآن في الارشاد إلى الاعمال الصالحة بيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها بالاجمال ، وأكثر ما يحث عليه من العبادات الصلاة التي هي العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى ، والزكاة التي هي العبادة المالية الاجتماعية الكبرى ، كرر الامر بهما في آيات كثيرة وبين أهم منافعهما بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر) وقوله (ان الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين) الآيات وقوله (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

ولم يكرر ما يحفظ بالعمل والاقتداء بالرسول من أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج بل لم يذكر منها إلا لما لذكره فائدة خاصة . وذكرت فيه احكام الصيام في موضع واحد ، ولم يذكر فيه عدد الركعات في كل صلاة ولا عدد الركوع والسجود ولا نصاب الزكاة في كل نوع مما تجب فيه . لان كل هذا يؤخذ من بيان الرسول ويحفظ بالعمل. وليس في ذكره تزكية للنفس ولا تغذية للايمان

ترجيح فضائل القرآن على فضائل الانجيل

واذكر فضيلتين من فضائله يزعم النصارى أن ماهو مأثور عندهم فيها أكمل وأفضل مما جاء به الاسلام (الاولى) قول المسيح عليه السلام : أحبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى من أساء اليكم . ومن ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر ، ومن المعلوم بالبداهة أن امتثال هذه الاوامر يتعذر على غير الاذلة المستعبدين من الناس، وأنه قد يكون من أكبر المفاسد باغراء الاقوياء بالضعفاء الخاضعين ، وانك لتجد أعصى الناس لها من يسمون أنفسهم بالمسيحيين

أمثال هذه الاوامر لاتأتي في دين الفطرة لان امتثالها من غير المستطاع والله تعالى يقول (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) وإنما قرر القرآن في موضوعها الجمع بين العدل والفضل والمصلحة .قال تعالى(٤٢. ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (٤١) ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل (٤٢) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٣) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور) ولايخفى ان العفو والمغفرة للمسيء انما تكون من القادر على الانتصار لنفسه، وبذلك يظهر فضله على من عفا عنه ، فيكون سببا لاستبدال المودة بالعداوة ، في مكان الاغراء بالتعدي ودوام الظلم ، ولذلك قال (٤١ .٢٤ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة .ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٢٥) ومايلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلاذو حظ عظيم) فانظر كيف بين مراتب الكمال ودرجاته من العدل والفضل،وكيف استدل عليه بما فيه من المصلحة وحكم العقل ، أفليس هذا الاصلاح الاعلى لماجاء عن أفضل النبيين والمرشدين ، دليلا على أنه وحي من الله تعالى قد أكمل به الدين ؟ بلى وانا على ذلك من الشاهدين ، ولا يجحده إلا من سفه نفسه فكان من الجاهلين

(الثانية) مبالغة المسيح عليه السلام في التزهيد في الدنيا والامر بتركها وذم الغنى حتى جعل دخول الجمل في ثقب الابرة أيسر من دخول الغني ملكوت السماوات. ونقول ان هذه المسألة وسابقتها انما كانتا اصلاحا موقتاً لاسراف اليهود وغلوهم في عبادة

المال حتى أفسد أخلاقهم وآثر وا دنياهم على دينهم. والغلو يقاوم موقتاً بضده. وكذلك كانت دولة الرومان السالبة لاستقلال اليهود وغيرهم دولة مسرفة في الظلم والعدوان

وأما الاسلام فهو دين البشر العام الدائم فلا يقرر فيه إلا ما هو لمصلحة الناس كلهم في دينهم ودنياهم. وهو في هذه المسألة ذم استعمال المال فيما يضر من الاسراف والطغيان، وذم أكله بالباطل ومنع الحقوق المفروضة فيه والبخل به عن الفقراء والضعفاء - ومدح أخذه بحقه وبذله في حقه، وانفاقه في سبيل الله بما ينفع الناس ويعز الملة ويقوي الامة، ويكون عوناً لها على حفظ حقيقتها واستقلالها - فهذه المسألة وما قبلها مما أكمل الله تعالى به الدين، فيما أوحاه من كتابه إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين وما كان لرجل أمي ولا متعلم أن يصل بعقله الى أمثال هذا الاصلاح لتعاليم الكتب السماوية التي يتعبد بها الملايين من البشر، ولكتب الحكماء والفلاسفة أيضاً، فهل الاقرب إلى العقل أن يكون بوحي من الله عز وجل أم من نفس محمد (ص)

وان شعوب النصارى كلها لا أعلم من المسلمين في هذا العصر بأن الحق فيها ما جاء به الاسلام، وان البشر لو اتبعوه كلهم لصلحت به أحوالهم وزال معظم شقائهم في دنياهم. وسأذكر في موضع آخر قاعدة يسر الاسلام

وجملة القول أن أركان الدين الثلاثة مأثورة عن جميع الامم القديمة وذلك دليل على أن اصلها واحد وهو الوحي وهداية الرسل، وكان قد دب اليها الفساد بتعاليم الوثنية وبدعها، فجاء محمد النبي الامي بهذا القرآن من عند الله تعالى فأصلح ما كان من فسادها الذي جعلها غير كافلة لسعادة البشر الآخذين بها، من شوب الايمان بالله بالشرك والتشبيه بالخلق، وجعل الجزاء بالمحاباة والفداء، لا بالحق والعدل، وجعل العبادات تقاليد كاللعب واللهو، غير مثمرة لتزكية النفس، ولا راجحة في ميزان العقل، وعبادات الاسلام وآدابه كلها معقولة مكملة لفطرة الانسان، ومن ثم وصف الله الكفار بأنهم (اتخذوا دينهم هزواً ولعبا)

وإذ بينا ما اشتمل عليه وحي القرآن من اصلاح ما أفسد البشر من أركان الدين الثلاثة فلنقف عليه بكلمة في النبوة والرسالة والرسل غير ما نحن بصدده من بحث الوحي والنبوة. ثم نعود إلى بيان ما في وحي القرآن من قواعد الاصلاح العام الدائم للبشر الدال على كونه من عند الله لا من معارف محمد (ص) النابعة من نفسه

المقصد الثاني من مقاصد القرآن

﴿ بيان ماجهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل ﴾

كانت العرب تنكر الوحي والرسالة إلا أفرادا من بقايا الحنفاء في الحجاز وغيره ومن دخل في اليهودية والنصرانية لمجاورته لأهلها وقليل ماهم ، وكانت شبهة مشركي العرب وغيرهم على الوحي استبعاد اختصاص الله تعالى بعض البشر بهذا التفضيل على سائرهم وهم متساوون في الصفات البشرية ، ويقرب منهم اليهود الذين أنكروا أن يختص تعالى بهذه الرحمة والمنة من يشاء من عباده وأوجبوا عليه أن يحصر النبوة في شعب اسرائيل وحده ، كأن بقية البشر ليسوا من عباده الذين يستحقون من رحمته وفضله ما اعطاه لليهود من هداية النبوة. على أنهم وصفوا الانبياء بالكذب والخداع والاحتيال على الله ومصارعته وارتكاب كبائر المعاصي كما تقدم في القسم الاول من هذا البحث ، ووافقهم النصارى على حصر النبوة فيهم ، وأثبتوا قداسة غير الانبياء من رسل المسيح وغيرهم وعبدوهم أيضاً، على انهم نقلوا عن بعض خواص تلاميذه إنكاره إياه في وقت الشدة ،وعن بعضهم انه أسلمه لأعدائه ، وانه قال لهم « كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة » واتخذ كل من الفريقين أحبارهم ورهبانهم وقسوسهم أربابا من دون الله تعالى نحلوهم حق التشريع الديني من وضع العبادات والتحليل والتحريم (١) وكل ذلك من الكفر بالله وانكار عدله ،وعموم رحمته وفضله ،ومفسدات نوع الانسان ،وجعل السواد الاعظم منه مستعبداً لافراد من أبناء جنسه، فأبطل الله تعالى كل ذلك بما أنزله من كتابه على خاتم النبيين ، وأثبت بعثة الرسل والمنذرين لجميع شعوبه بقوله (٣٦.١٦ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقوله (٢٤.٣٥ إنا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة إلا خلا فيها نذير) وكرم الانسان بجعل التشريع الديني

١) راجع تفصيل هذا في (ص ٢٦٣) من جزء التفسير العاشر

من حقوق الله وحده ، وانما النبيون والرسل مبلغون لهم عنه ليسوا بمسيطرين على الاقوام لخضوعهم لله وحده ، وطاعتهم الرسل تابعة لطاعته لأنهم مبلغون عنه ، كما أبطل عبادتهم وعبادة من دونهم من القديسين ، وبذلك تحرر الانسان من الرق الروحي والعقلي الذي منيت به الامم المتدينة ولاسيما النصارى

ولضلال جميع أهل الملل والنحل في ذلك كرر هذا الاصلاح في كثير من السور بالتصريح بان الرسل بشر مثل سائر البشر يوحي اليهم ، وبانهم ليسوا إلا مبلغين لدين الله تعالى الموحى اليهم ، قال تعالى لخاتمهم المكمل لدينهم في خاتمة سورة الكهف (١٨ : ١١٠ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما إلهكم إله واحد) الآية وقال في جملتهم من وسطها (٥٦ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) ومثلها في سورة الانعام (٦ : ٤٨) وفي معناها آيات أخرى - بعثهم مبشرين ومنذرين بالقول والعمل والتنفيذ ، وبانهم لا يملكون للناس ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا هداية ولا نجاة من العقاب على مخالفة شرع الله وسننه في خلقه في الدنيا ولا في الآخرة. وقد شرحنا ذلك في تفسير قوله تعالى (٧: ١٨٧ قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء . إن انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وسيأتي نظيرها في الآية ٤٩ من هذه السورة التي نفسرها ، وقد بين ذلك النبي ﷺ باقواله وأعماله وأخلاقه في العبودية والتواضع بما لايدع لتأويل الآيات سبيلا . حتى فطن لذلك بعض علماء الافرنج الاحرار فقال ان محمداً لما رأى خزي النصارى بتأليه نبيهم وعبادته لم يكتف بتلقيب نفسه برسول الله حتى أمرهم بان يقولوا « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »

وأما مسألة الشفاعة التي كان مشركو العرب يثبتونها لمعبوداتهم في الدنيا وأهل الكتاب يثبتونها لأنبيائهم وقديسيهم في الدنيا والآخرة فقد نفاها القرآن وأبطلها وأثبت أن الشفاعة لله جميعا وانه لايشفع عنده أحد إلا باذنه (٢١ . ٢٨ يعلم

مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٩) ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين) وقد فصلنا ذلك في تفسير سورة البقرة وغيره مرارا (ومنه ان الشفاعة الثابتة في الاحاديث غير الشفاعة الوثنية المنفية في القرآن) . وقد كرر هـذه المسألة دون تـكرار ما قبلها لانها فرع لها فالاقناع بها أسهل

فأنت ترى ان القرآن قد بين حقيقة هذه المسألة التي ضل فيها الملايين من البشر فأشركوا بالله مايضرهم ولا ينفعهم، فهل كان هذا مما استمده محمد ﷺ من علماء اهل الكتاب فجادوا به عليه وبخلوا به على اقوامهم؟ ام هو نابع من نفسه وهو يقتضي ان ما ينبع منها إعلى من وحي الله لغيره على حسب دعوى أتباع هؤلاء الرسل؟ كلا إنما هي من وحي الله تعالى له

الايمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم

ومما بينه الاسلام في مسألة الانبياء والرسل أنه يجب الايمان بجميع رسل الله تعالى وعدم التفرقة بينهم في الايمان، وان الايمان ببعضهم والكفر ببعض كالكفر بهم كلهم، لان اضافتهم الى الله تعالى وحده ووظيفتهم في ارشاد المكلفين وهدايتهم واحدة . قال تعالى في خواتيم سورة البقرة (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لانفرق بين احد من رسله) وبين أن كون التفرقة بينهم في الايمان هو الـكفر ، حق الكفر، والايمان بالجميع بغير تفرقة هو الايمان حق الايمان وهو في الآيات (٤ : ١٥٠ـ١٥٢)

وهذا مبني على الايمان بان دين الله تعالى الذي ارسل به جميع رسله واحد في مقاصده من هداية البشر واصلاحهم وإعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة، وانما تختلف صور العبادات والشرائع باختلاف استعداد الاقوام ومقتضيات الزمان والمكان . فالايمان ببعضهم دون بعض اتباع للهوى في الايمان وجهل بحقيقة الدين فلا يعتد به لانه عين الكفر

وقد انفرد بهذه الحقيقة العادلة المسلمون دون اهل الكتاب الذين لا يؤمنون إلا بانبياء بني اسرائيل وابيهم وجدهم على ما يذكرون في كتبهم من عيوب ومنكرات وفواحش يرمونهم بها

واما المسلمون فيؤمنون بان رب العالمين ارسل في كل الامم رسلا هادين مهديين يؤمنون بهم اجمالا وبما قصه القرآن عن بعضهم تفصيلا، فقد كرم الاسلام بهذا نوع الانسان، ومهد به السبيل للالفة والاخوة الانسانية العامة التي نبينها بعد

ومن المعلوم ببداهة العقل وبنص القرآن ان بعض الانبياء افضل من بعض بتخصيص الله تعالى وبما كان لكل من نفع العباد وهدايتهم وهي متفاوتة جدا .قال الله تعالى (٢٥٢:٢ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ،وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)

ومن المعلوم بالدلائل العقلية والنقلية ان محمدا خاتم النبيين الذي اكمل الله به الدين، وارسله رحمة للعالمين،هو الذي رفعه الله عليهم كلهم درجات كما بيناه في تفسير تلك الآية بالاجمال وفصلناه في هذا البحث أقصد التفصيل

وانك لتجد مع هذا انه ﷺ قال لاتباعه « لا تفضلوا بين انبياء الله» قاله انكارا على رجل من المسلمين لطم يهوديا لانه قال :لأوالذي اصطفى موسى على البشر. فشكاه الى النبي ﷺ فغضب غضبا شديدا على صاحبه المسلم وقاله ــ وبين مزية لموسى عليهما الصلاة والسلام في الآخرة ثم قال«ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى»والحديث رواه الشيخان في الصحيحين. وفي روايات أخرى للبخاري « لا تخيروا بين الانبياء » وفي بعضها «لا تخيروني على موسى»والغرض من ذلك كله منع المسلمين من تنقيص احد من الانبياء عليهم السلام ومن التعادي بين الناس ومن الغلو فيه ﷺ والا فهو قد قال في تعليل نهيه عن سؤال أهل الكتاب عن شيء« والله لو كان موسى حيا بين اظهركم ما حل له الا أن يتبعني» رواه ابو يعلى من حديث جابر

ونختم القول في هذا الموضوع بايات الانبياء الكونية واصلاح الاسلام لضلال بشر فيها فنقول (للكلام بقية)

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

٢٤

تحريم النساء على النبي ﷺ بعد ما تقدم

قال تعالى بعد هذه الآية من سورة الاحزاب في التوسيع على نبيه ﷺ في أمر النساء وما كان لها وما قبلها من اتعاظ نسائه وتأديبهن ومن اختيارهن البقاء معه (ص) مع القشف والزهد ، على الحياة الدنيا وزينتها مع فراقه

(٥٢ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا

ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في مكافأة أزواج النبي التسع على اختيارهن مرضاة الله ورسوله وثواب الدار الاخرة على نعيم الحياة الدنيا وزينتها فحرم عليه أن يتزوج عليهن أو يستبدل بهن أزواجا أخرى ، وان قوله تعالى (من بعد) معناه من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك أو من بعد اختيارهن لك : وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير من كبار مفسري التابعين أن المعنى لايحل لك النساء بعد الذي أبيح لك في الآية السابقة أي من التصرف في معاملة أزواجك التسع كما تشاء ، وما له أنه لم يبق لهن من سبيل إلى إزعاجك بما كن يزعجنك به ، الذي أدى إلى تهديدهن بالطلاق ، والتخيير بين الامساك والفراق

وقوله تعالى (ولو أعجبك حسنهن) ظاهر في حبه (ص) للحسن والجمال وكيف لا وهو الكامل الذوق والخلال ، القائل «ان الله جميل يحب الجمال »(١) ولكنه

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود

كان يؤثر المصلحة على التمتع النفسي، ويشرع الله له ما هو أليق بمقامه الاصلاحي، لا ماتدل عليه كلة عائشة بقرينة غيرتها الزوجية من كل ما تهواه نفسه

واستثني ههنا ملك اليمين وهو مما يسوءهن لو حصل ولكنه لم يحصل فهو لم يسترق سبية ولم يشتر أمة يتسرى بها وانما كان تسريه المعروف قبل ذلك . والمراد بكل هذا اكمال تربية الازواج الطاهرات المختارات حتى لا يعدن إلى تلك الصغائر النسائية المزعجات له (ص) وبذلك كمل إيمانهن بكماله

ومن المعلوم بالطبع ان أهم مايهم المرأة من زوجها هو وظائف الزوجية ووسائل المعيشة وان المرأة أعلم الناس بضعف بعلها البشري، وان صفاته الزوجية قد تحجبها عن خصائصه الروحية والعقلية، وتعد الصغير من ذنبه معها كبيراً، والقليل من تقصيره كثيرا، وقد قال (ص) في بعض مواعظه للنساء «يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فاني رأيتكن أكثر أهل النار» فسألنه عن السبب فقال « انكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير » يعني الزوج أي ينكرن فضله ومعروفه. (١)

فمن ثم قال بعض علماء الافرنج إن سبق خديجة إلى الايمان بمحمد ويقينها فيه من أقوى الدلائل على صدقه، وكذلك كان سائر نسائه (ص) في قوة الايمان به واتباع هديه وإيثار الشرف بزوجيته مع القشف والشظف، على كل مافي الدنيا من زينة وترف.

٤٣

آية الحجاب

(لبيان مايجب على المؤمنين من الادب مع الرسول (ص) وأزواجه)

(وما يحرم عليهم من إيذائه)

قد فطر الله محمداً على مكارم الاخلاق وعقائل الآداب، وكمل أخلاقه وآدابه بوحيه اليه هذا القرآن، ينبوع الحكمة وشمس العرفان، ووصفه فيه بقوله:

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(١) رواه البخاري ومسلم وله تتمة

وكان على رحمته ولينه ولطفه وحلمه — وقوراً مهيباً وشجاعاً باسلا، وجليلا حلاحلا، حتى كان بعض من يجيئه معادياً يريد الفتك به ترتعد فرائصه عند رؤيته فيقول له ﷺ «هون عليك فلست بملك أنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» (١). فكان يهون على الناس مهابته بالمبالغة في التواضع فينهى عن الغلو في تعظيمه وعن الوقوف بين يديه وكان كما قال هند بن أبي هالة: من نظر اليه بديهة هابه، ومن عاشره معرفة أحبه. وكما قال ابن الفارض

بجـــلال حجبتـــه بجمال هام واستعذب العذاب هناكا

ومن شواهد مهابته (ص) مارواه الشيخان عن زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود قالت قال رسول الله (ص) «تصدقن يامعشر النساء ولو من حليكن» قالت فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت إنك رجل خفيف ذات اليد وان رسول الله (ص) قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فان كان ذلك يجزيء عني وإلا صرفتها إلى غيركم فقال عبدالله بل ائتيه أنت، فانطلقت فاذا امرأة من الانصار بباب رسول الله (ص) حاجتها حاجتي وكان رسول الله (ص) قد ألقيت عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله (ص) فاخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزيء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت فدخل بلال على رسول الله (ص) فسأله فقال له رسول الله «من هما ؟» فقال امرأة من الانصار وزينب فقال رسول الله (ص) «أي الزيانب؟» قال امرأة عبدالله بن مسعود فقال «لها أجر القرابة وأجر الصدقة»

وكان قومه العرب أوسع الاقوام حرية وأجرأهم على العظماء لعدم وجود ملوك جبارين فيهم يستذلونهم، ولا رؤساء دينيين يربونهم على الخضوع لهم، فكانت آداب أتباعه معه ﷺ دينية وازعها نفسي لا قهري ولا عرفي، وتعاليمهم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته (ص) والتأسي به — ولهذا كانت في كمالها ونقصها تابعة لقوة الايمان وسعة العرفان— وكان فيهم الاعراب الجفاة، والمنافقون العتاة، ومرضى القلوب. وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل او نهار كان هذا الامر يثقل عليه وعلى علماء الصحابة وفضلائهم وكان عمر بن الخطاب من أشدهم غيرة وجرأة وحزما أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها فكان يطالب النبي (ص) بحجبهن عن الرجال — فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال

(١) رواه الحاكم عن جرير وصححه على شرطهما

قال عمر بن الخطاب يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فأنزل الله آية الحجاب أي فكان هذا مما وافق رأيه القرآن

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي (ص) في قعب (١ فمر عمر فدعاه النبي «ص» فأكل فأصابت أصبعه اصبعي فقال: أوه! لو أطاع فيكن مارأتكن عين. وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس قال لما تزوج النبي (ص) زينب دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا. فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (ص) ليدخل فاذا القوم جلوس (فرجع) ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي «ص» انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله آية الحجاب:

آية الحجاب وسبب نزولها

(٥٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ـ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ـ وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا)

حاصل معنى الآية نهي المؤمنين عن دخول بيوت النبي «ص» على أزواجه كما كانوا يفعلون لاجل الطعام او الكلام أو غيرهما من الحاج(٢) إلا في حال الاذن

١) القعب بالفتح إناء ضخم كالقصعة (٢) الحاج بتخفيف الجيم جمع حاجة

لهم ودعوتهم منه أو من قبله إلى طعام ناضج حاضر غير منتظرين لأناه أي نضجه حتى لا يطول مكثهم فيها (قال) ولكن إذا دعيتم اليه والحال ماذكر فادخلوا ، فاذا طعمتم أي اكلتم الطعام فانتشروا ،أي اخرجوا وتفرقوا بلا تريث ولا بطء كما يدل عليه العطف بالفاء ـ ولا تدخلوها مستأنسين لحديث أي طالبين للانس والتسلية بالكلام مع أهلها ولا بينكم فيها ـ فنع دخولهم لاجل الطعام إلا بدعوة اليه بشرطها ، ومنع دخولهم لاجل الكلام مطلقا، وعلل المنع بأن ما كان من دخولهم بيوته ومكثهم فيها كان «يؤذي النبي» أي يؤلمه ولم يقل «يؤذيه» للتذكير بأن إيذاءه بصفة النبوة اعظم من ايذائه بصفته الشخصية — وانه لفرط حيائه وأدبه كان يخفي عنهم أذاه وألمه منهم، فلا يصرح لهم به ولا يعمل بموجبه فينهاهم عن الدخول والمكث (والله لا يستحي من الحق) أي لا يمتنع أن يظهره بالاخبار به والامر بالتزامه والنهي عما ينافيه ـ لانه تعالى لا يعرض له الانفعال البشري الذي يمنع الانسان عن مواجهة غيره بما يكره

ولما كان هذا المنع لدفع الاذى عن الرسول لا لحرمان المؤمنين من الانتفاع من ازواجه بما اعتادوا أن يطلبوه من بيوته قال (واذا سألتموهن متاعاً) وهو كل ما ينتفع به من ماعون وغيره،ومثله السؤال عن العلم بالأولى (فاسألوهن من وراء حجاب) أي ستر مضروب دونهن بحيث يسمعن ما تطلبون من غير مواجهة ولا استئناس في المخاطبة ، وعلله بقوله (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أي ذلكم السؤال من وراء حجاب ، أو الذي ذكر كله من نهي وأمر بشرطها(أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر الطبيعية، والوساوس الشيطانية، التي يثيرها تلاقي النساء والرجال، واسترسالها في حديث الاستئناس وشجونه، واختلاف الافهام والتأويلات فيه

(وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) وما كان من شأنكم ولا مما يصح أن يقع منكم ايها المؤمنون ايذاء رسول الله بحال من الاحوال، لان تعمد إيذائه ينافي الايمان، فوجب أن يتقى وتسد ذرائعه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) فان الله تعالى جعلهن أمهات لكم ، وجعله أولى بكم من آبائكم بل من أنفسكم — وكل صحيح الايمان يشعر من نفسه بان رسول الله أجل في قلبه من أمه وابيه وأحب اليه من نفسه التي بين جنبيه ـ ومن لوازم إجلاله إجلال حلائله وإحلالهن من قلبه محل الكرامة الدينية الروحية، البعيدة عن شعور الشهوة الجنسية ، بأشد من صرف إجلال الام الجسدية للنفس عن اشتهائها ـ فكيف يسمح له وجدانه الديني أن يحل

من إحداهن محل رسول الله ﷺ ؟ أو ليست ذكرى الرسول عند إرادة قربه منها ـ إن حصل ـ كافية لاثارة عاطفة الحياء منه والاجلال له الصارفة له عن ملامسها ؟ بلى والله ولكن روي عن بعض المنافقين ومرضى القلوب انهم تحدثوا بنكاح فلانة وفلانة من أمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ فبين الله تعالى في هذه الآية ان هذا ليس من شأنه أن يقع من المؤمنين ليعلموا أن من يتحدث به لا يكون إلا من المنافقين . فان قوله تعالى (وما كان لكم) نفي للشأن لا لمجرد الفعل وهو يقتضي نفي الفعل بالدليل — وان كل مؤمن ليشعر في كل زمن بأن إيذاء الرسول ونكاح بعض أزواجه ينافي الايمان بأنه رسول الله ﷺ وقد أكد ذلك بما يدل على الوعيد الشديد على مخالفته فقال ﴿ ان ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ أي خطأ عظيما وحوبا كبيرا

فعلم من نص الآية ومما ورد في سبب نزولها أن الامر بحجاب ازواج النبي «ص» قد كان لتقرير ما يجب على المؤمنين من توقيره وتعظيم حرمته، وسد منافذ الذرائع دون كل ما يكون من إيذائه، وقطع طرق الشبهات ونزغات الشيطان أن تطوف بقلوب مجالسهن ومحدثيهن بما يمس مقامه في منصب النبوة والرسالة، أو يهبط بهن من أوج أمومة المؤمنين الروحية، إلى خواطر النزعات الزوجية ، ولا ننسى أن المنافقين إذا لاحت لهم شبهة في إحداهن بنوا عليها من الافك والبهتان ما يمن لهم ويوسوس به الشيطان كما فعلوا في رمي السيدة عائشة بما أثر في قلوب بعض سذج المؤمنين حتى نزلت براءتها من السماء

ومن هذا القبيل في سد الذريعة على الخواطر والوسوسة أن صفية أم المؤمنين زارت النبي ﷺ وهو معتكف في العشر الاخير من رمضان في المسجد فتحدثت عنده ساعة من العشاء فلما قامت تنقلب راجعة قام معها النبي (ص) حتى إذا بلغا باب المسجد مر بهما رجلان من الانصار فسلما على رسول الله (ص) ثم نفذا (الطلقا مسرعين) فقال لهما (ص) « على رسلكما انما هي صفية بنت حيي» قالا سبحان الله يارسول الله ، وكبر عليهما ماقال . فقال (ص) إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً »رواه الشيخان

ولا تدل الآية بتصريح ولا تعريض على تعليل الحجاب بالخوف على شرف صيانتهن وحصانتهن ، لا منهن ولا عليهن، كما يتوهم بعض المعترضين من غير المسلمين على مسألة الحجاب في الاسلام إذ يقولون ان المسلمين يحجبون نساءهم عن الرجال لعدم ثقتهم بعفتهن، وهذا باطل . وسأعود لهذه المسألة في الكلام على آداب النساء ، وأختم الكلام في مسألة الازواج الطاهرات ببيان نتيجتها وثمرتها

٤٤

﴿ ثمرة هداية القرآن والسنة في أزواجه ﷺ ﴾

بهذا الوحي الالهي، والهدي المحمدي ،علم أولئك الضرائر التسع ان الاصلاح الاسلامي للبشر يكلفهن أن يكن نسوة لا كالنساء ،وأزواجا لا كالازواج ، يكلفهن أن يحتقرن التنافس في الطعام والشراب، والمباراة في زينة الحلي واللباس ، والتحاسد على الحظوة عند هذا الزوج العظيم في حب الزوجية ، وتناسي وظيفته العليا وهي النبوة — علمن بما ذكر أن الله تعالى ورسوله يريدان منهن أن يكن قدوة صالحة وأسوة حسنة لجميع النساء، ومعلمات للمؤمنات، ومثلا بارزة في البر والتقوى، والعلم والحكمة، ومعالي الامور ومكارم الاخلاق، من العفة والصيانة والامانة والديانة، وأن يرجئن مايشتهين من الزينة والنعمة إلى الدار الآخرة ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾

خيرهن الله ورسوله بين الامرين فاخترن خيرهما، وأتم الله نعمته عليهن بما شرعه لرسوله ولهن مما يزكيهن من وساوس الغيرة ودنايا المضارة، فتم لهن مراد الله تعالى بها وبما شرعه للمؤمنين من جعلهن أمهات لهم، وضرب الحجاب عليهن دونهم، حتى لا يفكر مؤمن فيما دون أمومتهن الروحية ، وإجلال منصب النبوة ،إذ قال تعالى في هذه السورة (٣٣: ٦ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه امهاتهم)

ولقد كان نساء المؤمنين يلجأن اليهن بالشكوى من تقصير رجالهم في حقوق الزوجية حتى حقوق الفراش انقطاعا للعبادة فيبلغن النبي (ص) ذلك فيشكيهن، وينهى رجالهن عن التنطع والغلو في العبادة والامتناع من أكل الطيبات وهجر الازواج في الفراش ، مبالغة في صيام النهار وقيام الليل ، ويقول للواحد منهم « إن لجسدك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا » الخ ولا محل لبسط ذلك هنا

وقد نقل لنا المحدثون والمؤرخون عنهن من فضائل الزهد والبر والصدقات والايثار على النفس بعد رسول الله ﷺ إذ أقبلت الدنيا على المسلمين وأنجز الله لهم ماوعدهم به من الغنى والملك مايثبت لكل عالم بذلك أن تعددهن كان خيراً وصلاحاً للامة، وإعلاء لشأن المرأة فيها، إذ كن أفضل سيرة من جميع نساء الأنبياء والمرسلين، بل لا يكاد يفضلهن من نساء الامم إلا مريم ابنة عمران، ومن هذه الامة غير فاطمة بنت محمد عليها السلام ، وصلى الله على محمد وأهل بيته وعلى رسل الله أجمعين .

التسري وملك اليمين والمخادنة

٤٥

(تمهيد في الرق واصلاح الاسلام فيه)

هذه المسألة مما يجب علينا بيان الاصلاح الاسلامي والهدي المحمدي فيها بما هو مصلحة للنساء وعناية بالجنس اللطيف ، وهي تعد من فروع تعدد الزوجات في أحد الاعتبارين ومن فروع الاسترقاق في الاعتبار الآخر ، وكل منهما كان شائعاً في الشعوب والقبائل الهمجية وفي أمم الحضارة والملل السماوية ، وهما في الاصلاح الاسلامي من ضرورات الاجتماع البشري التي تقدر بقدرها . أما الرق فقد مهد الاسلام السبل للقضاء عليه من غير تكليف الامم التي اعتادته وصار منوطاً بمعاشها ومصالحها أن تبطله مرة واحدة ، فتختل مصالحها فتعصي أمرها ، وما كان الاسلام دولة عسكرية تقهر الناس على شرعها بالقوة ، وإنما أخذ الناس من طرق الاقناع والوازع النفسي ، والله يقول لنبيه في كتابه (ان عليك الا البلاغ * فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر * وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) .

وهذا التمهيد له طريقان (أحدهما) سد ذريعة الاسترقاق بحصره في سبب واحد وهو أن يرى إمام المسلمين المصلحة العامة تقضي باسترقاق الاسرى والسبايا في قتال الكفار الشرعي كحماية دعوة الاسلام وداره (وطن المسلمين) من الاعتداء عليهما ، وترجيح ذلك على مصلحة المن عليهم بالعتق لاظهار فضل الاسلام وسماحته وعلى مصلحة فداء أنفسهم أو فداء أسرى المسلمين وسباياهم عند الاعداء بهم عملا بقوله تعالى (حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)

وانما تكون مصلحة الاسترقاق أرجح من هاتين المصلحتين في حالات قليلة نادرة لا تدوم كأن يكون المحاربون للمسلمين قوما قليلي العدد (كبعض قبائل البدو) يقتل رجالهم كلهم أو جلهم فاذا ترك النساء والاطفال لانفسهم لا يكون لهم قدرة

على الاستقلال في حياتهم فيكون الخير لهم أن يكفلهم الغالبون ويقوموا بشؤونهم المعاشية(١) ثم تجري عليهم أحكام الطريقة الثانية في تحريرهم

(الطريقة الثانية) ماشرعه لتحرير الرقيق من الترغيب في الاجر وجعله كفارة لكثير من الذنوب، وتوسيع أبواب مايعتق به العبد ، حتى قال مصلح الانسانية الرؤف الرحيم « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه » رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عمر (رض) وقد بينا هذا بالتفصيل في المنار ولا محل له هنا ، فان موضوع رسالتنا مصلحة الجنس اللطيف في الشرع الاسلامي والاصلاح المحمدي ومنها مسألة التسري

قلنا ان مسألة التسري من فروع مسألة تعدد الزوجات، وقد بينا من قبل أن أكثر شعوب البشر قد جرت على هذا التعدد بصور مختلفة، وان سببه القديم الاعظم فيها هو الرق ، ثم اختلفت صفاته وتعددت أسماؤه، فالمشهور الان أن أهل أوربة هم الذين تواطؤا بدعوة الدولة الانكليزية على إبطال الرق من العالم كما أنهم هم الذين يتشددون في تحريم تعدد الزوجات ولكنا بينا أيضاً أن أهل أوربة هم أشد شعوب الحضارة الملية استباحة للسفاح واتخاذ الاخدان، وانهم هم الذين أفسدوا على أهل البلاد الشرقية التي تقلدهم في حضارتهم عفتهم وصيانتهم ، وتكافوا حماية البغايا والقوادين والقوادات في بلادهم، اذا كانوا من رعاياهم، وناهيكم بخزي الرقيق الابيض

٤٦

(مقدمة ثانية في التسري والمخادنة عند الافرنج والرقيق الابيض)

ان نخاسة الرقيق الابيض التي تصدر أوربة بضاعتها إلى كل قطر توجد فيه ثروة تبذل المال في شهوة السفاح ، لأشد خزيا للانسانية وافساداً لهاوامتهانا لشرفها وجناية على النساء من نخاسة الرقيق الاسود التي يتجربها من يختطفون البنات والولدان من زنوج أفريقية ، فان أكثر هؤلاء يباعون ليكونوا خدما في بيوت الاغنياء وأقل الاناث منهن يستمتع بهن فان كان مبتاعوهن من المسلمين الذين يظنون

(١) قد ثبت أن الارقاء الذين حررهم الانكليز في السودان المصري لم يقدروا على الاستقلال بالمعيشة ولم تقدر الحكومة على كفايتهم فعادوا الى سادتهم كما كانوا الا أن الحكومة تمنعهم من بيعهم. وكذلك جرى في أمريكا عند تحرير رقبتها

ان هذا رق جائز ورزقن اولادا منهن يكون أولادهم أولاداً شرعيين لآبائهم، ويكن هن بذلك أمهات حرائر بعد وفاتهم

وأما هذا الرقيق الابيض فهو سوق للالوف المؤلفة من البنات الحسان من المراهقات والمعصرات والبالغات كالانعام وتنقلهن من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر لأجل التجارة بأعراضهن بالسفاح والمخادنة التي تفسد الزوجية الشرعية على أهلها، وتنشر ميكروبات الامراض التناسلية في أجسام المتباين بها، وتفعل سمومها المعنوية في الاخلاق والارواح، شراً مما تفعل ميكروباتها في الابدان، وقد تفاقم بعد حرب المدنية العامة شرها، وتضاعف وزرها، . وهاك ما كتبه بعض علماء الحقوق في تاريخ التسري وحاله في أوربة في القرن الماضي

جاء في كتاب المقارنات والمقابلات نقلا عن الاصل الفرنسي منه مانصه

١٥١ « ويكاد التسري واتخاذ الجواري والاخدان يكون عام الوجود في جميع بلاد الدنيا حتى في البلاد المحلل فيها تعدد الزوجات وهو مستعمل في أفريقيا وامريكا وأوروبة بكيفيات مختلفة » الخ ثم قال

(١٥٢) « وقد كان التسري معروفا عند قدماء اليونان بطريقة تقرب من تعدد الزوجات لان الاولاد المرزوقين من التسري كانوا يعاملون معاملة المرزوقين من النكاح المشروع . وفي زمن من الازمان وجد عندهم نوع آخر من التسري خلاف الاول كانت الجارية فيه عبارة عن رقيقة يتخذها الرجل للتمتع خارج بيته ولا علاقة شرعية ولا قانونية بينه وبينها

(١٥٣) « وأما التسري عند قدماء الرومان فكان مشروعا في قوانينهم ويقرب كثيراً من النكاح الصحيح لانه كان يمنع الرجل من التزوج بغير الخدن التي سيستفرشها فهو في الحقيقة شكل من أشكال النكاح المحرم فيها تعدد الزوجات

وكان الاولاد المرزوقون منه ينسبون لابيهم ولكنهم يعاملون معاملة أمهم، أي لا يرثون من أبيهم كالمرزوقين من النكاح المشروع . وكان يطلق عليهم اسم (أولاد طبيعيين) لتمييزهم عن الاولاد الشرعيين . ومعنى الطبيعيين هنا المرزوقون من

النكاح المباح طبعاً لا شرعا . وقد كان حالهم كثير الشبه بحال الاولاد المرزوقين من التسري في زمننا هذا، لان واضع أحكام الشرع الفرنساوي نقل عن شرع الرومان معظم أحكام التسري

(١٥٤) وقد نسخ هذا التسري الروماني بحكم النصرانية ولكن الاوروباويين لايزالون يتخذون الاخدان ،ولم يتبعوا شرعهم الديني في تحريم تعدد الزوجات كما يتبع عربان قبائل المغرب شرعهم الديني ويتمسكون بأحكام النكاح وتحريم الزنا، فان هؤلاء الاقوام يقتلون المرأة التي تلد من الزنا ويعدمون ولدها ثم يبحثون عن الزاني بها ويحاكمونه،أما الاوروباويون فلايعاقبون على التسري واتخاذ الاخدان، ويغضون الطرف عنه ولوأنه غير جائز شرعا ،والسبب في انتشار التسري في أوروبا كثرة الاجراءات الواجبة الاستيفاء لعقد الزواج المشروع وقيود وتكليفات أخرى سبق ذكرها وأكثر مايكون التسري في أوروبا بين أرباب الصنائع من الذكور والاناث وبين أرباب الاموال من الرجال وأسافل نساء المدن .وحكم التسري عندنا عدم تقييد الطرفين بأي رابطة بحيث يجوز لكل منهما الانفصال في أي وقت شاء وعدم تكليف الرجل بأي حق للمرأة سواء أتت بولد أولم تلد .أما الاولاد المرزوقون منه فحالهم أدنى من حال الاولاد المرزوقين من النكاح الصحيح وكانوا قبل بضع سنين مجردين عن كل حق على آبائهم، وقد كثر عددهم في باريس كثرة عظيمة جداً من كثرة انتشار التسري، إذ يقال أن عشر أهلها يعيشون في تسر أي بدون زواج مشروع . ويقال ان العدد أعظم من ذلك في بعض جهات ألمانيا مثل بلاد « ساكس » و« بفاريا» و « سلبورغ »

« ١٥٥ » وقد يرى الباحثون في أمور المعاش وأحوال الناس أن تحريم التسري في أوروبا جاء مضراً بالنساء والاولاد المرزوقين من التسري ، وقولهم هذا قاصر على النظر في الامر من هذه الوجهة بقطع النظر عن مخالفته للدين» اه

هذا ما كتبه الاستاذ موسيو جان ديفهلي في القرن الماضي وان حال بلاد الافرنج كلها في هذا القرن لشر مما كانت عليه قبله في تجارة الاعراض وكثرة سبايا

الرقيق الابيض ولكن فرنسة جعلت أولاد الزنا بالاخدان كالاولاد الشرعيين في اثبات النسب والارث كما رأينا في بعض الصحف

كل ما اثبته هذا الكاتب المؤرخ القانوني عن التسري وما في معناه في الشعوب الاوروبية وغيرها فهو من أفظع الجرائم والاهانة للنساء وإلقاء هذا الجنس اللطيف الضعيف في مواخير الفحش والفساد، وبؤر الادواء والامراض . أفهذه هي الشعوب التي حررت النساء ؟ أم هذا هو القرن العشرون الذي كرمت مدنيته النساء ؟ كلا إن نساء الافرنج ما أخذن حقا من حقوقهن المهضومة إلا بقوة العلم وقوة الارادة وقوة الاجتماع التي اكتسبنها بتأثير التربية والتعليم العام كما أن الشعوب الاوربية ما نالت حقوقها السياسية من ملوكها ونبلائها إلا بالقوة القاهرة. وستضطرهم قوة النساء واستقلالهن إلى ماهو شر لهم ولهن كالبلشفية، أو ماهو أضر، وأدهى وأمر، من فوضى الحياة الزوجية وانهيار بناء الاسرة، وقلة النسل المفضي الى الانقراض إلا أن ينقذ الله هذه الحضارة بهداية الاسلام

الاسلام هو الذي قرر جميع الحقوق الانسانية وخص النساء بالعطف والتكريم فقال نبيه « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم » على حين لم تكن الشعوب ترفعهن فوق الحيوانية ، إلا إلى الرق والعبودية ، واني أبين بكلمة مختصرة حكم الاصلاح الاسلامي المحمدي لهذا المرض الاجتماعي البشري

٤٧

التسري الصحيح في الاسلام

كل ما كانت عليه الامم القديمة وكل ما عليه الامم الحاضرة من التسري واتخاذ الاخدان فهو في شرع الاسلام من الزنا المحرم قطعاً الذي يستحق فاعله أشد العقاب وكل من يستبيح هذا الفجور الخفي وما هو شر منه من السفاح الجلي فهو بريء من دين الاسلام

وأما التسري الشرعي المباح في الاسلام فهو خاص بسبايا الحرب الشرعية إذا أمر إمام المسلمين الاعظم خليفة الرسول «ص» باسترقاقهن وإنما يكون له أن يأمر

بذلك إذا ثبت عنده بمشاورة أهل الحل والعقد أن المصلحة فيه أرجح من المن عليهن بالعتق ومن افتداء أسرى المسلمين وسباياهم بهن إن وجد عند الاعداء سبايا وأسرى منا . فليس الاسترقاق واجباً في الاسلام ولكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يعارضها مفسدة راجحة، ولكل حكومة إسلامية أن تمنعه بل منعه من مقاصد الاسلام العامة، والاسترقاق المعهود في هذا العصر للسود والبيض كله باطل في الاسلام فالتسري بالنساء اللاتي يختطفهن النخاسون، أو يبيعهن الآباء والاقربون، أو يغريهن التجار والقوادون ، كله عصيان لله ولرسوله

تلك الطريقة الشرعية لوجود السبايا في بلاد المسلمين، وهل يرتاب عاقل عادل في أن الخير لهن إن وجدن أن يتسرى بهن المؤمنون فيكن في الغالب أمهات أولاد شرعيين كسائر الامهات الحرائر؟ فان الجارية التي تلد لسيدها تعتق بموته اذ لا يصح ولا يجوز في الشرع أن تكون مملوكة لولدها بمقتضى ارثه لوالده، وفي بعض الآثار أنه يحرم بيعها منذ ولادتها ، ولكن لا تجب لها أحكام الزوجية المعروفة بيد أنها قد تكون أحظى عند الرجل بأدبها وقلة تكاليفها وعدم تحكمها كالزوجة التي تدل بحقوقها الشرعية والاعتزاز بأهلها

هذا هو المعهود في السراري في الاسلام وأقل أحوالهن أن يكن كالزوجات في حصانتهن وشرفهن وضمان رزقهن وحفظ كرامتهن ، فمن وصايا مصلح البشر ونبي الانسانية في الرقيق أن يعبر عن الذكر بالفتى لا بالعبد وعن الانثى بالفتاة لا بالامة وهو في الصحيحين. وقال (ص) «هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » وهذا متفق عليه من حديث أبي ذر . وفي حديث أبي هريرة عند الجماعة كلهم ما يقتضي استحباب جلوس الخادم مع سيده على الطعام وقال أنس كانت عامة وصية رسول الله (ص) حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه « الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه الامام أحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي

بل مضت سنة المصلح الاعظم العملية في السبايا أن يعتقن ويتزوج بهن معتقوهن كما فعل «ص» بعتق صفية الاسرائيلية وتحرير جويرية العربية وتزوجه بهما وجعلهما

من أمهات المؤمنين ليستن به غيره وتقدم ذكر ذلك في أسباب تزوجه بهن

وحث على ذلك ورغب فيه بقوله « أيما رجل كانت عنده وليدة -وفي رواية- جارية- فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فاحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» والحديث متفق عليه (*) وتقدم ذكره في تعليم النساء

ثم إنه (ص) قد تسرى بمارية القبطية وهي من رقيق أهل الكتاب لأنه أقر أهل الكتاب على أنكحتهم ورقيقهم وقد اتخذ التسري بها ذريعة للوصية بأهل مصر إذ تفتح بلادهم لاصحابه وعلل ذلك بأن لهم « ذمة ورحماً » ولو عاش ابراهيم ولده منها لكانت أمه بسيدة نساء هذه الامة

والحكمة العامة المقصودة من التسري في الاسلام هي حكمة الزوجية نفسها، وحق النساء فيها أن يكون لكل امرأة كافل من الرجال لاحصانها من الفحش، وجعلها أمة تنتج وتربي نسلا للانسانية - إلا مايشذ من ذلك بأحكام الضرورة

فليتأمل النساء والرجال من جميع الامم والملل هذا الاصلاح الاسلامي والهدي المحمدي في تكريم المرأة وحفظ شرفها حتى التي ابتليت بالرق هل يجدون مثل هذا في دين من الاديان أو قانون من القوانين ؟ وهل يمكن أن يوجد في بلد تقام به شريعة الاسلام مواخير للفجور واتجار بأعراض الجنس اللطيف الضعيف؟

أرأيت أيها المحيط خبراً بتاريخ الامويين في الاندلس والعباسيين في الشرق. لو وجد الان بلد في الدنيا تعيش فيه السراري كما كن يعشن في بغداد وقرطبة وغرناطة ألا تهاجر اليه ألوف الايامى والبنات من أوربة ليكن سراري عند أمثال أولئك المسلمين إن صح عندهم استرقاقهن؟ فكيف لا يتمنين أن يكن أزواجا لهم مع التعدد؟ ألا يفضلن هذه العيشة على ما تعلمه من عيشة مواخير البغاء الجهرية والسرية ومن عيشة الاخدان الموقتة السيئة العاقبة على الجسم بعد ذهاب الشرف وجميع مزايا البشر؟ دع الاتجار بهن وسوقهن من قطر إلى آخر كقطعان الخنازير والنعم

(*) بل رواه الجماعة كلهم بزيادة وأبو داود باختصار . وفي رواية لاحمد «اذا أعتق الرجل امته ثم تزوجها بمهر جديد كان له اجران» والمراد بالمهر الجديد ان لا يجعل عتقها مهرا لها بل يمهرها كالحرائر

هذا وانا قبل طبع هذه الكراسة قرأنا في بعض الصحف أنه صدر حكم قضائي نهائي في باريس بانه يجوز للرجل أن يوصي بما شاء من تركته لمعشوقته التي يستريح معها ويجد من عنايتها مالا يجد من زوجته الشرعية، والشر يعقب الشر.

ألا فليتأمل النصارى في أحكام الرق في الاسلام والرق في التوراة والانجيل وحينئذ يوقن العاقل المستقل الفكر منهم أن ماجاء به الاسلام أعدل وأفضل وأكمل فهو إما وحي مكمل لما قبله واما ان رأي محمد (ص) أعلى وأكمل من وحيهم! !

هاهي ذي شريعة التوراة تبيح للعبراني أن يستعبد أخاه العبراني ويسترقه بثلاثة أسباب «أحدها» الفقر فكان يبيع نفسه ليوفي دينه١) ثانيها السرقة فهو يسترق جزاء ماسرقه إذا لم يجد مالا يعوض به المسروق ٢ » ثالثها بيع الوالدين لبناتهم ممن يتسرون بهن« ٣» وأما استعباد العبراني للاجنبي فقد كان يكون بالاسر في الحروب وبالابتياع من النخاسين كما كان عند الوثنيين وليس فيهما مافي الاسلام من أحكام الرقيق وحقوقه والوصايا فيه وقد ذكرنا بعضها هنا.

وهاهي ذي الديانة المسيحية لم تنسخ شيئاً من أحكام هذا الرق والعبودية الشديدة التي في العهد القديم بل فيها أن المسيح عليه السلام قد أوصى العبيد في مواضع شتى بطاعة ساداتهم ولم يأمر السادة بعتقهم ولا أوصاهم بالرفق بهم بمثل ما فعل أخوه محمد عليهما السلام وتعليل ذلك عندنا أن شريعة موسى خاصة بشعب نسبي أريد تفضيله على أمم الوثنية لاظهار التوحيد وهي موقتة كما يقول النصارى معنا - وأما الاصلاح المسيحي فيها فهو موقت بقدر ماسمح به ذلك الزمن - وان هذه المسألة من جملة الاشياء الكثيرة التي قال المسيح عليه السلام انه لا يستطيع أن يقولها لهم لا نه سيأتي بعده البارقليط روح الحق(٤) الذي يقول لهم كل شي (راجع انجيل يوحنا) (لها بقية)

١» راجع سفر اللاويين (٢٥ : ٣٩) (٢) راجع سفر الخروج (٢٢ : ١-٤).
(٣) سفر الخروج(٢١ : ٧ و ٨)
(٤)هو محمد خاتم النبيين اذ لم يصدق هذا الوصف علي غيره ﷺ

الشعر التاريخي

أو صفحة منه

(تاريخ الدعوة الى الاسلام ، في حياة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام)

نظمت بمناسبة احتفال الامة الاسلامية بمولده الشريف

(بقلم الشاعر الاديب (اليوزباشي) محمد توفيق افندي علي المزارع بالواسطى)

افتتاح وتمهيد ـ دعوته القبائل للتوحيد ـ احتماله أذى المشركين ـ تكذيب ثقيف لدعوته ـ رجاء الناظم في شفاعته ـ إعلان الضعفاء برسالته وتعذيب المشركين لهم ـ هجرة المؤمنين الى الحبشة أي احتماؤهم بمعتدلي النصارى من اضطهاد المشركين إعلان الخزرج وبيعة العقبة الصغرى ـ بيعة العقبة الكبرى والهجرة الى يثرب ـ مؤاخاة الرسول بين أصحابه وشنه السرايا ـ غزوة بدر الكبرى ـ غزوة أحد . واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب ـ غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن مسعود الغطفاني .. مثال من معجزات الرسالة ـ فتح مكة ومثال من تسامح الرسول غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته ـ تغلغل الدعوة في الارض ودخول الناس في دين الله أفواجا

(افتتاح وتمهيد)

طيف سرى فشفى صبًّا من السقَم ... سرّى الهمومَ وجلّى حالكَ الظُلَم

متمّم الخَلق من حُسنٍ ومن عجبٍ ... مكمل النور من علمٍ ومن حِكَمِ

أرنو إليه فتصبيني مناظرُه ... فأخفض الطرف خوف الفتنة العمم (١)

في موقف بجلال الحسن متّشح ... بالطهر مؤتزر بالصدق معتصم

حتى إذا سكنتْ نفسي سموتُ له ... أرعى الجمال وأخشى زلّة القدَم

(١) العميمة الشاملة ـ ولو قال : اجلالا لذا العظم ـ لكان أليق

تبارك الله كم في الحسن من بدع وفي الملاحة من سر ومن عظم
لا أكذب الوصف، بدر التم يشبهه والشمس رأد ١) الضحى من أطوع الخدم
وأين للبدر منه سحر مكتحل وأين للشمس منه در مبتسم؟
يا لين راحته، لا الزهر ملمسها ولا الدمقس ٢) ولا ماشئت من نعم
قبلتها وشذاه الروض ينفحني وفوه يسمعني من أعذب النغم
يدلي إلي بسر من محبتنا قدس الصحيفة في حرز عن التهم

* * *

يا لائمي أن دمعي في هواه جرى أقصر فدمعي قليل في الهوى ودمي
دمعي وشعري معاً من منبع جريا في الحب منسجم في إثر منسجم
لولا الجمال ولولا ما يطالعني من البدائع لم أعشق ولم أهم
تدعو المحاسن من باد ومستتر له المحبين من باك ومبتسم
لو جنة الخلد لي من وجهه عرضت لا أشتريها بما في القلب من ضرم
لو أن صبا ينير النصح واعية لم تلفني عن نذير الشيب في صمم

* * *

يا ويح نفسي قد كلفتها شططاً شرخ الشباب ولم أخشع لدى الهرم
وشاب فودي وظلت في طفولتها ترعى وترتع في مستوبل وخم
توبي لربك واخشي هول غضبته وعانقي سنة (المختار) واعتصمي

---

١) رونق الضحى (٢) الحرير الابيض

وقدمي عملا ترضي عواقبه وأجملي الصبر في الطاعات واعتزمي
هل نال رتبته الهادي وسؤدده إلا بإدمانه صبرا على الالم؟
وبالمواجر يطويها على ظمإ وبالدياجر (١) يحييها على ورَم

دعوته القبائل للتوحيد واحتماله أذى المشركين

لم يثنه قومه يشتد غيظهم في إثره بالاذى في الحل والحرم
أن يلبس الدعوة الشماء رهبتها بين القبائل لم يجزع ولم يخم (٢)
ماضاره أن (كندا) ربه كندت و(عامراً) عمّرت دهرا مع النعم
وأن (كلابا) على أربابها كلبت (ودوس) كالقوس لما بعد تستقم
ما زار (مكة) ذو فضل ولا شرف إلا دعاه فلم يهدأ ولم ينم
ماذا لقيت — فداك الناس كلهم من (الشياطين) يحدوهم (أبوالحكم) [٣]
من زمعة [٤] وأُبي [٥] والوليد [٦] ومن حرث [٧] ونضر [٨] وعاص [٩] بارئ النسم
ونوفل (١٠) لم يجيء يوما بنافلة ولا بفرض ولم يركع ولم يصم
والاسودين [١١] من استسقى فمات ومن دعا الرسول عليه بالعمى فعمي

---

(١) الظلمات (٢) خام عن الامر عجز عنه بعد ما هم به (٣) أي شياطين الانس من مشركي مكة . وأبوالحكم هو أبوجهل بن هشام (٤) ابن الاسود (٥) ابن خلف (٦) ابن المغيرة (٧) ابن الطلاطلة بن عمرو (٨) ابن الحرث (٩) ابن وائل (١٠) ابن خويلد (١١) الاسودان هما اللذان دعا الرسول عليهما فهلك منهما بالاستسقاء ابن عبد يغوث والذي عمي ابن المطلب — وكل أولئك من شياطين قريش الذين كانوا يؤذون الرسول في بدء الدعوة

تكذيب ثقيف لدعوته

وآسفتك «ثقيف» اذ نُدِبت لها تدعو لربك في سهل وفي عَلَمِ
أغروا بخير الورى عِبدانهم سَفَها وجهلَ صبيانهم إغراء منتقِم
حتى الى حائط أُلجئت منحرفا عن وُجهةِ السيل، سيل المحنة العَرِم
جلست لله تدعوه وتذكره بلؤلؤ من نثار الشهب لا الكلم
تشكو لمولاك ضعفا في قواك وما كنت الضعيف اذا لاقاك ألف كمي
لكن على الحلم تهدي والسماح وفي بحبوحة الرفق كالراعي مع الغنم
ما كان يلفتُك المولى لتدعوه إلا لينثر أغلى الدر خيرُ فم
كم في دعائك من ظرف ومن أدب وفي بيانك من نور ومن حِكَم(١)
وفي المخايل من نُبل ومن شرف وفي الشمائل من عتق ومن كرم
الله والاه بالنعمى وقربه وزانه بكمال الخَلق والشيم

رجاء الناظم لشفاعته ﷺ

وقفٌ عليك رسول الله تشفع لي . أن كنتُ جارك فاشفع سيد الامم
وقد عقدت جواري أنني وجل أملت جاهك دون العرب والعجم
إذ القيامة يوم أنت فارسه وأنت في ساحتيه صاحب العَلَم

١) كان دعاؤه يومئذ «اللهم أشكو اليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»

آليت ألقاك عند الحوض مبتسما أن كنت جاري وأوفى الناس بالذمم
كم في جوارك من أمن ومن سعة وفي فؤادك من عطف ومن رحم
وفي جنابك من عز ومن شرف وفي رحابك من أهل ومن نعم
وفي جبينك من شمس ومن قمر وفي يمينك من بحر ومن ديم
كم فيك من حسب، كم فيك من نسب كم فيك من نجدة، كم فيك من همم

﴿ إيمان الضعفاء برسالته ﷺ وتعذيب المشركين لهم ﴾

وآمن الضعفاء المتقون به من كل مستبصر بالخير متسم
حمال في بغضة الاوثان كل أذى ماض على شرعة التوحيد معتزم
وعاند الاقوياء الحق وانفجر الـطغيان يقذف كالبركان بالحمم(١)
لله در أبي بكر (٢) ونجدته إذ الموالي (٣) بشر غير منحسم
يعذبون على الاسلام من سنة ويفتنون عن التوحيد من لم
فكان يشاءهم عطفا ويعتقهم هيهات يقبل فيهم ظلم محتكم
والبذل في نصرة الاسلام شيمته والصدق والرفق في بدء ومختتم

﴿ هجرة المؤمنين الى الحبشة ـ أي احتماؤهم بمعتدلي النصارى من اضطهاد المشركين ﴾

وهاجر الحنفاء المهتدون الى ملك النجاشي فلم يخفر (٤) ولم يضم
لله (أصحمة) (٥ في الخير من ملك أسدى الهدى نعمة مرعية الحرم

---

١) ما يقذفه البركان من مواد سائلة «٢» الصديق أعتق ست رقاب من موالي المشركين غير بلال بن رباح «٣» العبيد «٤» خفره حماه وأجاره ووفى بعهده وأخفره ضد ذلك أي اسلمه ونقض عهده «٥» ابن ابجر وتفسيره «عطية» اسم نجاشي ذلك العهد

حمى من الجهل والطغيان وافدنا ورد كيد العدو الناقم الخصم
في الركب بنت رسول الله يصحبها عثمان في ثبج الامواج والأجم
هل زار (أثيوبيا) من قبلها ملك حالي الذوائب باهي مضرب الخيم
لو يخدره طالع الأحباش شارقه لكان يبيض منهم حالك الأدم

* * *

ما أجهل الشرك، يرمينا بشرته رمي الضعيف، ويرمي الله بالرجم
لا نسأم البغي والعدوان يتبعنا حيث ارتحلنا، فما في الله من سأم
لعل فتحا الى الاوطان يرجعنا فان حالا على الايام لم تدم
ماذا يحاول عمرو (١) أرسلوه لنا؟ يردنا للأذى والبغي والنقم!!
أهدى النجاشي فلم يقبل هديته وقال: لا أرتشي في الله من نعم
فعد لقومك يا ابن (العاص) مكتئبا فان جار النجاشي أي محترم

﴿ ايمان الخزرج وبيعة العقبة الصغرى ﴾

وقد أتى الخزرج الداعي فأسمعها وحي يكاد يرد الروح في الرمم
وكان قبل يهود يذكرون لهم إظلال عهد رسول صادق علم(٢
فآمنوا وانثنوا يهدون قومهم باكين فوق رحال الاينق الرسم
وأينع الوحي في الانصار فانبعثت وفودهم في طلاب الحق من أمم
ختمت البيعة الصغرى لطاعته في الخير والشر يغلي غلي محتدم
وكان بينهم خلف فألفهم نور من الله كم أوصى على الرحم

(١) ابن العاص فاتح مصر وذلك قبل إسلامه (٢) كانت يهود جيراناً للخزرج في البلاد فاذا كان بينهم شيء قالت يهود وهم أهل كتاب وعلم: انه سيظهر رسول قد أظل زمانه نصدق به ونقتلكم معه فلما ظهر آمن الخزرج وكذبت يهود

وجمّع الجُمَع الانصارُ يرشدهم من (مصعب بن عمير) خير ملتزم
لله مدرسة في يثرب فتحت يديرها فضل ذاك المقريء الفهِم
كذاك ساس رسول الله أمته بالحلم والعلم والقرآن والقلم

﴿ بيعة العقبة الكبرى والهجرة الى يثرب ﴾

وأوفت البيعة الكبرى لنصرته في الحرب من ظالم باغ ومنقصم
وذاع أمر رسول الله والتأمت مجامع الشرك فيه أي ملتأم
يمارضون إمام المرسلين وهل يمارض الوحيَ إلا كل منفحم؟
فكان «حاميم» يتلوها فتجرفهم كالسيل طبّق من مستشرِف الأكَم

***

وأرسل الله جبريلا بهجرتنا ليثرب، فزهت حسنا على إرَم
في كل يوم يوافيها ويقصدها ركبٌ لتوحيد رب العالمين نُمي
المؤمنون، وجلت تلك مرتبة وقسمة شمخت تيهاً على القِسَم
حتى تكامل وفد الحق واستلمت جماعة الله ركنا غير منهدم
فهاجر المصطفى الهادي وصاحبه(١) وأمر ربك مقدور من القدم
فتمت الهجرة العظمى التي حطمت ظهر الضلال وما أبقت على صنم

﴿ مؤاخاته بين أصحابه وبثه السرايا - غزوة بدر الكبرى ﴾

آخى نبي الهدى بين الصحابة في رفق فأضوا لفيفا غير منقسم
وأصبحوا قوة تخشى بوادرها لو آذنت جبلا بالحرب لم يقم
مهاجرون وأنصار قد ارتبطوا في ربهم برباط غير منفصم
بث السرايا(٢) على الاعداء يرهبهم من كل مستبسل بالنقع ملتثم

١) أبو بكر الصديق (رض) (٢) السرية لغة القطعة من الجند، سميت بذلك من السُّرى وهو السير ليلا كيلا ينذر بها الاعداء، واصطلاحا الغزوة التي لم يخرج النبي ﷺ فيها

يا يومَ بدرٍ جزاكَ الله صالحةً طلمتَ للاتِ (١) بالويلات والنقم
ولاح جبريل في نصر الرسول على خيل الملائك قد عضت على اللجم
رمى النبيُّ بحصباء فشرَّدهم في البيد منهزما في إثر منهزم
إلا أسارى وصرعى من حماتهم ملءالقليب ٢) وتحت النار لا الرجم ٣)
أبلى علي ٤) وأغنى حمزة ٥) وبدا عشق الشهادة فينا غير منكتم
سل عتبةً (٦) وأبا جهل (٧) وفلَّهما آللات أمضى ظُبىً في كل مختصم
أم أجمعت لقتال المصطفى فئة أو سار جيش عليه الطير لم تحم
نهى عن المُثلة ٨) الهادي وحذرنا ولو أراد بها الفجارَ لم يلم
أوصى بأسرى العدى خيراً صحابته إن القوي كريم العفو ذو الشمم

﴿ غزوة أحد واستشهاد أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب ﴾

كيف الشهادةُ لا تحلو وفي أُحد وجه الشفيع بأيدي الظالمين دمي
وظل في الروع يرمي في نحورهمُ مفرِّقا جمعهم في كل مزدحم
فر الاعادي وقد ريعت نساؤهم فهند ٩) مذعورة تبدي عن الخدم ١٠)
وخالف ابن جبير ١١) في الرماة هدى أمر النبي لهم حين القتالُ حمي
رأوا قطوف العدى في الروع دانية فضيَّع الثغر منهم كل مقتحم
فكان أن حُطموا ختلاً وأن ندموا مخالفُ الرسل لا يخلو من الندم

١) صنم (٢) البئر مطلقا أو العادية أي القديمة (٣) أحجار تقام على القبور لتدل عليها (٤) ابن أبي طالب (٥) ابن عبد المطلب (٦) ابن ربيعة ٧) ابن هشام (٨) تشويه القتلى تشفياً ٩) بنت عتبة وأم معاوية قبل إسلامها قتل أبوها في بدر فكانت بالمعمعة في أحد تحرض على المسلمين التماساً للثأر وحسداً ١٠) الخلخال ١١) عبد الله بن جبير كان أمره الرسول على الرماة في أحد ونهاهم أن يبرحوا موقفهم فخالفوه عند ما انكسر المشركون فانكشف ظهور المسلمين فكر عليهم المشركون فأمعنوا فيهم قتلا

أبو دجانة ١) أعطى السيف قيمته ضربا يجل عن التقدير والقيم
أغنى علي وأبلى حمزة ومضت لله لبدة ليث المأسلة القرم
أف لحربة وحشي ٢) لقد تركت في جانب البأس جرحا غير ملتئم
يا (حمز) للحرب يذكيها بمنصلت في كفه كشهاب الرجم مضطرم
لايهنىء الشرك كأس أنت شاربها في الله ممسولة تشفي من السقم
يا (حمز) قرت قلوب كنت مرجفها من طائر حين تلقاه ومخترم
ماذا فعلت ببدر إذ تمزقهم ؟ غادرتهم طعم العقبان والرخم
وكم فرست من الابطال في أحد يا ليث دين الهدى في كل مصطدم
ماضر سيف رسول الله (ثلمته في النوم) والعزم عضب غير منثلم
أبقى لنا الله فيه نجدة هدمت ركني أبي ٣) وطودا شامخ القمم

﴿ غزوة الخندق ومكيدة نعيم بن مسعود الغطفاني ومثال من معجزات الرسالة ﴾

ويوم خندق لا فلت عزائمه فأصبح الغيل يعيي كل مقتحم
حثوا المطايا وقادوا الجرد واحتشدوا حول المدينة في بأس وفي بهم (٤)
قريش حالفها غطفان شايعها يهود من ناقض حلفا ومرتطم
جاءوا ليستأصلوا الهادي ويثربه بكل منصلت يهوي على اللمم
فيها الرسول وجبريل وربهما يميت من شاء أو يحيي من العدم
فأرسل الله ريحا في معسكرهم رمت محرضهم بالعي والبكم
تذري الوقود وتكفي من قدورهم خوفا عليهم من الطغيان والبشم

(١) سماك بن خرشة أعطاه الرسول سيفا في أحد بحقه وحقه أن يقاتل به حتى ينحني ٢) قاتل حمزة وهو غلام جبير بن مطعم ٣) ابن خلف قتله الرسول بيده في أحد إذ أراد قتله ولم يقتل (ص) بيده غيره رحمة بالناس ٤) جمع بهمة بالضم وهو الشجاع

وجاءنا مؤمنا منهم وما علموا شهم تفرد بالاخلاص في الخِدَم
هذا نعيم بن مسعود قبيلته غطفانُ يُربي على غطفان كلهم
يقول هل خدمة أرضي الجهاد بها أن كنت عند الاعادي غير متهم؟
قال الرسول له ثبّط عزائمهم إن استطعت وشرّد خادعا بهم
فرق الجيش تمزيقا بحيلته كأنما كان جيشا زار في حُلم(١
وأصبح الجو خلواً من خيامهم إذ قوضت عن حساب جد منخرم
كانت يهود له ذبحا رجالهم بصارم العدل إلا غير محتلم
وقد أُفيؤا على الهادي وعترته وصحبه طعمة من أطيب الطعم

﴿ فتح مكة ومثال من تسامح الرسول ﷺ ﴾

يا فتح مكة أوسمت الضلال لظى والرشد برداً بجاري نصرك الشبم(٢
يد الاله من التوحيد قادرة رمت بسهم قلوب الشرك منتظم
خانت قريش عهود المصطفى فمضى في الخيل كالبحر بالماذي ٣) ملتطم
منّت كتيبته الخضراء ٤) ظافرة على العدى فأضافتهم الى الحشم
سماهم الطلقاء (٥) المصطفى كرما ومن من الخلق أولى منه بالكرم ؟

---

١) كانت خدعته أن ذهب الى معسكر يهود فقال لهم انكم إذا غلب محمد انشمر حلفاؤكم الى بلادهم البعيدة وتركوكم في وجه محمد ولا طاقة لكم به والرأي أن تطلبوا من أشراف حلفائكم رهائن حتى لا يتركوكم إن كانت الدائرة عليكم وذهب إلى حلفائهم فقال ان يهود كاتبوا محمداً أنهم ندموا على مشايعة أعدائه وسيقدمون له رجالا من أشراف حلفائهم يقتلهم ثم يكونون معه عليهم فقبل منهم — فتفرقت كلمة أعداء الرسول وانشمروا الى بلادهم «٢» أي البارد «٣» السلاح ٤ » سميت خضراء لكثرة سلاحها ٥» أي العتقى وذلك انهم صاروا عبيدا وسبايا بحق الفتح فأعتقهم

﴿ غزوة حنين ومثال من شجاعة الرسول وثباته ﴾

وفي حُنين وان راعت مواكبهم فانها لقمة تهدى لملتقم
جاءت هوازن تردي(١) في أعنتها لغزو مكة في سعد وفي جُشَم
لم تغن كثرتنا شيئا وقد طلعوا بالسمهرية والهندية الخذم (٢)
ولّت جحافلنا إلا الرسول مضى للنصر يهدر في درع من العصم
يصيح في الجيش إذ ولوا يشجعهم أنا النبي، الى عهدي، الى القسم
أنا محمد يا أنصار أين إذاً عني الفرار؟ ويا خيل العدى احطمي
حتى تشجع من أصحابه مئة صفا يجالد — قال الآن فاستقم
الآن يحمى الوطيس، الآن نهزمهم في الله نتركهم لحما على وضم
وقد تشتت شمل الشرك واغتُنمت نساؤهم والذراري أيّ مغتنم
منّ الرسول عليهم في حريمهم وفي بنيهم، وكانوا نهب مقتسم
ووزع الفيء تأليفَ القلوب على قسطاس(٣) عدل رضاء الله مرتسم

﴿ تغلغل الدعوة في الارض ودخول الناس في دين الله أفواجا ﴾

شامت ثقيف ضياء الحق فابتدرت نهج السداد وألقت راحة السلم
وحرم الله حجّ المشركين بما طغوا، وما أسلفوا من كيد مجترم
وأوذنوا بقتال يستحرّ الى أن يشربوا الله فرداً كاشف الغمم
وجاء يوم تبوك يوم مفخرة فالجزيةَ الرومُ أعطوها على رغَم(٤)

(١) تردي كترمي من ردي الخيل ورديانها وهوضرب من مشيها (٢) الخذم بضمتين جمع خذوم وهو كالخذم (ككتف) من السيوف السريع القطع «٣» الميزان «٤» الرغم بالفتح الكره والقهر وفتحت الغين لضرورة الشعر

وقام في الارض دين الله معتليا ولو أقيم بغير الله لم يقم
سمت اليه وفود العُرب طائفة من ساكني وبر أو ساكني أُطُم(١
بالحرث، سعد بن بكر، بالهدى سعدوا ملوك حمير من كهل ومن هرم
بنو حنيفة، طيء، الأزد، قد قنعوا بالله فرداً وبالقرآن من حكم
وتم نخر تميم عند ما هديت وآض مجد جذام غير منجذم
زبيدُ، كندة، عبد القيس، مذحجُ همــدان، مراد، نجوا من نار منتقم
(وعامر) عمرت في الله أفئدة كانت خرابا —وكم من وافد— وكم
كل لقد عانق الاسلام والتزموا يا حسنَ معتنق، يا طيبَ ملتزم

***

الدعوة انتشرت في الارض وانبعثت الى الممالك والاقطار من إضم
الى عمان، لغسان، الى يمن للفُرس، للروم، للبحرين، للهرم
الى النجاشي الى ملك الشآم الى دانٍ وقاص من الاصقاع والتخم

***

هذي رسالة خير الخلق باهرة كغرة الصبح تجلو فحمة الغسم
يكفي المكابر والفرقان في يده مفصل بفريد الدر والتوم٢)
بحار علم من الامية انفجرت وعبقرية آداب عن اليُتم

توفيق

١) الحصون ٢) اللؤلؤ

ترجمة القرآن

﴿ وكون العربية لغة الاسلام ، ورابطة الاخوة والسلام ﴾ (*)

٢

بينا في المقدمة الاجمالية لهذا البحث عشر مسائل أساسية لا مجال للمراء والجدل فيها يعلم منها جملة ما أصاب فيه الكاتبون الكثيرون في مسألة الترجمة وما أخطأوا ، ولكن ذلك الاجمال لا يغني عن البيان والتفصيل الذي تقوم به الحجج على الصواب ، وتدحض الشبهات التي لبست على المخطئين الحق بالباطل وهو ما أعقد له الفصول الآتية ، مبتدئا إياها بما اعلم من سبب إثارة هذا البحث وحقيقة الامر فيه

(غرض حكومة الترك الجمهورية اللادينية من ترجمة القرآن وكتابته بالحروف اللاتينية)

﴿ وما قيل في حظ الشعب التركي من هذه البدعة ﴾

لقد كان عمل الترك الذي اعلنوا تنفيذه في شهر رمضان ، هو الذي فتح باب البحث في ترجمة القرآن ، وكان أول ما كتب فيه تخطئتهم بحجج الاسلام ، والدفاع عنهم وتصويب عملهم بحجة التجديد وتطور الزمان ، الذي خلاصته أن الشعب التركي قد ارتقى في مدارج المدنية الاوربية ارتقاء ما عاد يليق به اتباع الشريعة الاسلامية العربية ، ولا الكتابة بحروفها ، وان الغرض الديني من القرآن معانيه لا عبارته وألفاظه ، ولا نظمه وإعجازه ، وانه مهما تكن الحال فلا يليق بالشعب التركي الراقي أن يترك لغته لاجل القرآن ، ولا أن يحافظ على الكتابة العربية لاجل المحافظة على القرآن المنزل باللسان العربي ، ومثل هذه الحجج الداحضة لا يقول بها أحد يؤمن برسالة محمد ﷺ وبكتاب الله المنزل عليه ، وانما يقول بها من يفضل عليهما سياسة الحكومة التركية الحاضرة التي أحدثت هذا الامر ، ومن عجب

(*) كتبنا هذه المقالة في العام الماضي ثم رأينا أن نجعل للموضوع مقدمة وهي ما نشرناه في الجزء الثالث الذي صدر في شهر ذي القعدة منه

ان كان فارس ميدانها كاتب كان قد اشتهر بالدفاع عن الاسلام والتنويه بمزاياه، ثم تذبذب فيه ثم صرح بنصر التجديد الاوربي وتفضيله عليه

فعلت هذه الحكومة فعلتها هذه متبعة ماسماه رئيسها « سياسة المراحل» التي كان أولها إلغاء الخلافة السياسية فالغاء الخلافة الروحية التي استبدلوها بها، فحذف مادة «دين الدولة التركية الاسلام» من القانون الاساسي، وإبطال المحاكم الشرعية والمدارس الدينية الاسلامية والاوقاف، فالغاء اللغة العربية وكتبها الدينية والعلمية، فالغاء حروفها، ثم وصلوا اخيرا إلى مرحلة القرآن، وما أدراك ما القرآن، هو كلام الله المنزل المتعبد بلفظه العربي وتلاوته، كالتعبد بعقائده وأحكامه، هو كلام الله الذي يعتقد كل مسلم أن تغيير شيء منه أو تبديله كفر يخلد فاعله في جهنم، فماذا يفعلون؟

(تبديل الحكومة التركية القرآن لغة وكتابة وأنصارها بمصر)

ان الحكومة العسكرية التي قهرت الشعب على الخضوع لها في قطع تلك المراحل كلها وقمع كل مقاومة بدرت منه بحكم الارهاب والتنكيل لا تهاب قطع هذه المرحلة وهي العقبة الكؤد: أمرت بترجمة حرفية جديدة للقرآن على أن تسمى قرآنا يتعبد به من يختار أن يبقى مسلما من الترك بشرط أن يكتب بالحروف اللاتينية كغيره من كتب الدولة وشعبها، وبدأت باعلان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان (٢٧ منه) فلقن قارىء حسن الصوت آيات منه فقرأها في جامع (أياصوفيا) المشهور ووضعت بجانبه آلة (الراديو) الناقلة للصوت الموزعة له فنقلتها إلى مواضع وبلاد كثيرة

إن هذا الحنث عظيم، وانه لخطب في الاسلام خطير، وان كربه على المسلمين لكبير، وقد توقعناه قبل وقوعه ببضع سنين، فصرحنا به وبينا مفاسده في المنار وفي تفسيره من خمسة عشر وجها، فهو لم يكن عندنا شيئا جديداً، وكنا نرجو من هذا الشعب العريق في الاسلام أن يوقظ هذا الاعتداء على دينه شعوره النائم، ويحيي ما أماته الجهل والفتة البدع ونزغات الالحاد المادية من عزة نفسه، ونرى انه سيصبر إلى أن تتيح له الفرص محو هذه البدع الالحادية والرجوع بالاسلام إلى أصله، وقد جاءتنا الانباء من مصادر كثيرة مؤيدة لرأينا هذا

نقلت انا الصحف خبر تنفيذ هذه البدعة الجديدة فلم نجدد في إنكارها قولا غير الذي قلناه ونشرناه من قبل ، ولكن ذكرها احد اخواننا المسلمين في مقال له بالعرض مستنكراً لها، ولم يستنكر فيه ماعرفه من التراجم قبلها ، فحرك من أنصار هذه الحكومة بمصر ما كان ساكنا ، وهاج من شيعتها ما كان كامناً فسددت إلى طعنه اسنة الاقلام، مقدسة لهذه الحكومة ومنزهة لها عن الملام، بأنها جاءت بالمعجزات، وفاقت جميع البشر في التجديد الذي تقتضيه حال الزمان ، والقضاء على ذلك البالي القديم من دين الاسلام ... وانما هو دين الله العام الباقي الى آخر الزمان

ومن التجديد الذي يليق « بالقرن العشرين » عندهم أن تترك الشريعة الاسلامية ، وينقل القرآن الى اللغة التركية ، ويكتب بالحروف الافرنجية ، لانها أضبط وأفضل من حروف العربية التي وصفها نصيرهم في مصر بالوثنية، وزعم ان الغرض من ترجمته فهم الترك له واهتداؤهم به، واستفادتهم من عقائده وقواعده ومواعظه وأحكامه ، وأن من الجهل والعبث تكليفهم التعبد بكلام لا يفهمونه، فمن فضائل حكومة الترك اللادينية الجديدة انها جددت الاسلام لاهله من شعبها، بما جهله أو ضل عنه جميع المسلمين من قبلها ، من عهد رسول الله ﷺ الى هذا القرن الرابع عشر للاسلام ، والعشرين للمسيح عليه السلام ، فهو من معجزاتها ومنتها على رعيتها الاسلامية

وربما كان هذا الذي فعلته هذه الحكومة اجدر بوصفه بالمعجزات (بالمعنى اللغوي) من الانتصار على اليونان واخراجهم من عقر دار الترك ، فان هذا على حسنه وحمدنا له في وقته ، دون انتصار الحكومة الحميدية بقيادة أدهم باشا على اليونان في بلاد اليونان نفسها، ودون انتصار فرنسة والولايات المتحدة في أمريكا على المتغلبين على بلادهم ، ودون انتصار صلاح الدين الايوبي وغيره على الدول الصليبية كلها ، وإخراجها من البلاد المقدسة وغيرها، وما وصف شيء من ذلك بالمعجزات. واما هذا الانقلاب الديني الجديد فقد عجزت عن مثله كل دولة تولت السياسة والحكم في الشعوب الاسلامية ، ولكن فعل اكبر منه بطرس الاكبر ثم البلشفك في روسية

دافع المنكر الاول لهذه الفعلة عن نفسه، وكتب المقال في اثر المقال في تأييد

رأيه ، وانتصر له آخرون ، وحمي وطيس الجدال بين الفريقين، وكثر اعتراض كل كاتب على مناظره حتى فيما هو خارج عن موضوع المناظرة من مسائل تاريخية أو كلامية، حتى طرق بعضهم باب البحث في كلام الله تعالى الذي هو صفة ذاتية له ، وكتبه المنزلة على رسله بألسنة أقوامهم ، وفي هذه المباحث من الفلسفة القديمة والنظريات الغريبة من المتكلمين ما كان من مصائب المسلمين في عصر رواج تلك الفلسفة.

ورجع بعض المدافعين عن الحكومة التركية الى كتب الفقه لعلهم يجدون في آرائها الشاذة ما ينصبونه حجة على جعل القرآن العربي المنزل خاصا بالعرب ، وجواز ايجاد قرآن تركي للترك ، وقرآن فارسي للفرس ، وقرآن هندي للهنود ، وقرآن صيني للصينيين الخ فوجدوا فيها رأيا لابي حنيفة في جواز الترجمة ولكن نقل فقهاء مذهبه انه رجع عنه ، وأن المعتمد في المذهب رأي اصحابه في حكم من يعجز عن أداء ما فرض الله عليه في الصلاة من قرآن بالنطق به كما أنزله الله عربيا غير ذي عوج ، وهو أنه يترجم له بلسانه، وهي ضرورة تقدر بقدرها فلا تباح لغير العاجز عن النطق مادام عاجزاً ، وسواء أصح هذا الرأي أم لم يصح فرأي المجتهد ليس حجة في الاسلام على غيره ، ولكنه هو يعذر به ، وكذا من قلده فيه لثقته به، وسواء أصح دليله ام لا فهو لا يتضمن جواز ترجمة القرآن كله بلغة غير لغته يستغنى بها عن المنزل من عند الله تعالى . فهذا مما اجمع المسلمون كلهم على عدم جوازه ، وعلى أن من يفعله متعمداً فهو زنديق مارق من الاسلام

ووجدوا في بعض كتب الحنفية من الاحتجاج لابي حنيفة في جواز الترجمة ان سلمان الفارسي رضي الله عنه ترجم سورة الفاتحة لمن طلبها من قومه ، فأجازه النبي ﷺ . ولم يرو هذا عنه أحد من حفاظ الحديث في الصحاح ولا في السنن ولا في المسانيد المعروفة، والفرس لم ينتشر فيهم الاسلام في عصر النبي ﷺ وهذه علة في متن الحديث زائدة على كونه لا يعرف له سند يحتج به، ومن المعهود في بعض كتب الفقه ولا سيما كتب الحنفية ذكر بعض الاحاديث الضعيفة وكذا الموضوعة، ونقل النووي لهذا القول في كتابه المجموع في فقه الخلاف لا يعد دليلا على انه روي بسند صحيح ولا سقيم كما توهمه بعضهم، وهو لم يقل هذا والحكم مخالف لمذهبه ، على أن النووي

ليس من حفاظ الحديث الذين عنوا بروايته وتدوينه، وانما هو فقيه عالم بالحديث يرجع في نقله والحكم عليه الى مخرجيه من أصحاب دواوين السنة ويقل غلطه فيما يعتمده من تحقيقهم

﴿اقوى الشبهات للقائلين بترجمة القرآن﴾

بيد أن الشبهة النظرية التي قبلها كثير من الناس الذين ليس لهم هوى في تأييد الحكومة التركية من عصبية جنسية ،ولا نعرة إلحادية، هي أن الاسلام دين عام خاطب الله تعالى به جميع البشر المختلفي اللغات، ومن غير المعقول ولا الممكن (عندهم) أن يكلف الله تعالى كل أمة وكل شعب أعجمي أن يترك لغته ويتعلم العربية لاجل أن يمتثل ما أمره به من الاهتداء بكتابه وتدبره والاتعاظ به وامتثال ما فيه من الاوامر والنواهي، وانما المعقول الممكن (بزعمهم) أن يترجم القرآن لكل قوم بلغتهم لاجل تبليغهم الدعوة الى الايمان به أولا ، ثم تعليم من آمن منهم ما أوجبه وما حرمه الله عليهم فيه، وتغذية الايمان بتدبره والتعبد بتلاوته

ومن لا ينكر منهم أن تكليف الشعوب توحيد لغة دينها ممكن ، ولا انه وقع بالفعل يقول ان شعوب الاعاجم لم يمتثلوه بل حافظوا على لغاتهم ،وحرموا من هداية القرآن نفسه اكتفاء باحكام الاسلام التي دونها لهم علماؤهم بلغاتهم ، فالخير لهم أن يترجم لهم القرآن فيستفيدوا من اخباره وحكمه وأحكامه ومواعظه، وإن خلت الترجمة من تأثير بلاغته ، وروعة أسلوبه ونظمه ، وماتدل عليه عبارته العربية من إعجازه، على أنه لم يعد أحد يفهم هذا منه بزعمهم !

هذه هي المسألة الوحيدة التي راجت شبهتها في سوق القائلين بجواز الترجمة أو وجوبها ، ولم نر أحدا اقتنع بما حاول خصومهم دحضها به، وقد التجأ بعضهم الى علماء الازهر فنشروا رأيهم ولكن لم يوجد في كلام أحد منهم ما يشفي الغليل، ويقيم الحجة على ان الاسلام جعل العربية لغة المسلمين كافة واوجبها عليهم

ولقد كثر علي المقترحون بأن أكتب في المسألة مايحق الحق ويبطل الباطل، بما يزيح الشبهة ويكشف الغمة ، كما تعودوه مني في أمثال هذه المشكلة، فكنت أحيلهم

على ما كتبته من قبل في المنار وفي الجزء التاسع من تفسير القرآن الحكيم، وقد جمع وطبع في رسالة مستقلة يسهل على غير مقتني مجلدات المنار والتفسير مراجعتها بيد انني رأيت بعضهم يقول انه لا بد من كتابة مقال جديد في المسألة فاستجبت لهم.

إنني لا أجادل ولا أماري أحداً من أولئك الكاتبين، ولا أتوخى الرد على قول من أقوالهم بالمناقشة في لفظه، وانما أتحرى بيان الحق الذي ينطبق على الواقع، فابدأ بكلمة تختص بحظ الشعب التركي من هذه الترجمة، ثم أبين كيف كان تبليغ الرسول ﷺ للقرآن ودعوته الى الاسلام، وكيف كانت سيرة خلفائه الراشدين ودول الاسلام وأئمته في نشر هذا الدين، وكيف اهتدى به العرب والعجم، وكيف يدعو النصارى الى دينهم أيضا، وهل تتوقف دعوة الاسلام على ترجمة القرآن أو دعوة النصرانية على ترجمة كتب العهد القديم والعهد الجديد عند النصارى؟

ثم أبين معنى كون اللغة العربية هي لغة الاسلام التي لا يتم بدونها كون المسلمين من الشعوب المختلفة أمة واحدة كما قرر القرآن، وكون افرادها اخوة في الدين كما وصفهم القرآن، واقيم الحجة على إمكان هذا ووقوعه بالفعل، وعلى كونه من أعظم أركان الاصلاح البشري الذي كان به الاسلام دين السلام، والتوحيد الانساني العام - الذي هو العلاج الترياقي لادواء العداوة والبغضاء بين البشر التي شكا منها الحكماء الاولون، ويشكو منها الحكماء الحاضرون

حظ الترك من هذه الترجمة

ان الاهتداء بالقرآن منه ما هو فرض عين على كل مسلم من ذكر وانثى كالقدر الذي لا تصح الصلاة بدونه، وما هو واجب أو مندوب (على ما بين الفقهاء من الخلاف في مفهوم الفرض والواجب) في الصلاة لاجل كمالها، وفي غير الصلاة من تدبره لتغذية الايمان والعبرة والموعظة بما فيه من الترغيب والترهيب

ومنه ما هو فرض كفاية كالعلم بما فيه من أصول الايمان، وقواعد الاسلام، وأنواع الاحكام، في العبادات والمعاملات والحظر والاباحة، والآيات البينات على تلك الاصول والقواعد ولا سيما إعجاز القرآن

ومنها ماهو من الفضائل والآداب ، التي هي مزيد كما في الدين

فأما القسم الاول فقلما يوجد مسلم تركي يجهله، فالترك شعب مسلم يعلمون أولادهم متى دخلوا في سن التمييز فاتحة القرآن وبعض السور القصيرة بالعربية، وكذا سائر أذكار الصلاة ويعلمونهم الطهارة الشرعية ويعودونهم الصلاة ، كما يفعل غيرهم من الشعوب الاسلامية عربها وعجمها، كما يعلمونهم معاني هذه التلاوة والاذكار في الجملة ، والذين يقصرون في تعليمهم معانيها من جهلة عوام القرى والجبال لتعسره او تعذره قد يسهل عليهم هذا التعليم في المكاتب والمدارس التي تعنى حكومتهم بتعميمها لنشر لغتها وآدابها ودينها اذا ظلت اسلامية ، ويمكن أيضا ان يستفيدوها من الوعاظ والمرشدين الطوافين اذا لم تمنعهم الحكومة اللادينية من ذلك ، فاذا منعتهم كان منعها أظهر برهان على تعمدها اخراجهم من الاسلام

ولعله لا يكاد يوجد فيهم أحد يعجز عن النطق بالفاتحة والسورة الصغيرة بالعربية فيأتي في حقه ما ذكره فقهاء الحنفية من القول بالصلاة بترجمتها وسقوط وجوبها مدة العجز، كما يسقط القيام في الصلاة عن العاجز عنه ما دام عاجزاً ، وانما يوجد هذا العجز عادة في الكبار الذين يدخلون في الاسلام وقد ملكت العجمة عليهم ألسنتهم ، وكان هذا يكثر في القرون الاولى التي يدخل فيها الكبار في الاسلام أفواجا ، وهو قليل في هذا الزمان ولا سيا عند الترك التابعين للحكومة الجمهورية ، على أن كثرتهم وقلتهم سواء في سهولة تعليمهم ما ذكر

وأما اخوانهم في تركستان الصينية ـ وهم الترك الخلص ـ فكل التعليم عندهم باللغة العربية وانما التركية هنالك لسان العامة لا لسان القراءة والكتابة

وليعلم القارىء العربي في مصر وغيرها ان المسلم التركي — وكذا الهندى والفارسي والافغاني وغيرهم — يجد من الخشوع ولذة وجدان الايمان في قلبه كلما قرأ أو سمع شيئا من القرآن المنزل مالا يجد مثله أكثر العوام من مسلمي العرب، وان لم يفهم شيئا مما قرأ أو سمع ، وانما سبب هذا الخشوع والوجدان ما يستولي على قلبه من تصوره سماع كلام الله المنزل على أفضل النبيين وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فمثله كمثل من يسمع نشيداً موسيقيا لوطنه وهو من رجال الوطنية أو

نشيد ملكه وهو من معظمي الملكية وهو لا يفهم معنى هذا النشيد وانما يعظمه ويهتز له قلبه بقدر الباعث من حب الوطن أو الملك وتعظيمه (والذين آمنوا أشد حبا لله)

ولا نعني بهذا أنه ينبغي ان يستغنى به عن فهم المعنى الخاص لكلام الله وذكره ولكننا لا نستبعد أن يكون فهم المعنى المجمل الوجيز من عبارة تركية رسمية أقل تأثيرا في قلبه مما يجده من شعور الايمان عند تصوره الاجمالي أنه يقرأ أو يسمع كلام الله تعالى تعبدا كما أمره الله ووعده بالاجر والثواب في دار المآب، فجعل له بكل حرف عشر حسنات

ومما ينقص الترجمة ولاسيما التركية انها لا يتأتى بها الترتيل والتجويد بالصوت الحسن الذي نعهده بالقراءة العربية ، فان من حكم هذا النظم البديع، والفواصل التي هي مرتبة فوق مرتبتي الشعر والتسجيع ، ان يرتل بها القرآن بانواع النغم الذي يملك العقل والوجدان ، وقد كانت تلاوة النبي ﷺ له اقوى الاسباب لقبول الايمان، واللغة التركية غير مستعدة لمثل هذه النغمات حتى انه ليس فيها من المد مثل ما في العربية

ومن المعلوم عندنا بالبداهة ان هذه الحكومة اللادينية لا تقصد بمنع قراءة القرآن بالعربية ثم منع كتابة ترجمته بالعربية ان يفهم المصلون من شعبها مايقرؤنه في الصلاة او غيرها

وأما التعبد بقراءة ترجمة القرآن لاجل تغذية الايمان ، والاعتبار والاتعاظ بما فيه من الهدي والفرقان، فقد علم مما قلناه أنه لا يحصل بالترجمه الحرفية التي أوجبوها ، وانما يرجى حصول شيء منه بالترجمة المعنوية التفسيرية التي يمنعونها ، وان لديهم ترجمة منها لخصها بعض علمائهم من تفسير مطول بالتركية وافقت عليه واستحسنته اللجنة الخاصة التي كانت مؤلفة من هيئتي تدقيق المؤلفات من قبل مشيخة الاسلام التي ألغتها الحكومة الحاضرة ومن وزارة المعارف

هذه الترجمة طبعتها ونشرتها المكتبة المعروفة في الاستانة باسم (سهولت كتبخانه سي) سنة ١٩٢٧ لصاحبها سميح لطفي افندي ،وكتب في طرتها مايلي:

قرآن كريم ترجمه سي

توركجه مصحف شريف

« ملغامشيخت ومعارف نظارتي تدقيق مؤلفات هيئتاري طرفندن متشكل قومسيون مخصوصجه تدقيق وتقدير اولنان مفصل تفسيردن ملخص در » .

وكتب في رأس كل ورقة منه « توركجه قرآن كريم » وهذا خطأ عظيم

ونظن ان هذه الترجمة أقرب الى الصحة من سائر الترجمات التركية الحرفية التي بينا بعض اغلاطها في المنار وفي الجزء التاسع من تفسير ناوجم في رسالة مخصوصة وطبع وحده. ولكني لا أشهد بصحتها كلها ولا أكثرها لانني لا افهم التركية ، ومما رأيت فيها من الخطأ تفسير الحروف المفردة في أوائل بعض السور كالم والمر وطس وحم - بما فسرها به بعض المفسرين من كونها مقتطعة من أسماء الله المبدوءة بها .

ومن مزايا هذه الترجمة ان مترجمها وضع لها حواشي كثيرة لايضاح مايخفي من معانيها لتوقف فهمه على معرفة سبب النزول أو بيان المجمل أو غير ذلك مما يستحيل أن يفهم المراد منه بالترجمة الحرفية ، ووضع في أثنائها جملا تفسيرية بين أهلة للايضاح أيضاً .

فلو كانت الحكومة التركية تريد تسهيل فهم معاني القرآن على رعيتها المسلمة لاكتفت بهذه الترجمة لمن يكتفي بالاجمال ، وأباحت نشر ذلك التفسير التركي لمريد التفصيل . ولكنها لم تفعل

ومن المعلوم لنا باليقين ان تأثير القرآن المنزل في تغذية الايمان ، وتزكية نفس الانسان ، وخشوعه لعظمة الديان ، واتعاظه بما فيه من الهدى والفرقان ، وقصص الرسل عليهم الصلاة والسلام ، مما لا يمكن الوصول الى معشاره بقراءة أي ترجمة له بأي لسان ، وسيأتيك شرح هذا وأدلته باوضح بيان

وأما الاعتماد على هذه الترجمة التركية الرسمية المقترحة - ولما تتم - في معرفة عقائد الاسلام وقواعده واستنباط الاحكام الشرعية منه فهو أبعد عن التصور والتصديق مما قبله ، فان الاستنباط الصحيح من القرآن لا يكون الا من نصوصه المنزلة من عند الله تعالى من عليم بلغته مفرداتها وأساليبها ، ومافيه من مجمل ومبين ، ومطلق ومقيد ،

وحقيقة ومجاز وكناية ، وأسباب نزول لا يفهم المراد بدونها ، وبيان السنة لما أمر الله تعالى رسوله ببيانه منها ، وكتب السنة كلها ممنوعة بلغتها العربية وباللغة التركية يضا - الى غير ذلك مما سنفصله بعد في تحقيق الكلام في الترجمة

وناهيك بترجمة تركية واللغة التركية اضيق اللغات المدونة المعروفة في مادتها الاصلية فان أكثر مصادرها عربي وفارسي ، وهم يستعملون العربي منها كثيرا في غير مايستعمله العرب ، وقد حاولوا من زهاء ربع قرن أن يستبدلوا بالالفاظ العربية فيها ألفاظا أخرى غير مألوفة ، ثم ان كتابتهم للعربي وغيره بالحروف اللاتينية يضيع على أهلها العلم باصله الذي يجب الرجوع اليه في تحقيق المعاني ، بل ثبت ان كتابتهم للتركية بالحروف اللاتينية قد أضعفتها ووقفت حركة انتشار العلوم والفنون فيها ، فما عسى ان يكونوا قد استفادوه من ضباط الالفاظ في النطق ، قد خسروا اضعافه بسوء الفهم وضعف انتشار العلم

وجملة القول أنه ليس للترك فائدة كبيرة يستفيدونها من هذه الترجمة الحرفية للقرآن وكتابتها بالحروف اللاتينية تجاه الفوائل والمفاسد التي فيها ، وقد بيناها بالتفصيل في رسالتنا المطبوعة وسنزيدها بيانا في هذا البحث

فهذا مايتعلق بعمل الحكومة التركية الذي اثار الجدال في المسألة . وجملة القول فيه انها أرادت بالترجمة التركية أن يستغني بها شعبها عن القرآن العربي المنزل من كل وجه ، لابعاده عن معرفة حقيقة الدين الاسلامي الذي لا يمكن العلم به من القرآن وحده بدون بيان الرسول ﷺ له . ويليه تحقيق الموضوع في نفسه من كل وجوهه ، ودحض كل شبهة تعترض دونه

هذا وان ماذكرناه في هذه المسألة ليس هو مقاصد هذا البحث الاساسية ، فان ارتاب فيه أحد القارئين او اعترض عليه فلا يعنيني ان ارد عليه او اتصدى لاقناعه ، وانما المقصود عندي بالذات فهو اثبات الحق في توحيد الاسلام للمسلمين في عقائده وآدابه وعباداته وسياسته واحكامه ولغته ليكونوا امة واحدة كل شعب وكل فرد منها كالعضو من بدن الشخص ، وبالله التوفيق

أنا والاديب الشنقيطي

طالعت مقال الاستاذ الاديب (محمد الامين الشنقيطي) الذي رد به على مقالي المنشور في الجزء الخامس من مجلة (الرابطة الغراء) تحت عنوان (الوهابيون والتوسل) أو (التوسل والاستاذ البيطار) ويلخص هذا الرد بما جاء في طليعته من قوله :
« لم يكن قصدي في هذا المقال إلا اثبات ما أنكره الاستاذ من أن رجال مذهبه الوهابي لم يكفروا المشركين » .

أقول : أما المشركون فهم بما أشركوا في غنى عن التكفير لأن الشرك كفر وزيادة ، بل هو شر أنواع الكفر على الاطلاق قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال عز وجل (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) وقال سبحانه (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الارض ؟ أم لهم شرك في السموات إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ، ومن أضل ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال عز من قائل : (ذلكم بانه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير) وقال سبحانه (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) فان قيل ان هذه الآيات قد نزلت في المشركين الاولين ، أجيب بان هذا حق ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول علماء الاصول (١) فيتناول عمومها كل من اتصف

(١) المنار : إن هذه الآيات وأمثالها لا يقال فيها إنها نزلت في سبب خاص وانما تصدق على أمثال من نزلت فيهم بما تدل عليه صيغ العموم فيها، كما لا يقال مثل ذلك في آيات التوحيد والبعث والامر بالاعمال الصالحة من العبادات والفضائل والنهي عن المعاصي فان كل أولئك عام لجميع المكلفين من كان منهم في عصر التبليغ المحمدي ومن بعدهم لانه أصول الدين الكلية وانما يقال ذلك في مثل امتحان المؤمنات المهاجرات وآيات الظهار

بوصفهم ، وتلبس بشركهم والعياذبالله تعالى ، ومناط الحكم فيها هودعاء غيرالله بما لايدعى به الاالله ، فهي تعم كل من شمله عمومها ، وتناوله حكمها ، من المشركين الاولين والآخرين الى يوم الدين

أما اذا كان الغلط الواقع في كلام الاخ الأمين مطبعياً ، وكان أصل المراد أن رجال المذهب الوهابي يكفرون المسلمين فهذا غلط عليهم، وحاشا لله أن يكفروا مسلماً موحداً ، وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله

وأما استدلاله بحديث الاعمى الذي هو أقوى مافي هذا الباب ، فقد تقدم في كلام الاستاذ الدجوي ، وأجبنا عنه بأنه على فرض صحته قدل أوله وآخره على أنه توسل الى الله تعالى بصلاته ، وبما علمه اياه الرسول ﷺ من الدعاء ، ثم بدعاء النبي ﷺ له ، وهو العمدة في ذلك ، وقول الاستاذ الشنقيطي في تعليل رجحان التوسل بالذات على الدعاء الصادر منه ﷺ : «لان الضرير جاء طالباً الدعاء فعدل عن الدعاء وأمره بهذا التوسل » غير مسلم ، لانا نقول ان هذا التوسل نفسه من الدعاء ، ولاأدري من أين فهم أن الرسول ﷺ لم يدع له ، مع أن الله تعالى قبل شفاعة النبي فيه ودعاءه له ، فردعليه بصره ، وكان ذلك معجزة للنبي صلوات الله عليه مصدقة لرسالته ، مؤيدة لدعوته ، كسائر معجزات الرسل ، وكانت خاصة بذلك الاعمى الذي دعاله ، دون عبد الله بن أم مكتوم مثلا وقد كان مؤذنه ﷺ وأشد لصوقاً به من ذلك الاعمى ، لكنه لم يدع له ولم يسأله هو ذلك بل صبر كما أمر ، بل دون سائر عميان الصحابة رضوان الله عليهم لأنه ﷺ لم يدع لهم ، بل دون سائر العميان في كل زمان ومكان ، ولو كان التوسل فيه بالذات الطاهرة ، التي لاتنقص حرمتها بعد الانتقال إلى الدار الاخرة ، للزم منه أن كل أعمى دعا بهذا الدعاء ، وتوسل بسيد الانبياء، يرتد بصيراً ، واللازم باطل فالملزوم مثله كما هو ظاهر ، على أن توسل الاعمى واقعة عينية يثبت الحكم في نظائرها وأشباهها في مناط الحكم ، وقد علمت أن الاعمى طلب في أول الحديث الدعاء فعلمه النبي ﷺ مايدعو هو به لنفسه أيضاً ، وأمره أن يقول في دعائه «اللهم فشفعه في» فدل ذلك على أن معنى قوله يارسول الله إني أتوجه بك الى ربي لتقضي حاجتي اللهم

فشفعه في » أي أتوجه بدعائك وشفاعتك ، والفرق بين من دعا له النبي ﷺ وشفع فيه وبين من ليس كذلك كالفرق بين الاعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والاحياء والاموات ، والذين يعلمون والذين لايعلمون

ثم إنا نأخذ على الاستاذ الشنقيطي قوله عن كاتب هذه السطور « رجال مذهبه الوهابي » وكنت أرجو أن ينزه قلمه عن الغمز والنبز بالالقاب ، فان رجال الوهابية لامذهب لهم في الفروع الا اتباع امام السنة أحمد بن حنبل ، ولا في أصول الدين الا مذهب السلف الصالح ، فهل في هذا أو ذاك مايعاب ؟ وهنا أذكر الاديب الشنقيطي بقول القائل

ان كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي

وبما يعزى الى الامام الشافعي رضي الله عنه

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقد زعم الاستاذ الشنقيطي أن كتب الشيخين : ابن تيمية وابن عبد الوهاب طافحتان بتكفير المتوسلين ، وعجب لي كيف لم أدرسها وأنا بمكة ، ثم رجح أني جنحت الى الانكار بعد الدرس والاطلاع ، وود لو ذهبت في دفاعي إلى سبيل غير الانكار ، وأفصح عن ذلك بقوله [فالانكار مدته قصيرة ، وعلماء الاسلام لايزالون بخير ينفون عن الدين كل ماأريد أن يلصق به] ثم ضرب لنا مثلا بقول الشيخ ابن عبد الوهاب : اعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين (أحدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين الخ كلامه

وأقول : قد علمت أيها القارئ الكريم مما تقدم من كلامي وتكرر ، ومن قول الشوكاني الذي استشهد به الدجوي « والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيره معه » ان الكلام منحصر في التوسل الخلافي المشهور بين العلماء ، المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل اليه بصالحي عباده ، ولكن الشنقيطي قد أغفل ذلك كله وتغاضى عنه ، وجاءنا بتوسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء اهل القبور أنفسهم ، والاستنجاد بهم ، وطلب الغوث منهم ،

لانقاذ الغرقى، وشفاء المرضى، ورد الغائبين ، وإغاثة الملهوفين ، وإعانة المستعينين ، وهذا لايسمى توسلا بهم، بل هو دعاء لهم وطلب منهم ، وهو خارج عن موضوعنا السابق ، وليس هو منه في شيء

والعجب كل العجب كيف تغافل الاستاذ الشنقيطي عن كل ماسبق من كلامي وكلام الدجوي والشوكاني وابن القيم وابن تيمية على كثرة تقريره وتكريره، وأغفل ذكره ،وأتانا بشيء يجري على لسان بعض الجهلة المساكين ،أو الغلاة المستجدين، ولا يقول به أحد من علماء المسلمين :! أهذا هو الذي أراد بمثله الاستاذ الشنقيطي أن يفحمني ويلزمني الحجة، وهو انه يوجد في كلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن المشركين الاولين إذا وقعوا في شدة كخوف الغرق في البحر دعوا الله مخلصين له الدين ، وان بعض أهل زمان الثاني إذا وقعوا في مثل ذلك دعوا من ألفوا دعوتهم من المخلوقين ، وهتفوا بأسمائهم مستجيرين مستغيثين ، لينقذوهم من الضيق أو ينجوهم من الغرق ! أهذه هي الشواهد التي يقول ان كتب الشيخين طافحة بها ،ثم يرميني بانكارها أو الغفلة عنها ، ويقول انه مستعد لأن يورد لي الكثير منها !! وأنا أقول حسبك هذا الشاهد الواحد ،وأنشد قول القائل:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أيها الاستاذ الامين :ألم تقرأ قوله تعالى في وصف اهل الجاهلية (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) وفي معناه آيات اخرى . وقوله سبحانه فيما قص علينا من أمر فرعون (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر، فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) فيكون اهل الجاهلية وفرعون الذي ادعى الربوبية والالوهية أولى بدعاء الله وحده عند الشدائد ممن يتبجحون بالاسلام والتوحيد !! وبديهي من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لايملكون لأنفسهم – ولا لغيرهم بالاولى – في الرخاء ولا في الشدة ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية المجمع عليها مع دعاء غير الله تعالى في الرخاء وفي الشدة أيضا ؟؟

فان قلت : ان الداعي لم يرد بدعائه إلا الله متوسلا اليه بمن يدعوه وان قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لشهدت صحتها ، وهلا شققت عن قلبه ؟ (فالجواب) ان مافي القلب لايعلمه إلا علام الغيوب وان الكلام منحصر في دائرة الاقوال والافعال التي تناقض صحة العقيدة القلبية كل المناقضة ، والشارع ناط الاحكام بالظاهر والله يتولى السرائر . ولا يرد حديث «هلا شققت عن قلبه» إلا على من يدعي معرفة الباطن وانه مناقض أو موافق للظاهر ، وإنما البحث فيما يبدو للحس من قول او عمل مصادم للشرع . وقد انكر النبي ﷺ على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل فادعى أسامة (رض) انه لم يأت بها عن عقيدة قلبية فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال «هلا شققت عن قلبه؟» وأين هذا من ذاك ؟

فان قلت إنا نحمل قوله على المجاز العقلي فالجواب كما قال بعض المحققين من وجوه :

(الاول) ان هذه الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى

(الثاني) لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها فان المسلم الموحد متى صدر منه قول او فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز والاسلام والتوحيد قرينة ذلك المجاز .

(الثالث) أنه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع وان الخير والشر بيده ولكن كانوا يعبدون الاصنام وغيرها بالدعاء والنذور لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده . فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس معناها الحقيقي بل المراد هو المعنى المجازي أي كالتكريم مثلا — فما هو جوابكم فهو جوابنا »

قال صديقنا العالم السلفي الشهير الشيخ ابو بكر خوقير المكي [رح] في كتابه (فصل المقال) ناعيا على من يسمي الطلب من غير الله توسلا : فيا ليت اولئك القوم يقولون بكراهة الطلب من الميت فيما لايقدر عليه بدلا عن تصريحهم ان ذلك توسل وقربة ، وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في ذلك ، وليتهم يكتبون رسائل في تقبيح ذلك أو ليتهم يسكتون — إلى ان قال — وكأنهم لايشعرون إلى الآن بما

حل بالامة من جراء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا

ثم قال (رح) ولو ترك بعض اولئك الرؤساء العناد وتنازلوا قليلا عن الغلو الذي هم فيه لوجدوا امامهم في كتب الفقه عبارات كثيرة تمنع ذلك :

قال في طوالع الأنوار شرح تنوير الابصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد السندي الحنفي : ولا يقول يا صاحب القبر يافلان اقض حاجتي او سلها من الله أو كن لي شفيعا عندالله بل يقول يامن لايشرك في حكمه احدا اقض لي حاجتي هذه وحيداً كما خلقتني » وقال في الفتاوى البزازية :من قال ان أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر . وقال ابو الوفاء بن عقيل الحنبلي : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا و كذا او اخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه (سيف الله على من كذب على أولياء الله) هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات ، يدعون ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تنكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات (الى أن قال) وهذا الكلام فيه تفريط وافراط . بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الائمة وما اجمعت عليه الامة اه

فهل بعد ما سمعت ما قاله فقهاء المذاهب في حكم الاستغاثة بغير الله في الشدائد وما صرحوا به من ان فيه روائح الشرك المحقق ومصادرة الكتاب العزيز وانه مخالف لعقائد الائمة وما اجمعت عليه الامة اقول هل يروج عليك بعد ذلك كله ان هذا كلام الوهابية لا كلام اهل السنة والجماعة ؟

(فان قيل) ان هذا الاسلوب منفر لكثير من الناس وان الدعوة الى الله

يجب ان تكون بالحكمة والموعظة الحسنة قلنا هذا حق ونحن اذا كنا متفقين على ان مايجري على حول القبور مماحاصله دعاء غير الله عز وجل هوخطأ وجهل كان لابدلنا من انكاره والسعي في ازالته واستئصاله ..

وقدقرأت لنابغة الشام(عن) الامام ابن تيمية قدس الله روحه انه افتى بعدم كفر من اشرك عن جهل الا اذا تبين له الحق وأصر مستكبرا وقرأت للامام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى انه كان يقول لمن يدعو زيد بن الخطاب من دون الله: الله خير من زيد . وعللوا بذلك بغلبة الجهل على الناس في ازمانهم حتى في بعض امور الدين المعلومة منه بالضرورة فكيف في زماننا الذي تراخى فيه العهد اكثر فضعف العلم بآثار الرسالة جدا واستولى الجهل على الناس ؟!

بقي علينا قول الاستاذ الشنقيطي « فالانكار مدته قصيرة وعلماء الاسلام لايزالون بخير »

فأنا الآن انادي بأعلى صوتي وأتحداه وأتحدى معه من يحب من العلماء بأن يأتوني بشاهد واحد من كتب ابن تيمية اوأحد السلفيين الى عصرنا هذا يؤيد دعواهم انهم يكفرون من يبتهل الى ربه ويدعوه وحده متوسلا اليه بأحد من خلقه وأنا امهله اياما بل أشهراً وأعواما ان شاء فان لم يأتوني به فليعلم الاخ الامين أني لم أنطق الا بالحق المبين، ولم أقل ماقلت إلا عن سابق علم واختبار، واني توخيت بذلك جمع الكلمة وتقريب مسافة الخلف، وازالة الوحشة والجفاء واحلال المودة والرحمة محلهما في هذا الوقت المصيب والله هو الموفق والمعين

وقد سألني الاستاذ الاديب في هذا المقام عن وقائع العراق وشرق الاردن والحجاز، وهو سؤال أقرب إلى السياسة منه الى الدين، على اني أوجز ما أعلمه وأدع ماليس لي به علم

ان وقعة الطائف كانت فلتة، وسمعت جلالة الملك الامام عبد العزيز يردد قول الرسول ﷺ « اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد » (*وقد امر أيده الله بتأليف لجنة بمكة للتعويض على المنكوبين، وأخرى في الطائف وكنتُ أحد أفرادها

---

*) المنار : يعني الشريف خالد بن لؤي فاتح الطائف بما كان من فعلته المشابهة لفعلة خالد بن الوليد (رض) التي تبرأ منها النبي (ص) .

وأما إنشاء حصون العراق وحواجزه فهو من جنس ما نشكو منه في بلادنا ونحاول إزالته ، لانه مقطع لروابطنا ممزق شملنا

وأما كلامه في شرق الاردن فلو تتبع الوقائع لعرف أن ليس له حجة يحتج بها وأما البادية فلا راحة لها ولا لغيرها إلا بدخولها في الدين والطاعة، وقد تم ذلك ولله الحمد

دمشق محمد بهجت البيطار

(ثلاث كلمات للمنار تتعلق بالموضوع)

انني أقفي على هذه الرسالة بثلاث كلمات [إحداها] انني ارى جميع الذين يجادلون في هذا العصر فيما اتبع فيه بعض المسلمين سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع مصداقا لحديث الرسول الصحيح ﷺ ومنه الشرك الصريح والشرك الذي يحتمل التأويل - يغفلون عن مسألة مهمة جداً وهي الفرق بين تكفير الشخص المعين وتكفير من يقول كذا او يفعل كذا من اقوال الشرك والكفر وأفعال اهلها ، فالشخص المعين يراعى في حقه درء حد الكفر وتنفيذ احكامه عليه بالشبهات والتأول ويقال فيمن لايراعي ذلك إنه جريء على تكفير المسلمين . وأما الذي يبين احكام الردة للناس فلا يعترض عليه إذا فعل كثير من الناس مايكونون به مرتدين بحسب تلك الاحكام ، ولا يقال انه يكفر المسلمين. وبهذا يظهر لك غلط الذين يزعمون ان مذهب الوهابية مبني على تكفير المسلمين ورميهم بالشرك ، بل لم يتورع بعض سدنة هياكل القبور المعبودة وأكلة نذورها الوثنية وأوقافها الباطلة من وصف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية بذلك. والواقع ان الشيخ محمد عبد الوهاب وعلماء نجد من ذريته وغيرهم قد صرحوا بانهم لايكفرون احداً من المسلمين بشيء مما سماه فقهاء المذاهب الاربعة كفرا وردة إلا إذا كان مجمعاً عليه ، وكان ابن تيمية من اشد علماء عصره وغير عصره احتياطا وتدقيقا في مسألة التكفير حتى نقل عنه أنه يرى عوام عصره معذورين بجهل بعض المسائل التي اجمع الفقهاء على التكفير بها لدخولها في جحود ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، فانه رأى ان بعض ما كان معلوما بالضرورة في القرون الاولى لم يعد معلوما كذلك في عصره لان دعوة الاسلام

على حقها لم تبلغ كل اهل ذلك العصر . وانما كان مما امتاز به ابن تيمية انه نبه المسلمين لما فشا في جهلتهم من الشرك بالله تعالى بدعاء الصالحين والمعتقدين تعبدا فيما لا يطلب من غير الله تعالى . وقد اعترف له بعض علماء عصره بذلك كالشيخ كمال الدين الزملكاني وقالوا إنه نبهنا لشيء كنا غافلين عنه بسبب ألفته وكثرته ، ونرى من أنكر عليه بعض المسائل الاجتهادية منهم كالتقي السبكي لم ينكر عليه شيئا من ذلك

[الكلمة الثانية] ان من اعظم الاسباب لترك كثير من المسلمين لاقامة دينهم والعمل به كما كان سلفهم هو جعل الاسلام رابطة جنسية لا يشترط فيها أو لا يراعى فيها علم ولا عمل ، ولا يؤاخذ فيها احد على ترك شعيرة ولا فريضة ، ولا على ارتكاب كبيرة ، حتى الردة ، فهي على كثرة وقوعها تمضي السنون بل القرون ولا ينفذ الحكام شيئا من أحكامها على أحد إلا نادراً ولا سيما حكام الدولة العثمانية والمصرية فالحدود الشرعية كلها معطلة

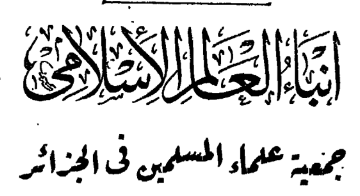
فكان مما امتاز به الاصلاح الديني في نجد إحياء الاسلام بالعلم والعمل والحكم ، ألفى الوهابيون أهل جزيرة العرب ولا سيما البدو قد فشا فيهم الشرك واستحلال دماء الناس وأموالهم وترك الفرائض فنفذوا فيهم احكام الشرع بالعلم والعمل والعقوبات من حدود وتعزيرات ، فكان هذا هو السبب لما أذاعته عنهم الحكومة العثمانية وانصارها بالتبع لها من تكفير المسلمين

نعم اننا لا ننكر أن أهل نجد يسيئون الظن بأهل البلاد التي لا تنفذ فيها أحكام الشرع ولا يبالي أحد بتلقينهم عقائد الاسلام الصحيحة وأحكامه على مذاهب اهل السنة ولا غيرهم وان منهم من لا يثق بدينهم فيطلقون عليهم لقب المشركين لما يرونه من أعمال الشرك بغير نكير وفي هذا الاطلاق شيء من الغلو المنكر كما بيناه مراراً في المنار

ولكننا لم نر حكومتهم في الحجاز وعلى رأسها القضاة من علمائهم نفذت أحكام الردة على شخص بعينه لما بيناه من الفرق بين بيان أحكام الردة العامة والاطلاق في الانكار ، وبين تكفير الشخص المعين الذي يراعى فيه درء الحدود بالشبهات

(الكلمة الثالثة) استطراد الاستاذ الشنقيطي في الرد على الاستاذ الدمشقي

إلى مافعل الوهابية من القسوة في غزو الطائف وشرق الاردن فنقول فيها انها من الامور العملية التي لايورد ماثبت فيها من منكر إلا على من يبرئ الوهابية من كل فعل منكر ، ولايكاد يسلم القتال من المنكرات الشرعية والقانونية عند أهلها، ولكن ما بال الاستاذ الشنقيطي لا ينكر على من يخدمهم ويدافع عنهم من أولاد الملك حسين إعطاءهم بلاد شرق الاردن وأعظم بقعة حربية من أرض الحجاز للدولة الانكليزية صارت بتمكنها فيها أعظم خطر على الحرمين وعلى سائر جزيرة العرب ؟؟



جمعية علماء المسلمين فى الجزائر

نبغ في بلاد الجزائر في هذا العهد جماعة من العلماء المصلحين يبثون في البلاد الدعوة إلى الحق والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالدروس والخطابة والكتابة في الصحف حتى إنهم أنشؤا عدة جرائد ومجلات عطلت حكومة الجزائر بعضها فخلفها غيرها.

وأشهر هؤلاء العلماء الاستاذ الشيخ عبد الحميد باديس منشيء مجلة الشهاب الاصلاحية التي خلفت جريدته (المنتقد) والاستاذ الشيخ الطيب العقبي والاستاذ الشيخ سعيد الزاهري وكلهم ممن جمع بين العلم والعقل والرأي وحسن البيان قولا وكتابة وخطابة ، وقد فكر هؤلاء مندسنين في تأليف جمعية علمية تكون المرجع المعتمد لمسلمي هذا القطر في جميع أمور دينهم تزول بها هذه الفوضى الدينية العلمية التي تصدى للتعليم والارشاد والافتاء في ظلماتها كثير من الجاهلين والدجالين المضلين ، وبعد التشاور مع إخوانهم من العلماء ومحبي الاصلاح والإرشاد من وجهاء المسلمين المستنيرين وفقوا لتأليف هذه الجمعية في العام الماضي واختاروا لرياستها الاستاذ العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد باديس صاحب الشهاب المنير، وظاهرهم على

تأليفها جميع أهل البصيرة والهدى من العلماء والادباء وأصحاب الصحف الاسلامية

ويسرنا أتم السرور أن حكومة الجزائر قد أباحت لهم تأليف هذه الجمعية لاقتناعها بأنها تنفع المسلمين في أخلاقهم وآدابهم واستقامتهم في معاملاتهم مع جميع الناس من حيث لا تضرها هي في شيء لما ثبت عندها من اجتناب هؤلاء العلماء الخوض في سياستها وإدارتها أو تنفير العامة عنها . وقد أحسنوا كل الاحسان في سيرتهم العملية التي أقنعت الحكومة بهذا فان السياسة ما دخلت في عمل إلا أفسدته كما قال شيخنا الاستاذ الامام ، وعلى المشتغل بالعلم والاصلاح الديني ان يعطيه كل وقته وعلى المشتغل بالسياسة أن يعطيها كل عزيمته ولا يلبس لها غير لباسها

وإننا نشكر لحكومة الجزائر هذه الحرية لهذه الجمعية الرشيدة كما ننكر على دولتها ما تفعله خلاف ذلك في المغرب الاقصى لتعلم الدولة الفرنسية أننا لسنا أعداء لها لذاتها وإنما نقول لها أحسنت إذا أحسنت ، ونقول لها أسأت إذا أساءت

هذا وان الاستاذ الكبير رئيس الجمعية قد زار في هذا الصيف أشهر بلاد الجزائر فتلقاه أهلها بالحفاوة التي يستحقها والتكريم اللائق بمقامه العلمي الاصلاحي وبكرمهم الاسلامي، وقد أسمعهم من دروسه ومواعظه الحكيمة ما أحيا هداية القرآن والسنة فيهم

المؤتمر الاسلامي العام، لجنته التنفيذية ومكتبها

(٣)

نشرنا في الأجزاء الثاني والثالث والرابع فصولا في المؤتمر الاسلامي العام وما سبقه وما جرى فيه وسير تنافيه مما لم ينشر في الصحف التي اطلعنا عليها كما وقع ولكننا كتبنا كلمة وجيزة في شأن اللجنة التنفيذية ومكتبها لتنشر في السادس فضاق فضاق عنها وها هي ذه:

أخطأ المؤتمر العام في الطريقة التي اختارها لانتخاب لجنته التنفيذية إذ انتخب ٢٥ عضواً من أقطار بعيدة عن المركز (القدس) لا يمكن اجتماعهم فيه، منهم الهندي والجاوي في الشرق، والمراكشي والاوربي في الغرب، وآخرون مما بينهما ، وقد اجتمع هؤلاء الاعضاء كلهم مرة واحدة في مساء اليوم الذي انتخبوا فيه وانتخبوا من أنفسهم

ومن غيرهم بضعة أعضاء لادارة مكتب اللجنة من المقيمين في فلسطين وسورية ومصر تصوروا أنه يمكن اجتماعهم ولكن مضى على ذلك بضعة أشهر - أو نصف سنة - ولم يجتمعوا، وانما كان خير ماوفقت له اللجنة التنفيذية اختيارها للرجل الاحوذي الكبير، السيد ضياء الدين الطباطبائي الشهير ناموساً لها (السكرتير العام) ومقامه في أوربة فلم يتيسر له العودة إلى القدس إلا بعد المدة التي ذكرناها. عاد فشمر عن ساعد الجد واكتفى في ادارة أعمال المكتب بمن يوجد في القدس من أعضائه، ونفذ كثيرا من قرارات المؤتمر، واتخذ الوسائل لتنفيذ غيرها، وأولها تأليف اللجان للمؤتمر في جميع الاقطار الاسلامية لنشر مقررات المكتب وجمع المال لاعماله وأهمها إنشاء المدرسة (الجامعة الاسلامية) وكان أول مابدأبه من طلب المال أن كتب إلى أعضاء المؤتمر أنفسهم بالتبرع للمكتب بما تجود به انفسهم ولاأدري مافعلت العسرة المالية بهذا الطلب، إلا أنني عجزت عن التبرع بأقل مايسمى تبرعا، وان صديقي محمود بك سالم الذي كان تبرع في المؤتمر بمائة جنيه مصري يؤديها في يوم عرفة كان يسألني لمن يؤديها وألح في السؤال من أول ذي الحجة: ماذا يفعل بها ولجنة المؤتمر لم تعين أميناً للمال؟ فأقول له اصبر، حتى إذا علم مني ومن غيري أن السكرتير العام نظم مكتب المؤتمر وهو مجد في العمل أرسل المبلغ، وكذلك التاجر المحسن أحمد افندي حلاوة أرسل مائة جنيه كان تبرع بها، (وأخيراً تبرع له صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا بمائتي جنيه مصري وأرسلها) وماذا تغني المائة والمئات والعمل يتوقف على الالوف من الجنيهات، وأكثر الناس معسرون، ولكن الاغنياء الواجدين كثيرون، وأكثرهم يبخلون بما يجب عليهم، فأنى يجودون بالتبرعات للمنافع والمصالح العامة وهم لايعقلون لها معنى، ويعتذرون بالعسرة وان كانوا لم يذوقوا لها طعما؟

والرأي عندي أن لا يشرع المكتب الآن في جمع المال لانشاء المدرسة الجامعة بل يجب اولا أن يعنى بوضع النظام والرسم الهندسي لبنائها، وتقدير النفقات الدقيقة لها، ثم يضع النظام لجمع المال من جميع الأقطار الاسلامية التي يعلم أن لاهلها من الحرية ما يمكنهم من البذل لمصلحة الاسلام العامة، فان الترك في الجمهورية اللادينية

لا حرية لهم في مثل هذا ، ومثلهم بعض المسلمين الذين سلبهم المستعمرون كل انواع الحريات البشرية

والواجب أن يراعى في هذا النظام المالي أن يثق كل من يطلع عليه أن ما يبذله من المال لهـذا العمل يوضع في قرار مكين وحرز أمين فلا ينفق شيء منه إلا فيما وهب لاجله، لايخشى أن يضيع منه شيء من أيدي الجباة له ولا من أيدي غيرهم، وبعد اتمام النظام وطبعه وتأليف اللجان في الاقطار كلها تستشار هذه اللجان في كل قطر في الوقت المناسب للبدأ بالعمل

وأرى أنه يجب على مكتب المؤتمر أن يستعين برأي بعض كبار الماليين والاداريين في وضع هذا النظام ولا يستقل هو به واتماله أن يستقل بما يطلبه من التبرع للاعمال الادارية العامة كالذي طلبه أولا

هذا وانني رأيت لجنة الجامعة التي ألفها المكتب قد وافقت السكرتير العام على البدء بثلاثة فروع من كلياتها : وهي الشرعية والصناعية والطبية، وأهملت الدعوة والارشاد التي هي أهمها ، وجل مباحث المؤتمر كانت تدور حولها ولكن المكتب كلفني تأليف لجنة لها ، ولم يبين لي صفة هذه اللجنة ولا عملها الآن ، فاما نظام الادارة ومناهج التعليم فقد سبق لنا وضعها وتنفيذها ، ولا تحتاج الا الى تنقيح قليل، واما جمع المال فهو الآن متعذر على انه لابد ان يسبقه ما اقترحنا من النظام العام له ،وانتهاز الفرص في كل قطر بحسبه

هذا وان ما عرض لنا في هذا الشهر وما قبله من كتابة الرسالة المقترحة في حقوق النساء في الاسلام وطبعها قد اضطرتنا الى تأخير نشر خطبتنا الجامعة في المؤتمر العام الى جزء آخر

وقد أرسل الينا مكتب المؤتمر عدة بلاغات ونداءات للنشر اهمها النداء الآتى الذي صدر في هذا الشهر، وهو :

﴿ نداء إلى مهندسي المسلمين بشأن جامعة المسجد الاقصى ﴾

بما أن المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي العام الذي تألف بعد انفضاض المؤتمر لتنفيذ مقرراته والنهوض بالواجبات الجليلة التي رسمها في اجتماعاته قد أتم بعون الله وتوفيقه تأليف لجنة من الفضلاء وأهل الرأي للشروع في إنشاء جامعة المسجد الاقصى الاسلامية التي كانت بلامراء من أعظم وأجل المشروعات التي أقرها المؤتمر والتي سيكون لها في تجديد نهضة المسلمين المقبلة أبلغ الأثر

ولما كانت جامعة المسجد الاقصى ستتألف في أبان إنشائها من ثلاث شعب

١ ـ شعبة العلوم الشرعية الالهية

٢ ـ شعبة الفنون والصناعات

٣ ـ شعبة الطب والصيدلة

ولما كان الركن الاساسي في نجاح هذا المشروع الخطير قائماً على تعاون المسلمين وتسابقهم في مضمار الخير فان المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي العام يدعو كل مهندس مسلم يأنس من نفسه استعداداً لخدمة هذا المشروع الجليل ابتغاء مرضاة الله أن يتفضل باخبار المكتب باستعداده للشخوص إلى القدس الشريف لوضع الخرائط والتصميمات وفق القواعد التي يبينها المكتب لمن يعتمده من حضرات المهندسين

ويتعهد مكتب المؤتمر بان يقدم لكل من حضراتهم نفقات الذهاب والاياب والاقامة بالقدس مدة العمل ، أما المشاق التي يتكبدها مثل هؤلاء المجاهدين الفنيين فاجرها عند الله عظيم، وتقديرها عند العالم الاسلامي جليل، وان كل مهندس تنال خرائطه وتصميماته الرجحان سينقش اسمه الكريم على باب هذا المعهد الأسلامي كشرف مخلد ومأثرة تبقى على ممر الدهور

(وما تفعلوا من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون) . (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا)

أمين السر العام	أمين المال
ضياء الدين الطباطبائي	محمد علي علوبة باشا

لجنة بحث موضوع البغاء الرسمي

﴿ المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٢ ﴾

[أرسل الينا صاحب السعادة محمد شاهين باشا رئيس هذه اللجنة الاسئلة الآتية كما أرسلها الى كثير من الجماعات وأفراد العلماء الباحثين منذ شهر يونيو ، وكنا أخرنا أجوبتنا لاجل أن ندرس الموضوع من جميع أطرافه فتكون مفصلة، ولما رأينا من سبقنا إلى الكتابة في الموضوع قد أطالوا في كل جواب رأينا الاكتفاء بما يوجبه علينا الشرع من بيان حكمه في الموضوع . وهذا نص الاسئلة مع أجوبتنا:

(أسئلة يراد الاجابة عليها)

﴿ السؤال الاول ﴾

هل ترون إلغاء البغاء الرسمي او إبقاءه ، وماهي الاسباب التي تبنون عليها رأيكم ؟

(جوابه) انني أرى وجوب إلغاء البغاء الرسمي وغير الرسمي وعقاب الزناة والزواني لان الزنا فاحشة حرمها الله تعالى بنص القرآن وعلى ألسنة جميع الانبياء ، فاباحته واستباحته ـ اعني استحلاله ـ ارتداد عن الاسلام . وما حرمه الله تعالى إلا لما فيه من المضار والمفاسد البدنية والنفسية والاجتماعية التي تضاعفت في هذا الزمان بفشوه في جميع الطبقات ، ومنه بعض الامراض السرية التي لم تكن كلها معروفة في العصور السابقة، وان من اكبر العار على الامة المصرية ولاسيما علمائها وعلى الحكومة المصرية التي وضعت في دستورها ان دينها الاسلام أن تبيح الزنا في هذا القطر الاسلامي الذي يدين جميع أهله بتحريم الزنا وقبحه لايشذ منهم إلا زعانف من الملاحدة الاباحيين. هم أكبر خطر على هذه الامة فان هذا الاسراف في الفسق يهلك الامم القوية فكيف يكون فتكه بالامم الضعيفة التي هي في سن التكوين السياسي والمدني والاقتصادي.

ومن العجب أن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرهم يرون أن مصر أولى الاقطار الاسلامية بزعامة العالم الاسلامي وبأن تكون مقر الخلافة الاسلامية وأن تكون

الحجاز تابعة لها او تحت سيادتها او هي تبيح الزنا والسكر والربا والميسر إلا بعض أنواعه

بل يجب على الحكومة المصرية سد ذرائع الزنا من تهتك النساء ورقصهن وتبرجهن في الاسواق والشوارع « كاسيات عاريات مائلات مميلات » كما ورد في الحديث الصحيح في صفات أهل النار ولا سيما استحمامهن على شواطئ البحار مع الرجال، ورقصهن معهم وخلوتهن بهم في هذه الحال ، وتلك المحال ، بل خروجهن بسترة الحمام الرقيقة إلى الشوارع والملاهي والمقاهي . وهذه الاباحة شر من إباحة الزنا في مواخير لا يراها إلا من يدنس نفسه بدخولها ، ولا يمكن منع الزنا مع إباحتها

﴿ السؤال الثاني وجوابه ﴾

في حالة الالغاء ماهي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخص لهن الآن؟

(ج) ان الاطباء ورجال الادارة أوسع رأيا مني في هذه المسألة وانما اقول ان كل معاملة يعاملن بها خير لهن وللناس من إباحة هذه الحرفة الملعونة

﴿ السؤال الثالث وجوابه ﴾

ماهي الوسائل التي تقترحونها لمكافحة البغاء السري ؟

(ج) لعل أقرب الوسائل الى ذلك وضع العقوبات الشديدة على الزنا والقيادة وأصحاب المواخير السرية مع مراقبتهم بالدقة التي يراقب بها شر الجناة والمجرمين ومنع إباحة تهتك النساء جهراً في شواطيء البحار وامثالها

﴿ السؤال الرابع وجوابه ﴾

ماهي الوسائل التي تقترحونها لتلافي أضرار الامراض السرية

(ج) إن خير وسائلها منع أسبابها، ومصلحة الصحة في غنى عن رأي مثلي في طرق علاجها

﴿ السؤال الخامس وجوابه ﴾

إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمي فهل يكون ذلك تدريجا أم دفعة واحدة؟ أي هل يكتفي مبدئياً بعدم الترخيص لبغايا جديدات فيندثر البغاء الرسمي تدريجاً ؟ أم يحرم على البغايا الموجودات في الوقت الحاضر ممارسة مهنتهن فيقضي على البغاء دفعة واحدة

(ج) الواجب القطعي الذي لا تخيير فيه شرعا ولا مصلحة إلغاء البغاء دفعة واحدة بقانون صريح يتضمن العقاب الشديد على مخالفته، وتحريمه فعلا كما حرمه الله حكما ، ورجال القانون أعلم بأقرب الطرق الممكنة لتنفيذه



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

جمادى الاولى ١٣٥١ برج الميزان سنة ١٣١١ هـ ش سبتمبر سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

فصل في الآيات الكونية التي ايد الله بها رسله

(ومايشتبه بعضها من الكرامات، وما يشتبه بها من خوارق العادات، وضلال الماديين والخرافيين فيها)

تكلمنا في القسم الأول من هذا البحث في آيات الانبياء التي تسميها النصارى بالعجائب ويسميها علماء الكلام منا بالمعجزات ، ويعدونها قسما من خوارق العادات التي جعلوها عدة أقسام ، ونقول هنا كلمة وجيزة في إصلاح الاسلام لضلال البشر فيها ، والصعود بهم أعلى مراقي الايمان، اللائق بطور الرشد

العقلي لنوع الانسان ، والعلم الواسع بسنن الاكوان ،الذي منحوه برسالة محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، فنقول :

آيات الله نوعان

آيات الله تعالى في خلقه نوعان : (النوع الأول) الآيات الجارية على سننه تعالى في نظام الخلق والتكوين وهي أكثرها وأظهرها وأدلها على كمال قدرته وارادته ، وإحاطة علمه وحكمته ، وسعة فضله ورحمته ، (والنوع الثاني) الآيات الجارية على خلاف السنن المعروفة للبشر وهي أقلها وربما كانت أدلها عند أكثر الناس على اختياره عز وجل في جميع ماخلق ومايخلق ،وكون قدرته ومشيئته غير مقيدتين بسنن الخلق التي قام بها نظام الكون،فالسنن مقتضى حكمته واتقانه لكل شيء خلقه،وقد يأتي بما يخالفها لحكمة أخرى من حكمه البالغة،ولولا هذا الاختيار لكان العالم كالآلات التي تتحرك بنظام دقيق لاعلم لها ولا إرادة ولا اختيار فيه ، كآلة الساعة الصغيرة التي تعرف بها أوقات الليل والنهار ، وآلات البواخر والمعامل الكبيرة ، والماديون المنكرون لوجود الخالق والفلاسفة الذين يسمونه العلة الفاعلة للوجود يعبرون عن هذا النظام بنظرية (الميكانيكية) وهم يتكلفون اختراع العلل والاسباب لكل ما يرونه مخالفا لسننه المعروفة، ويسمون هذه الآيات المخالفة لها بفلتات الطبيعة، ويقيسون مالم يظهر لهم تعليله على ما اقتنعوا بتعليل له وان لم يقم عليه دليل يثبته ، ويقولون ان ما لم يظهر لنا اليوم فلا بد أن يظهر لنا أو لمن بعدنا غداً

سنن الله في عالم الشهادة وعالم الغيب

ونحن معشر المؤمنين بعالم الغيب ومافيه من الملائكة وهم جند الله الاكبر، ومالهم من التأثير والتدبير في عالم الشهادة المادي باذن الله تعالى وتسخيره، نعتقد أن لله تعالى سننا في نظام ذلك العالم غير سننه الخاصة بعالم المادة،وان الانسان هو حلقة الاتصال بين العالمين بجسده ووظائفه الحيوية من عالم الشهادة وروحه من عالم الغيب ، مادام في عالم الجسد المادي فان جميع مداركه تكون مشغولة من المادة وسننها وحاجاته الشخصية والنوعية منها بما يحجبه عن عالم الروح الغيبي حتى

روحه المتمم لحقيقته ، وانما يكون الظهور والسلطان للروح على الجسد في الحياة الآخرة ، الا من اصطفى الله تعالى من رسله وأنبيائه فاعدهم بفضله ورحمته للاتصال بملائكته والتلقي عنهم ، وأظهرهم على ماشاء من غيبه ليبلغوا عباده عنه ماأمرهم به

الغيب قسمان حقيقي وإضافي

الغيب ماغاب علمه عن الناس وهو قسمان: غيب حقيقي لايعلمه الا الله ، وغيب اضافي يعلمه بعض الخلق دون بعض لاسباب تختلف باختلاف الاستعداد الفطري والعمل الكسبي ، ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقي من رسله فليس لهم في ذلك كسب لأنه من خصائص النبوة غير المكتسبة (١)

ومن دونهم أفراد من خواص أتباعهم أوتوا نصيباً من الاشراف على ذلك العالم بانكشاف ماالحجاب ، وإدراك ماالشيء من تلك الانوار ، كأن بها ايمانهم برسلهم فوق إيمان أهل البرهان ، وقد روي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه انه قال : لو كشف الحجاب ماازددت يقينا

ومن دون هؤلاء أفراد آخرون قد يكون لهم من سلامة الفطرة ، أومعالجة النفس بانواع من الرياضة ، أومن طروء مرض يصرف قوى النفس عن الاهتمام بشهوات الجسد ، أومن سلطان ارادة على إرادة قوية ضعيفة ، تصرفها عن حسها ، وتوجه قواها النفسية الى ماشاءت أن تدركه لقوتها الخاصة بها — قد يكون لهؤلاء الافراد في بعض الاحوال من قوة الروح مايلمحون به بعض الاشياء او الاشخاص البعيدة عنهم ، وتتمثل لهم بعض الأمور قبل وقوعها مرتسمة في خيالهم ، فيخبرون بها فتقع كما أخبروا

الخوارق الحقيقية والصورية عند الامم

ان الامور التي تأتي في الظاهر على غير السنن المعروفة ، أو الخارقة للعادات المألوفة ، منقولة عن جميع الامم في جميع العصور نقلا متواتراً في جنسه دون افراد وقائعه ، وليست كلها خوارق حقيقية ، فان منها ماله أسباب مجهولة للجمهور ،

(١) يراجع تحقيق هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحة ٤٢١ و ٤٥٦-٤٦٩ من جزء التفسير السابع وملخصه في ص ٥١٣ من الجزء التاسع

وان منها لما هو صناعي يستفاد بتعليم خاص ، وان منها لماهو من خصائص قوى النفس وتأثير أقوياء الارادة في ضعفائها ، ويدخل في هذين المكاشفة في بعض الامور والتنويم المغناطيسي، وشفاء بعض المرضى ولاسيما المصابين بالأمراض العصبية التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم ، ومنها بعض أنواع العمى والفالج، فان من الناس من يفقد بصره بمرض يطرأ على أعصاب عينيه وهما صحيحتان تلمعان في وجهه ، أو يغشاهما بياض عارض مع بقاء طبقاتهما صحيحة ، وليس منه الكمه والعمى الذي يقع بطمس العينين وغؤورهما كالذي أبرأه المسيح عليه السلام باذن الله تعالى .
وقد بينا هذه الانواع من الخوارق الصورية في بحث السحر من تفسير سورة الاعراف (١) وفي المقالات التي عقدناها للكرامات وأنواعها وتعليلها في المجلد الثاني من المنار وأتممناها في المجلد السادس منه

إن عوام الشعوب الذين يجهلون تواريخ الامم وماوجد عند كل منها من هذه الغرائب وما كشفه العلماء من حيل فيها وعلل يغترون بما عندهم منها، ويخضعون للدجالين والمحتالين الذين ينتحلونها، ويمكنونهم من أموالهم فيسلبونها، ويأتمنونهم على أعراضهم فينتهكونها ، ولاسيما إذا كانوا يأتون مايأتون منها على أنه من كرامات الاولياء وعجائب القديسين ، ويقل تصديق هذا والانقياد لأهله حيث ينتشر تعليم التواريخ وماعند جميع الامم من ذلك، على أنه لايزال كثيراً في جميع بلاد أوربة وأمريكة ولعله دون ما في بلاد الشرق ولاسيما القرى وهمج الزنوج وغيرهم

بيد أن آيات الله الحقيقية التي نسميها المعجزات هي فوق هذه الاعمال الصناعية الغريبة لاكسب لأحد من البشر ولاصنع لهم فيها ، وإن ما أيد به رسله منها لم يكن بكسبهم ولاعملهم ولا تأثيرهم ، حتى ما يكون بدؤه بحركة إرادية يامرهم الله تعالى بها . ألم يهد لك كيف خاف موسى عليه السلام حين تحولت عصاه حية تسعى ، فولى مدبرا ولم يعقب لشدة خوفه منها ، حتى هدأ الله روعه وأمن خوفه ؟ أولم تقرأ قوله لمحمد ﷺ (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى؟) أو لم تعلم ما أمره الله تعالى أن يجيب مقترحي الآيات عليه من قومه بقوله

(١) راجع ص ٤٥ - ٦٠ ج ٩ من تفسير المنار

(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) وقوله (قل إنما الآيات عند الله) وما في معناهما

جهل هذا الاصل المحكم من عقائد الاسلام أدعياء العلم من سدنة القبور المعبودة وغيرهم فظنوا أن المعجزات والكرامات أمور كسبية كالصناعات العادية، وان الانبياء والصالحين يفعلونها باختيارهم في حياتهم وبعد مماتهم متى شاؤا ، ويغرون النـاس باتيان قبورهم ولو بشد الرحال اليها لدعائهم والاستغاثة بهم عند نزول البلاء والشدائد التي يعجزون عن دفعها بكسبهم وكسب أمثالهم من البشر بالاسباب العادية كالأطباء مثلا ، وبالتقرب اليهم بالنذور والقرابين كما كان المشركون يتقربون الى آلهتهم من الاصنام وغيرها ، وهم يأكلونها سحتا حراما ، ويخبرونهم بان دين الله تعالى يأمرهم أن يعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم ، حتى قال بعضهم انهم يخرجون من قبورهم باجسادهم ويتولون قضاء الحاجات ، وكشف الكربات، ولو كانت كذلك لما كانت من خوارق العادات .وقال بعضهم في كتاب مطبوع ان فلانا من الاقطاب يميت ويحيي ، ويسعد ويشقي ، ويفقر ويغني

الفرق بين المعجزة والكرامة

ان الله تعالى لم يؤيد رسله بما أيدهم به من المعجزات الا لتكون حجة لهم على أقوامهم يهدي بها المستعد للهداية ، وتحق بها الكلمة على الجاحدين المعاندين فتقع عليهم العقوبة ، وذلك لايكون إلا باظهارها فهو واجب لاتمام تبليغ الدعوة التي أرسلوا لتبليغها ، وما كان الانبياء يدعون الله تعالى بشيء من خوارق العادات غير حجة الرسالة إلا لضرورة كالاستسقاء وكان خاتمهم وأكرمهم على الله تعالى يصبر هو وأهل بيته وأصحابه على المرض والجوع والعطش ولا يدعو لهم ﷺ بما يزيل ذلك الا نادراً ، وقد سألته التي كانت تصرع أن يدعو الله لها بالشفاء فأرشدها إلى أن الصبر على مصيبتها خير لها . فشكت اليه أنها تتكشف عند النوبة وأن يدعو لها ألا تتكشف فدعا لها واستجاب الله دعاءه

والأصل في الكرامة الاخفاء والكتمان ، وكثيراً مايكون ظهورها فتنة للناس،

وما كان أهلها يظهرون مالهم كسب فيه منها كالمكاشفة إلا لضرورة، وقد صرح بهذا العلماء والصوفية فهو متفق عليه بينهم خلافا للمشهور بين العامة

قال التاج السبكي في سياق حجج منكري جواز وقوع الكرامات

(الحجة الثانية) قالوا لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة ، فلا تدل المعجزة على ثبوت النبوة . والجواب منع الاشتباه بقرن المعجزة بدعوى النبوة دون الكرامة فهي انما تقترن بكمال اتباع النبي من الولي - وأيضا فالمعجزة يجب على صاحبها الاشتهار، والكرامة مبناها على الاخفاء ، ولا تظهر إلا على الندرة والخصوص ، لا على الكثرة والعموم ، وأيضا فالمعجزة يجوز أن تقع بجميع خوارق العادات ، والكرامة تختص ببعضها كما بيناه من كلام القشيري وهو الصحيح اه ثم قال

(الحجة الرابعة) قالوا لوجاز ظهور خوارق العادات على أيدي الصالحين لما أمكن أن يستدل على نبوة الانبياء بظهورها على أيديهم لجواز أن تظهر على يد الولي سراً فان من أصول معظم جماعتكم أن الاولياء لايظهرون الكرامات ولا يدعون بها، وإنما تظهر سراً وراء ستور، ويتخصص بالاطلاع عليها آحاد الناس، ويكون ظهورها سراً مستمراً بحيث لا يلتحق بحكم المعتاد ، فاذا ظهر نبي وتحدى بمعجزة جاز أن تكون مما اعتاده أولياء عصره من الكرامات فلا يتحقق في حقه خرق العادة، فكيف السبيل إلى تصديقه مع عدم تحقق خرق العوائد في حقه ؟ وأيضاً تكرر الكرامة يلحقها بالمعتاد في حق الاولياء وذلك يصدهم عن تصحيح النظر في المعجزة اذا ظهر نبي في زمنهم .

وقال في الجواب : لأئمتنا وجهان الاول منع توالي الكرامات واستمرارها حتى تصير في حكم العوائد وإنما يجوز ظهورها على وجه لاتصير عادة فلا يلزم ماذكروه . والثاني — وهو لمعظم أئمتنا — قالوا انه يجوز توالي الكرامات على وجه الاختفاء بحيث لا يظهر ولا يشيع ولا يعتاد لئلا تخرج الكرامات عن كونها كرامات اه من مجلد المنار الثاني

وأقول إن المحققين من الصوفية يوافقون علماء الكلام والاصول على منع توالي الكرامات وتكرارها ، ومنع اظهارها ، وقال الشيخ محيي الدين بن عربي

ان مايتكرر لايكون كرامة لانه يكون عادة وإنما الكرامة من خوارق العادات، وقال الشيخ أحمد الرفاعي ان الاولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، فأين هذه الاقوال مما عليه الدجالون الخرافيون وسدنة القبور المعتقدة من زعمهم أن الكرامة الواحدة تتكرر لاولياء كثيرين من الاحياء والاموات مرارا كثيرة وكلها ظاهرة ذائعة شائعة ؟

الكافرون بالآيات صنفان: مكذبون ومشركون وعلاج كل منهما

الكافرون بآيات الله تعالى صنفان : صنف يكذبها كلها ولا يؤمنون بشيء منها ، وصنف يشرك بالله غيره فيها، فينحله ماهو خاص به عز وجل لا يقدر عليه سواه، ويشرع للناس ان يعبدوا هؤلاء الاغيار بدعائهم من دونه واستغاثتهم فيما لا يقدر عليه غيره ، بدعوى أن الله تعالى هو الذي أعطاهم القدرة الغيبية على ذلك لمحبته لهم وجاههم عنده، ومعناه انه سبحانه هو الذي أشركهم معه فأعطاهم هذا التصرف في عباده ، وانما يتحامون ألفاظ العبادة والشرك والخلق دون معانيها ،فيكذبون على الله تعالى وعليهم بما يكذبهم به كتابه المنزل ، ونبيه المرسل ، ولكنهم يحرفون آيات الكتاب فيحتجون بها على جهلهم ، فيذكرون ان الله كان يرزق مريم عليها السلام بغير حساب ، وما كان رزقها من فعلها ، ولا يدري أحد كيف سخره الله لها ، ووحيه إلى أم موسى وما هو من فعلها . وقد قيل بنبوتها

وان افساد هؤلاء الخرافيين للبشر في دينهم ودنياهم لاشد من إفساد المنكرين للآيات المكذبين بها، بأنهم أكبر أسباب هذا الانكار والتكذيب بزعمهم أن الانبياء ومن دونهم من الصالحين يتصرفون في الخلق بما يخالف سنن الله تعالى فيه أو يبدلها بغيرها ويحولها عما وضعت له، وزعمهم أن الله هو الذي دعا الناس إلى هذا الاعتقاد وجعله أساس دينه،فكذبوا بالدين من أساسه ، فتكون فتنتهم شاملة لفريقي الكفار بالآيات ـ فريق المكذبين وفريق المشركين،وهو مع هذا قول على الله بغير علم، وافتراء على الله بكونه شرعاً لم يأذن به الله، وهو أشد انواع الكفر بالله ،لان ضرره متعد بما فيه من إضلال الناس باعتقاد باطل يتبعه عبادة باطلة غير مشروعة (١)

(١) راجع تحقيق هذا المعنى في ص ٣٩٧-٤٠١ ج ٩ من التفسير

علاج خرافة تصرف الاولياء في الكون

أما الذين يشركون بالله في عبادته بجهلهم لآياته وتقليد أمثالهم من الجاهلين في خرافاتهم ، فلا علاج لهم إلا تعليمهم توحيد الله الخالص في ربوبيته وألوهيته بآيات القرآن دون نظريات كتب الكلام ، وتعليمهم وظائف الرسل وكونهم بشراً اختصهم الله تعالى بوحيه لتبليغ عباده ما ارتضاه لهم من الدين بالقول والعمل ، وحصر اختصاصهم بالتعليم والارشاد تبشيراً وانذاراً ، وتنفيذ أحكام شرعه فيهم بالعدل والمساواة ، ولم يؤتهم من التصرف الفعلي في خلقه ما يقدرون به على هداية أقرب الناس وأحبه اليهم بالطبع كالوالد والولد والزوجة ومن دونهم من أولي القربى ، فوالد ابراهيم الخليل عاش كافراً ومات كافراً عدواً لله ورسوله وخليله ، وولد نوح أول الرسل إلى الامم مات كافراً ولم يأذن الله تعالى له بحمله في السفينة فكان من الكافرين المغرقين ، وكان ابو لهب عم محمد حبيب الله ورسوله أشد أعدائه الصادين عنه المؤذين له وأنزل الله في ذمه ووعيده سورة من القرآن يتعبد بها المؤمنون إلى يوم القيامة لم ينزل مثلها في أحد من أعدائه وأعداء رسوله ﷺ بل كان من كمال حكمة الله تعالى أن عمه الذي كفله ورباه وكف عنه أذى المشركين ما استطاع لم يؤمن به وقد عرض عليه أن ينطق بكلمة « لا إله إلا الله » ليشهد له بها يوم القيامة فامتنع فأنزل الله تعالى فيه (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) رواه مسلم في صحيحه ، وقد شرحنا هذا الموضوع في تفسير قوله تعالى (٦ : ٧٤ وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر) الآيات (١) ثم بينا في خلاصة هذه السورة (الانعام) وظائف الرسل عليهم السلام بما يحسن أن يراجعه من يحب استيفاء هذا الموضوع (٢) وإذا كان الانبياء المرسلون لم يؤتوا القدرة على التصرف في الكون فكيف يؤتاه الاولياء وغيرهم

---

(١) ص ٥٣٤ – ٥٦٥ ج ٧ تفسير

(٢) ص ٢٧٥ – ٥٧٨ ج ٨ تفسير

المنكرون للمعجزات وشبهة الخوارق الكسبية عليها

وأما المنكرون لها فلا يمكن أن تقوم عليهم الحجة إلا بالقرآن كما تقدم ، فهم لا يصدقون ما ينقله اليهود والنصارى من آيات موسى وعيسى وغيرها من النبيين (ع • م) ولا يسلمون صحة تواترها ، إذ يقيسون نقلهم لها على ما ينقله العوام في كل عصر عن بعض المتقدين في بلادهم من الخوارق الخادعة التي مثارها الوهم والتخيل، ويحتجون على ذلك بان يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر للمسيح (ع.م) لم ينقل للناس أخبار عجائبه التي تقصها الاناجيل التي ألفت بعده ، ويعللونها على تقدير صحة النقل بما يعللون به الخوارق الصورية التي يشاهدونها في كل عصر، فان لم يستطيعوا تعليلها قالوا انه لابد لها من سبب كسبي يظهر لنا أو يعترف به فاعلوها كما وقع في أمثالها من صوفية الهندوس (الفقراء) كالارتفاع في الهواء وغير ذلك مما هو أغرب منه

روت إحدى الجرائد المصرية في هذه الايام (١) من أخبار سائحي الافرنج في الهند حادثة لفقير من هؤلاء الفقراء اسمه سارجو هارداس وقعت في سنة ١٨٣٧ خلاصتها أن هذا الفقير جاء قصر المهراجا رانجيت سنجا أمير بنجاب وعرض عليه أن يريه بعض كراماته، وكان المهراجا لا يصدق ما ينقل من خوارق هؤلاء الفقراء فسأله عما يريد اظهاره فقال انه يدفن أربعين يوما ثم يعود اليهم حياً ، فاحضر المهراجا نفراً من أطباء الانكليز والفرنسيس وأمراء بنجاب فجلس الفقير القرفصاء أمامهم فكفنوه بعد أن وضعوا القطن والشمع على أذنيه وأنفه ــ كما أوصاهم ــ وخاطوا عليه الكفن ووضعوه في صندوق من الخشب السميك وسمروا غطاءه ووضع المهراجا عليه ختمه ، ودفنوه في قبو داخل حجرة صغيرة في حديقة القصر وأقفلوا بابها ووضع المهراجا ختمه بالشمع على قفلها ، وأمر اثنين من رجال حرسه الامناء بحراستها وطائفة من جنده بمعاونتهما، وكان ذلك كله بمشهد من حضر من الاوربيين والبنجابيين وحاشية المهراجا .

---

(١) هي جريدة الاتحاد

ولما تمت الاربعون حضر هؤلاء كلهم قصر المهراجا وشاهدوا ختم الحجرة كما كان ، والعشب أمامها في الحديقة لم تطأه قدم أحد ، ثم فتحوا باب الحجرة وامتحنوا أختام القبو ثم أخرجوا الصندوق وامتحنوا أختامه فوجدوها كلها على حالها ففتحوه وأخرجوا الفقير منه فاذا هو كما وصفه أحد أولئك من الانجليز . قال :

لما فتحوا الصندوق وأخرجوا الفقير منه وجدت الذراعين والساقين صلبة والرأس مائلا على إحدى الكتفين فخلتني أمام جثة هامدة فارقتها الحياة منذ امد بعيد، فطلبت من طبيبي أن يفحصها فانحنى عليها وجس القلب والصدغين والذراعين وقال انه لم يجد أثراً للنبض البتة ولكنه شعر بحرارة في منطقة الدماغ الخ

ثم نفذ ما أوصى الفقير أن يعمل بعد اخراجه فغسل الجسم بالماء الحار فرد على الاوصال لينها السابق بالتدريج، وأزيل القطن والشمع عن الاذنين والانف ووضعت أكياس دافئة على الرأس فدبت الحيـاة في الجسد المسجى، وتقلصت الاعصاب والاطراف ثم اضطربت فسال منها عرق غزير وعادت الاعضاء إلى حالتها الاولى، وبعد دقائق اتسعت حدقتا العينين وعاد اليهما لونهما الطبيعي، فلما رأى الفقير المهراجا شاخصاً اليه دهشا متحيراً قال له « أرأيت يامولاي صدق قولي وفعلي ؟ وبعد نصف ساعة خرج من التابوت وأنشأ يحدث الحاضرين أحسن حديث ويطرفهم بما يحير العقول . اه

إن هذه الحادثة من آيات الله التي أظهرتها الرياضة المكتسبة ، وهي أعجب من رواية الانجيل لموت ليعازر ثم حياته بدعاء المسيح بعد أربعة أيام كما تقدم في بحث عجائبه (ع.م) وأغرب من حادثة أصحاب الكهف أيضا من بعض الوجوه فان الفقير الهندي قد سد أنفه ولف في كفن ووضع في تابوت دفن تحت الارض فحيل بينه وبين الهواء الذي لا يعيش أحد بدونه عادة ، وأهل الكهف ناموا في فجوة واسعة من كهف بابه إلى الشمال مهب الهواء اللطيف وكانت الشمس تصيب مدخله من جانبيه عند شروقها وعند غروبها مائلة متزاورة عنهم ، فتلطف هواءه من حيث لا تصيبهم ، وانما كان أكبر الغرابة في نومهم طول مدة لبثهم فيـه ، وكانت طويلة جداً حتى على قول نقل البيضاوي وغيره من المفسرين ان قوله تعالى

{ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) الآية - حكاية عن بعض المختلفين في أمرهم فان كان خلاف ظاهر السياق فقد يرجحه قوله تعالى في الآية بعدها (قل الله أعلم بما لبثوا) والله أعلم بكل حال على كل حال ، وإن خفي سر آياته على خلقه ولا شيء من الامرين بمحال. وقد نام بعض أهل العصر بمرض النوم عدة أشهر .

ولكن ماجرى للفقير الهندي مخالف لسنة الحياة العامة في الناس فاذا ثبت أنه وقع بطريقة كسبية من طرائق رياضة هؤلاء الصوفية لابدانهم وأنفسهم بما تبقى به الحياة كامنة في أجسادهم مثل هذه المدة الطويلة مع انتفاء أسبابها العامة في أحوال الناس الاعتيادية من دورة الدم والنفس وغير ذلك ، فلا وجه لاتخاذ أحد من العقلاء انكار كل ما يخالف السنن العامة قاعدة عامة ، ولا سيما فعل الخالق عز وجل لها وهو خالق كل شيء بقدرته ، وواضع نظام السنن والاسباب بمشيئته، وأكثر منكري الخوارق يؤمنون به، وانما ينكرون وقوع شيء مخالف لسننه بانه مناف لحكمته، ومن ذا الذي أحاط بحكمه أو بسننه علما؟ وانما الذي يقضي به العقل أن لانصدق بوقوع شيء على خلاف السنن الثابتة المطردة في نظام الاسباب العامة إلا اذا ثبت ثبوتاً قطعياً لايحتمل التأويل ؛ وهذا هو المعتمد عند المحققين من المسلمين وعلماء المادة وعلماء النفس وغيرهم ، وقد ثبت في هذا العصر من خواص الكهرباء وغيرها مالو قيل لعقلاء الناس وحكمائهم قبل ثبوته بالفعل إنه من الممكنات ، لحكموا على مدعي امكانه بالجنون لا بتصديق الخرافات

الفرق بين الخوارق الكسبية والحقيقية

وجملة القول ان أسرار هذا الكون لا يحيط بها إلا خالقه عز وجل - وانه قد وجد في كل عصر وقائع غريبة تعد من هذه الاسرار الجارية على غير نظام السنن الالهية في الخلق، بحسب مايتراءى للجمهور بادي الرأي ، وان ما يتناقله الجمهور المولع بالغرائب منها منه ماهو كذب محض ، ومنه ماله أسباب علمية او صناعية خفية يجهلها الاكثرون ، ومنه مايظن انه من خوارق العادات وليس منها ،ومنه ماسببه الوهم كشفاء بعض الامراض ، أو انخداع البصر بالتخييل الذي يحذقه

المشعوذون، ومنه مافعله سحرة فرعون المبين بقوله تعالى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) ومنه انخداع السمع كالذي يفعله الذين يدعون استخدام الجن إذ يتكلمون ليلا بأصوات غريبة غير أصواتهم المتادة فيظن مصدقهم ان ذلك صوت الجني، وقد يتكلمون نهاراً من بطونهم من غير أن يحركوا شفاههم. فلا يوثق بشيء من أخبارهم ولا من نقلهم — ومن الدلائل على كذب المنتحلين لهذه الغرائب انهم جعلوها وسيلة لمعايشهم الدنيئة ،وانهم لو كانوا صادقين فيها لتنافس الملوك وكبار علماء الكون في صحبتهم والاهتداء بهم

المعجزات قسمان : تكوينية وروحانية تشبه الكسبية

المعجزات كلها من الله تعالى لا من كسب الانبياء كما نطق به القرآن ولكنها بحسب مظهرها قسمان: قسم لا يعرف له سنة إلهية يجري عليها فهو يشبه الاحكام الا ستثنائية في قوانين الحكومات أو ما يكون بارادة سنية من الملوك لمصلحة خاصة - ولله المثل الإعلى - وقسم يقع بسنة إلهية روحانية لا مادية .

أما المأثور من آيات الله التي أيد بها موسى (ع.م) و أثبتها القرآن له كالآيات التسع بمصر فهي من القسم الاول، ولم يكن شيء منها بكسب له حقيقي ولا صوري، وكذلك الآيات الاخرى التي ظهرت في أثناء خروجه ببني اسرائيل ومدة التيه، بل كل ذلك كان بفعل الله تعالى بدون سبب كسبي لموسى (ع . م) إلا ما يأمره الله تعالى به من ضرب البحر أو الحجر بعصاه التي هي آيته الكبرى . ولم يرد لاحد من الانبياء آية كهذه الآيات فضلا عمن دونهم، ولا هي مما يحتمل أن يكون بسبب من الاسباب التي تكون لاحد من الناس بالرياضة الروحية أو خواص المادة وقواها

وأما المسيح (ع.م) فالآيات التي أيده الله تعالى بها على كونها خارقة للعادات الكسبية وعلى خلاف السنن المعروفة للناس - وقد يظهر فيها انها كلها او جلها حدث على سنة الله في عالم الارواح كما كان خلقه كذلك ، فقد حملت أمه به بنفخة من روح الله عز وجل فيها — وهو الملك جبريل عليه السلام — كانت سبب علوقها به بفعلها في الرحم ما يفعل تلقيح الرجل بقدرة الله عز وجل . فلا غرو أن كانت مظاهر

آياته أعظم من مظاهر سائر الروحيين من الانبياء والاولياء كالكشف وشفاء بعض المرضى وغير ذلك من التأثير في المادة الذي اشتهر عن كثير منهم . والفرق بينه وبين الروحانيين من صوفية الهنود والمسلمين أن روحانيته عليه السلام أقوى وأكمل، وانها لم تكن بعمل كسبي منه بل من أصل خلق الله عز وجل له بآية منه كما قال (٢١: ٩١ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين * ٢٣ : ٥٠ وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فآيتهما هي الحمل به وخلقه بنفخ الروح الالهي، لا بسبب التلقيح البشري . فهي روحانية

وأعظم آياته الروحانية التي أثبتها له التنزيل ولم ينقلها مؤلفو الاناجيل الاربعة (وروي أنها منصوصة في انجيل الطفولية الذي نبذته المجامع الكنسية قبل البعثة المحمدية ففقد من العالم) هي أنه كان يأخذ قطعة من الطين فيجعلها بهيئة طير فينفخ فيه أي من روحه فيكون طيراً باذن الله تعالى ومشيئته. والمروي أنه كان يطير قليلا ويقع ميتاً .

ودون هذا إحياء الميت الصحيح الجسم القريب العهد بالحياة فان توجيه سيال روحه القوي إلى جثة الميت مع توجيه قلبه إلى الله عز وجل ودعائه كان يكون سبباً روحانيا لاعادة روحه اليه باذن الله ومشيئته ، كما يمس النور ذبال السراج المنطفيء فتشتعل أو كما يتصل السلك الحامل للكهربائية الايجابية بالسلك الحامل للكهربائية السلبية بعد انقطاعها فيتألق النور منهما. وقد ثبت عن بعض اطباء هذا العصر إعادة الحياة الحيوانية الى فاقدها عقب فقدها بعملية جراحية أو معالجة للقلب

ومن دون هذا وذاك شفاء بعض الامراض ولا سيما العصبية سواء كان سببها مس الشيطان وتلبسه بالمجنون كما في الاناجيل أم غيره ، فان الشيطان روح خبيث لا يستطيع البقاء مع توجه الروح الطاهر الذي هو شملة من روح القدس جبريل عليه السلام واتصاله بمن تلبس به، وقد وقع مثل هذا لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من الروحانيين وما من مرض عصبي أو غيره إلا وهو ضعف في الحياة حقيق بأن يزول باتصال هذا الروح بالمصاب به لأنه أعظم أسباب الحياة والقوة

ومن دون هذا وذاك المكاشفات المعبر عنها فيما حكاه تعالى عنه بقوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وقد أنبأ غيره من أنبياء بني اسرائيل

وغيرهم بما هو أعظم من هذا من الامور المستقبلة ، وكذا غيرهم من الروحانيين ولاسيما صالحي أمة محمد ﷺ ولكنها درجات متفاوتة في القوة والضعف ، وطول المدة وقصرها ، والثقة بالمرئي وعدمها ، وإدراك الحاضر الموجود ، والغائب المفقود ، وما كان في الازمنة الماضية ، ومايأتي في الازمنة المستقبلة ، فأعلاها خاص بالانبياء إذ لم يوجد ولن يوجد بشر يعلم بالكشف ما وقع منذ القرون الاولى كأخبار القرآن عن الرسل الاولين مع أقوامهم ، أو مايقع بعد سنين في المستقبل كاخباره عن عود الكرة للروم على الفرس ، واخباره ﷺ بفتح الامصار واتباع الامم لامته ، ثم بتداعيهم عليها

فتبين بهذا وذاك أن آيات الله تعالى المشهورة لموسى (ع.م) بمحض قدرته تعالى دون سنة من سننه الظاهرة في قواه الروحية ، وأن آياته لعيسى (ع.م) بخلاف ذلك . والنوع الاول أدل على قدرة الله تعالى ومشيئته واختياره في أفعاله في نظر البشر لبعدها عن نظام الاسباب والمسببات التي تجري عليها أفعالهم

عبادة بعض الناس للمسيح وللاولياء دون موسى

وانما عبد بعض البشر عيسى واتخذوه إلها ولم يعبدوا موسى كذلك وآياته أعظم لأنهم جهلوا أن آيات عيسى جارية على سنن روحية عامة قد يشاركه فيها غيره فظنوا أنه يفعلها بمحض قدرته التي هي عين قدرة الخالق سبحانه لحلوله فيه واتحاده به بزعمهم ، وآيات موسى بمحض قدرة الله وحده ، ولم يفطنوا لاتباع عيسى لموسى في شرعه (التوراة) إلا قليلا مما نسخه الله على لسانه من إحلال بعض ماحرم عليهم بظلمهم عقوبة لهم ، ومن تحريم ماكانوا عليه من الغلو في عبادة المال والشهوات

ومثل النصارى في هذا من يفتتنون من المسلمين بعبادة الصالحين بدعائهم في الشدائد لاعتقادهم أنهم يدفعون عنهم الضر ويجلبون لهم النفع بالتصرف الغيبي الخارج عن سنن الله في الاسباب والمسببات الداخل عندهم في باب الكرامات ، وهو خاص بالرب تعالى ، ولكنهم لايطلقون على أحد منهم اسم الرب ولا الاله ولا الخالق ، إذ الاسماء اصطلاحية ، وانما الفرقان بين الخالق والمخلوق والرب والمربوب أن الرب الخالق هو القادر على النفع والضر لمن شاء وصرفهما عمن شاء بما يسخره من الاسباب وبدونها ان شاء — وان المخلوق المربوب هو المقيد في أفعاله الكسبية

الاختيارية في النفع والضر بسنن الله تعالى في الاسباب والمسببات التي سخرها تعالى لجميع خلقه ، ولكنهم يتفاوتون في العلم والعمل بها كما يتفاوتون في الاستعداد لها بقوى العقل والحواس والاعضاء وفي وسائلها ، وقد بلغ البشر بالعلم والعمل الكسبيين من المنافع ودفع المضار مالم يعهد مثله لاحد من خلق الله قبلهم لا الانبياء ولا غيرهم ، لان الانبياء المرسلين لم يبعثوا لهذا وإنما بعثوا لهداية الناس الى معرفة الله وعبادته وتهذيب أخلاقهم بها . فمنافع الدنيا لا تطلب منهم أحياء ولا أمواتا ، وانما تطلب من أسبابها . وماوراء الاسباب لايقدر عليه إلا الله عز وجل. وقد قتل الظالمون بعض الانبياء والاولياء ، وآذوا بعضهم بضروب من الايذاء ، ولم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم . ولذلك تكرر في القرآن الحكيم نفي هذا النفع والضر عن كل ماعبد ومن عبد من دون الله بالذات أو بالشفاعة عند الله تعالى كما قال (١٠ : ١٨ ويعبدون من دون ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية ومثلها آيات ، وأمر خاتم رسله أن يعلم الناس ذلك كما فعل من قبله من الرسل فقال (٧ : ١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) الآيات . وقد فصلنا هذه المسألة مراراً ونلخص الموضوع هنا في المسائل الآتية :

(١) ان الله تعالى قد أتقن كل شيء خلقه فجعله بإحكام ونظام لا تفاوت فيه ولا اختلال ، وسنن مطردة ربط فيها الاسباب بالمسببات . فمخلوقاته العليا والسفلى ، هي مظهر أسمائه وصفاته العلى . ولهذا قال حجة الاسلام الغزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان . وهذا النظام المطرد في الاكوان ، الثابت بالحس والعقل ونصوص القرآن — هو البرهان الاعظم على وحدانية خالق السموات والارض (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)

(٢) إن سنن الله تعالى في إبداع خلقه ونظام الحركة والسكون والتحليل والتركيب فيه لايحيط بها علماً غيره عز وجل . وكلما ازداد البشر فيها نظراً وتفكراً واختباراً وتدبراً وتجربة وتصرفا . ظهر لهم من أسرارها وعجائبها ما لم يكونوا

يعلمون ولا يظنون ، ومن منافعها مالم يكونوا يتخيلون ولا يتوهمون ، وها نحن أولاء نرى مراكبهم الهوائية من تجارية وحربية تحلق في الجواء ، حتى تكاد تتجاوز محيط الهواء ، ومراكبهم البحرية تغوص في لجج البحار ، ونراهم يتخاطبون من مختلف الاقطار ، كما نطق الوحي بتخاطب أهل الجنة مع أهل النار ، فيسمع أهل المشرق أصوات أهل المغرب ، وأهل الجنوب حديث أهل الشمال وخطبهم وأغانيهم ، قبل أن يسمعها بعض أهل البلد أو المكان الذي يصدر عنه الكلام(*) وقد يغمز أحدهم زراً كهربائياً في قارة أوربة فتتحرك بغمزته آلات عظيمة في قارة أخرى في طرفة عين ، وبينهما المهامه الفيح ، والجبال الشاهقة ، ومن دونهما البحار الواسعة ، والجاهلون بهذه السنن الالهية ، والعلوم العملية ، لايزالون يلجؤن في طلب النافع ودفع المضار من غير طريق الاسباب ـ التي ضيق الجهل عليهم سبلها ـ إلى قبور الموتى من الصالحين المعروفين والمجهولين ، ليقضوا لهم حاجهم ، ويشفوا مرضاهم ، ويعينوهم على أعدائهم من زوج وقريب وجار ووطني ، وأعداؤهم من الاجانب قد سادوا حكومتهم ، واستذلوا أمتهم ، واستأثروا بجل ثروتهم ، ولا يتصرف فيهم هؤلاء الاولياء بما يدفع عن المسلمين ضررهم وتحكمهم

(٣) ان الاصل في كل مايحدث في العالم ان يكون جاريا على نظام الاسباب والمسببات ، وسنن الله التي دل عليها العلم ، وأخبرنا الوحي بأنه لاتغيير فيها ولا تبديل لها ولا تحويل ، فكل خبر عن حادث يقع مخالفا لهذا النظام والسنن فالاصل فيه ان يكون كذبا اختلقه المخبر الذي ادعى شهوده أو خدع به ولبس عليه فيه ، فان كان قد وقع فلا بد أن يكون له سبب من الاسباب الخفية التي يجهلها المخبر ، كما حققه علماء الاصول في بحث الخبر وما يقطع بكذبه منه

(*) روي لنا ان آلة الراديو الناقلة للاصوات من أوربة يصل الكلام الذي تحمله إلى مصر وغيرها فتعكسه الآلات التي فيها ويسمعه أهلها قبل أن يسمعه من في الصفوف الخلفية من المكان الذي ألقي فيه

(٤) ان آيات الله التي تجري على غير سننه الحكيمة في خلقه لا يمكن العلم بها إلا بدليل قطعي وقد كان من حكمته ان أيد بعض النبيين المرسلين بشيء منها لاقامة حجتهم وتخويف المعاندين لهم ،وقد انقطعت هذه الآيات بختم النبوة والرسالة بمحمد ﷺ وسبب ذلك أو حكمته ختم النبوة برسالته ، وجعل ماأوحاه اليه آية دائمة وهداية عامة لجميع البشر مدة بقائهم في هذه الدنيا وأنزل عليه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لعلمه تعالى بأنهم لايحتاجون بعد هذا الوحي إلى وحي آخر ، ولا إلى آية على كونه من عند الله تعالى إلا هذا القرآن نفسه ، وقد تقدم بيان دلالته العقلية العلمية على كونه من عند الله تعالى

ختم النبوة وانقطاع الخوارق بها ومعنى الكرامات

(٥) لو كان للبشر حاجة بعد القرآن ومحمد ﷺ الى الآيات كما يدعي المفتونون بالكرامات ومخترعو الاديان والنحل الجديدة لما كان لختم النبوة معنى ولذلك ينكر البهائية والقاديانية ختم النبوة وانقطاع الوحي ويدعونهما للباب والبهاء، ولغلام احمد القادياني وخلفائه بلا انقطاع ، حتى سامها المرتزقة والرعاع.

وقد بين شيخنا الاستاذ الامام في رسالة التوحيد كيف ارتقى التشريع الديني في الامم بارتقاء نوع الانسان في الادراك والعقل كارتقاء الافراد من طفولة إلى شباب إلى كهولة بلغ فيها رشده واستوى،وصار يدرك بعقله هذه الهداية العقلية العليا (هداية القرآن) بعد ان كان لاسبيل إلى إذعانه لتعليم الوحي، إلا مايدهش حسه ويعيي عقله من آيات الكون

بين في الكلام على وجه الحاجة إلى الرسالة ان سمو عقل الانسان وسلطانه على قوى الكون الاعظم بما هي مسخرة له تنافي خضوعه واستكانته لشيء منها، إلا ماعجز عن إدراك سببه ومنشأه فاعتقد انه من قبل السلطان الغيبي الأعلى لمدبر الكون ومسخر الاسباب فيه ، فكان من رحمة الله تعالى به « انه أتاه من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين أفراده مرشدين،

هادين، وميزهم من بينها بخصائص في أنفسهم لايشركهم فيها سواهم ، وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس، وتأخذ الطريق على سوابق العقول ، فيستخذي الطامع ، ويذل الجامح ، ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع إلى رشده ، وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه »

ثم قال في رسالة محمد ﷺ : نبي صدق الانبياء ولكنه لم يأت في الاقناع برسالته بما يلهي الابصار ، أو يحير الحواس ، او يدهش المشاعر ، ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له، واختص العقل بالخطاب، وحاكم اليه الخطأ والصواب، وجعل في قوة الكلام ، وسلطان البلاغة ، وصحة الدليل ، مبلغ الحجة وآية الحق الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

لا يمكن اثبات معجزات الانبياء إلا بالقرآن

(٦) انه لا يمكن إثبات معجزات الانبياء في هذا العصر بحجة لا يمكن لمن عقلها ردها إلا هذا القرآن العظيم، وما ثبت فيه بالنص الصريح منها ، بناء على إنكار العلماء الواقفين على كتب الاديان التي قبل الاسلام — حتى كتب اليهود والنصارى — وعلى تواريخها لتواتر ماذكر فيها من الآيات والاشتباه في كونها خوارق حقيقية ، وحجتهم ان التواتر الذي يفيد العلم القطعي غير متحقق في نقل شيء منها ،وهو نقل الجمع الكثير الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب لخبر أدركوه بالحس وحمله عنهم مثلهم قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل بدون انقطاع ، وإنما يكون استحالة تواطؤهم على الكذب بأمور أهمها عدم التحيز والتشيع لمضمون الخبر وعدم تقليد بعضهم لبعض فيه . وآية صحة هذا التواتر حصول العلم القطعي به وإذعان النفس له ، وعدم إمكان رده اعتقاداً ووجداناً، وهذا غير حاصل في آيات الانبياء الاولين عندهم.

وأما آية القرآن فهي باقية ببقائه وكل واقف على تاريخ الاسلام يعلم علماً قطعياً أنه متواتر تواتراً متصلا في كل عصر ،من عصر الرسول الذي جاء به إلى الآن، وأما الذي يخفى على كثير منهم فهو وجوه إعجازه وقد شرحنا شبهتهم عليه وبينا بطلانها في هذا البحث ، وإذ قد ثبت بذلك كونه وحياً من الله تعالى فقد وجب

الايمان بكل ما أثبته من آياته في خلقه سواء أكانت لتأييد رسله وإقامة حجتهم أم لا ، وكما يجب على كل مؤمن به أن يؤمن بها ، يجب أن يؤمن بانقطاع معجزات الرسل بعد ختم النبوة بمحمد ﷺ

واذ كان لا يجب على مسلم أن يعتقد بوقوع كرامة كونية خارقة للعادة بعد محمد خاتم النبيين ﷺ فلا يضر مسلما في دينه أن يعتقد كما يعتقد أكثر عقلاء العلماء والحكماء من أن مايدعيه الناس من الخوارق في جميع الامم أكثره كذب وبعضه صناعة أو شعوذة وأقله من خواص الارواح البشرية العالية

(٧) إن الثابت بنصوص القرآن من آيات الانبياء المرسلين المعينة قليل جداً . فما كانت دلالته قطعية من هذه النصوص فصرفه عنها بالتحكم في التأويل الذي تأباه مدلولات اللغة العربية ارتداد عن الاسلام ، وما كانت دلالته ظاهرة غير قطعية وجب حمله على ظاهره إن لم يعارضه نص مثله أو أقوى منه ، فان عارضه فحينئذ ينظر في الترجيح بين المتعارضين بالادلة المعروفة

﴿ خلاصة الخلاصة لهذا الفصل ﴾

إننا نؤمن بان الله تعالى هو خالق كل شيء بقدرته وارادته ، واختياره وحكمته ، وانه « أحسن كل شيء خلقه » كما قال في سورة الم السجدة ، فهو « صنع الله الذي أتقن كل شيء » كما قال في سورة النمل ، وانه ليس في خلقه تفاوت ولا فطور ، كما قال في سورة الملك ، وانه خلقه بنظام وتقدير لا جزافا ولا انفا كما قال في سورة القمر (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال في سورة الفرقان (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وقال في سورة الحجر (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)

وان له تعالى في نظام التكوين والابداع ، وفيما هدى اليه البشر من نظام الاجتماع ، سننا مطردة تتصل فيها الاسباب بالمسببات ، لاتتبدل ولا تتحول محاباة لأحد من الناس ، وانها عامة في عالم الاجسام وعالم الارواح ، وقد ورد ذكر هذه السنن باللفظ في عدة سور

ونؤمن بان له تعالى في خلقه آيات بينات ، وان له في آياته حكما جلية أو خفية ، وان مامنحنا إياه من العقل والشرع يأبيان علينا أن نثبت وقوع شيء في الخلق على خلاف ماتقدم بيانه من نظام التقدير وسنن التدبير، إلا ببرهان قطعي يشترك العقل والحس في اثباته وتمحيصه، وانه لابد ان يكون وقوعه لحكمة بالغة لاعن خلل ولا عبث ، وانه ماخفي علينا من حكمة كسائر ما يخفي علينا من أمور خلقه ، نبحث عنهما لنزداد علما بكماله نكمل به أنفسنا بقدر استطاعتنا ،ولا نتخذها حجة ولا عذراً على الكفر به لجهلنا ، وقد ثبت لا ُعلم العلماء منا أن ما نجهل من هذا الكون أكثر مما نعلم ، ويستحيل أن يحيط البشر به علماً.

ونؤمن بان الله تعالى قد منحنا رسلا هدونا بآياته إلى الخروج من مضيق مدارك الحس ، وما يستنبطه الفكر منها بادي الرأي ، إلى ماوراءها من سعة عالم الغيب ، ولولا هدايتهم لظل البشر ألوف الالوف من السنين ينكرون وجود مالم يكونوا يدركونه بحواسهم من الاجسام وأعراضها ، وبقياسهم ما جهلوا على ما علموا منها .

وقد علمنا من التاريخ ان الايمان بالله وبآياته لرسله وباليوم الآخر وبما يكون فيه من الحساب والجزاء على الاعمال هو الذي وجه عقول البشر إلى البحث في أسرار الوجود حتى وصلوا إلى ماوصلوا اليه من الارتقاء في العلوم والفنون والصناعات في الاجيال المختلفة ، ولم يكن لغير المؤمنين بالغيب نصيب في ذلك — فهذا الايمان بالاركان الثلاثة من الغيب الذي أوصل البشر الي علوم وأعمال كان يعدها غير المؤمنين بالغيب من محالات العقول كالغيب الذي أنكروه ، ولم يعد شيء من أخبار الغيب بعيداً عن العقل بعد ثبوتها .

فتبين لنا بهذا وبما قبله انه كان للبشر بآيات الانبياء ثلاث فوائد هي من حكم نصبه تعالى لتلك الآيات (الاولى) جعلها دليلا حسياً على اختياره تعالى في جميع أفعاله وكون سنن النظام في الخلق خاضعة له لا حاكمة عليه ولا مقيدة لارادته

وقدرته (الثانية) جعلها دليلا على صدق رسله فيما يخبرون عنه بوحيه ونذراً للمعاندين لهم من الكفار ، ولو كانت مما يقدر عليه البشر بكسبهم أو تقع منهم باستعداد روحي لما كانت آية على صدقهم (الثالثة) هداية عقول البشر برؤيتها إلى سعة دائرة الممكنات ، وضيق نطاق المحال في المعقولات ، وكون الشيء بعيداً عن الاسباب المعتادة والامور المعهودة والسنن المعروفة ، لا يقتضي أن يكون محالا يجزم بعدم وقوعه ، وبكذب المخبر به ، مع قيام الدليل على صدقه ، وإنما غايته أن يكون الاصل فيه عدم الثبوت فيتوقف ثبوته على الدليل الصحيح وهذه قاعدة كبار علماء الكون في هذا العصر ، فلا ينقصهم لتكميل علمهم إلا ثبوت آية لله تعالى لا يمكن أن يكون لها علة من سنن الكون .

ولكن الامر قد انقلب إلى ضده فان كثيراً من الذين وصلوا إلى هذه العلوم والاعمال القريبة لآيات الرسل وما دعوا اليه من الايمان بالغيب من المعقول قد صارت هذه العلوم نفسها سببا لانكارهم ما كان سببا لها وموصلا اليها (وهو الآيات والايمان بالغيب) — لا إنكار امكانه بل إنكار ثبوته بالفعل ، فهم ينكرون أن يكون الخالق قد فعل ماصاروا يفعلون باقداره وتوفيقه نظيراً له في الغرابة ، وكان ينبغي لهم أن يجعلوه دليلا عليه مبيناً لحقيته كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

حظ البشر من ارتقاء العلم بدون الدين

ان حرمان هؤلاء العلماء من الايمان بآية لله تعالى من هذا النوع قد جعل حظ البشر من هذا الارتقاء العجيب في العلم أنهم ازدادوا به شقاء حتى صارت حضارتهم مهددة بالتدمير العلمي الصناعي في كل يوم ، وجميع علمائهم المصلحين وساستهم الدهاقين في حيرة من تلافي هذا الخطر ولن يتلافى إلا بالجمع بين العلم والدين ، وهذا ماجاءهم به محمد خاتم النبيين ، ولأجله أثبت الآيات بكتابه وفي كتابه المبين ، إذ لايمكن ان يخضع البشر إلا لما هو فوق استطاعتهم ، بقيام الدليل على انه من السلطان الغيبي الالهي الذي فوق استعدادهم ، وسنبين هذا الجمع فيما يأتي من هذا البحث المثبت لاعجاز القرآن

فتاوى المنار

(أكل لحم الخنزير : هل يشمل شحمه وكل ما يؤكل منه ؟)

(س ٥٠) استفتي في هذه المسألة زميلنا الكريم الاستاذ سيف الدين رحال الشهير محرر جريدة الفطرة الغراء وناموس مؤتمر الجمعيات العربية بالبرازيل فأجاب عنها بالجواب الآتي المتضمن لحكمة التحريم وأرسله الينا لننشره في المنار ونعلق عليه رأينا في الفتوى فلم يسعنا إلا إجابته . وهذا نص ما جاءنا منه مبدوءاً بخطابه للمستفتي دون خطابه لنا الذي تركنا نشره لطوله

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الصالح السيد أحمد حديد   أدام الله بركته عليه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلتني فتواكم حال انعقاد (مؤتمر الجمعيات الاستقلالية السورية العربية) للبحث في قضية الاستقلال وما يرتبط بها من القضايا المتعددة وليس في الامكان إجابتكم بالتفصيل فأبادر بالايجاز مرجئاً التطويل لفرصة أخرى :

نذكر هنا نص سؤالكم ونجيب عليه حسب معلوماتنا القاصرة ونعتقد بمن هو أكفى منا في هذا الميدان ، فلا ضير عليكم أن تلجئوا إلى ساحته فانكم ولاشك تجدون فيها خيرا جوابا وخير سنداً

﴿ السؤال ﴾

تقولون : « ماهو المحرم أكله في الخنزير ؟ هل هو لحمه فقط أم لحمه وشحمه وكل مافيه ؟ نرجو الافادة شرعا ولكم الفضل والثواب » .

﴿ الفتوى ﴾

(حكم كتاب الله في ذلك)

نجيب على سؤالكم بالايجاز :

إن آيات التحريم في القرآن قد وردت بصيغة التخصيص في أن المحرم من الخنزير لحمه ، فقد ورد في سورة المائدة قول الله تعالى (حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ـ إلا ما ذكيتم ـ وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم . يسألونك ماذا أحل لهم قل : أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات الخ ...)

وورد في سورة البقرة قوله عز شأنه : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم)

وورد في سورة الانعام قوله جل جلاله : (قل لا أجد في ما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ، أودما مسفوحا ، أولحم خنزير فانه رجس ، أوفسقاً أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) .

فالناظر في الآيات المذكورة يجد أن لحم الخنزير محرم تحريماً قطعياً لورود النص الصريح فيه ، سواء ورد لفظ «لحم» بالمعنى الحقيقي أم ورد مجازاً مرسلا مراداً به كل الخنزير ، فان كان ورود المعنى لاجل الحقيقة فظاهر كون لحم الخنزير حراما . وان أريد المجاز فالمعنى أن الخنزير كله لحمه وشحمه ودهنه وكبده وطحاله

محرم ، فيكون تحريم الجزء الاكبر مراداً به الكل ، هو تحريم قطعي للكل أيضاً أي لما بقي من الكل غير اللحم . فمن أصر على أن لفظ «اللحم» وارد وقاصر على معناه الحقيقي جاز له القول بالتحريم القطعي في اللحم وبالظني في غيره اذا قام عليه دليل من السنة والاجماع أو بقياس أهل الحل والعقد ، فان لم يقم كان التحريم ظنيا من باب سد الذريعة . اذ في تحريم الكل سد ذريعة اقتناء الخنزير للانتفاع بما هو غير اللحم مما يميل المترخص الى تحليله جموداً عند النص ، وفيه قطع دابر ما يؤدي اليه الانتفاع من التفريط في التحريم للمحرم بجر المنفعة لما دونه المظنون في حله . ولا يصح ضرب المثل بضرورة منع زرع العنب والتمر منعاً لاستخراج الخمر منهما ، فانه مثل فاسد لوجود الفرق العظيم في الأمرين لان شحم الخنزير ودهنه وكبده وطحاله موجودة فيه بالذات ملاصقة لما حرم الله بالنص بصريح اللفظ والمعنى ، وانما الخمر محدثة يأثم عاصرها وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمولة اليه لشربها . ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد قال:(تلك حدود الله فلا تقربوها) ومعنى ذلك أن للحلال حدوداً ينتهي عندها حيث يبتديء الحرام فاذا تطرف المرء فقد ينتهي منها الى الحرام أو يختلط عليه آخر المحللات بأوائل المحرمات فيلج أبواب الشبه والالتباس نجانا الله منها فانها أبواب الريبة والحيرة

وانك لتجد في آية الانعام قوله تعالى (أو لحم خنزير فانه رجس) . والهاء في (إنه) يحتمل أن تعود على لحم الخنزير كما يحتمل أن تعود على الخنزير نفسه ، بل قال النحاة ان الضمير يعود على الاقرب . فالقول بان تأكيد النعت بالرجس راجع الى الخنزير ذاته صحيح ، وهو تشنيع وصف الله به عباة الاوثان في نهيه عنها بقوله:(فاجتنبوا الرجس من الاوثان) كما وصف به الخمر والميسر (والانصاب والازلام) في آية أخرى.

نعم قد وردت صيغة التحريم في آية البقرة بصيغة الحصر (بانما) كما وردت في سورة الانعام حصراً (بالا) . ولكن الحصر وارد هنا لبيان أن الله جل شأنه لم يحرم على المسلمين جميع ما حرمه على غيرهم من الامم الاخرى وانما حرم عليهم ما ذكره فقط من المحرمات قليلة العدد التي ذكرها وتكرم بحل غيرها مما دعا الى

يأس المخالفين الذين ذكرهم بقوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون). وقد ذكر في آيات التحريم من قواعد سننه ما فيه يسر للمسلمين فذكر ثلاث قواعد هي أصل التشريع الصحيح عند العلم والاجماع :

(القاعدة الاولى) - تحليل الطيبات . (يسألونك : ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات - اليوم احل لكم الطيبات ....)

(القاعدة الثانية) ان تحريم الله لما حرم لم يكن لمجرد التحريم بل لغاية أسمى . وهي لتطهير الانسان من الواجفات الحيوانية كاكل الموتى ولعق الدم المسفوح أو أكل ما هو رجس سواء أكان لقذره أم لما فيه من الجراثيم المؤذية ، ولتنزيهه من الفسق والشرك الخفي بتجنبه استيعاب ماذبح للأوثان أو لغير الله مطلقاً مثل ماذبح على النصب الخ

(القاعدة الثالثة) - منع الحرج عن الانسان وارادة اليسر له لا العسر بالترخيص له بالاستعمال عند الضرورة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم — فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم - فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فان الله غفور رحيم)

فاذا تقرر ذلك جاز لنا أن نسأل: هل شحم الخنزير ودهنه وكبده من الطيبات أم لا ؟ والجواب على ذلك يمكن معرفته بتقرير أهل العلم العادلين في هذا الصدد . واني ذاكر لك ما يحضرني فيها وأنا في مجال بعيد عن المراجعة والتفصيل .

طالعت في دليل (كشنر نوفتش) الطبي تحت كلمة (تريكينة) ما معناه «التريكينة جرثومة خبيثة توجد خاصة وعلى الغالب في لحم الخنزير ولها تأثير سيء جداً في الجهاز الهضمي وعلى المصران ولا تموت الا بغليان يبلغ (٧٥) درجة من الحرارة بميزان (فرنهيت) فاذا صادفت انساناً لا استعداد له على تحملها فقلما تركته سالما بل قد تقضي عليه في أقل من ٢٤ ساعة

وقد ثبت علمياً أن شحم الخنزير وكبده خاليان خلواً كاملا من هذه الجرثومة الضرة . وقد كنت طالعت في كتب أخرى عن الجراثيم ما اتفق في التقرير مع المرشد المذكور، ولكني قرأت أيضا في كتب الطب فوجدت بعضها في حال وصفه

الجرب والجذام والحكة يقول: «إنها تنتج في بعض الاحيان فيمن يفرط في أكل شحم الخنزير ودهنه أو في ذريتهم» ومن هذه الكتب كتاب (ادرس نفسك للاستاذ الكبير الفارس دي توليدو) (١)

فأنت تستخلص من ذلك أن شحم الخنزير خال من الجرثومة المضرة الا انه يرث على الغالب كثيرا من الامراض المؤذية مباشرة لاكله ولورثته من بعده، فهو بذلك لا يدخل بين الطيبات ولا يعطي حكمها فيكون تحريم لآكله ولو تحريما ظنيا جائزا من باب الحيطة وسد الذريعة، اذا لم يثبت تحريمه القطعي بالنص الصريح

ولقد طالعت فتوى على مذهب الامام مالك عند حداثتي ولا ادري اين طالعتها بعدم حرمة شحم الخنزير ولا ادري مقدارها من الصواب ولا يبعد استفتاء علماء بذلك في امكانكم استشارتهم أو استشارة كتبهم وربما عدت فكتبت اليكم بتفصيل عند خفة عملي الكثير والله سبحانه وتعالى أعلم . الخادم الفقير

سيف الدين رحال

﴿ تعليق المنار على الفتوى ﴾

نقول (أولا) ان اطلاق لفظ اللحم في تحريم الاكل يشمل الشحم وكل مايؤكل منه من كبد ورئة وقلب وطحال وكليتين ومعى وغدد: يشمل هذا بالنص اللغوي الحقيقي كما حققه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي فقد قال في تفسير آية البقرة من كتابه أحكام القرآن ما نصه : اتفقت الامة على أن الخنزير حرام بجميع اجزائه والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد

﴿ ١ ﴾ ـ ومع ذلك فشحم الخنزير يستخدم في صنع بعض العقاقير مثل ﴿ الديادرمين ﴾ وهو صابون قشطي مرهمي ناصع البياض يستخدم في الامراض الجلدية ومن خواصه تنعيم البشرة و إزالة الجلد حظه من الجمال ﴿ والديادرمين ﴾ تتألف من شحم الخنزير المسلي والبوتاسه الكاوية والغلسرين ومثله ﴿ الكوتبدرمة ﴾ وهي تتألف منه ومن البوتاسة فقط ، وغير ذلك من المراهم والقشطات الكثيرة الداخلة في اداة التجميل والتحسين النسوي وفي الطب فالقول بجواز استخدامه يرجع الى الحكم بنجاسته اوطهارته وليس هذا مجاله .

شغفت المبتدعة بأن تقول فما بال شحمه بأي شيء يحرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال «لحما» فقد قال «شحما» ومن قال شحما فلم يقل لحما، اذ كل لحم شحم، وليس كل شحم لحما من جهة اختصاص اللفظ وهو لحم من جهة حقيقته اللحمية ، كما أن كل حمد شكر وليس كل شكر حمدا من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم. ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر الخ اه المراد منه

(ثانيا) ان الفقهاء قد أجمعوا على تحريم أكل كل ما يؤكل من الخنزير أطلق الجمهور حكاية الاجماع واستثنى بعض المفسرين بعض الظاهرية وهو مبني على ان مدلول لفظ اللحم ما هو معروف عند العوام من جسم الحيوان المتصل باعضائه المماسكة بعظامه دون ما في جوفه مما ذكر

(ثالثا) إذا قيل ان إطلاق لفظ اللحم في الآيات مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل أو معظم الشيء على جملته فانه يصح الاستدلال بالآية على تحريم ما ذكر كله عند غير الحنفية من أصحاب المذاهب الثلاثة وعلى الكراهة التحريمية عندهم لانهم يشترطون في التحريم الدلالة القطعية من النص وليس هذا منها

(رابعا)ان علة تحريم أكله وهي الضرر الجسمي والادبي كما حققه الاطباء متحققة في كل ما يؤكل منه ، فيكون تحريم اللحم بالنص وتحريم غيره بالقياس المساوي .

(خامساً) ان الخنزير نجس العين عند جمهور الفقهاء طاهر عند الامام مالك. ولعل الاستاذ سيف الدين رأى فتوى بطهارة الخنزير عند مالك وطهارة ما يتخذ من شحمه أو يدخل فيه شحمه كالصابون فنسيها ثم ظن أنها فتوى بحل أكل شحمه.

وجملة القول أن كل ما يؤكل من الخنزير محرم فأما لحمه فبنص القرآن والمختار عندنا أنه يشمل الشحم وكل ما يؤكل منه . وبالاجماع على قول الجمهور به وعدم اعتدادهم بمن خالف فيه من الظاهرية ، وأما شحمه على القول بأنه لا يسمى لحما والاعتداد بخلاف بعض الظاهرية فبدلالة المجاز من اطلاق المقصود بالذات وإرادة كل معناه وبالقياس

وقد سبق لنا في المنار وفي التفسير اثبات قول الاطباء بضرره الشديد في البدن بكونه سبب داء الدودة الشريطية ، وضرره في الأخلاق كما أثبته بعض المجربين فما أفتى به الاستاذ سيف الدين الرحال صحيح في جملته

الوجود والمادة والقوة والخالق عز وجل

(رأي الاستاذ الامام في الحدوث والقدم *)

حضرة الاستاذ صاحب الكوكب المنير

قرأت فيما نشره الكوكب أمس (السبت) من ترجمة مذكرات مستر ولفرد بلنت المشهور ماذكره من حديث الاستاذ الامام مع الفيلسوف سبنسر في عقيدة المسلمين في الخالق عز وجل وفي حالة أوربة والشرق ، وما ذكره من حديثه هو مع الاستاذ الامام في علم الله تعالى بالجزئيات ، وفي قدم المادة والخالق عز وجل

فأما حديث أستاذنا مع الفيلسوف سبنسر فقد كان بسطه لنا بعد عودته من أوربة ورأيت كلمة عنه في مذكرة له ونشرت هذا وذاك في المنار وفي الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) فراجعوه في (ص ٨٦٨) من التاريخ إن شئتم

وأما حديثه مع مستر بلنت في الخالق وعلمه وقدم المادة في أثناء عودتهما من زيارة الفيلسوف فلم يذكر لنا عنه شيئاً ، ولكننا نجزم بأن ما نقله عنه مستر بلنت من القول بقدم المادة خطأ سببه عدم فهمه لما قاله الاستاذ الامام لدقته وكونه من اصطلاحات كلامية وفلسفية لم يعرفها عقله ولم يألفها فهمه . وأننا قد تلقينا عنه هذا البحث مطولا مفصلا في الكلام على الوجود من درس المنطق حتى قلنا مع أذكى الاساتذة الذين حضروا ذلك الدرس : اننا لم نفهم معنى الوجود إلا في هذا اليوم ، وفي الكلام على الوجود الواجب والوجود الممكن من رسالة التوحيد ثم في مباحث أخرى من دروس التفسير وأهمها الكلام على المادة والقوة الذي أثار إشكالا في بعض الاذهان اقتضى أن يوضحه الاستاذ كتابة ، وقد نشرت رأيه وما كتبه في إيضاحه في الجزء الاول من التفسير

أقام الاستاذ الامام البراهين العقلية القطعية على حدوث العالم قولا وكتابة

---

*) نشرنا هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق الغراء في ١٢ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١ ردا على حديث لمستر بلنت مع الاستاذ الامام فهم منه أن الاستاذ قال له إن المادة قديمة

وقدم خالقه واجب الوجود وحده ، فلا يمكن أن يقول لمستر بلنت ولا لغيره إن المادة لهذا العالم قديمة كقدم واجب الوجود ، إلا إن كان يقول بوحدة الوجود كالشيخ محيي الدين بن عربي وأمثاله من فلاسفة الصوفية الغلاة الذين يقولون ان الوجود الحق واحد في ذاته متعدد في مظاهره وهي أعيان الموجودات في الخارج وشخوصها ، وهو قد ذكر للفيلسوف سبنسر مذاهب المسلمين الثلاثة في نسبة الخالق الى العالم : مذهب السلف الذين يقولون انه فوق جميع خلقه بائن منهم بلا تمثيل ولا تحديد . ومذهب المتكلمين الذين يقولون انه لا في داخل العالم ولا في خارجه ــ فيقولون كالسلف بالبينونة وبنصوص العلو والفوقية مع تأويلها ــ ومذهب الصوفية الذين يقولون بالوحدة . وهو قد صرح في رسالة التوحيد وفي دروس التفسير أنه يقول بقول السلف ، ولا يعيب قول الخلف

ولكنه كان في تقرير المسائل الاعتقادية يلتزم اصطلاحات علماء الكلام (إلا في التفسير) وأما في الرد على الشبهات وتقرير الحقائق الاسلامية للفلاسفة والماديين فكان يحاول تقريب الاصطلاحات العلمية المختلفة بعضها من بعض إذا كانت هي سبب الاختلاف في فهم الحقيقة ، ثم يبين ان الحق ما أثبته الاسلام ، وقد كان الفيلسوف سبنسر يرى ان إثبات ذات للقوة المدبرة لامر العالم وان لهذه الذات صفات قائمة بها كما يعتقد المسلمون يقتضي انهم يقولون بتشخصه تعالى ، فأعلمه الاستاذ الامام باننا نقول انه موجود ولا نقول انه شخص مشخص ، بل نقول انه لا يدرك كنهه . ففهم الفيلسوف كلامه ودهش من الاعجاب به كما يقول مستر بلنت ، ولكن مستر بلنت لم يفهم كلامه كما فهمه الفيلسوف ، ولذلك سأله بعد الخروج من عنده عن علمه تعالى بالجزئيات فأثبته له ، وسأله عن قدم المادة كقدمه تعالى وادعى أنه أثبتهما معاً ونحن نجزم بانه لم يفهم جوابه لضيق الوقت عن إيضاحه فأخطأ في بيانه

والراجح عندي في سبب ما فهمه مستر بلنت من قدم المادة ان الاستاذ الامام أراد أن يكشف له شبهة الماديين في اعتقادهم قدمها وهي استحالة وجود شيء من العدم ــ أو شيء من لا شيء كما يقولون ــ ثم يبين له حجة المسلمين على حدوثها ، فوافقه أولا على ان العدم لا يكون مصدراً للوجود ، بل بين له كما بين لنا في دروس المنطق بالازهر ان العدم لا حقيقة له في نفسه وإنما هو أمر اعتباري فرضي محض

وإنما الشيء الثابت هو الوجود ، وان الوجود المطلق أزلي أبدي لان مقابله وهو العدم المطلق محال لا يمكن ثبوته ولا تحققه ولا تصوره ولا تخيله ، وانما يتصور الذهن العدم الاضافي وهو نفي نسبة موجود الى موجود كعدم وجود شمسين وقمرين لهذه الارض . فتوهم الرجل من هذا ان وجود المادة قديم لان العدم محال

ثم أخذ الاستاذ الامام يبين له ان الوجود قسمان : وجود واجب لذاته ، ووجود ممكن لذاته ، ومن الثاني أعيان العالم المادي الذي نعرفه بحواسنا ونقيس مالم ندركه منه على ما أدركناه ، فمنه ما نرى بأعيننا حدوثه بعد ان لم يكن ، ومنه ما نعلم حدوثه بالأدلة كهذه النجوم والكواكب اللامعة فوقنا ، فلا يوجد عالم من علماء المادة أنفسهم يقول انها قديمة أزلية ، ومعنى كونه كله ممكنا ان ذاته لا تقتضي الوجود في نظر العقل لثبوت سبق أعيانها بالعدم ولا فرق في نظر العقل بين أعيانها المركبة من عنصرين أو عدة عناصر وبين عناصرها البسيطة . وكل مالم يكن وجوده من ذاته لذاته لا لعلة خارجة فلا بدله من علة وسبب يهبه الوجود ، وهذا السبب لا يمكن ان يكون عدميا لان العدم لا ثبوت له في ذاته فيكون سبباً لوجود غيره — فوجب ان يكون سبب وجود الممكنات كلها هو الوجود الواجب اي الذي له الوجود لذاته لا لعلة أخرى ، وهو الذي لا يتصور عدمه ، وهو الله عز وجل

هذا هو البرهان العقلي عندنا على حدوث العالم كله ، وكأني بالأستاذ الامام قد ذكره لصديقه مستر بلنت مختصراً في طريقهما من دار الفيلسوف سبنسر إلى المحطة فلم يفهمه منه ولكن بقي في ذهنه قوله ان العدم لا يكون منشأ ولا سبباً للوجود ، وتوهم انه يستلزم ان تكون المادة قديمة أزلية كالخالق تعالى وهذا محال

أزيد في بيان الموضوع ان الله تعالى قال في الاحتجاج على المعطلين (ام خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟) اي لا يمكن ان يكونوا خلقوا من غير شيء (او من لاشيء كما يقال) لان العدم لا يكون سبباً ولا مصدرا للوجود ، ولا يمكن ان يكونوا هم الخالقين لانفسهم ولا لغيرهم ، وهذا مما لا ينكرونه ، فيتعين ان يكون الخالق لهم هو الله واجب الوجود لذاته . وما يصدق على المخاطبين بهذه الحجة يصدق على غيرهم من الممكنات الوجود عاقلها وغير عاقلها كعناصر المادة بالاولى ، واذا أمكن الجدل والمراء في جزئيات الممكنات فلا يمكن المراء في جملتها . وانني أذكر هنا عبارة رسالة التوحيد

في ذلك لاستاذنا وهو قوله بعد بيان حقيقة الواجب والممكن والمستحيل ما نصه:

« جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى موجد لها . فاما ان يكون عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، واما ان يكون جزأها وهو محال ، لاستلزامه ان يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الاول، ولنفسه فقط ان فرض أول . وبطلانه ظاهر — فوجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات (اي غيرها) : والموجود الذي ليس بممكن هو الواجب ، إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل والواجب ، والمستحيل لايوجد ، فيبقى الواجب — فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً هو واجب الوجود »

ثم أورد البرهان من وجه آخر أخصر وأدق من هذا . وقد علم من هذا وما قبله من مقدماته وما بعدها من الكلام في الوجود الواجب وما ثبت لواجب الوجود عز وجل وحده من القدم انه يستحيل ان يقول صاحب هذه البراهين ان المادة قديمة أزلية، وان المعقول ان يكون السبب في فهم مستر بلنت ما ذكر منه هو ما فصلناه، أو يكون الكلام في القدم اللغوي او الاضافي، وهو قدم عناصر المادة على مركباتها

والكاتب هذا المقال طريقة غير طريقة شيخه الاستاذ الامام الفلسفية في إثبات حدوث المادة في مناظراته للقائلين بقدمها جدلا او اعتقاداً بينتها في مواضع من مجلة المنار منها مناظرة بيني وبين صاحبي المقتطف منذ ثلث قرن تقريباً . ملخصها ان جميع مانعرفه من هذا العالم العلوي والارضي حادث بالاتفاق بين العلماء، ولكنهم يتخبطون في تصور تكوينه وتصويره بصورة معقولة ولا يزالون مجمعين على ان منشأ الكون ومصدره الاول مجهول الكنه مع الجزم بأنه موجود ذو قوة أو حكمة يدل عليهما النظام العام في جملته وفي كل نوع من أنواعه ، او جنس من جناسه، وهو مانعبر عنه بالسنن او النواميس، وهذا الموجود المجهول كنهه وحقيقته، المعلومة صفاته بما يدل عليها من العالم ، هو الذي نسميه نحن بالاصطلاح العلمي واجب الوجود ، وبالاصطلاح الديني « الله رب العالمين »

هذا وانه قد ثبت عند علماء المادة ان عناصرها البسيطة قد يتحول بعضها إلى بعض كتحول غاز الراديوم إلى عنصر الهليوم وفاقا لنظرية وحدة المادة في الاصل، ونظرية

من قال من فلاسفتنا وفلاسفة اليونان ان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ـ تقريبا
ثم ثبت أخيراً ان القوة تتحول الى مادة او تصدر عنها مادة . ومن المعلوم ان كنه المادة وكنه القوة مجهولان ، وكنه القوة أعرق في الخفاء من كنه المادة، فصح لنا معشر المؤمنين بأن الله تعالى خالق كل شيء أن نقول لهؤلاء الماديين ان هذه القوة التي صدرت عنها المادة هي قدرة الله تعالى ، وهي عندنا مجهولة الكنه ، كما ان ذات الخالق تعالى مجهولة الكنه (*

وقد بينت هذا البحث في مقال طويل عنوانه (السنن الكونية والاجتماعية ونظام الكون) نشرته في الجزء الاول من مجلد المنار ـ مجلد هذا العام قلت فيه مانصه :

« ومالي لا آتي إلى أساس هـذا الكون والسنن التي قام بهـا تكوينه في الاطوار المختلفة، ألم يكونوا يقولون إنه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت بها الصور المختلفة في العالم كله ؟

« قد هدم هذا الاساس إن لم يكن بما ثبت من تحول عنصر الى عنصر ، فبما ثبت من ان مانسميه المـادة والقوة اصطلاح لاتعرف له حقيقة ، وان هـذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنـا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات الكهرباء — وان كل ذرة من ذراته تتألف من كهارب سلبية تدور حول كهرب إيجابي (والكهرب هو الوحدة من الكهرباء) وهذه الكهارب لايمكن أن يقال إنها مادة ، ولا انها قوة ، وانما حقيقتها مجهولة — إلى ان قلت :

« فاذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا (أولا) فما المانع من القول بان هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ واذا كان الوجود الممكن كله مظهراً من مظاهر تموجات الكهرباء المجهولة الكنه كما قالوا (أخيراً) فأي بعد بين قولهم هذا وقول اتباع الوحي : ان الوجود الممكن الظاهر، صادر عن الوجود الغيبي الباطن؟ وقول الله تعالى يصف نفسه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »

*) لايبعد ان يقول بعض أدعياء العلم الجاهلين الجامدين اذا اطلع على هذا ان صاحب المنار ينكر وجود الله تعالى ويقول كما يقول الماديون ان مادة العالم صدرت عن قوة مجهولة هي التي نسميها الخالق . فيجعل برهاننا الذي أقمنا به الحجة على وجود الخالق وأقنعناهم به عين انكار وجوده عز وجل ، كما فعل في مسألة الملائكة والقوى الطبيعية ، وهكذا يقلب الجامدون المحرفون الحقائق بالجهل وسوء النية

ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين (*)

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

سلام عليكم أيها المتذكرون المذكرون بتاريخ هذا الرجل العظيم، المنقذ لأوطانكم وأمتكم من عدوان المعتدين ، المجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق والعدل ، بصدّ سيطرة الغرب عن الشرق ،

لقد أحسنتم صنعا بإحياء هذه الذكرى ، واختياركم لها تاريخ معركة حطين الكبرى، التي كانت هي الفاصلة، لأن معارك النصر بعدها كانت متواترة متعاقبة، إلى أن تم طرد تلك الزحوف الباغية ، عن هذه البلاد المقدسة ، وعن غيرها من البلاد العربية ، حتى جزيرة العرب التي شرفها الله تعالى على جميع الارض ببيته الحرام ، ومرقد رسوله خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقد كان بعض زعماء الافرنج يأتمرون بفتح الحرمين الشريفين، ولا غرو، فإن ثالث الحرمين أقرب الابواب إليهما، وقد عاد الامر كما بدا، فهل نجد على نار الاحداث المشاهدة هدى، ..؟

أيها الاخوان المجتمعون لهذه الذكرى المقدسة ، في هذه الارض المقدسة ، إنكم قد رفعتم عن بلادكم وأمتكم كلها عارا كبيراً وتقصيراً معيباً بالسكون والسكوت عنها إلى الآن ، وهم يرون شعوب الغرب يتنافسون في إحياء ذكرى معارك الحروب التي هي دونها من كل وجه ، وأما الرجال العظام فانهم ينصبون لهم التماثيل ، وان كانوا عندهم دون صلاح الدين عندنا ، ويؤلفون في مناقبهم الكتب التي ترفع ذكرهم ، وتعظم قدرهم ، وترشد الامة إلى الاقتداء بهم

نصب التماثيل ممنوع في الاسلام لانه من شعائر الوثنية ، وأما تصنيف الكتب وإلقاء الخطب في عبر التاريخ فكل منهما مشروع ، لانه من الحكمة والموعظة الحسنة،

(*) خطاب لنا ألقي في حفلة هذه الذكرى بحيفا في ٢٥ ربيع الآخر

وقد دون بعض علمائنا تاريخ صلاح الدين ، ونوهوا بجهاده ومناقبه في كتب أخرى ، ولكن جمهور الامة يجهلها ويحتاج الى التذكير بها ، بالاسلوب الذي يبعث العبرة ، ويحمل النفوس على حسن الاسوة

فضائل صلاح الدين كثيرة : من قوة إيمان ، وعلو أخلاق ، وصلاح أعمال، وعدل أحكام ، ولكن منته الكبرى على أمم الشرق كافة ، وعلى العالم الاسلامي والعرب خاصة، انما هي كفايته اياهم طغيان الاستعمار الغربي، والطوفان الاوروبي، الذي فاضت سيوله باسم التعصب الصليبي ، في زمن كانت فيه جميع الشعوب الاوربية في ظلمات حالكة من الهمجية والقسوة والخرافات والجهل المطلق ، والبعد الشاسع عن هداية الدين المسيحي الصحيح ، الذي ارتكبوا جميع الشرور والفظائع باسمه، ووالله انهم قد كانوا ومازالوا أبعد خلق الله عن دين المسيح وفضائل المسيح ووصايا المسيح عليه الصلاة والسلام، ولولا صلاح الدين لأغرق طوفانهم الشرق كله منذ القرن السادس للهجرة ، فاهلكوا الحرث والنسل ، وطمسوا نور الحق والعدل ، وأفسدوا جميع الارض ،

لم يكن صلاح الدين رحمةً من الله تعالى بالشرق وحده ، بل كان رحمة بالغرب وبملوكه وقواده الوحشيين الهمجيين وشعوبه المظلومين أيضاً ، فقد أراهم بجهاده فيهم، وبنصر الله له عليهم، ماطبعه عليه الاسلام من الحق والعدل ، والرحمة والفضل، وعلو الاخلاق والشيم ، فان كانوا قد خسروا بسيفه نتيجة الحرب كلها ، فقد ربحوا بمعرفة فضائله وفضائل امته ما كان خيراً لهم ولشعوبهم منها .

رأوا من صلاح الدين ، ومن أمة صلاح الدين ، ومن جيوش صلاح الدين، وعلموا من أمر رعايا صلاح الدين من اليهود والمسيحيين، خلاف ما كانوا يعلمون من ملوكهم وشعوبهم ، ورؤساء دينهم ودنياهم ، ومازال علماؤهم ومؤرخوهم يجلونه وينوهون بفضائله ، ولم تنس سورية ما كان من عاهل ألمانية الاكبر عند زيارة ضريحه في دمشق من إجلاله له ، ووضع ذلك الاكاليل على قبره

رأوا أن سلطان المسلمين خادم للامة، لا يتعدى سلطانه عليها تنفيذ الشريعة، فلا سلطان له على أموال الناس ولا على دمائهم ولا على نسائهم، ولا تحكم له في أنفسهم ولا في شرفهم

فضلا عن عقائدهم وآرائهم، بل هو أرفق بهم من آبائهم وأمهاتهم وأولي أرحامهم (*
رأوا أن المسلمين أحرار في دينهم ودنياهم، ليس عليهم سيطرة بابوية ولا كنسية فيها، على خلاف ما كان عليه ملوك أوربة ورؤساء الدين فيها من استبداد في الاحكام، واستعباد للناس، رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم وعلموا باختبارهم، أن كل ما هاجتهم به الكنيسة لقتال المسلمين من الخطب والقصائد والاناشيد فهو كذب وبهتان، ورأوا أن النصارى يعيشون مع المسلمين كالاخوان، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، بل لهم أكثر مما عليهم. فلما انقلبوا مغلوبين على أنفسهم في الحرب، رجعوا عليها باللائمة، وشعروا بحاجتهم إلى تقليد المسلمين والاقتداء بهم في عدل حكامهم وحرية شعوبهم، وتقييد تلك السلطة المطلقة والسيطرة المقدسة اللتين استذلتاهم فكان انكسارهم في معارك النزال هو الحافز لهممهم، والمثير لافكارهم والمرشد لهم الى الاصلاح السياسي والديني، وما يتوقف عليه من استقلال العقل، وحرية العلم، فتحولوا عن جهادنا إلى جهاد أنفسهم،

جاهدونا عدة أجيال، ثم جاهدوا ملوكهم وكنيستهم عدة أجيال، وطفقوا يترجمون كتب حكمائنا وأطبائنا وفقهائنا وأدبائنا، يثقفون شعوبهم بها، على حين كنا نعود القهقري بتخريب الاعاجم لبلادنا، ودكهم لمعاقل قوتنا، وتقويضهم لصروح حضارتنا، وإغراقهم لكتب أئمتنا، ثم بقضائهم على سلطان خلافتنا، وإضعاف لغتنا، وإماتة علومنا، وإذلال نفوسنا بسلطة عسكرية قاهرة استنزفت ثروة عمراننا، وألحقتنا بمنابت الشيح والقيصوم من جزيرتنا

هذا ـ وان هؤلاء الاوربيين لم ينسوا عداوتنا معشر العرب، فقد كانت لنا عدة ممالك عربية في شطر افريقية الشمالي قضوا على استقلالها كلها بأسماء مختلفة، حتى انهم كانوا هم الحائلين دون تأسيس السلطنة (الامبراطورية) العربية التي

(*) شكا الى السلطان صلاح الدين احد مماليكه المتميزين لديه بالحظوة والاثرة مستعديا على جمال ذكر انه باعه جملا معيبا أو صرف عليه جملا بعيب لم يكن فيه فقال السلطان له ماعسى ان اصنع لك وللمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة واوامره ونواهيه ممتثلة وانما انا عبد الشرع وشحنته ـ والشحنة عندهم صاحب الشرطة ـ فالحق يقضي لك أو عليك اه من رحلة ابن جبير

شرع فيها محمد علي الكبير في مصر وسورية والسودان، وأكرهوه على أن يظل خاضعاً للسياسة العثمانية عدوهم الكبرى في الشرق ، لعلمهم انها سائرة الى الانحلال والاضمحلال، وان الدولة المصرية الجديدة حية داخلة في سن الشباب ، ثم مازالوا يتربصون الدوائر بالدولة العثمانية ، إلى أن تم انحلالها في الحرب العامة الاخيرة، فكان حظهم من انحلالها الاستيلاء على ولاياتها العربية، والاعتراف باستقلال ولاياتها التركية وحدها ، وإعلان الحماية على مصر العربية ، ولما اضطرتهم الثورة المصرية إلى إلغاء هذه الحماية والاعتراف باستقلال مصر قيدوا ذلك بقيود تجعل الاستقلال اسماً لغير مسماه اللغوي والسياسي، وعجلوا بالاستئثار بالسودان كله، فطردوا منه موظفي الحكومة وضباط الجيش من المصريين ، حتى ان حاكم السودان الانكليزي لم يسمح لحكومة مصر بتولية ملكها لقاضي السودان الشرعي ، على انهم لولا مساعدة مصر والحجاز العربيتين لهم في الحرب، لكان النصر فيها للألمان والترك ، ولزال الاستعمار البريطاني والفرنسي من الارض .

فعلم من ذلك كله ان دول أوربة العسكرية الاستعمارية تعد الامة العربية أعدى أعدائها في الشرق ، وان وجودها فيه ذنب لا يقاس به ذنب ، ولذلك جزتها على مساعدتها لها على قتال الترك بما تعلمون وتشاهدون، وتسمعون وتذوقون ، وانما تشاهدون ظلماً لا يصبر عليه إلا عَير الحي والوتد ، وتسمعون من النُّذُر ما يدل على أن المستقبل المعد لكم، شر من الحاضر الذي يعنتكم، وتذوقون من مرارة الفقر والذل ما لا يوصف بالقول ، فان الذوق أقوى أنواع الادراك فلا يحتاج الى الوصف .

وإنكم أنتم يا عرب فلسطين ، ويا من شرفكم التاريخ بمعركة حطين ، قد خصصتم بما لم يصب به أحد من العالمين ، من الظلم والذل والعذاب المهين، لا فرق فيه بين المسلمين والمسيحيين ، بما تحشره الدولة البريطانية في وطنكم من شذاذ اليهود الصهيونيين ، لتطردكم منه وتعيد فيه ملك اسرائيل ، تكذيباً لوعيد الله لهم على لسان المسيح ومحمد عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم .

على أن هذه الدولة المشهورة عند أدباء أوربة وساستها بالرياء الفريسي قد صبغت الاستيلاء على القدس بالصبغة المسيحية ، ووصفت هذه الحرب بأنها آخر

الحروب الصليبية ، وأقامت الاحتفالات لفتح أورشليم في الكنائس الانكليزية ، فلينظر مسيحيو أورشليم والناصرة وبيت لحم وسائر البلاد التي تشرفت بولادة المسيح ونشأته ، وتجواله ومعيشته ، وسمع أجدادهم فيها مواعظه العالية، ووصاياه الاصلاحية السامية ، ورأوا آياته وعجائبه الدالة على صدقه ، وتكذيب أعدائه الذين طعنوا وما زالوا يطعنون في دعوته ، ويقذفون أمه العذراء الطاهرة سيدة نساء العالمين ، بما برأها الله منه على لسان رسوله محمد خاتم النبيين، وسماه بالبهتان العظيم

لينظر هؤلاء المسيحيون ماذا كان من حظهم من هذا الفتح المسيحي الصليبي، الذي هو أجدر أعمال الانكليز باسم الرياء الفريسي ، وليتذكروا ان صفقتهم كانت تكون أخسر مما هي لولا كنائس أوربة المسيحية وشعوبها المسيحية ودولها المضطرة الى مراعاة شعورهم ، وحسبهم مما هم فيه تفضيل أعداء المسيح الصهيونيين عليهم ،وجعل وطنه وطنا لهم، ليقيموا فيه مسيحهم الذي يجدد لهم ملك داود وسليمان المادي الذي يزعمون أن أنبياءهم بشروهم به، ويكذبون ابن مريم الصادق الامين، الذي قال مؤيداً بروح القدس إنه هو المسيح الحق الذي بشر به أولئك النبيون، وان ملكه سماوي لا أرضي، روحي لامادي، فانهم كانوا وما زالوا عبيد المادة ، فاذا جاءهم ملك مادي لايزيدهم إلا طغيانا وغلوا في عبادة المال ، وانما كانوا وما زالوا في أشد الحاجة الى تلك التعاليم الانجيلية الروحية التي تصدهم عن هذه العبادة للمال، والطمع والاثرة على الناس ، حتى بغضتهم الى أكثر شعوب البشر، فان تجدد لهم ملك وهم على مايعلم جميع الناس فانهم لا يكونون إلا كما قال الله عزوجل (أم لهم نصيب من الملك ؟ فاذاً لا يؤتون الناس نقيرا) حتى لا يستطيع أحد أن يعيش معهم ولو فقيرا (النقير النكتة في ظهر نواة التمرة وهي كناية عن الشيء الحقير)

أيها العرب الكرام : المحتفلون بذكرى السلطان صلاح الدين العربي العدناني كما روى ابن خلكان المؤرخ الشهير ـ وبذكرى معركة حطين العربية الفلسطينية ـ يجب أن تبثوا في الامة العربية كلها أن الخطر عليها من الاستعمار الاوربي في هذا الزمان ، بل في هذا العام ، أكبر وأخطر مما كان قبل معركة حطين الفاصلة، وان ما يجب عليها لدفع هذا الخطر من الجهاد بالاموال والانفس، هو أعظم وأشق مما

قام به أجدادهم في حطين ، تحت لواء صلاح الدين ، ففازوا بالنصر المبين

ربما يتوهم بعضكم أنني أعني بهذه المشقة أن الامة العربية لا تملك ما يملك المعتدون عليها ، والجادون في السعي لاستعبادها، من المدافع والدبابات والطيارات والاساطيل، فتقاتلهم بمثل سلاحهم كما أوجب الشرع عليها ، كلا ان هذا أهون الخطرين ، وانما الخطر الاكبر الذي ينبدفع باندفاعه كل مادونه هو قتال العرب بالعرب ، وتخريب بيوتهم بأيديهم، بما يبذله هؤلاء المستعمرون لهم من مال يستأجرونهم به لقتل أنفسهم، وما هو الا مما يسلبونه من بلادهم في الحال أو المآل ، وبما يستخدمون به طلاب الامارة والوزارة وما دونهما من المناصب لخيانة أمتهم وهدم معاقل استقلالها ، وإنما هو ألقاب باطلة لا يخرجون بها عن كونهم خدما أذلة للمستعمر السالب لسلطانهم الصحيح ، ومجدهم التليد ، فلعنة الله على أمثال هذه الامارات والوزارات والمناصب الصورية المدنسة برجس الخيانة، وعلى هذا السحت الذي يبيعون به أوطانهم لاعدائهم

وان أمة يعيش فيها أمثال هؤلاء الخونة مكرمين مخدومين مزينين بألقاب الجلالة والعظمة، والسمو والفخامة والسعادة، لا يمكن أن تكون أمة عزيزة مستقلة، بل لابد ان يسلب منها مابقي لها من استقلال ومال وشرف وحرية، إلا أن تتوب الى ربها ، وتجتث شجرة الخيانة من بلادها كلها، فالامة العربية مستعدة للحياة ، ولا تلبث بعد تطهيرها من هؤلاء الانذال، أن يظهر فيها مثل صلاح الدين فيقودها الى الوحدة ومجد الإستقلال

لا أقول لكم عاقبوهم بمثل ما عاقبت وتعاقب به الامم الحية أمثالهم ، وما أشار به حكيم الشرق وموقظه السيد جمال الدين الافغاني قدس الله روحه في معالجة فتنتهم، بل أقول إنما دون ذلك من العقوبة الادبية قد يفضي الى تطهير الامة من رجسهم

العقوبة الادبية يملكها الكتاب والخطباء والشعراء والمصنفون والجمعيات العلمية والاحزاب السياسية، فعلى هؤلاء كلهم أن يتعاونوا على تنفيذ العقوبة بما ينظمون من القصائد والمقاطيع والاغاني الوطنية في تشهيرهم، وتشويه خيانتهم، وتسجيل اللعنة عليهم، وبما يلقون من الخطب في مثل هذا المحفل الحافل ، وفي الاندية والسمار والمساجد، وبما يكتبون من المقالات التاريخية والاجتماعية في المجلات والجرائد ، وبما يصنفون

من الكتب والرسائل ، وبما يلقنون من علم الاخلاق والاجتماع لطلاب المدارس

وأما الاحزاب السياسية فعليها فوق هذا أن تسعى لاسقاط سلطتهم ، وتأليب الامة عليهم ، وإحباط كل سعي لهم في تأليف عصبية لهم في أي عمل من أعمالهم ، حتى لايجدوا في الامة رجلا قادرا على العمل يكون آلة للاجنبي المعتدي على بلادها ، أو آلة للآلة الخائن لها ، فان لبعض الامور السلبية من التأثير والبلاء في بعض الاحوال، ما لا يكون للحديد والنار

أتدرون أيها الاخوان لماذا رفع الانكليز الحماية عن مصر..؟ إنهم لم يرفعوها لما قتل الثائرون من رجالهم القليلين ، وإنما رفعوها للثورة السلبية التي اتفق عليها الموظفون في الحكومة بامتناعهم من حضور الدواوين، واشتغالهم فيها تحت سيطرة الانكليز ، بل ما تسنى للانكليز احتلال مصر الا باستعداء حكومتها إياهم على طلاب النصفة والاصلاح من شعبها ، وبخيانة الخونة من باشاواتها لها، (وقد بينا هذا في تاريخ الاستاذ الامام الذي هو التاريخ الوحيد للنهضتين المصرية والاسلامية) ثم لم يتمكنوا من سلب نفوذ حكومتها وجعلها آلة صماء في أيدي مستشاريهم ومن دونهم المفتشين وغيرهم ، إلا بأيدي تلك الجماعة التي كانوا يسمونها مجلس النظار أو الوزراء ، وأطلق عليها شيخنا الاستاذ الامام اسم (جمعية الصم البكم)

وإنكم لتجدون أيها الاخوان للثورة السلبية في هذه الايام مثلا أكبر وأوسع مما كان في الثورة المصرية، وهو الثورة الهندية، ولكن ينقصها أن ساسة الاكثرين من الوثنيين، قد عجزوا عن ارضاء جميع الزعماء من المسلمين ، ولو اتفق الفريقان كما اتفق المسلمون والقبط في مصر ، لامكنهم أن يعمموا ثورتهم السلبية بعدم التعاون مع الانكليز على أعمال الحكومة ، وبعدم دفع الضرائب لها ، وإذاً لكان استقلال الهند قاب قوسين أو أدنى .

أيها الاخوان — أيها العرب الكرام

إنه لا خير لكم في هذا الاحتفال ولا فائدة لكم من هذه الذكرى لسلفكم ، إلا اذا استفزتكم للجهاد في حفظ ما بقي لامتكم العربية من الاستقلال في جزيرتها، منبت شجرتها ، وموطن قوتها ، ومصدر حضارتها ، ومأرزها عند شدتها ، وفي استرداد

ما فقد من بلادها ، ولا تهولنكم عظمة المعتدين الحربية، ولا ثروتهم المالية، فانكم إذا جمعتم كلمة أمتكم ، ووفقتم لنبذ الخونة الذين يقاتلكم الاجنبي بهم ، فان شعوب أوربة العاقلة المقتصدة لن تسمح لحكوماتها الطامعة بتجهيز جيوش صليبية جديدة مجهزة بالآلات الحربية الحديثة لفتح جزيرتكم، والاستيلاء على الحرمين كما استولوا على الثالث ، وإنما يفعلون كل شيء من إذلالكم بكم ، وانتزاع بقية استقلالكم بأيديكم ، كما قلنا آنفا لكم ، وقلنا ذلك وكتبناه من قبل لقراء مجلتنا (المنار) وتفسيرنا ولغيرهم في بعض الصحف .

ومما كتبناه في مباحث هذه المسألة خاصة مارواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان (رض) مرفوعا إلى النبي ﷺ قال « إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض . وإني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة (أي القحط) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وإن ربي قال لي : يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد، وإني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا »

صدق رسول الله ﷺ في كل ما بشر به وأنذر — وما كان إلا صادقا ، وما كان خبره عن الله إلا حقا ، فقد أعطى الله أمته كل ما وعدها ، وما سلب أعداؤها شيئا من بلادها ، ولا سلطوا على شعب من شعوبها ، إلا بمساعدة المسلمين أنفسهم إياهم على أنفسهم ، كما يعلمه كل واقف على تاريخ الاستعمار ، وآخره استيلاؤهم على هذه البلاد العربية من فلسطين الى العراق . فالى متى تسكت الامة للخونة الذين رضوا أن يكونوا شر سلاح للاجانب تفتح بهم بقية بلادها ، لتقضي على البقية القليلة من ملكها ؟؟

الاخوتان الدينية والقومية

هذا — وانني أوصي إخواني في الدين وإخواني في القومية العربية والوطنية بالحذر التام من التفريق بينهم بدسائس الاجانب الطامعين ، وأعوانهم من الوطنيين المنافقين المأجورين، والمتعصبين المغرورين، الذين يبغون التفريق بينهم باختلاف

الدين، فان مصلحتهم القومية والوطنية واحدة، وقوميتهم واحدة، ولغتهم واحدة، وان المسلمين لا يرون في اخوة الدين الروحية ما يعارض اخوة القومية ، لان الله قد أثبتهما في كتابه العزيز، فقال في الاولى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقال في الثانية (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين) وقال مثل ذلك في اخوة هود وصالح الرسولين العربيين وغيرهما لأقوامهم المشركين

وان المطلعين على التاريخ من اخواننا في القومية العربية يعلمون أن دولتنا العربية لم تفرق بين المختلفين في الدين في العدل، والمساواة في حرية الاعتقاد والعبادة والنفس والعرض والمال ، وان بغي الصليبيين وتعصبهم وما سفكوه من الدماء البريئة باسم الصليب ونزغة الدين المسيحي إفكا وزوراً لم يكن له من التأثير بين المسلمين والنصارى في هذه البلاد العربية عشر معشار ما كانوا يظنون ، بل كان الجميع يعيشون متحدين متعاونين في أمور دنياهم ، وكل منهم حر مستقل في أمور دينه ، على قاعدة الشرع الاسلامي [لهم ما لنا وعليهم ما علينا] فلم يستطع الصليبيون الاولون ولا الآخرون أن يفسدوا علينا من إخواننا في القومية ما أفسده علينا خلفهم من إخواننا في الدين والقومية معاً بحب الامارة والوزارة والمال

أذكر في هذا شهادة لعالم مسلم غربي النسب والادب ، أوربي الوطن ، وهو الرحالة ابن جبير الأندلسي الذي مر ببلادنا سائحا بعد عودته من الحجاز في عهد الحرب الصليبية سنة (٥٨٠) فانه قال في رحلته عند ذكر جبل لبنان الذي كان فاصلا بين البلاد الساحلية التي احتلها الصليبيون وبين غيرها وذكر من كان في هذا الجبل من عباد المسلمين ما لفظه:

« ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين (أي للعبادة) من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم ، ويقولون هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم، وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطردة ، والظلال الوارفة، وقلما يخلو من (أهل) التبتل والزهادة» وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض؟

« ومن أعجب ما يتحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى

وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم » إلى أن قال بعد ذكر حرية التجارة للجميع بين البلادين « مع الاتفاق والاعتدال في جميع الاحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس في عافية ، والدنيا لمن غلب – هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك » انتهى

ولا يخفى على أحد منكم ايها الاخوان في هذا العهد أن هؤلاء الاجانب المستعمرين لاهمّ لهم في بلادنا إلا استعبادنا وسلب ثروتنا ، وانه لافرق عندهم بين المسلمين والنصارى في ذلك ، ولكن الانكليز يفضلون اليهود على النصارى كالمسلمين في فلسطين لان لهم ربحا ماليا وسياسيا من مساعدتهم ، فهم يبغون ان يكونوا مانعاً من بقاء هذه البلاد للعرب وحدهم ، حائلا دون تأسيس الوحدة العربية التي شعر العقلاء في جميع البلاد العربية بوجوب التعجيل بتأسيسها قبل قطع المستعمرين طريقها عليهم (*)

وكذلك تفعل فرنسة بتفضيل النصارى عامة والماورنة خاصة على الطوائف الاسلامية . وإنما غرضها من ذلك التفريق بين الطوائف حتى لا يكون لهم وحدة قومية ولا وطنية ، والدولتان ماديتان ماليتان ، والدين عندهما من بضائع التجارة المعنوية ، ومنها ما لاربح له إلا في المستعمرات ، فلذلك تساعد فرنسة الجزويت في مستعمراتها (وهي ترى أن سورية ولبنان منها) ولكنها لاتسمح لهم بالمقام في بلاد فرنسة نفسها

فظهور هذه النية السوءى من الدولتين الماديتين للعرب مسلميهم ومسيحييهم أفضل فرصة تمكنهم من جمع كلمتهم ، والحرص على قوميتهم ، ووحدة أمتهم ، فلم يبق عاقل متعلم منهم تغره الدسائس الاستعمارية التي كانت تخدع الفريقين بما تحملهما به على التعادي ، فتخوف النصارى من كثرة المسلمين ، وتغري المسلمين بالنصارى لميلهم إلى أعداء أمتهم و بلادهم ، وقد أحبطت مصر العربية هذه الدسيسة ، وان

(*) وإنما رفعوا الانتداب عن العراق لفتك ثورته وشدة شكيمته ودهاء ملكه وكثرة نفقاته واستبدلوا به معاهدة تمكنهم من استغلال ثروته وحفظ مواصلات الامبراطورية فيه والتمكن من تقوية سلطتهم العسكرية من حوله

أهل سورية وفلسطين لأشد شعوراً من أهل مصر بحاجتهم الى الاتفاق والوحدة ، فجميع زعمائهم يدعون اليهما إذا كان سعد باشا قد انفرد بقوة وفده باتمامهما في مصر ، وان للجميع من تاريخ الدول العربية خير قدوة فيه

أيها الاخوان في القومية والوطن

ان الغلو في العصبية الدينية لم تعرفه البلاد العربية ولا الامة العربية الا مما بثته فيها الحرب الصليبية ثم المدارس الاوربية ، فقد كانت المدارس هي التي دست سم التفريق والتمادي في دسم العلم والحضارة الغربية ، لان الذين تعلموا في مدارس الافرنج أحسنوا ظنهم بهم ، وجهلوا مقاصدهم منهم ، وسبب ذلك أنه لم يكن لهم دولة رشيدة ولا جمعيات قومية توجه أولادهم الى التربية والتعليم الذي يعزز الدولة وينهض بالامة ، وانما كان الرجل يعلم ولده لاجل الاستعانة بعلمه على أسباب المعيشة

وكان المستعمرون ودعاتهم الذين ربوهم وعلموهم يظنون ان بلادنا اذا آل امرها اليهم بسقوط الدولة العثمانية فان أهلها يكونون من اغنى الناس وأعز البشر ، لافرق بينهم وبين الافرنج محرريهم في شيء ، وكانوا يبثون لهم هذه الدعاية . فلما زال سلطان الدولة العثمانية عن البلاد ظهر لاولئك الدعاة ولسائر الناس ان الدولة العثمانية كانت أبر وارحم منهم ، لانها كانت الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ترضى من البلاد بقليل من الضرائب وشيء من رشوة الحكام ، وتترك لهم الحرية في اديانهم ومذاهبهم ولغاتهم وقومياتهم وتربيتهم وتعليمهم وكسبهم ، وما كان في آخر العهد الحميدي من الضغط السياسي فسببه خوف السلطان على شخصه وسلطته من أحرار قومه وأعوانهم

وظهر لهم ولغيرهم أيضاً أن هاتين الدولتين لا يتركان لاهل البلاد (التي رزئت بنفوذهم وما سموه بالانتداب لمساعدتهم على استقلالهم) استقلالا ، ولا ثروة ولا قومية ، ولا وطنا ولا حرية ، ولقد رأينا ألينهما ملمسا في الاستعمار أشدهما وطأة علينا في هذه البلاد المقدسة ، فقد ابتدع انتدابها فيها بدعا من الظلم لم يسبقها اليه أحد من الظالمين المستبدين ، وهو هبة وطننا الى أوزاع وأشتات من شعب

ذي اثرة وعصبية تستغيث منها جميع شعوب الارض، حتى إننا نرى أرقى هذه الشعوب في كل علم وعمل وقوة وهو الشعب الالماني يخاف منه ويناوئه ، فماذا يرجو الشعب الفلسطيني الصغير الفقير الضعيف من البقاء معه؟ وأنى يأمن اخوانه في شرق الاردن على أرضهم وديارهم ومعايشهم، وهم يعلمون أن أرض فلسطين وحدها لا تكفي اليهود لتأسيس وطنهم القومي وإعادة ملك إسرائيل ، فلابد لهم من شرق الاردن وما ضمه الانتداب اليها من أرض الحجاز ، بل لا بد لهم من إعادة ملك سليمان كله ؟؟؟ ونحن أولى منهم باعادة ملك العرب كله أو ما تقطنه الشعوب العربية منه على الاقل ، فانه لا حياة لنا ولا بقاء فيما دون ذلك ، بل لا حياة لنا في أوطاننا التي نسكنها ونملك رقبة أرضها منذ قرون طويلة إلا باتحادها كلها ، وتعاونهـا على إحياء الحضارة العربية والعمران الذي تقتضيه علوم هـذا العصر وفنونه ، وجعلها ركنا من أركان السلم العام ، وهي أكبر خطر عليه الآن بضعفها وطمع الطامعين فيها

الجامعتان العربية والاسلامية

أيها القوم :

لا يطوفن في خاطر أحد منكم أن الجامعة الاسلامية التي كثر حديث الافرنج عنها وحسبانهم لها كل حساب تعارض ما قام عليه الدليـل من وجوب الجامعة العربية وتوقف حياتكم عليها، ولا ما يدعو اليه كثير من ساسة الشرق من وجوب تأسيس جامعة شرقية أيضا، فان كل جامعة من هذه الثلاث لها دائرة خاصة بها، من حيث يؤيد بعضها بعضا في دفع عدوان الغرب عن الشرق كله

ياقوم : إن الواضع لهذه السياسة الشرقية من جميع أركانها وجوانبها هو حكيم الشرق الاكبر وموقظه من رقاده السيد جمال الدين الافغاني، وكان معينه الاكبر عليه وناشره بلسانه الفصيح القوال ، وقلمه البليغ السيال، شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري، وقد شرحنا ذلك في المنار وفي تاريخهما الحافل المستقل واتبعناهما فيه، وما كان الزعيم السياسي الكبير (سعد باشا زغلول) الذي وحد القومية المصرية مع حرية

كل ذي دين في دينه إلا ريب الشيخ محمد عبده وتلميذه، وما تلقى هذه السياسة الامنه، كما شرحناه في هذا التاريخ وأيدناه ببعض خطوط سعد باشا منقولة فيه برسمها الشمسي العكسي، فالوحدة القومية والوطنية، لا خلاف فيها بين رجال الدين ورجال المدنية

أيها الفلسطينيون

ان لديكم شاهدين عدلين على عدم التعارض بين الجامعتين: هما جريدة الجامعة العربية في القدس، وجريدة الجامعة الاسلامية في يافا، ألا ترون كلا منهما داعية إلى القومية العربية واتحاد جميع الناطقين بالضاد فيها، وأصحابهما من خيار المسلمين؟

وان لديكم شاهداً حاضراً يتضمن شواهد كثيرة. وهو جعل هذا الاحتفال بذكرى السلطان صلاح الدين ومعركة حطين، مشتركا بين المسلمين والمسيحيين، والداعي اليه من أشهر علماء المسلمين، وخطباؤه من الفريقين

وأما الاسلام نفسه فهو أوسع صدراً مني ومن الشيخ محمد كامل رئيس هذا الاحتفال القومي الوطني، ومن سعد باشا زغلول، ومن أستاذي الجميع: الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين. بل به اهتدينا في دعوتنا هذه

الحق أقول لكم ان الاسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعربين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا «لهم مالنا، وعليهم ماعلينا» ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الاعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا وجعله وطنا عبرانيا لهم، فنحن خصوم لهؤلاء دون سائر اليهود

قال الله عز وجل (لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لَمْ يقَاتِلوكُمْ في الدِّين ولَمْ يخرِجوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تبرُّوهم وَتُقْسِطوا اليَهِمْ. إنَّ اللهَ يحِبُّ المُقْسِطين* إنمَا يَنهَاكمُ اللهُ عَنِ الذينَ قاتَلوكم في الدِّين وأَخرَجُوكم مِنْ دِيَارِكُم وَظَاهَروا عَلَى اخراجكم أَنْ تَوَلوْهم. وَمَنْ يَتَوَلَّهُم فأُولئِكَ هم الظَّالمون)

وهؤلاء الصهيونيون يريدون إخراجنا من ديارنا، وغلبنا على أوطاننا، وإنما

هم آلة من آلات المستعمرين في قتل أمتنا كلها ، فالواجب علينا دينا وقومية ووطنية أن نجمع كلمتنا ، و نوحد أمتنا ، وأن يستعين المسلمون منا على مسخري هذه الآلة وغيرها في استعمارنا بالرأي العام الاسلامي ، وأن يستعين المسيحيون منا عليهم بالرأي العام المسيحي ، فبهذا الاتحاد دون سواه يرجى أن ندفع هذا البغي والعدوان عن أنفسنا ، فان لم نفعل كنا نحن الظالمين لانفسنا ، (إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ولا يظلم ربك أحدا) والسلام على من اتبع الهدى . اه

﴿ كلمتان كتبتهما لشابين من اخواننا المغاربة على رقعتين لهما بطلبهما ﴾

الكلمة الاولى وهي سياسية

نواحي الحياة كثيرة والمسلمون مهددون من كل ناحية منها ، والخطر عليهم في مغرب بلادهم أشد منه في مشرقها ، فان مستعبديهم لم يقنعوا بسلب ثروتهم وحريتهم العلمية والمدنية وحقوقهم السياسية ، بل شرعوا بتحويلهم عن دينهم بطريقة علمية نظامية ، فوجب عليهم بذل النفس والنفيس لتأمين حرية دينهم واعادة ماسلب من ملكهم بالوسائل الممكنة ، ولا يمكن أن يصيبهم من الضرر في هذا الجهاد أكثر مما هو واقع بهم والمتوقع مع الاستسلام أعظم . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .

محمد رشيد رضا

الكلمة الثانية في اختيار الكتب والصحف

كثرت في هذا العصر الصحف والكتب في الادب والسياسة وعلم الاجتماع ومرجت فيها الآراء ، وتناوحت الاهواء ، فهي بين أهلها فوضى ، والناس في أمر مريج منها ، فعلى العاقل الحريص على عمره ان ينفقه في ترقية مداركه وتزكية نفسه ، واعلاء كلمة ملته وبناء مجد أمته ، عليه ان يختار لنفسه من أمثل الصحف والكتب مايضيء له سبيل العمل ، ويبصره بمعاثر الزلل ، وأن يجتنب ما يجذبه اليه اللهو وتستهويه فيه اللذة وانما آفة العقل الهوى والسلام على من اتبع الهدى .

وكتب في القاهرة ـ بتاريخ شوال سنة ١٣٥٠   محمد رشيد رضا

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

الطـــــلاق

وما في معناه من فسخ وخلع وإيلاء وظهار، ومراعاة حقوق النساء في ذلك

٤٨

﴿ مقدمة في أسبابه وحكمه عند أهل الكتاب و إسراف الافرنج فيه ﴾

(والاسباب المقتضية للفراق)

ان من مصلحة الزوجين التي تقتضيها الفطرة ويوجبها الشرع ويؤيده العقل، أن يبذل كل منهما جهده لاقامة حقوق الزوجية المشتركة بينهما بالتحاب والتواد والتعاون والتسامح مع الاخلاص في ذلك كله ، فان سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر، وخدمتهما للانسانية لا تتم إلا به ـ وما أطلق على كل منهما اسم «زوج» الذي مدلوله « اثنان » إلا لان انسانية كل منهما تتم بالآخر فهو به يكون زوجا ويكون انسانا ينتج أناسي مثله، وكل تقصير يعرض لما في ذلك فوباله عليهما معاً سواء وقع من كل منهما أو من أحدهما، فمن ثم وجب عليهما تلافيه بالحسنى والصبر والمغفرة والعفو ، وأقل درجات المعاملة بينهما أن تكون بالتناصف والعدل، فان عجزا عن أداء الحقوق وإقامة حدود الله فيها ، وعز عليهما الصبر، كان علاجهما الاخير هو الفراق ، تفادياً من الشقاء الدائم بالشقاق

ومن ثم كان مشروعاً في التوراة معللا ببعض الشرور التي تقتضيه . والذي دون في الشريعة عند اليهود وجرى عليه العمل ان الطلاق يباح بغير عذر كرغبة الرجل بالتزوج بأجمل من امرأته ولكنه لا يحسن بدون عذر. والاعذار عندهم قسمان : عيوب الخلقة ومنها العمش والحول والبخر والحدب والعرج والعقم - وعيوب الاخلاق وذكروا منها الوقاحة والثرثرة والوساخة والشكاسة والعناد والاسراف والنهمة والبطنة والتأنق في المطاعم والفخفخة - وأي امرأة تخلو من ذلك كله ؟ والزنا أقوى الاعذار عندهم فيكفي فيه الاشاعة وان لم تثبت الا أن المسيح عليه السلام لم يقر منها الا علة الزنا . وأما المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق مهما تكن عيوب زوجها ولو ثبت عليه الزنا ثبوتا

وكان الطلاق معروفا عند غير أهل الكتاب من الوثنيين ومنهم العرب ، وكان يقع على النساء منه ظلم كثير عند الجميع فجاء الاسلام فيه بالاصلاح الذي لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه به لاحق كسائر ماجاء به من الاصلاح

ولكن خصوم الاسلام من الافرنج ومقلديهم كانوا يعدون الطلاق من أقبح مساوي الشريعة الاسلامية على إصلاحها فيه حتى اضطروا الى تقريره والاسراف فيه بما لا يبيحه الاسلام وجعله حقاً مشتركا بين الرجال والنساء

وأما الاسلام فقد جعل الطلاق من حق الرجل وحده لانه أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال مايحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر منه إذا طلق وأراد عقد زواج آخر ، وعليه أن يعطي المطلقة ما يؤخر عادة من المهر، ومتعة الطلاق ، وان ينفق عليها في مدة العدة وقد تطول على رأي بعض الفقهاء ، ولانه بذلك وبمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على مايكره من المرأة فلا يسارع إلى الطلاق لكل غضبة يغضبها ، أو سيئة منها يشق عليه احتمالها ، والمرأة أسرع منه غضبا وأقل احتمالا، وليس عليها من تبعات الطلاق ونفقاته مثل ماعليه، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب او لما لا يعد سببا صحيحا إن أعطي لها هذا الحق

والدليل على صحة هذا التعليل الاخير أن الافرنج لما جعلوا طلب الطلاق حقا للرجال والنساء على السواء كثر الطلاق عندهم فصار أضعاف ماعند المسلمين، وقد جاء في الاحصاءات التي نشرتها الصحف في هذا العهد أن نسبة الطلاق إلى عقود

الزواج في أمريكا بلغت ٢٠ في المائة كما تقدم في مناسبة أخرى (*) ولن تبلغ هذه النسبة في البلاد الاسلامية واحداً في المائة ولا في الالف أيضا إلا أن يكون في مصر

ومما قرأناه في الصحف من اخبار طلب نساء الانكليز للطلاق الذي قبل وحكم به ان إحداهن طلبت الطلاق لان زوجها كان بغير لحية عندما تزوج بها ثم اطلق لحيته فسأله القاضي عن السبب فقال انه يرى اللحية جمالا وكمالا للرجل فلم يقبل عذره وحكم بالطلاق وان امرأة اخرى طلبت الطلاق لان زوجها لا يلتزم تغيير لباسه بحسب التقاليد بأن يلبس للمائدة لبوسها وللسهرة لبوسها فكان هذا ذنبا مقبولا موجبا لاجابة طلبها

ومن احكام الطلاق عند اليهود ان من لم يرزق من زوجته بذرية مدة ١٠ سنين وجب عليه ان يفارقها و يتزوج بغيرها – والاسلام لا يوجب طلاقها عليه إذا لم يهبها الله تعالى ولداً ولا التزوج عليها ولكن يستحب له او يندب ان يتزوج طلبا للنسل، وان يمسك المرأة المحرومة منه و يعدل بينها و بين المرأة التي يهبه الله منها النسل، الا ان تطلب هي الطلاق وترى انه خير لها فيستحب له إجابة طلبها إذا لم يكن عنده مانع ديني يرجح به إمساكها عنده كاعتقاده ان طلاقها يكون مفسدة لها

ومن احكامه عند اليهود ان الرجل متى نوى طلاق امرأته حرمت عليه معاشرتها بمجرد نيته ووجب عليه تنفيذ عزمه على الطلاق حالا .

(*) جاء في جريدة الجهاد بتاريخ ٤ المحرم سنة ١٣٥١ - ١٠ مايو سنة ١٩٣٢ تحت عنوان جنون الطلاق في أمريكا ما نصه:

«أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل يتغير مجرى حياتهم كل سنة بسبب حوادث الطلاق» هذا ماذكر في بيان احصائي أذاعته الحكومة الامريكية وجاء فيه: ان أغلب حوادث الطلاق تقع عادة في العام الرابع بعد الزواج ... وان قضايا الطلاق قد نقصت قليلا في العامين الاخيرين بسبب الازمة الاقتصادية وقد كان عدد هذه القضايا في سنة ١٩٢٩ التي تعتبر من سنوات الرخاء ٢٠١٤٦٨ قضية حكم فيها بالفصل بين الزوجين

ويفهم من هذا الاحصاء أن عشرين في المائة من حوادث الزواج في أمريكا تنتهي بالطلاق وقد كانت حوادث الطلاق في سنة ١٩٢٩ بمعدل حادث في كل دقيقتين.... أما في سنة ١٩٣٠ فقد نقصت الحوادث بنسبة لا بأس بها

وقد ذكر البيان الآنف الذكر أنه في المدة بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٢٩ قد زاد عدد الطلاق بنسبة ٢٠٠٠ في المائة وزاد عدد السكان بنسبة ٣٠٠ في المائة وحوادث الزواج بنسبة ٤٠٠ في المائة

واذا ظل الحال على هـذا المنوال واستمرت زيادة حوادث الطلاق بالنسبة الآنفة الذكر فان عدد الزيجات الفاشلة قد يربي في سنة ١٩٦٥ على ٥١ في المائة

والسبب الشائع في أكثر حوادث الطلاق هو العربدة وسوء المعاملة وعجز الازواج عن الانفاق.

وقد ذكر البيان المشار اليه أن ٩ في المائة فقط من المطلقات يطلبن من أزواجهن نفقة شرعية. و ٦ في المائة منهن يحكم لهن بالنفقة

٤٩

(عوائق الطلاق في الاسلام ومراعاة حقوق النساء فيه)

الطلاق مكروه في الاسلام ولذلك وضع أمام الرجل موانع وعوائق تصده عنه:

(منها) الترغيب في الصبر على ما يكره الرجال من النساء من خلق وخلق وعمل بما للصبر من الفوائد والثواب عند الله تعالى وبما يرجى أن يكون للمرأة المكروهة من ولد صالح يكون سعادة لاهل بيته ولامته . قال تعالى (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا) وفي معناها حديث تقدم في الوصايا بالنساء

(ومنها) ما تقدم بيانه من تأديب المرأة الناشزة بما يرجى به صلاحها

(ومنها) ما تقدم من بعث حكم من أهله وحكم من أهلها يبذلان جهدهما في اصلاح ذات البين

(ومنها) ما ورد عن النبي (ص) من ذم الطلاق وبغض الله له للترغيب عنه كقوله « ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق ـ وقوله ـ أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواهما أبو داود من حديث ابن عمر وكقوله « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » رواه أصحاب السنن إلا النسائي وابن حبان والبيهقي من حديث ثوبان وكقوله (ص) من حديث آخر « وان المختلعات هن المنافقات ».

وقد أبطل الله في كتابه كل ما كان عليه العرب من مضارة للنساء في الطلاق ونذكر بعض الآيات في ذلك من غير تطويل في تفسيرها:

فما أبطل الاسلام به ظلم العرب للنساء في أحكام الطلاق (١) تحديده العدد الذي يملك الرجل الرجعة فيه بمرتين ولم يكن عندهم محدوداً (٢) تحريمه أخذ المطلق ما كان أعطاه للمطلقة عند الزواج من مهر أو غيره كله أو بعضه (٣) تحريمه إمساك المرأة المطلقة في عدة بعد عدة مضارة لها (٤) تحريمه عضل أولياء المرأة لها أي منعها بعد انقضاء العدة من الزواج مطلقاً او الرجوع إلى زوجها بعقد جديد اذا تراضيا على ذلك بالمعروف وقد جعل الله زوجها الاول أحق بردها اذا أراد اصلاح ما كان فسد من أمر معاشرتها بالمعروف

قال الله تعالى (٢: ٢٢٩ الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

وقد كتبنا في تفسير هذه الآية من تفسير المنار (ج٢) مانصه :

كان للعرب في الجاهلية طلاق ومراجعة في العدة ولم يكن للطلاق حد ولا عدد فان كان لمغاضبة عارضة عاد الزوج فراجع واستقامت عشرته ، وان كان لمضارة المرأة راجع قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقا ثم يعود الى ذلك المرة بعد المرة أو يفيء ويسكن غضبه فكانت المرأة ألعوبة بيد الرجل يضارها بالطلاق ما شاء أن يضارها، فكان ذلك مما اصلحه الاسلام من امور الاجتماع . وكان سبب نزول الآية ما اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة وأورده السيوطي فى اسباب النزول قالت كان الرجل يطلق امرأته ماشاء ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته :والله لا اطلقك فتبيني ولا آويك ابدا ،قالت وكيف ذلك ؟ قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي (ص) فسكت حتى نزل القرآن (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) اه ثم قال تعالى

(٢: ٢٣١ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا،ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ،ولا تتخذوا آيات الله هزوا ،واذكروا نعمة الله عليكم وماأنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به،واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ٢٣٢ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

نهى الله تعالى أولياء المرأة أن يعضلوها أي يمنعوها أن تعود إلى زوجها الاول إذا رضي كل منهما بذلك وانما يكون هذا بعد انقضاء العدة بعقد جديد ومهر جديد ، وقال في الآية التي قبل هاتين الآيتين (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا اصلاحا) وهي في ردها الى عصمته قبل انقضاء العدة . والافضل للمرأة ألا تعرف إلا زوجا واحداً

٥٠

(منع مضارة النساء بالايلاء والظهار)

أما مضارة الايلاء فهو ان يغضب الرجل على امرأته فيحلف ألا يقربها، وهو الايلاء منها، فالشرع ضرب له أجلا أربعة أشهر فان فاء أي رجع عن يمينه إلى أداء حق الزوجية الذي حلف على تركه غفر له ما كان فعله أو قصده من ضررها ، فان لم يفعل وجب منع الضرر بالطلاق، فبعض الائمة يقول إن الطلاق يقع بانقضاء الاربعة الاشهر ويكون بائنا لا رجعة له فيه، وبعضهم يقول يلزمه القاضي أحد الامرين : الرجوع عن اليمين أو الطلاق . وأصل ذلك الآيتان من سورة البقرة (٢: ٢٢٦ و٢٢٧)

وأما الظهار فهو أن يحرم الرجل امرأته بتشبيهها بأمه وكان أشهر ألفاظهم في الجاهلية به قوله لها، أنت علي كظهر أمي، وقد حرمه الاسلام وجعل كفارته أن يعتق عبداً قبل أن يمس امرأته فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا . وبيان ذلك في أول سورة المجادلة

٥١

(حق النساء في فسخ عقد الزوجية ومخالعة الرجل)

ان لحل رابطة الزوجية ثلاثة طرق فسخ الحاكم للعقد، والخلع، والطلاق فأما الفسخ فيكون بأسباب مشتركة بين الرجال والنساء كالعيوب الخلقية المانعة من أداء الوظيفة الزوجية والامراض العضالة المعدية ، ويكون بطلب المرأة اذا امتنع الرجل أو عجز عن النفقة عليها أو غاب غيبة منقطعة بشرطها . والعيوب المرضية التي كان يثبت بها الخيار في الزواج ولكل من الزوجين فسخه بها من عهد الصحابة (رض) هي الجنون والجذام والبرص وزاد بعضهم السل لما عرفوه (وفي معناه كل داء معد بالتجربة الثابتة عند الاطباء) وقد صرح ابن رشد بتعليل بعضهم للمرض المبيح للخيار والفسخ بسرايته الى النسل . وأما عيوب الخلقة فالمنصوص عليه منها ما يمنع أداء وظيفة الزوجية وهي العنة والجب والخصاء في الرجل ، والرتق والعفل والقرن في المرأة . وللفقهاء خلاف في هذه العيوب وأحكامها ، وانما غرضنا هنا أن نبين أن الاسلام يحكم في أمثال هذه المسائل بالعدل والمساواة بين الرجل والمرأة في العيوب لانها مشتركة قد يوجد في كل منهما ما يعد من الظلم قبول الآخر به بالاكراه، ومن قواعد

الاسلام «لاضرر ولاضرار» (١) ثم انه يعطي المرأة حق طلب الفسخ في حالة امتناع الزوج أو عجزه عن أداء حقها لان له في مقابله حق الطلاق

وأما الخلع فقد جعل مخرجا للمرأة من الزوجية اذا كرهت الزوج لسبب غير الاسباب التي يثبت لها بها حق طلب الفسخ وهو أن تفتدي بما تبذله له من العوض عما بذله لها من مهر وغيره وما أنفقه عليها ليرضى بحل عقدة الزوجية ويكون غير مغبون ولا مظلوم ، وحكم هذا الخلع حكم الطلاق البائن الذي ليس للرجل فيه حق الرجعة بدون قبول المرأة

٥٢

عدة الطلاق ومتعته ونفقته

من رحمة الاسلام بالنساء وحفظه لحقوقهن ودفعه الضرر عنهن ما شرعه من أحكام عدة الطلاق والوفاة ، وهي المدة التي ليس للمرأة أن تتزوج إلا بعد انقضائها وفي حال الطلاق الرجعي وهو مرتان يجوز للرجل أن يراجعها بدون عقد جديد ولا مهر ، وسبب العدة الاصلي أن يعلم براءة رحم المرأة من الحمل ولذلك كانت المطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها . ولعدة الوفاة حكمة أخرى هي الوفاء للزوج

ومما شرعه الله من مراعاة حقوقهن في ذلك أن يطلق الرجل امرأته في طهر لم يقربها فيه لئلا يطول عليها زمن العدة إذا كانت تعتد بالقروء وهي ثلاثة اطهار ، وأن يكون لها حق السكنى والنفقة مدة العدة للطلاق الرجعي ، وأن يمتعها عند الفراق بما يليق بثروته من نقد وغيره ، قال تعالى (٢ : ٢٣٦ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ

الموسع الغني والمقتر الفقير ، وهو بمعنى قوله في سورة الطلاق

لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً)

هو في النفقة على المطلقات . واختلف العلماء في متعة النساء فقال بعضهم واجبة وقال بعضهم مندوبة والتحقيق أنها واجبة غير محددة ، وأنها من تمام ماوصف

(١) رواه الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري

الله به الطلاق المشروع أنه تسريح باحسان ولذلك جعلها على قدر الثروة فالغنى لا يكون محسنا مالم يوسع في هـذه المتعة باللائق بثروته

وحكمة المتعة تطييب قلب المرأة وازالة توهم احتقار الرجل لها أوارتيابه فيها . وقد كان كرام السلف يبالغون فى هذا التكريم . روي عن سيدنا الحسن بن علي (ع . م) أنه متع مطلقة له بعشرين ألف درهم وزقاق من عسل ، ومتع أخرى بعشرة آلاف واعتذر بقوله . متاع قليل من حبيب مفارق . وقد فصلنا هذا البحث في تفسير آية البقرة من جزء التفسير الثاني المذكورة آنفا .

٥٣

الحداد على الزوج وغيره

النساء أرق من الرجال شعوراً باللذائذ والآلام ، واستجابة لدواعي المسرات والاحزان ، ومن دأبهن النواح على موتاهن ، ومن عاداتهن الحداد عليهم ، وكان النساء في الجاهلية يسرفن في هذا وذاك ، فيخمشن الوجوه ، ويلبسن الشعر ويحلقن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور ، وقد يقضين أعمارهن في ذلك ، وقد عد لبيد الشاعر الشهير رحمه معتدلا في توصيته بنتيه قبل الاسلام بالبكاء عليه وتعداد مناقبه عاما كاملا مع نهيه إياهما عن خمش الوجه وحلق الشعر .

وكانت المرأة العربية التي يموت زوجها تعتزل الناس في شر مكان من البيت لابسة أدنى أخلاق ثيابها ، فتظل كذلك حولا كاملا لا تغير ثوبها ولا تغتسل ولا تمتشط ولا تقلم أظفارها ، حتى إذا انقضى الحول ألقت من مكانها بعرة تنبيء به أهلها بانتهاء الحول ، فاذا خرجت تمسحت بأول حيوان تجده من كلب أو داجن أو حمار وقد يموت ماتتمسح به من نتنها

وكان مما جاء به الاسلام من الاصلاح أن حرم عليهن النواح وخمش الوجوه وحلق الشعور وتمزيق الثياب والخروج مع الجنائز ، وأذن لهن بالحداد على الميت ثلاثة أيام فقط الا الزوج فقد أذن لهن بالحداد عليه مدة عدة الوفاة التي لا يباح لهن الزواج فيها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل ، وحصر الحداد في ترك الزينة

والطيب واظهار السرور، وحكمته ألا يظهر منهن التعرض للزواج وعدم المبالاة بالوفاء للزوج المتوفى، فان هذا يعد نقصا وشينا لهن ، يعقب احتقار الرجال لهن ورغبتهم عنهن

ونذكر هنا بعض الاحاديث في موضوع الحداد

جاء في الصحيحين والسنن الاربع وغيرها عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة أن النبي (ص) نهى النساء أن يحددن على ميت فوق ثلاث الا على الزوج أربعة أشهر وعشرا . ومن أجمع هذه الاحاديث عندهم مارواه الستة عن حميد بن نافع قال أخبرتني زينب بنت أبي سلمة بهذه الاحاديث الثلاثة قالت

دخلت على أم حبيبة زوج النبي (ص) حين توفي أبو سفيان بن حرب (والدها) فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة وخلوق أوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا» قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله مالي بالطيب حاجة غير اني سمعت رسول الله (ص) يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر» الحديث أوذكرت نحوه. وقالت (الراوية) سمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى النبي (ص) فقالت ان بنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها؟ فقال (ص) «لا» مرتين أو ثلاثا ثم قال «انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول» قالت زينب كانت المرأة في الجاهلية اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها حتى تمر عليها سنة ثم تؤتى بحيوان حمار أوشاة أوطير فتفتض به فقلما تفتض بشيء الامات، ثم تخرج فتعطى بعرة ثم ترمي بها ثم تراجع بعد ماشاءت من طيب أوغيره، قال مالك تفتض : تمسح به جلدها اه

ويظهر أن النبي (ص) علم من قرينة الحال ان الاكتحال الذي استئذن به يراد به الزينة لا التداوي فلم يأذن به وذكرهن بالفرق بين ما كن عليه في الجاهلية من الحداد وما صرن اليه في الاسلام ، وفي الموطأ أنه أذن بالاكتحال ليلا وغسله نهاراً. وحكمته أن الرجال يحتقرن المرأة المتوفى زوجها اذا تزينت في أثناء العدة لانه اعلام للرجال بطلبها للزواج ، وكان من عنايته (ص) بحفظ كرامة النساء ان أمر اصحابه اذا قدموا من سفر ان يبلغوا نساءهم خبر مجيئهم ليستعددن للقائهم بالنظافة والزينة

وكان ينهى ان يطرقوهن ليلا بدون اعلام لئلا يروهن على صفة منفرة من الشعثة والتفل. وفي رواية كان ينهاهم أن يطرقوا النساء لئلا يتخونوهن و يطلبوا عثراتهن

آداب المرأة المسلمة وفضائلها

٥٤

عموم الاحكام وحكمة ماخص به النساء

ان الاصل العام في احكام العبادات والمعاملات في الاسلام من واجب ومندوب ومحرم ومكروه ، وفي آدابه من فضيلة ورذيلة ، أن تكون موجهة إلى المكلفين من الرجال والمكلفات من النساء على السواء ، وخص الشرع الرجال ببعض الاحكام ، والنساء ببعض الاحكام كما تقدم في المسائل الماضية

وعلة التخصيص وحكمته طبيعة كل من الزوجين الذكر والانثى ووظائفه المنوطة به التي يكون بها كل منهما متمما ومكملا للآخر في تناسل النوع وترقية شؤونه ، فيكون الرجل رجلا قائما بشؤن الرجال ، والمرأة مرأة قائمة بشؤن النساء بالتعاون الذي يشعر به كل منهما انهما يكونان حقيقة واحدة يعمل كل منهما لحفظها كالاعضاء من جسد كل منهما كما تقدم أيضا

ولذلك كان النبي (ص) ينهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ويلعن فاعله فقد قال « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »(١) وقال « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (٢) وقال « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل »(٣)

ومن الاحكام والآداب الخاصة بالنساء ما شرع لسد ذريعة الفساد ولحفظ شرف المرأة وكرامتها من تعدي سفهاء الرجال عليها ومحاولتهم إفسادها كدأب الفاسقين في كل زمان فقلما يوجد امرأة خبيثة في العالم إلا وقد كان المفسد لها رجل خبيث او امرأة أفسدها الرجال من قبل ، وصارت تتقرب اليهم بافساد أمثالها ، إلا الفساد الاكبر الذي اتخذ صناعة وتجارة يشترك فيها الخبيثون والخبيثات لاجل جمع المال لا لاجل الخبث نفسه

(١) رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي عن ابن عباس (٢) رواه البخاري في الادب بالمفرد وابو داود عنه أيضا (٣) رواه ابوداود والحاكم من حديث ابي هريرة

٥٥

أمر النساء بالمبالغة بالستر وسببه

من هذا النوع من الآداب النسوية عنايتهن بالستر الدال على الحشمة والصيانة والمانع من الريبة والظنة، وقد تقدم ان ما أمر الله به من ضرب الحجاب على أزواج النبي الطاهرات هو من هذا القبيل، ويرى القارىء بعد آية الحجاب من سورة الاحزاب أن الله تعالى ذكر المؤمنين بعلمه بما يبدون وما يخفون، وذكر الازواج الطاهرات برفع الجناح عنهن في محارمهن، وأمر بالصلاة والسلام على نبيه، وأنذر الذين يؤذون الله ورسوله لعنته لهم في الدنيا والآخرة وعذابه المهين، وحكم على الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات باحتمال البهتان والاثم المبين. ثم قال

(٣٣: ٥٩ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا).

علل الله تعالى هذا الامر بالستر بأن تعرف به المرأة المؤمنة انها مؤمنة حرة، فيمتنع المنافقون والفساق من إيذائها، فالعلة الخوف عليها من أشرار الرجال لا الخوف منها - فهي كعلة آية الحجاب ومن جنسها. وما زال الرجال يسيئون الظن بالمرأة التي تظهر محاسنها وزينتها، وما زالوا يؤذونها وما زالوا يطمعون فيها، وما زال أهل الدين والعفة يتجنبونها، وناهيك بما يلقاه النساء المتبرجات في زماننا في مصرنا من ايذاء سفهاء الرجال

وسبب نزول هذه الآية ان المؤمنات الحرائر كن يلبسن كملابس الاماء الفواجر على عادات الجاهلية، وأعمها الدرع (القميص) والخمار، وكثيراً ما كانت المرأة تلقي القناع على رأسها وتسدله من وراء ظهرها فيكون جيب الدرع مفتوحا على نحرها وصدرها، وكن يلبسن الجلابيب في بعض الاوقات دون بعض (والجلباب الملحفة والملاءة التي تلبس فوق الثياب كلها) فاذا خرجن ليلا الى الغيطان لقضاء الحاجة يلقين الجلابيب او يسدلنها وراءهن. فكان بعض الفتيان يعرض في الطريق

لمن يرونها غير مبالغة في الستر لحسبانها أمة، لان الامة هي التي كانت تتعمد إظهار محاسنها، وهي التي تبذل عرضها ، فاتخذ هذه العادة بعض المنافقين ذريعة لايذاء المؤمنات حتى نساء النبي (ص) فاذا قيل له في ذلك عند العلم بفعلته قال كنت احسبها أمة . فأمر الله أزواجه و بناته وسائر نساء المؤمنين بأن يدنين عليهن فضل جلابيبهن فيسترن بها رؤسهن وصدورهن لكي يعرف انهن مؤمنات حرائر فلا يؤذيهن الفساق خطأ، ولا يكون للمنافق الخبيث أن يعتذر عن إيذائهن عمدا ، وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية قوله تعالى

(٣٣ : ٦٠ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَـٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)

والانذار فيها وفيما بعدها للمنافقين وضعفاء الايمان ومذيعي الاراجيف باغراء النبي (ص) بعقابهم و بنفيهم من مدينته ان لم ينتهوا عن جرائمهم مع عدم ذكرها يدل على العموم الذي يشمل تعرضهم لايذاء النساء ، وتجد تفصيل موضوع الستر في آيات سورة النور وهي قوله تعالى

(٢٤ : ٣٠ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

أمر المؤمنات بما امر به المؤمنين من غض وحفظ ، وزاد عليه نهيهن عن إبداء زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها لضرورة التعامل والقيام بالاعمال المشروعة من دينية ودنيوية . وفسره العلماء المختلفو المذاهب بالوجه والكفين وبالملابس الظاهرة كالقناع والجلباب .

فأما غض البصر فهو خفضه وعدم إرساله فيما تأمر به الشهوة البتة كأن يكون الانسان مطرقا رأسه لا ينظر رجل الى امرأة ولا امرأة الى رجل قط ، وهذا مما يشق بل لا يستطاع ، ولذلك امر بالغض منه لا بغضه ، ومن للتبعيض - وهو يحصل بعدم استدامة النظر الى العورات وما يحرم النظر اليه . وقاعدته : النظرة الاولى لك والثانية عليك . وأما حفظ الفرج فهو مطلق إلا ما استثناه الله تعالى بقوله (إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم) لان إرسال النظر بالشهوة مبدأ كل فتنة كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال : وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأما ضرب النساء خمرهن على جيوبهن ، فالمراد أن يدرنها على جيوب قمصهن يسترن بها نحورهن وصدورهن ، لعدم الحاجة الى إبداء غير وجوههن في أعمالهن على مرأى من الرجال الاجانب ، وكان النساء في الجاهلية يسدلن خمرهن من ورائهن ويوسعن جيوب قمصهن لينكشف ما في نحورهن وعلى صدورهن من العقود والقلائد يفتخرن بها

وأما من استثني الله تعالى مع محارم النساء من غير اولي الاربة من الرجال فهم الذين لا حاجة لهم في النساء كالشيخ الهرم وذي العلة الطبيعية ، والاربة والارب الحاجة المهمة ويطلق على الشهوة ومنه حديث عائشة . ايكم يملك إربه كما كان رسول الله (ص) يملك إربه ؟ كان يقبل أهله وهو صائم . وعطف على هؤلاء الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لاتحاد العلة . والمراد بعدم ظهورهم على العورات عدم فطنتهم لها ورغبتهم في الاشراف عليها . وأما النهي عن ضرب النساء بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فهو ما كان يفعله بعض النساء في الجاهلية لتذكير السامع بما في أرجلهن من الخلاخيل افتخارا بها وتشويقا اليهن . وجمهور المفسرين والفقهاء على أن النهي للكراهة لا للتحريم إلا اذا كان يتبعه فعل محرم

٥٦

النهي عن خلوة المرأة بالرجل وسفرها بدون محرم

ومما ورد في سد ذرائع الفساد النهي عن خلوة المرأة بالرجل والسفر بدون صحبة زوجها أوذي محرم ومنه قول النبي (ص) « لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم » متفق عليه من حديث ابن عباس (رض) بهذا اللفظ ومن حديث ابن عمر بلفظ « لا تسافر المرأة ثلاثة ايام إلا مع ذي محرم » وروى أبوداود والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا « لا تسافر المرأة بريداً إلا ومعها محرم يحرم عليها » البريد اربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلا ـ وهل المطلق يحمل على المقيد كما يقول بعض علماء الاصول أم الحكم يختلف باختلاف الاحوال والازمنة في الامن على النفس؟ ففي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم أن النبي (ص) اخبره بما سيكون من اثر انتشار الاسلام وعدله وأمنه ان الظعينة سترتحل وحدها من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله تعالى

ومن يعلم اخبار الاسفار في هذا العصر وما يكون دائما من تأثير اجتماع النساء والرجال في البواخر والفنادق الكبيرة فانه يفقه من حكمة هذا النهي ان السفر الطويل والقصير سواء في عدم خروج المرأة فيه مع غير ذي محرم. ولا يبيح لنا الادب أن نذكر في هذه الرسالة شيئا مما سمعناه في ذلك. وقد ذكر رجل للنبي (ص) حين نهى عن ذلك أن امرأته تريد الحج وهو يريد الجهاد فأمره ان يترك الجهاد و يسافر مع امرأته

وجملة القول ان سفر المرأة واجتماعها بالرجل الاجنبي في الخلوة وستر شعرها وماعدا الوجه والكفين عنه كله يدخل في سد ذرائع تعديه عليها و إفساده لها أو إغوائها إياه ومايحرم عليها منه يحرم عليه، وعقابهما في الآخرة سواء، ولكن سوء عواقب هذا الفساد في الدنيا أشد على المرأة في صحتها وفي شرفها ومكانتها في المجتمع الانساني

٥٧

مسألة حجب نساء الامصار وتحرير القول فيها

كل ما استحدثه الناس في المدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة، لامن اصول الشريعة، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجوه والكفين ، وأجمعوا على إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك ، نعم انهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكنهن كن يسافرن مع الرجال محرمات و يطفن بالبيت كذلك و يقفن في عرفات ويرمين الجمار على مشهد من الرجال في عهد النبي (ص) وخلفائه الراشدين . وكن يسافرن مع الرجال الى الجهاد ويخدمن الجرحى و يسقينهم الماء ومنهن نساء النبي (ص) كما تقدم وقد قاتل نساء المهاجرين مع الرجال في واقعة اليرموك . وكن يخدمن الضيوف، و يقاضين الرجال إلى الخلفاء والحكام

وكان النبي (ص) يأمر الرجل الذي يريد خطبة امرأة ان ينظر اليها ولو بدون علمها مع منع التجسس على النساء والتطلع الى عوراتهن . وقد اختلف العلماء فيما ينظره الخاطب فاتفقوا على الوجه والكفين . وقال الاوزاعي ينظر الى مواضع اللحم . وقال داود يجوز النظر الى جميع البدن . والمتبادر من الاذن بالنظر اليها « وان لم تعلم » أن يراها في حالها العادية في بيتها ، و يؤيده حديث جابر عند احمد وأبي داود قال سمعت النبي (ص) يقول « اذا خطب احدكم المرأة فقدر أن يرى منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور أن عمر خطب الى علي بنته ام كلثوم — فذكر له صغرها — فقال أبعث بها اليك فان رضيت فهي امرأتك ، فأرسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت : لولا انك امير المؤمنين لصككت عينيك

وأجمع المسلمون على جواز شهادة المرأة للنص عليه في كتاب الله وأمره باستشهادهن — وعلى صحة بيعها وشرائها وسائر تصرفاتها فيما تملك ، وعلى تلقيها العلم عن الرجال وتلقيهم عنها على تفصيل في احكام فرض العين وفرض الكفاية والمندوب فيه . وراويات الحديث منهن كثيرات من نساء الصحابة والتابعين وخير

القرون وقليلات بعد فيا بعدها ، وأسماؤهن مدونة فى كتب التاريخ ونقد الرواة. وما كان يكون شيء من ذلك من وراء حجاب إلا ما كان من ازواج النبي (ص)، بعد نزول آية الحجاب الخاصة بهن بالنص الصريح و بتعليل الحكم . وأخطأ من قال انه يجري فيها قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فان لفظها خاص لاعام . دع ما اجازه بعض الائمة من تزويج المرأة نفسها وغيرها وتوليها القضاء

ومن دلائل السنة على عدم وجوب ستر الوجه حديث المرأة الخثعمية و نظرها الى الفضل بن العباس و نظره اليها وهو مروي عن ابن عباس فى الصحيحين والسنن وعن علي عند الترمذي وحاصله فى جملة الروايات ان الفضل كان رديف رسول الله (ص) فى حجة الوداع فعرضت للنبى (ص) امرأة من خثعم وضيئة الوجه تسأله هل تحج عن ابيها الذي ادركته الفريضة وهو ضعيف لا يثبت علي الراحلة؟ فأفتاها بالجواز ـ وفيه ان الفضل جعل ينظر الى المرأة وتنظر اليه فجعل (ص) يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر . وفى بعض ألفاظه فلوى (ص) عنق الفضل فقال العباس يارسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ ـ وفى لفظ :وجأت عنق ابن عمك ـ فقال(ص) «رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما ـ وفى رواية ـ فلم آمن عليهما الفتنة»

وقد استنبط ابن القطان وغيره من هذا الحديث جواز النظر عند أمن الفتنة حيث لم يأمرها بتغطية وجهها . وقالوا لو لم يفهم العباس ان النظر جائز ماسأل ، ولو لم يكن ما فهمه صحيحا ما أقره عليه النبي (ص) وهذا بعد نزول آية الحجاب قطعا لانه فى حجة الوداع سنة عشر والآية نزلت سنة خمس

والتحقيق أن النظر من كل من الرجل والمرأة الى ما عدا العورات مباح فان كان بشهوة كره تكراره ، كما قلنا في تفسير (يغضوا من ابصارهم) فان خيف منه فتنة تفضي الى الحرام اتجه القول بتحريمه لسد الذريعة لا لذاته كالخلوة والسفر عند من يقولون بثبوت التحريم بالدليل الظني وقال الامام يحيى ومن وافقه من فقهاء العترة انه جائز مع الشهوة ـ وشدد آخرون من الفقهاء فقالوا بتحريمه مطلقا(١) بل قال بعضهم بوجوب ستر المرأة لوجهها وجرى على ذلك اهل الحضارة في الامصار حتى

(١) هذا يوافق ما نقله متى عن المسيح(٧)قد سمعتم أنه قيل للقدماء (لاتزن) وأما أنا فأقول لكم ان كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه) وفي رواية (ومن زنى يكون مستوجب الحكم) أي الرجم

صار من التقاليد ان لا يرى رجل اجنبي امرأة بالغة ولا يكلمها ولو من وراء حجاب . بل صاروا يكتمون اسماء النساء . وبلغنا أن بعض المتنطعين من طلبة العلم في طرابلس الشام امر امرأته بتغطية رأسها في داخل الدار حتى لا تراها الملائكة

وأما أهل البوادي الذين يعيشون بالقيام على الانعام وسكان الارياف من الفلاحين وهم أكثر المسلمين فلا يعرف نساؤهم هذا الغلو في الحجاب، ولا هذا التهتك والتبذل الفاشي في هذا الزمان ، وهم على ذلك اقل من أهل الامصار سقوطا في الفتنة ،

ومن لطائف ما يروى في هذا الباب أنه عقد مؤتمر نسوي دولي في أوربة حضره من قبل الدولة الحميدية كامل بك الحمصي كاتب السلطان الخامس فسئل في المؤتمر عن حجاب النساء في الاسلام فقال ما خلاصته : ان هذه مكيدة من النساء ، رأين أن ذوات الجمال البارع منهن قليلات وان ظهورهن للرجال يفتنهم بهن و يقبح نساءهم في اعين اكثرهم، فتواطأن على الاحتجاب العام ليرضى كل رجل بامرأته . فضحك النساء في المؤتمر ، وكان لكلامه عندهن وقع حسن

واذا لم يكن ما قاله كامل بك واقعا فتعليله صحيح فالمحجوب محبوب بالطبع والمبذول مبتذل في العادة الغالبة ، ولما صار الهمج الذين كانوا يعيشون عراة يلبسون الثياب ، اشتد شوق رجالهم لنسائهم ورغبتهم فيهن . وتهتك النساء في هذا العصر هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج في مصرنا وامثالها

وجملة القول ان اصل الشرع في آداب النساء والرجال معروف، وان سد ذرائع الفتنة والفساد مشروع ، وهو يختلف باختلاف الاعصار والامصار، وانما الحرام ما ثبت بنص قطعي الرواية والدلالة ، وما دل على طلب تركه دليل ظني فهو مكروه، وكل رجل وامرأة اعلم بحال نفسه ونيته ، وحال قومه وبيئته

والقاعدة العامة في مثل هذا قوله (ص) «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث سلمان الفارسي (رض) وقوله (ص) «الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (وفي رواية يواقعه) ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله في ارضه محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» رواه الشيخان واصحاب السنن عن النعمان بن بشير (رض).

(نصيحة المؤلف للرجال والنساء في مسألة الزواج)

انني منذ ثلث قرن ونيف أدرس مسألة النساء والحياة الزوجية وأناقش فيها أهل العلم والرأي، وأقرأ ماصنف فيهامن الكتب ، وأتتبع ماتنشره الصحف، وأتدبر أخبار الافرنج فيها ، وكتبت فيها شيئا كثيراً أهمه تفسير آيات القرآن الحكيم في موضوعها ، ومقالات الحياة الزوجية التي نشرت في مجلد المنار الثامن وآخرها هذه الرسالة . وناظرت الدعاة إلى المساواة بين النساء والرجال في الجامعة المصرية فحكمت لي الاكثرية الساحقة بالفلج وإصابة صميم الحق

وانني أعتقد بعد هذا الدرس الطويل العريض العميق، وما اقترن به من الاختبار الدقيق، أن ما يراه الكثيرون من أهل الغرب والشرق من نوط السعادة الزوجية بتعارف الزوجين قبل الزواج وعشق كل منهما للآخر، هو رأي أفين ، أثبت الاختبار بطلانه، وان تحاب الشبيبة لا ثبات له بعد الزواج غالباً ، بل كانت العرب تقول: ان الزواج يفسد الحب .

وانما القاعدة الصحيحة لهناء الزوجية ماقاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) لامرأة خاصمت زوجها اليه وصرحت له بأنها لاتحبه، فقال لها: اذا كانت احداكن لاتحب الرجل منا فلا تخبره بذلك فان أقل البيوت ما بني على المحبة . وانما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام. يعني أن التزام كل من الزوجين لحفظ شرف الاخر والعمل بما يرشد اليه الاسلام من الواجبات والآداب الزوجية هو الذي تنتظم به الحياة الزوجية ويعيش الناس به العيشة الهنية

وينبغي لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب الى الآخر بأ كثر مما يجده له في قلبه، فان التطبع يصير طبعا، ورحم الله علية بنت المهدي أخت هارون الرشيد حيث قالت: * تحبب فان الحب داعية الحب * فانه في معنى قوله ﷺ «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم»

هذه نصيحتنا نزفها الى الرجال والنساء في هذا العصر الذي يشكو فيه العقلاء إعراض الشبان عن الزواج ، فمن وفقه الله تعالى للعمل بها منهم فسيرونها أعلى وأفضل نصيحة يستحق صاحبها منهم الدعاء والشكر، ومن الله عز وجل المثوبة والاجر

وفيات الاعيان

محمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر الاجتماعي

في السابع عشر من شهر ربيع الاول توفى شاعر النيل الاجتماعي الكبير ، وأديب مصر الشهير ، محمد حافظ بك ابراهيم عن سن وافت الستين ، فاهتز لموته عالم الادب العربي واضطرب ، كما كان يهتز لشعره من حماس أو شجو أو طرب ، ورثاه أشهر شعراء مصر ، فشعراء العرب في الشرق والغرب ، وأبنته الصحف فأطرته أي اطراء ، ولا تزال تنشر القصائد في رثائه واطرائه إلى الآن ، وقد توفى بعده أمير من أكبر أمراء بيت الملك في البلاد ، فلم يتجاوز ذكر موته مصر ، ولم يبلغ تاثير وفاته فيها معشار ما بلغ تأثير موت حافظ من إكبار وحزن وتأبين ورثاء ، على تفاوت ما بين مؤبني الرجلين من داعيتي الاخلاص والرياء ، وأين بيت حافظ ابراهيم في أهل المسكنة والبؤس ، من أعلى قصور الامارة والملك .

والعبرة في هذا أنه آية بينة على ارتقاء في الامة العربية في آدابها النفسية والاجتماعية ، يبشرنا بقرب زوال العظمة الوهمية ، عظمة الالقاب الموروثة والثروة المادية ، وإعقاب العظمة الحقيقية لها ، عظمة العلم والادب وخدمة الامة

لو لم يمت هذا الامير الكبير في هذه الايام لذكرنا في مقام هذه العبرة موت غني من أكبر أغنياء مصر فيها ممن كان يحسدهم حافظ على ثروتهم ، ويعاتب الاقدار على ما كان يشكو من بؤسه تجاه جدتهم ، وهو المرحوم محمد بدراوي باشا عاشور صاحب العقار الكبير ، والمزارع الواسعة التي تقدر بعشرات الالوف من الفدادين ، ومئات الالوف من الجنيهات المودعة في المصارف المالية (البنوك) المديدة . مات بدراوي باشا أغنى فلاحي مصر وأحسنهم سيرة ، فلم يهتز لموته عالم العلم والادب ، ولا أكبرت نعيه المجلات والصحف ، ولا رثاه الشعراء ، ولا أبنه العلماء والادباء ، فكان هذا دليلا آخر على ان الشعب المصري قد ارتقى شعوره المعنوي ، ولكنه دون الدليل الذي قبله ، وقد كان هذا الشعب أعرق الشعوب الشرقية في إكبار الامراء والحكام والخنوع لهم ، ثم في تعظيم الاغنياء

والازدلاف اليهم . ولكن لا يزال المال هو المقصد والغاية لطلاب العلوم والفنون وقلما تتوجه عناية أحد منهم لبلوغ الغاية من الادب والامامة فيه لذاتها

كان محمد حافظ يشكو البؤس وينظم نفسه في سمط البائسين ، وتلك شنشنة الادباء والشعراء في كل حين ، حتى كان من القضايا المسلمة ان حرفة الادب علة للبؤس والعيشة الضنك ، وما هي بعلة طبيعية ولا عقلية ، ولكن من أعطى كل عقله وفهمه للأدب او أي علم من العلوم لايجد من استعداده النفسي ولا من وقته ما يصرفه في الكسب وتثمير المال الذي هو طريق الثروة الواسعة ، والشعراء أحرص من العلماء على نعمة الدنيا وزينتها وأكثر تمنياً لها ، لتزيين خيالهم لها في أنفسهم ، فهما يصبهم منها - وقلما يكون وافراً يرضي طمعهم وخيالهم - فانهم يستصغرونه ويشكون حظهم منه ، ألا ترى ان أحدهم قد ذم العيشة الوسطى بين بؤس الفقر وطغيان الغنى وشواغله وهي أفضل حالة في الرزق يمكن أن تكون للانسان بقوله :

مذبذب الرزق لافقر ولا جدة حظ لعمرك لم يحمق ولم يَكس

وكان حافظ يتمثل بهذا البيت بعد ان نال راتباً شهريا من الحكومة يكفي لنفقة أسرة تعيش عيشة معتدلة ، وهو خفيف الحاذ لازوج له ولا ولد ، ذلك بأنه كان مسرفا في الترف ، مفنقاً في التنعم ، وقد أوتي من الحظ المعنوي بأدبه وشعره مالم يؤت أديب في مصر في عصره غير احمد شوقي بك إذ كان شاعر الامير فصار يدعى أمير الشعراء ، ولعله لو نشأ في حجر الترف ونعمة العيش كشوقي لما كان له من نفسه مايبعثه إلى النبوغ في الادب النافع ، فأكثر حكماء الأدباء وحكماء العلماء وأصحاب الافكار الاصلاحية الناضجة كانوا من أهل القشف والبؤس في بدايتهم إما اضطراراً وإما اختياراً كالذين سلكوا الرياضة الصوفية . ومن أمثال الصوفية : من لم تكن له بداية محرقة ، لاتكون له نهاية مشرقة

وقد أشار شيخنا الاستاذ الامام إلى هذا المعنى في بؤس حافظ فيما قرظ له به الجزء الاول من ترجمة كتاب البؤساء فقد قدمه اليه حافظ وتوجه باسمه بكتاب خاطبه به فرد عليه بجواب جعلهما حافظ في مقدمة الكتاب ، وانا ننشرهما هنا فانهما خير ماينشر في ترجمة صديقنا الاديب رحمه الله تعالى

﴿ خطاب حافظ للاستاذ الامام في رفع كتاب البؤساء اليه ﴾

إلى الاستاذ الامام

إنك موئل البائس، ومرجع اليائس، وهذا الكتاب — أيدك الله — قد ألم بعيش البائسين، وحياة اليائسين. وضعه صاحبه تذكرة لولاة الأمور، وسماه كتاب (البؤساء) وجعله بيتاً لهذه الكلمة الجامعة، وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل) وقد عنيت بتعريبه، لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب، وتصرفت فيه بعض التصرف، واختصرت بعض الاختصار. ورأيت أن أرفعه إلي مقامك الأسنى، ورأيك الأعلى، لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث (أولها) التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك (وثانيها) ارتياح النفس وسرور اليراع برفع ذلك الكتاب إلي الرجل الذي يعرف مهر الكلام، ومقدار كدّ الأفهام (وثالثها) امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ماوضعه حكيم الغرب إلى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى فتاه بقبوله والله المسئول أن يحفظه للدنيا والدين. وأن يساعدني على إتمام تعريبه للقارئين .. اهـ

قدم محمد حافظ هذا الكتاب إلى الاستاذ الامام ونحن جلوس معه في حديقة داره بعين شمس مساء يوم من الايام فأخذه منه بعد ان قرأه علينا وعليه ودخل الدار فمكث فيها قليلا ثم عاد الينا وقال : انني عصرت دماغي على مابه من جفاف الكلال فخرج منه هذه الكلمات : ـ وأعطى حافظ ورقة قرأ فيها :

تقريظ كتاب البؤساء للاستاذ الامام

لو كان بي أن أشكرك لظن بنا بالغت في تحسينه، أو أحمدك لرأي لك فيما أبدعت في تزيينه، لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك، ويجري في الشكر إلى الغاية مما يطلبه فضلك، لكنك لم تقف بعرفك عندنا، بل عممت به من حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت إلى أهل اللغة العربية، عذراء من بنات الحكمة الغربية، سحرت

قومها ، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تنبه منهم خامداً ، وتهز فيهم جامداً ، بل لاتنفك تحيي من قلوبهم ماأماتته القسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الاسوة . حكمة أفاضها الله على رجل منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلا منا . فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسج الاديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعد ماأصلح من خلقها ، وزان من معارفها ، [1] حتى ظهرت محببة إلى القلوب ، شيقة الى مؤانسة البصائر ، تهش للفهم ، وتبش للطف الذوق ، وتسابق الفكر إلى مواطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهي في النفس مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الاعجم مبلغك ، فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق ، ووصل منهم فريق الى مايحب من مقصده ولكنه لم يعن بأن يعيد الى اللغة العربيـة مافقدت من أساليبها ، ويرد اليها ماسلبه المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه ، أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمزيد بعده ، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الارواح ، فظهرت لك اليوم في صورة أبدع ، ومعنى أنفع ، ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله من ظهور كتابك ، ويحملها الزمان إلى أبناء مايستقبل منه ، فتكون قد أحسنت إلى الابناء ، كما أجملت الصنع مع الآباء ، وحدت للغة العربية أن لايدخلها بعد من معجمة سوى ماهو في الاسماء ، أسماء الاماكن والاشخاص ، لا أسماء المعاني والاجناس ، ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عم ، ويعلي مكان المعروف اذا شمل ، ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً
فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فما أعجز قلمي عن الشكر لك ، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللفاء (٢)

(١) المعارف من وجه الانسان مايعرف به ويمتاز من غيره كالعينين والملاغم
(٢) اللفاء بالفتح القليل الذي هو دون الحق

تقول : إن الذي وصل سببك بسبب صاحب الكتاب ، ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه في البؤس ، ونزولك منزلته من سوء الحال ، وربما كان فيما تقول شيء من الحقيقة ، فإن كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة ، ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، سألت الله أن نزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ ، وأن يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم ، والسلام م؟ محمد عبده

هذا وان مدح حافظ للاستاذ الامام واتصاله به هو الذي فجر ينابيع الحكمة في شعره ، وكان أكبر أسباب شهرته به ، بما جعل أكثر شعره في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، والأفكار الادبية النافعة ، كما كان سبب انتفاعه المادي بأدبه وشعره ، فالامام هو الذي وصله بصديقه احمد حشمت باشا عاشق العربية وآدابها ووصاه بمساعدته إذ كان مديراً لأسيوط ثم للدقهلية ، وحشمت باشا رحمه الله هو الذي تبرع له بطبع الجزء الاول من ديوانه والجزء الاول من كتاب البؤساء ووزع له هو وغيره من أصدقاء الامام ألوفا من نسخهما ، ثم لما صار وزيراً للمعارف جعل له وظيفة كتابية في دار الكتب المصرية العامة ، ومنح بسعيه الرتبة الثانية ، فعاش بعد ذلك عيشة راضية ، وان ظل يتمثل بالبيت الذي يصفها بالذبذبة

كان حافظ يتمنى لو يكون غنياً بغير أدنى عمل يعمله للغنى ، فهو لم يكن يقدر على احتمال أدنى تعب أو مشقة في عمل ما ، وانما كانت فلسفته في الحياة أن يكون ناعم البال ، طيب الطعام والشراب ، دائب الفكاهة والدعابة مع الاصدقاء ، ولولا أنه كان يعشق الادب عشقا لما قرأ فيه كتابا ، ولما نظم بيتاً ولا نمق خطابا ، وقلما كان أحد من الاغنياء ممتعاً بنعمة العيش مثله ، ولو أوتي من الرزق أضعاف ماأوتي لأنفقه كله في سبيل الرفاهة وبلهنية العيش ، وكان يحفظ من النكات والملح والنوادر والتنادر مالا حد له ينتهي اليه ، على ما يحفظه من روائع الشعر وبدائع النثر ، مما لو جمعه في الدفاتر لكان له منه ثروة واسعة

وقد أوتي من قوة الحفظ وسرعة الاستحضار للمحفوظ وبطء النسيان أو عدمه ما يذكرنا برواة اللغة وحفاظ الحديث ، فلو أنه عني بالحفظ والرواية لأعاد

لمصر عهد الحافظ احمد بن حجر العسقلاني (رح) وكان يحفظ كل ماينظم وينثر ويترجم (ككتاب البؤساء) وما أراه حفظ من كتاب الاقتصاد السياسي الذي ترجمه هو وزميله خليل بك مطران شيئا إلا أن يكون بعض المفردات أو الجمل التي اهتدى هو الى تعبير عربي عنهاغير معروف ، ولو كان له رغبة لذة في حفظه لما شق عليه حفظه على كبره وإن كان فناً لا أدبا .

وكان حافظ قوي الاستقلال العقلي والوجداني لا يقبل ولا يسلم مالا يعقله ويرتاح له وجدانه ، لهذا كان ينكر في نفسه أموراً كثيرة من عقائد الدين فكان مما استفاده من معاشرة الاستاذ ولا سيما صحبته في سفره إلى الدقهلية لتوزيع الاعانات على منكوبي حريق ميت غمر أن استل (الامام) من قرارة نفسه تلك الشكوك والريب وهو ماحدثنا به بعد عودتهما . قال ولم يقنع مني بالايمان إلا وحاول حملي على الصلاة حتى صلاة الفجر في الغلس فكنا نسهر في دار أحمد حشمت باشا في المنصورة أكثر الليل وننام في حجرتين متجاورتين فأستيقظ بسماع حركته في آخر الليل وقيامه للتهجد . وبعد طلوع الفجر يطرق على باب حجرتي ويقول : * ياراقد الليل الى كم تنام ؟ *

قم للصلاة ، فقلت له بصفة المازح يامولاي إنني لا أستطيع حمل الدين كله علمه وعباداته في سفرة واحدة ، كنت ملحداً فآمنت وصدقت بجميع عقائد الاسلام في هذه المرة، ولك عليّ في سفرة أخرى أن أحافظ على جميع الصلوات. وقد ذكرت حافظا في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ١٢ مرة أو أكثر

وأما شعره فقد كتب الكاتبون في الصحف شيئاً في وصفه، وما كان يزينه من حسن انشاده، وحسبي أن أشير الى ما كنت كتبته في تقريظ ديوانه الاول عند طبعه وهو انه أصح منظوم هذا العصر لغة في مفرداته المختارة وجمله الفصيحة وجمعه بين السلاسة والمتانة، فهو يفضل شعر احمد شوقي بك في هذا دون جمال التخيل وقوة التأثير الذي هو روح الشعر فبهذا يبز شوقي جميع شعراء العصر على تفاوت في شعره وتعقيد معنوي في بعض أبياته تحول دون فهمها فهما صحيحا من أول وهلة . فمحمد حافظ ابراهيم من الادباء الذين يخلد اسمهم التاريخ رحمه الله تعالى وأحسن مثواه

فتنة الحجاز والقضاء على فئة ابن رفادة

سافر ابن رفادة ومن معه من مصر إلى الحجاز من طريق سينا بجوازات مصرية إلى العقبة ولقوا في كل مكان غاية المساعدة فدخلوا أرض الحجاز وتبعهم أعوانهم الذين سافروا من شرق الاردن إلى العقبة يحملون بعض الدراهم والاسلحة على مسمع ومرأى ممن ثم من رجال الانكليز في هذه الامكنة كلها مع إغضاء وتصامم بحيث لا تقوم عليهم حجة بأنهم أغروا أو ساعدوا أو وافقوا على شيء، بل كانت الدولة الانكليزية هي التي بلغت الحكومة السعودية أنباءهم ، وحملت الامير عبد الله على عزل محمد افندي الاسد قائمقام العقبة لاذنه لهم بل مساعدته لهم على الدخول في أرض الحجاز، ثم طفق رجال الهيئة العسكرية من الانكليز يحصنون العقبة ويجمعون فيها الاسلحة والذخائر الحربية والمؤنة بحجة مساعدة الحكومة السعودية على الثائرين عليها بمنع وصول المدد والذخيرة إلى فئة ابن رفادة من البر والبحر ، ومنع فارتهم من الالتجاء إلى العقبة وشرق الاردن إذا طاردهم الجيش السعودي، وما كان هذا المنع ليحتاج إلى كل هذا التحصين والاستمداد الحربي، على أنه ظل مستمرا بعد استئصال هؤلاء الثائرين إلى أن انجلت الجنود السعودية التي رابطت أمام العقبة حامدة شاكرة للقائد الانكليزي الرابط أمامها في حدودها المقتطعة من الحجاز !!!

وأما الحكومة السعودية فقد استدرجت ابن رفادة الاعور مخضاء الثورة بارسال رجال من قبائل الحجاز اليه يعدونه بالقيام معه وتعميم الثورة في الحجاز إذا كان لديه المال الكافي لذلك فأخبرهم بان المال سيأتي من شرق الاردن، حتى إذا ما اطمأن أحاطت به وبفئته الجنود النجدية فقضت عليهم في معركة واحدة طاحت فيها رءوس ابن رفادة وأولاده ورأس أبي دقيقة أكبر أعوانه وألقيت رأس ابن رفادة الاعور الى الاولاد والرجال يدحرجونها ويدحونها ككرة الصبيان .

طير البرق نبأ القضاء على ابن رفادة إلى مصر وأوربة وسائر الاقطار من الطريق الرسمية وطريق الشركات العامة فكذبته جمعية الثورة في عمان وزورت بامضاء ابن رفادة بلاغا أرسلته إلى صحف فلسطين ومصر والشام ينبيء بانتصاره

وفوزه وامتداد الثورة في البدو والحضر ، وأرسلت اليها مقالات أخرى ورسلا يبثون الدعاية ، فكذب ذلك كله الاكثرون ، وارتاب فيه الاقلون ، حتى ظهر الحق واستيقنه الناس أجمعون

استفاد الناس من هذه الفتنة أربع فوائد عظيمة الشأن.

(الفائدة الاولى) أن سلطان الحكومة السعودية ثابت البواني راسخ الاركان في بدو الحجاز ونجد معا كحضرهما فان شيوخ قبائل الحجاز ورؤساءها استأذنوا جلالة ملكهم في قتال ابن رفادة وهو منهم ولم يكن أحد يظن هذا لا من الانكليز ولا من غيرهم . وأما أهل نجد فقد ثارت ثائرتهم كلهم، فاسرع من استنفرهم الملك إلى الحجاز وحدود شرق الاردن والعقبة وطفق سائر أهل البلاد يستأذنونه في النفير العام والهجوم على شرق الاردن للقضاء على حكومتها وكتب اليه في ذلك علماؤهم وأميرهم سعود ولي عهد الامام فيهم

(الفائدة الثانية) تنبه الامة العربيــة في سورية وفلسطين وشرق الاردن لوجوب الانتصار للدولة العربية المستقلة المعترف باستقلالها المطلق من جميع الدول الكبرى وما يهددها من الخطر بوجود الانكليز في خليج العقبة الحجازي وشرق الاردن، وقد أظهرت شعورها هذا في الجرائد وعلى ألسنة الاحزاب والزعماء حتى إن اهل شرق الاردن أظهروا المقت للجمعية المحركة للفتنة عندهم ولأميرهم أيضاً

(الفائدة الثالثة) تنبه الشعور الاسلامي العام في الشرق والغرب للخطر على الحجاز باستيلاء الانكليز على خليج العقبة ومنطقته وسكة الحديد الحجازية وقد ظهر هذا الشعور كالشمس فيما نشرته جرائد مصر وفلسطين وسورية وتونس والجزائر والهند في المسألة وعجب الناس لسكوت مشيخة الازهر عن اظهار صوتها في هذه النازلة الاسلامية التي تنذر المسلمين أكبر خطر على الحرمين الشريفين ولم نبين لهم ما نعلم من سبب هذا

(الفائدة الرابعة) وهي نتيجة ما قبلها من الفوائد الثلاث : إحجام الدولة البريطانية عما كانت تريده من افتراص هذه الفتنة لاحداث احتلال عسكري بري بحري في خليج العقبة تسميه موقتاً وتعلله بمثل ماعللت به احتلال مصر ، واحتلال اسكندر آباد في الهند ، وقد رضيت بسبب ماتقدم وخشية تفاقم الخطر أن تبقي

منطقة العقبة ومعان تابعة لشرق الاردن في ادارتها الى أن يبت في أمرها بمفاوضة أخرى مع الحكومة السعودية

ولقد سر المسلمون كافة والعرب خاصة بتنكيل الحكومة السعودية بهذه الفئة الباغية وشمتوا بمثيريها وهنؤا صاحب الجلالة السعودية بهذا الفوز المبين ، وما كان فوزه على هذه الفئة القليلة بكبير في نفسه ، وإنما كانوا يخشون أن تكون سببا لاشتعال نار الثورة في الحجاز كله ، وأ كبر ما كانوا يخشونه أن تكون عاقبتها استقرار أقدام الانكليز في خليج العقبة ومنطقتها الى معان ، واكبر ما كانوا يرجونه أن يتخذها الملك وسيلة لاستعادة هذه المنطقة إلى الحجاز ومنع الخطر الدائم على الحرمين الشريفين ببقائها تحت سيطرة الانكليز

ولقد كانت الفرصة سانحة له بارحة للانكليز والاسباب المرجحة لفوزه كثيرة ولكن رجال حكومته لم يكونوا يعرفونها ، وكانت الاراجيف التي أذاعتها المصادر الانكليزية مما ترجف لها الافئدة ولا سيما أرجوفة مساعدة مصر لابن رفادة ، فكان يخيل لقراء الجرائد في الحجاز ان حكومتهم مستهدفة لمحاربة بريطانية العظمى ومصر وشرق الاردن في وقت واحد ، وكل هذه أوهام ، وأضغاث أحلام

من المعلوم باليقين انه لم يكن يجوز للدولة السعودية أن تبدأ حكومة شرق الاردن الضعيفة بالحرب ، فضلا عن الدولة البريطانية التي هي من أقوى دول الارض ، وانما الذي كان يجب عليها هو أن تنبئ الدولة الانكليزية بأن شعبها الحجازي والنجدي يطالبونها بما هو حق عليها من استعادة هذه المنطقة الحجازية التي ألحقت بشرق الاردن بغير حق شرعي ولا قانوني ، وانهم مضطربون ثائرون لما جاءهم بطريق العقبة من طلائع ثورة ابن رفادة . وان العالم الاسلامي كله يطالبها بذلك — فهي لهذه الاسباب مضطرة لاحتلال هذه المنطقة الحجازية مع المحافظة على العلاقة السياسية الودية معها ، وتأمين حكومات شرق الاردن وفلسطين ومصر من أدنى اعتداء على حدود بلادها ، وتتبع القول الفعل . وقد كتبت مقالا طويلا أثبت فيه ان الدولة الانكليزية ما كان يعقل أن تحارب حكومة الحجاز ولكنني علمت قبل نشره بجلاء الجيش السعودي عن الحدود وبقاء ما كان على ما كان فأمسكت عن نشرها

جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

هذه الجمعية أقدم الجمعيات الاسلامية التي أنشئت للوعظ والارشاد في مصر، فانني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥ لم أجد فيها غيرها، واتفق أن كانت هي الجمعية الاولى التي تعودتُ إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها، فوجئت بذلك أول مرة مفاجأة إذ حضرت أحد اجتماعاتها متفرجا فكان من الخطباء فيه اسماعيل بك عاصم المحامي المشهور (رحمه الله تعالى) فرآني بين الناس وكان قد عرفني، فلما فرغ من خطبته دعاني مشيداً بذكري، مطرياً لأدبي، وكان هذا غريباً منه وهو لا يعلم من أمر استعدادي للخطابة شيئاً، ولكنني أعتقد أنه كان مخلصاً في طلبه لا مورطا، إذ قابلني بالمودة منذ عرفته وثبت عليها طول عمره واشترك في المنار منذ سنته الاولى وكان ممن يدفعون قيمة الاشتراك في أول السنة، ولما تم للمنار عشرة أعوام أقام له حفلة أدبية كانت هي الاولى من جنسها دعا اليها جميع أصحاب المجلات العربية بمصر ووزير المعارف وبعض رجال العلم والادب إلى مأدبة حافلة ألقيت فيها الخطب البليغة في الثناء على المنار ومنشئه، فرحمه الله وجزاه أحسن الجزاء

وأقول بعد هذا الاستطراد الذي أراه من حقه علي: انني أجبت دعوته وصعدت المنبر على غير استعداد ولا سبق حضور موقف من هذه المواقف غير المعتادة في بلدنا (طرابلس الشام) في العصر الحميدي، وألقيت مافتح الله به علي في موضوع مناسب للمقام، صفق له الحاضرون مراراً وهنئوني به، وما أظن انني أجدت الالقاء ولكنني أعتقد انني قلت حقاً نافعاً بعبارة عربية صحيحة لا خطابية، ثم كان المرحوم الاستاذ الشيخ زكي الدين سند خطيب الجمعية المؤسس لها يدعوني إلى الخطابة في كل اجتماع يراني فيه بعد ان يستشيرني فأقبل، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام فكنت خطيبها الاول

ثم إن جمعية مكارم الاخلاق ضعفت بعد وفاة المرحوم الشيخ زكي الدين سند، ثم عني بانعاشها ومساعدة مجلتها محمد سعيد باشا الاسكندري في عهد وزارته وخليل باشا حمادة البيروتي الذي تولى امانة الجمارك في الاسكندرية فادارة الاوقاف العامة

عصر فصار يطبع من مجلتها ألوف كثيرة من النسخ ثم عاودها الضعف والذبول ، حتى كادت تزول ، فتداركها الله باللطف ونهضت نهضة جديدة بهمة أصحاب النجدة والغيرة رئيسها ووكيلها ومراقبها

اتخذوا لها أولا مكانا مشهوراً في القاهرة هو القاعة الاثرية المشهورة بدار السادات الوفائيه المسماة بام الافراح ، يتبعها حجرة للادارة وباحة واسعة من وراء الدار ، فكانت الخطب والمحاضرات تلقى في القاعة مدة فصل الشتاء وزمن البرد ، ثم تلقى في الباحة سائر أيام السنة ، وموعدها بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة ، وكان أكثر من يحضرها طلبة الجامع الازهر ، وقد دعيت الى إلقاء محاضرات كثيرة فيها كانت الادارة تعلن خبرها في الجرائد اليومية فيحضرها خلق كثير من جميع الطبقات، ولا أزال أدعى فأجيب، بعد نقل الجمعية الى مكانها الجديد

نقلت الجمعية إلى حي شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيه إذ كثرت جمعياتهم وتصديهم فيها لاغواء عوام المسلمين فاتخذت لها داراً فسيحة ذات حجرات كثيرة وباحة واسعة وأنشأت في الدار مدرسة ابتدائية تعلم فيها أطفال المسلمين بأجرة زهيدة مع تربية عملية مفيدة .

وقد أنشيء لمجلتها (مكارم الاخلاق الاسلامية) مطبعة خاصة بها وأنشيء لها مجلة أخرى باسم (المصلح) فالمجلة الاولى في السنة الثامنة من حياتها الجديدة وهي تصدر في منتصف كل شهر عربي في أربع كراسات بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ١٥ قرشا في السنة لطلاب المعاهد والمدارس و٢٥ قرشا لسائر الناس . وأما صحيفة المصلح فتصدر في كل شهر أو شهرين في كراستين أو ثلاث بقطع أكبر وقيمة الاشتراك فيها في القطر المصري خمسة قروش وأجرة البريد وفي خارج القطر ١٠ قروش . ويرى القاريء لهما في كل منها فوائد كثيرة من تفسير السور الصغيرة التي تقرأ في الصلاة وشرح بعض الاحاديث الصحيحة وبيان السنن النبوية المتروكة لاحيائها ، والبدع الفاشية مع النهي والتنفير عنها، والمسائل الفقهية والادبية والتاريخية والمواعظ وغير ذلك ونرى جل ما في الصحيفتين بقلم وكيل الجمعية الاستاذ العالم الكاتب الخطيب الشيخ محمود محمود الاستاذ في مدارس الحكومة العليا ، حمد الله سعيه وأدام توفيقه

(نداء جمعية الهداية الاسلامية في دمشق)

(أرسلت الينا هذه الجمعية كتابا ذكرت فيه انها أرسلت كتبا الى ملوك المسلمين وامرائهم وصحفهم وأغنيائهم لاعانة الحرمين الشريفين ومعه صورة ماأرسلته الى ملكنا المعظم وهذا نصه) :

(خطابها الى جلالة ملك مصر المعظم)

لصاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم أعز الله به الاسلام والمسلمين

لقد استفاض الخبر ، وصح النقل باشتداد الضائقة على إخواننا أهل الحرمين الشريفين وتضاعف العسر عليهم ،فقد أخبر المطلعون بأنهم أصبحوا بحالة تدمي القلوب وتفتت الاكباد . وذلك لتقاعس الناس عن أداء فريضة الحج وتلكؤهم عن زيارة تلك الاماكن المقدسة

ان الازمة في البلاد الحجازية قد اتسع نطاقها ، وتفاقم خطبها ، فشمل الكبير والصغير ، وعم أكثر السكان والمجاورين ، في هذين البلدين الشريفين . وهي اليوم آخذة بالازدياد والعياذ بالله تعالى

لم يختلف أحد من الناس في استتباب الامن في بلاد الحجاز كلها حتى أصغر بقعة فيها ـ فلو فرض أن شخصاً نثر هناك آلاف الدنانير الذهبية على رءوس الناس في الطريق العامة لما تجاسر أحد على مس دينار واحد منها ،على حين ان هؤلاء الذين نثر الذهب على رءوسهم فزهدوا فيه يتسابقون إلى التقاط مايلقي في الارض من قشر البرتقال والبطيخ تقليلا لسورة جوعتهم ، وشدة ألمهم

إلى هذا الحد وصل أولئك الاخوان المجاورون والقاطنون في تلك البلاد الشريفة ،ولاشك أن هذا الحال أدى وسيؤدي إلى موت الكثيرين منهم بلا سابقة جناية ولا تقدم ذنب أو جريمة

ان هؤلاء الضعفاء المساكين الذين أعوزتهم الحاجة وبلغ بهم الفقر مبلغاً جعلهم يذكرون أيام الحرب العامة بمزيد المدح والثناء ـ يموت الكثيرون منهم على قارعة الطريق في أشرف بلاد الله، يموتون وبطونهم جائعة ،وأجسامهم عارية ،وعيونهم شاخصة تتطلع الى السماء شاكية ماحل بها من قسوة أخيها الانسان وجوره وعتوه وظلمه

فرحمة بأولئك البؤساء الذين ذهب الفقر بأرواحهم ، وأحاطت الحاجة بأولادهم وبناتهم ونسائهم ، وقياما بالواجب الديني والانساني — اجتمع أعضاء (جمعية الهداية الاسلامية) بدمشق ، وبعد المذاكرة وتتبع الموضوع من عامة أطرافه رأوا أن يستصرخوا غيرتكم وحميتكم باسم كونكم أعظم ملوك الاسلام والمرجع الاعلى لمختلف شؤونه لتعملوا على مساعدة هؤلاء البائسين ، وتمدوا يد المعونة اليهم بارسال ما تراكم لهم في خزانة الاوقاف من مال الحرمين الشريفين ، وبذلك تحيون أنفساً قضي على حياتها الفقر ، وأجساما أضر بها الجوع والعري ، وذلك كما لايخفى من أفضل الاعمال ، وأشرف الخلال . ففي حديث أنس رضي الله عنه عند الديلمي مرفوعا « ماعمل أفضل من اشباع كبد جائعة » . ومن حديثه أيضاً عند ابي يعلى يرفعه إلى النبي ﷺ « من اهتم بجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع ، وسقاه حتى يروى غفر الله له » . على ان في هذا العمل أيضاً براءة للذمة مما هي مطوقة به من وجوب العمل بنص الواقف الذي هو كنص الشارع ، وليت شعري هل يرضى الواقف للحرمين الشريفين بصرف ثمرة أوقافه على غير قطان تلك البلاد الشريفة ، وخصوصاً عند حاجتهم ، وتحقق ضرورتهم .

ان اختزان أموال الحرمين أو صرفها لغير أهلها في أيام اليسر جريمة يجب أن تتنزه عنها الحكومات الاسلامية ، فكيف والوقت عسر ، والمستحقون لهذه الأموال في أشد درجات الضيق ، وأقصى أحوال الجهد والعناء .

قال أهل العلم : من منع المال مستحقيه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، وعدّ غاصبا للمال ، وظالما من جملة الظالمين ، ومن صرفه حيث أمر الله عد من الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وكان خير أمين فيما أسند اليه .

ولما كنتم أدام الله عز المسلمين بكم ممن لهم السابقة في خدمة الدين ، والاهتمام بأمور المسلمين ، تحدبون عليهم حدب الوالد على ولده والراعي على رعيته خصوصاً أهل الحرمين الشريفين — أتينا بكتابنا هذا مرفوعا لسدة جلالتكم راجين أن تكونوا لاهل حرم الله تعالى وحرم رسوله المعظم عند حسن ظننا بكم ، لازلتم موئلا للبائسين ، وعضداً متينا لعموم المسلمين سيدي .

﴿ افتراء مجلة مشيخة الأزهر علينا وهجوها وهجرها فينا ﴾

قد رأى قراء المنار ما أفتينا به في الجزء الرابع في بدعة زيادة بعض المؤذنين في آخر الأذان وهو أنهـا بدعة في شعار ديني محض تدخل في عموم قول النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولكن مجلة مشيخة الازهر أفتت بأنها بدعة حسنة . ولما رآه مفتيها بهذه البدعة كفتاويه بما هو أضل منها من البدع انقطع في بيته وعكف مع بعض أعوانه على مجلدات المنار يبحث فيهـا عن أمور يتخذها مطاعن على صاحب المنار وجمع ما وجده قابلا للتحريف والشبهـة مما صادفه فيها في مقال طويل بدأه بالاحتجاج لبدعة الاذان بطريقته الازهرية في المراء وجدل الالفاظ وايراد الاحتمالات

وقفى على ذلك ببهائت بهت بها صاحب المنار وافترى عليه بأنه كذب الله ورسوله وخطأهما وخالف الاجماع ورد الاحاديث الصحيحة اتباعا لهواه وانه ليس لكتاب الله وسنة رسوله عليه سلطان وأنه أنكر وجود الملائكة بتقريره أنهم عبارة عن القوى الطبيعية وأنـكر وجود الجن وزعم ان الجن عبارة عن الميكروبات وانه يتأول القرآن بما ينافي اللغة والدين والعقل تقربا إلى الماديين لا لشبهة علمية وانه ليس عنده أدنى استعداد للعلم والفهم ، ولا للمنطق والعقل ، ولا للأدب والذوق ، وأنه من دون ذلك كله أفتى تلاميذ المدارس النصرانية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل تنشئتهم على دين النصرانية عقيدة ووجدانا ، يعني مفتري هذا البهتان ان صاحب المنار لا غرض له من إنشاء مناره ولا من تفسيره لكتاب الله تعالى إلا هدم دين الاسلام وتحويل المسلمين عنه إما الى النصرانية وإما الى المادية ، وان ما اشتهر به في العالم الاسلامي بل في العالم كله حتى مستشرقي الافرنج ووزارات أوربة الخارجية والاستعمارية المشتركة فيه من انه داعية الاسلام والمحامي عنه في هذا العصر ، والذي استطاع أن ينزهه عن البدع والخرافات ويوفق بينه وبين أعلى ما وصل اليه البشر من الارتقاء في العلم والعمران — فهو اشتهار بالباطل ، لان هذا المحرر في مجلة الازهر وهو من هيئة كبار علمائه الرسمية قد علم من حقيقة هذا الرجل وفهم

من مجلته وتفسيره مالم يعلمه ولم يفهمه أحد. كلا انه ظن أنه يقدر على هدم منار الاسلام بمقالة أو مقالات في مجلة مشيخة الازهر انتقاما لنفسه ولها، وما هو بهادم الا لنفسه ولها ، فقد كانت بما يسخمها به من تأييد البدع والخرافات ثم بهذه الشتائم والمفتريات فضيحة للازهر الذي يريد الاعتزاز باسمه وبمشيخته الرسمية !!

ظهر مقاله في الجزء الذي صدر في غرة جمادي الاولى وكان هذا الجزء من المنار قد حرر ليصدر في سلخ ربيع الآخر و طبع اكثره فأخرته ليصدر في سلخ جمادى الاولى فأرى في أثناء الشهر مايكون من أمر هذا الحدث الجديد في مشيخة الازهر

أما كاتب المقال فقد سبق له مثل هذا التصدي للتعدي منذ ١٦ سنة فلم أكترث له، ولا رأيته أهلا للرد عليه ، فهو غير كفؤ للمبارزة بعلم ولا أدب ولا بصدق في القول ولا أمانة في النقل ولا اخلاص في النية. وأما مشيخة الازهر فهي كفؤ لمنازلة المنار، بغير هذا الفارس العاجز المغوار، ولا يشعر صاحبه بأقل ضعف عن هذه المنازلة في حدود العلم والدين وآدابه، ولكنه في منتهى الضعف والعجز عن كتابة جملة واحدة من أمثال هذا المقال الذي افتتحت الحرب به، وله إذا ولاها الدبر ، أسوة بجده علي أمير المؤمنين حين تولى عن عمرو، على انه رأى وجوب التروي في النضال العلمي حتى يعلم تعمد المشيخة له

بدأت بكتابة مقال في الدفاع عن حقي وحق القراء الذين اطلعوا على الطعن علي في تلك المجلة ليعلموا ماعندي من الدلائل على تفنيد الافتراء عليّ ، والقول الحق في التهم التي نسبت إلي ، وأرسلت المقال إلى رئيس تحرير المجلة ، ولزيادة التحري سألت صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية عن هذا الحدث الجديد لثقتي بعلمه وصدقه وإخلاصه على قلة الجامعين لهذه الفضائل الثلاث. سألته بالمسرة (التلفون) هل رأيت الجزء الجديد من مجلة المشيخة ؟ قال لا ، قلت انظره فان فيه كيت وزيت ، ثم علمت انه قرأ المقال فتفظعه ، ففزع به إلى شيخ الازهر فأفزعه ، بموافقته إياه على استنكاره، ووجوب تلافيه بالسعي إلى الصلح بين الطاعن والمطعون، والاتفاق بين الغابن والمغبون ، فبادر المفتي إلى هذا السعي الحميد الموافق لطبعه، وكاشفني بذلك بالمراسلة فالمكالمة بالمسرة فزيارتي للمشافهة بذلك في دار المنار ، وأكد لي خبر استياء الاستاذ الاكبر كاستيائه مما حصل ورغبته في الصلح ، واعطاني

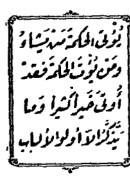
الحق في الدفاع عن نفسي في مجلة نور الاسلام على الوجه الذي ارتضيته لنفسي من نفسي وهو اجتناب الطعن الشخصي في كاتب المقال بمثل طعنه علي ولا بما هو دونه، وذلك بان أذكر التهم التي اتهمني بها وأرد عليها ، واقترح أيضا أن أنقح مقدمة المقالة التي أرسلتها إلى المجلة فوعدته بذلك ، وقال انه هو والاستاذ الأكبر يكفلان إرضاء الطاعن بالصلح، وحمله على كتابة شيء يرضيني . قلت ان ذلك خير له ولمشيخة الازهر ومجلتها، وهو لا يهمني

أرسلت مقالة الرد إلى رئيس تحرير المجلة المذكورة في ١٤ جمادي الاولى وتلاه السعي إلى الصلح إلى أن دخل الشهر الذي بعده وقد صدرت في غرته المجلة وفيها مقالة أخرى في الطعن على صاحب المنار ، وقد كثرت في هذا الشهر مكاتبة الناس إياي بوجوب الرد على هذه المجلة وجاءتني مكتوبات في ذلك من مصر ومن الحجاز بعضها في الرد وبعضها في انتظار الرد مني ، وأنشأ بعض العلماء يردون عليها في الجرائد، وأنا لا أزال أنتظر ثمرة سعي الاستاذ المفتي إذ وعدته بالامساك عن النشر فيها إلى أن تظهر لي النتيجة لهذه المقدمات ،وقد تأخر اصدار هذا الجزء الى أن ظهرت نتيجة الصلح بنقض الخصم له يوم عقده وبقيت نتيجة ما يضمره شيخ الازهر من خبيء في المسألة فهي خبأة طلعة وقد شرعت في الرد على مجلتها ، فلينتظر قراء المنار الجزء الآتي

ولي أن أقول الآن ان هذا الطعان الشيخ يوسف الدجوي لجدير بلقب صديقه وإمامه المرجوم الشيخ يوسف النبهاني ،ولكن النبهاني كان يفوقه في الادب ،وهذا يفوقه في السباب والمراء والجدل،فهو من الذين قال فيهم الاستاذ الامام انهم يتعلمون كتباً لا علماً ، وانه لم يبق عندهم «إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور »وهو لم يحذق شيئا من تلك الكتب التي حذقها كثيرون منهم ولكنه حذق شيئاً آخر ما أسف اليه أحد منهم فيما نعلم وهو ما يجد الناس نموذجه في مقالاته الدالة على انه ليس له أدنى حظ من العلوم التي يجادلنا في مسائلها وهي التوحيد والتفسير والحديث والبدع والسنن ،وكأني بقارئ بهاتنه يتلو قول الله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

جمادى الآخرة ١٣٥١ برج العقرب سنة ١٣١١ هـ ش أكتوبر سنة ١٩٣٢ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

المقصد الثالث من مقاصد القرآن

﴿ بيان أن الاسلام دين الفطرة السليمة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة ، والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال ﴾

قد أتى على البشر حين من الدهر لا يعرفون من الدين إلا أنه تعاليم خارجة عن محيط العقل كلف البشر بها[1] مقاومة فطرتهم ، وتعذيب أنفسهم ، ومكابرة عقولهم وبصائرهم ، خضوعا للرؤساء الذين يلقنونهم إياها ، فان انقادوا لسيطرتهم

(١) الظرف متعلق بالمصدر الذي بعده وفعل التكليف يتعدى بنفسه وعلماء الاصول والفقه يعدونه بالباء.

عليهم بها كانوا من الفائزين ، وإن خالفوهم سراً أو جهراً كانوا من الهالكين حتى إذا بعث الله محمداً خاتم النبيين، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم مما كانوا فيه من الضلال المبين — بين لهم ان دين الله الاسلام هو دين الفطرة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة ،والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال ، وان لاسيطرة على روح الانسان وعقله وضميره لأحد من خلق الله ، وإنما رسل الله هداة مرشدون ، مبشرون ومنذرون ، كما تقدم بيانه في المقصد الذي قبل هذا ،ونبين هذه المزايا بالشواهد المختصرة فنقول :

(١) الاسلام دين الفطرة

قال الله تعالى (٣٠: ٣٠ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ـ ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) الحنيف صفة من الحنف (بالتحريك) وهو الميل عن العوج إلى الاستقامة ، وعن الضلالة إلى الهدى ، وعن الباطل إلى الحق ، ويقابله الزيغ وهو الميل من الحق الى الباطل الخ وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي الجبلة الانسانية ، الجامعة بين الحياتين: الجسمانية الحيوانية ،والروحانية الملكية، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب ، وما أودع فيها من غريزة الدين المطلق الذي هو الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق قوى الكون والسنن والاسباب التى قام بهما نظام كل شيء في العالم ، فرب هذا السلطان هو فاطر السموات والارض وما فيهما ، والمصدر الذاتي للنفع والضر المحركين لشعور التعبد الفطري ، وطلب العرفان الغيبي ، فالعبادة الفطرية هي التوجه الوجداني إلى هذا الرب الغيبي في كل ما يعجز الانسان عنه من نفع يحتاج اليه ويعجز عنه بكسبه ، ودفع ضر يمسه أو يخافه ويرى أنه يعجز عن دفعه بحوله وقوته ، وفي كل ما تشعر فطرته باستعدادها لمعرفته والوصول اليه مما لانهاية له. وأعني بالانسان جنسه فما يعجز عنه المرء بنفسه دون أبناء جنسه فانه يعده من مقدوره ، ويعد مساعدة غيره له من جنس كسبه، فطلبه المساعدة من أمثاله ليس فيها معنى التعبد عند أحد من البشر — فتعظيم الفقير للغني بوسائل استجدائه ،

وخضوع الضعيف للقوي لاستنجاده واستمداده على أعدائه ؛ وخنوع السوقة للملك أو الامير لخوفه منه أو رجائه — لا يسمى شيء من ذلك عبادة في عرف أمة من الامم ولا ملة من الملل ، وإنما روح العبادة الفطرية ومخها هو دعاء ذي السلطان العلوي والقدرة الغيبية التي هي فوق ما يعرفه الانسان ويعقله في عالم الاسباب ، ولا سيما الدعاء عند العجز والشدائد قال ﷺ « الدعاء هو العبادة » [1] هكذا بصيغة الحصر أي هو الركن المعنوي الاعظم فيها لانه روحها المفسر برواية « الدعاء مخ العبادة » [2] وكل تعظيم وتقرب قولي أو عملي لصاحب هذه القدرة والسلطان فهو عبادة له — هذا أصل دين الفطرة الغريزي في البشر

وعلى هذا الاصل يبني الدين التعليمي التشريعي الذي هو وضع إلهي يوحيه الله الى رسله لئلا يضل عباده بضعف اجتهادهم واختلافهم في العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل ، ولا يقبله البشر بالاذعان والوازع النفسي إلا إذا كان الملقن لهم إياه مؤيداً في تبليغه وتعليمه من صاحب ذلك السلطان الغيبي الأعلى والتصرف الذاتي المطلق في العالم الذي تخضع له الاسباب والسنن فيه وهو لا يخضع لها ، وهو الله رب العالمين ، وقد شرحنا هذه الحقيقة مراراً وبينا في مواضع من التفسير والمنار معنى كون الاسلام دين الفطرة ، وانه شرع لتكميل استعداد البشر للرقي في العلم والحكمة ، ومعرفة الله عز وجل التي هي أعلاها وأكملها ، فليس فيه شيء يصادمها

فهذا الدين التعليمي حاجة من حاج الفطرة البشرية لا يتم كمالها النوعي بدونه ، فهو لنوع الانسان كالعقل لأفراده كما حققه شيخنا الاستاذ الامام

(٢) الاسلام دين العقل والفكر

تقرأ قاموس الكتاب المقدس فلا تجد فيه كلمة « العقل » ولا ما في معناها من أسماء هذه الغريزة البشرية التي فضل الانسان بها جميع أنواع هذا الجنس الحي كاللب والنهى ، ولا أسماء التفكر والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف العقل ، ولا ان الدين موجه اليه ، وقائم به وعليه . اما ذكر العقل باسمه وأفعاله في

(١) رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن النعمان بن بشير (٢) رواه الترمذي عن انس

القرآن الحكيم فيبلغ زهاء خمسين مرة ، وأما ذكر أولي الالباب ففي بضع عشرة مرة ، وأما كلمة أولي النهى اي العقول فقد جاءت مرة واحدة من آخر سورة طه

أكثر ماذكر فعل العقل في القرآن قد جاء في الكلام على آيات الله وكون المخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها هم العقلاء ، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيئته وحكمته ورحمته ، كقوله تعالى (٢ : ١٦٤ إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ويلي ذلك في الكثرة آيات كتابه التشريعية ووصاياه كقوله في تفصيل الوصايا الجامعة من أواخر سورة الانعام (٦ : ١٥١ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) وكرر قوله (أفلا تعقلون) أكثر من عشر مرار كأمره لرسوله أن يحتج على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده بقوله (١٠ : ١٦ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) وجعل إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله في أهل النار من سورة الملك (٦٧ : ١٠ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وفي معناه قوله تعالى من سورة الاعراف (٧ : ١٧٩ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقوله في سورة الحج (٢٢ : ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الآية

كذلك آيات النظر العقلي والتفكر والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز ، فمن تأملها علم ان أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكر والعقل والتدبر ، وان الغافلين الذين يعيشون كالانعام لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الانفس ولا تصعد بها في معارج الكمال ، بعرفان ذي الجلال والجمال ، ومنها قوله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) وقوله (٣٠ : ٨ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) وقوله في صفات العقلاء أولي الالباب (٣ : ١٩١ ويتفكرون في خلق السموات

والارض) وقوله بعد نفي علم الغيب والتصرف في خزائن الارض عن الرسول ﷺ وحصر وظيفته في اتباع الوحي (٦ : ٧ قل هل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون)

وقد صرح بعض حكماء الغرب، بما لا يختلف فيه عاقلان في الارض، من أن التفكر هو مبدأ ارتقاء البشر، وبقدر جودته يكون تفاضلهم فيه . اه وقد كانت التقاليد الدينية حجرت حرية التفكر واستقلال العقل على البشر حتى جاء الاسلام فأبطل بكتابه هذا الحجر ، وأعتقهم من هذا الرق ، وبعد أن تعلم هذه الحرية امم الغرب من المسلمين عاد هؤلاء المسلمون فحرموها على أنفسهم ، حتى عاد بعضهم يقلدون فيها من أخذوها عن أجدادهم

(٣) الاسلام دين العلم والحكمة

ذكر اسم العلم معرفة ونكرة في عشرات من آيات القرآن الحكيم، وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وهو يطلق على علوم الدين والدنيا بأنواعها فمن العلم المطلق قوله تعالى في وصايا سورة الاسراء (١٧ : ٣٦ ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الراغب : اي لا تحكم بالقيافة والظن . وقال البيضاوي ما ملخصه : ولا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليداً او رجما بالغيب ، واحتج به من منع اتباع الظن. وأجاب عن هذا فيما يتعلق بالعلم العملي - ثم قال: وقيل انه مخصوص بالعقائد » اي لأنها هي التي يشترط في صحتها علم اليقين، ومنه قوله تعالى في علوم البشر المادية (٣٠ : ٦ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٧ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) الخ وقال (١٧ : ٨٥ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

وقال الله تعالى(٢٢ : ٨ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) الظاهر ان المراد بالعلم فيه العلم النظري بدليل مقابلته بالهدى والكتاب المنير وهو هدى الدين. وقال تعالى (٣٠ : ٢٢ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) بكسر اللام! أي علماء الكون وقال بعد ذكر اخراج الثمرات المختلف ألوانها من ماء المطر واختلاف ألوان الطرائق في الجبال وألوان الناس والدواب (٣٥ : ٢٨ انما يخشى الله من عباده العلماء)

الآية فالمراد بالعلماء هنا الذين يعلمون أسرار الكون وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانها وآيات الله وحكمه فيها

عظم القرآن شأن العلم تعظيما لا تعلوه عظمة أخرى بقوله تعالى (٣ : ١٨ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) الآية ، فبدأ عز وجل بنفسه وثنى بملائكته ، وجعل أولي العلم في المرتبة الثالثة . ويدخل فيها الانبياء والحكماء ومن دونهم من أهل الدرجات في قوله (٥٨ : ١١ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وأمر أكرم رسله وأعلمهم بأن يدعوه بقوله (وقل رب زدني علما)

ويؤيد الآيات المنزلة في مدح العلم والحث عليه ماورد في ذم اتباع الظن كقوله تعالى (١٠ : ٣٦ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، ان الظن لا يغني من الحق شيئا) ومثله (٥٣ : ٢٧ وما لهم به علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وقوله في قول النصارى بصلب المسيح (٤ : ١٥٦ ما لهم به من علم الا اتباع الظن)

وبلغ من تعظيمه لشأن العلم والبرهان ان قيد به الحكم بمنع الشرك بالله تعالى والنهي عنه وهو أكبر الكبائر وأقصى الكفر فقال (٧ : ٣٢ قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) السلطان البرهان :

وقال في بر الوالدين الكافرين (٢٩ : ٨ ووصينا الانسان بوالديه حسناً ، وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) ومعلوم من الدين بالضرورة ان الشرك بالله لا يكون بعلم ولا ببرهان ، لانه ضروري البطلان . وترى تفصيل هذا فيما بعده من تعظيم أمر الحجة والدليل وما يليه من ذم التقليد

وأما الحكمة فقد قال تعالى في تعظيم شأنها المطلق (٢ : ٢٦٩ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب) وقال تعالى في بيان مراده من بعثة محمد خاتم النبيين (٦٢ : ٢ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وفي معناها آيتان في سورتي البقرة وآل عمران . وقال لرسوله ممتناً عليه (٤ : ١١٢ وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان

فضل الله عليك عظيما) وقال له (١٦: ١٢٥ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال له في خاتمة الوصايا بأمهات الفضائل والنهي عن كبائر الرذائل، مع بيان عللها وما لها من العواقب (١٧: ٣٩ ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) وقال لنسائه رضي الله عنهن (٣٣: ٣٤ واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)

وقد آتى الله جميع أنبيائه ورسله الحكمة، ولكن أضاعها أقوامهم من بعدهم بالتقاليد والرياسة الدينية ، ونسخها بولس من النصرانية بنص صريح . قال الله تعالى في اليهود (٤: ٥٤ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) فالكتاب أعلى مايؤتيه تعالى لعباده من نعمه ويليه الحكمة ويليها الملك . وقال في نبيه داود عليه السلام (٢: ٢٥١ وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) وقال لنبيه عيسى عليه السلام (٦ : ١١٠ وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) وقال (٣١ : ١٢ ولقد آتينا لقمان الحكمة) وذكر من حكمته وصاياه لابنه بالفضائل ومنافعها ونهيه عن الرذائل معللة بمضارها. فالحكمة أخص من العلم ، هي العلم بالشيء على حقيقته وبمافيه من الفائدة والمنفعة الباعثة على العمل ، فهي بمعنى الفلسفة العملية كعلم النفس والاخلاق وأسرار الخلق، ويدل عليه قوله تعالى بعد وصايا سورة الاسراء (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) ولولا اقتران تلك الوصايا بحكمها وعللها ومنافعها لما سميت حكمة . ألا ترى انه سمى المبذرين للمال « إخوان الشياطين » لانهم يفسدون نظام المعيشة باسرافهم ، ويكفرون النعمة بعدم حفظها ووضعها في مواضعها بالاعتدال ، ولذلك قال عقبه (وكان الشيطان لربه كفوراً) ثم قال (٢٩ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) فعلل الاسراف في الانفاق بأن عاقبة فاعله أن يكون ملوما من الناس ومحسوراً في نفسه ، والمحسور من حسر عنه ستره فانكشف منه المغطى ويطلق على من انحسرت قوته وانكشفت عن عجزه، والمحسور المغموم أيضاً . وكل هذه المعاني تصح في وصف المسرف في النفقة يوقعه إسرافه في العدم والفقر الخ وحسير البصر كليله وقصيره

ويكثر في القرآن ذكر الفقه وهو الفهم الدقيق للحقائق الذي يكون به العالم حكيما

(٤) الاسلام دين الحجة والبرهان

قال تعالى (٤ : ٧٣ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)وقال (٢٣ : ١١٧ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به عند ربه انه لا يفلح الكافرون) قيد الوعيد على الشرك بكونه لا برهان لصاحبه يحتج به عند ربه مع العلم بأنه لا يكون إلا كذلك تعظيما لشأن البرهان، وذلك انه تعالى يبعث الامم مع رسلهم وورثتهم الذين يشهدون عليهم ويطالبهم بحضرتهم بالبرهان على ما خالفوهم فيه كما قال (٢٨ : ٧٥ ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم، فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون)

وأقام البرهان العقلي على بطلان الشرك بقوله بعد ذكر السموات والارض من سورة الانبياء (٢١ : ٢٢ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ..) ثم قفى عليه بمطالبة المشركين بالبرهان على ما اتخذوه من الآلهة من دونه مطالبة تعجيز فقال (٢٤ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) الآية ، ومثله في سورة النمل (٢٧ : ٦٤ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض؟ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

وقال في سياق محاجة ابراهيم لقومه وإقامة البراهين العلمية لهم على بطلان شركهم (٦ : ٨١ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ثم قال في آخره (٨٣ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) فالدرجات هنا درجات الحجة والبرهان العقلي على العلم ولذلك قدم فيه ذكر الحكمة على العلم ، وتقدم في الكلام على العلم آية رفع الدرجات فيه

ومما جاء فيه البرهان بلفظ السلطان قوله تعالى (٤٠ : ٣٥ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا) الآية، وفي معناها من هذه السورة (٥٦ ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) الآية ، وفي عدة سور انه تعالى أرسل موسى إلى فرعون بآياته (وسلطان مبين)

(٥) الاسلام دين القلب والوجدان والضمير

قال الفيومي في المصباح : ضمير الانسان قلبه وباطنه والجمع ضمائر ، وقال والقلب من الفؤاد معروف - يعني انه ضميره ووجدانه الباطن (قال) ويطلق على العقل . اه وقد شرحنا معناه هذا وطرق استعماله في تفسير آية الاعراف (١) وقد ذكر في القرآن الكريم في مائة آية وبضع عشرة آية

منها قوله تعالى في سورة ق (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وقوله في سورة الشعراء (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ومدحه لخليله ابراهيم ﷺ بقوله (إذ جاء ربه بقلب سليم) وقوله حكاية عنه (ولكن ليطمئن قلبي) وقوله في صفة المؤمنين (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقوله في صفات الذين اتبعوا عيسى عليه السلام (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها) ووصف قلوب المؤمنين بالخشوع والاخبات لله وتمحيصها من الشوائب وقلوب الكفار والمنافقين بالرجس والمرض والقسوة والزيغ ، وعبر عن فقدها للاستعداد للحق والخير بالطبع والختم والرين عليها

وإذ كان الاسلام دين العقل والبرهان ، وحرية الضمير والوجدان ، منع ما كان عليه النصارى وغيرهم من الاكراه في الدين والاجبار عليه والفتنة والاضطهاد فيه ، والآيات في ذلك كثيرة بيناها في محالها ، ومن دلائلها ذم القرآن التقليد وتضليل أهله

(٦) منع التقليد والجمود على اتباع الآباء والجدود

كل مانزل من الآيات في مدح العلم وفضله واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان يدل على ذم التقليد ، وقد ورد في ذمه والنعي على أهله آيات كثيرة كقوله (٢:١٧٠ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون) وقوله تعالى (٥:١٠٤ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان

(١) راجع صفحة ٤١٩ من جزء التفسير التاسع

آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون) ذمهم من ناحيتين (إحداهما) الجمود على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل ، وليس هذا من شأن الانسان الحي العاقل فإن الحياة تقتضي النمو والتوليد ، والعقل يطلب المزيد والتجديد (والثانية) انهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، بطريق العقل والعلم ، وطريق الاهتداء في العمل ويؤيده قوله (٧ : ٢٨ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) وقال تعالى في عبادة العرب للملائكة (٤٣ : ٢٠ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ٢١ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ٢٢ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ٢٣ وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وقد وردت الشواهد على هذا في قصة ابراهيم مع قومه في سور الانبياء والشعراء والصافات .

فالقرآن قد جاء يهدي جميع متبعي الملل والاديان السابقة إلى استعمال عقولهم مع ضمائرهم للوصول الى العلم والهدى في الدين ولا يكتفوا بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من ذلك ، فان هذا جناية على الفطرة البشرية والعقل والفكر والقلب التي امتاز بها البشر ، وبهذا العلم والهدى امتاز الاسلام ودخل فيه العقلاء من جميع الامم أفواجاً ، ثم نكس المسلمون على رءوسهم ، واتبعوا سنن من قبلهم من أهل الكتاب وغيرهم في التقليد لآبائهم ومشايخهم المنسوبين إلى بعض أئمة علمائهم ، الذين نهوهم عن التقليد ولم يأمروهم به ، فأبطلوا بذلك حجة الله تعالى على الأمم وصاروا حجة على دينهم ، حتى ان أدعياء العلم الرسمي فيهم ينكرون أشد الانكار على من يدعونهم الى اتباع كتاب الله وهدي رسوله وسيرة السلف الصالح من أهله ، ونحن معهم في بلاء وعناء ، نقاسي منهم ماشاء الجهل والجمود من استهزاء و طعن وبذاء ، وتهكم بلقب « المجتهد » الذي احتكره الجهل لبعض المتقدمين من العلماء

ولو كان فينا علماء كثيرون يظهرون الاسلام في صورته الحقيقية العلمية العقلية لدخل الناس المستقلون في العقل والعلم أفواجا حتى يعم الدنيا . لان التعليم العصري

في جميع مدارس الارض يجرى على طريقة الاستقلال في الفهم واتباع الدليل في جميع بلاد الافرنج والبلاد المقلدة لهم. ولكن أكثر هؤلاء يرون جميع الاديان تقليدية ويعدونها نظما أدبية واجتماعية للأمم، فلهذا يرون الاولى بحفظ نظامهم اتباع دينهم التقليدي ، وبهذا يعسر علينا أن نقنعهم بامتياز الاسلام على دينهم ، لانه يقل فينا من يقدر على إظهار الاسلام في صورته التي خصه بها القرآن، وما بينه من سنة خاتم النبيين ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين والسلف الصالحين، رضوان الله عليهم أجمعين

دحض شبهة ، وإقامة حجة

يتوهم بعض المقلدين ان دعوة المسلمين إلى الاهتداء بالكتاب والسنة والاستقلال في فهمها التي اشتهر المنار في عصرنا بها هي التي جرأت بعض الجاهلين على دعوى الاجتهاد في الشريعة والاستغناء عن تقليد الائمة والانتقاد عليهم وعلى اتباعهم بما هو ابتداع جديد ، واستبدال للفوضى بالتقليد. وهو وهم سببه الجهل بالدين وبالتاريخ ، فمذاهب الابتداع والالحاد قديمة ، قد نجمت قرونها في خير القرون وعهد أكبر الأئمة، وكان أشدها إفسادا للدين الدعوة الى اتباع الأئمة المعصومين، الذين لا يسئلون عن الدليل ، على خلاف ما كان عليه أئمة السنة من تحريم اتباع أحد لذاته في الدين بعد محمد المعصوم الذي لا معصوم بعده ﷺ . ولكن المقلدين لهؤلاء المحرمين للتقليد قد اتبعوا القائلين بعصمة أئمتهم حتى ملاحدة الباطنية فهم يردون نصوص الكتاب والسنة بأقوال أئمتهم بل بأقوال كل من ينتمي اليهم من أدعياء العلم . وانما تروج البدع في سوق التقليد الذي يتبع أهله كل ناعق، لا في سوق الاستقلال والأخذ بالدلائل - ومن باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين لانتساب جميع الدجالين من أهل الطرائق وغيرهم إلى أئمة المذاهب المجتهدين، وهم في دعوى اتباعهم من الكاذبين، ونحن دعاة العلم الصحيح والاهتداء بالكتاب والسنة أحق منهم باتباع الائمة

ان في كتب التفسير والفقه والتصوف وشروح الاحاديث للعلماء المنسوبين إلى الائمة كثيراً من البدع والخرافات التي يتبرأ منها أئمة الهدى، وترى علماء الرسوم الجامدين يحتجون بذكرها في هذه الكتب على شرعيتها وعلى رد نصوص الكتاب والسنة

الصحيحة بها، والمنار قد انفرد دون علماء مصر وغيرها بالرد على هؤلاء وعلى البابية والبهائية والقاديانية والتيجانية والقبوريين وسائر مبتدعة عصرنا، ولله الحمد والمنة

(٧) الحرية الشخصية في الدين بمنع الاكراه والاضطهاد ورياسة السيطرة

هذه المزية من مزايا الاسلام هي نتيجة المزايا التي بينا بها كونه دين الفطرة فأما منع الاكراه فيه وعليه فالاصل فيه قوله تعالى لرسوله ﷺ بمكة (١٠: ٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ ١٠٠ وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ١٠١ قل انظروا ماذا في السموات والارض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) علم الله تعالى رسوله بهذه الآيات أن من سننه في البشر أن تختلف عقولهم وأفكارهم في فهم الدين وتتفاوت أنظارهم في الآيات الدالة عليه فيؤمن بعض ويكفر بعض، فما كان يتمناه ﷺ من إيمان جميع الناس مخالف لمقتضى مشيئته تعالى في اختلاف استمداد الناس للايمان وهو منوط باستعمال عقولهم وأنظارهم في آيات الله في خلقه، والتمييز بين هداية الدين وضلالة الكفر

ثم قوله تعالى له عند ما أراد أصحابه أخذ من كان عند بني النضير من أولادهم عند إجلائهم عن الحجاز وكان قد تهود بعضهم (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) الآية — فأمرهم ﷺ أن يخيروهم فمن اختار اليهودية أجلي مع اليهود ولا يكره على الاسلام، ومن اختار الاسلام بقي مع المسلمين

وأما منع الفتنة وهي اضطهاد الناس لاجل دينهم حتى يتركوه فهو السبب الاول لشرعية القتال في الاسلام كما بيناه في تفسير قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) من سورة البقرة. وتفسير آية ٣٩ من سورة الانفال فراجع تفسير هذه الآية في ص ٦٦٥ ج ٩ تفسير

وأما منع رياسة السيطرة الدينية كالمعهودة عند النصارى ففيها آيات مبينة في القرآن، وهي معلومة بالضرورة من سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وقد بيناها في الكلام على وظائف الرسل عليهم السلام، وحسبك منها قوله عز وجل لرسوله ﷺ خاتم النبيين (ص) (٨٨: ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر)

المقصد الرابع من مقاصد القرآن

(الاصلاح الاجتماعي الانساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان)

وحدة الامة ــ وحدة الجنس البشري ــ وحدة الدين ــ وحدة التشريع بالمساواة في العدل ــ وحدة الاخوة الروحية والمساواة في التعبد ــ وحدة الجنسية السياسية الدولية ــ وحدة القضاء ــ وحدة اللغة

جاء الاسلام والبشر أجناس متفرقون، يتعادون في الانساب والالوان، واللغات والاوطان والاديان، والمذاهب والمشارب، والشعوب والقبائل، والحكومات والسياسات، يقاتل كل فريق منهم مخالفه في شيء من هذه الروابط البشرية وإن وافقه في البعض الآخر، فصاح الاسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها إلى الوحدة الانسانية العامة الجامعة وفرضها عليهم، ونهاهم عن التفرق والتعادى وحرمه عليهم، وبيان هذا التفرق ومضاره بالشواهد التاريخية، وبيان أصول الكتاب الالهي وسنة خاتم النبيين في الجامعة الانسانية، لا يمكن بسطها إلا بمصنف كبير، فنكتفي في هذه الخلاصة الاستطرادية في اثبات الوحي المحمدي، بسرد الاصول الجامعة في هذا الاصلاح الانساني الداعي إلى جعل الناس ملة واحدة، ودين واحد، وشرع واحد، وحكم واحد، ولسان واحد، كما ان جنسهم واحد، وربهم واحد

ونبدأ بالإصل الجامع في هذا ونقفي عليه بالاصول والشواهد المفصلة له

﴿ الاصل الاول للجامعة الاسلامية الانسانية وحدة الامة ﴾

قال الله تعالى في سورة الانبياء مخاطبا أمة الاسلام (٢١ : ٩٢ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

ثم بين لها في سورة المؤمنين أنه خاطب جميع النبيين بهذه الوحدة للامة فقال (٢٣ : ٥١ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم (٥٢) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) ولكن كان لكل نبي أمة من الناس هم قومه، وأما خاتم النبيين فأمته جميع الناس، وقد فرض الله عليهم الايمان بجميع

رسله وعدم التفرقة بينهم كما تقدم ، فالايمان بخاتمهم كالايمان بأولهم وبمن بينهما ؛ فمثلهم كمثل الملوك أو الولاة في الدولة الواحدة ، ومثل اختلاف شرائعهم بنسخ المتأخر منها لما قبله كمثل تعديل القوانين في الدولة الواحدة أيضاً

(الاصل الثاني) الوحدة الانسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده العام قوله تعالى (٤٩: ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقد بلغ النبي ذلك للامة يوم العيد الاكبر بمنى في حجة الوداع . وهذه الوحدة تتضمن الدعوة الى التآلف بالتعارف ، والى ترك التعادي بالتخالف .

(الاصل الثالث) وحدة الدين باتباع رسول واحد جاء باصول الدين الفطري الذى جاء به غيره من الرسل وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر ، وشاهده الاعم قوله تعالى (٧: ١٦٨ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا)ولما كان الاسلام دين الفطرة وحرية الاعتقاد والوجدان جعل الدين اختياريا بقوله تعالى (٢ :٢٥٦ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

(الاصل الرابع) وحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الاسلام في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والملك والسوقة والغني والفقير ، والقوى والضعيف وسنذكر بعض شواهده في إصلاح التشريع فيه

(الاصل الخامس) المساواة بين المؤمنين بهذا الدين في اخوته الروحية وعباداته وفي الاجتماعي منها كالصلاة ومناسك الحج ، فملوك المسلمين وأمراؤهم وكبار علمائهم يختلطون بالفقراء والعوام في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج ، ولا تجد شعوب الافرنج المنتسبين إلى النصرانية يرضون بمثل هذه المساواة المعلومة من دين الاسلام بالضرورة للعمل بها من أول الاسلام الى اليوم قال تعالى (٤٩: ١٠ انما المؤمنون إخوة) وقال في سياق الكلام عن المشركين المحاربين(٩: ١١ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

(الاصل السادس) وحدة الجنسية السياسية الدولية بان تكون جميع البلاد الخاضعة للحكم الاسلامي متساوية في الحقوق العامة إلا حق الاقامة في جزيرة العرب أو الحجاز فانه خاص بالمسلمين لان للحرمين وسياجهما من الجزيرة حكم المعابد والمساجد ، وحكم الاسلام في معابد الملل كلها أنها خاصة بأهلها ولها حرمتها لايجوز لغير أهلها دخولها بغير إذن منهم، المسلمون وغيرهم في هذا سواء

(الاصل السابع) وحدة القضاء واستقلاله ومساواة الناس فيها أمام الشريعة العادلة إلا انه يستثنى منه الاحكام الشخصية الدينية فان الاسلام يراعي فيها حرية العقيدة والوجدان بناء على أساسه في ذلك . فهو يسمح لغير المسلمين في أمور الزوجية ونحوها أن يتحاكموا إلى علماء ملتهم ، واذا تحاكموا الينا فاننا نحكم بينهم بعدل شريعتنا الناسخة لشرائعهم، والاصل فيه قوله تعالى (٥: ٤٢ فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) وقوله بعد آيات (٤٩ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)

(الاصل الثامن) وحدة اللغة ولا يمكن أن يتم الاتحاد والاخاء بين الناس وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة . وما زال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة يتعاونون بها على التعارف والتآلف ومناهج التعليم والآداب والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدنيوية ، وهذه الامنية قد حققها الاسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة لجميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته ، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم الى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله لفهمهما والتعبد بهما والاتحاد باخوتهم فيهما، وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولذلك كرر في القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا وكرر الامر بتدبره والتفقه فيه والاتعاظ والتأدب به ، وأما غير المؤمنين فيتعلمون لغة الشرع الذي يخضعون لحكمه ، والحكومة التي يتبعونها لمصالحهم الدنيوية كما هي عادة البشر في ذلك ، وكذلك كان الامر في الفتوحات الاسلامية العربية كلها

وقد بينت من قبل وجوب تعلم اللغة العربية في دين الاسلام وكونه مجمعا

عليه بين المسلمين كما قرره الامام الشافعي (رض) في رسالته وقد جري عليه العمل في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ثم خلفاء الامويين والعباسيين الى أن كثر الاعاجم وقل العلم وغلب الجهل فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه في العبادات من القرآن والاذكار (فراجع ذلك في ص ٣١٠ من جزء التفسير التاسع)

ولقد كان النبي ﷺ ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم وجعلهم أمة واحدة كالجسد الواحد كما شبههم بقوله « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه الامام أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير (رض) وكان يخص بمقته وإنكاره التفرق في الجنس النسبي أو اللغة، أما الاول فمشهور وأما الثاني فيجمعه مع الاول الشاهد الآتي

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ (يعني هذا المنافق بالرجل النبي ﷺ وان الاوس والخزرج من قومه العرب ينصرونه لانهم من قومه ، فما الذي يدعو الفارسي والرومي والحبشي إلى نصره ؟)

فقام اليه معاذ بن جبل (رض) فأخذ بتلبيبه (أي بما على لببه ونحره من الثياب) ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بمقالته ، فقام النبي ﷺ مغضباً يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي : ان الصلاة جامعة — وقال ﷺ

« يا أيها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» فقام معاذ ، فقال فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال «دعه إلى النار » فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل

أرأيت لو ظل المسلمون على هذه التربية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ما وقع وأدى بهم إلى هذا الضعف العام ؟ أرأيت لو حافظوا على هذه الاخوة الاسلامية أكانت هذه الفئة من ملاحدة الترك

تجد سبيلا لاجتثاث هذه الدوحة الباسقة من جنة حكم الاسلام ، وامتلاخ هذا السيف الصارم من غمده ، والحيلولة بينه وبين كتاب الله المعصوم المنزل من عند الله باللغة العربية ، وسنة رسوله المصلح لشعوب البشر وهي بالعربية ، لاجل تكوين هذا الشعب وما أدغم ويدغم فيه من الشعوب تكوينا جديداً ، برابطة لغة تخلق خلقا جديداً ، لاجل أن يلحق بالشعوب الاوربية دعيا ، كما يلصق الولد بغير أبيه إلصاقاً فرياً ، فيقال ان رجلا عظيما جدد أو أوجد شعبا ولغة ودولة ودينا ؟ هيهات هيهات لما يبغون

لقد كان هذا الشعب (الترك) قائما باسم الاسلام على رياسة روحية يدين لها أو بها زهاء اربعمائة مليون من البشر ، ولو أوتي من العلم والحكمة ما يحسن به القيامة ، ومن الحزم والعزم ما يعزز به القيادة ، ومن النظام ما يحكم به السياسة ، لأمكنه أن يسوس بها الشرق ، ثم يسود بنفوذها الغرب ، كما كان يقصد نابليون الكبير لو تم له البقاء في مصر

يعترض بعض أولي النظر القصير والبصر الكليل على توحيد اللغة في الشعوب المختلفة بأنه خلاف طبيعة البشر ، ويرد عليهم بان توحيد الدين أبعد من توحيد اللغة عن طبيعة البشر ، ان اريد بالبشر جميع أفرادهم ، وان الحكماء مازالوا يسعون لجمع البشر على لغة واحدة مشتركة مع علمهم أن ترقى بعض اللغات بترقي أهلها في العلوم والفنون والسياسة والقوة يستحيل معه أن يرغبوا عنها إلى غيرها ، ولم يسع أحد منهم لجمعهم على دين واحد ، وان القرآن الذي شرع توحيد الدين مع شرعه ولغته لجميع البشر قد علمنا أن حكمة الله تعالى في خلق الانسان تأبى أن يكون الناس كلهم أمة واحدة تدين بدين واحد (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ١١ : ١١٨) وإنما دعاهم إلى هذه الرحمة ليقل الشقاء الذي يثيره الخلاف فيهم — هذا الخلاف الذي جعل أعلم شعوب الارض وأرقاهم في العمران يبذلون في هذا العهد أكثر ماتستغله شعوبهم من ثروة العالم في سبيل الحروب التي تنذر عمرانهم الخراب والدمار

دعا الاسلام البشر كلهم إلى دين واحد يتضمن توحيد اللغة وغيرها من مقومات الامم فكانوا يدخلون فيه أفواجا حتى امتد في قرن واحد ما بين المحيط الغربي إلى الهند ولولا ما طرأ عليه من الابتداع ، وعلى حكوماته من الظلم والاستبداد ، وعلى شعوبه

من الجهل والفساد ، والتفرق بالاختلاف، لدخل فيه أكثر البشر ، ولصارت لغته لغة لكل من دخل في حظيرته من الامم ، فمن غرائزهم اختيار الافضل إذا عرفوه

قال أحد كبار علماء الالمان في الاستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة : انه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا (برلين) قيل له لماذا؟ قال لانه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب ، ولولا ذلك لعم الاسلام العالم كله ولكنا نحن الالمان وسائر شعوب أوربة عربا مسلمين

المقصد الخامس من مقاصد القرآن

(تقرير مزايا الاسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات)

(ونلخص اهمها بالاجمال في عشر جمل)

(١) كونه وسطا جامعا لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة قال تعالى (٢: ١٤٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) الآية وقد بينا في تفسيرها ان المسلمين وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية كاليهود، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية ، وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالهندوس والنصارى وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم

(٢) كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بتزكية النفس بالايمان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح ومكارم الاخلاق، ومحاسن الاعمال، لا بمجرد الاعتقاد والاتكال، ولا بالشفاعات وخوارق العادات، وتقدم بيانه

(٣) كون الغرض منه التعارف والتأليف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف وتقدمت شواهده في كونه عاما مكملا ومتمما لدين الله على ألسنة رسله في الكلام على آية القرآن وعموم بعثة محمد ﷺ وفي الكلام على الرسل من المقصد الثاني . وإنما تفصيل أصوله في تلك الوحدات الثمان التي بيناها في المقصد الرابع

(٤) كونه يسراً لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إعنات ، قال الله

عز وجل(٢: ٢٨٦ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقال بلغت حكمته (٢: ٢٢٠ ولو شاء الله لأعنتكم) وقال عظمت رأفته (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال جلت منته (٢٢: ٢٧ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج) وقال عمت رحمته (٥: ٧ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج).

ومن فروع هذا الاصل ان الواجب الذي يشق على المكلف أداؤه ويحرجه يسقط عنه إلى بدل أو مطلقا كالمريض الذي يرجى برؤه والذي لا يرجى برؤه ومثله الشيخ الهرم — الاول يسقط عنه الصيام ويقضيه كالمسافر، والثاني لا يقضي بل يكفر باطعام مسكين إذا قدر . وأما المحرم فيباح للضرورة بنص القرآن ، وإن كان تحريمه أو النهي عنه لسد ذريعة الفساد فيباح للحاجة كما بيناه في تفسير آيات الربا و آيات الصيام ، وآية محرمات الطعام

وقد بينا مسألة يسر الاسلام العام بالتفصيل في تفسير (٥: ١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من الجزء السابع وجمع في رسالة خاصة.

(٥) منع الغلو في الدين وإبطال جعله تعذيباً للنفس بإباحة الطيبات والزينة بدون إسراف ولا كبرياء وقد فصلنا ذلك في تفسير الآيات الواردة في الأمر بالأكل من الطيبات في سورة البقرة وسورة المائدة وفي تفسير (٧: ٣١ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ٣٢ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم) وهو في (٥ : ١٧١) و (٦ : ٧٧) وفي هذا النهي اعتبار للمسلمين لأنهم أولى بالانتهاء عن الغلو بأن دينهم دين الرحمة واليسر : والاحاديث الصحيحة في نهي المسلمين عن الغلو في العبادة وعن ترك الطيبات وعن الرهبانية والخصاء مبينة لهذه الآيات وهي مصداق تسمية النبي ﷺ له بالحنيفية السمحة

(٦) قلة تكاليفه وسهولة فهمها وقد كان الاعرابي يجيء النبي ﷺ من البادية فيسلم فيعلمه ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول «أفلح

الاعرابي إن صدق» ولكن الفقهاء أكثروا التكاليف بآرائهم الاجتهادية حتى صار العلم بها متعسراً ، والعمل بها متعذراً

(٧) انقسام التكليف إلى عزائم ورخص ، وكان ابن عباس يرجح جانب الرخص وابن عمر يرجح العزائم . والناس درجات في التقصير والتشمير والاعتدال ، فيوافق البدوي الساذج والفيلسوف الحكيم وما بينهما من الطبقات ، قال الله تعالى (٣٥:٢٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا : فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)

(٨) نصوص الكتاب وهدي السنة مراعى فيهما درجات البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، فالقطعي منها هو العام ، وغير القطعي تتفاوت فيه الافهام ، فيأخذ كل أحد منه بما أداه اليه اجتهاده ، ولذلك كان ﷺ يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده كما فعل عند ما نزلت آية البقرة في الخمر والميسر الدالة على تحريمها دلالة ظنية فتركهما بعضهم دون بعض، وأقر كلا على اجتهاده إلى أن نزلت آيتا المائدة بالتحريم القطعي . قال تعالى (٢٩: ٤٣ وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وبيان ذلك أن الفرائض الدينية العامة فيه والمحرمات الدينية العامة لا يثبتان إلا بنص قطعي يفهمه كل أحد ، والاول مذهب الحنفية وأما الثاني وهو التحريم فهو مذهب جمهور السلف أيضاً ، وأما الآيات الظنية الدلالة والاحاديث الآحادية الظنية الرواية أو الدلالة فهي موكولة إلى اجتهاد من تثبت عنده في العبادات والاعمال الشخصية ، وإلى اجتهاد أولي الامر في الاحكام القضائية والمسائل السياسية. وقد بينا هذا في مواضع من التفسير والمنار

(٩) معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى الله تعالى فليس لاحد من الحكام ولا الرؤساء الرسميين ولا لخليفة المسلمين أن يعاقب أحداً ولا أن يحاسبه على ما يعتقد أو يضمر في قلبه وانما العقوبات على المخالفات العملية للأحكام العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم ، وقد فصلنا هذا في خلاصة تفسير سورة براءة ــ التوبة

(١٠) مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي ﷺ في الظاهر فليس لاحد فيها رأي شخصي ولا رياسة، ومدارها في الباطن على الاخلاص لله تعالى وصحة النية، والآيات والاحاديث في الامرين كثيرة

المقصد السادس من مقاصد القرآن

(بيان حكم الاسلام السياسي الدولي : نوعه وأساسه وأصوله العامة)

الاسلام دين هداية وسيادة وسياسة وحكم لان ما جاء به من إصلاح البشر في جميع شؤونهم الدينية ومصالحهم الاجتماعية والقضائية يتوقف على السيادة والقوة والحكم بالعدل ، وإقامة الحق ، والاستعداد لحماية الدين والدولة، وفيه أصول وقواعد

(القاعدة الاساسية الاولى للحكم الاسلامي)

الحكم في الاسلام للامة ، وشكله شوري، ورئيسه (الامام الاعظم أو الخليفة) منفذ لشرعه، والامة هي التي تملك نصبه وعزله ، قال الله تعالى في صفات المؤمنين (٣٨:٤٢ وأمرهم شورى بينهم) وقال لرسوله ﷺ (١٥٩:٣ وشاورهم في الامر) وكان ﷺ يشاور أصحابه في المصالح العامة من سياسية وحربية ومالية مما لا نص فيه في كتاب الله تعالى وقد بينت في تفسيرها حكمة ترك الشورى لاجتهاد الامة(١)

وقال تعالى (٥٨:٤ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وأولوا الامر هم أهل الحل والعقد والرأي الحصيف في مصالحها الذين تثق بهم الامة وتتبعهم فيما يقررونه بدليل قوله تعالى بعد تلك الآية من سورتها (٨٣ وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به . ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأولو الامر الذين كانوا مع الرسول وكان الامر يرد اليه واليهم في الشؤون العامة للأمة من الامن والخوف وغيرهما هم الذين كان ﷺ يستشيرهم في الامور الدقيقة والسرية المهمة . وكان يستشير جمهور المسلمين فيما لهم به علاقة عامة ويعمل برأي الاكثر وإن خالف رأيه كاستشارتهم في غزوة أحد في أحد الامرين : الحصار في المدينة أو

(١) راجع ص١٩٩ جزء رابع تفسير

الخروج إلى أحد للقاء المشركين فيه . وكان رأيه ورأي بعض كبار الامة الاول ورأي الجمهور الثاني فنفذ رأي الاكثر، ولكنه استشار في مسألة أسرى بدر خواص أولي الامر وعمل برأي أبي بكر ، كما فصلناه في تفسير سورة الانفال

وقد بينت في تفسير الآية الاولى (٥٨:٥) ماتدل عليه من قواعد الحكم الاسلامي وكونه أفضل من الحكم النيابي الذي عليه دول هذا العصر (١)

ومن الدلائل الكثيرة على أن التشريع القضائي والسياسي هو حق الامة المعبر عنها في الحديث بالجماعة أن القرآن يخاطب بهما جماعة المؤمنين في هاتين الآيتين الخاصتين بالحكم العام والدولة وفي سائر الاحكام العامة كقوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) وما يليها من الآيات المتعلقة بالمعاهدات والحرب والصلح ،وما في معناها من سورة الانفال والبقرة وآل عمران ومثل قوله تعالى (٩:٤٩ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) وكذلك خطابه لهم في أحكام الاموال كالغنائم وتخميسها وقسمتها وأحكام النساء وغيرها (وقد بينا هذا كله في مواضعه من التفسير)

وقد صرح كبار النظار من علماء الاصول بان السلطة في الاسلام للأمة يتولاها أهل الحل والعقد الذين ينصبون عليها الخلفاء والأئمة ويعزلونهم اذا اقتضت المصلحة عزلهم ، قال الامام الرازي في تزييف الخلافة : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص. وقال في القيد الاخير (الذي زاده على من قبله) هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لفسقه . قال العلامة السعد التفتازاني في شرح المقاصد عند ذكر هذا التعريف وما علل به القيد الاخير: وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اه وقد فصلنا مسألة سلطة الامة في كتابنا (الخلافة أو الامامة العظمى)

فهذه القاعدة الاساسية لدولة الاسلام أعظم إصلاح سياسي للبشر قررها

(١) راجع ص ١٨٠-٢٢٢ ج٥ تفسير

القرآن في عصر كانت فيه جميع الامم مرهقة بحكومات استبدادية استعبدتها في أمور دينها ودنياها ، وكان أولَّ منفذ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يقطع بأمر من أمور السياسة والادارة العامة للأمة إلا باستشارة أهل الرأي والمكانة في الامة ، ليكون قدوة لمن بعده

وثم جرى على ذلك الخلفاء الراشدون فقال الخليفة الاول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في أول خطبة خطبها على منبر رسول الله ﷺ عقب مبايعته: أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فاذا استقمت فأعينوني ، واذا زغت فقوموني . وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) من رأى منكم في عوجا فليقوّمه . فقال له اعرابي لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا ، فقال الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه . وكان يجمع أهل العلم والرأي من الصحابة ويستشيرهم في كل مسألة ليس فيها نص من كتاب الله ولا سنة أو قضاء من رسوله ﷺ وقال الثالث عثمان (رض) أمري لأمركم تبع . وكذلك كان عمل الخليفة الرابع علي المرتضى رضي الله عنه وكرم وجهه ولا أذكر له كلمة مختصرة مثل هذه الكلمات على المنبر .

وإذا أوجب الله المشاورة على رسوله فغيره أولى ، ولا يصح أن يكون حكم الاسلام ادنى من حكم ملكة سبأ العربية فقد كانت مقيدة بالشورى ، ووجد ذلك في أمم أخرى ، وان جهل ذلك من جهله من الفقهاء

ولكن ملوك المسلمين زاغوا بعد ذلك عن هذا الصراط المستقيم إلا قليلا منهم ، وشايعهم علماء الرسوم المنافقون ، وخطباء الفتنة الجاهلون ، حتى صار المسلمون يجهلون هذه القاعدة الاساسية لحكومة دينهم ، وكان من حسن حظ الافرنج في حربهم الصليبية أن كان سلطان المسلمين الذي نصره الله عليهم يقتفي في حكمه أثر الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز وهو صلاح الدين الايوبي (رح) الذي قال لأحد رجاله المتميزين عنده وقد استعداه على رجل غشه « ماعسى ان أصنع لك وللمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وإنما انا عبد الشرع وشحنته ، فالحق يقضي لك او عليك » ومعنى عبارة السلطان انه ليس إلا

منفذاً لحكم الشرع - كالشحنة وهو صاحب الشرطة - وأن القضاة مستقلون بالحكم لأنهم يحكمون بالشرع العادل المساوي بين الناس. وقد اقتبس الصليبيون منه طريقة حكمه ثم درسوا تاريخ الاسلام فعرفوا منه ما جهله أكثر المسلمين المتأخرين حتى أسسوا حكم دولهم على قاعدة سلطة الامة التي جاء بها الاسلام، وصاروا يدعونها لانفسهم، ويعيبون الحكومات الاسلامية باستبدادها، ثم بجعل الاسلام نفسه سبب هذا الاستبداد والحكم الشخصي، وصار المسلمون يصدقونهم ويري المشتغلون بالسياسة وعلم الحقوق منهم انه لا صلاح لحكوماتهم إلا بتقليدهم، فكان هذا من أسباب ضياع اعظم مزايا الاسلام السياسية التشريعية وذهاب أكثر ملكه

(أصول التشريع في الاسلام)

المعروف عند جمهور أهل السنة ان أصول التشريع الاساسية أربعة (١) القرآن المجيد، والمشهور عند علماء الاصول ان آيات الاحكام العملية فيه من دينية وقضائية وسياسية لا تبلغ عشر آياته، وعدها بعضهم خمسمائة آية للعبادات والمعاملات، والظاهر انهم يعنون الصريح منها وأكثرها في الامور الدينية لان أكثر أمور الدنيا موكولة إلى عرف الناس واجتهادهم (٢) ماسنه رسول الله ﷺ للعمل والقضاء به من بيان لكتاب الله تعالى وقالوا أيضا ان أحاديث الاحكام الاصول خمسمائة حديث تمدها أربعة آلاف فيما أذكر (٣) إجماع الامة واتفق الائمة على الاحتجاج باجماع الصحابة في الدينيات، وفي إجماع المجتهدين بعدهم تفصيل (٤) اجتهاد الأئمة والامراء والقضاة والقواد في الامور القضائية والسياسية والادارية والحربية، وخصه بعض الفقهاء بالقياس وأنكر بعضهم القياس وقيده آخرون كما فصلنا ذلك في تفسير (٥ : ١٠١)

وورد في هذا الترتيب أحاديث وآثار تدل على العمل به في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين (منها) حديث معاذ أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له «كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟» قال أقضي بما في كتاب الله، قال «فان لم يكن في كتاب الله؟» قال فبسنة رسول الله ﷺ قال «فان لم يكن في سنة رسول الله» قال أجتهد رأيي لا آلو. قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم

قال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله (ص) رواه أبو داود والترمذي من طريق الحارث بن عمرو وفيه مقال وله شواهد ، وأما العمل بهذا الترتيب فهو معروف عن الخلفاء الراشدين وقد بيناه في محله وبه أمر عمر (رض) قاضيه شريح في كتابه المشهور في القضاء ولكن الفقهاء يقدمون الاجماع حتى العرفي عند علماء الاصول ، وهو مختلف فيه على النص

والاصل في شرعية اجتهاد الرأي للحكام حديث « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد » رواه الجماعة كلهم

بل كان النبي ﷺ يعطي أمراء الجيوش والسرايا حق الحكم بما يرون فيه المصلحة بقوله للواحد منهم « وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث بريدة . وقال مثل ذلك في إنزالهم على ذمة الامير دون ذمة الله ورسوله لئلا يخفرها .

(قواعد الاجتهاد من النصوص)

أحكام الكتاب والسنة منها أحكام خاصة بالاعمال والوقائع ومنها قواعد عامة للتشريع ، والاحكام الخاصة منها ما هو قطعي الرواية والدلالة لا مجال للاجتهاد فيه ولا معدل عن الحكم به إلا لمانع شرعي من فوات شرط كدرء حد بشبهة أو عذر ضرورة ، وقد أمر عمر (رض) في المجاعة ألا يحد سارق . ومنها ما هو غير قطعي يعمل فيه باجتهاد من يناط به الحكم والتنفيذ من أمير أو قاض أو قائد جيش كما تقدم قريبا في العبادات والمحرمات .

وأما القواعد العامة فهي ما تجب مراعاته في الاحكام المختلفة ، وأهمها في الاسلام تحري الحق والعدل المطلق العام ، والمساواة في الحقوق والشهادات والاحكام ، وتقرير المصالح ، ودرء المفاسد ، ومراعاة العرف بشرطه ، ودرء الحدود بالشبهات وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وتقدير الضرورة بقدرها . ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، ونكتفي بالشواهد في العدل والظلم

(نصوص القرآن في ايجاب العدل المطلق والمساواة فيه وحظر الظلم)

لما كان العدل أساس الاحكام وميزان التشريع وقسطاسه المستقيم أكد الله تعالى الامر به والمساواة فيه بين الناس في السور المكية والمدنية . قال تعالى (١٦ : ٩٠ ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقال (٤ : ٥٧ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقال (٥ : ١٣٥ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً)

أمر تعالى المؤمنين بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل فان القوام (بتشديد الواو) صيغة مبالغة للفاعل بالقيام بالامر وعدم التهاون والتقصير فيه ، وبأن تكون شهادتهم في المحاكمات وغيرها لله عز وجل لا لهوى ولا لمصلحة احد ، ولو كانت على انفسهم أو والديهم والاقربين منهم ، وأن لا يحابوا فيها غنياً لغناه تقرباً اليه او تكريماً له ، ولا فقيراً لفقره رحمة به وشفقة عليه ، ونهاهم عن اتباع الهوى في الحكم او الشهادة كراهة ان لا يعدلوا فيها لمراعاة من ذكر من الناس ، وأنذرهم عقابه إن لووا ومالوا عن الحق أو أعرضوا عنه

وقال تعالى (٥ : ٨ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فهذه الآية متممة لما قبلها فهناك يأمر بالمساواة في العدل والشهادة بين النفس وغيرها ، وبين القريب والبعيد ، وبين الغني والفقير ، وهمنا يأمر بالمساواة فيها بين الانسان وأعدائه مهما يكن سبب عداوتهم لافرق فيها بين ديني ودنيوي ، فالشنآن البغض والعداوة وقيل مع الاحتقار وقد قال (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) لا يحملنكم بغضهم وعداوتهم لكم او بغضكم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم ، فالعدل بالمساواة اقرب الى تقوى الله ، وأنذر تارك العدل للشنآن بمثل ما انذر به تاركه للمحاباة ، أنذر كلا منهما بأن الله خبير بما يعمله لا يخفى عليه

منه شيء، فهو يحاسبه على عمله وعلى نيته وقصده منه، فيثيبه او يعاقبه على ما يعلم من امره

فالعدل هو الميزان في قوله تعالى (٤٢ : ١٧ الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقوله (٢٥:٥٧ لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس) الآية: فخير الناس من يصدهم عن الظلم والعدوان هداية القرآن، ويليهم من يصدهم العدل الذي يقيمه السلطان ، وشرهم من لا علاج له إلا السيف والسنان، وهو المراد بالحديد

فقوام صلاح العالم بالايمان بالكتاب الذي يحرم الظلم وسائر المفاسد فيجتنبها المؤمن خوفا من عذاب الله في الدنيا والآخرة ورجاء في ثوابه فيهما ، وبالعدل في الاحكام الذي يردع الناس عن الظلم بعقاب السلطان

ويؤيد قاعدة إقامة العدل ماورد في تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه . فقد ذكر الظلم في مئات من آيات القرآن اسوأ الذكر، وقرن في بعضها بأسوأ العواقب في الدنيا والآخرة ، وان الجزاء عليه فيهما اثر لازم له لزوم المعلول للعلة والمسبب للسبب ، وان الناس هم الذين يظلمون أنفسهم (ولا يظلم ربك احداً) ومن اثره وعاقبته في الدنيا انه مهلك الامم ومخرب العمران . قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، اي ما كان من شأنه ولا من سنته في نظام الاجتماع ان يهلك الامم بظلم منه لهم، او بشرك يقع منهم، وهم مصلحون في سيرتهم وأعمالهم، وإنما يهلكهم بظلمهم وإفسادهم، كما قال (وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) وقال في الاحكام (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) ورد هذا في حكم القصاص،

(قواعد مراعاة الفضائل في الاحكام والمعاملات)

من استقرأ الاحكام الشرعية في الكتاب والسنة بأنواعها من شخصية ومدنية وسياسية وحربية يرى أن الغرض منها كلها قاعدة مراعاة الفضائل فيها من الحق والعدل والوفاء بالعهود والعقود ، والرحمة والمحبة والمواساة والبر والاحسان ، واجتناب الرذائل من الظلم والغدر ونقض العهود والعقود والكذب والخيانة

والقسوة والغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والرشوة . وسيأتي الكلام في الاصلاح الحربي.

والعبرة في كل هذه القواعد التي فضل بها الاسلام جميع شرائع الانبياء وقوانين الحكماء والعلماء أنها قد جاءت على لسان نبي أمي نشأ بين أميين ، فهل كانت بوحي نبع بعد الكهولة من نفسه ، أم هو كما بلغنا وحي من ربه ؟ .

فتاوى المنار

(الطريقة الشاذلية)

(س٥١) من صاحب الامضاء بيافا

في رجب سنة ١٣٤٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨

إلى حضرة السيد الامام مفتي الاسلام سيدي محمد رشيد رضا مفتي المنار المضيء حفظه الله . انني مسلم موحد الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ) وأريد أن أطلع على الحقوق المطلوبة مني للحق عز وجل ، وأريد أن أسألكم سؤالا واحدا يكون جوابه من لطفكم وعواطفكم لا حرمنا الله من متعتكم الدنيوية ، وأريد نشره في مجلتكم (مجلة المنار) التي أتمنى لها خير النجاح وهو كما يأتي ، ولكم الاجر والثواب عند الله الواحد القهار.

ماهي الطريقة الشاذلية ؟ منافعها . مضارها. تأثيرها . مقصودها . خطتها . نشوءها . نموها . وان كان عندكم شيء زيدوا على ماسألت أنا ولكم الفضل سيدي

ملاحظة : ان الذي أجبرني على أن أسأل حضرتكم هذا السؤال هو شيء واحد وهو أخي يعرض علي دخول هذه الطريقة ومسلكها ، وأيضاً الذي جعلني

أن أمتنع عن القبول هو كلام الناس يحكون في حقها ما لا تقبله المسامع ، فياترى هذا الكلام صحيح أم لا ؟ أخبرنا فان كان لا فتكون أولا نفعتني وثانياً نفعت الذي يريد أن يسلك في هذا المسلك فلهذا سألت هذا السؤال وأملي بأن ينشر على صفحات مناركم مع جوابه ولكم الفضل سيدي ومولانا رجب برزق

أحد مستخدمين السيد أحمد محمود الشريف

(ج) كان سبب تأخير الجواب عن هذا السؤال انني كنت أريد أن أكتب خلاصة تاريخية لهذه الطريقة وفروعها ولاسيا الفرع الذي انتشر واشتهر في فلسطين بدعوى الحلول والجمع بين النساء والرجال في الاذكار والخلوات وغير ذلك من المنكرات التي أشار اليها السائل بقوله «يحكون في حقها ما لا تقبله المسامع» وهذه الخلاصة تتوقف على بحث ومراجعة ، ولذلك مرت هذه السنوات ولم أجد لها فراغا ، ونسيت هذا السؤال بل ضل عني بين الاسئلة المهملة لاسباب مختلفة منها سبق الجواب عن مثلها ومنها انتظار الفرص للبحث عن موادها وأدلتها كهذا السؤال . وإن أكثر فتاوى المنار في هذه السنين تكتب بدون مراجعة شيء من الكتب، وأقلها بعد مراجعة لا تستغرق وقتاً طويلا، ولما نجد فرصة لكتابة هذه الخلاصة

والذي ننصح به السائل عن الطريقة الشاذلية أن يتجنبها ويتجنب أمثالها من هذه الطرائق التي بين غرضها أحد كبار رجالها في القرن الماضي وهو السيد محمد الزعبي الجيلاني شيخ الطريقة القادرية في طرابلس الشام وهو والد الاستاذ الكبير السيد عبد الفتاح الزعبي نقيب السادة الاشراف والخطيب المدرس في الجامع الكبير المنصوري منذ زهاء قرن فقد أخبرني هذا الاستاذ ان بعض مريدي والده سأله عن سبب اختلاف أصحاب هذه الطرائق في عمائمهم وشاراتهم وأعلامهم وأورادهم وأذكارهم مع دعواهم ان الغرض من سلوك كل طريقة منها معرفة الله تعالى وعبادته الصحيحة ، فقال له السيد المنصف رحمه الله تعالى ﴿تغيير شكل ، لاجل الاكل﴾

وأخبرني الاستاذ الشيخ محمد الحسيني أشهر علماء طرابلس لهذا العهد انه كان مرة في درس الشيخ الخضري الكبير في الجامع الازهر فمر بالقرب من الجامع موكب لاهل الطريق بدفوفهم وصنوجهم وضجيجهم فسكت الشيخ عن تقرير

الدرس الى أن بعدوا وخف صوتهم وقال لتلاميذه : ان جميع طرق الصوفية دخلتها البدع إلا الطريقة النقشبندية والطريقة الدمرداشية اه

ولكنني انتظمت بعد سماع هذا القول في سلك الطريقة النقشبندية فألفيتها لم تخل من البدع ، ثم اختبرت الطريقة الدمرداشية فوجدتها كذلك ، ولكن بدعها أهون من بدع غيرهما فليس فيها معازف ولا ملاه ولا أغاني ولا عبادة قبور ، ولا اوراد غير ذكر الله تعالى . وقد تكلمت على بدعة الرابطة عند النقشبندية وبدعة الذكر بالاسماء المفردة عندهم وعند غيرهم من قبل . وأين هي من التيجانية والحلولية والاباحية من الشاذلية الترشيحية وغيرها . فعليك أيها المسلم أن لا تقرب أحداً منهم ، وان لبعض من تفقه من شيوخهم فائدة في إرشاد العوام إلى الصلاة والصيام وذكر الله وإن كان بعضه غير مأثور أو مبتدع كالذكر بالاسماء المفردة ، وهو هو ، وآه أه ، فلو اعتصموا بالمأثور لكان خيراً لهم . وقد فصلنا هذه المسائل مراراً . وعليك بتلاوة القرآن والاذكار والاوراد المأثورة في السنة الصحيحة ، وحسبك من مختصراتها كتاب (الكلم الطيب من أذكار النبي ﷺ) لشيخ الاسلام ابن تيمية ، فان أحببت المزيد فعليك بكتاب الاذكار للامام النووي أو الحصن الحصين للمحدث الجزري.

﴿استعمال الماء الممزوج بالسموم وجراثيم الامراض المعدية﴾

س٥٢ و٥٣ من صاحب الامضاء في زنجبار

حضرة العلامة الاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا متعنا الله بوجوده

(١) ماتقول فيمن بنى مسجداً وجعل فيه موضعاً لقضاء الحاجة وموضعاً للطهارة بالحيطان وكان الاسم ينطلق بالمسجد فهل يجوز ذلك والحال ان الاسم اسم المسجد

(٢) وماتقول في ماء بلغ قلتين وتوضأ صاحب القروح فيه وأهل الامراض العدوية وحكم أهل الخبرة بحدوث الامراض بالمتوضئين فهل يعمل قولهم بالاجتناب عن هذا الماء الذي بلغ القلتين ولم يحمل خبثا ؟ افتوني أثابكم الله تعالى

لازلتم عامرين لما اندرس من المعالم الدينية من العبد المسيء

قناوي بن عيسى بزنجبار

(ج) يجب اجتناب استعمال الماء الذي دخلت فيه جراثيم الامراض الوبائية والادواء المعدية في الوضوء وغيره كالهيضة الوبائية وقروح الزهري والطاعون والسل لا لنجاسته الفقهية ، بل لاتقاء ضرر سمومه المرضية — وأما السؤال الاول فلم نفهمه فان كان المراد منه أن المستنجين ينجسون جدران المسجد فعملهم غير جائز ، ولا يعقل أن يعد الواقف جدران المسجد لذلك

﴿ أسئلة من جاوة في ولادة عيسى عليه السلام ﴾

(س٥٤ ـ ٥٦) من الاستاذ المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراج (سمبس برنيو)

حضرة صاحب الفضيلة الامام العلامة الحجة ، مولاي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الانور نفعني الله تعالى والمسلمين بعلومه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاني قرأت في بعض المجلات اللاوية مقالة مطولة لبعض الطلبة اللاويين في بيان ولادة عيسى بن مريم قال فيها إنه لا بد لولادته من أب لان الله قال في كتابه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقال تعالى (ولن تجد لسنة الله تحويلا) ورفض الاقوال المؤيدة بدلائل القرآن أن عيسى ولد بغير أب . وقال غيره من بعض أصحاب المجلة ليأتنا من يعتقد أن ولادة عيسى بلا أب بآيات القرآن والاحاديث النبوية مع بيان درجتها ومآخذها

هذا — واني قد قرأت تفسير المنار لسورة آل عمران في بيان ولادته بلا أب ورأيت فيه مايشفي الغليل من الذين يريدون الحق وإزهاق الباطل وفهم مراد الله من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولكن لما صارت هذه المسألة موضع النزاع الآن عندنا بين طلاب الادلة من الكتاب والسنة جئت باب فتاوى المنار سائلا عن هذه المسألة ليكون جوابه عنها هو القول الفصل كما سبق له مما به أجاب ، انه الحكمة وفصل الخطاب وها أنذا أصور الاسئلة كما يأتي

١ — هل ولادة عيسى بن مريم بلا أب مجمع عليها أم لا ؟ وهل يكفر من جحدها أم لا ؟

٢ — هل آية (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق مايشاء ، إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) نص في أن ولادة مريم لولدها عيسى بلا أب ام لا؟ وهل كذلك آية سورة مريم (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ؟) أم لا ؟

٣ — هل وردت أحاديث نبوية يصح الاحتجاج بها على هذه المسالة أم لا؟ فاذا وردت فما درجتها من الصحة وفي اى كتاب او كتب هي؟

هذا وتفضلوا بالجواب عن هذه الاسئلة في اقرب وقت ممكن ولكم مني ومن الناس الشكر الجميل، ومن الله الاجر الجزيل

سمبس برنيو الغربية ٢٥ صفر سنة ١٣٥١ محمد بسيوني عمران

[اجوبة المنار] ولادة عيسى عليه السلام من غير أب مجمع عليها ومستند الاجماع نصوص القرآن المجيد يكفر من جحدها على علم . وأما الآيتان اللتان في السؤال الثاني فهما في البشارة به وبانه يكون بقدرة الله تعالى لا بالسنن العامة في الحمل والوضع وفي بقية القصة خبر الولادة وجملة الآيات نص قطعي في المسالة . وورد فيها أحاديث مختلفة الدرجات في الصحة وما دونها دلالتها دون دلالة آيات القرآن القطعية الرواية والدلالة . فلا ينبغي لمسلم ان يلتفت إلى ما يهذي به الملاحدة ولا أتباع مسيح الهند الدجال (غلام أحمد القادياني) وراجع ما كتبناه في الرد على ملحد دمنهور في شبهة السنن الكونية وهي في الجزء الاول من منار هذه السنة، فقد بينا بها جهل من يماري في هذه الآيات بانها على خلاف سنن الله تعالى في الخلق ، وكذلك الفصل الذي عقدناه في (الآيات الكونية) من بحث الوحي وهو في الجزء الثامن الماضي ، ففيه القول الفصل في معنى سنن الله وآياته ومنه المسيح وامه عليهما السلام

المنار ومجلة مشيخة الازهر

﴿ نشرنا في أشهر الصحف اليومية الاسلامية مقالات عنوانها (بيان للامة في جرائدها) فيما شجر بيننا وبين مجلة مشيخة الازهر من التنازع في نصرها للبدع الاعتقادية والعملية وتأويلها لما يخالف النصوص والسنن القطعية — وانكارنا عليها بما يؤيد النصوص والسنن التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه وسلف الامة الصالح وطعنها فينا وافترائها علينا لعجزها عن الرد العلمي. وانا ننشر هذه المقالات (ولما تتم) في المنار لانها من أهم مسائل تاريخ الاصلاح الذي أنشيء له ونهض به ، ولنا ان نختصر وننقح هنا بعض العبارات اجتنابا للتكرار الذي لا يحسن في المجلات ﴾

المقال الاول

﴿ في موضوع التنازع بين المجلتين أو بين الاصلاح والجمود والبدعة والسنة ﴾

ونشر في الجرائد في ٢٠ جمادى الآخرة الموافق ٢٠ اكتوبر

(وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِن لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

وقع تنازع بين مجلة المنار ومجلة الازهر والمعاهد الدينية الرسمية (نور الاسلام) تعدت هي فيه البحث العلمي إلى الطعن الشخصي فأحببت أن ينحصر ردي عليها فيها ليعلم قراؤها الحق فيما نشرته من العلم والدين، فارسلت اليها المقالة الاولى من الرد فلم تنشرها بل نشرت في الجزء الذي كان ينتظر نشر الرد فيه مقالا آخر في الطعن علي ، وانتقل البحث الى الصحف اليومية فنشر فيها مقالات لأفراد من العلماء يذكرون فيها مسائل مما اتهمني به « الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء في الازهر وأحد محرري مجلته » ويردون عليه فيها، ثم رأيت له مقالات يرد

فيها على بعضهم ويطعن عليّ وعليهم ، ثم رأيت في بعضها خبر سعي صاحب الفضيلة العلامة المصلح الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية للصلح وتمامه في داره — ووصل إلي بعد عقد هذا الصلح رسالة مطبوعة باسم أخص تلاميذ الاستاذ الدجوي من علماء الازهر ، وهو قريبه وامين سره المساعد له على الطعن الذي يكتبه له ، نشر فيها بعض ما كتبه الاستاذ الدجوي في الطعن في مجلة الازهر أخيراً وما كان نشره في بعض الجرائد من الطعن قديماً مع تعليقات وقصائد في اطراء أستاذه بل اطراء الاستاذ لنفسه بأنه إمام المسلمين وحامي حمى الدين . . . وهجوي وتكفيري بما يتعجب كل من رآه لصدوره عن أحد من رجال العلم والدين كقوله :

أترى انك البصير بشيء أنت فيه كالكلب والخنزير
وكفى ان عافاهما الله من رؤ ية وجه كوجهك المقذور

وهذا الطعن مما يعاقب عليه القضاء قطعاً ولكنه هو نفسه أشد عقابا لمجترحه في نظر أهل الدين والعلم والادب أو كما قال المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه *

ورأيت الناس يطالبونني قولا وكتابة بالرد على مطاعن مجلة الازهر ويتعجبون من سكوتي عنها حتى نشر هذا بعضهم في جريدة السياسة الغراء . وإنما كان سكوتي الى الآن أنني وعدت به فضيلة المفتي إلى أن يبلغ غاية شوطه من السعي للصلح ، وقد وفيت له بوعدي ، وظهر له صدقي وخداع الدجوي

وبقيت مجلة الازهر والمشيخة التي تصدرها ، فسنرى ويرى الناس ماسيكون من أمرها بعد ظهور هذه الجرائم من اثنين من علماء المشيخة في مجلة المشيخة وفي رسالة تباع في الازهر نفسه ، فالاستاذ الاكبر شيخ الازهر هو المسؤول عن شرفه وشرف مجلته وعلمائه ، ولم نعلم انه صدر عنهم في زمن من الازمان مثل هذا ولا مايقرب منه

وها نذا أبين للامة في جرائدها اليوميـة موضوع الخصام والصلح الذي يسألونني عنه لأنه يتعلق بأمر دينها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما طرأ عليه من البدع والشبهات ، وموقفها بين الاصلاح والخرافات ، وما يجب عليها من معرفة الفصل فيه بين الحق والباطل ، إذ لم تعد المسألة نزاعا واختلافا

بين مجلتين يحسن ألا تعدو صحائفهما ، ولا بين شخصين مختصمين ، بل تعدتهما إلى مسألة الاصلاح الاسلامي الذي يتوقف عليه حفظ الاسلام في هذا العصر . ومسألة الجمع بين الاسلام الصحيح وعلوم العصر التي تتوقف عليها عزة الامم واستقلالها، ومسألة جمود الازهر الماضي وتجديده الحاضر والمستقبل، والتنازع بين النابتة التي نجحت فيه باصلاح الاستاذ الامام ، وبقايا أعشاب الجمود الضارة التي تعوق نماءها ، واستواءها على سوقها ، وإيتاءها أكلها باذن ربها

ضاق الازهر الحديث ذرعا بما كان من جموده في القرون الاخيرة فطفق ينسلخ منه ببطء ثم بسرعة واستعجال يخشى ان يكون معه الزلل ، فيتبع مدرسة دار العلوم في نزع آخر مشخصات رجال الدين عنه ، فان جذب الاستقلال المصري له صار أقوى من جذب الجمود السابق ، وهو في أشد الحاجة إلى موقف الاعتدال في الوسط الذي اختطه له الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وفيه بعض تلاميذه ومريديه ولكنهم يستترون لاخراج بعضهم منه اخراجا اداريا غريبا و يحتاجون الى قوة وزعامة تمكنهم من موقفهم في الوسط ، وحمل الميزان القسط ، ، وقد شعر أنصار الجمود بقرب زوال دولتهم وجاههم الازهري فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، ونهضوا بحملة جديدة على الاصلاح سأشرحها بعد بما يدهش عقلاء الامة ويشغل صحفها ، وأقتصر في هذه المقالة على مثار الخلاف بين المجلتين فأقول :

كانت طريقة الازهر في التعليم قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر إلزام الطلبة قبول كل ما في كتب التدريس وما يقوله لهم المدرسون بالتسليم وعدم الاعتراض، عقلوه أم لم يعقلوه ، وطريقة الاستاذ الامام التي استفادها من الافغاني وجرى عليها بالدعوة وبالعمل في دروسه الدينية والفنية والعقلية أن لا يقبل أحد كلام أحد بالتسليم الاعمى بل يجب الفهم والاستدلال المؤدي إلى الاقناع والتفرقة بين كلام المعصوم وغير المعصوم

في كتب التعليم في الازهر وغيرها ما يخالف اليقينيات القطعية حتى الحسية منها ، ويرى طلابه وغيرهم في كتب التفسير وشروح الاحاديث مشكلات اضطرب العلماء في حل عقدها ، ويرون في بعض أجوبتهم عنها ما لا يقنع من يريد

أن يفهم ويعلم ، ويرون أن عالما واحداً من المحدثين الفقهاء قد ألف أربع مجلدات في الاحاديث المشكلة سماه (مشكل الآثار) وهو الامام الطحاوي ، ويرون مع هذا كله في علمائهم المدرسين من يفتي بكفر من يستشكل حديثاً صححه أحد المحدثين ولا سيما الشيخين رضي الله عنهما، ويلتمس لنفسه مخرجا من الاشكال ، وقلما كان أحد منهم يجتريء على سؤال شيوخه الجامدين عن ذلك لئلا يرموه بالكفر

مثال ذلك أنه يوجد في الصحيحين وغيرهما حديث مرفوع خلاصته أن الشمس تذهب حين تغرب في آخر النهار فتغيب عن الدنيا وتصعد فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها بالطلوع في اليوم التالي فيأذن لها فتطلع وأنه سيأتي وقت تستأذن فيه فلا يؤذن لها ثم تؤمر بالطلوع من مغربها

استشكل هذا الحديث كبار علماء الاسلام المتقدمين والمتأخرين ولا سيما الذين عرفوا علم الفلك والمواقيت والجغرافية بأنه مخالف للحس وما تقرر في علم الهيئة الفلكية ، وصرح إمام الحرمين الشهير في القرن الخامس بما يصرح به علماء هذا العصر من ان الشمس فى كل وقت تغرب عن قوم وتطلع على قوم الخ ولكن لايزال في علماء الازهر وغيرهم من يفتى بكفر من لا يؤمن بظاهر الحديث ويسمونه مكذبا لله ولرسوله ، صرح بذلك الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر الرسمية ، ولما تنكر ذلك عليه مشيخة الازهر المسئولة عن هذه المجلة . فكيف يستطيع الموقن بان الشمس لاتغرب عن الارض طرفة عين أن يكون مسلما على رأي هؤلاء العلماء ؟ وجميع طلبة الازهر الذين يدرسون فيه علم الجغرافية يوقنون بان الشمس لاتغيب عن الارض طرفة عين ، وجميع المتعلمين في المدارس النظامية موقنون بهذا ، ومنهم أمراؤنا وحكامنا ومحررو صحفنا أجمعون أكتعون أبصعون

واني قد ذكرت في المنار وفي تفسيره علة علمية تنفي صحة سند الحديث على طريقة المحدثين ومخرجا من دلالة متنه على ماينافي الحس لم أر أحداً وفق لهما قبلي، وسأذكرها في الرد العلمي على مجلة المشيخة

كان الاستاذ الامام مرجعاً لكل من يعرض له إشكال أو شبهة في دينه، ومن خطة المنار التي جرى عليه من أول نشأته التصدي لدحض الشبهات وحل المشكلات

الدينية والعقلية والعلمية بالادلة الجامعة بين المعقول والمنقول

وقد علمنا أن بعض الجامدين كان يطعن علينا بما نكتبه لنحفظ على المشتبهين والمتشككين إيمانهم بصحة كل ماجاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ من أمر الدين، وحملني هذا على أن انشر في أول كل جزء من كل مجلد من مجلدات المنار (إعلانا) أدعو فيه العلماء وغيرهم الى الكتابة إلي بما يرونه منتقداً فيه من المسائل الدينية وغيرها ، مع الوعد بان أنشر مايرسلونه إلي بشرط أن يقتصر فيه على المسائل المنتقدة والدليل على ما يراه الكاتب من الخطأ فيها من غير زيادة ولا استطراد ، وأبين رأيي فيه ، وما زلت أفي بما وعدت

كبر على الجامدين والخرافيين اشتهار مجلة المنار في العالم الاسلامي ومايرونه فيها من استفتاء مسلمي الشرق والغرب إياها في كل ما يشكل عليهم من أمر دينهم ولاسيما شبهات الماديين والمبشرين وغيرهم ، وكبر عليهم نشرنا لمناقب الاستاذ الامام واصلاحه وتجديده للاسلام فيها وفي تفسير المنار وفي التاريخ العظيم الذي دونا فيه مناقبه في ثلاث مجلدات بلغت صفحات الجزء الاول منها ١١٣٤ صفحة، اعدا المقدمة. وصاروا لايدرون كيف يقاومونها

تصدى الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي منذ بضع عشرة سنة (١٣٣٥) للطعن على الاستاذ الامام والتحرش بالمنار فبدأ بنشر مقالات في جريدة الافكار في الانكار على ما نشرناه في تفسير قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) من أن النفس الواحدة ليست نصاً في أبينا آدم عليه السلام، وانه إن فرض ثبوت قول الذين يقولون إن للبشر عدة أصول أو نظرية داروين في اختلاف الانواع ، فان القرآن يبقى على عصمته لاينقضه شيء . هذا مجمل ماقرره شيخنا الاستاذ الامام في الازهر وقرره قبله أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في كتابه (الرسالة الحميدية) التي قرظها أكبر علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم اذ ترجموها باللغة التركية وكانت سبب حظوة مؤلفها عند السلطان عبد الحميد ولم ينكر عليه أحد هذا القول في مذهب داروين

ولكن أحد علماء تونس الاذكياء إنتقد عبارتنا في تفسير آية سورة النساء وموافقتنا للاستاذ الامام على ماقاله في المسألة بمقال نشرناه في المنار أجبنا عنه

من بضعة عشر وجهاً أقنعت هذا الاستاذ . وأما الشيخ يوسف الدجوي فلم أرد على ما نشره في جريدة الافكار لانه كان تحرشا وطعنا شخصيا بسوء نية غير مبني على دليل علمي فضلا عن كونه نشره في جريدة يومية ولو كان بحثا علميا لأرسله الى المنار كالاستاذ العلامة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي .

ثم ان الاستاذ الدجوي كتب في سنة ١٣٤٨ رسالة في الطعن على متبعي السلف من عهد شيخ الاسلام ابن تيمية الى الآن غمز فيها الاستاذ الامام بقوله بعد اعترافه بأنه غني عن الثناء والاطراء « ولكننا نعجب له وقد تربى تلك التربية العقلية الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقد ولا تمحيص، وقد يكون ذلك عندهم محل الظن والتخمين أو الفرض والتقدير ، وربما أول له الآيات الصريحة ، أو السنة الصحيحة ، قبل أن يقام عليه البرهان، أو يبارح محل الاستحسان – إلى أن قال – ولا داعي لان نفيض في بيان تلك الآراء ففي المنار منها شيء كثير » اه .

انني على التزامي لتفنيد كل من يطعن في الاستاذ الامام قدس الله روحه أعرضت عن الاستاذ الدجوي ولم أعرض له لانه ليس ممن يرد عليهم في نظري ، ولكنني أشرت في فاتحة المجلد الحادي والثلاثين من المنار إلى قوله اشارة ولم أسمه وقلت ان الاستاذ الامام لا يضير مثل هذا القول فيه ...

هل يسمع قول مثل الدجوي في الاستاذ الامام انه يسير وراء كل ناعق من الاوربيين وهو هو الذي علم الازهر استقلال الفكر وعدم قبول قول لغير المعصوم بدون دليل ؟ وهو هو الذي شرف مصر والامة الاسلامية أمام أوربة باكبار شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر لعلمه وعقله ، وبرده على موسيو هانوتو ذلك الرد الذي اهتزت له أوربة والشرق وألجأ ذلك الكاتب الكبير والوزير الشهير إلى الاعتذار للامام المصري بما هو مشهور . وهو الذي كتب في حقه العلامة المستشرق أدوارد براون من أساتذة جامعة كامبردج الانكليزية « انني ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله »؟ .

بيد انني أنكرت على مجلة نور الاسلام الازهرية الرسمية ما تنشره له من

المقالات والفتاوى في تأييد البدع الفاشية في عامة الامة ولاسيما بدع القبور ومنكراتها والطعن على السلفية عامة والوهابية خاصة في هذا العصر الذي أظهر فيه العالم الاسلامي كله في الشرق والغرب والوسط كمصر حرسها الله العطف على الدولة السعودية والدفاع عنها ، والانتقاد على الدولة المصرية لعدم اعترافها بها ، ولمنع حقوق الحرمين الشريفين وأهلها من الحقوق الثابتة لهم في أوقاف مصر - ولو كتب الاستاذ الدجوي ماذكر في غير مجلة الازهر الرسمية لما عنيت هذه العناية بالرد على بعض ما كتبه ولم أقرأه كله وإنما أعنى بما يكتب فيها لصفتها الرسمية ولانني أعد فضيلة شيخ الازهر مسئولا عن الطعن الذي وجهته إلي مع كاتبه ورئيس تحرير المجلة جميعاً

ظهرت مجلة (نور الاسلام) فأحسنت تقريظها في المنار وتمنيت لها أن تكون خيراً منه في خدمة الاسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة اسلامية غنية لا لشخص قد يموت بموته، ونصحت لها بما أملاه علي اختبار ثلث قرن في مثل الخدمة التي أنشئت لها ، وذكرت محرريها ومشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بأن تبعة ماينشر فيها ليس كتبعة ماينشر في المجلات والصحف الشخصية ليتحروا فيما يكتبون

كان المثير الظاهر لهذا الطعن فتويين مختلفتين في مسألة البدعة التي ابتدعها المؤذنون بمصر في القرن الثامن وهي زيادة السلام على النبي ﷺ في آخر الاذان ثم زيادة الصلاة مع السلام وزيادة نداء السيد البدوي أيضا بعد أذان الفجر . أفتيت في المنار بأنها بدعة في شعار ديني تدخل في عموم قوله ﷺ من حديث كان يقوله ﷺ في خطبته «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم في صحيحه وأفتت مجلة نور الاسلام بأنها بدعة حسنة

ثم نشرت للاستاذ الدجوي مقالا طويلا في الرد على ما كتبه المنار في هذه المسألة أكثر فيه من الطعن والتهكم والغميزة والزراية على صاحب المنار والتجهيل والتكفير له ، وقذفه بأنه كذب الله ورسوله، وعزا اليه مسائل لا يقول بها كلها ولا ببعضها أحد يؤمن بالله وبما جاء به محمد خاتم النبيين عنه عز وجل وهي:

(١) انكار الملائكة وتقرير أنهم عبارة عن القوى الطبيعية

(٢) إنكار الجن وتقرير ان الجن المذكورين في القرآن عبارة عن الميكروبات

(٣) جواز تطبيق القرآن على مذهب داروين المخالف لقوله تعالى (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية

(٤) افتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس « ليغرس في قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينقش في نفوسهم الساذجة مايسمعونه من القسوس والمبشرين هناك » — بهذا علل الفتوى المفتراة أي انني أفتيتهم بهذا لاجل أن يكونوا نصارى، فجمل العالم المسلم داعيـة الاسلام ومدرهه داعياً الى النصرانية وهو الذي قال القس زويمر أجرأ المبشرين على الطعن في الاسلام حتى إنه طعن عليه في الجامع الازهر :انه لايوجد في علماء المسلمين من يدافع عن الاسلام بحجة وعقل إلا صاحب المنار

(٥) قوله [كبرت كلمة تخرج من فيه] وعليه إثمها وعلى المجلة التي نشرتها والمشيخة المتولية إصدارها مانصه « بل وصل الامر من مجتهدنا (الذي يبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي) كما يقول في مناره — أن اجترأ على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم من ان الشمس تسجد تحت العرش» وأطال في هذه التهمة بما خرج به عن موضوعها كعادته حتى قال

« فالشيخ إذاً مخطيء لله ولرسوله مكذب للقرآن والسنة وإن شئت فقل مجهل لهما» !!

فالشيخ يوسف الدجوي لا يستغرب منه مثل هذا الافتراء والبهتان وإنما يستغرب نشر مجلة الازهر له وهي لسان حال مشيخته .

(٦) قوله « رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى » وقدرده كبار الفقهاء من قبل

(٧) « رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ رد ذلك بتمويهات وخيالات لا نطيل بها » والذي طعن في صحة هذا الحديث هو

الاستاذ الامام وسبقه إلى رده الامام الجصاص . والتمويهات والخيالات التي زعمها هي تنزيه النبي ﷺ أن تؤثر في نفسه القدسية التي تتصل بروح الله الامين أن تسلط عليها نفس ساحر يهودي مدة سنة في بعض الروايات وستة أشهر في رواية أخرى حتى يتوهم ﷺ انه يقول الشيء ولم يكن قاله ويخيل اليه انه فعل الشيء الذي يترتب عليه حكم شرعي كالغسل ولم يكن فعله !! هذا مبلغ تعظيمهم للنبي ﷺ يجوزون عليه هذا ويجعلونه من قبيل الامراض البدنية حتى لا يجوزوا على البخاري انه أخطأ في تعديل أحد من الرواة الذين روى عنهم هو وغيره هذا

هذه هي التهم التي أوردها في مقالة بدعة الزيادة على الاذان وحدها في سياق طويل فلما رأيتها شرعت في الرد عليها وأرسلت النبذة الاولى إلى فضيلة رئيس تحرير المجلة مع كتاب خاص قلت له فيه إنه أهان نفسه وعلمه بقبوله لرياسة تحريرها والقيت التبعة عليه وعلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في نشرها ، وان المخرج لهما من التبعة السماح لي بما يوجبه عليهما الشرع وكذا القانون من نشر ما أكتبه من الرد عليها ، وبأنني أرضى بتحكيم فضيلة مفتي الديار المصرية العلامة التقي الشيخ عبد المجيد سليم في ردي وما عسى أن يردوا عليه لا لمنصبه بل لعلمه وإنصافه وتنزهه عن المحاباة

وقد كبر على فضيلة المفتي ما نشرته المجلة وأخبرني ان فضيلة شيخ الجامع استاء منه وانهما اتفقا على السعي للصلح . وسأبين للامة ما كان من أمر الصلح وخداع الخصم فيه في المقال التالي

المقال الثاني

﴿ في السعي للصلح والمرحلة الاولى له في دار المفتي ﴾

نشر في الجرائد في ٢٨ و ٢٩ جمادى الآخرة

بينت في المقال الاول ما كان من التنازع بين المنار ومجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) وأبين في هذا كيف كان الصلح بدءاً وختاما

قد راع صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ،وشق عليه أن يرى في مجلة مشيخة الازهر مثل تلك المقالة التي نشرتها في الجزء الخامس بعنوان (صاحب المنار . والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الاذان) وإمضاء (يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر) وهو هو الغيور على شرف علماء الدين وعلى مجلة الازهر، واستغرب ما فيها من التهم التي رشقت بها مجلة المنار وصاحبها وهو من أعلم العلماء بقيمة المنار وما خدم به الاسلام مدة ٣٥ سنة ، ويقتني جميع مجلداته ، ويعرف شخص صاحبه معرفة علم وأخلاق ، وقد عرف مثار الشبهات لبعض التهم ، وما فيها من تحريف الكلم ، لعلمه بما كان قرره الاستاذ الامام أو كتبه فيها كمسألة الملائكة ومسألة سحر اليهودي للمصطفى أعزه الله عز وجل وأجله وصلى عليه وسلم ، وبما نشره المنار في بعضها أو فيها كلها

وكان أروع ما راع فضيلته وأغربه وأبعده عن الشبهات ان يرمى صاحب المنار بإفتاء طلاب العلم في المدارس الاجنبية بأن يصلوا مع طلبة النصارى صلاتهم في كنائسهم لاجل أن يكونوا نصارى ! ! فلم يملك نفسه ان سألني بالمسرة (التلفون) [١] عنها وهل يوجد في شيء من مجلدات المنار عبارة يمكن أن تتخذ شبهة عليها ؟ فقلت بل يوجد حجج كثيرة على ضدها آخرها فتوى طويلة في الجزء الثالث من منار هذه السنة

ثم ان الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أخبر الاستاذ المفتي بأنني أرسلت

(١) كنت في أيام طلب العلم أطلقت على التلفون اسم المسرة من قول القاموس المسرة بكسر الميم الآلة التي يسار بها كالطومار اه ثم سماها الكتاب السوريون الهاتف

إلى مجلة (نور الاسلام) مقالة في استنكار جريمتها والرد عليها ، وان مقدمة الرد شديدة اللهجة ، خلافا لما قاله كل من رآها في دار المنار إذ وصفوها بأنها في منتهى اللين واللطف ، في مقابلة طعن هو في منتهى الهجو والعنف ، واتفق الشيخان على وجوب الصلح ، ونيط السعي له بالمفتي للاجماع على إخلاصه وإنصافه ، فأرسل إلي رسولا يكاشفني به ويعلم ما عندي تجاه هذا البهتان المبين ، فسمع الرسول مني مالم يكن يحتسب من آيات الحلم وسعة الصدر وهو انني لا أشترط للصلح إلا أن تنشر لي المجلة كل ما أرد به على التهم التي قذفتني بها رداً علمياً لا طعن فيه ولا سباب ، ولا نبز بالالقاب ، وان الغرض منه أن يعلم الذين قرؤا تلك التهم الباطلة ماعندي من الادلة العلمية على افتراء بعضها وبطلان بعض وتحقيق الحق في مسائلها ، وهي مسائل اعتقادية وعملية شرعية يجب لهم على المجلة وعلي تمحيص الحق فيها ، وانه ليس لي حظ نفسي في تحقير كاتبها بمثل ماقاله في — فبلغ المفتي شيخ الازهر هذا الجواب ، فاتفقا على ان هذا حق

ثم دار الحديث بيني وبين المفتي في الموضوع بالمسرة ثم بالمشافهة في دار المنار إذ تلطف بزيارتي فيها في أول هذا الشهر (جمادي الآخرة - أكتوبر) وكان مما قاله إنه متفق مع الاستاذ الاكبر على ان لي الحق في الدفاع عن نفسي وفي كتابة كل ما أعتقد أنه حق وخدمة للاسلام والمسلمين ، فان هذا مما ليس لأحد أن يطالبني بتركه ، وان على مجلة نور الاسلام أن تنشر لي ما أكتبه من الرد العلمي الذي طلبته ، وإنما المراد من الصلح عدم العود إلى طعن أحد في شخص الآخر بتجهيل ولا غيره ، وانهما يرغبان إلي ترك الرد الى أن نجتمع به ونبرم الصلح . فوعدته بذلك

ثم جاءني في ضحوة اليوم الرابع من الشهر الاستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رسول المفتي الاول وقال ان فضيلة الاستاذ المفتي يقرئك السلام ويخبرك بأنه كلم الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فيما اتفقنا عليه من أمر الصلح وشرطه فرضي به ووعد بأن يكتب هو في مجلة نور الاسلام عبارة يعترف فيها بخدمة المنار للاسلام ومواقفك المحمودة فيها . . . وان الاجتماع لعقد الصلح سيكون بدار فضيلته بعد عيد الجلوس الملكي لأنهم سيسافرون كلهم إلى الاسكندرية لاجله

ثم بلغني المفتي في يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر دعوته إيانا إلى الغداء في داره، لأجل الصلح في يوم الخميس الثالث عشر منه فأجبت،ثم أرسل إليّ سيارته بعد الظهر من ذلك اليوم فوجدت عنده أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ فتح الله سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا والشيخ احمد حسين مفتي وزارة الاوقاف والشيخ محمد الخضر رئيس تحرير مجلة نور الاسلام والشيخ طه حبيب المدرس بالازهر والمحرر في مجلة نور الاسلام والشيخ محمد حامد الفقي من علماء الازهر وخطباء المساجد وكان معي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم . وبعد وصولنا بقليل جاء الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فقمت له مع القائمين وصافحته ، واعتذر الاستاذ الاكبر عن الحضور بالتياث صحته، ولم نلبث أن قمنا الى المائدة النفيسة الدالة على سخاء صاحبها وحسن ذوقه

وبعد الطعام خرجنا الى حجرة القهوة والحديث . فافتتح فضيلة المفتي الكلام بالشكر لنا على قبول دعوته إلى طعامه والى ماهو خير منه وهو الصلح بين المجلتين الاسلاميتين والمحررين لهما ، وقال ان مجلة المنار تخدم الاسلام خدمة جليلة منذ خمس وثلاثين سنة ولصاحبها فلان من البلاء والجهاد في هذه السبيل ماعرف له فضله فيه جميع العالم الاسلامي وأصبح لمجلته مركز عظيم في نفوس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . ومجلة نور الاسلام قد أنشئت أيضا لأجل هذه الخدمة للاسلام بعينها وتتولى إصدارها ونشرها أكبر هيئة دينية اسلامية فالموضوع واحد والقصد واحد ، والحاجة الى التعاون بينهما شديدة ، وخصوم الاسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية (المبشرين) والفاتنين للعامة بإباحة الفسوق والشهوات كثيرون. فالمصلحة الاسلامية قاضية بتوحيد عملهما . وفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي يخدم الاسلام بعلمه وبالتحرير في مجلة نور الاسلام ،فأجدر بالشيخين وبالمجلتين أن يتحدا ويكونا إلباً واحداً على العدو المشترك ، وقد شجر بينهما من الخلاف ماأسف له الجميع، وغرضنا من هذا الاجتماع ان يتصالحا ويتصافيا ويتناسيا الماضي المؤسف ، فهذا مايهمنا ويهم كل مخلص للدين وأهله

هذه خلاصة مافاه به الاستاذ المفتي ، وتلاه الاستاذ الدجوي فقال انه لابد

من ذكر سبب الخلاف والشقاق وما يبنى عليه الصلح وهو ان يكف الشيخ رشيد اخوانه او جماعته الوهابيين عن تكفير المسلمين وحملهم على عقائدهم او مذهبهم بالقوة واستباحة دمائهم ، ويكف أتباعه — أو قال أذنابه — عن الكتابة في الصحف وغيرها ...

وطفق يفيض في هذا الموضوع. فعارضه المفتي قائلا نحن لا نريد نبش الماضي وبعثه من قبره بل نريد دفنه وتناسيه، ولا شأن لنا الآن بالوهابية ولا بغيرهم ، لأننا لا نحاول الصلح والاتفاق لمصلحة جماعة دون جماعة ولا هيئة دون هيئة ،بل نريد مصلحة المسلمين جميعا ، على أن يخدم كل منكما الاسلام بما يعتقده من غير أن يمس كرامة الآخر

حينئذ قلت : أما وقد قال الاستاذ الدجوي ما سمعتم فلا مندوحة لي عن جوابه لان الاتفاق والتعاون يتعذر مع سوء ظن كل منا بالآخر

قد سمعتم مايقول في الوهابية وما يرميهم به وانه يعدني منهم مع سوء اعتقاده أو ظنه بهم . وقد كتب كثيراً في الطعن عليهم وكان يذكرني في أثناء مطاعنه بدون أدنى مناسبة ويلقبني بمفتيهم وزعيمهم ، فلهم في خياله أقبح صورة تتمثل في شخصي

القول الحق في الوهابية وسبب الطعن عليهم

انني أعلم حق العلم انه ليس في الدنيا مذهب يصح أن يسمى مذهب الوهابية وان أهل نجد الذين يلقبهم غيرهم بالوهابية لا يلقبون أنفسهم بهذا اللقب،وهم حنابلة ليس لهم مذهب غير مذهب الامام احمد بن حنبل أحد الأئمة الذي يعترف له جميع أهل السنة بالامامة، بل انتهت اليه إمامة السنة في عصره بغير منازع ، وانما ينسبون أنفسهم الى السلف في العقائد وما كان أحمد الا إمام السلف في عصره. وما زال أهل الحديث كلهم ينتمون اليه . وقد صرح الامام أبو الحسن الاشعري باتباعه له

أما سبب اتهامهم بابتداع مذهب جديد في الاسلام فهو ان الدولة العثمانية قد رأتهم قاموا بنهضة دينية في جزيرة العرب أيدتها إمارة آل سعود،فخافت أن يؤسسوا دولة عربية تنزع منها سيادتها على الامة العربية فحاربتهم بالسلاح، وبنبزهم

بالابتداع في الاسلام، وجعلت قتالهم لها – وهي المعتدية – دليلا على تكفيرهم المسلمين واستباحة دماء من لايتبعهم في مذهبهم ، وأغرت بعض العلماء الذين يخضعون للسلاطين والحكام ويخدمونهم بكل ما يهوون أن يردوا عليهم، فألفوا الرسائل في الطعن عليهم في دينهم، لتنفير عرب الجزيرة وغيرهم وصدهم عنهم ، كما أغرت الامارة المصرية العلوية بقتالهم بعد أن استولوا على الحجاز وعجزت عن إخراجهم منه

وأما صاحب المنار فيعلم السادة الحاضرون وكل من يقرأ المنار أنه لا يقلد في عقيدته أحداً من الأئمة فكيف يعقل أن يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – على فرض أن له مذهبا خاصا غير مذهب الامام أحمد وسلف الأمة ؟ فمن لا يقلد الامام الاشعري وقد نشأ على مذهب الاشعرية فأجدر به أن لا يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الاستاذ الدجوي وجه عنايته في مجلة مشيخة الازهر وغيرها الى الطعن في الوهابية وجعلهم شر خلق الله ، وإلى تأويل البدع والخرافات الفاشية عند غيرهم ونرى رزاياها ومفاسدها في بلادنا من توجه الالوف بل الملايين من الجاهلين في قضاء حاجتهم وشفاء مرضاهم والانتقام من أعدائهم إلى أضرحة الميتين حتى من لا يعرف لهم في الاسلام ذكر ولا قدم صدق، وربما كانت أضرحتهم مزورة، فيشدون اليها الرحال ويحملون اليها النذور ويقربون لها القرابين، ويفتيهم بجواز ما يفعلون من استغاثة الموتى ودعائهم ويتأول لهم ذلك بالمجاز العقلي والمجاز اللغوي بقرينة كونهم مسلمين موحدين، وكلنا نعلم أن السواد الاعظم منهم لم يتلق عقيدة الاسلام من عالم ولا من كتاب من كتب الاسلام الصحيحة، وإنما يتلقونه عن أمهاتهم وجداتهم وأقرانهم ولداتهم.

ثم انه يعلم بما عليه الالوف من أهل البلاد من ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وكذا الصيام ، ومن استباحة السكر والزنا والقمار وغيرها من الموبقات ، وأعني بهذا عدم الاذعان النفسي العملي للأمر والنهي وهو حقيقة الاسلام ، ثم انه لا يكتب شيئا في مجلة مشيخة الازهر في النصح لهؤلاء ولا لاولئك ، وإنما يوجهه إلى الوهابية فيطعن عليهم ليردهم عما يتهمهم به من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم ، وهو يعلم أنه يندر فيهم من يقرأ كلامه ، وان من عسى أن يقرأه منهم لا يعتد بعلمه ولا باخلاصه، وهم يعلمون من أنفسهم – كما يعلم كل من اختبرهم – أنه لا يكاد يوجد

في بلادهم كلها من يترك صلاة الجماعة ، ولا من يجهر بفاحشة مبينة ، والسرائر علمها عند الله . وعلماء الوهابية لايكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بما أجمع فقهاء أهل السنة على أنه كفر وردة عن الاسلام ، فهم يخالفون مذهب الامام احمد في هذه المسألة وفي مسألة أخرى لاأعلم لهم غيرهما ، وأعني بالمسألة الاخرى أنهم يقدمون العمل بالحديث الصحيح المخالف لرواية المذهب عليها ، ولكن اتفاق الائمة الاربعة على ترك العمل بحديث آحادي يعدونه دليلا على وجود مانع من العمل به ، كعلة في سنده أو معارض لمتنه من نسخ أو غيره ، وما يذكرونه في كتبهم من أحكام الردة فيقال فيه مايقال في سائر أحكام الردة عند غيرهم من علماء سائر المذاهب: إنها بيان للحكم منوط بالدليل قوة وضعفا ، ونحن نرى فقهاء المذاهب كلها يختلفون في المسائل الأجتهادية من هذه الاحكام حتى ان مايعد كفرا وردة عند الحنفية (مثلا) قد يكون حراما أو مكروها عند الشافعية . فمثل هذا البيان لايسمى تكفيراً للمسلمين بالفعل لكثرة من تنطبق عليهم هذه الاحكام ، ولا يترتب عليه سفك الحاكم المسلم لدمائهم وإجراء أحكام الردة عليهم . فان تكفير الشخص المعين لايصح إلا بحكم يبنى على ثبوت الردة مع مراعاة درء الحدود بالشبهات ، كالتأول والجهل فيما يعذر به الجاهل ونحو ذلك ، ولهذا يحتاط جميع العلماء فيه ويشددون في النهي عن تكفير الشخص المعين

مثال ذلك ان الامام أحمد يقول بكفر تارك الصلاة ، فعلى قاعدة الاستاذ الدجوي يصح ان يقال ان هذا الامام الجليل يستبيح دماء هؤلاء الالوف الذين نراهم في وقت صلاة الجمعة تغص بهم أسواق القاهرة وشوارعها ، وتكتظ بهم ملاهيها وحاناتها ، دع سائر الصلوات التي يمكن التماس العذر لمن يترك جماعتها بأنه قد يصليها في بيته ، فان صح هذا القول عند الاستاذ في إمام الأئمة أحمد بن حنبل فكيف يعاب به أتباعه الملقبون بالوهابية ؟

ان النجديين يخالفون امامهم في مسألة التكفير بترك الصلاة لأنها ليست اجماعية في غير المستحل للترك ، الذي لا يذعن للأمر والنهي ، كما قلت آنفا .

هانحن أولاء نرى حكومتهم في مكة المكرمة تقيم حدود الشرع كلها ، فتقطع يد السارق ، وتقتل القاتل ، وتقيم الحد على السكران ، إذا ثبت عليهم ذلك شرعا ،

ولم نرها ولاسمعنا عنها أنها أقامت حد الكفر على أحد ممن على غير مذهبها الحقيقي وهو مذهب أحمد بن حنبل، ولا مذهبها المزعوم الذي يقول الاستاذ الدجوي انها تجبر الناس عليه بالقوة ، مع علم الملايين من الناس أن أهل الحجاز لا يزالون على مذاهبهم

ولا أنكر مع هذا البيان أنه يوجد في النجديين غلاة في الدين، ولاسيما قريبي العهد بالبداوة وجفوتها وجهالتها ، وهؤلاء الغلاة الجاهلون يجتهد ملكهم بتحضيرهم وتعليمهم ، وقد قاتل في العامين الماضيين طائفة منهم كما هو مشهور ، ولا تجد مثل هذا الغلو في الحضر منهم، وأكثرهم أو كلهم يعرفون أمور دينهم، وأنا أرى وكيل حكومتهم في مصر الشيخ فوزان السابق يصلي الجمعة في المساجد المتعددة فلو كان يعتقد ان أئمتها والمصلين فيها كفار لما كان يصلي معهم

واذا كان حال بدو زماننا على ما نعلم فماذا نقول فيهم قبل بث النجديين للدين فيهم ؟ كانوا يجهلون جل عقائد الاسلام ويتركون أركانه ، ويستحلون قتل الحجاج وغيرهم ، لتوهم ريال واحد يوجد عند أحدهم ، وقد بطل هذا من نجد ثم من الحجاز بارشاد هؤلاء الوهابيين وتنفيذ حكومتهم للشرع

هذا ماقلته في مجلس الصلح رداً على الاستاذ الدجوي بايضاح مافي العبارة المكتوبة دون زيادة في أصل الموضوع

وقلت أيضا انني أنصح لهم بل لملكهم نفسه في كل المسائل التي تشرع فيها النصيحة بمكتوبات خاصة لا بالتشهير في المنار أو الصحف، فان هذا هو الذي يرجى نفعه ويعد امتثالا للامر بالتواصي بالحق والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد أبلغ في النصيحة والموعظة ما يستكبره ويستنكره بطانة الملك السعودي لانني أسلك فيه طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والامراء وهو يحب هذه الطريقة وقد ألفها من علماء قومه

ثم ان الاستاذ الدجوي ادعى انني أنا المعتدي عليه بالرد والتحقير وانه ليس الا مدافعاً عن نفسه فاخرجت من جيبي كتابا كان أرسله الي منذ ١٣ شهراً هو نموذج من رسالته التي أشرت اليها في الهجو والتكفير . . . فامتقع وقبع ، وثنى صدره ليستخفي منه ، وشخصت اليه أبصار القوم حتى تمنى السيد عاصم لو كان بصيراً

غيرهم، ولكنه قال انني اعترضت عليه قبل هذا فقلت عند دخول مجلة نور الاسلام في سنتها الثانية انها كانت جديرة بالتهنئة لو لا ما ينشر فيها للشيخ الدجوي ...

فقلت له وهل تعد هذا كله عملا بقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ؟

ثم قال الاستاذ المفتي : حسبنا ما ذكر عن الماضي ويجب أن ننظر الآن في أمر الحاضر والمستقبل ، ونعقد الصلح على عدم اثارة شيء مما تقدم ، قال الدجوي : لابد أن يكف الشيخ رشيد اذنابه عما يكتبون في الجرائد انتصاراً له . فقلت أنا انه ليس لي اذناب ولا أتباع ، وهؤلاء الذين يردون على الاستاذ الدجوي وعلى مجلة الازهر في الجرائد ليسوا من أتباعي ولا من تلاميذي وإنما هم من علماء الازهر. والمعروف منهم من أصدقائي وإخواني مستقلون في آرائهم وعلمهم ،وأنا من اشد الناس احتراما لاستقلال الرأي وحرية العلم والمناظرة لاهلها حتى تلاميذي منهم

ووافقني بعض الاشياخ الحاضرين على قولي وقال أحدهم ان هؤلاء الذين يكتبون في جريدتي السياسة والجهاد في الرد على مجلة المشيخة هم من علماء الازهر الذين فصلتهم المشيخة منه في العام الماضي والسيد رشيد غير مسئول عنهم لان لهم مرمى آخر ووجهة أخرى ،وما أظن انهم يرجعون عن الكتابة مهما يكن من امر الصلح والنهي،فلا يصح أن نجعل كفهم شرطا للصلح ،وهذا لا يمنع ان يرجوهم فضيلة السيد رشيد اوغيره أن يخففوا من حدة اقلامهم ويقصروا كلامهم على المناقشة العلمية الهادئة

ثم دار البحث في الطريقة التي يمحى بها ما كان لما كتبه الاستاذ الدجوى في مجلة نور الاسلام من أثر فاتفق الجميع على أن يجاب السيد رشيد إلى ماطلبه من الرد على المسائل التي اتهم بها كتابة علمية لا يعرض فيها لفضيلة الشيخ الدجوي ولا لغيره بما يسوء من طعن شخصي ، بان يذكر التهم واحدة واحدة ويرد عليها بما عنده من الادلة والشواهد من مجلته وتفسيره ، ويرسلها إلى رئيس تحرير المجلة فينشرها فيها ، ولأصحاب الفضيلة المفتي ونائب المحكمة الشرعية العليا ومفتي الاوقاف الحاضرين الحكم الفاصل في موافقة مايكتبه السيد لهذا الشرط أو عدم موافقته ، فرضي الفريقان بهذا

وسأل الاستاذ الشيخ فتح الله سليمان من المسئول بالتزام النشر في مجلة نور الاسلام؟ فقال الاستاذ رئيس التحرير الشيخ محمد الخضر والاستاذ الشيخ طه حبيب المحرر فيها بموافقة الشيخ الدجوي إننا ننشر

ثم ذكر الاستاذ المفتي ما كان سبق اقتراحه في مقدمات الصلح من كتابة الاستاذ الدجوي في المجلة ثناء على الاستاذ صاحب المنار لاجل تحديده، فابى الدجوي البحث في تحديد ذلك وقال انه هو سيكتب مايرجى أن يمحو أثر المقالتين وينشره

واتفق الجميع على انه يحسن في اتقاء تجدد النزاع أن يتشاور الفريقان فيما يعرض للكتابة من المسائل الخلافية ويتفقا على الطريقة التي يكتبان فيها ، كما يحسن أن يتزاور الشيخ الدجوي والسيد رشيد لتأكيد الودة وتوطيدها ، وتمنوا لو يكون هذا الاتفاق تمهيداً لعقد مؤتمر علمي لتمحيص المسائل وحل عقد المشاكل بين العلماء واصلاح حال المسلمين

ثم نهضوا إلى صلاة العصر مسرورين مغتبطين شاكرين لفضيلة صاحب الدار ومفتي الديار صنيعه، وقدم هو السيد رشيدا للصلاة بهم إماما ، فسروا باقتداء الشيخ الدجوي به في الصلاة إذ ظهر به أن ما كتبه في تكفيره نصاً أو اقتضاء فهو عقوبة لا عقيدة . وبعد أداء الصلاة بالجماعة قاموا لشرب الشاي والتحاور الاخوي في شجون الكلام ثم انصرف الجمع مسرورين

ولم نكد نصل نحن الى دار المنار حتى علمنا منها ان مطبعة الاستاذ الدجوي التي يتولى إدارتها ابنه فهمي افندي بدأت توزع في القاهرة أثناء عقد الصلح رسالة اسمها (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) فعلمنا انه حضر مجلس الصلح من جهة ونقضه في وقت عقده من جهة أخرى

فهذه خلاصة خبر المرحلة الاولى لعقد الصلح . وسأبين في المقال التالي ما كان من دعوة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر الى استئناف الصلح واجتماعنا له في إدارة المعاهد الدينية وفشل هذه المرحلة الثانية أيضاً ، ويتلو ذلك الرد على البهتان الذي ذكرت أمهات مسائله في المقال الاول من غير ذكر اسم الشيخ الدجوي لأني لا أرضى أن أكون مناظراً له ولا خصما ، واعلم ان العاقبة للمتقين ؟

المقال الثالث

(المرحلة الثانية من مراحل الصلح في إدارة المشيخة والمعاهد الدينية)

في مساء يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة (وأ كتوبر) التقيت في احتفال وزير دولة الافغان المفوض بعيد جلوس ملكهم (صاحب الجلالة محمد نادر خان) بأصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية ونقيب السادة الاشراف وشربت الشاي معهم على مائدة واحدة وجرى في حديثنا ذكر الصلح، فقلت ان الشيخ الدجوي قد نقض الصلح في أثناء عقده بتوزيعه لرسالته البذيئة. قال المفتي ولكنك أنت لاتنقضه ، قلت وهل يكون الصلح من طرف واحد ؟ وسألت شيخ الجامع هـل اطلعت على الرسالة ؟ قال لا . فأخرجتها من جيبي وقرأت له بعض الابيات التى تخاطبني بالكلب والخنزير والوجه المقذور ! وقلت أهكذا تكون آداب علماء الدين ؟ فامتعض وامتقع ووجم ، وقال المفتي ان مثل هذه الرسالة لا تؤثر في مقامك من العلم والدين وسعة الصدر ـ أو كلاما بمعنى هذا . قلت ولكنها تحط من قدر علماء الدين وشرفهم الذي يجب على الاستاذ الا كبر أن يحافظ عليه . وأما أنا فأتمثل فيها بقول المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه * فلا أجازي على هذه السيئات بمثلها ولا يستطيع عدو أن يبلغ من مجترحها مابلغته منه .. ولكن لا يسعني بعد اليوم السكوت عن رد المطاعن والتهم التي افتريت علي، وقد أكثر الناس من مطالبتي بذلك مشافهة ومكاتبة ونشراً في الجرائد

قال المفتي انني أرسلت الى الشيخ الدجوي صديقا له يكلمه في وجوب الامساك عن نشر الرسالة ووعدته بان أدفع ثمن نفقة طبعها للطابع ونعود الى إتمام الصلح. قلت ان الطابع لها هو ابن الشيخ الدجوي في المطبعة التي أنشأها له والده وان هؤلاء لا يصدقون ، وأنا لايهمني نشرها ولا جمعها ، ولا يهمني نقض الدجوي للصلح ولا وفاؤه به ، وانما يهمني شيء واحد وهو ان تنشر لي مجلة مشيخة الازهر ما أفند به التهم التي نشرتها له ، وأنا على شرطي من اجتناب الطعن والهجو الشخصي

وفي اليوم التالي كتبت مقالي الاول وأرسلته الى الجرائد فنشرته في ٢٠ و ٢١ من الشهر،

فلما قرأه شيخ الازهر اهتم بالامر، فكلم المفتي في وجوب تداركه في ابانه، وأخذه بربانه، قبل أن أبسط المسألة في الجرائد، فيتسع الخرق على الراقع ، فكلمني المفتي بالمسرة وهو معه مبتدئا بعتابي على النشر في الجرائد ، فكان هذا أول تجانف منه وتزاور عن موقف القسط الذي كان يقيم ميزانه ، فطفقت أحتج فقاطعني قائلا ان الاستاذ الاكبر معي يدعوك الى الاجتماع في إدارة المعاهد الدينية يوم الاربعاء للنظر في المسألة فاذا قبلت فلك هنالك أن تدلي بكل ماعندك وننظر فيه بالانصاف . قلت لا بأس واني لمجيب ، قال واني أرسل اليك السيارة عند انتهاء الساعة العاشرة ، ونرجوك ان تمسك عن النشر حتى نجتمع وننظر في الامر

اجتمعنا في الساعة العاشرة و ٣٠ دقيقة وكان في المجلس أصحاب الفضيلة شيخ الجامع والمفتي ووكيل الازهر والمعاهد الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام والاستاذ السيد الشنواني وهو نائب عن الاستاذ الدجوي الذي سافر الى بلده في الريف لحضور مأتم فيها

بدأ الاشياخ الكلام بعتابي على النشر في الجرائد فقلت هل من العدل والانصاف أن يطلب مني السكوت عن الدفاع عن نفسي وبيان حقي في مسألة تداولتها الصحف اليومية ، وتناولتها أيدي جميع طبقات الامة ، وكثر تساؤل الناس كيف يسكت صاحب المنار عن الرد على التجني عليه وبهته بأفحش البهائت في دينه وعلمه وأدبه ؟ والقاعدة الاصولية انه لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو قد تجاوز الحاجة معي الى الضرورة ، فالى متى ينتظر مني أن أسكت وقد سكت أكثر من شهر ونصف شهر ؟ قال المفتي لانقول إنه لاحق لك في البيان، ولكني لم أفهم منك في دار سفارة الافغان أنك عزمت على الرد في الجرائد، وقد تعرضت في مقالك للكلام في الازهر ولا يصح ان نجعل الازهر مضغة في الافواه بخوض الجرائد فيه وأنت تحرص على كرامته مثلنا

قلت نعم ولكن اللوم كله على مشيخة الازهر فالطعن علي قد ظهر في مجلتها في أول الشهر الماضي، ثم تكرر في أول هذا الشهر بعد السعي من قبلها في الصلح وكان من أمر نقض الصلح ماعلمتم ، فأنا أصارحكم هنا بأنني لا أبالي بطعن الشيخ الدجوي ولا بتكفيره لي، ولا بنقضه للصلح ، ولا برسالته البذيئة التي ذكرت لكم

بدار سفارة الافغان رأيي فيها، وفيما يجب على مشيخة الازهر تجاه صدور مثلها عن رجل من كبار علمائها الرسميين، وخاطبت شيخ الازهر مصرحا له بما كنت أفعله لحفظ شرف الازهر لو كنت في منصبه (ولكنني لا أنشر هذا ولا ما أقمت عليه الدليل من حرصي على كرامة فضيلته واجتنابي مشايعة الجرائد على خوضها فيه)

وقلت ان السيد عاصما قال للذي يبيع الرسالة البذيئة في الازهر انني اطلب مائتي نسخة لارسالها الى الخارج فأين أجدها ؟ قال عند فضيلة الاستاذ الدجوي، فخطر في بالي انه ربما كان يريد نشرها في الخارج لاجل فضيحة الازهر بها ولكن فاعل هذا الانتقام يدخل في عموم (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) فلهذا نهيته عنه

ثم قلت ولكن الذي أباليه وأهتم به محضور في مجلة المشيخة . هذه المجلة التي أقمت الدليل في تقريظي لها على أنني أتمنى لو يكون توفيقها لخدمة الاسلام والمسلمين أكبر وأتم مما وفقت له في المنار، لان خدمة المنار لا يرجى أن تتجاوز عمري وقد دخلت في سن الشيخوخة ولم يبق من العمر إلا قليل ، ومجلة نور الاسلام تابعة لهيئة اسلامية غنية يرجى بقاؤها وأقسمت على صدق في شعوري هذا (وكادت تغلبني الدموع على الكلام ، فدعا لي الشيخ الاكبر ومن معه بطول العمر ودوام التوفيق)

ثم قلت وانه ليحزنني أن يخيب أملي وأمل كل من أعرف من فضلاء الازهريين وغيرهم في المجلة بل زارني من لم أكن اعرف من الخطباء الذين يطوفون في البلاد لبث الوعظ والارشاد من قبل المشيخة، فسمعتهم يقولون ان هذه المجلة أوقعتنا في مشكلة فنحن ننهي الناس عن البدع ولاسيما بدع المقابر والموالد ثم تجيء مجلة المشيخة والمعاهد تدافع عن هذه البدع وتتأول لفاعليها بما يعد أعمالهم هذه مشروعة (وذكرت من اقوال ارقى علماء الازهر فيها ما لا حاجة الى اذاعته في الصحف الآن) حتى انتهى امرها الى نشر المقالتين الاخيرتين في الطعن علي ، ولا شك في انه طعن بسوء النية لما فيه من الافتراء والبهتان وتحريف الكلم في النقل، ولم يترك كاتبه ما شبهة ولا خاطرا يرى انه يثبت للناس فيه جهل صاحب المنار إلا وكتبه ونشره حتى انه يذكر أصغر الامور التافهة مع التكفير وكبائر الموبقات كتجهيله لصاحب المنار بالنحو لاستعماله كلمة

القبوريين واظهاره لحجته بايراد قول ابن مالك * والواحد اذكر ناسبا للجمع *

ولا يجهل مثله ان شرط امتناع النسبة إلى الجمع ألا يكون علما أوجرى مجرى العلم كالجزائري والمقابري والانصاري والكرابيسي والمصاحفي، وذكرت أمثلة أخرى من أنساب العلماء والمحدثين. وقلت إن كلمة القبوريين قدجعلت علما على المفتونين ببدع القبور وقد استعمل العلماء هذا في كثير من الكتب المطبوعة ومن أشهرها كتاب (صيانة الانسان) الذي رد به أحد علماء السند على الشيخ احمد دحلان في طعنه على الوهابية ويعاد طبعه الآن

ومن الغريب انه اتهمني باني أحل الربا و بافتائي بجواز الانتفاع بالرهن وانما كانت فتواي بهذا نقلا لعبارة كتاب المغني في المسألة، وهو أجل كتب الفقه او من أجلها ولم أزد عليها إلا قولي : ومنها يعلم الحكم في المسألة — وأرى جميع علماء الازهر يأكلون الربا والله تعالى قد توعد آكلي الربا بأشد الوعيد لا من ينقل قول أئمة الفقه في الرهن وغيره

قال المفتي : وهل مال الحكومة كله أو أكثره من الربا ؟ قلت انني لا اعني مال الحكومة المختلط وانما اعني ان المخصص لميزانية الازهر والمعاهد الدينية من ميزانية الحكومة العامة يوضع في البنك الاهلي ويضاف عليه من الربا مثل ما يضاف على سائر ميزانية الحكومة ، ومشيخة الازهر تسحبه من البنك كسائر مصالح الحكومة فهل كنت أنا الذي أفتيت مشيخة الازهر بهذا ؟ وجرى كلام آخر في حكم المال المختلط من حرام وحلال لا محل لبسطه هنا وعلمت منه أن المفتي لا يأخذ من الازهر راتبا .

ثم قال الاستاذ الاكبر اننا اجتمعنا هنا لنضع حداً لهذا النزاع والمطاعن بصلح ثابت نمنع به نشر هذه الردود في الجرائد لانها تزري بالعلماء

قلت انني أكرر ما قلته مراراً وهو أن لي الحق ان انشر في مجلة نور الاسلام وفي الجرائد رداً على التهم التي افتريت علي ملتزما فيه ما وعدت به من تلقاء نفسي قبل الاجتماع لعقد الصلح وبعده من اجتناب الطعن الشخصي في الشيخ الدجوي . واذا رضيت المشيخة بعزو تلك التهم الى المجلة من دون ذكره فانني ارضى بهذا . وقد غيرت مقدمة المقال الذي كنت ارسلته إلى رئيس تحريرها بهذه الصفة وأخرجته من جيبي وقرأت لهم اكثرها — فوافقوني على النشر في مجلة نور

الاسلام بعد اطلاعهم على ما اكتبه ورؤيته موافقا لما اشترطته على نفسي فيه وعدم نشر شيء في الجرائد ولا كتابة ما يعد طعنا على الازهر

قلت انه ليس من دأبي الطعن على الازهر ولا على أحد ولكن الكتابة في إصلاح التعليم والتربية في الازهر وغيره من أهم مقاصدي التي أنشأت المنار لاجلها وهذا معروف فيه منذ ٣٥ سنة

قال المفتي هذا صحيح ولا يطالبك أحد بترك الكتابة في الاصلاح ولكن إذا عرض لك أن تكتب في إصلاح التعليم في الازهر فنقترح عليك أن تعرض رأيك أولا على الاستاذ الاكبر للتشاور فيه ثم تكتب ماتتفقان عليه - أو قال مايقرب من هذا - وكانت هذه الكرة الثانية التي تحيز فيها فضيلة المفتي إلى جانب المشيخة بما فيه هضم لحقي في حرية الكتابة ، وهي لاتقل عندي عن حرية الرقبة

وقد تذكرت بمناسبتها مارواه لي المرحوم الاستاذ الشيخ احمد ادريس عضو المحكمة الشرعية العليا عن الاستاذ الامام أنه قيل له في الاسكندرية : نرجوك أن تمنع صاحب المنار من الطعن في السلطان والدولة العلية فان هذا من السياسة وهي ليست من موضوع مجلته الدينية . فقال لهم الاستاذ الامام : انني والله لاأعرف أحداً من الناس أشد استقلالا في الرأي من صاحب المنار ، وكيف أقول له هذا وهو يعلم كما أعلم أن دين الاسلام دين سياسة لادين عبادة فقط ، وكل ما يمكن أن أقوله له في هذا الموضوع إنني رأيت كثيراً من محبي المنار يسوءهم الانتقاد فيه على الدولة وانني أنا أظن انه غير مفيد لما يرجوه منه - أوما هذا معناه

بيد أني أعتقد أن المفتي حسن النية فيما قال ، وانه يريد به الاتصال بيني وبين شيخ الازهر للتعاون على خدمة الاسلام - فأجبته بما يفهم منه رد اقتراحه بالفحوى وهو أن رأيي قد يخالف رأي الاستاذ الاكبر في هذا الاصلاح وأنني ذكرت لفضيلته منذ أشهر رأيي فيما أنتقده على تعليم الازهر للعقائد وما يجب من الاصلاح له بدار الدكتور عبد الحميد سعيد بحضور كثير من أهل العلم والرأي فلم يرده ولم يقبله، ولعلك تذكر اذ التقينا في هذا المكان في العام الماضي وعاتبني الاستاذ الاكبر على عدم زيارتي له قائلا اننا اخوان ومقصدنا في خدمة الاسلام واحد وان كنا نختلف في بعض المسائل، وذكرت أنت - الخطاب للمفتي - انه من الضروري أن نجتمع ونتعاون على خدمة الاسلام . ولعلك تذكر أيضا انني اعتذرت يومئذ

للاستاذ الاكبر عن عتابه اللطيف المتواضع بانني رجل صاحب شغل كثير فلا أجد فراغا للزيارات . ولكن فضيلته اذا دعاني في اي وقت لاجل عمل او تشاور في خدمة الاسلام وهو شيخ العلماء ورئيسهم فانني أمتثل أمره

ففهم الشيخان بل الاشياخ الثلاثة من هذا الجواب ان هذا الاقتراح لا يعقل ان يقبل ، وظللنا متفقين على ان أرد على التهم وحدها وان ينشر ردي في مجلة نور الاسلام بشرطه ، ولكن الاستاذ الوكيل قال ان الرد على تلك المسائل كلها بالتفصيل يطول واقترح الاكتفاء بمقالة واحـدة . قلت لا يمكن دحض التهم بمقالة ولا ثنتين ولا ثلاث

ثم اقترح الاستاذ الاكبر ان يكتب الاستاذ الدجوي اعترافا منه بخدمة السيد رشيد رضا للاسلام يمضيه وينشر في المنار ، ويكتب السيد رشيد اعترافا مثـله بخدمة الاستاذ الدجوي للاسلام يمضيه وينشر في مجلة نور الاسلام !!! وكانت هفوة من الاستاذ الاكبر

قلت ياسبحان الله أأكون انا صاحب الحق المعتدى علي وأكلف ان أزكي الجاني الطاعن تزكية تنشر في المجلة التي نشر فيها بهتي بالتكفير والتجهيل ، كأنني اقول لقرائها انه مصيب فيما كتب !! وتذكرت مالم أكن أذكر من قول الشاعر :

ولم أر هضما مثل ظلم ينا لنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

وقول الآخر * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر *

ولكن الاستاذ فطن لهفوته فقال بل ينشر كل من الاعترافين فى المجلتين وفي الجرائد وبهذا ينتهي كل القيل والقال — او ماهذا معناه

قلت قد عرفتم رأيي في الاستاذ الدجوي واني لا أرى خصما لي فيما نحن فيه الا مجلة المشيخة ، وان حقي الشرعي عليها وحق قرائها ان تنشر لي ماأرد به على ما نشر بشرطي المقبول عندكم ، وحسبي ألا أطعن فيه على شخص الدجوي فهل أكلفه أيضا ان أزكيه ؟ فان كانت المشيخة ترى من الحق والعدل أن يكتب شيئا يكفر به عن مطاعنه فذلك شأنها او حق عليها ، وان كتب ما أراه مبرئا لي فقد أكتب بخير أما كتب

ودارت أحاديث أخرى في بعض مسائل الطعن ومسألة البدعة في الاذان

وأمر الاستاذ الاكبر السيد الشنواني ان يجمع نسخ رسالة الطعن من الازهر والمطبعة والمكاتب و يأتي بها كلها الى إدارة المعاهد لتحفظه فيها . فقلت الى متى ؟ قال الاستاذ المفتي هذه النسخ يجب اتلافها او احراقها . ثم انصرفنا، وقد علمت أن أمر الاستاذ الاكبر بجمع الكتاب ووضعه في إدارة المعاهد لم ينفذ وهو لا يزال يباع في مطبعة الدجوي وفي بعض المكاتب ولكن أعطيت المشيخة ٢٧٠ نسخة منه (فاعتبروا يا اولي الابصار) (*

ولم يكتف الاستاذ الدجوي بهذا بل عاد الى الطعن علي برسالة نشرها في جريدة الجهاد (٢٣ من الشهر) فأرادت المشيخة ان تستأنف معي قطع مرحلة ثالثة للصلح ، لمنعي من النشر في الجرائد وان تكون حكما بين الخصمين وتكررت مخاطبتها لي بذلك مراراً بالمسرة (التلفون) لاجل الاجتماع في إدارة المعاهد فأبيت، ثم بعرض صحيفة لامضائها فاستنكفت ، وكان جوابي في كل مرة عين ما قررته في المرحلة الثانية وصرحت لفضيلة الاستاذ الوكيل من قبله بان التنازع انما هو بيني و بين المشيخة ، فلا يصح أن تكون هي الخصم والحكم ، وان الصلح بيننا انما يكون بان تنشر لي في مجلتها ما أرد به على تهمها بالشرط الذي تكرر ذكره . وأما الشيخ الدجوي فهو من رجالها الموظفين فلها حكمها في عمله وفي كفه عن عدوانه ، او اطلاق عنانه ، وهي المسئولة عنه عند الله وفي عرف عباده ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

---

*) انني رأيت كل من كلمني في هذا السعي للصلح وما وقع فيه يعتقدون أن شيخ الازهر هو المغري للدجوي بما كتب أولا وآخراً وأنه لم يكن له غرض في الصلح إلا منعي من فضيحتهم في الجرائد إذ لا يعقل أن يكون عاجزاً عن منعه من نشر الكتاب وصرح لي أحدهم أشد حرية معي بأني خدعت ، وأما أنا فكل غرضي من مواتاتهم السماح لي بالرد في مجلة الازهر ليعلم قراؤها الحق من الباطل ، والعلم من الجهل . وهو حق شرعي وقانوني

المقال الرابع

(مقدمة تاريخية للرد على مجلة مشيخة الازهر في تصدي المنار للاصلاح ومقاومة الشيوخ له)

ان هذا التنازع والتخاصم بين مجلة المنار ومجلة مشيخة الازهر تنازع في مسائل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وطريق فهمهما ودفع ما يرد عليهما من الشبهات العصرية وما عارضهما من شوائب البدع، فمن حق الامة أن تعرفه وأن يكون لها حق الحكم فيه، وأرى من المفيد لها في أسباب صحة الحكم أن أقدم على الرد العلمي على مسائل التهم البهتانيـة مقـدمة تاريخية وجيزة في تصدي المنار لاصلاح التعليم والتربية في الازهر ومقاومة البدع والخرافات في المسلمين وعداوة بعض الاشياخ له ـ حملني عليها استعداء الشيخ يوسف الدجوي مشيخة الازهر علي في مقالته التي نشرها في جريدة الجهاد يوم الاحد ٢٣ جمادى الآخرة واغرائه اياها بما يرجوه من سعيهـا لاسقاط المنار، وهو شيء سعى له هو وغيره من قبل فخاب سعيهم، وقد دونت هذا بالتفصيل في مجلدات المنار وفي الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (رح)

وأذكر هنا حكاية فكاهية في الموضوع لم تدون من قبل كان قصها علي أحد علماء الجامع الاحمدي خلاصتها ان أحد وجهاء طنطا الموافقين لمذهب المنار في محاربة البدع زار شيخ الجامع الاحمدي فى أيام مولد البدوي منذ سنين خلت وكلمه فى المنكرات التى تقع فى المسجد الجامع وعند ضريح السيد وما يجب عليه من العمل لابطالها وانقاذ المسلمين من فضائحها التي يعيرنا بها الاجانب، فوافقه الاستاذ على ذلك ووعده بالسعي لابطالها بالتدريج. وبعد أن انصرف زار الشيخ رجل آخر من القبوريين فقال له: يامولانا الشيخ ان مجلة المنار قد فضحتنا بما تكتبه فى منكرات الموالد والتوسل بالاولياء وآل البيت فالى متى أنتم ساكتون عنها ؟ فقال له الشيخ اننا نفكر فى تأليف لجنة من العلماء لبيان أغلاط المنار المخالفة للشرع والرد عليها

ثم بلغنا فى سنة ١٣٣٥ انه قد ألف بعض علماء الازهر جمعية لمثل هذا الغرض الذي كان وعد به شيخ الجامع الاحمدي الذي يسمى الآن (معهد طنطا) بعد أن أعلن الحرب على المنار اثنان منهم أحدهما الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي والآخر المرحوم

الشيخ عبد الباقي سرور . فشرعا في نشر مقالات لهما في جريدة اسمها الافكار ، وكانت معركتهما الاولى مسألة من المسائل التي أثارها الشيخ الدجوي في معركته الحاضرة وأشرت اليها في المقالة الاولى وهي ابوة آدم عليه السلام للبشر وما يعارضها من مذهب دارون وقول الاستاذ الامام انه إن فرض ثبوت نظريته في تعليل الانواع فانها لا تنقض شيئاً من نصوص القرآن القطعية فيظل القرآن فوق كل شيء

فلما رأيت ان مطاعنهما تدل على انهما يكتبان مالا يعتقدان وما لا يفهمان بمحض البغي والعدوان ، دعوت البادىء منهما وهو الشيخ عبد الباقي إلى المذاكرة والمناظرة في المسألة بالمشافهة ومعاهدة الله على الاخذ بما يظهر من الحق وإلا رفعت عليه قضية الى محكمة الجنايات ، فأبى المناظرة فرفعت القضية وفي يوم الجلسة حضر المحكمة كثير من علماء الازهر . وانتهت القضية بالصلح الذي ساء أولئك الشيوخ فقالوا له : والله ان الحكم عليك بأشد العقوبات كان يكون خيراً لك من هذا الصلح المخزي

ولقد كان عفا الله عنه ذكيا قريبا من مذهب المنار الاصلاحي بمقدار بعد زميله عنه ، وانما دفعه الى الطعن حب الشهرة ، وقد عاد بعد أمة من الزمن لما كان سبق له من مودتي ، ولما كتبت مقدمة المغني في أسباب خلاف الامة في الفقه وبيان المخرج من مضاره وما يجب على جميع المسلمين من أحكام الاسلام ، وما لا يجب إلا على من ثبت عنده — قال لي انه لم يكتب مثلها في الاسلام وهي جديرة بأن يطبع منها مئات الالوف من النسخ و يطلع عليها جميع طلاب العلم الاسلامي

وخاف الاستاذ الدجوي أن أرفع عليه قضية تنتهي بحكم مهين، أو صلح خزي مبين ، فتوسل إلى بعض أهل الفضل بالسعي لصلح شريف بالجمع بيننا فاجتمعنا واعتذر الاستاذ عما كان يكتبه بأنه كان عن سوء فهم لا عن سوء قصد، وأن سببه ان الذي قرأ له عبارات المنار عرف بعضها وأعرض عن بعض الخ فقلنا عفا الله عما سلف

ثم ان الاستاذ الدجوي نقض الصلح الاول كما نقض الصلح الاخير في هذه الايام، وألف جمعية للبحث عن هفوات المنار لاجل الطعن والتشهير ، وما هو شر منها من استعداء مشيخة الازهر والحكومة على صاحب المنار للانتقام منه، وهذا ما يحاوله اليوم بما له من المكانة في هيئة كبار العلماء ، والقلم الطعان في مجلة المشيخة الرسمية ، وبما للمشيخة من النفوذ في الحكومة

ولكن المشيخة كانت أعقل منه وأعلم بسوء تأثير كلامه وما فيه من العار عليها

وعلى الازهر اذا أقرته، فقد سعت لانتياشه مما تهوك (١) فيه فعجزت عنه فلم تستطع منعه من استمرار الطعن علي في أثناء المفاوضة في الصلح ولا بعد عقده، لضعفها عن تنفيذ سلطتها الرسمية عليه، حتى ان رئيسها الاستاذ الاكبر أمر بجمع الرسالة البذيئة ووضعها في إدارة المعاهد وصرح بتألمه منها فلم ينفذ أمره (كما تقدم) وهو مرءوس له وموظف عنده ؛ وأجدر بعجز الرئيس عن المرءوس فيما هو صريح حقه عليه في قانون الازهر أن يكون مثار العجب ، فهل سببه قوة الارادة وضعفها ، أم هنالك قوة خفية يعتز المرءوس بها . ومن مظاهر هذا العجز أن يكون الغرض من الصلح إقناعه بالكف عن هذه الكتابة التي لا تسلم المشيخة من عارها، بل لا يعرف في تاريخ الازهر وسيرة شيوخه مثلها – وأن يكون هذا الصلح بأخذ وثيقة مني بدفن الماضي قبل أن تظهر براءتي من مطاعنه، وأن ترضى المشيخة بجعل الرد عليها وعلى مجلتها دونه. وأن يظل هو مع هذا كله يستعديها علي، ويوجب عليها الانتقام مني، ويصفها بقوله « وهي المشرفة على جميع المسائل الدينية وصاحبة السلطان على ذويها بنص القانون » كأن قانون الازهر وضع للسيطرة على غير أهله ، والانتقام لشيوخه من غيرهم بالباطل (٢) فكانت المشيخة بسعيها هذا كمن يحاول انقاذ الغريق فغرق معه، فهي انما رغبت إلي بأن أنقذها

---

١) الانتياش من النوش وأصل معناه التناول واستعمل الانتياش في الانقاذ من الهلكة وما في معناها . قال ابن دريد :

ان ابن مكيال الامير انتاشني من بعد ما كنت كالشيء اللقا

واللقا الذي يلقى ويهمل لانه لا قيمة له . والتهوك التهور والتحير . وتهوك في الشيء وقع فيه بلا مبالاة ولا روية، واضطرب في القول وجاء به على غير استقامة

(٢) ألف طالب علم نجدي مجاور في الازهر كتابا في الرد على الشيخ الدجوي عجز عن الرد عليه سماها (البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية) فانتقمت له المشيخة منه بقطع رزقه من الازهر وفصله من الانتساب الى الازهر . وروي لنا أن الاستاذ الاكبر سعي لدى الوزارة لمصادرة الكتاب فامتنعت . ولكن مجلة المشيخة كذبت هذا الخبر وخبر محاولتها شراء كتاب الطالب النجدي . وقد يكون الخبر أصدق من المجلة بدليل افترائها علينا في ديننا وهو لا يستحل هذا،

وأ نقذه ،وقد علمت الامة اني واتيت، ثم عجزت بعجزها عنه فانثنيت . وأمسكت عن بيان الحق شهراً ونصف شهر

وأما هو فرأيي في عدوانه الاخير كرأيي في عدوانه الاول (سنة ١٣٣٥) ولولا ان كان عدوانه هذا في مجلة مشيخة الازهر الرسمية، وأن كان الساعي للصلح معه الاستاذان الاكبران: شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية، لاجتنبت ذكر اسمه اليوم كما اجتنبته من قبل حفظا لكرامة الازهر وكرامتي كما علمت ذلك في وقته ، ورأيي في جمعيته واستعدائه اليوم هو رأيي في مثلهما بالامس . ومنه ان مثلي لا يرد على مثله، لانني لا أستطيع ان أناظره بمثل هجوه الذي أتنزه عن وصفه ، لئلا يقال انني شاركته في شيء منه ولو بتسميته باسمه ، ولانه يفتري التهم ، ويحرف الكلم ، ويقول ما لا يعلم وما يعلم خلافه، وذلك لا يمكن أن يكون خدمة للعلم ولا لبيان الحق . وسيرى القراء الشواهد على هذا فيما ننشره من الرد . ولو أنني أعرف كلمة في اللغة أخف من الافتراء والتحريف تؤدي معناهما لما كتبتها . وأحمد الله أن رضيت المشيخة بجعل الرد على مجلتها لا عليه ، لانه يغنيني عن عزو كلامه اليه

واننى انقل للامة في جرائدها ما كتبته بشأن عدوانه الاول في فاتحة المجلد العشرين من المنار الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ بعد بيان مذهب المنار في الإصلاح وهذا نصه

﴿ كلمة المنار في المجلد العشرين سنة ١٣٣٥ ﴾

« تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصبي الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لاجلها الظالمون فصبرنا لله بالله، ولم نكن كمن أوذي في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المغرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيداً خفيا ، أضر بنا ضررا جليا ، إذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمنا بذلك وبغيره كثيراً من المال، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الاصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ،

« وأما الازهريون خاصة، فقد كانوا أزواجا ثلاثة، فقليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام في هذا الزمان ، وكثير من الشيوخ

والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد ، ورمي جماهير علماء العصر بالجمود والتقصير ، والسواد الاعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريظ أو انتقاد ، وعن كل ما يتجدد في الدنيا من إصلاح و إفساد

« وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الازهريين ، إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الازهر فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفره بانيا ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على أن المنار قد صرح باثبات هذه الابوة تصريحات آخرها ما في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر ، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأبين ، ومن لا يزعه هدي القرآن ، عن السب والكذب والبهتان ، قد يزعه عقاب السلطان ، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات ، بعد أن أنذرنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تائبا من ذنبه ، فلم يزده ذلك إلا اصراراً على الذنب ، وتماديا في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكمة للسلم ، وطلب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح ، على أن يعتذرا عما اتهما به من المطاعن الشخصية ، ويعترفا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية . وقد قبلنا ذلك منهما ، وكان خيراً لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما ، على أنهما عادا إلى هذيانهما ، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه مما يقال لصاحبه سلام ، وانما ذكرناه في فاتحة المنار ، التي نشير فيها عادة إلى ما تجدد في تاريخ الاصلاح ، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية ، من تأليف جمعية أزهرية ، لأجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية ، و بيانها للناس وللحكومة المصرية ، ذكرت ذلك الجريدة التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار ، متوهمة انه سيترتب عليه ابطال المجلة او اخراج صاحبها من هذه الديار ، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية ، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ، ... فنقول للواهمين ، ولمن يمدونهم في غيهم من المغرورين : انا نعلم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون ، فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا

انا منتظرون (٩ : ١٠٦ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

«اننا ندعو الى الله على بصيرة ، ونكتب ما نكتب عن علم و بينة ، ولكننا كغيرنا عرضة للخطأ والغلط ، كما هو شأن غير المعصومين من البشر ، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام ، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاوهام، لننشره فيه ، فيطلع عليه جماهير قارئيه ، وانا لنتمنى ان تؤلف لجنة من علماء الازهر ، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر ، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها ، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها ، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة اهل العلم ، من صحة النقل والتروي في الحكم ، واجتناب الطعن والبذاء ، والسخرية والاستهزاء ، وانا نعد ذلك اذا سمت اليه همة بعض الازهريين، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين ، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين ، مقرين إياهم على ما نراه فيه من الصواب ، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب ، وترديد عبارات الحمد والشكر ، التي تبقى بقاء الدهر ، ولثواب الله خير للذين يصلحون في الارض ولا يفسدون ، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

«وانا على ضعف أملنا بتحقق تلك الامنية ، واحتقارنا لكل ما يكتب بجهالة وسوء نية ، ليحزننا ان يقوم في الازهر بعض علمائه ، ورئيس جمعية من جمعياته، ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه ، بافتراء الكذب عليه (١) ونسبة ما ينقله عن غيره اليه (٢) وتحريف آيات القرآن ، استدلالا بها على ما رماه به من الكفر

---

(١) ادعى ان صاحب المنار قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه ليس أبا لجميع البشر — وهذا كذب وافتراء — وادعى انه عضو في لجنة ألفت لنشر كتب شميل وهذا كذا كذب مفترى أيضا (٢) عزا الى صاحب المنار أقوالا في خلق الانسان وفي تكفير من يحكم على السارق بغير الحد الشرعي وتلك الاقوال من منقول المنار لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها اه من الاصل

والفسوق والعصيان (١) بذلك الكذب والبهتان ، الذي زاد فيه على ماسبقه اليه ذلك الطعان ، وانا لنكرم كلا من المنار والازهر بعدم ذكر اسمه ، وعسى ان يثوب الى رشده و يتوب من إثمه (٤٩ : ٦ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين — ١١ ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

انتهى ما نقلناه من مقدمة المجلد العشرين من المنار ، وكأنه كتب في هذه الحادثة، وما أشبه الليلة بالبارحة !

هذا وإنني أختم هذه المقدمة بالتنويه بأولئك الشيوخ الكبار الذي كنا ننتقدهم فيما نكتبه في إصلاح الازهر ، فانهم لم ينقموا من المنار صده عن البدع والخرافات ، ولا ما كتبه في افتتان الناس بالكرامات ، ولا إنكار عبادة الاموات ، ولا طعن أحد منهم في ديننا ، ولا بهتنا ولا افترى علينا ، فرحم الله من مات منهم وأطال عمر من بقي ، كالاستاذ العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي ، الذي لم نصرح في المنار بمناظرة أحد منهم غيره ، وانما كانت مناظرة علم ، لاعداء فيها ولا إثم ، وقد أثنى أخيراً على مقدمتنا للمغني آكد الثناء ، وهي خلاصة رأينا في الاصلاح (٢)

وقد حاول الخديو أن يحمل بعض الكبار من أولئك العلماء على طعن في المنار يتوسل به الى نفي صاحبه من مصر ، فأبوا ذلك عليه على مايعلم الناس من ضعفهم أمامه . فلم يصل الضعف بهم الى مثل هذا العدوان على عالم يخدم الدين بعقيدة واخلاص ، احتمل في سبيلهما عداوة الخديو والسلطان . وسترى الامة في المقالات الآتية مبلغ المعتدي عليه من العلم والدين الآن ؟

(١) استدل بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالاة أعداء الله على ضد ما تدل عليه وأهمل ماقيدته به السورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين الخ اهـ من الاصل

(٢) قد نشرنا هذه المقدمة فى كتابنا (الوحدة الاسلامية)

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿في حقوق النساء في الاسلام وحظهن من الاصلاح المحمدي العام﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

٥٨

(بر الوالدين وتفضيل الامهات فيه على الاباء)

أوصى الله تعالى في مواضع من كتابه بالاحسان بالوالدين وقرنه بالامر بعبادته والنهي عن الشرك به ، وأمر بالشكر لهما متصلا بالشكر له ، وخص الام بالذكر في بعض هذه الوصايا للتذكير بزيادة حقها على حق الاب ، ونذكرها هنا أجمعها

قال تعالى في سورة الاسراء (١٧ : ٢٣ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا

الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما و يقال لكل مستخف به استقذارا واحتقارا له كما قال الراغب وكذا لكل ما يتضجر منه . يقال تأفف به اذا قال له أف لك . ومنه (٤٦ : ١٧ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي؟) وخص هذا النهي بحالة كبر الوالدين او احدهما لان الكبر مظنة وقوع ما يتضجر منه او يستقذر منهما، وهو يدل على تحريم ذلك في غير هذه الحالة بالاولى . والنهر والانتهار الزجر بغلظة وخشونة . والكريم من الاقوال آدبها وألطفها ، ومن الاعمال انفعها واشرفها، ومن الاشخاص افضلهم واجلهم

(٢٤) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٥) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا

يعبر عن العطف في المعاملة بخفض الجناح ، وأصله أن الطائر يخفض جناحه لفرخه يقيه به تارة ويعلمه الطيران اخرى . وخفض الجناح من الذل ابلغ من خفضه لاجل العطف، فهذا من رعاية الكبير للصغير ومنه قوله تعالى لرسوله (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وذاك من عناية الصغير بالكبير ، ولم يؤمر احد به لغير الوالدين. وفي تشبيه ما امر الولد أن يطلبه من رحمة ربه لوالديه برحمتهما له عند ما ربياه في صغره تعظيم كبير لرحمة الوالدين ليتدبر الاولاد ذلك ويعلموا أن رحمتهم لوالديهم في الكبر والتذلل لهما لا يكفي في اداء حقوقهما ، وانما عليهم ان يدعوا الله تعالى ان يكافئهما عنهم برحمته التي وسعت كل شيء ولا يعلوها شيء . ذلك بأن رحمة الوالدين للولد في صغره ولاسيما الام التي تتولى إزالة اقذاره وغير ذلك انما تكون مع اللذة والرغبة والسرور ولن تبلغ رحمة الولد بهما هذا الحد

ولما كان بلوغ هذا الحد من البر والاحسان بالوالدين عزيز المنال ذكر الله عباده بان المدار فيه على حسن النية وصلاح النفس فان وقع مع ذلك تقصير ما فانه لا بد أن يقرن بالتوبة وحسن الاوبة الى التشمير بعد التقصير ، والله تعالى غفور للاوابين أي الكثيري الرجوع الى الحق والخير كلما عرض لهم ما يصدهم عن المضي فيه أو الثبات عليه.

وقال تعالى في سورة لقمان (٣١ : ١٤) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ

الوهن الضعف أي ذات وهن أو تهن مدة حمله وهنا على وهن بالوحم والاثقال والوضع . وفصاله أي فطامه في انتهاء عامين يكون كل همها فيهما ارضاعه وتغذيته وتنظيفه ـ والجملتان معترضتان بين الوصية والموصى به وهو الشكر لله الذي خلقه ولوالديه اللذين عنيا بتربيته ولاسيما الام التي كانت أكثر تعبا وعناية به فقرن شكرهم بشكر الله تعالى وجعله ثانيه للايذان بأن فضلهما عليه يلي فضل ربه وقوله بعده (إلي المصير) تذكير بأن جزاء الشكر وضده في الآخرة لله وحده

(١٥) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تُطِعهُمَا وَصَاحِبهُمَا فِي الدُّنيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُم فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

هـذه الآية أدل على عـظم حق الوالدين على الولد فان الله يأمره بها أن يصاحب والديه المشركين في الدنيا بالمعروف من البر والاحسان إلا في شركهما وما يلزمه من معاصي الله تعالى فان جاهداه على أن يشرك بالله تعالى فلا يطعهما لان حق الله تعالى عليه أكبر من حقهما وتوحيده وطاعته هي الوسيلة إلى سعادته ونعيمه الذي لانهاية له. وقوله (واتبع سبيل من أناب إلي) أي واتبع في الدين سبيل من أناب الي من النبيين والمرسلين، ومن اهتدى بهم من المؤمنين دون تقليد الآباء الكافرين قال (ثم إلي مرجعكم) أي مرجعك ومرجع والديك (فأنبئكم بما كنتم تعملون) عند حسابكم وأجازي كلا بما يستحق فعلي حساب والديك وجزاؤهم لاعليك، والآية نص في البر والشكر للوالدين الكافرين فيما عدا الكفر ولوازمه فهي أرحم مما ينقله النصارى عن المسيح عليه السلام من التفرقة والعداوة بين الوالدين والاولاد

ففي انجيل متى (١٠: ٣٤ لاتظنوا أني جئت لالقي سلاما على الارض ماجئت لالقي سلاما بل سيفا ٣٥ فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد امها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته)

وأما قول الله تعالى (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فقد نزلت في قوم من أهل مكة اسلموا فأبي ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ومع هذا فقد قال الله تعالى فيهم ﴿ وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ﴾

وقال في سورة الاحقاف (٤٦ : ١٥ ووَصَّينَا الانسَٰنَ بِوَٰلِدَيهِ إِحسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرهًا ووَضَعَتْهُ كُرهًا وحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَربَعِين سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَٰهُ وَأَصلِح لِي فِي ذُرِّيَّتِيَ إِنِّي تُبتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسلِمِين)

ثبتت القراءة بلفظ الاحسان ولفظ الحسن ، و بفتح الكره وضمه ومعناهما واحد (كالضعف والضعف) وهو المشقة ، وهو أقسام منه مايكرهه الانسان ويشق عليه طبعا وان أحبه عقلا أوشرعا و بالعكس كالدواء والصبر على المكاره

ومنه قوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وكره الام لمشقات الحمل والوحم طبيعية لاعقلية ولاشرعية ولا فطرية . وقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) معناه أن مدة تعب الام في حمله الى فطامه ثلاثون شهراً وهو مبنى على ان مدة الرضاعة الغالبة ٢١ شهراً وهو ما كان عليه الناس في الغالب لا انه تشريع ، الا تحديد اكثر الرضاعة بسنتين في آية البقرة فان الام لا تكلف أن ترضع طفلها أكثر من ذلك لانه بعد اكمال السنتين لا يضره التغذي بغير لبنها مما جرت العادة والتجربة بتغذي الاطفال به ، ويوجد في هذا العصر من الالبان الحيوانية المجمدة او المجففة ومن المستحضرات الاخرى (كالفوسفاتين) ما يوافق كل طفل في كل وقت ولم يكن هذا في زمن التنزيل ، على ان لبن الام افضل وانفع باجماع الاطباء

٥٩

الاحاديث النبوية

(في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما وتخصيص الأم بترجيح حقها)

جاء في حديث أبي هريرة المتفق عليه أن رجلا جاء الى رسول الله (ص) فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » قال ثم من؟ قال « أمك » قال ثم من ؟ قال « ثم أبوك » وفي رواية زيادة « ثم ادناك فأدناك »

وفي حديث المقدام بن معدي كرب عند أحمد والبخاري في الادب المفرد وابن ماجه وصححه الحاكم قال (ص) « ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب »

وفي حديث أبي رمثة عند أحمد وأصحاب السنن الثلاثة والحاكم واللفظ له قال انتهيت الى رسول الله (ص) فسمعته يقول « أمك وأباك ثم أختك وأخاك ثم ادناك أدناك » فقدم ذكر الاخت على الاخ ايضا

وفي حديث عائشة عند احمد والنسائي والحاكم وصححه قالت سألت النبي (ص) أي الناس اعظم حقا على المرأة ؟ قال « زوجها » قلت: فعلى الرجل ؟ قال « أمه »

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود والحاكم ان امرأة قالت يارسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء ، وحجري له حواء وان أباه طلقني وأراد ان ينزعه مني فقال (ص) « أنت احق به مالم تنكحي »

وفي حديث أنس عند القضاعي والخطيب في الجامع « الجنة تحت أقدام

الامهات ﴾ وفي معناه مارواه الطبراني عن طلحة بن معاوية السلمي قال أتيت النبي (ص) فقلت يارسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله — قال « هل أمك حية » ؟ قلت نعم قال ﴿ الزم رجلها فثم الجنة ﴾ وقال لرجل آخر مثله ﴿ فالزمها فان الجنة عند رجلها ﴾ ورواية أخرى في الوالدين كليهما وأنه قال له ﴿ فالزمهما فان الجنة تحت أرجلهما ﴾ وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه قال لرجل استأذنه في الجهاد ﴿ أحي والداك ؟ ﴾ قال نعم قال ﴿ ففيهما فجاهد ﴾

هذه بعض شواهد البر واما العقوق فقد عد النبي (ص) عقوق الوالدين من اكبر الكبائر وخص الامهات بالذكر فقال « ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعا وهات ووأد البنات (١) وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » رواه البخاري من حديث المغيرة. وقال (ص) « الا انبئكم با كبر الكبائر » ثلاثا، قلنا بلى يارسول الله قال « الاشراك بالله وعقوق الوالدين — وكان متكئا فجلس فقال — ألا وقول الزور ، الا وشهادة الزور — الا وقول الزور الا وشهادة الزور » فما زال يقولها حتى قلنا : لا يسكت . وفي رواية حتى قلنا ليته سكت، اي لما رأوا من انزعاجه وانما كررها لعرضة المتهاونين بالدين للاستخفاف بها. بخلاف ما قبلها والحديث متفق عليه

٦٠

(الاحاديث النبوية في الوصية بالبنات والاخوات)

عن عائشة قالت دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » رواه البخارى ومسلم والترمذي وفي لفظ « من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » الابتلاء الاختبار بما يظهر به التزام الحق والشرع اوعدمه. وكانت العرب كأكثر الناس يكرهون البنات فلذلك احتيج في القيام بحقوقهن من التربية والاحسان الى الصبر. وعنها قالت جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد ان تأكلها بينهما فاعجبني

(١) العقوق الايذاء الشديد من قول أو فعل أو ترك . ولا يدخل في العقوق المحرم مخالفتهما فيما يطلبان من معصية الله تعالى وتحكم الهوى المحض فيما يضر الولد كطلاق امرأته أومنعها حقها عليه ، ووأد البنات دفنهن فى الحياة وتقدم ، ومنعاً وهات معناه منع الحق وطلب ما ليس بحق

شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان الله قد اوجب لها بها الجنة او اعتقها بها من النار » رواه مسلم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو » وضم اصابعه اي معا رواه مسلم واللفظ له والترمذي ولفظه « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه . وابن حبان في صحيحه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عال ابنتين او ثلاثا او اختين او ثلاثا حتى يبلغن او يموت عنهن كنت انا وهو في الجنة كهاتين » واشار باصبعيه السبابة والتي تليها . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه او صحبهما الا ادخلتاه الجنة » رواه ابن ماجه باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه من رواية شرحبيل عنه والحاكم وقال صحيح الاسناد . وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كفل يتيما له ذا قرابة اولا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين - وضم اصبعيه - ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صائما قائما » رواه البزار من رواية ليث بن سليم

وروى الطبراني عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبلغن او يمتن الا كن له حجابا من النار » فقالت له امرأة او بنتان قال « او بنتان » وشواهده كثيرة . وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان او اختان فاحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذي واللفظ له وابو داود الا انه قال « فادبهن واحسن اليهن وزوجهن فله الجنة » وابن حبان في صحيحه . وفي رواية للترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكون لاحدكم ثلاث بنات او ثلاث اخوات فيحسن اليهن الا دخل الجنة »

(اقول) تحدثا بالنعمة ، ومنها أننا اهل لحسن الاسوة : نحمد الله تعالى اننا اهل بيت نعنى بتكريم بناتنا فوق ما نعنى باخوتهن مع اتقاء الظلم الذي يثير الغيرة والعداوة بينهما ، فلا تشتم في بيتنا انثى ولا تضرب . وقد خوفت ام بنتا ذات ثلاث سنين أو اربع بضرب ابيها فقالت انه لا يضربني : قالت وماذا يفعل اذا اخبرته بعنادك هذا ؟ قالت (يحايلني) اي يصرفني عنه بالحيلة والاقناع . و يثقل على ذوقي ان اذكر غير هذا مما من الله تعالى به علينا من بر والدينا وصلة ارحامنا وتكريم نسائنا ، الا انني اقول انهن يعتقدن انهن اسعد النساء وان رجالهن افضل الرجال ، وما هذا الا باتباع هداية الاسلام مع العلم الصحيح بها والله الحمد

الخاتمة

ألا يا معشر الجنس اللطيف

هاأنتن أولاء قد علمتن من هذه الرسالة الوجيزة أن محمداً رسول الله وخاتم النبيين قد جاء بدين قويم، وشرع حكيم رحيم، رفع حيف الرجال عنكن، وامتهانهم لكن، في جميع الامم القديمة والحديثة، وأتباع الملل السماوية والقوانين الوضعية، وان الاهتداء بما جاء به يذهب بما بقي من الظلم لبنات جنسكن في بلاد الحضارة المادية، التي يشكو اخواتكن من مصائبها وأرزائها ولا يهتدين إلى النجاة منها سبيلا، وشرها عليهن وعلى الانسانية إباحة البغاء، والتسري الباطل باتخاذ الاخدان، والاتجار بأبضاع النساء بسوقهن كالشاء والخنازير من قطر الى قطر، وقذفهن من حضن الى حضن، فياحسرة الانسانية، عليهن، ويالمصاب الفضيلة بهن

ان الاصلاح الاسلامي المحمدي يقضي بأن يكون لكل امرأة كافل شرعي يكفيها كل مايهمها لتكون بنتا مكرمة، فزوجا صالحة، فأماً مربية، فجدة معظمة، ومن حرمت الزوجية او الامومة، لم تحرم الكفالة والكرامة، ولو نفذ شرعه في أوربة والبلاد المرزوءة بنفوذها وسيطرتها، لزال منها البغاء الرسمي، والتسري العهري، ولما وجد في أوربة عشرات الملايين من الايامى المحرومات الحياة الزوجية، ومنهن من ينفقن على انفسهن وعلى اولاد لهن شرعيين وغير شرعيين فمصائب النساء ورزاياهن في تلك البلاد بالنسبة الى مجموعهن أعظم من رزاياهن في البلاد التي فتن نساؤها بتقليدهن في الخلاعة والاباحة وطلب مساواة الرجال، وأولئك لم يطلبن هذه المساواة بالرجال في كل شيء، الا لأن الرجال قد حرموهن حقوقهن الانسانية التي قررها الاسلام

لو علم نساء الافرنج في العالمين القديم والجديد أحكام الشريعة وآدابها، ودونت لهن بصورة قانون تظهر به مزاياها، لألفن الاحزاب والجمعيات للمطالبة بها، وانقاذ الحضارة من فتنة في الارض وفساد كبير بيناه في هذه الرسالة، فهل للمتعلمات من المسلمات في مصر وغيرها أن يدرسن هذا الموضوع، ويسبقن إلى الدعوة إلى هذا

المشروع، فهو خير لهن ولامتهن وللانسانية من افتتانهن بتقليد نساء الافرنج فيما يطلبن من إعطائهن حق مساواة الرجال في كل أسباب الكسب والتصرف في الاموال ، والدفاع عن الاوطان ، ومجالس التشريع ودواوين الادارة ، وأخاديع السياسة ، وكذا حقوق الزواج والطلاق والحمل والرضاع حتى إذا أبين وظائف الحبل والولادة لايكرهن عليها

لا خير للجنس اللطيف في مساوأة الرجال ومشاركتهن لهم فيما يصدهن عن حق الانسانية عليهن في بقائها بالتناسل وتربية الاطفال التي يرتقي بها البشر ، وقيام النساء بهذه الوظائف يتوقف في هذا العصر على علوم وفنون كثيرة روحها جميعها الاصلاح الاسلامي كما بيناه فى مسألة المساواة وغيرها

ايتها النسوة المسلمات المتعلمات

دعن فتنة السياسة ، واخلعن تقاليد الخلاعة ، وطالبن أمتكن وحكومتكن بعد مطالبة أنفسكن بتربية البنات والبنين، على هداية هذا الدين المبين، والاصلاح المحمدي العظيم — طالبن الحكومة والامة بإلزام طلبة المدارس من الذكور والاناث أداء الصلاة والصيام ، والتوسع في دروس الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ووجه تفضيله على جميع الشرائع والاديان، على الطريقة التي ترينها في هذه الرسالة

طالبن الحكومة بابطال البغاء الجهري والسري، وتحريم معاقرة الخمر ومنع تهتك النساء واختلاطهن بالرجال في المراقص والملاهي والسباحة معهم في الحمامات البحرية

عدن الى ما كان عليه خير جداتكن في صدر الاسلام من حضور صلاة الجماعة في المساجد ، وسماع مايلقى فيها من الخطب والمواعظ ، وتلقي علم القرآن والسنة، ومساعدة الرجال في الاصلاح الحق الذى ينهض بالامة ، ليظهر لسائر الامم ولاسيما نسائها ماامتاز به الاسلام من الاصلاح العام للانسانية ، حتى يعلمن أن نبيها محمدا ﷺ هو مصلح النساء الاعظم ، وانه لولم يكن رسول الله وخاتم النبيين الذي جاء با كمال دين الله الذي شرعه على ألسنة من سبقه من المرسلين لما جاء للانسانية بخير مما جاؤا به كلهم أجمعون ، فتكن بذلك شريكات لاخوتكن المجددين لهداية الاسلام وصلى الله وسلم على محمد وآله وعلى سائر النبيين ، والحمد لله رب العالمين

عدد المسلمين في انحاء العالم

٣٩٥ مليونا و ٧٥٨ ألفا

(بقلم الدكتور زكي علي المقيم في بلدة مادن — النمسة)

لا يلبث الباحث في احصائيات المسلمين في أنحاء العالم أن يبين اختلافا كثيرا وخطأً كبيراً فيما دونه الكتاب والجغرافيون الذين عنوا بوضع احصاء شامل لعدد المسلمين على وجه الارض وجل هؤلاء الكتاب من الغربيين ، وقد وجدنا أثناء قيامنا بمثل هذا البحث تضاربا عظيما فى الآراء وخطأً شنيعاً في كثير من الارقام التي ذكرها المدونون حتى في السنوات الاخيرة أمثال المسيو ماسينون المستشرق الافرنسي والدكتور زويمر وغيرهما ، فمعظم تلك الارقام دون الحقيقة بكثير وان كنا نقرر من باب الانصاف أن معلوماتنا عن عدد المسلمين في كثير من البقاع التي لا يعرف عنها سوى النذر اليسير مثل أواسط افريقيا ومجاهلها قد وصلتنا عن طرق المبشرين المسيحيين الكاثوليك أو البروتستانت الذين توغلوا في تلك البقاع بقصد الدعاية للمسيحية فالتقوا بالمسلمين هناك ثم أذاعوا تعدادهم

ومن أمثلة هذا الخطأ أن بعض المؤلفين لا يزال يذكرون أن عدد المسلمين في مصر تسعة ملايين مع أنه في الواقع أكثر من ثلاثة عشر مليونا وأن عدد مسلمي اندونسيا ٢٥ مليونا مع أن الاحصاء الهولندي الرسمي لها كان ٤٥ مليونا عام ١٩٢٠ ثم أصبح ٦٤ مليونا في الاحصاء الاخير لعام ١٩٣٠ ويكفي للدلالة على ازدحام السكان بها أنه يوجد ٣١٤ شخصا لكل كيلو متر مربع . ثم عدد المسلمين في شبه جزيرة العرب التي تشتمل الحجاز ونجد والعسير واليمن وعمان وحضرموت وما جاورها والكويت وجزائر البحرين ويقدره بعض الكتاب بثمانية ملايين وهو في الحقيقة يربو على اثني عشر مليونا (١) كذلك الخطأ الفاحش

(١) التحقيق ان اهل جزيرة العرب لا يقلون عن ثلاثين مليونا . وقد اجتمعت انا والامير شكيب ارسلان بدار المرحوم انور باشا في برلين بالفريق التركي عثمان باشا فرايناه يقدر اهل اليمن وحدهم بعشرين مليونا وهو طاف اليمن بعد صلح الدولة مع الامام يحيى .

في تقدير عدد المسلمين في افريقيا فبينما يذكر مصدر فرنسى أن عددهم ٤٥ مليونا يذكر مصدر ألماني قديم أنه ٧٥ مليونا غير أن الحقيقة أن المسلمين في القارة الافريقية يزيد عددهم عن ٨٥ مليونا كما سنرى فيما بعد معتمدين على الاحصاءات الرسمية الحديثة وأقوال المكتشفين وعلماء الجغرافيا من الاوروبيين أنفسهم :

ثم ان ما يقال عن افريقية يصح أن يقال أيضا عن تعداد المسلمين في الصين فمن العجب أن يرتكب بعض الكتاب غلطة شنيعة فيذكر عددهم بها عشرين مليونا في حين أن بعض المنصفين ممن كتبوا حديثا يذكر أنهم ستون مليونا أو يزيدون.

ويضيق بنا المقام عند ما نسترسل في سرد الامثلة للاستدلال بها على خطأ كثير انما نذكر من بين أسباب هذا الخطأ اعتماد بعض الكتاب في احصائياتهم على مصادر كتبت منذ عشرات السنين مع أن عدد السكان في ازدياد مطرد ثم العوامل التي حدت بهم إلى وضع ذلك التعداد وأكثرها عوامل دينية للمقارنة بين الاسلام والمسيحية لاغراض تبشيرية فمالوا عن ذكر الحق وذكروا أرقاما هي أقل بكثير من الحقيقة وانتهوا إلى أن عدد المسلمين في العالم يتراوح بين ٢٠٠ و٢٠ ٥ مليونا فقط ، فلذلك لم نجد بدا من التحرير الدقيق للتعداد الحقيقي ويجدر بنا في هذا المقام التنويه بمقال مسهب كتبه الامير شكيب ارسلان في مجلته الفرنسية (لانسيون آراب) محص فيه الحق في هذا الصدد كما صحح كثيراً من الاغلاط التي وردت في احصائيات الاوروبيين بالدليل القاطع

وسنذكر فيما يلي تفصيل عدد المسلمين في مشارق الارض ومغاربها مستندين إلى أحدث الاحصائيات المضبوطة في الممالك التي يوجد فيها تعداد رسمي، أما البلاد الاسلامية التي تفتقر إلى احصاءات رسمية ، أو البلاد العربية التي يوجد فيها أقليات اسلامية فقد اعتمدنا على المعلومات الصحيحة التي استقيناها من الهيئات والجمعيات الاسلامية ذوات النفوذ فيها والتي تعتبر أوثق المصادر ، وها هو ذا البيان :

(أفريقيا)

مصر والسودان ـ ١٨ مليونا وخمسمائة الف نفس
طرابلس ـ ٨٨٥ الف
تونس ـ مليونان
الجزائر ـ خمسة ملايين
مراكش ـ ثمانية ملايين
الصحراء الكبرى ـ ثلاثة ملايين
الحبشة ـ أربعة ملايين
الصومال وارتريا ـ مليونان وخمسمائة الف نفس
زنجبار ـ ثلثمائة الف
كنيا وأوغنده وتنجانيقا ـ ثلاثة ملايين وخمسمائة الف
موزنبيق ـ ثلاثمائة وخمسون ألف نفسا
مدغشقر ـ سبعمائة الف
جزر الاتحاد وسيشل وموريس ـ ٦٥ الف نفس
جنوب افريقيا ـ اربعمائة الف نفس
الكنغو البلجيكية ـ ثلثمائة الف
الكمرون وتشاد ـ مليونا وخمسمائة الف نفس
سوكوتو ـ ١٥ مليونا
ليبر ـ مليون ومائتا الف
النيجر. مليونان وخمسمائة الف
ساحل العاج. مائتان وخمسون الفا
ساحل الذهب. تسعون الفا
نيجريا البريطانية. تسعة ملايين وخمسمائة الف
داهومي. مائة الف
غينا الفرنسية. مليونان ومائة الف
فوتاجالون. خمسمائه وخمسون الف
السنغال. مليون نفس
السودان الفرنسي. ثمانمائة الف
غينا البرتغالية. سبعون ألفا
غمبيا البريطانية مائة وخمسون ألفا
سيراليون. ثمانمائة الف
مجموع هؤلاء ٨٦ مليونا ومائة وعشرة آلاف من النفوس

أسيا

شبه جزيرة العرب ـ ١٢ مليونا
سوريا ولبنان ـ ثلاثة ملايين
فلسطين وشرق الاردن ـ مليون
العراق ـ ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف
تركيا (أسيا وأوروبا) ١٤ مليونا
ايران ـ عشرة ملايين
أفغانستان ـ تسعة ملايين
الهند ـ ٨٧ مليونا
الصين ـ ٧٥ مليونا
روسيا أسيا ـ ٢٥ مليونا

سيام ـ خمسمائة ألف
اندونسيا والملايو ـ ٦٦ مليونا
ومجموع هؤلاء ٣٠٦ ملايين نفس

أوروبا

روسيا أوروبا ـ ستة ملايين
يوغوسلافيا ـ مليونان
ألبانيا ـ تسعمائه ألف
بلغاريا ـ ستمائه وتسعون ألفا
رومانيا ـ ثلثمائة ألف
فرنسا ـ مئتا ألف نفس
اليونان ـ مئة وثمانون ألفا
انجلترا ـ ثلاثون ألفا
بولنده ولتوانيا ـ عشرون ألفا
أسبانيا ـ عشرون الفا
المجر ـ خمسة آلاف
البلجيك ـ خمسة آلاف
ايطاليا ـ اربعة آلاف
المانيا والنمسا ـ ألفان
قبرص ـ ٦٢ ألفا
رودس ـ ١٢ ألفا
كريت ـ ٢٨ ألفا
مجموع هؤلاء عشرة ملايين واربعمائة وثمانية وخمسون ألف نفسا

أمريكا واستراليا والفلبين

الولايات المتحدة ـ ١٢ ألفا
المكسيك ـ ألف نفس
البرازيل ـ ٢٥ ألفا
الارجنتين ـ ثمانية آلاف
غيانة البريطانية ـ عشرون ألفا
غيانة الهولنديه ـ ٤٠ ألفا
غينا الافرنسية ـ عشرون ألفا
ترينداد ـ ١٨ ألفا
جميكا ـ ستة آلاف
كوبا ـ أربعون ألفا
جزر الفليبين وأستراليا وجزر الاوقيانوس مليونان

(الخلاصة)

أفريقيا ٨٦ مليونا و١١٠ آلاف
أسيا ـ ٣٠٦ مليونا
أوروبا ـ ١٠ ملايين و٤٥٨ ألفا
أمريكا ـ ١٩٠ ألفا
أستراليا والفليبين ـ مليونان
فالمجموع الحقيقي لعدد المسلمين في العالم كله ٤٠٤ مليونا و٧٥٨ ألفا.

المنار : الاقرب الى الصواب انهم ٤٢٠ مليون أو يزيدون

وفيات الأعيان

(الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي)

في شهر ربيع الآخر لاثنتي عشرة ليلة منه توفي عين الاعيان ، ونادرة الزمان ، المِعنّ المفنّ ، ومُزن الأدب المرجحنّ ، الذي كان له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، عميد أرفع بيوتات المجد الديني الدنيوي في مصر عماداً ، وأرسخها في الحسب والنسب اوتاداً ، صاحب السماحة الشيخ محمد توفيق البكري الصديقي ، بعد مرض عصبي طال عليه الامد ، وحجبه بضع عشرة سنة عن مخادع رجال السياسة ومحافل العلم والادب ، قضى معظمها في مستشفى بيروت المعروف بالعصفورية ، وعاد منذ بضع سنين إلى القاهرة ، فانقطع في مكتبه للمطالعة والكتابة ، زاهداً في المزاورة والمحاضرة والمناظرة ، على أنه وهو لم يُبلّ من مرضه كل الابلال ، ظل حاضر الذهن ، قوي الذاكرة ، صائب الرأي ، صحيح الحكم ، فيما يخوض فيه من مسائل الادب والعلم ، وانما كان يعثر فكره ويأفن رأيه في أمر واحد سياسي هو الذي كان سبب مرضه ذاك ، فقاتل الله السياسة وفتنها ، فهي التي أضاعت عليه وعلى الامة الانتفاع باستعداده النادر في مركزه الرفيع

لقد اوتي محمد توفيق من ذكاء الفؤاد ولوذعية الذهن مايخبو دونه تلذّعُ ذُكاء وتلظيها ، ومن السبق إلى المعالي ماتكبو في غاياته جياد الهمم سابقها ومصليها ، فكان كما قال الشاعر :

وقاد ذهن إذا جالت قريحته … يكاد يخشى عليه من تلهبه

أخذ حظا من التعليم العصري واللغة الفرنسية ، في مدرسة الانجال الخديوية ، وأصاب ذرواً من الفنون العربية والشرعية من علم الازهر ، وقبس جذوة من الحكمة بصحبة الاستاذ الامام وحضور دروسه الخاصة في جامع عابدين ، وتلقى غريب اللغة وآدابها عن إمامها في هذا العصر العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الكبير ، فكتب من إملائه اراجيز العرب وشرح غريبها ، ونظم الشعر ، وأتقن النثر ، وصنف الكتب ، وكانت داره (سراي الخرنفش) مثابة للوجهاء والكبراء ، وناديا للعلماء والادباء ، ونزلا لاقامة الآدب للفضلاء والغرباء

وكان حظياً عند أمير البلاد عباس حلمي باشا، ووجيهاً عند لورد كرومر عميد الاحتلال البريطاني المسيطر على الحكومة المصرية حتى انه كان يزوره بداره ، وولاه الخديوي نقابة الاشراف ورياسة مشيخة الطرق الصوفية ، وسافر إلى الاستانة فنال من عطف السلطان عبد الحميد أن وجه اليه رتبة قاضي عسكر الاناضول العلمية العالية ، وبعض الاوسمة السامية فماذا عسى أن يطلب من المجد الطريف على مجده التليد فوق هذا؟

بيد ان هذا كان حملا ثقيلا بل أوزاراً ثقالا على شاب نحيف الجسم، عصبي المزاج ، مترف المعيشة ، حريص على بلوغ الغاية من حظوظ الحياة المادية والمعنوية ، وانما جنت عليه السياسة فأفكته عن كل ما كان يرجى منه من خدمة لأدب اللغة التي كان يميل اليها بطبعه ، واصلاح لطرق الصوفية التي كان متمكنا منها بمنصبه ، وقد اجتهدت في ترغيبه فيها منذ عرفته عقب استقراري في مصر سنة ١٣١٥ وسألمّ بهذا فيما أكتبه من ملخص ترجمته

وانما أقول هنا في خبر وفاته وتشييعه إن مصر قد قصرت تقصيراً منتقداً في تشييعه فكان كتشييع رجل من الطبقة الثانية أو الثالثة من الوجهاء : قصرت الحكومة فيه فلم يحضره وزراؤها ، وكان في منصب وزير أو أكبر ، وانما حضره سعادة محافظ القاهرة ، وقصر علماء الازهر فلم يشيعه أستاذهم الأكبر رئيس المعاهد ولا مفتي الديار المصرية ولا هيئة كبار العلماء الرسمية ورؤساء الكليات ، وانما شيعه منهم بعض أصدقاء بيتهم الاوفياء كالاستاذ العلامة الشيخ حسين والي ، وقد كان يحمل من الرتب العلمية وكسى التشريف الرسمية مالم يصل اليه أحد منهم ، إذ كانت رتبته العلمية السلطانية (قاضي عسكر أناضول) تلي رتبة شيخ الاسلام وطبقته وهي رتبة قاضي عسكر روملي ، وقصر في تأبينه الخطباء ، وفي رثائه الشعراء ، وهو في مكانته من حملة الاقلام ومجيدي النظم والنثر ، ولكن دولة القلم دخلت في هذه السنين الذي احتجب فيها عنهم في طور جديد صار فيه مثله على كونه من الطراز الاول مرغوبا عنه ، كما سأبينه بعد ، وأبين أنه ليس بعذر في تقصير طبقات مصر العليا في الحفاوة بتشييعه وتأبينه ، ومن لاقديم له يحفظ ، فليس له جديد يفتخر به

فرحم الله الشيخ محمد توفيق البكري وأحسن عزاء خليفته وابن أخيه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد البكري وآل البكري وبقية بيوتات المجد عنه .

أحمد شوقي بك أمير الشعراء

في صبيحة ١٤ جمادى الآخرة قضى نحبه أحمد شوقي بك الذي كان يلقب شاعر الامير فأمير الشعراء ، ولعل صديقه الامير شكيب أرسلان الملقب بأمير البيان هو أول من أطلق على شوقي هذا اللقب بقوله في آخر قصيدة له ألقيت في الحفلة التي أقامها أدباء السوريين ووجهاؤهم بمصر لمحمد حافظ ابراهيم يخاطب حافظا

فأنت أمير النثر غير منازع وأنت أمير الشعر من بعد أحمد

مات محمد حافظ ابراهيم شاعر النيل الاجتماعي ورثاه في حفلة الاربعين احمد شوقي بك فذكر في رثائه أنه كان يتوقع أن يكون مرثيّه لا راثيه ، ولم يلبث أن مات فجأة بعد ذلك بقليل ، فقبل أن ترقأ دموع عالم الادب العربي التي كانت تترقرق حزنا عليه ، وقبل أن يقضي شعراؤه لبانتهم من رثائه ، فجأهم فقد شوقي ، فكان المصاب بالبدء في سيادة الشعر ثانياً للمصاب بالثنيان (١) في الزمن ، ولكنه صار الاول في شدة الحزن ، والمقدم في لوعة الشجن ، فأكبر الادباء به الخطب ، وتضاعف الاسف في الشرق والغرب ، فان شهرة شوقي أكبر ، وعشاق شعره أكثر ، ذلك بأنه طرق جميع أبواب الشعر القديمة والحديثة ففتحت له أغلاقها ، وكان له السلطان الأعلى على أرواح عشاقها ، بما أجاد في كل فن من فنونها ، إلا الهجاء والمجون فقد نزّه شعره ولسانه عنها

فبتنا نوجس خيفة على دولة الشعراء ، وندعو لكبارهم في مصر بطول البقاء ، وأن لا يكون هذا موسم الرحيل لشيوخ الادباء ، فقد تناثر من سلكهم ثلاثة متقاربون في العمر ، حافظ فالبكري فشوقي ، وسبقهم في هذه السنة الشيخ عبد المطلب شاعر البداوة في الحضارة رحمهم الله تعالى ، وسنعود الى الكلام عن شعره في جزء آخر

كان حافظ يظن بل يقول منذ ثلث قرن ان مكانة شوقي من أمير البلاد كانت ترفع شعره إلى أعلى مما يستحقه ولكن شعر شوقي علا بعد دولة ذلك الامير بنفسه ، فوق ما علا به في عهده ، حتى علم ان قربه من الامير كان سبباً لوقفة في استعداده

---

(١) البدء يطلق على الاول في السيادة والثنيان على من يليه . قال الشاعر :

ثنياننا إن اتاهم كان بدأهمو وبدؤهم إن اتانا كان ثنيانا

حالت دون الوثبة التي وثبها بعد إخراج الحرب العالمية إياه من قفص قصر عابدين ، حتى ان حافظا بايعه بامارة الشعراء في الحفلة العامة التي أقيمت له في دار الاوبرة الملكية

ونقول اليوم ان الزمان الذي كان يرتفع فيه قدر العالم والاديب والشاعر بانتمائه إلى أمير أو ملك قد مات ودفن ، وحيّ أو بعث الزمان الذي يرتفع فيه قدر الشاعر بشعره ، وقرب الزمن الذي تعلو فيه درجة العالم بعلمه ، فان كان المتنبي خلد من ذكر سيف الدولة مالم يخلده له حسامه وسلطانه ، وكان ابن دريد قد انتاش ابني ميكال من موت الذكر بعد موت الجسد ، فوق انتياشهما إياه من ضعة الفاقة والخمول كما قال في مقصورته الخالدة من أبيات أذكر منها قوله

نفسي الفداء لأميري ومن تحت السماء لاميري الفدا
هما اللذان أثبتا لي أملا قد وقف الناس به على شفا
تلافيا العيش الذي رنقه صرف الزمان فاستساغ وصفا
وقلداني منة لو قرنت بشكر أهل الارض عني ماوفى
بالشعر من معشارها وكان كاا حسوة في آذيّ بحر قد طما

فكذلك شوقي قد يحفظ من ذكر عباس حلمي ويخلد من صيته مالا تحفظه له إمارته ولا ثروته اللتان تمتع شوقي في ظلهما الوارف حقبة من الزمن ، إلا أن يعمل الامير للامة بهذه الثروة الواسعة ، وما أوتي معها من الذكاء والهمة ، عملا علميا إصلاحيا كبيراً ، ورب مائة ألف جنيه ينفقها عباس في أثر باق تعجز أن يمدح بها ويخلد ذكره بمثل قول شوقي له من قصيدة في ديوانه الاول

عباس انك للبلاد وانه لم يبق غيرك من يقول بلادي

ولكن للعباس فضلا على شوقي في شاعريته، يربو ربا مضاعفا على فضله عليه في جاهه وثروته، إذ كان هو العون له على تعليمه وتربيته، وتثقيف عقله وخياله كما شرحه شوقي في مقدمة الشوقيات ، وسأقفي على هذه الكلمة في تأبينه بكلمة أخرى أرجو أن أجد فيها مترددما يغادره الشعراء والمؤبنون الكثيرون له رحمه الله تعالى وعزى أنجاله وسائر آله ، والشعراء من رعيته



قال عليه الصلاة والسلام «إن للإسلام صُوى » ومناراً » كمنار الطريق

رمضان سنة ١٣٥١ برج الجدي سنة ١٣١١ هـ ش سلخ ديسمبر سنة ١٩٣٢

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

المقصد السابع من فقه القرآن

(الارشاد إلى الاصلاح المالي)

(تمهيد) بينا مقاصد القرآن أو أصول فقهه في إصلاح البشر من طريق التدين والايمان، والعمل والاذعان، ومن طريق العقل والبرهان والفكر والوجدان، ومن طريق الحكم العادل والسلطان، وما يتعلق منه بالافراد، وما يتعلق منه بوحدة الانسانية والاجناس، وبقي ما يتعلق بفقهه في إصلاح المفاسد الاجتماعية الكبرى الذي يتوقف كماله على ما تقدم كله وهي :-(١) طغيان الثروة ودولتها (٢) وعدوان الحرب وقسوتها (٣) ظلم المرأة واستباحتها (٤) وظلم الضعفة والاسرى وسلبه

حريتهما، وهو الرق المطلق — ذلك بان جميع حظوظ الدنيا منوطة بها ، ولا يتم الاصلاح فيها إلا بتعاون الدين والعقل ،والعلم والحكمة والحكم ، وإننا نتكلم عليها بالاجمال مبتدئين بالمال، والآيات فيه تدور على سبعة أقطاب، فنقول :

(١— القاعدة العامة في المال كونه فتنة واختباراً في الخير والشر)

القاعدة الاساسية للقرآن فى المال انه فتنة أي اختبار وامتحان للبشر في حياتهم الدنيوية من معايش ومصالح إذ هو الوسيلة إلى الاصلاح والافساد، والخير والشر ، والبر والفجور ، وهو مثار التنازع والتنافس في كسبه وإنفاقه ، وكنزه واحتكاره ، وجعله دُولة بين الاغنياء ، وتداوله في المصالح والمنافع بين الناس .

قال الله عز وجل (٣ : ١٨٦ لتبلون في أموالكم وأنفسكم) وقال حكاية عن نبيه سليمان عليه السلام حين رأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده (٢٧ : ٤٠ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) الآية. وقال (٣٤ : ٣٧ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) الآية وقال [٣٠: ٣٩ وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون] وقال [٣: ١٤ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة] الآية وقال تعالى [٨ : ٢٨ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم] ومثلها في سورة التغابن [٦٤ :١٥] ويليها الترغيب في الانفاق والنهي عن شح النفس . وقال تعالى [١٨ : ٤٦ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا] انظر هذا مع قوله تعالى في اول هذه السورة وهي الكهف [٧ إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا] والمراد من العمل ما يتعلق بما على الارض من العمران وأحسنه أنفعه للناس وأرضاه لله بشكره، ثم ما ضرب به من المثل بصاحبي الجنتين ، والمثل للحياة الدنيا بنبات الارض .

وقال تعالى في تعليل قسمة الفيء بين مستحقيه [٥٩ : ٧ كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم] والدولة بضم الدال المال المتداول أي لئلا يكون المال محصوراً

في الاغنياء متداولا بينهم وحدهم . وقال تعالى [٩: ٣٤ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] والشاهد في الكنز وهو المنع من التداول الذي يكون به المال نافعاً للناس

والشواهد في فتنة المال في القرآن كثيرة تجد الكلام عليها في مواضع من هذا التفسير ولا سيما الجزء العاشر منه[١]

فمن الآيات في ارتباط السعادة والفلاح بانفاق المال والشقاء بمنعه ماهو للترهيب وما هو للترغيب ، وجمع بين الترغيب والترهيب في قوله [٢ ، ١٩٥ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة] الآية (٢) أي ان منع انفاق المال في سبيل الله من أسباب التهلكة. ثم قال في الترغيب (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وكذا قوله تعالى من سورة الليل [٩٢ ، ٦ فأما من أعطى واتقى ٧ وصدق بالحسنى ٨ فسنيسره لليسرى ٩ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ١٠ فسنيسره للعسرى ١١ وما يغني عنه ماله إذا تردى] هذا تفصيل لقوله تعالى قبله (إن سعيكم لشتى) ومعناه بالاجمال والايجاز إن سعيكم في الكسب والانفاق مختلف مبدأ وصفة وغاية وثمرة ، فأما من أعطى ماعليه من الحقوق الشخصية والقومية (واتقى)سوء عاقبة منعها وضرره في الافراد وفي الامة (وصدق بالحسنى) وهي ما وعد الله من الجزاء على الاحسان بما هو أحسن منه من مضاعفة الثواب بمثل قوله (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وهو شامل لجزاء الدنيا والآخرة — (فسنيسره) بمقتضى سنتنا في تأثير صفات النفس في الاعمال ، وتأثير الاعمال في الاحوال الخاصة والعامة (لليسرى) أي الخطة أو الطريقة الفضلى في اليسر والسهولة والمنفعة له وللناس فيحبه الناس ويحبه الله (وأما من بخل)بما عليه من هذه الحقوق (واستغنى) بماله عن حب الناس وحمدهم ، وعن حب الله ومثوبته (وكذب بالحسنى)التي بيناها آنفاً بعدم طلبها وتحريها بالاعطاء والانفاق ، وإن اعترف بها باللسان ، (فسنيسره) بمقتضى سنتنا المبينة آنفاً للعسرى من الخطتين ، وسوءى الطريقتين ، فيكون سبباً لعسر البشر وعدواً لهم ولربهم ، ويكون له شر الجزاء منهم ومنه عز وجل في الدارين .

ويؤيد ذلك شواهد القطب الثاني من آيات المال وهي :

١) راجع في الفهرس كلمة المال فتنته (٢) ص٢٠٩ ج ٢ تفسير

(٢ ـ الآيات في ذم طغيان المال وغروره وصده عن الحق والخير)

قال تعالى في سورة الفلق [كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى] أي حقاً ان الانسان ليتجاوز حدود الحق والعدل والفضيلة برؤية نفسه غنياً بالمال . وقد نزلت هذه وما بعدها في أبي جهل أشد أعداء النبي ﷺ والاسلام من أول ظهوره وهي أول ما نزل في ذلك . ومثلها سورة [تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب] الخ ومثلها سورة الهمزة [الذي جمع مالا وعدده * يحسب أن ماله أخلده] نزلت في الوليد وأمية بن خلف وكذا قوله تعالى [ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا انه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا] الخ الآيات . وقد نزلت في الوليد ابن المغيرة وكذا آيات سورة [ن] من قوله [ولا تطع كل حلاف مهين ـ إلى قوله ـ أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين] وكان هؤلاء أغنى زعماء قريش الذين عادوا النبي ﷺ واستكبروا عن اتباعه بغناهم وقال تعالى فيهم (٨ : ٣٦ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) وفيهم وفي أمثالهم من مترفي أقوام الانبياء نزل قوله تعالى [وقالوا نحن اكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين] ومعنى الآيات عام في جميع الاقوام والاديان

ومن الآيات العامة في غريزة البشر قوله تعالى (٤ : ١٢٨ واحضرت الانفس الشح) وقوله من سورة المعارج (ان الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا) الخير المال الكثير وأكثر الاغنياء مناعون للمال الا من استثنى الله بعد هذه الايات

بمثل هذه الآيات ينفر الزهاد الناس عن المال والدنيا فيبالغون ، وإنما المذموم الغرور والطغيان والبطر والاستكبار عن الحق افتتانا بالمال ، ولذلك قرنه في بعض الآيات بالاولاد ، وكذا البخل به والشح وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والرشوة والسحت ، وشواهده في آيات القطب الثالث وهي :

(٣ — ذم البخل بالمال والكبرياء به والرياء في انفاقه)

قال تعالى (٣: ١٨٠ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)وقال في سياق الترغيب في الانفاق في سبيل الله من طيبات الكسب والاخلاص فيه والنهي عن الرياء والمن والاذى فيه (٢ : ٢٦٠ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء)الآية . فسروا الفحشاء بالبخل أي الشيطان يصدكم عن الانفاق في سبيل الله بتخويفكم من الفقر ويأمركم بالبخل الذي فحش شره وضرره . وقال بعد الامر بالاحسان بالوالدين وبذي القربي واليتامى والمساكين والجيران(٤: ٣٥ والله لايحب كل مختال فخور ٣٦ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)وقال فيمن عاهد الله لئن آتاه من فضله مالا وخيراً ليصدقن منه(٩: ٧٧ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ٧٨ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون) وقال [٤٧، ٣٨ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم] أي وإن تتولوا عن الانفاق في سبيل الله يهلككم بزوال دولتكم ويستبدل بكم قوما آخرين ينفقون أموالهم في المصلحة العامة من الدفاع عن الملة ، وإقامة الحق والعدل في الامة. وقال تعالى(٤، ١٩ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)وقال (٢، ١٨٨ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) وقال في اليهود(٤، ١٦١ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل)وقال (٩، ٣٤ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ٣٥ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

(٤ـ مدح المال والغنى بكونه من نعم الله وجزائه على الايمان والعمل الصالح)

قال تعالى في سورة نوح عليه السلام حكاية عنه [فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا] وفي معناه ما حكاه عن هود عليه السلام في سورته [١١:٥٢] بل قال تعالى في بيان نعمته على آدم وحواء وذريتهما بهداية الدين في آخر قصته من سورة طه [٢٠:١٢٢ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ١٢٣ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا] الايات. فجزاء اتباع هداية الدين الحفظ من شقاء الدنيا والفوز بنعمة المعيشة الراضية فيها ، وجزاء من أعرض عنها الشقاء ومعيشة الضنك فيها . وفي معناه قوله تعالى من سورة الجن [٧٢:١٣ وانا لما سمعنا الهدى آمنا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا] أي لا يهضم حقه ، ولا يظلم بذلّ يرهقه ، لان عزة الايمان تمنعه وتحفظه ، وهذا يشمل الدنيا والآخرة ، ثم قال في أمر الدنيا منها [١٦ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقا ١٧ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] أي شديد المشقة

ومن الشواهد على هذه الحقيقة التي غفل عنها المفسرون وغيرهم قوله تعالى عطفاً على الامر بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام (٩:٢٨ وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء) أي وإن خفتم فقراً يعرض لكم بحرمان مكة مما كان ينفقه فيها المشركون في موسم الحج وغيره فسوف يغنيكم الله تعالى بالاسلام وفتوحه وغنائمه (١ وكذا قوله للذين أعطوا الفداء من أسرى بدر [٨:١٠٠ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم] وكذلك كان ، فقد أغنى الله العرب الفقراء بالاسلام ، فجعلهم أغنى الامم والاقوام(٢

وقد امتن الله تعالى على نبيه الاعظم بقوله (ووجدك عائلا فأغنى) وامتن

---

(١) راجع تفسير الآية في ص ٢٧٧ ج١٠ تفسير (٢) راجع ص ١٠٠ منه

على قومه بتوفيقهم للتجارة الواسعة برحلة الشتاء والصيف في سورة خاصة بذلك ، وسمى المال الكثير خيراً بقوله في صفات الانسان (وانه لحب الخير لشديد) وقال (٢ : ١٨٠ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين) الاية

وإنما كان المؤمنون المتقون لله الشاكرون لنعمه أحق بنعم الدنيا من الكافرين لنعمه والفاسقين الظالمين ، لانهم أحق وأجدر بالشكر عليها ، والشكر استعمال النعمة في الحكمة التي منحت لاجلها من الحق والعدل والاحسان والبر والعمران وهو الذي يرضي الله تعالى فيها ، ومن سننه تعالى فيها ان الشكر لها بهذا المعنى سبب للمزيد منها ، وان الكفر لها بسوء استعمالها سبب لسلبها أوسلب فوائدها كما قال تعالى [١٤ ، ٧ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) وقوله [٨ ، ٥٣ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]

فالمؤمنون والكافرون يشتركون في أسباب سعة الرزق وكسب المال من زراعة وصناعة وتجارة ، لان هذه الاسباب دنيوية لا تختلف باختلاف الاديان كما قال تعالى [١٧ ، ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا] أي ما كان ممنوعا عمن يريد به لذات العاجلة ، ولا عمن يريد به سعادة الآخرة . وانما يفضل بعضهم بعضا في استعمال المال ، فاستعماله في الفسق والشر والظلم والسرف والخيلاء كفر للنعمة وسبب لمحقها نفسها أو محق بركتها ، وكثرة الضرر والفساد المترتب عليها . فمن المشاهد أن أكثر الاغنياء المسرفين الفاسقين يفتقرون أو يصابون بالأدواء المنغصة ، وأما الامم المترفة المسرفة الظالمة فتضعف وقد تفقد استقلالها . واستعماله في البر والخير سبب للمزيد فيها . وقد حققنا هذا الموضوع في مواضع أخرى . ومنه قوله تعالى في الزينة والطيبات من الرزق [٧ : ٣٢ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة] أي هي لهم في الدنيا بالاستحقاق ، ويشاركهم فيها غيرهم بمقتضى الاسباب ، ولكنها تكون في الآخرة خالصة لهم [1] لانهم يتوسلون بالشكر لله عليها الى سعادة الآخرة الكاملة الدائمة ، ولولا ذلك لجعل

(١) راجع تفسيرها في (ص ٣٩٠ ج ٨ تفسير)

زينة الدنيا خاصة بالكافرين كما قال (٤٣ : ٣٣ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) الآيات

﴿ ٥ — ما أوجب الله من حفظ المال من الضياع والاقتصاد فيه ﴾

قال تعالى (٤ : ٥ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قيام الشيء وقوامه (بالكسر والفتح) مايستقيم به ويحفظ ويثبت ، أي جعلها قوام معايشكم ومصالحكم ، والسفهاء هم المسرفون المبذرون لها لصغر سنهم دون الرشد أو لفساد أخلاقهم وضعف عقولهم (وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٦) وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) الآية . فأمر باختبارهم وألا تدفع اليهم أموالهم إلا بعد ظهور الرشد في أعمالهم وهو الصلاح والاستقامة في معاملتهم لئلا يضيعوا الاموال فيما يضر او لاينفع

وقال تعالى في صفات المؤمنين (٢٥ : ٦٧ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الاسراف التبذير والافراط ، والقتر والقتور والاقتار الاقلال والتضييق في النفقة ، يقال قتر على عياله ، ومثله قدر بالدال مكان التاء ومنه (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له)

وقال تعالى (٦٥ : ٧ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وهذا في النفقة على المرأة المطلقة في العدة . وقال في النفقات العامة (٢ : ٢ ومما رزقناهم ينفقون) ومن للتبعيض فكل من الغني ذي السعة والفقير ذي العسرة مأمور بان ينفق مما آتاه الله لا كل ما آتاه الله ، وهذا أعظم أصول الاقتصاد ، فمن أنفق بعض مايكتسب قلما يفتقر . وتقدم في الكلام على الحكمة من وصايا سورة الاسراء من هذا البحث ذكر آيات النهي عن التبذير والمبالغة في بسط اليد والمبالغة في قبضها وما لكل منهما من سوء العاقبة

(٦ — إنفاق المال في سبيل الله آية الايمان)

(والوسيلة لحياة الامة وعزة الدولة وسعادة الانسان)

هذا هو القطب الاعظم من أقطاب الآيات المنزلة في المال وأكثرها فيه، وما ذكر قبله وسائل له، وما بعده بيان للعمل به، وأظهر الشواهد فيه ان الله تعالى جعله هو الفصل بين الاسلام الصحيح المقترن بالاذعان، المبني على اساس الايمان، وأن دعوى الايمان بدون شهادته باطلة، وإن كانت دعوى الاسلام تقبل مطلقا لان احكامه العملية تبنى على الظواهر، والله تعالى هو الذي يحاسب على السرائر، وعليها مدار الجزاء في اليوم الآخر، فالاسلام عمل قد يكون صوريا غير صادر عن إخلاص وإذعان، والايمان يقين قلبي يستلزم اعمال الاسلام، ولكن الاسلام الصوري الصادر عن استحسان لا عن نفاق يكون اقرب الوسائل إلى يقين الايمان، والاصل في هذه المسألة قول الله عزوجل (٤٩ : ١٤ قالت الأعراب[1] آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا، إن الله غفور رحيم ١٥ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون) فقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في تحقيق صحة الايمان وصدق مدعيه

ويلي هذا الشاهد آية البر الناطقة بان بذل المال على حبه بالاختيار، أول آيات الايمان، ويليه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة التي يجبيها إمام المسلمين وسلطانهم بالالزام، ويليهما سائر أمهات الفضائل ومعالي الاخلاق، وهي قوله تعالى (٢:١٧٧ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة

---

١) الاعراب اسم لسكان البوادي دون سكان المدائن والقرى والآيات نزلت في قبيلة بني أسد أسلموا في قحط ومجاعة ليتصدق عليهم المسلمون ثم حسن إسلامهم

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وفي قوله تعالى (وآتى المال على حبه) قولان احدهما اعطى المال وبذله على حبه إياه كقوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) والثاني ان الضمير في حبه لله تعالى كقوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً) أي بحب الله تعالى . ونجد بيان الذروة العليا من تفضيل حب الله ورسوله على المال وغيره من متاع الدنيا في قوله تعالى (٩: ٢٤ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

ومن الآيات في تفضيل المؤمنين المنفقين على غيرهم وتفاوتهم في ذلك قوله تعالى (٤ : ٩٥ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاًّ وعد الله الحسنى) اقرأ تتمة الآية وما بعدها . وقال تعالى (٥٧: ١٠ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى)

والآيات في هذا الموضوع كثيرة ، ويراجع تفصيلها في تفسير الجزء الثاني والجزء العاشر وهذا الجزء [١١] من التفسير

ومن الآيات البليغة في الترغيب فيه ومضاعفة ثوابه، وبيان آدابه ، عشرون آية من أواخر سورة البقرة هي من أواخر ما نزل من القرآن يتخللها الوعيد الشديد على أكل الربا فراجعها من آية ٢٦١ـ٢٨١ مع تفسيرها من جزء التفسير الثالث

ثم راجع في فهرس الجزء العاشر كلمة (المال: الجهاد به اقوى آيات الايمان وقوام الدين والدولة) يرشدك الى عشر صفحات متفرقة فصلنا فيها هذه المسألة

ومن البلاء المبين ان نرى الشعوب الاسلامية في هذه القرون الاخيرة قد قصرت عن جميع الشعوب في بذل المال للجهاد في سبيل الله الذي يحفظ استقلالهم

ويعتز به ملكهم، وتعلو به كلمة الله تعالى فيهم ثم في غيرهم ، وفي طرق البر التي ترتقي بها أمتهم ، وتكون حجة على سائر الامم في تفضيل دينهم على سائر الاديان ، وحاجة الامم اليه لانقاذ الحضارة من جشع عباد المال واستذلالهم للملايين من البشر به

﴿ ٧ الحقوق المفروضة والمندوبة في المال والاصلاح المالي في الاسلام ﴾

قد عقدت لتفسير قوله تعالى (٩ : ١٠٣ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) فصلا « في فوائد الزكاة المفروضة والصدقات والاصلاح المالي للبشر وامتياز الاسلام بذلك على جميع الاديان » بينت فيه مكانة المال من حياة الناس ، وماله من التأثير في الثورات والحروب والسياسة والعمران ، وغلو بعض الجماعات في جمعه وادخاره وأنظمته واستغلاله ، واستعباد الالوف وألوف الالوف من البشر به ، ويدعون في عرف هذا العصر بالرأسماليين ، وقيام جماعات أخرى بالدعوة إلى إبطال النظام الدولي العام في البشر ووضع نظام آخر لاشتراك جميع الناس فيه ويلقبون بالبلشفيين ، ومابين هذين الفريقين من الجماعات من التعادي والخصام

ثم بينت ان هذه الفتن وما تنذر العالم به من الخراب والدمار لاعلاج لها إلا باتباع هداية الاسلام في الاصلاح المالي ، ولخصت أصول هذا الاصلاح في أربعة عشر أصلا هي (١) اقرار الملكية الشخصية وتحريم أكل أموال الناس بالباطل (٢) تحريم الربا والقمار (٣) منع جعل المال دولة بين الاغنياء (٤) الحجر على السفهاء في أموالهم حتى لايضيعوها فيما يضرهم ويضر أمتهم (٥) فرض الزكاة في أول الاسلام وجعلها اشتراكية باعثها الوجدان لا إكراه الحكام ، وانما تكون كذلك حيث لاحكومة ولا دولة للاسلام (٦) نسخها بعد وجود الدولة والحكومة بالزكاة المحدودة بربع العشر في النقدين والتجارة في كل عام مادام النصاب تاما ، وبالعشر أو نصف العشر في غلات الزراعة التي عليها مدار الاقوات أو مطلقا ، وزكاة الانعام المعروفة ، وفاتني هنالك ذكر الخمس في الركاز وهو ماينبش من المال المكنوز القديم والمعدن (٧) فرض نفقة الزوجية والقرابة (٨) إيجاب كفاية المضطر من كل

جنس ودين وضيافة الغرباء (٩) بذل المال في كفارات بعض الذنوب (١٠) ندب صدقات التطوع المحتاجين (١١) ذم الاسراف والتبذير والبخل والتقتير (١٢) إباحة الزينة والطيبات من الرزق بشرطهما (١٣) مدح القصد والاعتدال (١٤) تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر اه باختصار (ص ٢٧ — ٣١ ج ١١ تفسير)

وكنت قد شرحت قبله مصارف الزكاة في تفسير آيتها (٨: ٦٠ انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وهو في صفحة ٤٨٩ — ٥١٥ من الجزء العاشر .

ثم عقدت فصلا آخر في خلاصة السورة (وهي سورة التوبة) المشتملة على هذه الآيات في أحكام الاموال في الاسلام يدخل في ثلاثة أقسام (١) المسائل الدينية والاجتماعية في الاموال (٢) أنواع الاموال ومصارفها (٣) فوائد إصلاح الاسلام المالي للبشر (ص ١١٩ ج ١١) فالرجوع إلى هذه المباحث في هذا الجزء من التفسير يغنينا عن إعادتها هنا

وخلاصة القول في هذه القواعد العلمية في إصلاح ثروة البشر وجعلها خيراً عاما كما سماها الله تعالى في كتابه ، واتقاء شرور التنازع عليها بالوازع الديني والتشريع الدولي، أنها هي التي يصلح بها أمر البشر على اختلاف أحوالهم واستعدادهم، فيكونون سعداء في دنياهم وفي دينهم ، ولن تجد مثلها في دين من الأديان ولا شيء من كتب القوانين والحكمة البشرية ، وان البشر على خطر عظيم مما سقطوا فيه من التعادي على المال حتى أعيتهم الحيل ،وسبيل النجاة ممهدة معبدة أمامهم وهم لا يبصرونها وهي الاسلام وهداية القرآن (٢: ٢٥١ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

وموضوع بحثنا في هذا الاستطراد وهو دلائل الوحي المحمدي انه لا يعقل ان يكون محمد النبي الامي الذي عرفنا خلاصة تاريخه قد اهتدى بوحي من نفسه لنفسه إلى هذه الحقائق التي فاقت وعلت جميع الكتب الالهية والبشرية في أرقى عصور العلم والحكمة والقوانين ؟ وانما المعقول عند من يؤمن بان للعالم ربا حكيما رحيما مدبرا ان يكون هذا بوحي منه عز وجل أفاضه على خاتم النبيين عند استعداد البشر له لا يحتاجون بعده إلى وحي آخر

المقصد الثامن من فقه القرآن

﴿ اصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على مافيه الخير للبشر ﴾

التنازع بين الاحياء في مرافق المعيشة ووسائل المال والجاه غريزة من غرائز الحياة ، وإفضاء التنازع الى التعادي والاقتتال بين الجماعات والاقوام، سنة من سنن الاجتماع ، أو ضرورة من ضروراته، قد تكون وسيلة من وسائل العمران، فان كان التنازع بين الحق والباطل كان الفلج للحق ، وإن كان بين العلم والجهل كان الظفر للعلم ، وإن كان بين النظام والاختلال كان النصر للنظام ، وإن كان بين الصلاح والفساد كان الغلب للصلاح ، كما قال تعالى في الحق والباطل (٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وقال في بيان نتيجة المثل الذي ضربه لهما (١٣ : ١٧ فأما الزبد فيذهب جفاء [1] وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

وأما التنازع والتعادي والتقاتل على الشهوات الباطلة ، والسلطة الظالمة ، واستعباد القوي للضعيف، والاستكبار والعلو في الارض ، فان ضرره كبير ، وشره مستطير ، يزيد ضراوة البشر بسفك الدماء ، ويورثهم الحقد ويؤرث بينهم العداوة والبغضاء ، وقد اشتدت هذه المفاسد في هذا الزمان ، حتى خيف أن تقضي على هذا العمران العظيم في وقت قصير ، بما استحدثه العلم الراسع من وسائل التخريب والتدمير ، كالغازات السامة ومواد الهدم والتحريق تقذفها الطيارات المحلقة في جو السماء ، على المدائن المكتظة بالالوف من الرجال والنساء والاطفال ، فتقتلهم في ساعة واحدة أو ساعات معدودة .

---

(١) الزبد بالتحريك ما يكون في أعلى السيل أو القدر التي تفور من الغثاء والرغوة ، والجفاء بالضم ما يقذفه الوادي أو القدر من جوانبه عند امتلائه من ذلك وهو ما لا نفع فيه وأما إبليز السيل الذي يرسب منه وإبريز الصائغ من الذهب الذي يوقد النار عليه لتصفيته وهو النافع للناس فيمكث في الارض ويبقى في بوط الصائغ « بوتقته »

وقد حارت الدول الحربية في تلافي هذا الخطر حتى ان أشدهن استعداداً للحرب بالاساطيل الهوائية والبحرية وآلات التدمير وكثرة الاموال لأشدهن خوفا على حياة أمتها المستمدة لجميع أنواع القتال ، وعمران بلادها المحصنة بأحدث وسائل الوقاية ، وترى دهاقين السياسة في كل منها يتفاوضون مع أقرانهم لوضع نظام لتقرير السلام، ودرء مفاسد الخصام، بمعاهدات يعقدونها، وأيمان يتقاسمونها، ثم ينفضون خائبين، أو ينقضون ماأبرموا متأولين ، ويعودون إلى مثله مخادعين،

وقد بين الله تعالى في كتابه سبب هذه الخيبة بما وجدنا مصداقه في هذه الدول بأظهر مما كان في عرب الجاهلية الذين نزل هذا البيان في عهدهم ، كأنه نزل في هؤلاء الافرنج دون غيرهم ، وهو من عجائب القرآن في لفظه ومعناه. وذلك قوله تعالى بعد الامر بالايفاء بعهده ، والنهي عن نقضه (١٦ : ٩٢ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) والمعنى لا تكونوا في نقض عهودكم والعود إلى تجديدها كالمرأة الحمقاء التي تنقض غزلها من بعد قوة إبرامه نقض أنكاث (وهو جمع نكث بالكسر ما نقض ليغزل مرة أخرى) حال كونكم تتخذون عهودكم دخلا بينكم (والدخل بالتحريك الفساد والغش الخفي الذي يدخل في الشيء وما هو منه) لأجل ان تكون أمة أربى ازيد رجالا، وأكثر ربحا ومالا، وأقوى اسنة ونصالا من أمة .

والمراد ان معاهدات الصلح والاتفاق بين الامم يجب أن يقصد بها الاصلاح والعدل والمساواة فتبنى على الاخلاص دون الدخل والدغل الذي يقصد به أن تكون أمة هي أربى نفعا وأكثر عدداً وجمعا من الامة الاخرى .

ولو طلبوا المخرج والسلامة من هذا الخطر لوجدوهما في دين الاسلام ، فهو هو دين الحق والعدل والسلام ، وهاك بعض الشواهد على هذا من قواعد الحرب والسلم في آيات القرآن .

(سنذكر الشواهد في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين)

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت (س ٥٧-٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله العلي العظيم وصلاة وسلاما على رسوله الكريم

حضرة العالم العلامة والمدقق الفهامة الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى وأدامه نصراً للدين وخذلانا لأعدائه الملحدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فالتمس من فضيلتكم أن تتكرموا بالجواب على مايأتي في مجلة المنار الغراء ولكم جزيل الشكر

س١ : هل يجوز دفع زكاة المال أو زكاة الفطر لجمعية خيرية إسلامية تنفق ذلك على بناء المستشفيات ، وعمارة المساجد وفتح المدارس، وشراء أطعمة وألبسة وكتب وغيرها لأولاد فقراء المسلمين أم لا ؟

س٢ : رجل أوصى قبل وفاته بان يصرف على تجهيزه ، وختمته ، وأسبوعه وأربعينه ، أربعين ليرة عثمانية ذهبا ، والعادة عندنا في بيروت أن في اليوم الثالث من الوفاة ويسمونه ختما ، واليوم السابع ، والاربعين منها تولم الولائم ، ويدعى اليها الفقراء وغيرهم صدقة عن الميت برضى الورثة . فهل تنفذ وصية هذا الرجل بعد وفاته أم لا ؟ وما هي النصوص التي تعتمدون عليها في الجواب ؟

س٣ : إن كثيراً من شبان هذا العصر الذين تعلموا بمدارس أجنبية ، إن أمرتهم باقامة الشعائر الدينية كالصلاة وغيرها أو نهيتهم عن منكر يفعلونه ، ردوا على آمرهم وناهيهم بقولهم (المدار على القلب . نق قلبك من النيات السيئة تكن مؤمناً ناجيا ، والله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) فما هو الرد الشافي على أمثال هؤلاء والمقنع لهم ، المدحض لاقوالهم ، وما رأي فضيلتكم فيهم ؟

س ٤ : إن مديراً من مديري المدارس الخيرية الاسلامية في بيروت ألقى خطابا في مدرسة تبشيرية ، دعا الناس به إلى إحلال العامية محل الفصحى لغة القرآن الكريم ، أو تسكين أواخر الكلمات العربية ، لصعوبة تعلم تلك اللغة وإعرابها على زعمه فهل ينم خطابه هذا عن شيء في نفسه ياترى ؟ وما مبلغ دعواه من الصواب ؟ وما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

أفتونا وأفيدونا مأجورين من رب العالمين ، ودمتم مقصداً للقاصدين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ ذي القعدة سنة ١٣٤٨ السائل سعد الدين خضر الادلبي

أجوبة المنار بالاختصار

(٥٧) إعطاء الزكاة لجمعية خيرية إسلامية

إذا علم المزكي ان الجمعية الخيرية الاسلامية الذي يعطيها زكاته تنفقها في مصارفها الشرعية على علم كان إعطاؤه إياها جائزاً مع اعلامها بأنها زكاة وتوكيل مديرها مثلا بصرفها في مصرفها الشرعي ، وربما كان خيراً له من تكلف توزيعها على المستحقين بنفسه لصعوبة تمييزه للمستحق من غيره إلا أن يكون في ذوي القربى له من يستحقها وهو ممن لا تجب عليه نفقتهم فتقديمهم على غيرهم أفضل . وينبغي أن يعلم أن زكاة الفطر قد شرعت لاغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد وهو يوم ضيافة الله عز وجل للمؤمنين فلا يجوز تأخيرها عن يوم العيد لانفاقها على تلاميذ مدارسهم الفقراء بعده . فان كان المزكي يعلم ان للجمعية نظاما لايصال زكاة الفطر إلى فقراء البلد لينفقوها في يوم العيد فذاك وإلا فليوزعها بنفسه أو من ينوب عنه ممن يثق بهم من الخدم أو غيرهم

(٥٨) تنفيذ وصية الميت

تنفيذ وصية الميت بما خصصه من المال لتجهيزه ودفنه والصدقة المشروعة واجب باجماع المسلمين وانما تكون الوصية شرعية اذا كانت لاتتجاوز ثلث ماله ولم تكن في محرم (كوصية امرأة مصرية فاسقة في هذا العام أن تضرب عندها

يوم موتها المعازف وأن تسقى المعزيات عنها الخمر) وأولياء الميت المنفذون لوصيته هم الذين يجب عليهم تنفيذ وصيته على الوجه الشرعي الذي أراده بها دون ما خالفه، فان خفي عليهم أمر التوفيق بين لفظه والعادات المألوفة في بلده فعليهم أن يسألوا الفقهاء عن تفصيل ذلك والحكم يختلف باختلاف لفظ الوصية وطريقة تنفيذها

(٥٩) شبهة الاباحيين في ترك شعائر الدين

إن ما ذكرتم عن هؤلاء الشبان المتفرنجين جهل فاضح خلاصته أن الدين الذي ينجو به الانسان من عذاب الآخرة ويستحق به نعيمها الخالد عبارة عن أمر سلبي باطني وهو ألا ينوي السوء والشر ، ولم يوجد دين في الارض يقول بهذا وانما الدين إيمان وعمل صالح ونية صالحة في العمل بان يكون لمرضاة الله وما شرع العمل لاجله من تزكية نفس العامل وتحليتها بالفضائل ومنفعة عباده في مثل الزكاة من الاعمال المتعدية الفائدة ، فمن استحل ترك الصلاة أو غيرها من أركان الاسلام فهو كافر باجماع المسلمين وكذا من استحل شيئا من المحرمات القطعية كالزنا والسكر وأكل أموال الناس بالباطل

قال ﷺ «انما الاعمال بالنيات» الخ الحديث المشهور وهو في أول صحيح البخاري فمن لا عمل له لا نية له الا ان ينوي عملا ثم يصرفه عنه العجز أو عذر آخر . ومن كان عمله الديني للرياء والسمعة وهوى النفس فهو منافق لا ينفعه عمله وإنما ينفعه إذا كان يعمله اتباعاً مخلصاً لله فيه . ويؤيد هذا المعنى المفصل في تتمة الحديث قوله ﷺ «ان الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وهو في صحيح مسلم. والمراد ان مدار قبول العبادات كلها على الاخلاص في الاعمال وصدق النية لا على الظواهر العملية التي تقع من المنافق والصادق، والمرائي والمخلص، وهؤلاء المتفرنجون الاباحيون ظواهرهم قبيحة وبواطنهم اقبح ، ولا يعتد باسلامهم إلا باقامة اركان الاسلام وترك نواهيه ، حتى إذا ما زل احدهم فترك واجباً اوفعل محرما تاب الى الله تعالى

وأمر السوء والشر الذي حصروا الدين في عدم نيتهما تختلف آراء الناس وأهواؤهم فيه حتى قال بعض المفسدين من كتبة مصر ان العفة ليس لها معنى ثابت فهي تختلف باختلاف الزمان ، فظهور المرأة عارية للرجال وسباحتها معهم في البحار ورقصها معهم في الملاهي كانت تعد في الازمنة الماضية رذيلة منافية للعفة والفضيلة ، وهي تعد الآن من فضائل المدنية بزعمهم ، بل استحسنوا الجهر بالفواحش التي يخفيها جميع البشر بداعية الفطرة وسموها الادب المكشوف . وجملة القول ان الاسلام هو العمل الصادر عن الايمان والاذعان النفسي لما ثبت في الشرع من الاوامر والنواهي وهو يستلزم الاخلاص وحسن النية

(٦٠) من دعا الناس إلى استبدال العامية بالعربية الفصحى الخ

إن كان المدير الذي أشرتم اليه يدعو إلى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة أو يترك الاعراب منها فهو إما جهول لا يعقل مصلحة الامة العربية في دينها ولا دنياها ، وإما سيء النية يخدم الاجانب في إضعاف هذه الامة وإفساد أمرها عليها ، إلا إن كان يقصد بذلك الكلام المعتاد فله عذر ما، وهذا الذي نظنه وقد يكون الناقل مخطئا في الفهم

﴿معجزات المولد النبوي والشبهة على المعراج﴾

(س٦١) من حضرة صاحبي الامضاء في يافا (فلسطين) تأخر

صاحب الفضيلة مولانا العلامة الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلا يخفى على فضيلتكم تطور الحالة المدنية وانتشار العلوم العصرية من طبيعية وفلسفية في الاصقاع الاسلامية

وبما لفضيلتكم علينا من فضل التربية العقلية والتثقيف العلمي رأينا من الضروري أن نتشرف برفع هذا الاستفهام اليكم واننا على يقين من أنكم ستلبون طلبنا

وتتكرمون باجابتنا إلى ملتمسنا خدمة للدين وتطبيقا للعلم على العلوم العصرية في هذين الامرين المهمين اللذين هما من مباني الدين الحنيف حتى تكون سلاحا في يدنا لينتفع بكم المسلمون في مشارق الارض ومغاربها آمين

ينقسم هذا الاستفهام إلى شقين

(الاول) عن المولد الشريف ماسبقه من البشائر والعلامات وما لحقه من المعجزات وتأييد ذلك بالبراهين العقلية والنقلية اجمالية أو تفصيلية

(الثاني) عن الاسراء والمعراج وبنوع خاص نظرية الصعود واختراق السماوات وقابليتها للالتئام وإمكان اختراق الجو مع عدم وجود الهواء في الفضاء أكثر من سبعة أميال وما رآه المصطفى ﷺ في طريقه

هذان الامران اللذان ينكرهما الطبيعيون والماديون وإن سلم بعضهم بشيء منها وأنكر بعضها . كما نرجو من فضيلتكم أن تتفضلوا بالاجابة في زمن يسمح لنا بالاستعداد قبل دنو شهر الميلاد أو أن ترشدونا الى الكتاب أو الكتب التي يمكننا الانتفاع منها في هذا الشأن والاسترشاد بها والله يحفظكم

م . فوزي الامام   محمد فهمي غريب

امام وخطيب جامع يافا الكبير   الواعظ العام بجامع يافا الكبير

الجواب

(٦١) مايذكر في قصص المولد النبوي من البشارات والعلامات وما يختص به من المعجزات لاتؤيده براهين عقلية ولا نقلية ولكن هنالك روايات آحادية ليس فيها حديث مرفوع، ومنها الضعيف والموضوع، وأكثرها مراسيل واسرائيليات منكرة أشهرها في هذه القصص ثلاثة آثار طويلة فيما وقع أثناء حمله وعند ولادته ﷺ من العجائب. وقد قال السيوطي في الخصائص الكبرى «ان فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بازاءها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك» فان شئنا قصة المولد خالية من ذلك مقتصرة على

الصحيح فعليكما برسالتنا (ذكرى المولد النبوى) ففيها غناء وفي مقدمتها تفصيل الحكم الاحتفال بالمولد وتاريخه ومافيه من بدع. ولها مختصر يقرأ في الحفلة الرسمية بمصر وفي غيرها

(٦٢) الاسراء ثابت بنص القرآن فهو قطعي والمعراج روي من طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما تدل جملتها على صحة أصله على مافيها من التعارض والاختلاف في كونه وقع في اليقظة أم في المنام - وهما على كل حال من الامور الغيبية الخارقة للعادة، ويقربهما من العقل أن روح النبي ﷺ كان لها السلطان على جسده في تلك الليلة فلطفت جسده الكثيف فكانت كالجسد الذي كان يتمثل به الروح الامين في صورة دحية الكلبي فأمكنها أن تعرج معه بمثل قوته التي لاتقل عن قوة الكهرباء. وبهذا التقريب تسقط شبهة حدود الهواء ، وأما شبهة اختراق السموات فيقال فيها ان الوصول إلى السماوات السبع وتجاوزها لا يقتضي اختراقها، وانما كان هذا شبهة لعلماء الهيئة اليونانية الذين كانوا يزعمون أن الافلاك التي ركبت فيها الدراري والنجوم أجسام صلبة شفافة لاتقبل الخرق والالتئام بطبعها ،وظن بعض علماء الشرع أن هذه الافلاك المزعومة هي السماوات ، وقد أبطل علم الهيئة هذا الزعم من أساسه وانما السموات المذكورة في حديث المعراج من عالم الغيب تسكنها الملائكة وتعرج اليها ارواح الانبياء عليهم السلام . وقدسبق لنا تفصيل هذه المسألة في المنار من قبل

وان هنا قاعدتين لا ينبغي أن تغيبا عن مسلم (١) ان كل ماثبت في الكتاب والسنة من خوارق العادات، فالواجب على المسلم قبوله على ظاهره مالم يقم برهان قطعي حسي أو عقلي على استحالة ظاهره فيؤول (٢) ان كل ما أخبر به الوحي عن عالم الغيب لايقاس على عالم الشهادة ولا يشترط في قبوله موافقة سنن هذا العالم وعاداته ، ومعجزة الاسراء والمعراج من الخوارق الروحانية الغيبية ، وليست من المحال الذي يقول علماء الكلام ان قدرة الله لا تتعلق به. وقد فصلنا مسألة الخوارق في التفسير مراراً آخرها تفسير هذا العام. وبينا فيها أن ماظهر للبشر في هذا القرن من عجائب الكهرباء وغيرها قد قرب إلى العقول كل ما كانت تستبعده من المعجزات وأمور الغيب

﴿ إخراج مصل من صلاته وابطاله عليه لانه قرأ البسملة ﴾

(س٦٣) من صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

تحية وسلاما وبعد (فانني) بينما كنت قادما من حلوان بمحطة باب اللوق وجدت عند نزولي بمحطة باب اللوق رجلا اقام الصلاة وحينما قرأ الفاتحة في أول ركعة ابتدأها بالبسملة وبدأ الآية بعدها بالبسملة فمنعه رجل آخر وأخرجه من الصلاة وعرفه أنه لايجوز قراءة البسملة لا في ابتداء الفاتحة ولا في ابتداء الاية أيضاً وهذا يختص بمذهب مالك زاعما أن الابتداء بالبسملة في وسط السورة مبطل للصلاة فهل هذا الزعم في محله وهل كان له أن يخرجه من الصلاة

وإلا فما راي فضيلتكم وأرجوكم التكرم بنشره على صفحات المجلة ولفضيلتكم الشكر والثناء وختاما تفضلوا بقبول فائق الاحترام

عزب سيف الدين
من أهالي محطة المعصرة الجديدة
خط حلوان

(ج) مسألة قراءة البسملة في أول سورة الفاتحة اجتهادية ومذهب الشافعي أن الصلاة لا تصح بدونها وأقوى حجته له تواترها عن بعض القراء وثبوتها في المصحف الامام بالاجماع ولا يمكن أن يقال في بسملة الفاتحة ماقيل في غيرها من السور وهو أن البسملة في أولها للفصل بينها وبين غيرها ، وإن الاحاديث المتعارضة في قراءتها آحادية ويأتي فيها قاعدة تقديم المثبت لها على النافي. ومن المقرر في المذاهب كلها عدم جواز الانكار على متبع مذهب بمذهب غيره. وأما قراءة البسملة في ابتداء قراءة آيات من أثناء السورة فهو غير مشروع ولم يثبت في مذهب من مذاهب الائمة ولكنه لا يبطل الصلاة وفاعله لابد أن يكون قد سبق به لسانه أو يكون جاهلا بالحكم ، وكان ينبغي للمنكر عليه أن يقول له وهو في الصلاة أو بعدها لاتقرأ البسملة في أول الآيات فانها غير مشروعة ، وأما إبطاله لصلاته باخراجه منها فهو خطأ وجهل ظاهر

(الانكار على تأليف الجمعيات الدينية ، بدعوى ان قام الاسلام بالسيف)

(س٦٤) من صاحب الامضاء الرمزي في طنطا

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام صاحب المنار الاغر .

تحية من أبنائك المتمتعين بجليل علمك وعظيم خلقك المعجبين بجهادك في سبيل الله جهاداً صادقا لاتشوبه شائبة رياء أو ظهور

وبعد فقد تألفت في طنطا جمعيتان دينيتان ،جمعية الثقافة الاسلامية وجمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الغرض منهما العمل على رفعة الدين وبث روح الهداية في الناس مع بعدهما عن كل مايمس السياسة وقد وجدنا من كل الطبقات في البلد تشجيعا صادقا وعطفا ذا أثر .

غير أننا والاسف يملأ جوانحنا وجدنا شيخ معهد طنطا يحارب الجمعيتين بكل مالديه من الوسائل فيرغم الطلاب المشتركين فيها والمدرسين الذين انتخبوا في مجلس إدارتها على الانسحاب منها بحجة أنها ليست من الطرق التي رسمها الدين لاقامته لانه لم يقم إلا بالسيف .

فهل هذا صحيح ؟ وماذا كان يملك النبي ﷺ من وسائل القوة الحربية في بدء الدعوة .

أفيدونا على صفحات المنار أو في الجرائد اليومية ولكم منا أجزل الشكر ومن الله حسن الاجر والسلام عليكم ورحمة الله (م.س)

(ج) ان ماحكاه هذا السائل عن شيخ المعهد الديني الاحمدي الذي هو ثاني الازهر جهل فاضح يكاد يكون غير معقول فان تأليف الجمعيات لاجل الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت في كتاب الله بقوله (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ويدخل في ضمن قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) فكيف يقول شيخ معدود من كبار علماء الازهر هذا القول الذي أسند اليه في السؤال وهو من الجهل

الفاضح بصريح القرآن وبما هو معلوم من الاسلام بالضرورة ؟ ان لنا أن نرتاب في صحة هذا القول على إطلاقه وإن كان قد بلغنا عن هذا الشيخ من تأييد الخرافات الذي ينشرها الشيخ يوسف الدجوي مالم يبلغنا عن غيره من علماء مصر ، بل علمت من بعضهم وعن بعض آخر أنهم ينكرون عليه ما تتنبه من الطعن فيناومن فتاويه الاخرى في تأييد البدع والخرافات ويعترفون بانه فضح الازهر ومجلته بذلك

وأما شيخ المعهد الاحمدي فقد نقل الينا عنه أنه أمر بقطع أحد الطلبة عنده عن الدرس مدة أسبوع او أسبوعين (الشك منا) لانه اعترف أمام أستاذ له بانه يقرأ مقالات السيد رشيد رضا في الرد على الدجوي ومجلتها ويستفيد منها. فالتمسنا له من العذر انه ربما يكون قد قرأ مقالة الدجوي وبهاتته في مجلة مشيخة الازهر وصدقه فيما افتراه علينا ولم يقرأ شيئا من مقالاتنا في فضيحة كذبه وبيان جهله ، وان كان المشهور عنه انه على رأيه في خرافات القبور وامثالها ، وهذا الصنف من الازهريين يقل ويضمحل ولذلك لم يجد الدجوي له في الازهر من ولي ولا نصير. ولكن لم يعرف عن احد من الازهريين إنكار على الجمعيات الدينية والوعظية بل تعددت جمعياتهم في هذا العهد

وأما ما اسنده السائل إلى الشيخ الديناري من أنه يقول ان دين الاسلام لم يقم إلا بالسيف فهو من الجهل الفاضح بالسيرة النبوية والتاريخ يؤيد به طعن أعداء الاسلام من دعاة النصرانية وساسة الافرنج فيه ، وقد سبق لنا دحضه مراراً في المنار ، ونحيل السائل وغيره على ما كتبه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد في دحض هذه التهمة والرد على مفتريها ، وعلى بحثنا في اصلاح الاسلام الحربي الذي يرى اوله في هذا الجزء

ويبقى الكلام مع شيخ المعهد الاحمدي في مسألة أخرى وهي إن كان قيام الاسلام بالسيف يقتضي أن لا يعمل لبيانه ولا لنشره عمل إلا سل السيف فهذه المعاهد الدينية التي يرأس احدها يجب إبطالها وإرسال طلبتها الى المدارس الحربية ، وان كان يفرق بين إقامته في المشركين المعاندين وتبليغه لغيرهم ولا سيما للمسلمين الجاهلين فهاتان الجمعيتان من هذا النوع فكيف ينكر على مؤسسيها من المدرسين والطلبة ؟

(بدعة كفارة الصلوات الفائتة)

(س٦٥) من صاحب الامضاء بعزبة علام قمانة (نجع حمادي).

حضرة صاحب الفضل والفضيلة محيي السنة ومميت البدعة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا أطال الله عمره

سيدي أشكو اليكم مر الشكوى من جماعة يسمونهم أهل فضل في بلدنا القمانه مركز نجع حمادي يقرؤون على الناس فائدة في جبر الصلوات الفائتة في كتاب صغير الحجم يسمى المجموعة المباركة في صحيفة نمرة ٧ سطر ١ منه ومضمونها ان من يصلي أربع ركعات في آخر جمعة من شهر رمضان ويقرأ دعاء كانت كفارة له لالف سنة عن الصلوات الفائتة وإن لم يعش هذا العمر فيكون الباقي إلى أقاربه وجيرانه وأهل بلده ولربما فضيلتكم اطلعتم على هذا الكتاب فارجو الجواب ولكم الثواب يامنادي الاصلاح ، أبقاك الله ذخراً للاسلام والمسلمين . والرد يكون بمجلتكم المنار الغراء   ابنكم حسين محمد

بعزبة علام قمانه

(الجواب) اننا أخرناهذا الجواب مدة طويلة وهو بديهي رجاء الاطلاع على الكتاب المسمى بالمجموعة المباركة ونبين مفاسده وبدعه المضلة ولما يتسن لنا ذلك . وقد رأينا ان نشره الآن في هذا الجزء الذي يصدر في شهر رمضان مناسب فنقول أن هذه الكفارة باطلة بالضرورة وكذب على الله تعالى وافتراء على شرعه القويم بل هي مفسدة تجرىء الجاهل الذي يصدقها على ترك الصلاة التي هي عماد الاسلام ولا يصدقها مسلم يعرف ضروريات دين الاسلام، بل يدرك بطلانها كل من له مسكة من العقل وقليل من الذكاء فانه يدرك ان صلاة اربع ركعات من النوافل لاتغني عن جميع الصلوات المكتوبة . ومن علامات الحديث الموضوع ان يكون فيه ثواب عظيم جدا على عمل قليل . وأجدر بهذا التكفير لترك الصلاة أن يكون تكفيراً بالايمان من أصله . وليتكم تجدون لنا نسخة من هذه المجموعة الضلالية المفسدة للاسلام لنبين ماعسى ان يوجد فيها من هذا الضلال غير هذه المسألة

نموذج من كتاب

الانجيل والصليب

(لعالم كبير من قسوس الاشوريين هداه الله الى الاسلام)

« الباب الثاني »

غرضه الانجيل وموضوعه ((الاسلام)) و ((احمد))

المبشر لوقا يبشر (بالاسلام) و (باحمد)

لننظر الآن في التأويل والتفسير الحقيقي للفظ انجيل الذي يبشر بالسعادة الحقيقية وماذا يحتمل أن يكون القصد من كلمة « امل » او « ملكوت الله ؟ » فاذا انكشف هذا السر نكون قد فهمنا روح الانجيل ولبه . أسأل الله تعالى أن يمن على هذا المؤلف الاحقر بان يجعل له نصيب الفخر بكشف هذه الحقيقة التي تعدل الدنيا وما فيها بأهميتها العظمى وقيمتها التي لا يساويها شيء ـ مع انها وياللأسف لم تزل حتى الآن مجهولة لدى كل من المسلمين والمسيحيين ـ وتمحيصها من التحريفات والتأويلات الفاسدة ، وابرازها بتمامها وصفائها بالأدلة القاطعة والبراهين المسكتة بصورة صريحة واضحة بحيث يفهمها كل أحد

وهاءنذا أتحدى باعلان واظهار هذه الحقيقة جميع العالم وكافة روحاني النصارى وأشهر أساتذة الالسنة والعلوم الدينية في دور الفنون الموجودة في العالم المسيحي ، تسلية لقلوب المسلمين ، وتثبيتا لايمان الموحدين ، الذين أصيبوا بأنواع المصائب ، وأمسوا هدفا للتحقير والطعن في هذه الايام الاخيرة . وهاءنذا أفتتح كلامي بالحمد والشكر وتحياتي مع روحي وحياتي مشفوعة مع شهادة ان لا إله إلا الله ، تلك الكلمة الطيبة كلمة التوحيد والايمان الصحيح تقربا إلى الله الواحد الاحد ، مكون الكائنات ، وواهب العقول والافهام ، المطلع على خفايا السرائر

والنيات ، جل جلاله ، وخدمة لدين حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ فاني قد عاهدت الله عز اسمه بان أقف نفسي على خدمة هذا الدين المبين وخدمة أمته المظلومة ، والدعاء لها ، والله ولي الاجابة والتوفيق . بعد هذا أقول :

جاء في لوقا أنه ظهر في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام للرعاة الذين كانوا في البرية جمهور من الجنود السماوية يترنمون بهذا النشيد : (لوقا ٢:١٤)

« الحمد لله في الاعالي ! وعلى الارض إسلام ! وللناس أحمد »[1]

إن الذي فتح عيني هذا المحرر الفقير ، ووهب له مفتاح أبواب خزائن الانجيل ، وكان له دليلا في تتبع الاديان الاخرى، وانعام النظر في الانجيل مرة أخرى، هو هذه الآية آية الآيات الالهية .

اني مطمئن بأن هذه الآية الجليلة ستبعث اليقظة مع الحيرة والدهشة في قلوب كثير من المسيحيين كما وقع ذلك لي لاني واثق بانه يوجد في هذه الملة اليوم أناس كثيرون برءاء من التعصب والسفسطة ، وانهم لا يتأخرون عن الاذعان والتصديق للكلام الحق ، ولا يترددون في قبول الفكر الصحيح وقتاما

كيف ترجموا هذه الآية

كلما تقدمت في هذا المؤلف الوجيز تزعجني هاتان الواهمتان . الاولى هل يوجد من يشعر باني راغب في اكتساب الشرف والعظمة بنقد المفسرين والمترجمين ؟ والثانية — هل أنا مصيب في ترجمتي وعلى حق في تفسيري ؟ إن في مكتبة هذا العاجز نسخة من الكتاب المقدس بالعبرانية ونسخة من ترجمته بالسريانية الجديدة ونسخة ثالثة بالتركية مع نسخة من الانجيل والتوراة باليونانية ولم أجد ما أحتاج الى مراجعته من المؤلفات في مكتبة بايزيد العامة لاكمال هذا

(١) في الترجمة العربية : وعلى الارض السلام وبالناس المسرة . والمؤلف يعلم هذا وقد نقله فيما يأتي ولكنه يقول هنا ان الاصل الصحيح هو ما قاله ثم شرحه في التفصيل الآتي اه مصححه

العمل النافع . فأنا مضطر إلى الاكتفاء بما عندي من هذه الكتب.على انه ليس في المطبعة حروف عبرانية ولا يونانية

وهاءنذا أشرع في المقصود وقبل ان أدخل في بيان شرح الآية التي نحن في صدد الكلام عنها وأبسط تدقيقاتي فيما سأورده في اثباتها بصورة مفصلة في الفصل العاشر - أراني مضطراً الى تقديم بعض المقدمات الايضاحية بعبارة مختصرة فأقول :

إن الرعاة السوريين الذين ذكروا في الآية لم يكونوا من خريجي أكاديمية أثينه وقد سمعوا جمهور الجنود السماوية يترنمون بتلك الانشودة العجيبة فلا يمكن اذاً أن تكون الانشودة باليونانية . هذا شيء لا يوجد من يعترض عليه ، ومن البديهي انهم كانوا يرتلون التسبيح باللغة السريانية . ولم يذكر أنشودتهم المهمة هذه متى ولا المبشرون الآخرون ، وان لوقا كتب موعظته باللغة اليونانية لانه روماني او لاتيني على ماهو معلوم من اسمه .

كلمتان وردتا في اللغة الاصلية للآية المذكورة لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تماما ، فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية على وفق ماوقع في التراجم إلى اللغات الاخرى ، فبناء عليه يجب البحث عن نشيد الملائكة في اللغة الاصلية ، لان لوقا انما كتب كتابه متخذاً كثيراً من المؤلفات المتقدمة (١) مادة له ، ثم ان تلك المآخذ المتقدمة صارت عرضة لتنقيح وتصرف مراقب مجمع نيقيه (٢) الفاقد للرأفة ، وبعد كل ما كان فان ترجمتها باليونانية وقعت على الوجه الآتي كما في (ترجمة بايبل سوسايتي)

« الحمد لله في الاعالي ، على الارض سلامه ، في الناس حسن الرضا »

ومن البديهي ان الملائكة لم ينشدوها باللغة اليونانية ، وإلا كانوا كمن يكلم الرعاة الاكراد في جبل هكارى باللغة اليابانيه ، فلنبين الآن التفسير الصحيح الحقيقي للكلمتين « ايريني ، السلامة » و« ايودكيا ، حسن الرضا » فيا للعجب! لكن انظروا أولا إلى هذا التفسير الذي فسروه هم .

أولا ، كلمة « دوكسا » مشابهة لكلمة (الحمد) في العربية والعبرانية

(١) (لوقا ١:١ — ٤) (٢) نيقية هي بلدة أزنيق من توابع خداوندكار.

والسريانية . وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية ، و«دوكسا» مشتقه من (دوكو) أو (دوكثو) .

وبناء على ذلك تكون التسبيحات ، بمعنى حمد وعقيدة وفكرة . والكلمة المستعملة في السريانية بمقابل(دوكسا)هي كلمة (تشبوحتا)وفي اللاتينية Gloria والفرنسيون والانجليز والملل العربية تستعمل كلمات تشبهها

كثيراً مانصادف في صحائف كتب العهد القديم كلمات بين الكتابة مشابهة لكلمات (حمد) و (احمد) و (محمد) فما يشابه (محمد) ماجاء في ملوك أول ٦:٢٠وهوشع ١٦:٩ ويوئيل ٥:٣ ومراثي ارميا ٧:١ و١١) ... الخ

فالاولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي(ايريني) فقدترجمت بكلمات (سلامة) و (مسالمة) و (سلام) لكني لا أفهم لماذا يترجم مترجمو (بايبل سوسايتي) اللفظ الواحد مرة (سلام) ومرة [سلامة] وأخرى[مسالمة]؟

ان كلمة [ايريني] بمعنى [سلم] و[سلام] وهي من الالفاظ المشتركة بين جميع اللغات السامية[1] كما ان كلمة [حمد] كذلك موجودة في جميع تلك اللغات . ففي السريانية [شلم] وفي العبرانية (شالوم)التي يستعمل في مقابلتها الغربيون المنسوبون إلى اللغات اللاتينية . Pace, Paix, Pax, Peace .

من المعلوم ان لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ، ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم ، السلام) و(الصلح ، المسالمة) و(الأمن ، الراحة) أي ان من أسلم وجهه لله واجب الوجود يكون مسلماً ، وتزول من قلبه العداوة والخصومة التي يثيرها الكفر بالايمان الذي يحل في قلب من أسلم مع الاقرار باللسان ، فهو للقلب راحة ، وفي الآخرة أمان ، ومن المسلمين المجاورين اطمئنان على العرض والنفس والمال . وهذا الاسلام يعطي راحة للفكر ، واطمئنانا للقلب، وأمانا يوم القيامة

ان الكلمتين (ايريني) و (شلم) تفيدان هذا المعنى بعينه، وأما كلمة(إسلام، سلام) فهي مع ما تشتمل عليه من المعاني التي شرحناها آنفا باختصار تتضمن معنى زائداً وتأويلا آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ، ولكن قول

١) سام أحد أولاد نوح عليه السلام وهو جد الاقوام السامية

الملائكة « على الارض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة . لإن جميع الكائنات وعلى الاخص الحية منها ولاسيما النوع البشري الموجود على كرة الارض دارنا الصغيرة هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الوخيمة كالاختلافات والمحاربات والمنازعات. وذلك لكي يتمتعوا بالحياة والرقي ، ويعلو قسطهم من قانون الترقي والتكامل . وهذه النزعة الفطرية الضرورية من غرائز البشر تحدث لهم ضروب الاختلاف والتنازع ، وتحملهم على الشقاق والجدال والجلاد

فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الارض بالصلح والمسالمة ، ولا يتمكن أي دين كان أن يضمن دوام السلم العام بين الامم والاقوام حتى لو تعلقت إرادة الله عز وجل بذلك لاقتضى أن يبدل سننه الاجتماعية في طباع البشر ونظام معايشهم ويغير النواميس الطبيعية فيهم ويستبدل بها غيرها

إن الحكومات المستريحة الآمنة المسالمة اذا لم تكن على حذر دائم من عدوها تكون مقضيا عليها بالتدلي والسقوط ، ولا تزال تتقهقر حتى تصير الى البداوة والانحطاط أو الاضمحلال ، واذا كانت الامم لاتخشى اعتداءاً على حياتها أو عرضها أو مالها ، والحكومات الحاضرة لاتحسب للدماء ولا للنار حسابا ، فلماذا نراها منهمكة في المسابقة الى الاختراعات الحربية المرعبة التي نشاهدها ؟ خرقوا جبال الالب من أسفلها وهي التي تمردت على ذكاء (بونابرت) و (انيبال) وهمتهما ، وعبدوا الطريق فيها حتى صارت تمر منها القطارات بالكهرباء ، وبساق فيها الجيوش

ليقم كبار العرب — الذين سافروا من حضرموت إلى الصين وجاوا — من أجداثهم ولينظروا إلى تلك البحار التي مخروا فيها والامواج التي تسنموا غواربها ماذا يرون ؟ أما البحار فهي هي بعينها ، ولكن أي سفن أنشئت، وأي الآلات اخترعت لطي تلك المسافات بالسرعة العجيبة ؟ وإلى الرياح العاتية والعواصف القاصفة في جو السماء ! هي وإن كانت باقية على حالها منذ القدم ، ولكن ليبصروا كيف ان الفن أنفذ فيها التلغراف اللاسلكي وسخرها كخادم له ، ثم لينظروا

هذه الناطيد والطيارات ، والمدرعات والغواصات والدبابات ، من مخترعات العقل والفن ، ماأوجدتها الا الضراوة بالحرب ، وعدم الثقة بمعاهدات الصلح ، والامان من الحروب ، واذاً يكون (السلام) الذي هتفت به الملائكة ليس عبارة عن الاستراحه والمسالمة الدنيوية ، او ان يدخل جميع الناس الكنيسة فيصبحون آمنين مرتاحين تحت إدارة الاساقفة والرهبان خدام (الاسراز السبعة) بل إن كان في الدنيا شيء قد اكتسب أكبر شهرة في اقتراف المظالم وإيقاد نيران العداوة فلا شك انها الكنيسة ، أقول لاشك ، لان تلك حقيقة تاريخية ثابتة بالفعل ويقول المسيح نفسه (ماجئت لألقي سلاما على الارض) وأما الذين يصدقون بانه سيتأسس صلح عام ، فاولئك هم عبيد الوهم والخيال .

الاسلام

الاسلام : دين أساس ادارته وحكمه العدل المطلق الذي لاهوادة فيه ، لان الجرائم والجنايات تعاقب عليها يد العدالة ، ولكن الاشرار والمنافقين من المسلمين لا يزالون يسعون في الارض فساداً ، ولم يخل زمن الخلفاء الراشدين — مثال العدل المطلق الكامل — من مثل هذه الاختلافات والشقاق من الحروب

إذن فماذا كانت تقصد الملائكة ؟ هل قصدت (سلام عليكم) (شلم لحن) كما يريد أن يحيي بعضنا بعضاً ، ويؤدى له رسوم المجاملة ؟ الناس يمكنهم أن يستعملوا مايشاءون من الكلمات الرقيقة لاجل المجاملة ، ولكن لاحكمة ولاحاجة أبداً إلى ذلك في التبشير السماوي ، ولاسيما اذا كان من قبل جيش من الملائكة يترنمون في جو الافلاك .

(إيريني) أي (الاسلام) هو الدين المبين ، وحبل الله المتين ، المكمل للانسان جميع وسائل ترقيه المادية والمعنوية ، والكافل له سعادة الحياة والعيش الرغيد إلى الابد

مهما أكن حريصا على التزام الاعتدال ، وعلى سوق القلم فيما لايجرح عواطف المسيحيين ، فلا بد أن أكون معذوراً اذا ماتجاوزت أحيانا هذه الخطة

رحماك ربي ! ما أكثر ما ينحي به أحرار الفكر (١) والموحدون في أوروبا ، وأمريكا على النصرانية من التحقير الشفهي ، والاعتداء التحريري ! ومن المعلوم بالضرورة ان مثل تلك المطاعن لا تقع في بلاد المسلمين كتركيا

ما كان أجدر الكنائس بخدمة الانسانية لو صرفت عنايتها في مجامعها الكبرى من مجمع نيقية الى آخر مجمع للفاتيكان (٢) عن فحص الاسرار والاشياء السحرية ووجهت همتها إلى المعاني العميقة للآية التي نحن بصدد التدقيق في معناها : كم كان للمسيح من طبيعة وإرادة ؟ هل كانت أمه مريم إذ كان في رحمها بريئة من الذنب المغروس أم لا ؟ عند مايتحول الخبز والخمر إلى لحم المسيح ودمه في القربان المقدس هل يفقدان جوهرهما ام أعراضهما فقط ؟ اذا كان عقد النكاح كارتباط المسيح بعروسه الكنيسة أبديا فيكون افتراق الزوجين وانفصال أحدهما عن الآخر محالا حتى الموت ام لا ؟ هل ينبثق الروح القدس من الآب وحده ، ام من الآب والابن معا ؟ وأسفا على الكنيسة التي تشتغل بمثل هذه المسائل !

إذن فالملائكة أرادت أن تقول « سيؤسس دين الاسلام على الارض »

أقول إلى رهبان البروتستانت وواعظيهم الذين يدعون ان المسيح جاء بالسلام ان مدعاكم غلط محض ، وان المسيح قد قال صريحا وتكراراً انه لم يأت بالسلام بل بالسيف والنار ، والاختلاف والتفريق بين الناس ، فلا مناسبة للسلام بالمسيح ولا بالمسيحية ، ودونكم هذه النصوص .

« لا تظنوا اني جئت لألقي سلاما [ايريني] على الارض . ما جئت لألقي سلاما بل سيفا » (متى ١٠: ٣٤) وفي موعظة أخرى للمسيح « جئت لالقي ناراً على الارض ، أتظنون أني جئت لاعطي سلاماً على الارض ، كلا أقول لكم ، بل انقساما » (لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣)

إن تدقيقاتنا ومطالعاتنا العميقة في هذا الموضوع مندرجة في الفصل العاشر ولكن اضطررت ههنا عند تحقيق معنى الانجيل إلى تدقيق في المعاني المهمة التي

(١) احرار الفكر ـ هم الذين ينتقدون كل الاديان والفرنسيون يسمون هؤلاء (ليبر پانسور) (٢) مجمع الفاتيكان ، معطل الآن . وكان قد دعي من قبل (پيو نونو)

تتضمنها الآية المذكورة لا غير ، فان الملائكة في هذه الآية تخبر وتعلن صريحا بانه سيظهر دين باسم « الاسلام » و « السلم »

فاذا كانت هذه الفكرة التي بيناها باطلة ، فالآية المذكورة ليست إلا نغمة لامعنى لها [حاشا] فما دامت النصرانية تعتقد ان الآية المذكورة وحي وإلهام من قبل الملائكة حقيقة ، فيجب علينا ان نقبلها مثلهم ، ونضطر إلى الاعتقاد بانها أهم وأعظم شأنا من أية آية في الكتب السماوية ، لان هذا الالهام ليس من قبل نبي أو رسول أو ملك واحد، بل هو إلهام من قبل جمهور من الجنود السماوية يهللون ويترنمون بالذات ، فنحن على هذا مضطرون إلى قبول ان محتوياتها أيضاً عبارة عن تظاهرات كبيرة وتجليات مهمة جداً تتعلق بمنافع البشر وبنجاتهم في المستقبل .

ولنبين ان أنبياء الله قد استعملوا من قبل في أسفار التوراة (العهد العتيق) هذا المعنى اللغوي لكلمة (اسلام) بمادة هذا المصدر نفسه ومشتقاته وهي (سلم تسليم ، اسلام) العربية ، و (شلم ، شلوم) العبرانية ، و (شلم) السريانية ، على الوجه الآتي :

(اشعيا ٤٤ : ٢٦ و ٢٨) اتمام ، اكمال ، اكمال النقص ، الذهاب به إلى مكانه
(اشعيا ٣٨ : ١٢) الانهاء ، الايصال إلى المنتهى
(أمثال سليمان ١٦ : ٧) المصالحة ، الصلح مع .
(يشوع ١٠ : ١ ـ ٤) عقد الصلح والمصالحة ، التسليم والضبط .

فالاسلام عبارة عن الدين المتمم والمكمل للاديان السابقة والحاكم في الاختلافات الكائنة بين اليهودية والمسيحية والمصلح بينهما ، ومدخلهما في ضمن دينه المكمل المتمم ليكون الجميع سوية مسلمين لله ، مسلمين ومؤمنين

أليس لهذه الآية رابطة بصورة بليغة بآية القرآن المجيد التي نزلت على حضرة خاتم الانبياء في حجة الوداع ؟ وبلغها لأكبر مجتمع في عصره ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾

(للنموذج بقية)

المقال الخامس

البهيتة الاولى انكار الملائكة

زعمت مجلة مشيخة الازهر أن صاحب المنار « قرر أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية » واحتجت عليه « بالحوار بينها وبين الله تعالى » وبقوله تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً)

فهل يريد محرر هذه المقالة بما بهتنا به أن يعتقد قراؤها الذين أنشئت لارشادهم بلسان هذا المعهد الاسلامي العظيم أن صاحب المنار لا يؤمن بالملائكة وهو الذي أنشأ مجلته منذ خمس وثلاثين سنة لدعاية الاسلام والدفاع عنه وتبرئته من البدع والخرافات التي تصد عقلاء البشر عنه وتفتح لهم أبواب الطعن فيه وهو المفسر للقرآن بالجمع بين المعقول والمنقول وتنزيهه عن الخرافات الاسرائيلية وغيرها - وهو المتصدي للافتاء العام في أصول الدين وفروعه حتى لقبه العلامة الشهير الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي « بمفتي الآفاق ، على رغم أنف كل ذي حسد ونفاق » هل يريد أن يقول في هذا الرجل إنه ينكر أن لله ملائكة منهم الروح الامين مبلغ وحي الله لرسله ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم ملك الموت وأعوانه ، ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والمدبرات لامور الخلق باذن الله .

من كان لا يؤمن بالملائكة فهو لا يؤمن بوحي الله إلى رسله ولا يكون مسلما ولا يهوديا ولا نصرانيا ولا مليا وثنيا . فان كان صاحب المنار من هذا الصنف فلماذا سكت له على كفره هذا علماء الازهر الاعلام وغيرهم من علماء الاسلام مدة ٣٥ سنة وهو يطالبهم في كل مجلد من مجلته كما يطالب جميع من يطلع عليها بأن يكتبوا اليه بما يرونه باطلا أو منتقدا فيها مع بيان دليله لينشره لهم فيطلع عليه سائر قرائه كيلا يضلوا بما ضل هو به ؟ حتى اذا سخط عليه أحد محرري مجلة المشيخة بانتقاده لبعض ما نشره فيها من تأييد البدع والخرافات ، بتحريف الآيات وتصحيح

الموضوعات ، أظهر للناس هذا الطعن انتقاما لنفسه ولها ، لا خدمة للدين ، ولا نصيحة للمسلمين ، فهل كانوا عاجزين أو جاهلين ، أم لا يهمهم أمر الدين ؟

هذا ما نقوله من ناحية الالزام العقلي ، ونقفي عليه ببعض الشواهد الناطقة بعقيدة الايمان بالملائكة واتباعنا عقيدة السلف الصالح فيها ، ويجب أن تكون هذه الشواهد بعضها من كلامنا في التفسير وفي مجلة المنار ، وبعضها من كلام الاستاذ الامام في تفسير المنار نفسه وفي تفسيره هو لجزء عم :

ذلك بأن شبهة المفتري في هذه المسألة هي عبارة للاستاذ الامام قالها في درس التفسير بالازهر وقلناها عنه في المجلد الخامس من المنار (سنة ١٣٢٠) فاستشكلها بعض من سمعها منه و بلغوه ذلك فوضح مراده في درس آخر ، لا يزال في علماء الازهر الذين حضروه من يذكره. وقد صرح به في مجلس الصلح أحد محرري مجلة المشيخة ، ثم كتب بيده ايضاحا آخر له نشرته في تفسير الجزء الاول معزواً اليه رحمه الله مطبوعا بحرف أكبر من الحرف الذي نطبع به التفسير ،

فهذه مسألة فرغ منها منذ ٣١ سنة ومن مقاصد إثارتها الطعن في دين الاستاذ الامام وعلمه من وراء حجاب الطعن في صاحب المنار ، مع العلم بأن صاحب المنار اذا كتب فيها فلابد له أن يعزوها إلى الاستاذ الامام ، فيرميه الطاعن بأنه هو الذي أظهر كفر أستاذه للناس ، وكان من حق الوفاء له عليه أن يقبل الطعن على نفسه وحده ولكنه قليل الوفاء. وقد كتب الطاعن مثل هذا في مسألة الطعن علينا بانكار وقوع السحر على النبي (ص) والمنكر له هو الاستاذ الامام في تفسيره لجزء عم لا في المنار وله سلف فيه من أئمة العلماء ، وسيأتي بيان ذلك في محله ، وهاك الشواهد

(الشاهد الاول)

ان اول موضع ذكرت فيه الملائكة من تفسير المنار لسورة البقرة هو قولي في الايمان بالغيب من تفسير الآية الثالثة ما نصه

«الناس قسمان : مادي لا يؤمن إلا بالحسيات ، وغير مادي يؤمن بما لا يدركه الحس أي بما غاب عن المشاعر متى أرشد اليه الدليل او الوجدان السليم ، ولا شك أن الايمان

بالله وملائكته - وهي جنود غائبة لها مزايا وخواص يعلمها الله سبحانه وتعالى - وباليوم الآخر - إيمان بالغيب. اه [من صفحة ١٢٧ من جزء التفسير الاول]

فهل هذا النص على أن الملائكة جنود لله تعالى من عالم الغيب لها مزايا خاصة بها - يتفق هو والقول بأنهم عبارة عن القوى الطبعية ؟

(الشاهد الثاني)

ذكرت في الكلام على الوحي من سياق اعجاز القرآن من تفسير سورة البقرة ايضا ان ملك الوحي يتمثل للانبياء عليهم السلام واستشهدت عليه بآيات ثم قلت « وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم انه ممكن في نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم ان العلوم الكونية لم تبق شيئا من أخبار الغيب غريبا ، إلا وقربته الى العقل بل الى الحس تقريبا ، بل ظهر من الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ، ما كان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل — لا غريبا فقط ، فاذا كان الانسان الكيميائي يحلل الاجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها ، فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه - وهو من الارواح ذات المرة والقوة العظيمة - بأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبة التي لا يوجد شيء مما اخبر به الرسل من عالم الغيب إلا وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده . وهل الكهرباء إلا قوة مسخرة للملائكة - اه ويليه كلام في ارواح البشر وقول الامام مالك فيها [راجع ص ٢٢٠ من جزء التفسير الاول أيضا] فهل معنى هذا ان الملائكة من القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثالث)

قلت في الكلام على الملائكة من تفسير آية البر مانصه : إن الايمان بالملائكة أصل الايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح عاقل عالم يفيض العلم باذن الله على روح النبي ﷺ بما هو موضوع الدين ، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب

والنبيين ، فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب (٩٧: ٤ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر - ٢٦ : ١٩٣ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٤ بلسان عربي مبين) فيلزم من انكار الملائكة انكار الوحي والنبوة - إلى أن قلت - والملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب فلا نبحث عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة (اه صفحة ١٢٣ و ١٢٤ من جزء التفسير الثاني) فهل معنى هذا أن الملائكة قوى طبيعية ؟ ؟

(الشاهد الرابع)

قلت في تفسير آية سورة النساء (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله) الآية التي اوردها على مانصه « فالايمان بالله هو الركن الاول ، والايمان بجنس الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والايمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث . والايمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب فبلغوها للناس هو الركن الرابع . الخ (راجع ص ٤٥٩ ج ٥ تفسير) فهل يمكن أن يكون المراد بالملائكة الذين يحملون الوحي إلى الرسل (ع. م) من القوى الطبيعية

(الشاهد الخامس)

كتبت في الصفحة ٣١٦ وما بعدها من جزء التفسير السابع في الكلام على اقتراح المشركين انزال ملك على النبي (ص) والرد عليهم في تفسير الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الانعام بحثا طويلا في عدم استعداد البشر لرؤية الملائكة في صورهم الاصلية لقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أذكر من هذا البحث ما نصه :

«والمختار عندنا أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن في حالتهم التي خلقوا عليها كما قال تعالى في الشيطان (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) لا لانهم لا يطيقونها لهولها بل لان أبصار البشر لا تدرك كل الموجودات بل تدرك في عالمها هذا بعض الاجسام كالماء وما هو أكثف منه من الاجرام الملونة دون ما هو ألطف منه كالهواء وما هو ألطف منه كالعناصر البسيطة التي يتألف منها الماء والهواء ، والملائكة والجن من عالم آخر غيبي ألطف مما ذكر . وهذا العالم

مما يعده المتكلمون في الفلسفة وراء عالم المادة ، وليس عند المتكلمين عالم غير مادي ولذلك يعدون الملائكة والجن من الاجسام اللطيفة ، ويقولون انهم قادرون على التشكل في صور الاجسام الكثيفة ، فمثل تشكلهم كمثل تشكل الماء في صورة البخار اللطيف والبخار الكثيف (كالسحاب) وصورة المائع السيال وصورة الثلج والجليد ولكن الماء يتشكل بما يطرأ عليه من حر وبرد بغير اختيار منه ، وذانك يتشكلان باختيارهما اذ جعل الله لهما سلطانا على العناصر التي تتركب منها مادة العالم أقوى من سلطان البشر الذين يتصرفون فيها بأيديهم لا بأنفسهم وماهياتهم ، فهم لا يقدرون على تحليل أبدانهم وتركيبها مع غيرها من الموادفاذا تمثل الملك أو الجان في صورة كثيفة كصورة البشر أو غيرهم أمكن للبشر أن يروه ولكنهم لا يرونه على صورته وخلقته الاصلية بحسب العادة وسنة الله في خلق عالمه وعالمها ، فاذا وقع ذلك كرؤية النبي (ص) لجبريل مرتين كان من خوارق العادات ، والخوارق لا تثبت إلا بنص، لانها خلاف الاصل ، على أن رؤيته بصورته لا ينافي التشكل ، إذ يجوز أن تكون مادة صورته اللطيفة التي لا ترى قد ظهرت بمادة كثيفة فيكون التشكل في هذه الحالة بمادة جديدة مع حفظ الصورة الاصلية ، والتشكل في غيرها بالمادة والصورة معا ، وعلى أن لأرواح الانبياء من التناسب مع أرواح الملائكة ما ليس لغيرها ، ففي الحال التي تغلب بها روحانيتهم على جثمانيتهم يكونون كالملائكة فيجوز أن يروهم بأي صورة وشكل تجلوا لهم فيه» اه

(الشاهد السادس)

كتبت في ص ١٦٢ وما بعدها من جزء التفسير السابع بحثا آخر في تشكل الملائكة والجن في الصور ورؤيتهم في هذه الحالة وفيه إثبات رؤية النبي (ص) لغير جبريل من الملائكة ورؤية بعض الشياطين

(الشاهد السابع)

قلت في تفسير (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وهي آخر آية من سورة الاعراف ما نصه: أي ان ملائكة الله المقربين الذين هم عنده كحملة عرشه والحافين من حوله ومن شاء تقدس وتعالى بهذه العندية الشريفة التي لا يعلمها سواه وهم أعلا مقاما من الملائكة الموكلين بالمخلوقات وتدبير نظامها لا يستكبرون عن عبادته الخ فراجعه في (ص ٥٥٨ من جزء التفسير التاسع)

ولو شئت ان اذكر جميع الشواهد من تفسير المنار على ان الملائكة خلق روحاني مستقل قائم بنفسه، وانهم أنواع أولو عبادات مختلفة واعمال كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، وان الايمان بها واجب ، وإنكارها كفر لازب لمل القارئ لها

وهذه الشواهد نصوص قاطعة في ذلك بدحض المفتري لهذه البهيتة التي أراد بهتنا بها من إيهام المطلع على كلامه أننا ننكر حقيقة الملائكة ونجعلهم أعراضا لغيرهم . ونقفي عليها بدحض شبهات علينا من كلام الاستاذ الامام يشتمل على شواهد أخرى من كلامه وكلامنا أخرناها لمناسبتها لها ؟

المقال السادس

شبهة الطاعن المحرف فى مسألة الملائكة

ان تفسيرنا للآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة قد بلغت ٣٣ صفحة من الجزء الاول من تفسير المنار (صفحة ٢٣١ الى ٢٨٤) وأكثره لشيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه ـ فانتزع طعان مجلة الازهر منها عبارة واحدة فرعية محكية جعلها أصل الموضوع وعقيدة لصاحب المنار في الملائكة بقول الزور، وانما هي حكاية حكاها الاستاذ الامام عن بعض الناس ونقلها مؤلف التفسير عنه ، فلو كانت كفراً لكانت من باب حاكي الكفر ليس بكافر فكيف بالحاكي عن الحاكي، واننا نلخص الموضوع في خمس مسائل بعبارة مختصرة يفهمها كل قارىء

(المسألة الاولى)

ان آيات محاورات الملائكة للرب عز وجل في خلق آدم عليه السلام من المتشابهات الواردة في شأن عالم الغيب وان لعلماء المسلمين في مثلها طريقتين

(إحداهما) طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل... وتفويض الامر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بان الله يعلمنا بمضمون كلامه مانستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا في ذلك بما يقرب هذه المعاني من عقولنا ومخيلاتنا

(والثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل

(قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله وصفاته وعالم الغيب. واننا نسير فى فهم الآيات على كلتا الطريقتين لانه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد له معنى

هذه عبارة الاستاذ الامام التي أوردتها في ص ٤٢ من مجلد المنار الخامس ثم في ص ٢٥٢ من جزء التفسير الاول ثم زدت عليها قولي :

(وأقول) أنا مؤلف هذا التفسير انني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم عليها أحيا وعليها أموت ان شاء الله تعالى، وانما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري للناس ان ما انتشر في الامة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة مايخالفه ، او طول ممارسة الرد عليهم »

ثم وضحت هذه المسألة في صفحة ٢٥٣ برمتها فبينت فيها للقارىء المؤمن ان الخير له ان يطمئن بمذهب السلف ولا يحفل بغيره فان لم يطمئن قلبه إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلاحرج عليه باتفاق أهل السنة سلفهم وخلفهم

(المسألة الثانية مذهب السلف في الملائكة)

قال الاستاذ الامام : أما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فنفوض علمها إلى الله تعالى ، فاذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ، ولكننا نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطير ، إذ

لو كانت كذلك لرأيناها ، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فاننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر ألطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به . اه من الصفحة ٢٥٤ ج أول تفسير . فهل يتفق هذا مع زعم مجلة الازهر اننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبعية ؟

ثم تكلم فيمن بحثوا في جوهر الملائكة وقفى عليه ببيان فوائد الخطاب بينهم وبين الله تعالى وهي أربع تراجع في ص ٢٥٤ و ٢٥٥ منه . وقفى على هذا بطريقة الخلف ومن تكلم منهم في حقيقة الملائكة وكون قصة آدم على طريقتهم « وردت مورد التمثيل لتقرب من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الادمية ، وما لها من المكانة والخصوصية »

(المسألة الثالثة أنواع الملائكة)

قال رحمه الله : نطق الوحي ودل العيان والاختبار على أن الله تعالى خلق العالم أنواعا مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه إلا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على أن وظائفه محدودة . قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون — والصافات صفا ، فالزاجرات زجراً * الخ والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمراً) على قول من قال ان المراد بها الملائكة - إلى غير ذلك مما يدل على أنهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الاحاديث أن منهم الساجد دائما والراكع دائما الى يوم القيامة . اه (من ص ٢٥٩ منه) — أفلا يعد هذا نصاً صريحاً في افتراء مجلة الازهر علينا باننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبعية

(المسألة الرابعة في الملائكة والشياطين والخواطر)

قال الاستاذ الامام في الملائكة والشياطين ما نقلته عنه في الصفحة ٢٦٦ وما بعدها من جزء التفسير الاول ملخصاً (والعبارة لي) تقدم ان الملائكة خلق غيبي لانعرف حقيقته ، وإنما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه ، وتقدم أن القرآن ناطق بان الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل ، ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى إلهاما ، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح . فالملائكة والشياطين اذاً أرواح تتصل بارواح الناس فلا يصح أن نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا (لان هذه[1] لو اتصلت بأرواحنا ، فانما تتصل بها من طرق أجسامنا ، ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لاعند الوسوسة ولاعند الشعور بداعي الخير من النفس ، فاذاً هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل هذه الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة

(وأقول) ان اسناد الوسوسة الى الشياطين معروف في الكتاب والسنة ، وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام . ومن حديث الشيخين في المحدثين وكون عمر منهم — والمحدثون بفتح الدال وتشديدها الملهمون — ومن حديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة : فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الاحوص . والرواية إيعاد في الموضعين كما أن الآية من الثلاثي في الموضعين ، فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد أغلبي فيما يظهر وإلا فهو غير صحيح . واللمة بالفتح الالمام بالشيء والاصابة

(١) هذا التعليل كتبه شيخنا بقلمه بعد نشر هذا التفسير في المنار وقبل طبعه على حدته .

(المسألة الخامسة وهي مثار شبهة مجلة الازهر)

جاء في صفحة ٢٦٧ ومابعدها منه مانصه :

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده فانما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية إذ كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة . والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل أن ينكره ، وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً ، لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات [وإن كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لايدرك كنهه ، والذي لايؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها . ولا يعلم إلا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير مايرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه . وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره وإن كنت لا أقدر قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك مايرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟] إهماقاله الاستاذ الامام في المسألة وهو محل التهمة، وهذه العبارة التي بين العلامتين هكذا [.] قد كتبها بقلمه كالتي قبلها

﴿ خلاصة ماتقدم من الرد على هذه البهيتة ﴾

(١) ان عقيدتنا وعقيدة شيخنا الاستاذ الامام في الملائكة هي عقيدة سلف الامة الصالح وهي انهم من عالم الغيب الذي نؤمن بكل ماجاء في كتاب الله وثبت عن رسوله ﷺ من أخباره من غير تأويل ولا زيادة ولا نقصان ولا رأي ولا قياس . وقد أكثرنا من الشواهد على هذه العقيدة ، وخلاصتها ان الملائكة من عالم الارواح العاقلة المستقلة وانهم أنواع لكل منها وظائف وأعمال خاصة به لانبحث عن حقيقتها بآرائنا

(٢) ان علماء الكلام ومن تبعهم من المفسرين والفقهاء يتأولون أكثر أخبار الغيب من صفات الله وأسمائه ومنها بعض ماورد في الملائكة

(٣) اتفاق علماء السلف والخلف في الامة على من تأول شيئا منها تأولا مبتدعا لاينقض شيئاً من أمور الدين القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة وهو مذعن للأمر والنهي يكون معذوراً في تأوله فلا يحكم بكفره .

(٤) اننا نقلنا عن أستاذنا في تفسير قصة آدم ان بعض المفسرين من علماء الخلف المتأولين ذهب الى ان مجموع ماورد في نوع الملائكة الموكلين بالاعمال « من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك لافي كل أنواع الملائكة فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة » وخلاصة هذا الايماء ان الروح الالهي الذي قام به نظام هذه الاعمال هو أمر وجودي خفي لاندرك حقيقته ، وان المعنى الايمائي — لا المطابقي لمعنى النصوص — يتفق مع قول الذين يثبتون هذا الروح الخفي من المنكرين للوحي وعالم الغيب ويعبرون عنه بالقوى الطبيعية في الاشياء لانهم اذا سئلوا عن حقيقة هذه القوى يعترفون بأنهم لايعرفونها ، وبهذا يكون الخلاف في التسمية فالمؤمنون بالوحي يسمون مابه نظام هذه المخلوقات بالملائكة ومن لا يؤمنون بالوحي يسمونها القوى الطبيعية . والجامع بين التسميتين ان ذلك أمر يعرف بأثره ولا تعرف حقيقته

فالاستاذ يحكي هذا عن بعض المفسرين وانهم قالوه من باب الايماء والاشارة

لا من باب التفسير للنص أو الظاهر من العبارة . وصرح بان غرضه منه ان من يميل اليها ويطمئن بها قلبه لا يكون كافراً خارجا من هذه الملة السمحة ، فهو لم يكن موافقا لهم على هذا الايماء بل لم يكن موافقا لهم على ماقالوه من ان هذا النوع من الملائكة هم المراد بمثل قوله تعالى (والنازعات غرقا — الى قوله — والمدبرات أمراً) فانه فسر هذه الاشياء في سورتها بالكواكب لا بالملائكة

(٥) ان محرر مجلة مشيخة الازهر والعضو في هيئة كبار علمائه يرى هذا كله ثم ينشر في هذه المجلة ان الشيخ رشيد رضا قد قرر في مجلته وتفسيره ان الملائكة في جملتهم عبارة عن القوى الطبيعية واحتج عليه بحوار الملائكة لربهم في خلق آدم (ع.م) وبآيات أخرى ليفهم قراء هذه المجلة التي رزىء بها الاسلام ان صاحب المنار ينكر أن يكون لله ملائكة غير هذه القوى الطبيعية .

فان كان هذا العلامة لم يفهم مما ذكر كله على جلائه ووضوحه وتكراره ـ والتكرار يعلم ... ما نستهجن ذكره ولا يجوز تغيير الامثال، ويؤثر في الاحجار، كما قال الشاعر :

أما ترى الحبل بتكراره   في الصخرة الصماء قد أثرا

أقول : اذا كان لم يفهم من هذا كله ان صاحب المنار ناقل عن ناقل عن بعض المفسرين المتأولين المخالفين لاعتقادهما الثابت بما تقدم من الشواهد الصريحة وغيرها، فصرح لعدم فهمه وتمييزه بين المنقول للتقريب، والمقول المعتقد مع التأكيد، بان صاحب المنار هو الذي يعتقد لما نقله عمن نقله عن غيره، دون ماصرح بأنه اعتقاده الذي يدين الله به ـ فكيف يوثق بعلمه وفهمه ويجعل مدرسا في الازهر ومحرراً في مجلته؟

وإن كان قد فهم هذا كله وتعمد تحريف الكلم عن مواضعه ، وافتراء الكذب على صاحب المنار بالطعن في عقيدته ، انتقاما لنفسه ، بعد أن بين صاحب المنار في مجلته خطأه وجهله بتصحيح بعض الاحاديث التي صرح أوسع الحفاظ علما بالجرح والتعديل بوضعها ، وعدم تمييزه بين دعاء العبادة الخاص بالله العباد وربهم والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه خلقه ، وبين دعاء العادة واستغاثة الناس بعضهم ببعض في الامور الكسبية ، وعدم تمييزه بين السنة والبدعة . أقول : إن كان قد فهم هذا كله واستباح معه هذا الانتقام بالتحريف والافتراء والبهتان فكيف

يوثق بدينه وبنقله، وبأمانته على العلم، ورحم الله الشاعر الذي قال:

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

يجب على الامة أن تسأل شيخ الازهر عن هذا فان لم يجبها كما امتنع إلى الآن عن الاذن لادارة المجلة بنشر ما أرسلناه اليها من الرد على هذا البهتان، فليرجعوا إلى بسط شكواهم إلى السلطة العليا المسيطرة على مشيخة الازهر لعلها تنصفهم منه

واختم هذا بأني قد رددت في المنار على من قال بمثل ما نقله الاستاذ الامام عن بعض المفسرين أو قريب منه وهو تسمية بعض القوى الطبيعية بالملائكة تأكيداً لفضيحة المفتري ومجلة الازهر

« رد المنار على من زعم أن بعض العوالم الطبيعية وقواها من الملائكة »

ان المنار كان ولا يزال بالمرصاد لمتأولي نصوص الكتاب والسنة بما يخرجها عما فهمه الصدر الاول وقد قال الدكتور محمد توفيق صدقي في كتابه (دروس سنن الكائنات) إن كلمة ملك أصلها مألك ومعناها الرسالة فهي تطلق على كل رسول مما يرسله الله الى هذا العالم من المادة او قواها فما يرسله منها يصح ان يسمى ملكا بلا نزاع فالريح تسمى ملكا او رسولا من الله ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) الخ وان انواع المكروبات الخفية المؤثرة في تغيير بعض الاشياء ونحو لها وفي الامراض — كلها من قبيل الملائكة والجن

وقد نشرت له هذا في ص ٦٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر وعلقت عليه في الحاشية بالرد الآتي

« المنار : ماقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، إلا انه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لاجلها أجزنا نشره، وهي أنّ المغرورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشئون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالقه أيضا ، وان ما لا ينطبق على علمهم لايكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع ألسنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولان يكون أحدهم متدينا مؤولا، خير من ان يكون زنديقا أو معطلا

أما بيان ضعف ماذكر لغة فلان الالفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لايجوز ان يدخل في مفهومها كل ما يناسب الاصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما

ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنا عقلا
والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والاول هو الايمان بالله تعالى،
فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها هؤلاء الكتاب بالدنيئة الحقيرة؟
كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس ببعيد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد
ان الجن أنواع ومنه ماهو خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون
بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلا ببعض شؤون الكون وسببا له . وتفصيل
هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية اه

﴿ شبة لفظية ، يظنها الجاهل علمية ﴾

نشرنا في صفحة ٢٥٥ من مجلد المنار الخامس سنة ١٣٢٠ تحت عنوان
(الملائكة والنواميس الطبيعية) ما نصه :

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية ، والنواميس
التى بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وأمثاله
والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو أن الملائكة عالم مستقل مستتر عنا،
وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لان
بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ ؟ لا أن الكلام
كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم اه

وأقول الآن ان هذه الشبهة التى عرضت لبعض الناس منذ ٣١ سنة وكشفنا له
خطأه فيها فعقله ورضيه ــ هي التي يقولها الشيخ يوسف الدجوي حتى اليوم :
يقول ان التأويل الذي ذكر في تفسير المنار هو صريح في ارجاع نصوص الدين
إلى أقوال علماء الطبيعة ، لا إرجاعهم هم إلى نصوص الدين ، فهل يقول هذا بعد
كل ما تقدم رجل يعقل أو يفهم ما يسمع وما يقرأ له ؟

بلغني أنه بنى على هذه الجملة في هذه الشبهة مقالا طويلا استدل فيه بها على تأييد
بهيتته الاولى بالرغم من كل ما تقدم وهي أننا نعتقد أن جميع الملائكة قوى طبعية
وأننا نريد بذلك رد نصوص الدين إلى عقائد الطبعيين ، وأراد نشرها في مجلة
المشيخة فمنع شيخ الازهر المجلة من نشرها لما فيها من تسجيل فضيحة المجلة
وفضيحة الدجوي . وقد تعلق الدجوي من هذه الجملة بالابهام والاجمال بكلمة
(لان بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون) أي ما يعتقد المنكرون لوجود الملائكة
فأراد أن يهدم بها جميع تلك النصوص الصريحة المفصلة المبينة التي كتب أكثرها
بعدها ! ! لان مبلغ الدجوي وأمثاله من العلم محصور في التشكيك والمناقشات
اللفظية في العبارات الجزئية ، دون تحقيق أصل الموضوع في المسائل العلمية كما تقدم

المقال السابع

البهيتة الثانية انكار الجن

هذه أخت التي قبلها ، والكلام فيها متمم لما قبله ومشترك معه في بعض شواهده كما تقدم في خاتمة المقالة السابقة ، ولهذا قدمناها على مسألة الشمس

قال في مجلة الازهر بعد مسألة الملائكة « ومثل ذلك ماقرره في المكروبات عند ذكر الجن في القرآن . وليت شعري هل هذه المكروبات الجنية هي التي كانت تعمل لسليمان مايشاء من محاريب وتماثيل وقدور راسيات ؟ وهل هي التي قال عفريت منها لسليمان(عم) أنا آتيك به « بعرش بلقيس» قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين ؟ وهل هي التي قالت لقومها (إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم) الخ؟ اه بنصه — وقد أعاد هذه المسألة في غير المجلة

يوهم محرر مجلة مشيخة الازهر من ابتلاهم الله بقراءتها أن صاحب المنار يقول ان الجن الذين أخبر الله بهم في كتابه عبارة عن هذه المكروبات التي كشف الاطباء أمرها في القرن الماضي، وانه ماثم شيء يطلق عليه هذا الاسم واسم العفاريت والشياطين غيرهم. وهذا افتراء وبهتان كالذي قبله سواء

الجن خلق خفي مستتر من عالم الغيب أثبتهم جميع الاديان وطريقتنا فيهم هي وجوب الايمان بكل ما أخبر الله تعالى من أمرهم في كتابه وبكل ماصح عن رسوله ﷺ لمن علم به وليس منه شيء قطعي يدخل في العقيدة، ولا نزيد على ماثبت عندنا من خبر المعصوم شيئا

وقد ورد ذكر الجن والشياطين وإبليس في مواضع كثيرة من أجزاء تفسيرنا العشرة وفي مواضع كثيرة من مجلة المنار فأثبتنا في كل موضع من التفسير ما أثبته الكتاب العزيز بما يقربه إلى العقل ورددنا على المنكرين والمتأولين لما هو المتبادر

من النصوص . ولو أردنا إيراد الشواهد منها كالشواهد في الملائكة لطال الكلام فيما لا فائدة من نشره في الجرائد اليومية وانما نشير الى بعض مواضعها لمن يريد مراجعتها، ونكتفي منها بما نثبت به ان محرر مجلة مشيخة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء فيه بين أمرين لا ثالث لهما : إما انه لا يفهم ما يقرأ له ولا يعقله مهما تكن درجة وضوحه وتكراره - وإما أنه يتعمد الكذب والبهتان والخيانة في النقل والعزو انتقاما لنفسه لا خدمة للعلم والدين — لتعلم الامة أن العلم الصحيح لا يكون بالالقاب الرسمية، ولا بمجرد الشهادات المدرسية . وقد بينا في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام ما كان من قيمة شهادات العالمية في الازهر وما كان من المحاباة والرشوة فيها قبل الاصلاح الذي وضع قواعده ذلك المصلح العظيم. على أن الاصلاح لم يشف العلل كلها كما يعلم أهل الازهر أكثر من غيرهم . ومن شاء الوقوف على هذه الحقائق فليقرأ المقصد الثاني من الفصل السادس من (تاريخ الاستاذ الامام) من صفحة ٤٢٥ — ٤٨٤ باكياً على العلم والدين.

(بعض الشواهد في مسألة الجن والشياطين)

(١) جاء في تفسير (٢: ٢٤ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس) من جزء التفسير الاول (ص٢٦٥) مانصه ملخصاً من درس الاستاذ الامام: « أي سجدوا كلهم أجمعون الا ابليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من هذه السورة وأمثالها في القصة الا آية الكهف فانها ناطقة بانه كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز أحدهما عن الآخر، وانما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد اليه الآيات فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة ، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأي جمهور المفسرين في قوله تعالى (٣٧ :١٥٨ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) وعلى الشياطين في آخر سورة الناس

زاد الاستاذ الامام هنا بعد نشر تفسير هذه الآيات في المنار سنة ١٣٢٠ مانصه بخطه « وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الاسماء من عالم الغيب

لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها ، ولا نقول بنسبة شيء اليها مالم يرد فيه نص قطعي عن المعصوم ﷺ اهـ

فكان رحمه الله يرى ان تعريف الملائكة والجن بالحد المنطقي متعذر لانهم من عالم الغيب وقد اشتركوا في اسم الجن المفيد لمعنى الخفاء والستر والمعقول ان يكون تعريفهم بالرسم وهو الصفات كالطاعة والعصمة للملائكة دون الجن فهم في الجنس الروحي الخفي كالأنبياء في البشر ، والشياطين كأشرار البشر الظالمين المجرمين الفاسقين، وسائر الجن كسائر البشر يتفاوتون في الصلاح والفساد مثلهم. وللراغب الاصفهاني كلام كهذا في مفردات القرآن ذكرته في تفسير سورة الاعراف

(٢) ماتقدم نقله عن الاستاذ الامام في المسألة من بحث الملائكة وتعليقنا عليه وهو مسألة اسناد الوسوسة الى الشياطين والالهام الى الملائكة وما هو ببعيد

(٣) ذكرت في صفحة ٩٦ من الجزء الثاني من التفسير ان قوله تعالى (٢: ١٦٧ ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) لايقتضي معرفة ذات الشيطان وانما يعرف بأثره وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس التي يفسرها قوله تعالى (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وفصلنا ذلك تفصيلا ، وكذا تفسير هذه الجملة بعينها من آية (٢٠٧) من سورة البقرة أيضاً وهو في ص ٢٥٧ من هذا الجزء وفيه تفصيل آخر

(٤) ذكرت في بحث إعاذة مريم وذريتها من الشيطان الرجيم من (ص ٢٩ ج ٣) حديث « كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها » وتفسير البيضاويّ المس بالطمع في الاغواء ، وقول الاستاذ الامام ان الحديث من قبيل التمثيل ، — وحديث اسلام شيطان النبي ﷺ وما يرد على الموضوع من قوله تعالى (١٥: ٤٢ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ومشاغبة دعاة النصرانية المسلمين في تفضيل المسيح على نبينا وما يرد عليهم من انجيل مرقس في تجربة إبليس ليسوع المسيح أربعين يوما لم يأكل فيها طعاما مع تحقيق المسألة . وهذا كله ينافي الافتراء علينا باننا نقول ان الجن والشياطين عبارة عن الميكروبات فقط

(٥) في الصفحات ٤٢٥ — ٤٣٠ من جزء التفسير الخامس تفسير لقوله تعالى

(٤ : ١١٧ ان يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطان مريداً — الى الآية ١١٩) بينت فيه تصيب الشيطان من الناس وإضلاله لهم واشغالهم بالاماني وما يأمرهم به في وسوسته وحال من يتخذه وليا من دون الله ، وهو في جملته وتفصيله يدحض شبهة مجلة الازهر وبهتانها

(٦) في (ص٦٥ ج٦) تفسير لقوله تعالى (٦: ١٢٧ يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) الآية وفي أوله « وانما يسمى كل من الجن والانس معشراً لانهم جماعة من عقلاء الخلق » وفي هذا البحث شبهنا تأثير الشياطين في النفس بتأثير الميكروبات في الجسم بعد ذكر المنكرين لوجود الجن وهذا نص عبارتنا :

فان كل انسي يوسوس له شياطين الجن بما يزين له الباطل والشر ويغريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلا [١] فان هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الارواح البشرية يلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر ويقوي فيها داعيتهما كما تلابس جنة الحيوان الخفية الاجساد الحيوانية فتفسد عليها مزاجها وتوقعها في الامراض والادواء ، وقد مر على البشر ألوف من السنين وهم يجهلون طرق دخول هذه النسم الحية في أجسادهم وتقوية الاستعداد للامراض والادواء فيها، بل إحداث الامراض الوبائية وغيرها بالفعل، حتى اكتشفها الاطباء في هذا العصر وعرفوا هذه الطرق والمداخل الخفية بما استحدثوا من المناظير التي تكبر الصغير حتى يرى أكبر مما هو عليه بألوف من الاضعاف . ولو قيل لاكبر أطباء قدماء المصريين أو الهنود أو اليونان أو العرب، ان في الارض أنواعا من النسم الخفية تدخل الاجساد من خرطوم البعوضة أو البرغوث أو القملة ومع الهواء والماء والطعام وتنمي فيها بسرعة عجيبة فتكون ألوف الالوف وبكثرتها تتولد الامراض والاوبئة القاتلة — لقالوا ان هذا القول من تخيلات المجانين . ولكن العجب لمن ينكر مثل هذا في الارواح بعد اكتشاف ذلك في الاجساد ، وأمر الارواح أخفى ، فعدم وقوفهم على مايلابسها ألوفا من السنين أولى . وقد روي في الآثار مايدل على جنة الاجسام ولو صرح به قبل اختراع هذه المناظير التي

١) سبق ذلك في مواضع أشبهها بما هنا مافي ص٥٠٨–٥١٥ ج ٧ تفسير

ترى بها لكان فتنة لكثير من الناس بما يزيدهم استبعاداً لما جاء به الرسل من خبر الجن ، ففي الحديث « تنكبوا الغبار فان منـه تكون النسمة » والنسمة في اللغـة كل ما فيه روح وفسره ابن الاثير في الحديث بالنفس (بالتحريك) أي تواتره الذي يسمى الربو والنهيج وتبعه شارح القاموس وغـيره ، وهو تجوز لا يؤيد الطب مايدل عليه من الحصر . وروي عن عمرو بن العاص : اتقوا غبار مصر فانه يتحول في الصدر إلى نسمة . وهو بعيد عن تأويلهم وظاهر فيما يقوله الاطباء اليوم وهو مأخوذ من الحديث الذي تأولوه ، وعمرو من فصحاء قريش جهابذة هذا اللسان اهـ

وذكرت في مواضع أخرى من المنار ماورد من الآثار في أنواع الجن ومنها حديث « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب » أخرجه ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو الشيخ وابن مردويه . وفي معناه غيره

(٧) في (ص٣٢٨ — ٣٧٢ جزء ٨) بسط قصة آدم مع إبليس. وقد فصلت في هـذا البحث ما تقدم في سورة البقرة من كون الجن الروحاني جنسا يشمل الملائكة . وقلت ان لفظ الجنة اللغوي يشمل الجن الروحاني والجن المادي التي تسمى المكروبات (ص٣٤٢) ثم فصلت هذا في تفسير قوله تعالى من هذا السياق (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تفصيلا موضحاً لهذا البحث راجع في ص ٣٦٤ — ٣٧١ ومنه يعلم مأخذ شبهة المفتري المحرف للكلم عن مواضعه

ولا نطيل القول في هذا لانه لا طائل تحته ، وحسبنا ما ذكرنا دليلا على قلة اطلاع المفترى علينا وسوء فهمه وفساد نيته ، وما سيأتي في المقال الآتي أقوى دليلا، وأقوم قيلا .

المقال الثامن

(البهيتة الثالثة ما سماه تكذيب سجود الشمس)

هذه هي البهيتة الكبرى التي افترتها علينا مجلة مشيخة الازهر وسمتها «عظيمة العظائم» لتذكرنا من حيث لا يدري محررها بقوله تعالى فيما دونها من الخوض في حديث الافك (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وكل جريمة تصغر وتتضاءل دون ما سماه «تكذيب الله ورسوله وتجهيلهما» وقد أكثر من إعادتها وتكرارها في الجرائد حتى كدنا نظن انه صدق نفسه في اختلاقها أو خدع الناس فصدقوها، والكلام فيها من وجوه (١) صيغة الفرية ومفهومها (٢) مأخذها من تحريف مقال لنا في نصر السنة ودحض الشبهات عليها قلبه إلى ضده ، (٣) عبارتنا التي حرفها وزعم انه نقلها بنصها وفصها (٤) عبارة المفتري المحرف بنصها (٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم (٦) جوابنا عن حديث الشمس (٧) أقوال العلماء المتقدمين في استشكاله والجواب عنه

(١) صيغة الفرية ومفهومها

قال المحرر بعد افترائه علينا الافتاء بحل صلاة التلاميذ المسلمين مع النصارى بالكنيسة ــ وقد أخرنا الكلام عليه ــ ما نصه باختصار لكن بدون تصرف :

« بل وصل الامر من اجتهاد مجتهدنا ... ان اجترأ على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم عن أبي ذر من أن الشمس تسجد تحت العرش وقال ان الانبياء لا تعرف هذه العلوم ، ولو كان رشيداً لم يضق صدره بذلك ولوسعه إيمانه بالغيب ، فان لم يسعه ايمانه بالغيب فكان ينبغي ان يسعه علمه بسعة لغة العرب وكثرة مذاهب البيان فيها ، فان ضاق عليه كما ضاق ايمانه فما كان ينبغي أن تضيق سياسته وهي التي وسعت الشرق والغرب . وبيان ذلك انه كان يستطيع أن يقرر في الحديث ما قرره العلماء في قوله تعالى حكاية عن الارض والسماء (قالتا أتينا طائعين)

ثم قال ما أذكره عملا بقول العلماء « حاكي الكفر ليس بكافر » وانه لتقشعر منه جلود المؤمنين :

« وكان ينبغي إذ لم يتسع صدره ولا ايمانه ولا علمه لشيء من ذلك أن تتسع سياسته لحسن المخرج منه بأية وسيلة غير تجهيل النبي ﷺ ولو أن يرمي البخاري أو غيره من رواة الحديث بالخطأ والكذب ولا يتعرض لرسول الله ، فقد كان تكذيبهم أهون من تكذيبه ﷺ فما أضيق دينه وعلمه وسياسته » اه بحروفه وما فيها من أدبه مع الرسول الاعظم الذي يدعي تعظيمه و...!!

وقد شعر - خلافا لطبعه - بان الذين ابتلاهم الله بقراءة مجلة الازهر لا يصدقون هذه الفرية فزعم انه ينقل لهم عبارة صاحب المنار بنصها وفصها ولكنه نقل لهم عبارة قصيرة مقتضبة منها كمن ينقل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) دون ما بعده من الآية . وستعلمون أيها المسلمون من بياني لما نقله ولا صله ولما قررته في هذه المسألة أي الفريقين « أضيق ديناً وعلماً... » أصاحب المنار أم هذا العضو في هيئة كبار علماء الازهر ؟ وتعلمون درجة صدق المشيخة في مجلتها ومقدار أمانتها على العلم والدين ، وصدقها في إرشاد المسلمين ، في جرأتها على ماتقدم وعلى قولها في آخر هذه المقالة نعوذ بالله منها ومنه ثم من الشيطان الرجيم[١]

« فالشيخ إذاً مخطئ لله ورسوله ، مكذب للقرآن والسنة ، وإن شئت فقل مجهل لهما » !!

نعم شعر بان الناس يكذبونه ولكن لم يشعر بما يستلزمه هذا الطعن في كلام كتب سنة ١٣٢٧ في مجلة المنار - أي منذ ٢٣ عاما - من الطعن في علماء الازهر في سكوتهم عن الانكار عليها وهي تخاطب علماء الاسلام وغيرهم في كل سنة بما يجب عليهم من بيان ما يجدون فيها من خطأ ، أفلا يلزم من سكوتهم هذا وقوع الطعن عليهم في دينهم وعلمهم ؟ بلى لو كانت المجلة صادقة ، أما وهي مفترية فانما يقع ذلك على من أنكر الحق المعروف ونطق بالباطل والزور ومن أقره وهو قادر على منعه

(١) وضع الخطوط فوق الكلام الذي يراد التنبيه عليه طريقة علمائنا واما وضعها تحته فهي طريقة أجنبية وأنا أخصها بالعناوين الفرعية

يفهم كل من قرأ عبارة هذه المجلة ان صاحب المنار رأى في الصحيحين حديثاً فيه ان النبي ﷺ أخبر ان الشمس تسجد تحت العرش فاعتقد صحة سنده أى عدالة رواته وصدقهم وسلامته من كل شذوذ وعلة، وإنما كذب خبر هذا السجود فيه لانه لم يكن عنده من العلم باللغة ولا من الايمان بالغيب ولا .. ولا .. ما يحمله على تصديق رسول الله ﷺ فيه حقيقة ولا مجازاً — وقد رأيتم أدب هذه المجلة في التعبير عن هذا المعنى المفترى والبهتان الجريء

(٢) مأخذ التهمة من مقال في تأييد السنة والدفاع عنها

انني ذكرت حديث أبي ذر في مسألة الشمس في المجلد الثاني عشر من المنار في سياق الاحاديث المشكلة وطرق الحل لمشكلاتها من مقال طويل في تأييد السنة كان حكما فاصلا في مناظرة تلو مناظرة في أصل الاسلام أو أصوله وفي النسخ وأحاديث الآحاد هل هي من الدين أم لا؟ — دارت هذه المناظرات في أثناء أربع سنين فجعل البهات المفتري نصرتنا للسنة ودفاعنا عنها تكذيباً وكفراً لصاحبها ﷺ ولكتاب الله الذي نطق بسجود كل شيء لله عز وجل — والعياذ بالله من بهتان من لا يخاف الله

ذلك ان البحاثة الشهير المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي كان كتب مقالا عنوانه (الاسلام هو القرآن وحده) وقد نشر في المجلد التاسع من المنار تحدياً للعلماء ولا سيما علماء الازهر أن يردوا عليه فكبر ذلك عليهم، وقال بعضهم لبعض ان صاحب المنار هو الذي يريد أن يجذبنا إلى المناظرة معه، وأمسكوا عن الرد عليه، حتى جاءني من قال لي ان فلاناً من العلماء يريد الرد على الدكتور إذا كنت أنت لا ترد عليه، فقلت واني لا أرد عليه ولكنني قد أحكم في المناظرة أخيراً إذا احتيج الى حكمي

فرد العالم الذي أخبرني عنه على الدكتور بمقالين رد عليهما الدكتور أيضاً ثم حكمت في المسألة حكماً نشر في الجزء الاخير من المجلد التاسع، فكتب الدكتور اعترافا برجوعه عما أقنعته بأنه كان مخطئا فيه . ونشرت خطابه هذا في صفحة ١٤٠ من مجلد المنار العاشر

ثم كتب مقالا آخر عنوانه (النسخ في الشرائع الالهية) أنكر فيه وجود النسخ في القرآن مطلقا وزعم ان السنة القولية (الاحاديث) قد نسخ بعضها بالقرآن وبعضها بالسنة ولم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن.

ونشرنا هذا المقال في الجزء التاسع من مجلد المنار العاشر وطالبنا العلماء بالرد عليه بشرط التزام مايليق بالعلماء من الادب والنزاهة واحترام المناظر. فلم يتصد أحد من علماء الازهر للرد عليه ولكن رد عليه العلامة الشيخ صالح اليافعي من علماء الحضارمة المقيمين في حيدر آباد الدكن (الهند) بست مقالات نشرت في ستة أجزاء من المجلد الثاني عشر من المنار وقد حكمني المتناظران فحكمت بينهما بمقال أيدت به السنة وشرعية العمل بالاحاديث القولية بشرطه

(٣) عبارتنا التى حرفها البهات المفتري

بينت في تلك المقالة مسألة (أحاديث الآحاد والدين) ثم مسألة (أحاديث الآحاد تفيد العلم أو الظن) بما لم أعلم ان أحداً سبقني إلى مثله في نصر السنة في التفرقة بين اليقين اللغوي الشرعي، واليقين المنطقي الاصولي. وانتقلت من هذا الى بحث مايوثق به ومالا يوثق به من الروايات، وما انتقده المحدثون من أحاديث الشيخين (البخاري ومسلم) بجرح كثير من رواتها وغلط بعض متونهما وذكرت بعض المتون التي حكموا بالغلط فيها، ومنها حديث شريك عند البخاري في المعراج إذ صرح بأنه رؤيا منامية وخالف غيره من رواة البخاري في مسائل أخرى فيه — وحديث مسلم « خلق الله التربة يوم السبت » الخ — وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات في كل ركعة وغير ذلك ثم قلت مانصه:

« وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها، والقليل منها مختلف فيه وما من إمام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها. فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والارض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك، فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من

حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة)ولا سيما لمن لم يجد لها تخريجاً يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون. ومثلهـا الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥: ٨ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

«ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لأننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعياً لا شبهة فيه ، فاذا قلنا إنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنهـا خاضعة لمشيئة الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — إن لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي معنوية — إذا قلنا هـذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبهـا وهو أقرب، فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهراً لا مراء فيه ؟ اللهم لا .

«ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم يقل أئمة الدين إنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأبير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه» اه.

هذه هي عبارتنا بنصها وفصها التي استند اليها البهات المحرف في اتهامه إيانا برد حديث عمر في رجم الشيخ والشيخة وانه كان آية من القرآن ـ ورد حديث سحر اليهودي للنبي ﷺ ـ وحديث سجود الشمس وتكبيره للامر بأنها وردت في الصحيحين ـ ونحن إنما ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها كحديث المعراج وحديث

صلاة الكسوف وحديث خلق السموات والارض في سبعة أيام - من باب التمثيل للاحاديث المشكلة التي تتعلق بموضوع المناظرة التي حكمنا فيها بما بينا به مزية الصحيحين وان ما انتقده المحدثون والمتكلمون والفقهاء وردوه من أحاديثهما قليل لا ينافي تفضيلهما على غيرهما ، وقد ذكرناها بموضوعها لا بنصوصها بل لم نذكر حديث عمر في الرجم مطلقا لان المقام مقام التمثيل لما انتقده بعض المتناظرين بالاجمال، ولم نذكرها لاستئناف انتقاد عليها أو استشكال لها من عند أنفسنا ، ولا لاجل الاجوبة عنها فان هذا قد بيناه في مواضع أخرى من المنار وتفسيره ،ولكل مقام مقال،من تفصيل وإجمال ، وهذا معهود في جميع الكتب،فكيف ينكر مثله الصحف؟

ولكن باغي العنت، بطرق المغالطة في الجدل ،يجعل حكاية خصمه لقول مذهباً له، وسكوته عن بيان شيء في غير موضع البيان حجة عليه فيما بينه في موضعه مع تجاهله ذلك البيان ،ويا ليت محرر مجلة الازهر يكتفي بمثل هذه المغالطة له ولا يفتري عليه الكذب البواح ويرميه بالبهتان

وقد صرحنا في ذكر حديث الشمس بأن وجه الاشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهد له وهو كون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الارض طرفة عين، لا السجود الذي زعمه وافترى علينا تكذيبه، على أن شراح الصحيحين وغيرهم استشكلوا الامرين وأجابوا عنهما بما سنذكره بعد ، ونحن صرحنا بأن الشمس يصدق عليها انها ساجدة تحت العرش دائمًا بالمعنى الذي أثبت القرآن فيه سجود كل شيء لله عز وجل من الكواكب والشجر والنبات وغير ذلك ، وذكرنا توجيهاً آخر لسجودها وهو انه « تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها لمشيئته تعالى » وهو عين المراد من قوله تعالى عن السموات والارض (قالتا أتينا طائعين) الذي قال المفتري انه كان في استطاعتنا ولم نفعله لان اللغة ضاقت علينا، فلم تضق علينا سعة اللغة بل ضاقت عليه سعة الصدق فافترى علينا ـ ولكننا قلنا ان سجود الشمس بهذا المعنى أو ذاك لا يرفع الاشكال بمخالفة مضمون الرواية للمعلوم بالقطع من مشاهدة وأدلة علمية على كونها لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين . وقال العلماء قبلنا مثل قولنا ـ كما سنبينه في المبحث السابع من هذا الرد

وأما قولنا « ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرّج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم » الخ فالمراد به النوع المخالف للواقع المشاهد ، ولا تدل العبارة على أن حديث الشمس المذكور من هذا البعض ، بل تدل على أنه ليس منه ، من وجهين (أحدهما) انني قلت قبلها انني سئلت من قبل بعض علماء تونس عنه وانني الى الآن لم اجب عن هـذا السؤال لانني لم أجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم ـ وسأشرح هذا المعنى بعد ـ ولو كان حديث الشمس عندي من هذا البعض لكان جوابي للسائل انه كحديث تأبير النخل الذي قال فيه النبي ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه ، ولم أرجئ الجواب

(الوجه الثاني) انني استثنيت من هذا النوع من الاحاديث الواردة في أمور الدنيا التي لاتنافي عصمة الانبياء ما إذا كان الاخبار عن عالم الغيب والطاعن يقول أن حديث الشمس منه ، وهو مع رؤيته بل علمه بهذا الاستثناء يفتري علي انني قست حديث سجود الشمس على حديث تأبير النخل ، وانني قلت انه من العلوم التي لا يعلمها الانبياء ولم أقل هذا ، فهو لم ينقل شيئا من تفسيري للسجود ـ ولا من حصري للاشكال في ذهاب الشمس وغيبتها عن الارض ـ ولا من سكوتي عن جواب السائل عنه ـ ولا من استثناء جعله من قبيل الاخبار عن أمور الدنيا دون أمور الدين والاخبار عن عالم الغيب . مع انه زعم انه نقل عبارتي بنصها وفصها ليؤيد بهذه الفرية تلك المفتريات كلها ، ثم قال انه ينقل محصلها وهو ينقض وعده بنقلها بنصها وفصها ، ولعل غرضه منه ان أكثر قراء مجلتهم لا يفرق بينهما فيتوهم انه صادق أمين في نقله لها وهذا نص عبارته

(٤) عبارة المفتري المحرف بنصها

« وإني أحس منك بامتعاض شديد غيرة على المقام النبوي ، ولعلك تستبعد صدور ذلك من الشيخ أو لاتصدقه ، فلننقل لك عبارته بنصها وفصها وما طعن به على أحاديث كثيرة في البخاري غير هذا الحديث ، ثم ترقى من تكذيب الرواة في تلك الاحاديث إلى تكذيب النبي ﷺ في هذا الحديث

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة ما نعرض عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذى نحن فيه ، فانه كالمقدمة له: رد الاحاديث التي في البخارى وغيره الناطقة بأن آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى[1] وأن عمر قال ذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لا مراء فيه ، ويستند حضرته في ذلك الرد إلى ماتعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول : ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ! ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بارشاده وتبيينه، وبين التفريط في القرآن وضياع شيء منه . ثم رد الحديث الصحيح الذى رواه البخارى في سحر النبي ﷺ رد ذلك بتمويهات وخيالات لا نطيل بها

« ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ ـ إلى أن قال ـ فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه ـ أى فكلام النبي كذب لا شبهة فيه » اه

هذا ما عزاه إلى ذلك المقال بعد زعمه انه ينقل العبارة بنصها وفصها ثم محصلها وكلاهما كذب ظاهر من نقلنا لها بحروفها . فهو لم يذكر إلا عبارة مقتضبة ناقصة منها لم تبلغ أربعة أسطر وما ذكره من محصل ونص كله كذب وباطل كما علمت وزاد ما لا ذكر له فيها كحديث الرجم ، فهكذا يكون صدق العلماء وأمانة النقل عند أحد هيئة كبار علماء الازهر ومحرري مجلته الرسمية، أم هكذا يكون فهم الكلام بطريقة المناقشات الازهرية

---

[1] عبارتي ليس فيها كلمة واحدة من هذا الحديث. على أن البخاري لم يرو المسألة هكذا. وهذا المحرر وأمثاله من العلماء الرسميين لا يدرون ما في البخاري إلا إذا راجعوا المسألة فيه ثم لا يدرون لماذا لم يرو هو ولا مسلم في خطبة عمر هذا اللفظ ولا يدرون ما يعارضه لان كتب السنة ليست من علومهم ولا مما يحتاجون اليه

رحم الله الاستاذ الامام الذى كان يقول في أمثال هؤلاء العلماء انهم يتعامون كتباً لا علما ، وقد بين مراده من هذا في رسالة التوحيد بعد بيان خلاصة تاريخ علم الكلام الذى لا يزال أمثال هذا الرجل يتناقشون في بعض كتبه التي لا يفهمون من مواقفها ومقاصدها إلا ماقرره الامام في قوله :

(٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم

« ثم جاءت فتن طلاب الملك من الاجيال المختلفة وتغلب الجهال على الامر ، وفتكوا بما بقي من أثر العلم النظرى النابع من عيون الدين الاسلامي ـ فانحرفت الطريق بسالكيها ، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف ، وفضلها القصور

« ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم ، فجاء قوم ظنوا في أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم ، فوضعوا ما لم يعد للاسلام قبل باحتماله . غير انهم وجدوا من نقص المعارف أنصاراً ، ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا ، فشردوا بالعقول عن مواطنها ، وتحكموا في التضليل والتكفير ، وغلوا في ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الامم في دعوى المداوة بين العلم والدين ، وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إسلام . والدين من وراء ما يتوهمون ، والله جل شأنه فوق مايظنون ومايصفون ، ولكن ماذا أصاب العامة في عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم بعد طول الخبط وكثرة الخلط ؟ شر عظيم ، وخطب عميم » اهـ

(٦) جوابنا عن الاشكال في الحديث

علم مما تقدم أننا ذكرنا مضمون حديث الشمس في ذلك المقال مع أحاديث أخرى من أحاديث الشيخين المشكلة من باب التمثيل لاثبات قلة أمثالها في الصحيحين ولم يكن من موضوع المقال إيراد ألفاظها ولا الحكم في هذه المشكلات .

ثم اننا بينا في موضعين من المنار رأينا في الاشكال ، بما يبرىء الرسول ﷺ

من كل ماعصمه الله منه ، كما أشرنا إلى ذلك في المقال الاول من بياننا هذا للأمة

إجمال ذلك أنني وجدت أن أصح رواياته التي اتفق عليها الشيخان هي ما أخرجاه من طريق الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر — هكذا بالمنعنة — وابراهيم التيمي قال الحافظ في التقريب : ثقة ولكنه يرسل ويدلس ، فهذه علة في سند أصح روايات الحديث تبطل الثقة بها ، ولمسلم رواية من طريق أخرى ذكر فيها الراوي سماع ابراهيم من أبيه مع عنعنته ولم يعتد بها البخاري ، وثم رواياتأخرى لا يصح شيء منها سنذكر بعضها ولذلك عدت فاعتمدت إعلاله من ناحية متنه

وبيان ذلك أنه في أمر غيبي يكثر خطأ الرواة في أمثاله ويختلفون في فهمها فيروونها بالمعنى الذي فهموه وكثيراً مايكون فهمهم خطأ ، وأكثر الاحاديث المروية بالمعنى لا بلفظ الرسول ﷺ يكثر الاختلاف في ألفاظها ومعانيها حتى الامور الحسية التي يفهمها كل أحد كالطهارة وصفة الصلاة فاذا لم يجد شراحها وجهاً وجيهاً للجمع بينها حملوها على تعدد ماوردت فيه حتى قال بعضهم بتعدد المعراج لكثرة الاختلاف والتعارض في رواياته

وقد بينت وجوه الدفاع عن الاحاديث المشكلة بالتعارض وغيره في مواضع من المنار وتفسيره أهمها الكلام في أشراط الساعة ولا سيما أحاديث المهدي والدجال فان التعارض والتناقض فيها كثير جداً

وإنني أنقل للأمة هذين الجوابين بحروفهما مع عزوهما إلى مواضعهما من المنار والتفسير لتأكيد تكذيب مجلة الازهر في زعمها الذى تقدم

﴿ الجواب الاول في علة السند ﴾

جاء في الصفحة ٧٢٥ من مجلد المنار الثاني والعشرين وفي حاشية ص ٢١١ من جزء التفسير الثامن مانصه :

«ومن هذه الاحاديث في الباب حديث أبي ذر جندب بن جنادة الذى يعد متنه من أعظم المتون اشكالا فهو يقول ان النبي ﷺ سأله أتدري أين تذهب

الشمس اذا غربت ؟ قال قلت لا أدرى ، قال « انها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتي يقال لها ارجعي فيوشك ياأبا ذر أن يقال ارجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وهذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن الشعبي عن ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر وهو -أي ابراهيم - على توثيق الجماعة له مدلس، قال الامام أحمد لم يلق أبا ذر، كما قال الدارقطني لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهما، وكما قال ابن المديني لم يسمع من علي ولا ابن عباس . ذكر ذلك في تهـذيب التهذيب وقد روى عن هؤلاء بالعنعنة فيحتمل أن يكون من حدثه عنهم غير ثقة اه

وأعني بهذا أن روايته عنهم مرسلة ولم يذكر من حدثه بها فثبت أنه يرسل ويدلس كما قال الحافظ في التقريب ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالعنعنة - فهذه علة في أصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن في البخاري ولا في الاعمش ولا في ابراهيم التيمي أيضاً

﴿ الجواب الثاني في علة متن الحديث ﴾

جاء في باب فتاوى المنار في ص ٦٧١ مجلد ٢٤ مانصه :

(س٢٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان - في المغرب الاقصى

الحمد لله وحده - من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١

فضيلة أستاذى الوحيـد ، وملاذى الفريد ، أستاذ العالم ومفتيه ومرشـده السيد محمد رشيد رضا

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق ويضطرم في سعير البعاد ، غير أن ثلج ماء عين(منار كم) قد يطفيء شيئاً من ذلك اللهيب ، ويخمد سعيرها عندما يجيل الفكر في استحسان تلك الدرر اليتيمة ، والتمتع بتلك المعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات «المنار» الاغر عما يأتي : من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن

الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض ويقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) فأرجو من فضيلتكم جوابا كافياً شافيا كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخالفة . حفظكم الله وأطال حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر أنجالكم الكرام، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تلميذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان ماذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك (أيضاً) أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية، وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها ، وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا أن مجاميع الشموس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لغاية مجهولة . وتجدون هذا البحث ماعدا القول الاخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صدقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار ، وتجدون فيها رأيا عزاه الينا إذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشموس والكواكب مركزاً واحداً هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) فجريان الشمس ثابت بالاتفاق فان دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقويم لفلامريون المشهور .

على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك أن تقول الآن ان أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الاخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس اليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما

ينتهي اليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وهو بمعنى ماروي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولاجل لاتعدوه (ثانيهما) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بألفاظ مختلفة أظهرها أخصرها وهو ماروواه الجماعة إلا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه

مشكل في ظاهره جداً ورواته أقل، وهو ما ذكر فيه سجودها لله تحت العرش

واستئذانها وإن فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان)

والراجح عندنا أنه روى بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبر عنه بما فهمه والله أعلم. وسنعود إلى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع إن شاء الله تعالى اه

وحاصل هذا الجواب المختصر الذى وعدت بالرجوع اليه لاجل تفصيله عند ما تسنح الفرصة ويتسع المجال هو كما تقدم آنفا أن الحديث مروي بالمعنى وهو في أمر غيبي أخطأ بعض الرواة في فهمه كما أخطؤا في أمثاله ولاسيما أحاديث الدجال المتعارضة المتناقضة فليراجع تفصيلي لها ولامثالها من شاء في تفسير قوله تعالى (٧ : ١٨٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي) الآية (من ص ٤٨٩-٥٠٧ ج ٩ تفسير) .

وأما العبرة للامة الاسلامية في هذا الجواب فهو ان من كبار علمائها الرسميين في هذا المصر من فقد الصدق في القول، والامانة في النقل ، والفهم لمسائل العلم ، مع استباحة التكفير للخصم ، وان قصارى علمهم مشاغبات ومغالطات في الالفاظ وتحريف لها وإيراد للاحتمالات فيها كما تقدم آنفاً عن الاستاذ الامام .

المقال التاسع

(٧) استشكال العلماء لحديث الشمس وأجوبتهم عنه

هذا الحديث رواه الشيخان وبعض أصحاب السنن والمسانيد والتفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات بألفاظ متقاربة ولكنها غير متفقة ، ورواه غيرهم بزيادات مختلفة بل مختلفة ، ولفظ البخاري في باب بدء الخلق بسنده : عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (رض) عنه قال : قال رسول الله ﷺ لابي ذر (١) حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ورواه أيضاً في تفسير سورة يس وفي كتاب التوحيد هكذا بالعنعنة وقد استشكله العلماء من الجهتين اللتين تقدم ذكرهما وكان استشكالهم مخالفته لما تقرر في علم الهيئة أقوى وأجوبتهم عنها أضعف .

وقد كان جماهير علماء المسلمين حتى غير الناظرين في علم الهيئة الفلكية يعلمون أن نور القمر مستمد من نور الشمس وعلماء المنطق منهم يمثلون بهذا الحدس المنطقي الذي هو أحد اليقينيات الستة ، وكانوا يعلمون أيضاً ان سبب خسوفه حيلولة الارض بينه وبين الشمس ويمثلون بذلك للقضية الوقتية في المنطق أيضاً . وقال الغزالي إن من أدلة كروية الارض ظهور ظلها في القمر عند خسوفه مستديراً ، وان هذا من القطعيات . فرؤية القمر بعد غروب الشمس دليل حسي على وجود الشمس وراء الافق التي تتوارى عنه مقابلة للقمر تلقي نورها عليه . ولم يكن علم الهيئة وصل في عهدهم إلى ما وصل اليه الآن ولا علم الجغرافية أيضاً . ولا كان الناس في عصرهم يطوفون حول الارض بطياراتهم وغيرها فيرون باعينهم مصداق أدلة ثبات الشمس في فلكها ، أفليس من الجناية على الاسلام ان تحكم مجلة الازهر على من يقول ان مضمون الحديث مخالف للحس بأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ ؟

(١) يشعر هذا اللفظ بان قائله غير ابي ذر وهو يدل على روايته بالمعنى كما قلنا

﴿ مانقله الحافظ ابن حجر في استشكال العلماء للحديث وأجوبتهم عنه ﴾

قال الحافظ ابن حجر في شرحه له من فتح الباري : والغرض منه هنا بيان سير الشمس في كل يوم وليلة . وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك . فانه يقتضي أن الفلك هو الذى يسير ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ، ومثله قوله تعالى في الآية الاخرى (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون

« قال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن . وتأوله قوم على ماهي عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع

(قال الحافظ بعد نقله لهذا) قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج . ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين اهـ

فعلم من هذا أن العلماء استشكلوا الحديث وقالوا كما قلنا بأنه مغاير لقول علماء الهيئة القطعي وأنهم استشكلوا أيضاً سجودها وأنكره بعضهم ولم يكفرهم متأولوه ، وأجابوا عنها بما رأيت وما سترى مما ننقله اليك ، ووازن بعد ذلك بين أجوبتهم وجوابنا

وقال الحافظ في شرحه للحديث من تفسير سورة يس من صحيح البخارى مانصه : « وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم ، فاذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان السير بعيد ، واني ان لا يؤذن لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله ثم يقال : اطلعي من حيث غربت . قال فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها ، وأما قوله « تحت العرش » فقيل هو حين محاذاتها ولا يخالف هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فان المراد بها نهاية مدرك البصر حال الغروب ، وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب

« وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي اليه في

الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة . وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا

« وقال الخطابي يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لانحيط به نحن . ويحتمل أن يكون المعنى : أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها . وليس في سجودها كل ليلة ما يعيق عن دورانها في سيرها » اه

ثم قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات في تأويل الحديث والآية

(قلت) وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها . ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم اه

أقول يعني ان هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث . وأما حديث عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذى نقله وسكت عليه فهو أعصى على تأويلنا وتأويلهم وأبعد عنهما بعد الشمس عن العرش. وفي معناه روايات أخرى أغرب منه . ووهب هذا وثقه ابن معين والعجلي وقال علي بن المديني وابن حبان: وهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج و « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » ولم يرو غير ذين ، وقال النسائي مجهول ، وكفى بقول علي بن المديني انه لم يرو غير هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردودة سواء كان ثقة أم لا ؟

(جواب الحافظ ابن كثير في تفسيره)

وأجاب العماد بن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس فالشمس اذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ماتكون إلى العرش ، فاذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ماتكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الاحاديث اه وهذا جواب من يصدق الفلكيين في ثبات الشمس في فلكها

ودوران الفلك بها حول الارض ، وقد نقض ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقربة للابعاد هذا المذهب اليوناني ، وأجمع علماء الفلك في هذا العصر على كروية الارض ودورانها تحت الشمس الثابتة في مركزها . على ان قوله منقوض على ذلك المذهب أيضاً إذ لا خلاف عند أهله في كروية الارض وسكنى الناس على سطحها من كل جانب فلا يتجه القول بان العرش فوق رءوس المقيمين في جانب منها دون آخر

(مانقله الفقيه ابن حجر الهيتمي في حديث سجود الشمس)

جاء في الفتاوى الحديثية للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مانصه :

(وسئل) نفع الله به : اذا غابت الشمس أين تذهب ؟

(فاجاب) بقوله : في حديث البخارى أنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . زاد النسائي « ثم تستاذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها » ولا يخالف هذا قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) لان المراد به نهاية إدراك البصر لها حال الغروب وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجرى بالنهار في السماء بفلكها واذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ، وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها اذا غربت دخلت نهراً تحت العرش فتسبح ربها حتى اذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج، قال: ولم؟ قالت إني إذا خرجت عبدت من دونك. وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تغيب في عين حمئة كما في الآية والحمأة بالهمز ذات الطين الاسود وقرىء حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يارب ان قوما يعصونك، فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتنزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق وبنزولها الى سماء الدنيا يطلع الفجر . قال امام الحرمين وغيره لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبداً ، وفي بلاد بلغار بموحدة مضمومة

ثم معجمة لا تغيب الشمس عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع » اه

أقول الشيخ احمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣ وهو قليل البضاعة في الحديث وفي علوم المعقول ينقل من الكتب عند الحاجة، وما عزاه الى النسائي من لفظ الحديث ثابت في البخاري، وسائر الروايات التي ذكرها لا تصح . وقد أورد كلام علامة المعقول الأكبر إمام الحرمين ولم يرده لانه امام الاشعرية والشافعية الذين يقلدهم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث

(فائدة لها علاقة بحديث الشمس)

يقول الفقيه ابن حجر الهيتمي هـذا اذا اختلف العلماء فالذى يجب اعتماده كلام الفقهاء . ولكن بضاعة أكثر الفقهاء مزجاة في مشكلات الاحاديث ولا سيما غير الفقهية وقد قرأنا في بعض كتبهم تعليلا لبرودة مياه الآبار في الصيف وحرارتها في الشتاء كما يتوهم من لا يعرف الحقيقة وهو ان الشمس يطول مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لطولها فيكون دفء مياه الآبار من ذلك، ويقصر مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لقصرها فتظل ميـاه الآبار باردة !! فكيف يوفق محرر مجلة نور الاسلام بين هذا التعليل الخرافي وبين ما يفهم من ظاهر الحديث من ان الشمس في الليل تكون تحت العرش فوق السموات السبع ؟؟ كعادته في تصحيح أمثال هذه الجهالات والخرافات ؟

(كلام الآلوسي وجوابه عن الحديث في تفسيره)

قال الشهاب السيد محمود الآلوسي في تفسير آية سورة يس من تفسيره روح المعاني ما نصه :

« وفي غير واحد من الصحاح عن ابي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال « يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت الله تعالى ورسوله أعلم ، قال تذهب لتسجد فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجري لمستقر لها) وفي

رواية « أتدرون أين تذهب هـذه الشمس ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم ، قال إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة » الحديث ، وفي ذلك عدة روايات وقد روى مختصراً جداً . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن ابي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقرلها) قال «مستقرها تحت العرش» فالمستقر اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة

«قال النووى : قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدى وعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، ثم قال النووى : وسجودها بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها، وذكر ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية ان سجودها تحت العرش انما هو عند غروبها . وأورد (ملخص ما تقدم آنفا ثم قال)

«والسجود تحت العرش قد جاء أيضاً من روايات الامامية، ولهم في ذلك أخبار عجيبة ، منها ان الشمس عليها سبعون ألف كلاّب ، وكل كلاب يجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربهـا، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش، ثم يسألون ربهم هل نلبسها لباس النور أم لا ؟ فيجابون بما يريده سبحانه ثم يسألونه عز وجل هل نطلعها من مشرقها او مغربها ؟ فيأتيهم النداء بما يريده جل شأنه، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيهم النداء بما يحتاج اليه الخلق من قصر النهار وطوله .

«وفي الهيئة السنية للجلال السيوطي أخبار من هذا القبيل ، والصحيح من الاخبار قليل، وليس لي على صحة أخبار الامامية وأكثر مافي الهيئة السنية تعويل،

«نعم ماتقدم عن ابي ذر مما لا كلام في صحته ، وماذا يقال في ابي ذر وصدق لهجته ؟ والامر في ذلك مشكل اذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش سواء قيل انها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل اليه فتسجد ، ام قيل انها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع ، فقد صرح امام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين ، وبين الليل والنهار اختلاف مافي الطول والقصر عند خط الاستواء، وفي بلاد بلغار قد يطلع الفجر قبل ان يغيب شفق الغروب، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة

مادامت في البروج الشمالية وغاربة مادامت في البروج الجنوبيـة ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على مافصل في موضعه. والادلة قائمة على انها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها ، بناء على ان غروبها في أفق طلوع في غيره ، وأيضاً هي قائمة على انها لا تفارق فلكها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الامر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلا . وكذا كونها تحت العرش دائما بمعنى احتوائه عليها وكونها في جوفه كسائر الافلاك التي فوق فلكها والتي تحته

«وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ماسمعت من الاخبار الصحيحة وبين مايقتضي خلافها من العيان والبرهان، فلم أوفق لان أفوز منهم بما يروى الغليل ، ويشفي العليل » اهـ ما قرره الالوسي من استشكال الحديث من الوجهين وكونه مخالفاً للقطعي وعجز أجل معاصريه من العلماء عما يزيل الاشكال» اهـ

ثم انه رحمه الله استنبط له حلا غريبا بعد مقدمات مؤلفة من خرافات كثيرة أغرب منه خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان وان هذه النفس هي التي تصعد فتسجد تحت العرش، ويبقى جسم الشمس المضيء على مايراه الناس. ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمي وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والمبتدعة كما فعل في هذه المسألة عفا الله عنه ، ومن شاء فليرجع الى عبارته فيه

﴿ حاصل أقوال العلماء والعبرة به ﴾

وحاصل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهم اتفقوا على ان الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وان أحداً منهم لم يكفر أحداً ممن استشكله، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله وان لم يسلم له تأويله ، وأن جوابنا في حل الاشكال أظهر من جميع أجوبتهم، وانا على توفيقنا هذا لخدمة السنة قد رمانا محرر مجلة الازهر زوراً وبهتانا بما علم القارئون ، ولنا ان نتمثل بقول الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

﴿ خاتمة البحث في تحدينا لمشيخة الازهر فيه ﴾

قد علمتم أيها المسلمون مما شرحته لكم في هذه المسألة ان أحد كبار هيئة علماء المشيخة الرسميين ومحرري مجلتها الرسمية قد افترى علينا في هذه المسألة بغير أمانة ولا علم - وترك الذين قد يصدقون كلامه في هذا الحديث وربما كانوا مئات الالوف في حيرة أو شك من دينهم إذ علموا منه ان الحديث يدل على ان الشمس تغيب عن الارض كلها بعد غروبها عنهم، وجميع الذين تعلموا الجغرافية منهم وكثير من غيرهم يعلمون علما يقيناً ان الشمس لا تغيب عن الارض طرفة عين، وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، كما قال بعض كبار علماء الاسلام المتقدمين.

فكان الواجب على هذا العالم أن يرشد المسلمين أولا إلى الجمع بين معنى الحديث الذي أخبرهم انه متفق عليه وبين اعتقادهم القطعي لما يخالف مضمونه قبل أن يقول لهم ان الذي لا يعتقد صحته يكون مكذبا لله ولرسوله، وهم لا يستطيعون هذا الاعتقاد

وانني بعد أن بينت لهم ماعندي من حل الاشكال وما قاله العلماء الذين استشكلوا الحديث من قبل، وان ماقلته هو الذي يطمئن به القلب، أتحدى الاستاذ الأكبر شيخ الازهر ومن شاء من هيئة كبار العلماء (غير الدجوي الذي ليس في علم الحديث جمل ولا ناقة، ولا يذكر منه في مقدمة ولا ساقة، بل هو يعد أعظم حفاظه كالذهبي في عصره أعداء لرسول الله ﷺ ويطعن في صدقهم) أن يبينوا للأمة طرق هذا الحديث وما يصح منها بحسب اصطلاح المحدثين وما لا يصح، وما يجب على المسلمين أن يصدقوه مما يخالف منه المشاهدة وما تقرر في علم المنطق وعلم الجغرافية الذي يدرس في الازهر وفي جميع مدارس هذا العصر، إما بالجمع بين الامرين جمعا معقولا، وإما بتكذيب الحس وما أثبته العلم إن كان مستطاعا، إذا كانوا لا يوافقوننا على ما ذكرنا من إعلال متنه وأصح أسانيده، فهذه سبيل العلماء حماة الدين لا الافتراء على العلماء الذين هداهم الله الى هذه الحماية قبلهم، والتعالي والتنفج بسلطان الالقاب الرسمية التي لا قيمة لها عندهم، وإيقاع الناس في شك من دينهم، واذا لم يكفّ شيخ الازهر مرءوسيه عن مثل هذا العدوان والبهتان فسأتحداه بمناظرات أخرى في علم التوحيد وفي التفسير والحديث، وإن خالفت مقتضى الحلم والتواضع الذي اعتصمت به إلى الآن

وفيات الاعيان

(توفي في هذا العام عالمان عاملان مصلحان أحدهما الشيخ محمد امين الشنقيطي في بلدة الزبير التابعة للبصرة وقد كلفنا أحد أصدقائه كتابة ترجمته ، والثاني صديقنا الاستاذ المصلح الشيخ محمد عبد القادر في مليبار وقد كتب لنا ترجمته أحد تلاميذه ومريديه فننشرها باختصار قليل وهي)

في غرة رجب من هذا العام (١٣٥١) توفى العالم العلامة محرر المجلة الغراء «ديبك» (المنير) استاذ الاصلاح الديني لمسلمي مليبار محمد عبد القادر المولوي ابن العالم المرحوم محمد كنجي رحمهما الله تعالى ، ففقد مسلمو مليبار أستاذهم ومحيي أرواحهم بالاصلاح الاسلامي

وكانت أعمال التجهيز لجنازته على غاية من اتباع السنة رغم أهواء الخرافيين ، لان أبناء الفقيد وأقرباءه وتلاميذه المصلحين قد بذلوا جهدهم لئلا يمزج الناس تشييع هذا المصلح الاول فيهم بشيء من مبتدعات هذه البلاد من الجهر بالتهليل او غيره حين تشييع الجنازة حاملين لها أو ماشين معها ، ومن جمع الناس وضيافتهم بعد الدفن في ذلك اليوم أو في الثالث أو غيرهما ، فبفضل الله وتوفيقه كان تجهيز هذا المصلح الأكبر خالياً من جميع البدع والمنكرات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وكان أهل مليبار كافة وأهل بيت الاستاذ الفقيد بل كان هو نفسه أيضا ممن يحافظون على المحدثات والبدع مقلدين لكتب المتأخرين المؤلفة في الفقه والتصوف وغيرهما من الفنون الاسلامية ، ولكن بعد ما شرع الاستاذ يقرأ مجلة « المنار » الغراء هداه الله بها إلى التفكير في الاصلاح الديني ، وصار أول أستاذ مصلح في هذه البلاد المليبارية ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، ورضي الله عنه وأسكنه في جنة الخلد ، ومتعه بالنعيم المقيم ، آمين ، وهذه خلاصة ترجمته:

كان الفقيد من أعضاء قبيلة كريمة معروفة بالمجد والشرف في نواحي تراونكور وفي الخارج أيضا . ولد من أبوين كريمين سنة ١٨٧٣ م ووالده رحمه الله كان

من التجار الكبار ، والعلماء الكرام أهل الغنى والسخاء ، وكان قد أحضر من الخارج بعض علماء ذلك الوقت لتعليم الفقيد ، فقرأ عليهم وعلى غيرهم كتب النحو والبلاغة والفقه الشافعي والتصوف وحقائقه والمنطق . ثم لم يلبث أن وجه عقله للبحث عن حقائق الدين وأسرار العبادات والاعمال المشروعة . ثم بعد ماتوفى والده وحصل على سهمه الخاص به من التراث اجمع أمره وعزم على وقف حياته على خدمة الامة بماله ونفسه . وكان محبا لقراءة الجرائد والمجلات فأسس أولا جريدته الاولى المشهورة باسم « شوديشابهاني » (الوطني) ومطبعة مسماة بذلك الاسم أيضا ، وبعد عام عين في رياسة تحريرها أديبا هندوسيا مشهوراً بتحريكه للافكار السياسية الاستقلالية في اهالي تراونكور ، فمن ثم شرعت الجريدة بقلمه السيال تفضح الحكومة وتنتقد أعمال موظفيها ولاسيا وزيرها الاعظم الذي كان شهوانيا أكثر من أنه إداري ، فاغتاظت الحكومة وصادرت الجريدة والمطبعة ، ونفت الناصح الصادق من أرضها ومات في غربته ، جزاه الله بصدقه وخير أعماله وأوصافه ، فبهذه المصادرة خسر فقيدنا خسرانا عظيما يقدر بخمسة آلاف روبية أو أزيد ، وكان فقيدنا عقيب تأسيس الجريدة المذكورة قد أسس لخدمة أمته الاسلامية خاصة مجلته المشهورة باسم «المسلم» ولكنه بعد هذه المصادرة التي خسر بها مطبعته قد اضطر لتعطيلها ايضا ، ثم لم يتمكن من متابعة أعماله للامة والملة التي وقف حياته عليها إلا بعد ثلاث سنوات او أربع

وفي سنة ١٩١٣ م استأنف إصدار مجلة «المسلم» الغراء فوجد امته الاسلامية على شيء من الاستعداد لقبول الاصلاح والتجديد ، فعزم على الصدع بأهم قواعد الاصلاح الديني متوسلا اليه باصدار مجلة في لسان قومه باحرف عربية لان غالب المسلمين من قومه رجالا ونساء لا يقرءون لغتهم المليبارية باحرفها الاصلية وإنما يقرءونها بالاحرف العربية ، فاسس تلك المجلة باسم « الاسلام » ومطبعتها سنة ٩١٧ م وأصدر عددها الاول في غرة رجب سنة ١٣٣٦ هـ منبها للمسلمين إلى احوالهم الحاضرة من حيث دينهم وتعليمهم واجتماعهم واقتصادهم ، وصادعا بالاصلاح الديني المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين .

وتلك المجلة «الاسلام» وإن لم يتمكن أن يصدر منها إلا خمسة أعداد فانها نورت وجه أرض البلاد المليبارية ،ووجهت وجوه عقلاء المسلمين المفكرين علماء كانوا او عوام ، شبانا أو شيوخا إلى مبادئها الاصلاحية من تعميم التعليمين : الديني والعصري بين الذكور والاناث ، مع المحافظة على التربية الدينية الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع وجميع أنواع الاعمال الشركية ، وتجديد توحيد الالوهية والربوبية ، والاعتصام بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين في جميع نواحي الحياة ، وعلاوة على ذلك جعل مجلة(المسلم) جريدة أسبوعية ، وولى رياسة تحريرها أحد تلاميذه الصالحين حفظه الله آمين

ثم وجه همته إلى تأسيس الجمعيات بين أهل وطنه وخصوصاً المسلمين ، فأسست جمعيات ومجالس في مختلف البلاد المليبارية «تراونكور» و«كوسن» و «مليبار» البعض بسعيه والباقي على وفق إرشاداته في الاصلاح الديني ، وإن كان بعضها قد غاب من أفق الوجود فالبعض الآخر لا يزال حياً ظاهراً عاملا بتوفيق الله

وفي النهاية وجه عزمه إلى تاسيس «دار النشر الاسلامية »وإلى الصحافة ، فشرع في إصدار مجلته الاخيرة «ديبك»(المنير) منها موجها عالي همته وأكبر عنايته الى الرد على الملحدين والماديين الذين ظهرت قرونهم في أهالي هذه البلاد ولا سيما الهندوس والنصارى في هذه الاعوام الاخيرة ، وإلى نشر محاسن الاسلام وفضائله وسائر المواضيع النافعة المهمة . فهاتان المؤسستان لا تزالان جاريتين أدامهما الله تعالى آمين. وكان قد شرع في تفسير القرآن الكريم بلغة قومه في مجلتيه الاخيرتين «الاسلام» و«المنير» وكان عضواً من أعضاء الهيئة المؤلفة لامتحان معلمي العربية في مدارس الحكومة

وله مقالات في مختلف المواضيع الاصلاحية في جرائد شتى مليبارية وترجم من الفارسية كيمياء السعادة للغزالي رحمه الله ، ومن الاوردية رسالة أهل السنة والجماعة ، ورسالة السنة والوحي ، وكلتاهما للعلامة السيد سليمان الندوي حفظه الله. وترجم أيضا رسالة السيد جمال الدين الافغاني في الرد على الدهريين وله أيضا رسالة «إسلام مت سدها نتها سنكرهم» (خلاصة مبادىء دين الاسلام)

كان رحمه الله حليما ، محبا للسلم والسكون، شجاعا لايخـاف في الله لومة لائم ، ولـكنه على كونه لايحب الثورة ولا الثوار في شيء ، يحب ويكرم مبادىء الجمعية الوطنية الهندية ،وكان ذا عزم وثبات لايتزلزل للاهوال والبلايا مهما تـكن عظيمة ، وتقيا ورعا لايوصف ، وكان إيمانه وتوحيده وتوكله وتفويضه جميع أموره إلى الله مثار تعجب عند جميع من يعرفون أحواله ، وكانت اخوته شاملة لجميع البشر ، وكـذلك كان صبره وصفحه وعفوه وتسامحه واحترامه للمخالفين تبعثه على الاحسان اليهم والرحمة بهم وكذا باعدائه في جميع الاحوال، وكان على حظ عظيم من التواضع يتواضع ويخفض جناحه لجميع الاصحاب بل لخدمه أيضاً، وفي الجملة كان مثالا عظيما لمـكارم الاخلاق

وكان يعرف من اللغات سوى لغتـه المليبارية وآدابهـا العربية والفارسية والاوردية والتاملية معرفة جيدة والانـكليزية والسانسكريتية معرفة دون ذلك وكان في العربية وعلومها الادبية فرداً فذاً في مليبار بل في جنوب الهند أجمع ، وفي العلوم الاسلامية وأسرارها ودقائقها من الافراد النادرين الممتازين بالاستقلال في التفكير والبحث في بلاد الهند جمعاء

وكان بمنزلة الاب العطوف لجميع مسلمي مليبار « كيرله » في جميع سعيهم للتجديد والاصلاح غير حركة الاحمدية قاديانيين كانوا أو لاهوريين إذ لم يشارك أي فريق منهم فيها بل كان مخالفا لها وإن لم يصوب سهامه اليها

وأما مذهبه في التجديد والاصلاح فقد كان فيه سلفيا لا يقول بالتقيد بأي مذهب كان غير مذهب السنة والجماعة ، داعيا إلى نبذ جميع العادات والاعمال الشركية والخرافات والبدع الدينية ، والاعتصام بالكتاب والسنة ، وسيرة السلف الصالحين رضي الله عنهـم،ومع كونه مستقلا في البحث والتفكير كان في مبادىء التجديد والإصلاح ، موافقا لارشاد مجلة المنار الغراء ، محبا لها ولصاحبها السيد محمد رشيد رضا حفظه الله ، وكان يحب حكيمي الاسلام والشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري رحمهما الله ، وشيخ الاسلام ابن

تيمية وتلاميذه ، وشيخ الاسلام مرشد أهل نجد محمد بن عبد الوهاب ، وللفقيد في الذب عن ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والثناء عليهما رسالة (ضوء الصباح) في اللغة المليبارية ، وكان أيضا يحب امام المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أصلحه الله وهداه ووفقه لما يحب ويرضى آمين

وقد أعقب (رح) ذرية مباركة بنتا واحدة وتسعة أبناء أكبرهم عبد السلام نال شهادة (البكالورية) من الجامعة الوطنية الملية في دهلي ، فنسأله تعالى أن يجعل منهم خير خلف لوالدهم الكريم ، المجدد الحكيم ، ويوفق سائر أهل مليبار للاستقامة على ما هداهم اليه من الصراط المستقيم ، وأن يثيبه عنا جنات النعيم ، آمين

(المنار) اننا نشارك أنجال هذا الصديق الكريم والمصلح الحكيم ومريديه وسائر أهل وطنه في مصابهم العظيم بفقده ونعزيهم أصدق التعزية وندعو لهم بالثبات على ما أرشدهم ونعدهم بان نكون لهم كما كنا له فيما يرجعون الينا ، ونسأله تعالى ان يتولى توفيقهم وتوفيقنا .

﴿الشيخ محمد الكستي ، والشيخ عبد اللطيف نشابه﴾

وقد توفي هذا العام من رجال العلم والادب في سورية الشيخ محمد الكستي قاضي الشرع الاكبر في بيروت ، والشيخ عبد اللطيف نشابه في طرابلس وكان كل منهما شاعراً أديبا ، فالاول قد اشتهر بمنصبه فوق شهرته بأدبه وهو نجل المرحوم الشيخ أبو الحسن الكستي شاعر بيروت المشهور ، ولوالده ديوان كبير مطبوع ، والثاني نجل استاذنا الاكبر شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه الذي سبق لي التنويه بعلمه وفضله في المنار . وماتلقيته عنه من الحديث والفقه ، وكان الشيخ عبد اللطيف ذكيا لوذعيا ، لكن ضرورة المعيشة اضطرته إلى الاشتغال بالتجارة عن العلم ، ولو انقطع لملازمة والده والتلقي عنه لكان تحصيله عظيما لذكائه ، ولما كنت أتردد على دار والده لقراءة الحديث والفقه عليه في الدروس الخاصة بي كان يرغبني في دعوة الشيخ عبد اللطيف لحضورها معي على سبقه اياي في الطلب بضع سنين . رحمهم الله أجمعين

(خاتمة المجلد الثاني والثلاثين من المنار)

نختتم هذا المجلد من المنار بما افتتحناه به من حمد الله عز وجل والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ، ثم بتذكير قرائه بحقه عليهم ولا سيما الذين يعتذرون بالعسرة العامة عن الوفاء له بهذا الحق ويقل فيهم من يعجز عن توفير بضعة قروش في كل شهر من شهور السنة يساعد بها من وقف حياته طول السنة على خدمة دينه وأمته بعلمه وعقله وماله وسعيه ، ومن كان منهم في هذه الحالة من العسر والفقر فلا عتب لنا عليه ، ولكننا نعلم ان كثيراً من المشتركين المطل ينفقون الالوف في الترف والزينة أو اللهو أو مظاهر الفخفخة الباطلة ، أو الولائم والمآدب والحفلات ، ومن سرواتهم وأغنيائهم من أخر دفع قيمة الاشتراك منذ سنين لم يكن لهم فيها عذر بعسرة عالمية ولا شخصية . وكأن الذين يعتذرون أو يعذرون أنفسهم بالعسرة العالمية لا يفكرون في إرهاق هذه العسرة لصاحب المجلة ، ولا في ان نفقته عليها أضعاف أضعاف مايطلب لها من كل واحد منهم ، بل صار لا يكفيها كل ما يجيء من جملة المشتركين . ونسأل الله تعالى وندعوه لهم بدعاء الملائكة « اللهم اعط منفقا خلفا ، واعط ممسكا تلفا »

هذا — ولو ان الحكومة نفذت علينا تلك الغرامة التي ذكرناها في الجزء الاخير من المجلد الحادي والثلاثين لعجزنا عن إصدار هذا المجلد (٣٢) على أننا قد اضطرتنا العسرة ومضاعفة الحكومة لرسم البريد الخارجي إلى منع أكثر أجزائه عن الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك عما قبله في أكثر الاقطار النائية حتى علمنا ان بعضها لم يصل إلى بعض الاوفياء الذين يؤدون حقه في كل عام لخطأ وقع في الاحصاء بالتمييز بين الوفين والماطلين ، فلهؤلاء الحق في طلب مالم يصل اليهم ، وأما غيرهم فلا حق لهم في طلب شيء إلا مع إرسال قيمة الاشتراك إلى آخر هذا العام وهو حق المجلد الثاني والثلاثين

لم يرد علينا في هذا العام شيء من الانتقاد على المنار ولكن مشيخة الازهر الرسمية قد هاجمت المنار فيه بمجلتها الرسمية التي سمتها (نور الاسلام) لا بنقد علمي

يليق بعلماء الدين ، بل بالطعن والسب والتجهيل والتضليل، وأفظع لوازم التكفير ، ففضحت نفسها وهتكت الاستار عن جهلها بالكتاب والسنة وهدي سلف الامة في عقائدها وآدابها ، وعما هو شر من الجهل المقابل للعلم ، وهو الجهل المقابل للعقل والحلم، والشتم والسباب، والنبز بالالقاب، وافتراء الكذب والبهتان، كما علم القراء من جزء المنار الماضي (التاسع) وهذا الجزء وسيزدادون علما بذلك في أجزاء المجلد ٣٣

كان في صدر الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر لهذا العهد سخيمة وإحنة من حملات المنار على البدع والخرافات والموالد ، التي جعلت من قبيل شعائر الاسلام يحتفل بها في المساجد، وهو قد ربي في نعمها وثروتها وجاهها، ولم يكن يتجرأ على الرد ولا على النقد لأسباب يتوقف بيانها على سيرته العلمية والشخصية، وهذا مما لانخوض فيه، ولكنه كان منذ سنين يتمنى لو يوجد في مشايخ الازهر من يشفي غلته بالطعن على المنار وصاحب المنار ، فلم يظفر بما تمناه إلا بعد أن صار شيخا للازهر، وصار للمشيخة مجلة ، وجعل هو من محرري هذه المجلة من ينصر رأيه في بدع القبور والمشاهد والموالد وغيرها وهو الشيخ يوسف الدجوي، وكان يعلم ان في صدر هذا الشيخ مثل ما في صدره من سخيمة وحقد على صاحب المنار فأباح له ان ينشر في مجلة الازهر ما نشره من تأييد البدع والخرافات. وكان من المعلوم بالبداهة ان ينتقد ذلك عليها صاحب المنار وقد كان. وكان من جرائه ما كان من عدوان، وافتراء وبهتان، والدليل على ما بسطناه في حديث السعي للصلح ومنه وعد شيخ الازهر بنشر اجوبتنا عن مطاعن مجلة المشيخة ، وإصدار امره بمنع توزيع رسالة الدجوي البذيئة وعدم تنفيذه الخ ولو حاكمنا الطاعن ورئيس تحرير مجلة المشيخة الى محكمة الجنايات لحكمت عليهما بالعقاب أو اضطرتهما الى طلب الصلح بناء على ما يعترفان به من الذنب والاعتذار عنه ولكننا حاكمنا المشيخة ومجلتها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقواعد العلم الحق في محكمة الامة وهي الصحافة فكان الحكم العدل عليها شديدا ، ونصر الله صاحب المنار على شيخ الازهر وعلى الشيخ الدجوي، واظهر فضل منار الاسلام الصحيح على مجلة الازهر ولله الحمد من قبل ومن بعد . ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

سيكون أهم مسائل المجلد الثالث والثلاثين اتمام بحث الوحي المحمدي ومقاصد القرآن وكليات فقهه الاعلى على الوجه الذي تبين به انه لا يمكن اصلاح فساد الامم والدول في هذا العصر بدون اتباع القرآن، والايمان بنبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهذا موضوع لم يسبقنا أحد الى مثله فيما نعلم.

وسنقفي على هذا بابطال مسيحية الدجال ميرزا غلام احمد القادياني واتباعه المدعين للوحي له ولهم في هذا الزمان، وبيان حقيقة حال الازهر وما ينبغي له فيه

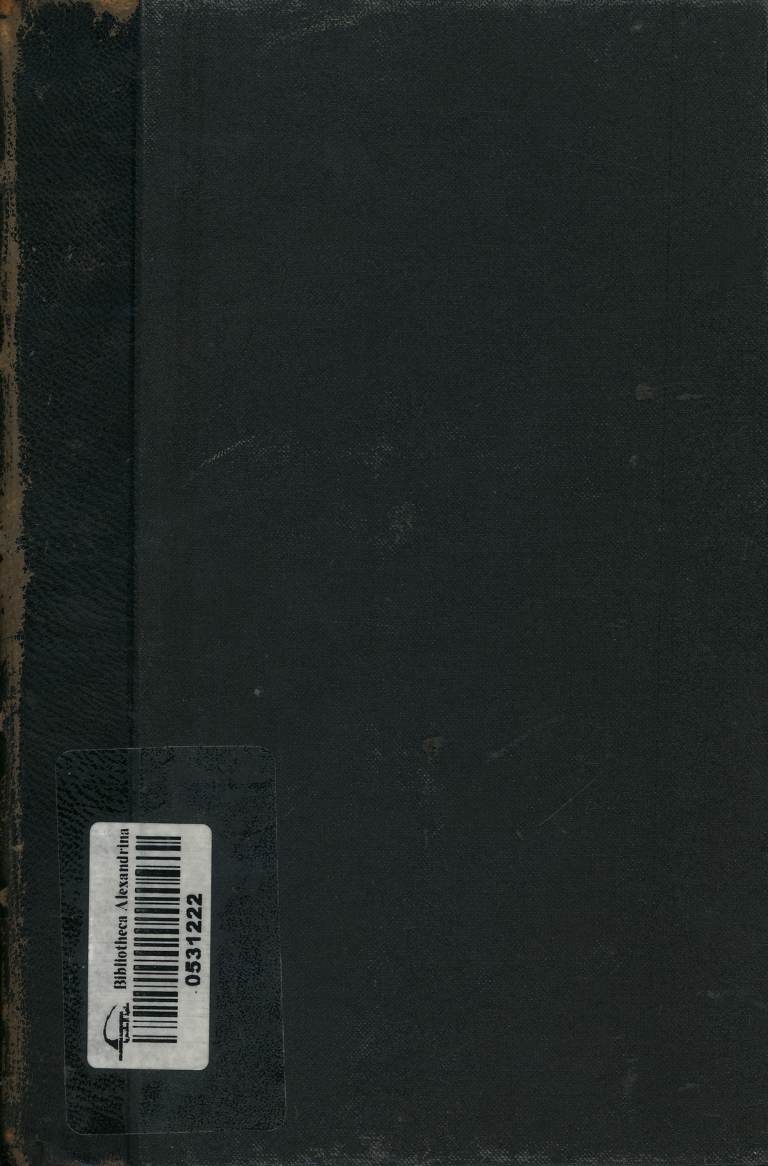
وسنتم ان شاء الله تعالى فيه ما كنا بدأنا به من تحرير مسألة الربا وما ألحق به من الاحكام المالية ومنها معاملات المصارف (البنوك) والشركات المختلفة والاعمال وأنواع التأمين على البضائع والدور والسفن والحياة ، ولا يزال أهل العلم يطالبوننا بإتمام هذا التحرير

وكنا نشرنا المسائل الاولى من موضوع محاضرتينا في التجديد والمجددين وفي المساواة بين النساء والرجال ، ثم شغلنا عن اتمام الاولى ما بسطناه في تاريخ الامامين الحكيمين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري من بيان تجديدهما وهو المقصد من موضوع هذه المحاضرة وشغلنا عن اتمام نشر الثانية أننا بسطنا في رسالتنا (نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) جل ما أجملناه فيها . وبقي علينا أن نختم المحاضرتين بخلاصة ما في التاريخ والرسالة لاجل اصدار ما طبعناه من كل منهما على حدته

كذلك كنا وعدنا به في المجلد الثامن والعشرين ان نبين رأينا في قانون الزواج الذي وضعته الحكومة المصرية لمحاكمها الشرعية، ثم نسيناه فذكرتنا به رسالة أو استفتاء لاحد العلماء في بعض الاقطار الاسلامية يبين لنا شدة حاجة بلادهم الى هذا القانون وانه ما منعهم من العمل به الا انتظار ما نقوله فيه لشدة ثقتهم بنا وسنعود إلى قراءة هذا القانون وإبداء رأينا فيه إن شاء الله. وفي الختام ندعو أهل العلم والرأي بما اعتدنا دعوتهم اليه في كل عام من الانتقاد على ما يرونه في المنار مخالفا للحق أو المصلحة العامة ونعدهم بنشره بشرطه الذي ذكرناه مراراً . ونسأل الله تعالى التوفيق لما يرضيه من بيان الحق المبين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

منشيء المنار

محمد رشيد رضا


Bibliotheca Alexandrina
0531222